

نسيم الرياض

في شرح شفاء القاضي عياض

تأليف

شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر

الخفاجي المصري

المتوفى سنة ١٠٦٩هـ

ضبطه وقدم له وعلق عليه

محمد عبد القادر عطا

الجزء الرابع

منشورات

محمد علي بيضون

لنشر كتب السنة والجماعة

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان



الطبعة الأولى
١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠١ م

دار الكتب العلمية
بيروت ـ لبنان
رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
هاتف وفاكس : ٣٦٤٣٩٨ ـ ٣٦٦١٣٥ ـ ٣٧٨٥٤٢ (١ ٩٦١)
صندوق بريد : ٩٤٢٤ ـ ١١ بيروت ـ لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beirut - Lebanon
Ramel Al-Zarif, Bohtory St., Melkart Bldg., 1st Floor
Tel. & Fax : 00 (961 1) 37.85.42 - 36.61.35 - 36.43.98
P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beyrouth - Liban
Ramel Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1ére Étage
Tel. & Fax : 00 (961 1) 37.85.42 - 36.61.35 - 36.43.98
B.P. : 11 - 9424 Beyrouth - Liban

ISBN 2-7451-3209-1



http://www.al-ilmiyah.com/

e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(فصل فى كلام الشجر)
[وشهادتها له بالنبوة وإجابتها دعوته]

الآتى بيانه، والشجر ما قام على ساق، واحده شجرة، وما عداه نبات، وقد يطلق على بعض النبات شجر كاليقطين، والحنطة، والكلام ما يتلفظ به اسم ويجىء بمعنى التكليم، وتكليمه له صلى الله تعالى عليه وسلم بأن يخلق الله تعالى فيه نطقا، ولما كان هذا أمرا خارقا للعادة، لم يقل: ومن معجزاته فلا حاجة لذكره كما قيل.

(وشهادتها له بالنبوة) من عطف الخاص على العام **(وإجابتها دعوته)** أى طلبه صلى الله تعالى عليه وسلم منها أن تجىء نحوه كما سياتى، وله منها حديث رواه البيهقى والبزار والدارمى مسندًا عن ابن عمر، وهو ما ذكره بقوله: **(حدثنا أحمد بن محمد بن غلبون)** بفتح الغين المعجمة وسكون اللام وموحدة، ممنوع من الصرف للعلمية، وشبه العجمة كزيدون وسعدون، ومثله كثير فى لسان أهل المغرب **(الشيخ الصالح فيما أجازنيه)** عداه بنفسه لمفعولين، وهو لغة حكاها ابن فارس فى المجمل، وبتعدى باللام والباء، والإجازة: الإذن فى الرواية عنه، والكلام على أنواعها ولغتها مفصل فى ابن الصلاح وحواشيه، فلا حاجة لذكره هنا **(عن أبى عمرو الطلمنكى)** بالطاء المهملة واللام والميم المفتوحات ونون ساكنة وكاف، تقدم الكلام عليه وعلى نسبته **(عن أبى بكر بن المهندس)** المعروف بابن أبى طاهر، والمهندس بوزن اسم الفاعل، ويقال: مهندز بالزاء، وهو معرب، وليس فى لغة العرب دال بعدها زاء، والهندسة اسم علم معروف من الرياضيات، وفى العرف العارف بأحوال البناء.

(عن أبى القاسم البغوى) نسبة إلى بغ، ويقال بغا، وهى قريبة بين مرو وهراة، وأصلها بغشور فخفف، وهذا هو عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن المرزبان الإمام الحافظ

الجليل البغدادى، ابن بنت أحمد بن منيع، وليس هو البغوى المشهور صاحب المصابيح والتفسير محيى السنة، ومولد هذا فى رمضان سنة أربع عشر ومائتين وتوفى ليلة عيد الفطر سنة سبع عشرة وثلاثمائة، وترجمته فى الميزان قال: **(حدثنا أحمد بن عمران الأخنسى)** بياء النسبة لأخنس بخاء معجمة ونون وسين مهملة بوزن أفعل، وقيل: إنه الأخنس بغير نسبة لقب له، وهو كذلك فى بعض النسخ، وقيل: هما واحد، وقيل: اسمه محمد، وتوفى فى حدود الثلاثين ومائتين، وكان ببغداد، وفيه كلام قال **(حدثنا أبو حيان التيمى)** بحاء مهملة مفتوحة ومثناة تحتية مشددة منسوب لتيم قبيلة مشهورة، وهو إمام ثقة أخرج له الستة، وتوفى سنة خمس وأربعين ومائة، وهذا الحديث منقطع، فإنه سقط بين ابن عمران، وأبى حيان راو، وهو محمد بن فضيل كما سيأتى فى كلام المصنف فى بعض النسخ، وتردد فى تعيينه البرهان، ومثله لا يكون رجما بالغيب.

(وكان صدوقا) وثقة ردا على بعض من طعن فيه.

(عن مجاهد) تقدمت ترجمته **(عن ابن عمر)** الصحابى المشهور، رضى الله تعالى عنهما: **(قال: كنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى سفر فدنا منه)**: أى قرب منه من الدنو **(أعرابى)**: نسبة إلى الأعراب، وهم سكان البادية من العرب، وفى النسبة إليه وهو جمع حقه أن يرد لمفرده كلام مشهور.

(فقال) له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم **(يا أعرابى أين تريد؟)** أى تقصد بمسيرك وسفرك هذا.

(قال: إلى أهلى) أى أريد مكانا فيه أهلى ولم يعينه لأنهم نزالة رحالة، وعداه بإلى لتضمنه معنى التوجه، والإرادة متعدية بنفسها، وإنما قدم سؤاله؛ تأنيسا له وإزالة لما فى نفسه من مهابته صلى الله تعالى عليه وسلم فإنه كان مهيبا لمن رآه، وتوطئة لقوله: **(قال: هل لك إلى خير؟)** أى هل تنقاد وتذعن لخير مما أنت فيه؟ **(قال: وما هو؟)** أى الخير الذى دعوتنى إليه **(قال: تشهد أن)** مخففة من الثقيلة **(لا إله إلا الله وحده)** حال لازمة، أى متوحدا منزها عما يشاركه فى ذاته وصفاته، وفى كونه معبودًا بحق.

وقوله: **(لا شريك له)** تأكيد لوحدانيته بعد تأكيد.

(وأن محمدًا عبده ورسوله) قدم العبودية؛ تنزيها لنفسه عن الإطراء فى مدحه.

(قال) الأعرابى: **(من يشهد لك على ما تقول؟)** من دعوى الرسالة.

(قال: هذه السمرة) بفتح السين المهملة وضم الميم وراء مهملة مفتوحة، وهى شجرة عظيمة ذات شوكة من الطلح، وأشار إليها لقربها منه، وفى نسخة بعد ما تقدم: فادعها فإنها ستجيبك، قال: فدعوتها **(وهى)**، أى السمرة **(بشاطئ الوادى)** بشين معجمة وألف

وطاء مهملة وهمزة: بمعنى جانب وطرف، والوادى: الأرض الواسعة المستوية، من ودى بمعنى سال لما فيها من المياه السائلة **(فأقبلت)** الفاء فصيحة: أى فدعاها لتشهد له فأقبلت **(تخد الأرض)** بمثناة فوقية، وخاء معجمة مضمومة، ودال مهملة مشددة: أى تشقها، ومنه الأخدود، وشقها لتسعى بعروقها التى فى جوف الأرض، ولولا ذلك لم تتحرك **(حتى وقفت بين يديه)** صلى الله تعالى عليه وسلم بأن قامت محاذية له قريبا منه **(فاستشهدها ثلاثًا)**، أى قال لها ثلاث مرات وطلب منها أن تشهد له بأنه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وجملة تخد الأرض حالية أو مستأنفة، وإنما كرر استشهادها تأكيدا؛ ليقرر ذلك فى قلب الأعرابى.

(فشهدت) له بأنه رسول الله حقًا أرسله الله الذى لا شريك له، ولم يبين ما نطقت به لأنه معلوم من السياق، **(ثم رجعت إلى مكانها)** الذى كانت فيه.

وفى هذه القصة معجزات له صلى الله تعالى عليه وسلم خلق الله فى الجماد إدراكا ونطقا وحركة إرادية يجيء بها ويذهب، وقد وقعت على سبيل التحدى، فحد المعجزة منطبق على كل واحدة منها.

(و) وفى حديث رواه البزار مسندًا **(عن بريد)** بضم الموحدة، وفتح الراء المهملة ومثناة تحتية ودال مهملة، علم منقول من مصدر البردة المعروفة، وهو أبو عبد الله بن الحصيب مصغر حصب بمهملتين وموحدة، وهو صحابى أسلم قبل بدر، وشهد الحديبية، ومات بمرو خراسان غازيا فى أيام معاوية، أو يزيد سنة اثنين أو ثلاث وستين من هجرته صلى الله تعالى عليه وسلم **(سأل أعرابى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، آية)**: أى علامة ومعجزة تدل على أنه رسول الله حتى يؤمن به، **(فقال له: قل لتلك الشجرة)** مشيرًا لسمرة كانت ثمة، وهى تلك السمرة المذكورة فى الحديث الذى قبله، أى غيرها **(رسول الله يدعوك)** بكسر الكاف، أى يطلب منك المجئ إليه والحركة نحوه.

(قال) أى بريدة: فدعاها، **(فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها)**: أى مالت ميلا شديدا وتحركت فى جهاتها الأربع، حتى تخلص عروقها من الأرض، وتمكنها الحركة نحوه صلى الله تعالى عليه وسلم.

(فتقطعت عروقها) المتمكنة فى مغرسها، وهو إما على ظاهره أو المراد أنها تخلصت، وهذا هو الظاهر من قوله: **(ثم جاءت تخد الأرض)** وتشقها **(تجر عروقها)** من خلفها، وهذا يدل على أنها لم تقطع، ولو تقطعت فسدت ولم تبق نابتة بحالها، وقيل: إنه معجزة أخرى مخالفة للعادة من بقائها بعد تقطع عروقها التى هى سبب حياتها، والجملتان حالان مترادفتان أو متداخلتان، والثانية مؤكدة للأولى، ولذا لم تعطف عليها **(مغيرة)**،

أى مسرعة فى مشيها، قال الله تعالى: ﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا﴾ [العاديات: ٣]، ومنه المغارة على العدو، وهو منصوب على الحال أيضًا، ومغيرة اسم فاعل من الغارة، وبعد الغين المعجمة مثناة تحتية ساكنة.

وقيل: إنه بباء موحدة مشددة مكسورة وراء مهملة مخففة.

وقيل: الغين ساكنة، والباء مفتوحة مخففة والراء مفتوحة مشددة من الغبار، وهو حال من الفاعل المستتر، أو من العروق، ولكل منها ذهب بعض.

(حتى وقفت بين يدى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) قريبا منه مواجهة له **(فقالت: السلام عليك يا رسول الله)**، وفيه شهادة برسالته وتوقير له، ولم يذكر أنه رد عليها السلام؛ لأن السلام إنما شرع تحية موجبة للرد فى حق البشر؛ لأنه أمان وليست من أهله، فما قيل من أنه صلى الله تعالى عليه وسلم رد عليها السلام مكافأة لها لا وجوبًا، إذ ليست مكلفة أمر يحتاج للنقل، فكان عليه بيانه، والسلام دعاء بالسلامة.

وقيل: إنه هنا اسم الله أى الله معك حفيظ لك، وفيه كلام ليس هذا محله.

(قال الأعرابى: مرها) بضم الميم أمر أصله أؤمرها فخفف، **(فلترجع إلى منبتها)** تفسير للأمر، ومنبتها بكسر الباء موضع نباتها ويجوز فتحها، فأمرها **(فرجعت)** حملها **(فدلت عروقها)** أى أدخلتها فى الأرض، أصلها **(فاستوت)** أى انتصبت قائمة من غير ميل بها **(فقال الأعرابى)** لما رأى هذه المعجزة، وآمن به صلى الله تعالى عليه وسلم **(ائذن لى)** أمر من الإذن بكسر الهمزة الأولى وسكون الثانية، ويجوز إبدالها ياء.

(أسجد لك) مجزوم فى جواب الأمر، أو جواب شرط مقدر، أى أن تأذن لى فى السجود أسجد لك فأبى صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك، و**(قال)** له **(لو أمرت أحدًا أن يسجد لأحد)**: أى لو جاز لى أمر مخلوق بالسجود لمخلوق مثله، **(لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها)**: لوجوب طاعته عليها، ولماله عليها من الحقوق الموجبة للتعظيم، والخضوع والسجود والركوع لا يجوز لغير الله تعالى فى ملتنا، وقد قيل إنه كان جائزًا فى الشرائع التى قبل شريعتنا بقصد التعظيم، لا العبادة، ولذا قال الله تعالى: (﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا﴾) [يوسف: ١٠٠]، إذا كان الضمير ليوسف عليه الصلاة والسلام، ولذلك جاز سجود الملائكة لآدم، عليه الصلاة والسلام، ثم نسخ هذا فى شريعتنا، وكان ذلك تحية الملوك عندهم، ولذا طلب الأعرابى الإذن فى تعظيمه، عليه الصلاة والسلام، بذلك، فنهاه عنه وكذلك الانحناء على هيئة الركوع نهينا عنه، وعوضنا عن ذلك تحية الناس بالسلام والمصافحة.

(قال) الأعرابى لما نهاه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عن السجود: **(فأذن لى أقبل)**

مجزوم فى جواب الأمر **(يديك ورجليك)** تعظيما لك، **(فأذن له)** فى تقبيل يديه ورجليه فقبلهما، وفيه دليل على جواز تقبيل اليد والرجل من الفاضل للمفضول، إذا كان لزهده وصلاحه، أو علمه وشرفه، وليس بمكروه، بل يستحب إذا كان تعظيمه لأمر دينى، كما قاله النووى فى الأذكار، فإن كان لأمر دنيوى فهو مكروه.

وقد ورد فى أحاديث كثيرة صحيحة تقبيل يد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وبهذا رد على المتولى من أئمة الشافعية حيث أطلق القول بعدم جوازه.

(وفى الصحيح) أى الحديث الصحيح، أو المراد به صحيح مسلم؛ لأنه روى هذا الحديث مسندًا فيه، **(وفى حديث جابر بن عبد الله الطويل)** بالجر صفة الحديث، وصفه به، لتوجيه عدم إيراده بتمامه هنا.

(ذهب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) إلى الصحراء **(يقضى حاجته)**؛ لأنه لم يكن فى بيته خلاء، وهكذا سائر بيوتهم، وهو كناية عن التغوط: أى ذهب لأجل ذلك، **(فلم ير شيئًا يستتر به)**: أى حائلاً بينه وبين رؤية عورته بعد كشفها، **(فإذا بشجرتين)** إذا فجائية والباء زائدة: أى فاجأه بغتة من غير ترقب منه أى فإذا هو، فالمبتدأ مقدر هنا.

(فى شاطئ الوادى) بالهمزة أى طرفه وجانبه، **(فانطلق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إلى إحداهما)** أى توجه إلى إحدى الشجرتين حتى قرب منها.

(فأخذ بغصن من أغصانها) أى أمسكه صلى الله تعالى عليه وسلم بيده، **(فقال)** للشجرة: **(انقادى على)**: أى طاوعينى، وميلى على؛ لتكون ساترة له عن الأعين **(بإذن الله)** أى بتيسيره وتسهيله وإرادته، لا بقوة جذبى، وإذن الله يتجوز به تجوزًا مشهورًا، **(فانقادت معه)**: أى طاوعته ومالت حتى سترته كما أراد وإنما أمسك غصنها ولم يكتف بمجرد دعوتها كما فى الحديث الذى قبله؛ لأن ذلك كان لإظهار المعجزة، حتى يسلم الأعرابى، وهنا لم يقصد ذلك.

(كالبعير المخشوش): أى كما ينقاد البعير المخشوش لمن يقوده بسهولة، وهو اسم مفعول بخاء وشينين معجمتين، وهو الذى يوضع فى أنفه خِشاش بكسر الخاء، والبعير الذى يعسر قوده يخرق أنفه ويوضع فيه شيء يذلل به، فإن كان عودا من خشب فهو خشاش، وإن كان مفتولا من وبر ونحوه فهو خزام، وإن كان من نحاس ونحوه من المعدنيات فهو برة، كما قاله الخطابى.

وبهذا علمت موقع قوله المخشوش هنا؛ لأن الغصن من جنس العود؛ فلذا لم يقل المخزوم، وهى نكتة سرية لم ينبهوا عليها، والتشبيه فى السرعة والسهولة، وفيه تشبيه الشجرة بالبعير، وهو واقع فى كلامهم كعكسه فى قوله فى الإبل:

لمن شجر قد أثقلتها ثمارها   سفائن بر والسراب بحارها

والخشاش: مأخوذ من قولهم خش بمعنى دخل لإدخاله الأنف، وقوله: (**الذى يصانع قائده**): صفة البعير، وهو يطلق على الذكر والأنثى كما مر، والمصانعة مفاعلة من المصنع، وهو العمل، والمراد به الملاينة وسهولة الانقياد، مستعار من المصانعة: وهى المداراة والإعطاء، ولذا قيل للرشوة مصانعة كما قاله الراغب.

(**وذكر**) أى جابر، رضى الله تعالى عنه، فى حديثه هذا (**أنه**) صلى الله تعالى عليه وسلم (**فعل بالأخرى**): أى بالشجرة الأخرى التى كانت بالوادى (**مثل ذلك**)، أى مثل ما فعل بالأولى بأن أمسك غصنا منها، حين انقادت له صلى الله تعالى عليه وسلم بسهولة (**حتى إذا كان**) صلى الله تعالى عليه وسلم أى‌حن ووجد (**بالمَنْصَفِ**) بفتح الميم وسكون النون وفتح الصاد المهملة المخففة: أى حل فى وسط المكان (**بينهما**): أى بين الشجرتين، وهذا أستر له (**قال: التئما**) بفتح المثناة الفوقية، وكسر الهمزة، أى انضما واجتمعا (**علىَّ بإذن الله فالتأمتا**) بتيسيره وإرادته، والالتئام: الاجتماع، ومنه التئام الجرح.

والاستتار من رؤية العورة واجب إذا كان عنده من لا يغض بصره ممن يحرم نظره إليها، وهذا لا ينافى كون هذا معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم فإن اللازم التستر بأى وجه كان.

(**وفى رواية أخرى**) لحديث جابر، رضى الله تعالى عنه، من غير طريق مسلم، (**فقال**) صلى الله تعالى عليه وسلم (**يا جابر: قل لهذه الشجرة**) التى بشاطئ الوادى: (**يقول لك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: الحقى بصاحبتك**) أى تحركى واذهبى حتى تكونى مع الشجرة الأخرى، وسماها صاحبة لكونهما فى واد واحد، أو باعتبار ما يئول بعد اللحوق والانضمام (**حتى أجلس**) لقضاء الحاجة مستترا (**خلفكما فزحفت**) بزاء معجمة وحاء مهملة وفاء، وفى نسخة براء وعين مهملتين بينهما جيم، (**حتى لحقت بصاحبتها فجلس خلفهما**) أى بأن جعلهما بينه وبين الناس، قال جابر، رضى الله تعالى عنه: (**فخرجت أحضر**) بضم الهمزة وسكون الحاء المهملة وكسر الضاد المعجمة والراء المهملة: أى أسرع فى العدو، من الحضر بالضم والسكون.

قال الجوهرى: الحضر بالضم العدو يقال: أحضر الفرس إحضارا، واحتضر إذا عدا. انتهى فهو مضارع المزيد للمتكلم كأكرم يكرم.

(**وجلست أحدث نفسى**) حديث النفس مجاز عما يخطر بالبال من هذه الأمور العجيبة، والمنقبة الشريفة التى شاهدها، رضى الله تعالى عنه، من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم، وإنما أسرع وعدا؛ لما كان يعلمه من المبالغة فى التستر، والإبعاد عن الناس

إذا قضى حاجته؛ لشدة حيائه صلى الله تعالى عليه وسلم حتى أنه كان يذهب وهو بمكة لقضاء حاجته إلى المغمس، وهو مكان بينه وبين مكة نحو ميلين، ولذا تأدب و لم يمش على تؤدته، حتى يقف صلى الله تعالى عليه وسلم منتظرا لبعده عنه.

(فالتفت): أى حولت وجهى وأنا جالس إلى جانبه لأنظر ما حدث بعد الحدث.

(فإذا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مقبل) إذا فجائية أى فاجأنى بغتة بعد التفاتى، فأبصرته، ومقبلٌ اسم فاعل من الإقبال مرفوع خبر رسول، وفى نسخة: مقبلاً بالنصب على الحالية من مقدر: أى جاء مقبلا، والجملة خبر المبتدأ والحال مؤكدة كـ ﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا﴾ [النمل: ١٠].

(والشجرتان قد افترقتا)، وعادت كل واحدة منهما لمحلها، وهى جملة اسمية حال من الضمير المستتر فى قوله مقبل.

(فقامت كل واحدة منهما على ساق) منتصبة فى منبتها مفارقة لصاحبتها، والساق حقيقة فيما قام عليه الشجر، وما لا ساق له فهو نجم ونبت، فإذا ظهر على وجه الأرض فهو عشب، فإذا غطى الأرض فهو كلأ كما فصله أهل اللغة.

(فوقف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقفة) يسيرة ينتظر؛ لما أكرمه الله تعالى به من مشى الشجر لأجله، **(فقال برأسه)** أى حركه **(هكذا)** وفسره بقوله: **(يمينا وشمالا)** منصوبان على الظرفية: أى فى جانب اليمين والشمال، وقال هنا بمعنى مال: أى ميل رأسه الشريف فى الجهتين، قال فى القاموس: قال ابن الأنبارى: يجىء قال لمعان: تقول قال فأكل، وقال فضرب، وقال فتكلم، ومال، وأقبل إلى آخر ما فصله.

وقيل: قال هنا مجاز عن الإشارة لاشتراكهما فى الإفهام.

وقيل: إنه أذن لهما فى الرجوع إلى مكانهما، وهو لا يوافق قوله: فقامت كل واحدة منهما على ساق فتدبر.

(وروى أسامة بن زيد) فى حديث أخرجه البيهقى فى الدلائل وأبو يعلى بسند حسن عنه **(نحوه)**: أى بمعنى الحديث الذى قبله.

(قال) أسامة: **(قال لى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى بعض مغازيه)**: جمع مغزاة بمعنى الغزاة أو محلها كما مر: **(هل)** استفهام حذف المستفهم عنه للعلم به، أو استهجان ذكره، أو لأنه لم يسمعه، أو لم يفهمه أو لم يجده فى أصله: أى هل ترى مكانا لائقا بقضاء الحاجة؟ وإليه أشار بقوله: **(تعنى مكانا لحاجة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم)**: الحاجة هنا كناية عن البول والغائط.

(**فقلت: إن الوادى ما فيه موضع بالناس**) الباء سببية، وما نافية أى ما فيه موضع خال بسبب نزول الناس فيه، فهو مملوء بهم.

(**فقال: هل ترى من نخل أو حجارة**) مرتفعة يمكن أن يستتر بها كالنزيل الذى يقضى الحاجة خلفه، ويكون فيه سترة ومن زائدة بعد الاستفهام.

(**قلت: أرى نخلات**) جمع نخلة (**متقاربات**): أى قرب بعضها من بعض وهو مناسب للسترة بها للجلوس بينها، وروى متكاربات بالكاف: وهو لغة بمعنى متقاربات، والقاف تبدل كافًا كثيرًا، وقرئ فى الشواذ لا تكهر فى ﴿فَلَا تَقْهَرْ﴾ [الضحى: ٩]، ورأى بصرية، وكونها علمية بعيد، فهى صفة نخلات منصوبة.

(**قال: انطلق وقل لهن**) أى للنخلات: (**إن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يأمركن أن تأتين**): أى تجتمعن ويتزايد قربكن؛ ليكون أستر له (**لمخرج رسول الله**) صلى الله تعالى عليه وسلم أى لمكان خرج إليه لقضاء حاجته فيه.

(**وقل للحجارة مثل ذلك**): أى مثل قولك للنخلات من أمره صلى الله تعالى عليه وسلم لها أن تأتين لمخرجه، وفى كلام أسامة لم يأمر الحجارة؛ إما لعدم الحاجة إليها مع النخيل، أو لأنها لم تكن مرفوعة حتى تعد ساترة.

(**فقلت ذلك لهن**) الفاء فصيحة: أى فذهبت فقلت ما أمرنى به لهن، (**فوالذى بعثه بالحق**) قسم: أى بالدين الحق (**لقد رأيت النخلات يتقاربن**): أى يدنو بعضها من بعض (**حتى اجتمعن**) فى مكان واحد، (**والحجارة**) بالنصب (**يتعاقدن**): أى ينضم بعضها إلى بعض، حتى يصرن كالبنيان المعقود بعضه ببعض، (**حتى صرن ركاما**) بضم الراء المهملة: أى بعضها فوق بعض (**خلفهن**) متعلق بركاما، والضمير للنخلات يعنى أن الحجارة اجتمعت مع النخل، وفى نسخة: فجلس خلفهن، فالضمير للنخلات والحجارة.

(**فلما قضى حاجته قال لى: قل لهن يفترقن**): أى يرجع كل نخلة وحجر إلى موضعه الذى كان فيه أولاً، (**فوالذى نفسى بيده**): أى الله الذى روحى فى قبضة تصرفه وإرادته إن شاء أبقاها، وإن شاء أماتها.

والنفس لها معان مشهورة، منها: الروح، وغاير بين القسمين تفننا مع مناسبة الأولى للمقسم عليه من أن له دينا حقا، وهو رسول له معجزات منها ما ذكر ومناسبة الثانى لحاله من أن من آمن بالله وخشيه لا يتكلم إلا بالحق لا سيما فيما ذكر (**لرأيتهن والحجارة**) بالنصب عطف على الضمير، وهو مفعول معه، والضمير للنخلات، واللام فى جواب القسم.

(**يفترقن حتى عدن إلى مواضعهن**)، وفيه معجزات له صلى الله تعالى عليه وسلم فى

سعى النخل والحجارة بأمره مرتين، وخلق الله تعالى فيها قوة تسمع وتأتمر بأمره، والحديث طويل وفيه معجزات أخر من إتيان امرأة له صلى الله تعالى عليه وسلم بولد لها صغير، كان يرضع فتفل فى فيه، فلم يعد له ذلك وإن أمه أتت له صلى الله تعالى عليه وسلم بشاة فسواها أسامة له، فقال له: ناولنى منها ذراعا فناوله ثم قال ذلك، فناوله ثم قال، فقال أسامة: إنها غير ذراعين، فقال: لو سكت لم تزل تناولنى منها، وكان ذلك فى سفره للحج بمحل يقال له: الروحاء.

(وقال يعلى ابن سيابة) فى حديث صحيح رواه أحمد، والبيهقى، والطبرانى، ويعلى: بزنة يرضى علم منقول من المضارع، وسيابة بفتح السين المهملة وتشديد المثناة التحتية وألف وموحدة يليها هاء: اسم أمه، فيرسم ابن بالألف وأبوه مرة بن مرازم، وقيل: مرة بن وهيب الثقفى، وقال: إنهما اثنان وهو صحابى بصرى أو كوفى، وترجمته مفصلة فى الإصابة، والرواية عنه نادرة، وهو من أهل الشجرة.

(كنت مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى مسير) بفتح الميم مصدر ميمى أو اسم زمان أو مكان قيل: والأول أولى.

(وذكر نحوًا من هذين الحديثين) اللذين قبله فى ذهابه لقضاء حاجته، وأمره للشجرتين غير أنه قال: **(وذكر فأمر وديتين)** تثنية ودية بفتح الواو وكسر الدال المهملة والمثناة المشددة قبل الهاء، وهى صغار النخل التى تخرج من أصول كبارها، فتنقل وتغرس، وتسمى فسيلا وفراخا **(فانضمتا)** أى انضمت إحداهما للأخرى كالذى مر.

(وفى رواية أشاءتين) بفتح الهمزة، وكسرها فى بعض النسخ خطأ، وشين معجمة وألف ممدودة وهمزة وتاء تأنيث: مثنى أشاءة، وهى من صغار النخل أيضًا، لكنها أكبر من الودية وهمزة الثانية منقلبة عن ياء وقيل: أصلية.

(وعن غيلان بن سلمة الثقفى مثله فى شجرتين)، وغيلان بفتح الغين المعجمة وتحتية مثناة ولام ونون، وهو غيلان بن سلمة بن معتب بوزن معلم بالتشديد، ابن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف الصحابى الشاعر، أسلم بعد الطائف وتوفى فى آخر خلافة عمر، وهو الذى أسلم على عشر نسوة وفى هذه الرواية لم تعين الشجرتان.

(وعن ابن مسعود مثله فى غزاة حنين): اسم موضع معروف، وغزوة حنين كانت بعد الفتح بسنة كما فصل فى السير، وضمير مثله راجع لما ذكر من أمر الشجرتين.

(وعن يعلي بن مرة وهو ابن سيابة أيضًا) إشارة إلى مامر من الاختلاف فى اسم أبيه كما سمعته آنفا، وأن سيابة اسم أمه.

(وذكر أشياء رآها من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى ذكر ابن سيابة أمورًا خارقة للعادة من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم شاهدها منه صلى الله تعالى عليه وسلم فى تلك الغزوة، **(فذكر أن طلحة أو سمرة)**: بفتح المهملة وضم الميم كما مر نوعان من شجر البرية، ذات شوك تسمى العضاة، وأو للشك من الراوى فى تلك الشجرة.

(جاءت فطافت به) صلى الله تعالى عليه وسلم أى دارت حوله، وفى بعض النسخ فأطافت بهمزة قبل الطاء المهملة، وهو بمعناه يقال طاف وأطاف ويطوف واستطاف بكذا: إذا ألم به، ودار حوله، وأما كونه من الطوف بمعنى الغائط، ويقال منه أيضًا طاف وأطاف: إذا ذهب إلى البراز ليتغوط، وأنه أسند إلى الشجرة مجازًا، فتكلف لا حاجة إليه، وليس فى هذا التجوز معنى حسن يرتكب لأجله وإن كان صحيحا بحسب اللغة، ولا يناسب قوله بعده: **(ثم رجعت إلى منبتها)** أى موضعها الأول الذى نبتت فيه، **(فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: إنها)**: أى تلك الشجرة **(استأذنت أن تسلم على)** أى استأذنت ربها، ويجوز أن يكون هذا مجازًا، والمعنى أنها طلبت من الله تعالى أن يعطيها قدرة كقدرة العقلاء من المشى إليه صلى الله تعالى عليه وسلم، والسلام عليه بالمقال، لا بلسان الحال وهذا صريح فى أنه لم يكن للتغوط كما قيل.

(وفى حديث عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه): الذى رواه الشيخان مسندًا **(آذنت)** بالمد بمعنى أعلمت وفاعله شجرة الآتى.

وقوله: **(النبى صلى الله تعالى عليه وسلم)** بالنصب مفعوله.

و**(بالجن)** متعلق به أى بحضورهم عنده صلى الله تعالى عليه وسلم واستماعهم منه القرآن.

(ليلة استمعوا له) منصوب على الظرفية أى فى الليلة التى استمعوا قراءته صلى الله تعالى عليه وسلم للقرآن.

(شجرة): وفيه دلالة على أنه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يرهم عيانا فى هذه القصة، وإنما كانوا عنده وهو لم يرهم، وإنما نطقت الشجرة، وأعلمته بحضورهم واستماعهم وفى هذه القصة كلام سنفصله.

(وعن مجاهد عن ابن مسعود فى هذا الحديث) الذى رواه الشيخان **(أن الجن قالوا)** له صلى الله تعالى عليه وسلم لما اجتمعوا به: **(من يشهد لك)** بأنك رسول الله؟ **(قال: هذه الشجرة)**، ثم دعاها: للشهادة، فقال: **(تعالى يا شجرة)** بفتح اللام وسكون الياء التحتية، وهو أمر من تعالى يتعالى بالطلوع لمكان عال، ثم عم وصار بمعنى أقبل مطلقا، وكسر اللام قال كثير من النحاة: إنه لحن، ولم يرتضه الزمخشرى، وقال: إنه قرئ به فى الشواذ،

وإنه لغة، وعليه قول أبى فراس وهو أسير يسمع تغريد حمامة شوقته لأوطانه، ومعاهد إلفه وإخوانه:

أقول وقد ناحت بقربى حمامة ... أيا جارتى هل بات حالك حالى؟
معاذ النوى ما ذقت طارقة النوى ... ولا خطرت منك الهموم ببالى
أتحمل محزون الفؤاد قوائم ... إلى غصن نائى المسافة عالى
أيا جارتى ما أنصف الدهر بيننا ... تعالى أقاسمك الهموم تعالى
تعالى ترى روحا لدى ضعيفة ... تردد فى جسم يعذب بالى
أيضحك مأسور ويبكى طليقه ... ويسكت محزون ويندب سالى
لقد كنت أولى منك بالدمع مقلة ... ولكن دمعى فى الحوادث غالى

(فجاءت) امتثالا لأمره صلى الله تعالى عليه وسلم إذ قال: تعالى **(تجر عروقها)**؛ لأنها لما خرجت من محلها أخرجت عروقها التى كانت فى داخل الأرض، فلما مشت انجرت خلفها.

(لها): لعروقها، أو للشجرة نفسها **(قعاقع)**: أى صوت كصوت الرحا، وهو جمع قعقعة وهى حكاية صوت الحركة من الأجرام الصلبة، وقيل: يجوز أن يراد به صوت كلام جهورى لها إذ أنطقها الله تعالى، أو الصوت من شق الأرض كما مر أنها جاءت تخد الأرض، أو صوت اصطكاك أغصانها.

وقال الحافظ العراقى: حديث مجاهد عن ابن مسعود، رضى الله تعالى عنه، مرسل نقلاً عن شيخه العلائى، وابن الصلاح.

(وذكر) مجاهد **(مثل الحديث الأول)** أى ما يشابهه لفظا ومعنى أو **(نحوه)** أى قريبا منه، وإن لم يكن بينهما شبه تام، ونحو يكون بمعنى مثل مطلقا، ويكون بمعنى ما يقرب منه، وإن لم يكن مثله، وهو المراد هنا لجمعه بينهما، وقوله فى أول الحديث: إن الشجرة أعلمته بالجن يقتضى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يرهم.

وقوله بعده: إنهم قالوا له: من يشهد لك؟ يقتضى أنه رآهم وخاطبهم، ولا تناقض فيه؛ لأن القصة تعددت، وتحقيقها كما فى كتاب آكام المرجان فى أحكام الجان: أنه صلى الله تعالى عليه وسلم لما أيس من ثقيف، رجع من الطائف لمكة، فقام بنخلة يصلى جوف الليل، فمر به نفر من الجن جن نصيبين، وسمعوا قراءته فآمنوا به، وأتوا قومهم منذرين كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الأحقاف: ٢٩] إلى آخره.

وفى هذه القصة كما فى الصحيحين: لم يقرأ عليهم ولا رآهم، وإنما كانت الشياطين

لما حيل بينهم وبين خبر السماء تفرقوا فى الأرض؛ ليعلموا سبب ما حدث، فمر به صلى الله تعالى عليه وسلم نفر منهم من جان تهامة، وهو راجع من عكاظ، وقد قام يصلى الفجر بأصحابه فلما سمعوا قراءته صلى الله تعالى عليه وسلم قالوا: هذا الذى حال بيننا وبين خبر السماء، فرجعوا وأخبروا قومهم، وأنزل الله عليه ﴿قُلْ أُوحِيَ﴾ [الجن: ١] إلى آخر السورة كما قاله ابن عباس، رضى الله عنهما.

قال البيهقى: وهذا كان فى أول أمره، ولم يرهم وأتاه مرة أخرى داعى الجن، فرآهم وقرأ عليهم، كما رواه ابن مسعود.

وفى القصة الأولى لم يرهم، وإنما الذى أعلمه بهم الشجرة، وروى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قرأ عليهم سورة الرحمن، فكانوا كلما قال: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ١٣] قالوا: ولا بشىء من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد.

وابن مسعود أعلم بقصة الجن من ابن عباس لأنها كانت قبل الهجرة سنة إحدى عشرة من النبوة، وابن عباس طفل.

وقال السهيلى، رحمه الله تعالى: إنهم كانوا يهود لقولهم: ﴿مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾ [الأحقاف: ٣٠] دون عيسى كما ذكره ابن سلام.

واختلف فى عددهم فقيل: سبعة، وقيل: تسعة.

وفى مسلم أنه قيل لابن مسعود: هل صحب أحد منكم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة الجن؟ قال: لا وكنا فقدناه ليلة فالتمسناه فى الأودية، فلم نجده وبتنا بشر ليلة، فلما أصبحنا جاء من قبل حراء، وقال: أتانى الليلة داعى الجن، فذهبت معه وقرأت عليهم القرآن، وانطلق بنا وأرانا آثار نيرانهم، وذكر لنا ما أمرهم به من الزاد، وهذه غير الليلة التى أعلمهم بها، وذهب معه ابن مسعود، وخط له خطا غاب عنه، ثم عاد إليه، وكانت بمكة، وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم لأصحابه: من أحب منكم أن يحضر الليلة أمر الجن فليفعل، فلم يحضر أحد منهم غيرى، فانطلقنا حتى إذا كنا بأعلى مكة خط لى برجله خطا أمرنى أن أجلس فيه، ثم انطلق حتى قام يقرأ فغشيته أسودة حالت بينى وبينه صلى الله تعالى عليه وسلم، ثم انصرفوا مثل قطع السحاب إلى الفجر، ثم أتانى[١].

وفى هذه الرواية أن ابن مسعود قال: سمعتهم يقولون: من يشهد أنك رسول الله إلى آخر ما ذكر من قصة الشجرة، وما هنا من إعلامه لهم وخروجه معه إلى آخره، وما روى عنه من أنهم التمسوه وباتوا بشر ليلة، يدل على أن قصة الجن تعددت.

(١) أخرجه مسلم فى الصلاة (١٥٠)، والترمذى (٣٢٥٨)، والبيهقى (١/١١).

وقول البيهقى: إنها واحدة لا يمكن فيه الجمع بين الروايتين، ويعينه ما رواه أبو نعيم فى دلائله من أن القصة كانت بالمدينة بالبقيع، وروى ابن الزبير أنه حضرها بالمدينة، فهذه مرة ثالثة، وذكر مثله عن بلال بأحاديث مفصلة، ثم قال: دل مجموع الأحاديث أن وفادة الجن عليه صلى الله تعالى عليه وسلم كانت ست مرات.

الأولى: لم يشعروا بها والتمسوه فيها، فلم يجدوه.

والثانية: كانت بأعلى مكة فى الجبال.

والثالثة: ببقيع الغرقد قد حضرها ابن مسعود، رضى الله عنه، وخط عليه الخط.

والرابعة: كانت مع ابن مسعود أيضًا.

والخامسة: خارج المدينة مع ابن الزبير.

والسادسة: فى بعض أسفاره مع بلال، رضى الله تعالى عنه.

ولكل منها حديث مسند إن أردته، فانظر الكتاب المذكور، فإنه لم يصنف فى معناه مثله.

أقول: وفيما ذكرناه معجزات آخر.

منها: انقياد الجن له صلى الله تعالى عليه وسلم باختيارهم، وهى أعظم من تسخيرهم لسليمان، عليه الصلاة والسلام. ومنها: كلام الشجرة له.

ومنها: سعيها له، وعودها لمحله بعد خروج عروقها من منبتها، وهو أمر خارق للعادة.

وفى الحديث فوائد منها: كراهة الاستنجاء بالعظم، فإنه صلى الله تعالى عليه وسلم نهى عن ذلك فيه.

ومنها: أن غيره صلى الله تعالى عليه وسلم من الأنبياء بعث للجن كموسى، عليه الصلاة والسلام، وأنهم مكلفون.

وقد اختلف هل بعث منهم رسول أم لا؟ فقيل: منهم رسول يسمى يوسف وثمة فوائد أخر لا يسعها نطاق البيان هنا.

(قال القاضى أبو الفضل): هو عياض المصنف، **(رضى الله تعالى عنه)**، وهذا فذلكة لما تقدم بقوله **(فهذا ابن عمر)**، رضى الله تعالى عنهما، **(وبريدة وجابر)** بن عبد الله رضى الله عنهما **(و)** عبد الله **(ابن مسعود، ويعلى بن مرة، وأسامة بن زيد وأنس بن مالك، وعلى بن أبى طالب و)** عبد الله **(بن عباس)**، رضى الله تعالى عنهم، **(وغيرهم)** إلى قوله **(قد اتفقوا على هذه القصة نفسها)** يعنى كلام الشجر، **(أو معناها)** مما يدل على ذلك.

(وقد رواها عنهم) أى عمن ذكر من الصحابة **(من التابعين أضعافهم)** لتعدد طرقهم، والضِّعف هو المثل أو المثلان **(فصارت فى انتشارها)** أى اشتهار روايتها عنهم **(من القوة حيث هى)**: يعنى أنها نقلت عن كثير من الصحابة والتابعين، حيث بلغت التواتر المعنوى، وصارت فى مرتبة قوية لا يشك فيها أحد من العقلاء، فحيث: ظرف مكان مضاف لجملة، وهى ضمير القصة مبتدأ خبره محذوف، تقديره: هى معروفة مشهورة.

(وذكر ابن فورك) تقدم الكلام عليه، وعلى صرف فورك وعدمه، وأنه إمام ثقة جليل القدر: **(أنه صلى الله تعالى عليه وسلم سار فى غزوة الطائف)**: اسم بلدة قريبة من مكة كثيرة المياه والأشجار، يقال: إن جبريل اقتطعها من أرض صنعاء، وهى المذكورة فى سورة **(ن)**، فى قوله تعالى: (﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ﴾) [القلم:١٩]، والطائف: هو جبريل، عليه الصلاة والسلام، اقتلعها وطاف بها حول البيت، ثم أنزلها حيث هى كما نقله السهيلى عن بعض المفسرين، قال: فلذا سميت بالطائف، وهذه الغزوة كانت فى السنة الثامنة من الهجرة **(ليلاً)** متعلق بسار، **(وهو وسن)** بزنة حذر، والوسن: قريب من النعاس، وفى فقه اللغة فى مراتب النوم أوله النعاس، ثم الوسن، ثم الترنيق، ثم الكرى والغُمْضُ، ثم التغفيق[1]، ثم الإغفاء[2]، ثم التهويم، ثم الضرار، ثم التهجاج، وهو الهجوج[3]، يعنى: أنه صلى الله تعالى عليه وسلم نعس، وهو سائر على دابته، بحيث لايرى ما فى طريقه، **(فاعترضته سدرة)** أى وقع اتفاقًا أن شجرة فى طريقه أتت دابته لها، بحيث كادت تمنعه عن سيره لسدها طريقه، وهو صلى الله تعالى عليه وسلم لنومه لم يعدل عنها لطريق أخرى.

(فانفرجت له نصفين): أى انشقت وتباعد بعضها عن بعض، بحيث صار بينهما فرجة يمر فيها الراكب، **(حيث جاز بينهما)** أى بين النصفين، **(وبقيت)** الشجرة شجرتين **(على ساقين)** قائمة **(إلى وقتنا)**: أى إلى زمن أدركه ابن فورك **(وهى هناك)**: أى فى الأرض التى فيها من الطائف **(معروفة معظمة)** لأنها من آثار معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم.

(ومن ذلك): أى من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم فى الشجر ما ورد فى حديث رواه الدارمى وابن ماجه والبيهقى كما قاله السيوطى، وهو **(حديث أنس أن جبريل، عليه الصلاة والسلام، قال للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ورآه حزينا)** جملة

(١) فى الأصل: التغفيف، والتصويب من كتاب فقه اللغة (ص ١٨٤)، طبعة دار الحكمة، دمشق.

(٢) فى الأصل: الإغضاء، والتصويب من فقه اللغة.

(٣) فى فقه اللغة: [ثم التهويم والغرار والتهجاع، وهو النوم القليل، ثم الرقاد، وهو النوم الطويل، ثم الهجود، والهجوع، والهبوع، وهو النوم الغرق].

حالية، أى: وقد رآه محزونا لعدم إطاعة قومه لـه فـى أول البعثـة، إذ عـرض نفسـه علـى القبائل (**أتحب أن أريك آية**): أى معجزة تزيل حزنك؛ لأنه إذا أطـاع دعوتـه الجمـاد دل ذلك على أن الناس ستطيعه ولكن تأخيره لِحكَم خفية.

(**قال: نعم**) أحب ذلك؛ ليزول حزنى وأعلم أن الله سـينصرنى، ويلـين قلـوب قومـى لإجابة دعوتى، (**فنظر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إلى شجرة مـن وراء الـوادى**) الذى كان فيه مع جبريل، (**فقال**) جـبريل لـه صلـى الله تعـالى عليـه وسـلم: (**ادع تلـك الشجرة**): أى مرها بأن تأتى إليك، و لم يدعها هو ليكون معجزة له لا لجبريل كما توهم فأمرها، (**فجاءت تمشى حتى قامت بين يديه**) صلى الله تعالى عليه وسلم بمكان قريب منه.

(**ثم قال: مرها فلترجع**) إلى مكانها الذى كانت فيه فأمرها، (**فعادت إلى مكانها**) كما كانت.

(**وعن على**)، كرم الله وجهه، (**نحوه**) قال السيوطى: لم أجده عن على، وإنما هو عـن جابر، رضى الله تعالى عنه، (**ولم يذكر فيها**): أى فى هـذه الروايـة (**جـبريل**) وكلامـه لـه (**وإنما**) الذى فيه أنه صلى الله تعالى عليه وسلم (**قال: اللهم أرنى آية**): أى معجزة ملزمـة لمن رآها دالة على أنى مستجاب دعوتى، وينفذ بلاغى، واللهم معناه يـا الله كمـا فصـل فى النحو، وتقدم منه ما فيه الكفاية (**لا أبالى من كذبنى بعدها**)؛ لأنها معجزة قطعيـة، لا يفيد إنكارها وجحدها عنادا، ولا أبالى بمعنى: لا أعتد ولا ألتفت لمن خالفها.

قال ابن فارس، رحمه الله تعالى، فى المجمل: اشتبه علىَّ اشتقاق لا أبـالى فرأيـت قـول ليلى الأخيلية[1]:

تبالـــى رواياهـــم هبالـــة بعدمـــا وردن المـــــاء باجلـــــم يرتمـــــى

إذ فسر التبالى بالمبـادرة للاستقاء، يقـال: تبـالى القـوم إذا تبـادروا للمـاء عنـد قلتـه، وانتظار بعضهم لبعض، فقولهم لا أبالى معناه: لا أبادر إلى اقتنائه، بل أنبذه ولا أعتد بـه، انتهى.

(**فدعى شجرة وذكر مثله**) من مجيئها ورجوعها.

(**وحزنه**) بالنصب، أى التعب والكدر كما مر؛ (**لتكذيـب قومـه**) لـه فـى أول أمـره، (**وطلبه الآية لهم**) أى لقومه المكذبين، (**لا له**) صلى الله تعالى عليه وسلم ؛ لأنه على يقين من أمره وعلمه بقدرة ربه.

(**وذكر ابن إسحاق**) مما رواه فى سيره، ورواه أبـو نعيـم، والبيـهقى، عـن أبـى أمامـة

---

(١) تقدم الاستشهاد به.

بسند من طريقين مرفوعًا ومرسلاً (**أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أرى ركانة مثل هذه الآية فى شجرة دعاها، فأتت حتى وقفت بين يديه، ثم قال: ارجعى، فرجعت**) كما ستسمعه قريبا فى الحديث الذى أذكره لك.

ورُكَانة بضم الراء المهملة وفتح الكاف المخففة وألف تليها نون وهاء: وهو ركانة ابن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف القرشى المكى، الصحابى الذى أسلم عام الفتح، وتوفى بالمدينة فى خلافة معاوية، رضى الله عنه، سنة اثنين وأربعين، وكان شديد البأس قويًا جسيمًا معروفًا بالقوة فى المصارعة، بحيث أنه لم يصرعه أحد قط، ولم يمس جنبه الأرض مغلوبًا قط.

وقد صح أنه صلى الله تعالى عليه وسلم صارعه فصرعه، وأما مصارعته لرجل آخر يقال له أبو جهل، فلم تصح كما قاله المقدسى.

وكان ركانة قبل إسلامه يرعى غنما له بوادى إضم بالمدينة، وهو من أفتك الناس وأشدهم، فخرج صلى الله تعالى عليه وسلم يومًا من بيته وتوجه لذلك الوادى، فلقيه ركانة وليس ثمة أحد غيرهما، فقال له: أنت الذى تشتم آلهتنا وتدعو إلهك العزيز، ولولا رحم بينى وبينك قتلتك، ولكن ادع إلهك أن ينجيك منى اليوم، وأنا أدعوك لأمر، وهو أن تصارعنى، وتدعو إلهك وأدعو اللات والعزى، فإن غلبتنى، فلك من غنمى هذه عشرة تختارها، فصارعه صلى الله تعالى عليه وسلم فغلبه، فقال: لم تصرعنى وإنما غلبنى إلهك وخذلنى اللات والعزى، وما وضع جنبى على الأرض أحد قبلك، ولكن عد فإن صرعتنى، فلك على عشرة أخرى، فعاد فصرعه فقال له كما قال أولاً، ثم دعاه ثالثة فصرعه، فقال له: دونكها ثلاثين من غنمى تختارها، فقال له: لا أريد ذلك، ولكن أدعوك إلى الإسلام، فأسلم تسلم من النار، فقال: لا إلا أن ترينى آية، فقال له: إن أريتك آية تسلم، قال: نعم وكان بقربه شجرة سمرة، فقال لها: أقبلى بإذن الله تعالى، فانشقت اثنتين، وأقبل نصفها حتى كان بين يديه صلى الله تعالى عليه وسلم ويدى ركانة، فقال: أريتنى أمرًا عظيما، فمرها فلترجع، فقال: إن أمرتها فرجعت تسلم، قال: نعم فأمرها فرجعت والتأمت بقضبانها وفروعها مع نصفها الآخر، فقال له: أسلم، فقال: أكره أن يتحدث نساء المدينة وصبيانها بأنى أجبتك لرعب قلبى منك، ولكن الغنم لك، فقال: لا حاجة لى بها، وانطلق فلقيه أبو بكر، رضى الله تعالى عنه، فقال له: تخرج إلى الوادى وبه ركانة، فضحك صلى الله تعالى عليه وسلم فقال: أليس الله عصمنى، وحدثه الحديث المار.

والحديث يقتضى جواز المصارعة إلا أنهم قالوا: إنها بالمال حرام كالمسابقة عليه.

والجواب: أنه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يطلب منه ذلك، وإنما أقره على مقالته؛ ليريه آية رجى بها إسلامه، أو أنه من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم أو تحريه.

ورده الغنم عليه قيل: إنه كان بعد إسلامه، وصارعه هنا ثلاثًا كما علم، وقيل: مرتين، وقيل: إنه كان صارعه بمكة ولم يسلم إلا يوم الفتح.

(وعن الحسن) فى حديث رواه البيهقى مرسلاً، وهو الحسن بن على، رضى الله عنهما، وقيل: يحتمل أنه الحسن البصرى، رحمه الله تعالى، **(أنه صلى الله تعالى عليه وسلم شكى إلى ربه من قومه)** فى أوائل البعثة قبل قوة الإسلام وأهله، **(وأنهم يخوفونه)** كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ [الأنفال: ٣٠] وهو عطف تفسيرى؛ لأن المراد أنه صلى الله تعالى عليه وسلم شكى له تعالى تخويفهم له، وإنما شكى ذلك؛ لأنه خاف القصور فى تبليغ ما أرسل به، فلا ينافى كونه صلى الله تعالى عليه وسلم على كمال يقين من الله فى رسالته كما توهم، وهذا كان قبل الهجرة، وقبل نزول قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧].

(وسأله آية) ومعجزة **(يعلم بها أن لا مخافة عليه)** أن هنا مخففة من الثقيلة، وأصلها أنه.

(فأوحى الله إليه: أن ائت وادى كذا) من أودية مكة، فإن **(فيه شجرة، فادع غصنا منها)**: أى غصنا وطرفا **(يأتك)** مجزوم فى جواب الأمر، **(ففعل)** أى أتى الوادى، ودعا الغصن كما أمر، **(فجاء يخط الأرض خطا)** أى يشقها شقا، وهذا يدل على أنه غصن مع بعض ساق منها، وهو بمعنى قوله فيما تقدم يخد، ويحتمل أن الطاء مبدلة من الدال المهملة، وقيل: المراد بالخط أثر مشيه الذى يشبه خط الكتابة، كقول البوصيرى[1]:

جاءت لدعوته الأشجار ساجدة تمشى إليه على ساق بلا قدم
كأنَّما سطرت سطرًا لما كتبت فروعها من بديع الخط فى اللقم

(حتى انتصب بين يديه) أى قام عنده، **(فحبسه ما شاء الله)**: أى جعله مدة من زمان أرادها الله قائمًا عنده، **(ثم قال له: ارجع كما جئت فرجع)** إلى مكانه الذى كان فيه، والتأم بأصله، **(فقال)** صلى الله تعالى عليه وسلم: **(يا رب علمت أن لا مخافة على)** بتسخير الجمادات لامتثال أمرى، الدال على أن من عصاه سيرجع عما كان عليه، **(ونحو منه)** أى فيما رواه البزار وأبو يعلى والبيهقى، بسند حسن ما هو قريب مما ذكر فى هذا الحديث مروى.

(عن عمر) بن الخطاب، رضى الله تعالى عنه.

(وقال) عمر **(فيه)** أى فيما رواه: **(أرنى آية لا أبالى من كذبنى بعدها)**: أى لا أعتد

(١) البيتان من البسيط، وهما فى ديوان البوصيرى (ص١٦٩).

وأهتم به؛ لاطمئنان قلبى وذهاب خوفى.

(فذكر نحوه وعن ابن عباس): رضى الله تعالى عنهما، فى حديث رواه البخارى فى تاريخه، والدارمى، والبيهقى مسندًا: **(أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لأعرابى: أرأيت)** بهمزة الاستفهام، وتاء الخطاب، بمعنى: أخبرنى وقل لى، وهو مجاز مشهور، ورأى فيه علمية أو بصرية، فأريد به لازمه كما بينه النحاة **(إن دعوت)** إن شرطية أى أمرت **(هذا العذق)** إشارة لعذق كان عنده، وهو بكسر العين المهملة وسكون الذال المعجمة والقاف، وهو العرجون من النخلة وشماريخها، كما بينه بقوله: **(من هذ النخلة)**، وقد يطلق على النخلة نفسها، ولا يناسبه قوله من هذه النخلة، فلا وجه لتفسيره به هنا، وقيل: إن النخلة يقال لها: عذقا بفتح العين.

(أتؤمن بأنى رسول الله؟) أى أتؤمن بى وبما أرسلت به؟ وتقر بذلك.

(قال: نعم) أشهد بأنك رسول الله.

(فدعاه): أى العذق، بأن أمره بالمجىء إليه، **(فجعل)** أى طفق وصار العذق **(ينقز)** بفتح المثناة التحتية وسكون النون، وضم القاف، وكسرها كما فى المحكم، ففى الاقتصار على الضم قصور، وآخره زاء معجمة، ومعناه: يثب صعدا.

وروى هذا الحديث مفصلا البيهقى، وقال: إن الأعرابى من بنى عامر. **(حتى أتاه)**، ووصل إلى مكان عنده بقربه، **(فقال)** له: **(ارجع فعاد إلى مكانه)** الذى كان فيه.

(وخرَّجه) بالتشديد أى رواه بسند **(الترمذى وقال: هذا حديث صحيح)** متنا وسندًا.

* * *

(فصل) [فى قصة حنين الجذع]

من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم ما اشتهر. **(فى قصة حنين الجذع)** الحنين بفتح الحاء المهملة ونونين بينهما ياء تحتية، وهو صوت كالأنين يكون عند الشوق لمن يهواه، إذا فارقه، وتوصف به الإبل كثيرًا، قال الجوهرى: الحنين الشوق، وتوقان النفس، يقال: حن إليه يحن حنينا، وحنين الناقة صوتها فى نزاعها إلى ولدها، والجذع بكسر الجيم وسكون الذال المعجمة وعين مهملة: وهو ساق النخلة اليابس، وقيل: إنه لا يختص به لقوله تعالى: ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ [مريم:٢٥] وتعريف الجذع للعهد، والمراد به جذع كان قائما بالمسجد النبوى، كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم إذا خطب يستند إليه، ويخطب قائمًا، ولم يكن له منبر، فلما وضع له المنبر وخطب عليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سمع للجذع حنين لمفارقته له كما يأتى.

قال البرهان وغيره: إن الخبر به متواتر، وكذا قال المصنف، رحمه الله تعالى، هنا، وهذا

الجذع من سوارى المسجد النبوى وهكذا كانت سواريه كلها، وسقفه من جريد النخل، كما يأتى فى رواية جابر، رضى الله تعالى عنه، ولا بدع فى أن يخلق الله تعالى فيه حياة وصوتا مما قيل إنه لا يلزم من سماع صوته عنده أن يكون منه مما لا ينبغى ذكره.

(ويعضد هذه الأخبار) المذكورة فى الفصل الذى قبل هذا من كلام الشجر، ومشيها إليه صلى الله تعالى عليه وسلم أى يقويها ويؤيدها، وهو بعين مهملة وضاد معجمة: من عضد اليد وساعدها **(حديث أنين الجذع)**: الأنين: صوت المريض، والأنين والحنين متقاربان، وقيل: الأنين فيه زيادة امتداد الصوت وفى تعبيره به إشارة إلى أنه لحقه ألم كما يلحق المريض، ولله در الشهاب المنصورى فى قوله:

يا ألسنًا فصحاء قد خرست إن الجماد بفضله نطقا

واعلم أن المصنف، رحمه الله تعالى، إنما عطف الأنين على الحنين، لنكتة وهى أن حقيقة الحنين فى الإبل فتحن إذا فارقت أولادها، ثم شاع فى مطلق الشوق، ولو بالكلام كقوله:

والمرء يشتاق الديار وأهلها وحنينه أبدا لأول منزل

وأما الأنين فإنه مما لا يفهم كالتأوة، ففيه إشارة إلى أن حنين الجذع لم يكن بكلام يفهم، وإنما كان بصوت يفهم منه الحزن، بدلالة طبيعة كأنين المريض، فهو من عطف الخاص على العام فتنبه.

(وهو) أى حديث الجذع **(فى نفسه)** بقطع النظر عن غيره مما يؤيده، فإنه غير محتاج لذلك لأنه **(مشهور منتشر)**: أى شائع بين الخلف والسلف، **(والخبر به متواتر)**؛ لكثرة طرقه الصحيحة، ونقل جماعة له عن جماعة لا يمكن تواطؤهم على الكذب.

(وخرجه أهل الصحيح) أى رواه مسندًا أصحاب الكتب الستة الصحيحة، كالبخارى ومسلم وابن حبان وابن خزيمة، وما وصل إلى مثلهم بطرق متعددة صحيحة يكون متواترًا حقيقة؛ لإجماع من بعدهم على صحتها، كما قاله ابن حجر ردًا على ابن الصلاح فى قوله: إن التواتر لا يكاد يوجد، كما بينه فى شرح النخبة، والمراد بأهل الصحيح من التزم أن يورد فى كتابه الأحاديث الصحيحة عنده.

(ورواه من الصحابة بضعة عشر) تقدم أن البضع من الثلاثة إلى تسعة، فما زاد على العقود مطلقًا كبضعة وستين، ونحوه على الصحيح عند أهل اللغة، وهو كما مر بكسر الباء وفتحها.

(منهم) أى من الصحابة الذين رووه مرفوعًا **(أبى بن كعب)** كما رواه عنه الشافعى فى مسنده، وابن ماجه والدارمى، والبيهقى.

(**وجابر بن عبد الله، رضى الله تعالى عنه**)، كما رواه عنه البخارى.

(**وأنس بن مالك، رضى الله تعالى عنه**)، كما رواه عنه الترمذى وصححه.

(**وعبد الله بن عمر، رضى الله عنهما**)، كما رواه عنه البخارى.

(**وعبد الله بن عباس، رضى الله عنهما**)، كما رواه عنه أحمد فى مسنده بإسناد صحيح على شرط مسلم، والدارمى والبيهقى.

(**وسهل بن سعد**) كما رواه عنه الشيخان.

(**وأبو سعيد الخدرى**) بالدال المهملة كما تقدم فى ترجمته، رواه عنه الدارمى.

(**وأم سلمة**) أم المؤمنين كما رواه عنها البيهقى.

(**والمطلب بن أبى وداعة**) بفتح الواو والدال المهملة وألف وعين مهملة بعدها هاء ابن الحرث بن صبرة بن سعيد القرشى السهمى الصحابى، ممن أسلم عام الفتح رواه عنه أحمد والزبير بن بكار.

(**كلهم يحدث بمعنى هذا الحديث**) فجميع روايتهم متفقة بحسب المعنى، وكأنه إشارة إلى أن تواتره معنوى لا اصطلاحى؛ لما مر عن ابن الصلاح وقد علمت ما فيه.

(**قال الترمذى**) صاحب السنن الإمام المشهور، وقد تقدمت ترجمته: (**وحديث أنس صحيح**): إنما نص عن صحته لرجحانه عنده على غيره، لا لنفى صحة غيره حتى ينافى ما مر من رواية أهل الصحيح له، أو لأن فى بعض رجاله شىء (**وقال جابر ابن عبد الله، رضى الله تعالى عنه**)، فى روايته: (**كان المسجد**) أى مسجد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالمدينة (**مسقوفا**): اسم مفعول من سقف البيت ونحوه، إذا جعلت عليه سقفا وهو معروف (**على جذوع نخل**) جمع جذع، وقد تقدم يعنى أن له سوارى وضع السقف عليها من النخل، والإضافة بيانية.

(**فكان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم إذا خطب**) أى قام للخطبة، (**يقوم**) مستندا (**إلى جذع منها**)، وكان هنا تفيد تكرار ذلك كثيرًا منه صلى الله تعالى عليه وسلم لأن كان إذا كان خبرها مضارعا تفيد ذلك فى استعمالهم، كقولهم: كان حاتم يقرى الضيف، وقال الله تعالى: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ﴾ [مريم: ٥٥]، وهو مما صرح به فى كتب العربية والأصول، وفى وجه دلالتها على ذلك كلام مقرر مشهور، لا حاجة لنا به هنا.

(**فلما صنع**) بالبناء للمجهول وفى نسخة وضع (**له**) صلى الله تعالى عليه وسلم (**المنبر**) بكسر الميم، من نبره بمعنى رفعه ورقاه؛ لأنه يرتفع القائم عليه به عن غيره، (**سمعنا**

لذلك الجذع) الذى كان يستند إليه صلى الله تعالى عليه وسلم فى خطبه **(صوتا كصوت العشار)** بكسر العين المهملة وشين معجمة وألف وراء مهملة، جمع عشراء كنفساء، وهى الناقة التى أتى عليها الفحل عشرة أشهر، وزال عنها اسم المخاض، ثم لا يزال ذلك اسمها حتى تضع، وبعد وضعها أيضًا، والمراد خوارها حين وضعها، أو عقبه، نزاعا لولدها إذا لم تره، وفيه مناسبة تامة هنا لما عرفته من أن الحنين أصله فى النوق، والتشبيه به لشدته، وأنه لحزنه على مفارقته صلى الله تعالى عليه وسلم، كما أنه فى النوق كذلك، ويزيده حسنًا أن النوق تشبه بالنخل، فليس المقصود تشبيه مسموع بمسموع فقط كما قيل.

(وفى رواية أنس) أنه صلى الله تعالى عليه وسلم لما قعد على المنبر خار الجذع، **(حتى ارتج المسجد)** بهمزة الوصل وسكون الراء المهملة وفتح التاء الفوقية وتشديد الجيم: مطاوع رَجَّهُ فَارْتجَّ إذا تحرك حركة شديدة واضطرب، وهو بتقدير مضاف: أى أهله، أو هو على ظاهره بأن تتحرك حيطانه وجدرانه لشدة صوته، إما حقيقة، أو لظن ذلك ممن هو فيه.

(لخواره) بضم الخاء المعجمة وفتح الواو بعدها ألف وراء مهملة بوزن فعال، وهو بناء مطرد فى أسماء الأصوات، والخوار فى الأصل، كما قال الراغب، يختص بصياح البقر، ثم توسعوا فيه فى أصوات جميع البهائم، وفى بعض النسخ جؤار بضم الجيم وفتح الهمزة والراء المهملة، وهو بمعنى الأول.

وقال الراغب: **(قال تعالى: إليه يجأرون)**[1] من جأر: إذا أفرط فى الدعاء تشبيها له بجؤار الوحشيات، كالظباء ونحوها انتهى. والمعنى فيهما واحد أى صاح.

(وفى رواية سهل: وكثر بكاء الناس لما رأوا به) البكاء يمد ويقصر معروف، وما موصولة والعائد محذوف: أى رأوا بالجذع، ورأى بصرية، وكونها قلبية يجوز على بعد، والمرئى حركته ونحوها، والباء بمعنى فى أو سببية، وفيه تجوز أى للذى رأوا آثاره بسببه، إذ الصوت لا يرى، ويجوز كونها مصدرية.

(وفى رواية المطلب) ابن أبى وداعة **(وأبى)** بن كعب: **(حتى تصدع وانشق)** عطف تفسيرى؛ لأن حقيقة الصدع شق الأجسام الصلبة كالزجاج والحديد، يقال: صدعته فانصدع وصدعته فتصدع، ثم استعير منه صدع الأمر إذا فصله، كقوله تعالى: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ﴾ [الحجر:٩٤] ومنه صداع الرأس لوجعه، وانصداع الفجر وهو مبالغة فى

---

(١) هذه ليست بآية ولا قرآنًا، حتى يقول: قال تعالى، وكلمة يجأرون وردت فى القرآن مرة واحدة فى قوله تعالى: ﴿**حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب إذا هم يجأرون**﴾ [المؤمنون: ٦٤].

شدة صياحه، كما يقال: صاح حتى انفلق، ويجوز بقاؤه على ظاهره، ويؤيد الأول قوله: **(حتى جاء النبى صلى الله تعالى عليه وسلم)** أى نزل عن منبره، وأتى له **(فوضع يده عليه فسكت)**: أى ترك خواره لما زال ألمه؛ بقربه صلى الله تعالى عليه وسلم منه ومشيه له.

(زاد غيره) أى غير المطلب، وهو فى رواية أبى بن كعب **(فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم: إن هذا بكى لما فقد من الذكر)**، فقد كقتل من الفقد، وهو العدم بعد الوجود فهو أخص من العدم، والمراد بالذكر: ذكر الله أو الموعظة أو القرآن، وجوز أن يكون نفس النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لأنه أطلق عليه الذكر أيضًا.

(وزاد غيره) أى غير الغير أو من ذكر: **(والذى نفسى بيده)** قسم بالله على عادته صلى الله تعالى عليه وسلم، والنفس: الروح هنا، وبيده معناه بقبضة قدرته وتصرفه حياته ومماته، متى أراد **(لو لم ألتزمه)** هو افتعال من اللزوم، وعدم الفراق، ثم استعير للعناق كما فى الأساس يقال: التزمه إذا اعتنقه وضمه إليه.

(لم يزل هكذا): أى له صراخ وجؤار **(إلى يوم القيامة؛ تحزنا على)** مفارقة **(رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم)**، والتحزن: تفعل من الحزن، والمراد به الزيادة لا التكلف.

(فأمر به نبى الله صلى الله تعالى عليه وسلم): أى أمر بعض الصحابة بأخذه أو بدفنه، **(فدفن تحت المنبر)** وإنما أمر بذلك؛ لئلا يشتغل به الناس، وربما افتتن به بعد العصر الأول، وفيه إشارة إلى أنه سينبت فى الجنة كما سيأتى، وأن بعض أغصان الأشجار بعد قطعها إذا دفن نبت، وطلع من الأرض.

واعلم أن سوارى المسجد فى زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم معدودة، مفصلة فى تاريخ المدينة كهيئة حرمه، ومنبره صلى الله تعالى عليه وسلم كان من خشب أثل الغابة، والأثل بالمثلثة: شجر معروف، والغابة: اسم موضع بالمدينة، فيه أشجار.

وفى النجار الذى صنعه له صلى الله تعالى عليه وسلم أقوال كثيرة:

فقيل: إنه قبيصة المخزومى.

وقيل: إنه غلام للعباس اسمه صباح.

وقيل: هو غلام اسمه: باقوم أو باقول باللام، غلام سعيد بن العاص.

وقيل: هو تميم الدارى.

وقيل: غلام لسعد بن عبادة.

وقيل: إنه غلام امرأة أنصارية.

وقول الكرمانى، رحمه الله تعالى: إنه غلام لعائشة، رضى الله تعالى عنها، لا مستند له فيه.

وقيل: إنها عائشة الأنصارية. وقيل: هى من بنى سعد.

وكان وضع منبره صلى الله تعالى عليه وسلم فى السنة السابعة، وقيل: الثامنة من الهجرة، وعلى القول بأنه تميم تكون التاسعة؛ لأنه أسلم سنة تسع، إلا أن يقال: عمله قبل إسلامه، وهو أول منبر فى الإسلام، وكان له درجة ثلاثًا، ومن قال: اثنتين أسقط محل قيامه صلى الله تعالى عليه وسلم عليه، وقيل: إنه كان أكثر من ثلاث، وكان طوله أكثر من ذراعين، وعرضه ذراع، وطول صدره وهو مستنده: ذراع، ورمانتاه اللتان يمسكهما بيده الكريمة فى قيامه.

ولما حج معاوية، رضى الله تعالى عنه، كساه قباطى، ثم لما رجع إلى الشام كتب لمروان، وهو عامله على المدينة، فرفعه وزاد عليه ست درجات، فصارت تسعا، ثم لما قدم جدده بعض بنى العباس، واتخذ من أعواده القديمة أمشاطا يتبرك بها، إلى آخر ما فصل فى تاريخ المدينة.

(كذا فى حديث المطلب وسهل بن سعد وإسحاق عن أنس)، وفى بعض النسخ هنا، وفى بعض الروايات عن سهل، فدفنت تحت منبره أو جعلت فى السقف انتهى.

وضمير دفنت وجعلت على هذه الرواية لأعواده، أو لتأويل الجذع بالخشبة، وإسحاق المذكور هو ابن عبد الله بن أبى طلحة الأنصارى، أخرج له الستة، وتوفى سنة اثنين وثلاثين ومائة من الهجرة، وكونه دفن تحت المنبر على ظاهره، أو تسمح فيه لأنه قيل: دفن فى يسار المنبر، وروى: دفن فى المسجد.

(وفى حديث أبى فكان إذا صلى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم صلى إليه): أى استقبله وجعله كالسترة للمصلى من المارين.

(فلما هُدِمَ) بالبناء للمجهول، والهدم والهد: نقض البناء ونحوه **(المسجد)** أى مسجده صلى الله تعالى عليه وسلم وهدمه فى زمن عمر، رضى الله تعالى عنه، لأن بناءه فى عهده صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكن بالحجارة، ثم هدمه عثمان، رضى الله تعالى عنه، وزاد فيه كما ذكر فى تاريخ المدينة.

(أخذه أبى، رضى الله تعالى عنه): هذا لا ينافى ما مر من أنه جعل فى السقف، أو دفن تحت المنبر، أو فى المسجد قريبا منه؛ لجواز وضع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم له تحت المنبر، ثم رفع فى السقف؛ لئلا يداس بالأرجل تكريمًا لأثر الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ثم حين الهدم أخذه أبى تبركا به.

(وكان عنده إلى أن أكلته الأرض) ووقع فى رواية الأرضة بفتحات، وهى دويبة صغيرة تأكل الخشب وغيره من الثياب والكتب، وهى العثة.

وقال الإمام المزنى: إن هذه الرواية هى المشهورة عند المحدثين، وما ذكره المصنف، رحمه الله تعالى، صحيح، والأرض فيه إما بمعناها المشهور؛ لأنها تبلى ما يدفن فيها، فاستعير له الأكل، أو هو بتقدير: أى دابة الأرض، وهى تلك المتقدمة بعينها، أو مصدر أرض يأرض أرضا إذا أكلته الأرضة، وبه فسر قوله تعالى: ﴿دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ﴾ [سبأ:١٤] ذكره السيوطى ولابن عنين:

يا أهل مصر وجدت أيديكم عن بسطها بالنوال منقبضه
لما عدمت النوال عندكمو أكلت كتبى كأننى أرضه

فليس فى كلامه ما يعترض به عليه كما توهم قاله القسطلانى.

فإن قلت: هذا يخالف قوله صلى الله تعالى عليه وسلم: لو لم ألتزمه بقى هكذا إلى يوم القيامة، وكيف يتصور هذا مع قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن:٢٦] قلت: هذا وقع على طريق المبالغة، كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف:٤٠] وإن لم يقع، وهذا مما لا حاجة إليه، وبقاؤه على ظاهره لا مانع منه؛ فإنه علق بقاءه على عدم فعله به ما فعله، فإذا فعله تغير وفنى، وقد علم الله بما ذكر.

(وعاد رفاتا) عاد هنا بمعنى صار، لا بمعنى رجع لأمر كان عليه، وهو أحد معنييه كما بين فى كتب اللغة وغيرها، والرفات بوزن غراب: براء مهملة وفاء ومثناة فوقية، كالقناة وهو ما تكسر وتفرق.

(وذكر الإسفراينى) بكسر الهمزة، وسكون السين المهملة، وفتح الفاء والراء المهملة، وألف بعدها همزة مكسورة ونون، بلدة بالعجم نسب إليها هذا الأستاذ الإمام الأصولى المتبحر فى سائر العلوم المعروف بالزهد والورع، وهو أبو إسحاق؛ لأنه إذا أطلق فالمراد هو، وإن نسب لهذه البلدة غيره من الأئمة، كأبى حامد وطاهر بن محمد.

(أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم دعاه): أى دعا الجذع المذكور **(إلى نفسه)** أى أمره بأن يأتيه، ويقبل ساعيا إليه، وزاد لفظ نفس هنا، لئلا يتحد ضمير الفاعل والمفعول بواسطة ودونها، فإنه ممتنع فى غير أفعال القلوب، وما ألحق بها كما مر، وقد أورد عليه نحو قوله: (﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ [مريم:٢٥]) و﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ [البقرة:٢٦٠] وقد أجيب عنه بما يطول، وقد فصلناه فى السوانح، والمقام يضيق عنه هنا.

(فجاءه يخرق الأرض): أى يشقها بمشيه فيها، **(فالتزمه)** واعتنقه، **(ثم أمره)** بالرجوع لمحله، **(فعاد إلى مكانه)** الذى كان فيه من المسجد، وهذه زيادة منه لا يقال مثلها من قبل الرأى، وهو إمام ثقة على أن هذا رواه الإمام البيهقى فى دلائله، والحافظ أبو القاسم فى

تاريخه عن العباس، كما فى الشرح الجديد، ولو وقف عليه المصنف عزاه له.

(وفى حديث بريدة) علم منقول من تصغير البردة المعروفة، وهو بريدة بن الحصيب بن عبد الله بن الحرث بن الأعرج السلمى، واختلف فى كنيته، فقيل: هو أبو عبد الله، وقيل: أبو سهل، وقيل غير ذلك، وهو صحابى أسلم حين مر به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مهاجرًا، ثم قدم المدينة قبل الخندق، ثم نزل البصرة، وأخرج له أحمد فى مسنده وغيره، وليس هو بريدة الأسلمى كما توهم؛ فإنه تابعى روى أحاديث مرسلة فظن أنه صحابى، وله ترجمة فى الميزان.

(فقال يعنى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) للجذع حين سمع حنينه: **(إن شئتَ)** بتاء الخطاب خاطبه لما علم أن الله خلق فيه حياة وإدراكًا **(أردك إلى)** مكانك **(الحائط الذى كنت فيه)**: هو فى الأصل اسم فاعل من حاطه إذا أحاط به ودار عليه، ثم نقل للبستان نفسه الذى فيه الشجر والنخل، وهو المراد هنا، ولذا قال: الذى كنت فيه.

(ينبت لك عروقك) بدل من قوله: أردك، أو مستأنف لبيان علة الرد إلى مكانه الذى نبت فيه.

(ويكمل خلقك ويجدد لك خوص وثمرة) الخوص بضم الخاء المعجمة وواو ساكنة وصاد مهملة واحده خوصة، وهى كالورق للنخل، والثمر بمثلثة واحده ثمرة: أى تعود لك خلقتك بتمامها ونضارتها.

(وإن شئت) مفعوله مقدر أى غرسك فقوله: **(أغرسك فى الجنة)** جواب الشرط مجزوم، **(فيأكل أولياء الله من ثمرك)** معطوف على الجواب، وهو مرتبط بقوله: فالتزمه فى الكلام الذى قبله فخيره صلى الله تعالى عليه وسلم بين الحياة الدنيوية والحياة الأخروية **(ثم أصغى له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم)** بصاد مهملة وغين معجمة: أى أمال رأسه وَقَرَّبَهَا منه **(يستمع ما يقول)**: أى ليسمع قوله، وما يجيبه به، هو من الصغى بمعنى الميل كما علم، يقال: صغت الشمس إذا مالت للغروب وصغيت الإناء وأصغيته إذا أملته، وأصغيت إلى فلان ملت بسمعى نحوه، وحكى صغوت إليه أصغو صغوا، وصغيت أصغى قاله الراغب.

(فقال): أى الجذع: **(بل تغرسنى فى الجنة)** أى تصيرنى من غراس الجنة، وتغرسنى بيدك، **(فيأكل منى)**: أى من ثمرى **(أولياء الله وأكون فى مكان لا أبلى فيه)** أبلى كأفنى لفظا ومعنى من البلاء بالكسر، وهو الفناء فاختار الحياة الباقية كسائر أهل الجنة وأشجارها، وأبلى بفتح الهمزة وضمها خطأ.

(فسمعه من يليه) أى سمع كلام الجذع، والضمير الأول له، والثانى يحتمل عوده له

وللنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ويليه بمعنى يقرب منه.

(فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قد فعلتُ) بضم التاء للمتكلم: أى أجعلك من غراس الجنة.

(ثم قال) صلى الله تعالى عليه وسلم: **(اختار دار البقاء)**، وهى الجنة كما تقدم **(على دار الفناء)** وهى الدنيا، **(فكان الحسن)** البصرى التابعى الإمام المشهور **(إذا حدّث بهذا بكى، وقال: يا عباد الله الخشبة)** يعنى الجذع **(تحن إلى رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم)** تقدم تفسير الحنين؛ **(شوقا إليه)** مفعول مطلق لقوله: تحن، كجلست قعودًا أو مفعول له، والأول أولى؛ لأن قوله: **(لمكانه)** لامه للتعليل، إن لم يكن بدلا من قوله إليه، وقيل: إنه علة متداخلة فشوقا علة لتحن، ولمكانه علة لقوله شوقا: أى الخشبة اشتاقت لعلو مقامه وجلالة قدره، وهى جماد، وهذه معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم أعظم من معجزة موسى، عليه الصلاة والسلام، فى العصا وإحياء عيسى عليه الصلاة والسلام للموتى؛ لأن الشوق والكلام يستلزمان الإحياء عند الأشعرى.

وإن قيل: إن مجرد الصوت المسموع لا يستلزمه كما تقرر فى محله، فالمكان على حقيقته، وهو الجنة أو بمعنى علو قدره وشرفه صلى الله تعالى عليه وسلم كما أشرنا إليه، **(فأنتم أحق)** من الجماد **(أن تشتاقوا إلى لقائه)**، ونقل عن صاحب القاموس أنه استأذن سلطان اليمن فى الحج وزيارة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، فكتب إليه بكلام قال فيه: إنه صح فى الحديث أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال: «لا يحل بالمؤمن أن يمر عليه أربع سنين، ولا يتجدد له شوق للحج، وزيارة سيد المرسلين»، وقد تجدد لى من الشوق ما شب عمره عن الطوق، وقد تضعضع السن وتقعقع الشن، فما هو الأعظم فى جراب، وقد بلغت دقاقة الرقاب، إلى آخر ما قاله.

وقلت أنا حين وقفت على ما كتبه:

لم لا أحن إلى المختار من إضم	والجذع حن اشتياقا بعد فرقته
إنى لأعجب من خشب مسندة	ماهزها الشوق أحيانًا لروضته

والشوق: نزاع النفس للشىء والهيجان إليه، ونقل ابن عطية فى سورة الكهف أنه سمع الجوهرى الواعظ يقول: كلب أحب أهل الخير نالته بركتهم وشرف صحبتهم، حتى ذكره الله فى كتابه، فالخشبة تحن والكلب يحب، وهذا عبرة لأولى الألباب، وفقنا الله لما يقربنا إليه.

(رواه عن جابر حفص بن عبيد الله، ويقال: عبيد الله بن حفص) بتصغير عبيد فيهما، وقيل: إنه حفص بن عبد الله بلا تصغير، قال البرهان: والصواب الأول، وهو حفص بن

عبيد الله بن أنس بن مالك، وهو يروى عن جده وروى عنه أصحاب السنن، وقال أبو حاتم: إنه لم يثبت له سماع، إلا عن جده.

(وأيمن) الحبشى والدعبد الواحد بن أيمن مولى بن أبى عمرة المخزومى، وقد وثقه أبو زرعة، وقد تقدم فيه كلام، وأن ابن حبان خلط فى ترجمته، وأيمن منقول من أفعل التفضيل من اليمن وهو البركة.

(وأبو نضرة) بفتح النون وسكون الضاد المعجمة وراء مهملة، ووقع فى بعض النسخ بصرة بباء موحدة وصاد مهملة، وهو تحريف، وليس لنا أبو نضرة غير أبى نضرة، واسمه جميل، وليس له رواية عن جابر كما قاله الحافظ الحلبى، وأبو نضرة الأول اسمه المنذر بن مالك بن قطعة العبدى النضرى، له رواية عن ابن عباس وغيره، وأخرج له أصحاب السنن، وله ترجمة فى الميزان وكان فصيحا ثقة توفى سنة تسع ومائة، **(وابن المسيب)** سعيد الإمام المعروف تقدمت ترجمته، وأن ياءه تفتح وتكسر.

(وسعيد بن أبى كرب) بكاف وراء مهملة وباء موحدة الهمدانى، وله ترجمة فى الميزان.

(وكريب) مثله إلا أنه مصغر، وهو ابن رشدين مولى ابن عباس.

(وأبو صالح) وهو ذكوان السمان، وتقدمت ترجمته.

(رواه عن أنس بن مالك الحسن) البصرى، وقد تقدمت ترجمته، **(وثابت)** البنانى وقد تقدمت ترجمته، **(وإسحاق بن أبى طلحة)** السابق بترجمته.

(ورواه عن ابن عمر نافع) أبو عبد الله مولى ابن عمر الإمام الثقة المشهور، توفى سنة سبع عشرة ومائة، وأخرج له الستة **(وأبو حية)** بفتح الحاء المهملة وتشديد المثناة التحتية، واسمه حيى الكوفى الإمام الثقة، والدابى حناب يروى عن ابن عمر، ولهم أبو حية آخر يروى عن على، وترجمته فى الميزان.

(ورواه أبو نضرة) السابق ذكره قريبًا.

(وأبو الوداك) بفتح الواو وتشديد الدال المهملة ثم ألف وكاف، وهو جبر بن نوف البكالى وله ترجمة فى الميزان **(عن أبى سعيد)** الخدرى، رضى الله تعالى عنه، وقد قدمنا ترجمته **(وعمار بن أبى عمار)** مولى أبى هاشم، وهو ثقة أخرج له مسلم **(عن ابن عباس وأبو حازم)** بحاء مهملة وزاء معجمة وهو سلمة بن دينار الأعرج المدنى الثقة أحد الأعلام أخرج له الستة، **(وعباس)** بعين وسين مهملتين بينهما موحدة مشددة وألف **(ابن سهل)** بن سعد الساعدى، توفى سنة بضع عشرة ومائة، وقد زاد على التسعين وأخرج له أصحاب السنن **(عن سهل بن سعد)** أبو عباس المذكور روى عنه ابنه وغيره.

(وكثير) بفتح الكاف ومثلثة وراء مهملة **(ابن زيد)** الأسلمى أبو محمد المدنى، وله ترجمة فى الميزان **(عن المطلب)** السابق ذكره، ورواية كثير عنه ليس لها ذكر فى الكتب الستة كما قاله البرهان، **(وعبد الله بن بريدة عن أبيه)** عبد الله قاضى القضاة بمرو، وعالمها الثقة، وترجمته فى الميزان، **(والطفيل)** بصيغة تصغير طفل **(ابن أبى عن أبيه)** أبى بن كعب، وكنيته أبو بطن لعظم بطنه.

(قال القاضى أبو الفضل) وهو عياض المصنف **(رضى الله تعالى عنه: فهذا)** يعنى حديث حنين الجذع **(حديث كما تراه)**، يعنى أنه علم مما ذكره من كثرة طرقه عن الصحابة والتابعين وغيرهم أنه **(خرجه أهل الصحة)**: أى الثقات من المصنفين الذين التزموا فى كتبهم رواية الأحاديث الصحيحة.

(ورواه من الصحابة من ذكرناه) فى هذا الفصل، **(وغيرهم من التابعين ضعفهم)** بكسر الضاد المعجمة؛ لأن كل صحابى روى عنه من طرق كما فصله، فإذا ضممتهم **(إلى من لم نذكره)**، فإذا علمت هذا تحقق عندك القطع بصحته لتواتره، **(و)**من **(دون)** وفى نسخة وبدون **(هذا العدد)** الذى ذكره **(يقع العلم)**: أى يوجد العلم وتتفق صحته، فكيف به **(لمن اعتنى)**: أى اهتم به وتقيد **(بهذا الباب)** من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم؟ **(والله المثبت)** بضم الميم وبالمثلثة المفتوحة وتشديد الموحدة قبل المثناة: أى توفيق الثبات، وعدم تقلب القلب نعمة من الله على عبده المؤمن، فيثبته **(على الصواب)**: وهو ضد الخطأ.

* * *

(فصل ومثل هذا) [فى سائر الجمادات]

من حنين الجذع واشتياقه ونطقه **(فى سائر الجمادات)** أى جميعها أو بقيتها، والجماد ما لا روح له، ومثل مرفوع خبره ما بعده، أو فاعل فعل مقدر: أى ورد مثله، وهذا يحتمل أنه إشارة لجميع ما سبق من كلام الشجر وغيره، واستشهد بحديث رواه البخارى، وهو ما أشار إليه بقوله: **(حدثنا القاضى أبو عبد الله محمد بن عيسى التميمى)** تقدم بيانه وترجمته قال: **(حدثنا القاضى أبو عبد الله محمد بن المرابط)** بصيغة اسم الفاعل من المرابطة، وهى الإقامة بالثغور بنية الجهاد، وهو محمد بن خلف بن سعيد بن وهب المرى، توفى بالمدينة قاضيا بها سنة ثمانين وأربعمائة، وكان متفننا فى العلوم، سمع من المهلب والدانى وغيرهما قال: **(حدثنا المهلب أبو القاسم)** والمهلب بصيغة المفعول، هو ابن أبى صفرة، وفى التكنية بأبى القاسم، وجوازه على الصحيح كلام مشهور تقدم، وسيأتى بيانه أيضًا قال: **(حدثنا أبو الحسن القابسى)** على بن محمد بن خلف الحافظ المغافرى كما تقدم.

قال: **(حدثنا المروزى)** أبو زيد كما تقدم قال: **(حدثنا الفربرى)** تقدم بيانه وبيان نسبته على اللغتين فى اسم بلده قال: **(حدثنا البخارى)** صاحب الصحيح، وقد تقدم بيانه قال: **(حدثنا محمد بن المثنى)** وهو محمد بن المثنى، أبو موسى العنزى الحافظ الثقة الورع، توفى سنة اثنين وخمسين ومائتين، وترجمته مفصلة فى الميزان قال: **(حدثنا أحمد الزبيرى)** بضم الزاء المعجمة، وهو محمد بن عبد الله بن الزبير بن عمر الزبيرى، نسبة لجده، وليس هو الزبير بن العوام، بل هو كوفى مولى لبنى أسد، توفى سنة ثلاث ومائتين.

قال: **(حدثنا إسرائيل)** بن يونس بن إسحاق السبيعى الكوفى أبو يوسف الثقة، أخرج له الستة، وتوفى سنة اثنين وستين ومائة وترجمته فى الميزان **(عن منصور)** أبى عتاب بن المعتمر السلمى، من أئمة الكوفة **(عن إبراهيم)** بن يزيد النخعى **(عن علقمة)** بن قيس تقدم بيانه، **(عن عبد الله)** بن مسعود **(قال)** أى ابن مسعود:

(لقد كنا) معاشر الصحابه **(نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل)** جملة حالية: أى حال أكلنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، **(وفى غير هذه الرواية)** يعنى رواية البخارى، وهو رواية الترمذى **(عن ابن مسعود)** أيضًا **(كنا نأكل مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الطعام ونحن نسمع تسبيحه)**: أى قوله: سبحان الله، وهذا مما يستأنس به؛ لأن معنى قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: ٤٤] تسبيح حقيقى بلسان القال لا بلسان الحال، وأنه يشهد له تذييله بقوله: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء:٤٤] وهو حديث صحيح حسن أخرجه الترمذى عن ابن يسار أيضًا من طريق آخر، وفى قوله: كنا إلى آخره دليل على تكرره، وأنه وقع مرارًا عديدة كما تقدم، وفى هذا معجزة للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وكرامة للصحابة إذ سمعوا ما لم يسمعه غيرهم، وهذه المعجزة أعظم من معجزة فهم منطق الطير والجبال لسليمان وداود، عليهما الصلاة والسلام، وفى الدر المنثور للسيوطى: إن كل شىء يسبح إلا الكلب والحمار.

وتقدم أن التسبيح معناه: تنزيه الله عما لا يليق به، وأهل الظاهر أولوا الآية بلسان الحال كالزمخشرى، وجعلوه خطابا للمشركين، ولذا قال: ﴿لَّا تَفْقَهُونَ﴾ [الإسراء:٤٤] ولم يقل: لا تسمعون، وذكر المصنف، رحمه الله، هذه الرواية؛ لما فيها من التصريح بأنه كان معه صلى الله تعالى عليه وسلم ولبعض الشراح هنا كلام طويل لا طائل تحته.

(وقال أنس) فى حديث أخرجه ابن عساكر فى تاريخه: **(أخذ النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كفا)** أى مقدرًا يملأ الكف، وهو باطن اليد، وقيل: فيه مضاف مقدر أى ملء

كف **(من حصى)** جمع حصاة، وهى صغار الحجارة.

(فسبحن فى يد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) من وضع الظاهر موضع المضمر تعظيما وإشارة إلى أنه معجزة، وفى نسخة فى يده.

(حتى سمعنا التسبيح ثم صبهن): أى وضعهن، وهو استعارة شائعة فى الأجرام الصعبة كصببنا الصبرة من المكيل، وأصله فى المائعات كالماء **(فى يد أبى بكر فسبحن)** جملة حالية **(ثم)** صبهن **(فى أيدينا فما سبحن)**.

وفى قوله: حتى سمعنا، إشارة إلى خفاء صوتهن، وفيه دليل ظاهر على فضل أبى بكر، رضى الله تعالى عنه، على غيره، وإيماء إلى خلافته، ومعنى قوله: فما سبحن، أنه ما سمع تسبيحهن، أو أن التسبيح لم يكن من الجمادات دائمًا، والأول أولى.

(وروى مثله أبو ذر)، رضى الله تعالى عنه، ورواه الطبرانى والبيهقى والبزار.

والمثلية فى مجرد تسبيح الحصى، فلا ينافى قوله: **(وذكر أنهن سبحن فى كف عمر وعثمان)**، رضى الله تعالى عنهما.

ولفظ هذا الحديث عن أبى ذر فى دلائل البيهقى قال: كنت أتتبع خلواته صلى الله تعالى عليه وسلم، فرأيته يومًا خاليًا فاغتنمت خلوته وجئته، حتى جلست إليه فجاء أبو بكر، رضى الله تعالى عنه، فسلم ثم جلس عن يمين رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم جاء عمر بن الخطاب، رضى الله تعالى عنه، فسلم وجلس عن يمين أبى بكر، رضى الله تعالى عنه، ثم جاء عثمان فسلم وجلس عن يمين عمر، وبين يدى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سبع حصيات فأخذهن فوضعهن فى كفه فسبحن، حتى سمعت لهن حنينًا كحنين النحل، ثم وضعهن فخرسن، ثم أخذهن فوضعهن فى يد أبى بكر، رضى الله تعالى عنه، فسبحن حتى سمعت لهن حنينًا كحنين النحل، ثم وضعهن فخرسن، ثم تناولهن فوضعهن فى يد عمر، فسبحن، حتى سمعت لهن حنينًا كحنين النحل، ثم وضعهن فخرسن، ثم تناولهن فوضعهن فى يد عثمان، فسمعت لهن حنينًا كحنين النحل، ثم وضعهن فخرسن، فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «هذه خلافة النبوة»[1]، وهكذا أخرجه الحافظ أبو القاسم فى تاريخه مسندًا عن أنس، رضى الله تعالى عنه، وزاد فيه عثمان، ثم وضعهن فى أيدينا رجلاً رجلاً فما سبحت حصاة منهن، وفى رواية: صبهن فى أيدينا رجلاً رجلاً إلى آخره.

وفى الشرح الجديد: أنه لم يذكر عليا، رضى الله تعالى عنه وكرم وجهه، فإن كان تسبيحها فى يد غيره مخصوصًا بالخلفاء، فهو خليفة كابنه الحسن أيضًا، وأجاب بأنه لم

---

(١) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة (٦/٦٥)، وأورده ابن كثير فى البداية والنهاية (٦/١٥١).

يكن حاضرًا ثمة أو لأن خلافته أدركت الفتنة على أن مثله لا يشين مقامه، رضى الله تعالى عنه، مع ماله من المناقب.

أقول: الظاهر أن هذه الواقعة تعددت؛ لأن رواية أبى ذر أنه لم يكن ثمة غيره، وما فى رواية البيهقى يقتضى أنه حضرها جماعة من الصحابة؛ لقوله: رجلاً رجلاً، وعلى كليهما لم يكن معهم على، رضى الله تعالى عنه، وفيهما إشارة إلى عدم امتداد خلافته استقلالا.

(وقال على)، رضى الله عنه، فى حديث رواه الدارمى والترمذى بسند حسن: **(كنا بمكة مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فخرج صلى الله تعالى عليه وسلم إلى بعض نواحيها فما استقبله)**، وفى بعض النسخ فما استقبلته **(شجرة)**: أى وقعت فى مقابلة وجهه قريبًا منه، **(ولا جبل إلا قال له)** كل واحد منهما: **(السلام عليك يا رسول الله)**: بأن خلق الله تعالى فيه نطقا، وإن لم يكن معه حياة؛ لأنه لا تلازم بينهما، ولكن الظاهر أنه كان فيه حياة أيضًا، وهذا ما قاله ابن إسحاق، رحمه الله تعالى، كان فى بدء النبوة، تطمينا لقلبه صلى الله تعالى عليه وسلم وتبشيرا له بانقياد الحق له بعد، وإجابتهم لدعوته.

(عن جابر بن سمرة)، رضى الله تعالى عنه، **(عنه صلى الله تعالى عليه وسلم)** فى حديث صحيح رواه مسلم: **(إنى لأعرف حجرا بمكة كان يسلم على)**: أى يقول السلام عليك يا رسول الله ونحوه.

(قيل: إنه الحجر الأسود)، فقد قال السهيلى وغيره: روى فى المسندات أن هذا الحجر هو الحجر الأسود، وهذا هو المأثور وقد قيل: إنه حجر غيره، وإنه معروف إلى الآن بمكة فى محل يقال له: زقاق المرفق، والناس يتبركون به الآن، ويقولون: إنه الذى كان يسلم على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم.

وهذه المعجزة أعظم من معجزة داود، عليه الصلاة والسلام، فى قوله: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ﴾ [ص: ١٨]؛ لأنها لم تسبح بيده وفى يد من أراده من أمته، وتسبيح الطعام أعظم منها؛ لأنه لم يعهد مثله، والجبال قد وصفت بالخضوع والخشوع، وتأكيده بأن، وتنكيره إشارة إلى أن له شأنًا خاصًا به، وأنه حجر ليس كسائر الحجارة، ولذا فسر بالحجر الأسود، فلا يقال: ما الفائدة فى ذكر حجر واحد، وهو صلى الله تعالى عليه وسلم كان لا يمر بحجر ولا شجر إلا سلم عليه؟ كما أشار إليه بقوله.

(وعن عائشة)، رضى الله تعالى عنها، عنه صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث صحيح رواه البزار فى مسنده: **(لما استقبلنى جبريل)**، عليه الصلاة والسلام: أى نزل على وأتانى **(بالرسالة جعلت)**: أى صرت **(لا أمر بحجر ولا شجر إلا قال: السلام عليك يا**

رسول الله) تشريفا له وتطمينا، وإنها لعموم رسالته. وأمر يقر بـه الحجـر، كيـف ينكـره البشر؟ **(وعن جابر بن عبد الله)**، رضى الله تعالى عنه، فى حديث رواه البيهقى: **(لم يكـن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم)** فى ابتداء بعثته **(يمر بحجر ولا شجر إلا سـجد لـه)**: أى انخفض حتى مس الأرض على هيئة السجود؛ تواضعا له صلى الله تعالى عليـه وسـلم تعظيما وتكريما، كما سجدت الملائكة لآدم، عليه الصلاة والسلام.

والسجود لغير الله، سبحانه وتعالى، إنما يمتنع من البشر، وهذا محمـول علـى السـماع منه صلى الله تعالى عليه وسلم كما ورد التصريح به فى الحديث السابق، ومثلـه لا يقـال من قبل الرأى، فلا حاجة إلى أن يقال: إنه علم مـن بـاب الكشـف ويحتمـل أن الـرواى شاهد ذلك فى حال مروره معه صلى الله تعالى عليه وسلم.

(وفى حديث العباس)، رضى الله تعالى عنه، الذى رواه البيهقى، رحمه الله تعالى، عـن أسيد الساعدى: **(إذ اشتمل عليه)** الضمير للعبـاس، رضـى الله تعـالى عنـه، أى الحديـث الذى ذكر فيه أنه كان فى وقت اشتمل أى ضمه **(صلى الله تعالى عليه وسـلم)** فـى رداء له **(وبنيه)**: وهم عبد الله وعبيد الله و الفضل وقثم **(بملاءة)** بميـم مضمومـة ولام وهمـزة ممدودة وهاء، وهى الإزار والملحفة، وقيل: الملاءة الإزار الذى له شـقتان، فـإن كـان لـه شقة واحدة فهى ريطة براء وطاء مهملتين، والجمع ملأ وريط.

(ودعا لهم) أى العباس وبنيه **(بالستر من النار)** الستر: ما يمنـع المستور ويحجبـه، فـهو مجاز واستعارة لما يمنعهم من دخولهم النار، وعن ارتكاب ما يوجب العـذاب بـها، وهـو بفتح السين مصدر ستره، ثم شبه بعد التجوز فى قوله: **(كسـتره)** صلـى الله تعـالى عليـه وسلم **(إياهم بملاءته)** إذ قال: يا رب هذا عمى وصنو أبى، وهؤلاء بنـوه، فاسـترهم مـن النار كسترى إياهم بملاءتى هذه **(فأمنت)** بفتح الهمزة والميم المشددة والنون: أى قـالت: آمين طلبا لاستجابة دعائه.

(أسكفة الباب) بضم الهمزة وسكون السين المهملة وضم الكاف وفاء مشددة مفتوحة وهاء، وهى العتبة وما يعلوه الداخل من الباب، ومن المجاز وقعـت الدمعـة علـى أسـكفة عينه: أى جفنه الأسفل، وهذا محل الشـاهد مـن الحديـث؛ لنطـق الجمـاد فيـه **(وحوائـط البيت)** جمع حائط: وهو معروف أى جدرانه المحيطة بجوانبه ونواحيـه **(آمين آمين)** هـو اسم فعل أمر بمعنى استحب، وفيـه لغـات أشـهرها مـد الهمـزة، وتخفيـف الميـم وروى قصرها وتشديد الميم، وفيه كلام فى التفسير واللغة مشـهور، وآمـين آمـين إمـا معمـول لمقدر أى وقالت: آمين أو لأمنت لتضمنه معنى القـول وتكريـره، إمـا علـى التوزيـع أى قالت الأسكفة: آمين، والحوائط: آمين، ويحتمل أن كل واحد منهما كـرر قولـه: آمـين

تأكيدًا وتحقيقًا للمقال، إذ قد يغفل عن مثله.

وهذا الحديث بتمامه فى دلائل البيهقى، وفيه أنه قال للعباس: «يا أبا الفضل لا تفارق أنت وبنوك بيتك، حتى آتيك فإن لى بكم حاجة، فانتظروه فلما أتاهم قال: كيف أصبحتم؟ فقالوا: بخير، فقال: تقاربوا، فاجتمعوا فجمعهم معه فى ملاءته، وقال: يا رب هذا عمى وصنو أبى وهؤلاء بنوه، فاسترهم من النار»(١)، إلى آخر ما ذكره المصنف، رحمه الله.

وفى دلائل أبى نعيم: أنهم كانوا سبعة: الفضل وعبد الله حبر الأمة أبو الخلفاء وعبيد الله وعبد الرحمن وقثم وسعيد وأم حبيبة أختهم، وفيهم يقول عبد الله الهلالى:

ما ولدت نجيبة من فحل بجبل نعلمه أو سهل
كستة من بطن أم الفضل أكرم بها من كهلة كهل
عم النبى المصطفى ذى الفضل وخاتم الرسل وخير الرسل

ومثل هذه القصة حديث الكساء فى المباهلة المقدم، وهو جمع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لخمسة من أهل بيته، وهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى وفاطمة والحسنان فى كساء له، ويقال: إن جبريل، عليه الصلاة والسلام، كان معهم كما قيل:

أفضل من تحت الفلك خمسة رهط وملك

وقال الخالدى:

أعاذلى إن كساء التُّقَى كسانيه حبى لآل الكساء

وقال أبو على الضرير لمن وعده بكساء ثم أخلف:

من غزل من هذا الكساء ونسج من هل فى عمان طرازه أم فى عدن
ولأى وقت بعد ريح قرة هبت وأمطار ألمت تختزن
أم ذا كساء العز آل محمد فالضن عن بذله له أمر حسن

وهذا من تشبيه المعقول بالمحسوس المشاهد، فلا يقال عليه: إن المشبه هنا أعظم من المشبه به، والمعهود فى التشبيه عكسه كما قيل.

(وعن جعفر بن محمد عن أبيه) محمد الباقر بن زين العابدين، وقال السيوطى: لم أجد هذا فى كتب الحديث يعنى المشهورة، فلا ينافى اطلاع المصنف، رحمة الله تعالى عليه، **(مرض النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فأتاه جبريل، عليه الصلاة والسلام، بطبق فيه رمان وعنب)** المذكور فى اللغة أن الطبق بمعنى الغطاء، والمراد به هنا الوعاء مجازًا؛ لأنه على

(١) أخرجه ابن عدى فى الكامل (٦/٢٣٤٠).

هيئته، والظاهر أنهما من ثمرات الجنة، وكونه من ثمرات الدنيا، وأنه لو كان من الآخرة لم يفن لقوله: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ﴾ [الرعد: ٣٥] لا يلتفت إليه كالبحث عن كونهما فاكهة أولاً، (**فأكل منه صلى الله تعالى عليه وسلم فسبح**) أى فأراد الأكل منه إذ تناوله بيده، لا بعد الأكل كقوله تعالى: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾ [المائدة: ٦] الآية، ولم يذكر هذا مع الطعام؛ لكونه ليس من طعام الدنيا المعقود له فصله؛ فلذا ذكره مع الجمد، وهو ما لا روح له مطلقا.

(**وعن أنس**) بن مالك، رضى الله تعالى عنه، فى حديث رواه أحمد والبخارى والترمذى وابن ماجه: (**صعد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وأبو بكر الصديق وعمر وعثمان أحدًا**) بضمتين وقد يسكن ثانيه، وقيل: إن تسكينه ضرورة، وهو جبل معروف بقرب المدينة، وقد قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيه: (**إنه جبل يحبنا ونحبه**) وأخبر أنه سيكون فى الجنة، (**فرجف**) الجبل (**بهم**) أى تحرك حركة شديدة واضطرب، واضطرابه؛ إما لمهابته صلى الله تعالى عليه وسلم ولخوفه من الله تعالى، أو أنه لزلزلة اتفقت عند صعودهم عليه.

(**فقال: اثبت أحدُ**) بضم آخره من غير تنوين: أى يا أحد، فأمره صلى الله تعالى عليه وسلم بالثبات وعدم الحركة، وقد خلق الله فيه إدراكًا وحياة إذ فهم كلامه، وامتثل أمره، وهو محل الشاهد فى هذا الحديث: أى ينبغى أن يكون فيك وقار وسكون؛ لشرف من علا عليك ممن ينبغى عدم الاضطراب المشوش عليهم، فلذا قال: (**فإنما عليك نبى**) يعنى نفسه صلى الله تعالى عليه وسلم (**وصديق**) يعنى أبا بكر، رضى الله تعالى عنه، (**وشهيد**) يعنى عمر وعثمان، رضى الله عنهما؛ لأنهما قتلا ظلمًا، كما لا يخفى.

ورواه بعضهم وشهيد بالإفراد، وقال: لم يصف عثمان بالشهادة اختصارًا واقتصارًا، ولا وجه له وكل الشراح على خلافه.

وروى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم ضربه برجله أى ركضه بها.

(**ومثله**) أى مثل الحديث الذى فى أحد ماوراه مسلم (**عن أبى هريرة، رضى الله تعالى عنه، فى حراء**) بالمد والقصر والتذكير والتأنيث والصرف وعدمه، وهو جبل معروف على ثلاثة أميال من مكة، وقد تقدم الكلام عليه، (**وزاد**) فى هذه الرواية على ما تقدم من ذكر عمر وعثمان وأبى بكر، رضى الله تعالى عنهم، (**ومعه على وطلحة والزبير**)، وفى رواية سعد بن أبى وقاص، رضى الله تعالى عنه، بدل على، (**وقال**) فى هذه الرواية: (**فإنما عليك نبى أو صديق أو شهيد**) أو هنا بمعنى الواو للتقسيم، وبها عبر المصنف، رحمه الله تعالى، عند سياقه هذه الرواية فيما يأتى، فقال: اثبت إنما عليك بنى وصديق وشهيد،

ويأتي الكلام عليها ثمة، وأراد بذلك ما يشمل ما فوق الواحد، وبالشهيد المقتول ظلما مطلقا؛ لأن عمر، رضى الله تعالى عنه، قتله أبو لؤلؤة غلام المغيرة الكافر، وعثمان قتل يوم الدار، واختلف في قاتله، وعلى، رضى الله تعالى عنه، قتله ابن ملجم الخارجي الشقي، والزبير، رضى الله تعالى عنه، قتل بوادى السباع ظلما، وطلحة، رضى الله تعالى عنه، اعتزل الناس، فأصابه سهم فقتله، فكلهم قتلوا ظلما فهم شهداء حقيقة وحكمًا.

وروى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال: «اسكن حراء أو اهدأ حراء...»[1] إلى آخره كما رواه مسلم والترمذى، و لم يذكر سعدًا كما سيأتي.

(والخبر) الذى رواه مسلم والترمذى عن أبى هريرة، رضى الله تعالى عنه، رواه الترمذى والنسائي **(في حراء أيضًا عن عثمان)** بن عفان، رضى الله تعالى عنه، **(قال)** عثمان، رضى الله تعالى عنه، فى هذه الرواية: **(ومعه عشرة من أصحابه أنا فيهم، وزاد)** في رواية عثمان **(عبد الرحمن)** بن عوف **(وسعدًا)** ابن أبي وقاص **(قال: ونسيت الاثنين)** تتمة العشرة، وهما طلحة والزبير.

(وفي حديث) آخر رواه أبو داود والترمذى والنسائي وابن ماجه **(سعيد بن زيد أيضًا)** ابن عمر بن نفيل أحد العشرة المبشرة **(مثله)** أى مثل حديث عثمان، وفى الصحابة سعيد بن زيد أنصارى أسلمى، وهو غير هذا لأنه لا يعرف له رواية **(وذكر)** فى هذه الرواية أيضًا **(عشرة وزاد نفسه)** فيهم.

(وقد روى) فى حديث الهجرة المذكور فى السير و لم يسنده السيوطى هنا **(أنه)** صلى الله تعالى عليه وسلم **(حين طلبته قريش)** لما خرج مهاجرًا، وأرسلوا خلفه من يطلبه منهم، **(قال له ثبير)** بثاء مثلثة مفتوحة وموحدة مكسورة ومثناة تحتية ساكنة وراء مهملة: جبل بالمزدلفة عن يسار الذاهب إلى منى، ولهم جبال أخر تسمى ثبيرًا، كلها حجازية، وسمى ثبيرا من الثبور باسم رجل كان يسمى ثبيرًا دفن به، فسمى باسمه: **(اهبط يا رسول الله)** أى انزل من على ظهرى، واذهب إلى مكان آخر تختفى به عنهم، ثم علل أمره بالهبوط والنزول منه إلى مكان آخر بقوله: **(فإنى أخاف أن يقتلوك على ظهرى فيعذبنى الله)** بالنصب معطوف على يقتلوك، وإنما خاف العذاب بسبب قتله؛ لأنه لو لم يذكر له ذلك مع علمه بأنه ليس فيه مكان يستره كان غشًّا منه يستحق به العذاب، أو لأنه لو قتل على ظهره غضب الله على المكان الذى يقع فيه مثل هذا الأمر العظيم، كما غضب على أرض ثمود، فلا يقال: إنه كيف يعذب بذنب غيره ﴿وَلَا تَزِرُ

---

(١) أخرجه مسلم فى فضائل الصحابة (٤٩)، وأحمد (١/١٨٨)، والدارقطنى (٤/١٩٨)، والبيهقى (٦/١٦٧).

﴿وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤]؟ حتى يوجه بأن خوفه بمعنى حزنه وتأسفه عليه، ونحوه من التخيلات التى لا وجه لها كما قيل.

(فقال له حراء) اسم جبل كما تقدم: **(إلىّ يا رسول الله)** بتشديد الياء المفتوحة: تقديره ائت إلى، أو هو اسم فعل بمعنى أقبل، وقال له ذلك؛ لأنه ألهمه الله أنه يقدره على أن ينشق له، ويستتر فى جوفه، ونحو ذلك مما تقع به سلامته صلى الله تعالى عليه وسلم، وكان هذا قبل توجهه صلى الله تعالى عليه وسلم إلى غار ثور الذى اختفى فيه عند الهجرة.

(وروى ابن عمر) فى حديث رواه مسلم والنسائى وأحمد فى مسنده، وما ذكره المصنف هو رواية أحمد بلفظه **(أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قرأ على المنبر)** آية ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الأنعام:٩١]: أى ما عظموه حق تعظيمه، وما عرفوه حق معرفته، قيل: إن بعض أحبار اليهود قال له: يا محمد إن الله يمسك السماوات يوم القيامة على إصبع، والأرضين على إصبع، والجبال على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق على أصبع، ويقول: أنا الملك أنا الله، فضحك صلى الله تعالى عليه وسلم تصديقًا له وتعجبًا، ثم قرأ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ﴾ الآية، ونحو منه فى جامع الترمذى.

وقال الخطابى: إنه إنكار لمقالته؛ لتوهمه أن لله يدًا حقيقية ذات أصابع، وهو منزه عن مثله، ولذا قال: **(ثم قال)** أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بعد ما تلا الآية: **(يمجد الجبار نفسه)** أى يعظم وينزه ذاته، وروى: يحمد بالحاء المهملة من الحمد والثناء الجميل، وفى ذكره الجبار موافقة للقرآن، وهو صيغة مبالغة من الجبر وهو القهر ونفوذ الأمر والنهى.

وفيه دليل على جواز إطلاق النفس بمعنى الذات على الله، وإن لم يكن بطريق المشاكلة كما ورد فى القرآن أيضًا، وليس من قبيل قوله: (﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾ [المائدة:١١٦])، فإنه يشترط فيه المشاكلة؛ لأنه إطلاق آخر، ومن اشترط ذلك مطلقًا، فقد وهم، وهذا مماخفى على كثير من الفضلاء، يعنى المقصود من الآية تعظيم كبريائه، توفيقا لعباده على كنه ذاته، فلذا قال: **(أنا الجبار، أنا الجبار)** وكرره للتأكيد والتهويل **(أنا الكبير المتعال)** أى المتعالى فى عظمته عما يخطر بالعقول، وحذف الياء فى الوقف، وهو جائز أى: أنا الجليل المتكبر العلى الأعلى المنزه عن الجارحة، وفيه إشارة إلى أنَّ ما ذكر من الإصبع واليد والقبضة، تمثيل لجلالة قدره وعظم ذاته.

(فرجف المنبر): أى اهتز واضطرب من مهابة مقاله صلى الله تعالى عليه وسلم **(حتى قلنا)** أى قال من كان حاضرًا: **(ليخرن عنه)** أى ليقع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم

من شدة اضطراب المنبرِ من عليه، أو لينهد المنبر، وهذا وما قبله مـن معجزاتـه صلـى الله تعالى عليه وسلم لنطق الجبل له، وفهم المنبر كلامه وتحركه، وهو محل الشاهد.

(وعن ابن عباس) فى حديث أخرجه الشيخان والبزار والطبرانى وأبو يعلى عن جابر، وابن مسعود أيضًا: **(كان حول البيت)** فى الجاهلية، وقبل الفتح **(ستون وثلاثمائة صنـم)**، اتخذها قريش آلهة يعبدونها مـن دون الله، **(مثبتة الأرجـل بالرصـاص فـى الحجـارة)**: أى قيدت أرجلها، ومكنت فى الأرض برصـاص جعـل عليـها حتـى لا تسـقط وتـزول مـن مكانها.

والرصاص معروف، قال الجوهرى: بفتح الراء والعامة تكسره انتهى، فكسره كضمه لحن من العامة، وكون الأصنام حول الكعبة لا فوقها ورد فى كثير من الروايات، **(فلمـا دخل رسول الله صلى الله تعـالى عليـه وسـلم المسجد)**: أى مسـجد مكـة المشـرفة **(عـام الفتح)**: أى فتح مكة، **(جعل)**: أى شرع وطفق **(يشير بقضيب)** وعصا كانت **(فـى يـده إليها)**: أى إلى الأصنام المذكورة، وإليـها متعلـق بيشـير، **(ولا يمسـها)** بيـده ولا بقضيبـه؛ لاستكراهه صلى الله تعالى عليه وسلم لها ولأنه لو مسها توهم أن سقوطها بشـدة دفعـه لها، **(ويقول)** حال من فاعل يشير، لا من فاعل يمسها، كما قيل، وإن جـاز بتكلـف أى قائلا: (﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الإسراء: ٨١] الآيـة) والحـق: التوحيـد والإسـلام، والبـاطل ضـده، وزهوقـه: زوالـه واضمحلالـه، وزهقـت نفسـه: خرجـت **(فمـا أشـار)** بالقضيب **(إلى وجه صنم)**: أى ما هو على صورة وجه مقابل له، **(إلا وقع)** خـر سـاقطا **(لقفاه)** أى على قفاه، فاللام بمعنى على كقوله:

وخر صريعًا لليديـــــن وللفــــم

والاستثناء مفرغ من أعم الأحوال: أى فـى حـال مـن الأحـوال إلا حـال سـقوطه، **(ولا)** أشار **(لقفاه إلا وقع لوجهه)** أى: جهة أشار صلى الله تعالى عليه وسـلم إليـها مـن الصنم وقع على مقابلها، **(حتى)** سقطت كلها، و**(ما بقـى منـها صنـم)** قـائم إذ سـقطت كلها.

والقفا: مقابل الوجه، وهو مقصور، وسمع مده فى لغة ضعيفة، وقيـل: إنـه ضـرورة، والحاصل أنها سقطت كلها بإشـارته صلـى الله تعـالى عليـه وسـلم مـن غـير أن يمسـها، واختلفت الروايات، فقيل: أشار بيده، وقيل: بقوس، وقيل: بقضيب، وقيل: بعود.

وهذا فيما كان حول البيت، وأما ما كان فى جوفه فأمر بإخراجه، و لم يدخل صلـى الله تعالى عليه وسلم البيت حتـى أخرجـت منـه، ومحيـت الصـور التـى كـانت فيـه، و لم يعترض له المصنف، مع أنه فى الصحيحين؛ لأن كلامه فى إطاعة الجمادات له صلـى الله

تعالى عليه وسلم وقد علم أن هذه الأصنام كانت موثقة بالرصاص لو أراد أحد قلعها، لم يقلعها إلا بعلاج شديد، وقد سقطت بإشارته من بعيد، فهو كتحريك الشجر من مغرسه له صلى الله تعالى عليه وسلم، فلذا اقتصر عليه المصنف، رحمه الله، وأشار إليه بقوله: مثبتة بالرصاص.

(ومثله) أى مثل هذا الحديث، وبمعناه **(فى حديث ابن مسعود)** الذى رواه الشيخان **(وقال)**: أى ابن مسعود فى روايته: **(فجعل يطعنها)** أى الأصنام المذكورة.

ويطعن: بفتح العين كمنع يمنع، ويجوز ضمها، والأول أشهر وأفصح خلافا لمن عكس.

وقد تقدم اختلاف الروايات فيما طعن به، وهى متقاربة، والذى مر فى الرواية السابقة أنه أشار إليها من غير أن يمسها بيده، وما فيها من عصا ونحوها، وهذه الرواية تقتضى أنه مسها بالعصا ودفعها بها كالطاعن لها، فبينهما اختلاف، ولذا فسر بعضهم طعنها بأشار إليها من غير مس، وهو خلاف الظاهر، وقيل: إنها كانت كثيرة، فأشار لبعض منها وطعن بعضًا منها، فلا تعارض فى الروايات.

(ويقول) معطوف أو حال بتقدير: وهو يقول: **(جاء الحق)** أى الدين الحق والتوحيد، أو وعد الله بفتح مكة، **(وما يبدئ الباطل وما يعيد)**[1] الإبداء: الإيجاد ابتداء من غير سبق إيجاد آخر، والإعادة الإيجاد مرة بعد مرة أخرى، وما هنا جوز فيها أن تكون نافية أى أن الشرك هلك واضمحل، واستفهامية استفهاما إنكاريا وهو بمعنى النفى أيضًا، فالمعنى واحد، وإنما ذكر حديث ابن مسعود؛ لأنه فى الصحيحين، وقدم الأول لأنه أوفق بمراده هنا، وفيه زيادة ثقة وهى مقبولة.

(ومن ذلك) أى مما ذكر من أمر الجمادات: **(حديثه)** الذى رواه الترمذى والبيهقى **(مع الراهب)**، وهو بحيراء، واسمه جرجس؛ ويقال جرجيس بياء: ابن عبد القيس من نصارى تيما أو بصرى، وهو ممن آمن به صلى الله تعالى عليه وسلم قبل بعثته صلى الله تعالى عليه وسلم ولذا عده بعضهم من الصحابة كورقة بن نوفل، وفى المسألة اختلاف، ذكره البرهان فى النبراس وغيره.

وقيل: إن بحيراء يهودى، واسمه بفتح الباء مقصور ويروى مده، وتسميته راهبا تؤيد نصرانيته؛ لأن الرهبانية، وهى الزهد فى المأكل وغيره لشدة رهبته: أى خوفه معروفة فيهم، كما لا يخفى.

---

(١) قال تعالى: ﴿**قل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد**﴾ [سبأ: ٤٩] وسورة سبأ مكية، فكأن هذا امتثال لما أمر به

(فى ابتداء أمره) صلى الله تعالى عليه وسلم: أى وهو صغير السن لم يبعث **(إذ خرج تاجرا)** أى لأجل التجارة **(مع عمه)** أبى طالب.

واعترض عليه بأنه لما خرج مع عمه المذكور كان عمره تسع سنين، وقيل: اثنا عشر ولم يكن تاجرًا، وإنما تعرض لعمه وهو خارج، وقال له: تتركنى وليس معى أحد؟ فأخذه معه، وإنما خرج تاجرًا بعد ذلك مع ميسرة غلام خديجة، رضى الله تعالى عنها، وميسرة هذا لم يذكر فى الصحابة، وقد مات قبل البعثة، وفى هذه الخرجة لقى راهبًا آخر، وهو نسطورا، وقصته مشهورة أيضًا، ففى كلام المصنف، رحمه الله تعالى، ما لا يخفى.

وما قيل فى الجواب من أن تاجرًا حال من ضمير عمه، أو حال من ضميره صلى الله تعالى عليه وسلم المستتر فى خرج، وجعله تاجرًا لمجاورته لعمه الذى خرج للتجارة تعسف، وتكلف جدًا.

(وكان الراهب لا يخرج) من صومعة له كان يترهب فيها **(إلى أحد)** ممن يمر عليه من أبناء السبيل؛ لأن صومعته كانت على طريق قريش فى ممرهم للشام تجارًا، فكان يراهم ولا يخرج إليهم؛ لانفراده واشتغاله بعبادته على عادتهم، **(فخرج)** على خلاف عادته، لما نزل قريبًا منه أبو طالب والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم معه وأبصرهم، **(فجعل)** أى صار **(يتخللهم)** بفتح المثناة التحتية والفوقية والخاء المعجمة واللام المشددة بعدها لام مخففة: أى يدخل فى خلالهم ويدور بينهم ينظرهم واحدًا بعد واحد، من تخلل القوم: إذا دخل بينهم كما فى الصحاح.

(حتى أخذ بيد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى أمسك بيده الشريفة، **(فقال: هذا سيد العالمين)** أى أشرف المخلوقات كلهم؛ لما رأى فيه من الصفات التى علمها من كتبهم **(يبعثه الله)**: أى يرسله لدعوة الكافة بعد ما نبأه **(رحمة للعالمين)**: أى لأجل رحمتهم جميعا؛ لمجيئه بما يسعدهم فى الدنيا والآخرة كما تقدم، **(فقال له)** أى للراهب **(أشياخ من قريش)**: جمع شيخ، وحقيقته الكبير السن، ثم شاع فى الشريف المتقدم على غيره: **(ما علمك؟)** بما ذكرته من كونه سيدا ورحمة عامة: أى من أين عرفت هذا؟ **(فقال: إنه لم يبق شجر ولا حجر إلا خر ساجدًا له)**، وهو شاهد ذلك من صومعته لما نزلوا عنده، ومن معه لم يروا ذلك؛ لاشتغالهم بأحوالهم فى السفر، **(ولا تسجد إلا لنبى)**؛ تعظيما له إذا مر بها، أو نزل عندها.

والسجود للتحية والإكرام كان سنة عندهم على أن امتناعه إنما هو فى حق العقلاء دون غيرهم، كما مر فإنهم لا يتصور منهم شرك، فالبحث عنه لا وجه له، **(وذكر**

القصة) إلى آخرها مفصلة كما فى السير، وشهرتها تغنى عن ذكرها.

(ثم قال): أى الراهب: **(فأقبل)** صلى الله تعالى عليه وسلم للمنزل، **(وعليه غمامة تظله)** دون من معه من رفقته، **(فلما دنا من القوم)** المرافقين له الذين نزلوا قبله، **(وجدهم سبقوه إلى فىء الشجرة، فلما جلس)** صلى الله تعالى عليه وسلم **(مال الفىء إليه)** أى إلى جانبه الذى جلس فيه.

والفىء هو الظل، أو الظل بالغداة، والفىء بالعشى؛ لأنه من فاء إذا رجع، وهذا هو أصل معناه، لكن توسعوا فيه، فاستعملوا كلا منهما مقام الآخر، والغمامة السحابة أو البيضاء، والمراد الأول.

وخبر بحيراء صحيح روى من طرق صحيحة، إلا أنه طعن فيما رواه الحاكم فيه من أن سبعة من الروم أقبلوا يقصدون قتله صلى الله تعالى عليه وسلم، فاستقبلهم بحيراء، وقال لهم: ما جاء بكم؟ فقالوا: إن هذا النبى خارج فى هذا الشهر، وإنا بعثنا له، فقال لهم: أرأيتم أمرا أراده الله، هل يستطيع أحد رده؟ قالوا: لا، فصدهم عما أرادوه وأقاموا معه، ورده أبو طالب، وبعث معه أبو بكر بلالاً، رضى الله تعالى عنهما.

وقال الذهبى: إنه حديث منكر، وإنما طعن فيه؛ لأن أبا بكر، رضى الله عنه، كان صغيرا إذ ذاك، ولم يملك بلالا، وقيل: إن هذا مدرج من حديث آخر، والآفة فيه من رواته.

وما آفة الأخبار إلا رواتها

* * *

(فصل فى الآيات فى ضروب الحيوانات)

الآيات جمع آية، وهى العلامة والمعجزة؛ لأنها علامة نبوة النبى، والضروب جمع ضرب وهو النوع.

حدثنا سراج بن عبد الملك أبو الحسين الحافظ، قال: حدثنا أبى قال: حدثنا القاضى يونس:

رجال هذا السند تقدموا كلهم، مع الكلام عليهم، وعلى أسمائهم، فلا حاجة للتكرار الممل.

(قال حدثنا أبو الفضل الصقلى): بفتح الصاد المهملة والقاف وكسر اللام المشددة وياء نسبة لصقلية: جزيرة بالأندلس كثيرة الأشجار والثمار، قال الشاعر[1]:

ذكرت صقلية والأسى ... تأجج نيران تذكارها

---

(١) البيت من المتقارب، وهو لابن حمديس فى تاج العروس (صقل) ومعجم البلدان (٣/٤١٧) (صقلية).

وكسر صادها خطأ، وإن ذكره البرهان ظنًا من عنده.

(قال: حدثنا ثابت بن قاسم بن ثابت عن أبيه وجده قالا: حدثنا أبو العلاء أحمد بن عمران قال: حدثنا محمد بن فضيل قال: حدثنا يونس بن عمرو) كذا فى النسخ؛ وقد سقط منه راو، وصوابه حدثنا أحمد بن عمران، حدثنا محمد بن فضيل قال: حدثنا يونس بن عمرو كما فى بعض النسخ موصولاً، وهو من رجال مسلم، وأصحاب السنن الأربعة، وترجمته فى شروحها كما تقدم.

ويونس هو ابن إسحاق السبيعى وهو ثقة صدوق، وقيل: إنه مضطرب لا يحتج به، وترجمته فى الميزان، توفى سنة تسع وخمسين ومائة.

(قال: حدثنا مجاهد)، وفى نسخة عن مجاهد **(عن عائشة)**: أم المؤمنين، رضى الله تعالى عنها، ومجاهد هو ابن جبر كما تقدم، وقيل: إن مجاهدًا لم يسمع منها، والصحيح خلافه، قالت عائشة: **(كان عندنا داجن)** من المداجنة، وهى لزوم البيوت وسكونها، والمراد بها شاة تألف البيوت وتعلف فيها، وتطلق على غيرها من الحيوانات التى تربى فى البيوت كالناقة والحمام، والمراد بقولها: عندنا منزلها الذى تسكنه، وكذا فى قوله: **(فإذا كان عندنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قر وثبت مكانه)**: أى وقف أوربض فى مكانه لا يتحرك؛ تأدبا معه صلى الله تعالى عليه وسلم، **(وإذا خرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم)** من منزله **(جاء وذهب)**: أى مشى فى البيت، وتردد فيه؛ لأنه ليس ثمة من يهابه.

وقيل: المعنى أنه لم يقر لعدم رؤيته صلى الله تعالى عليه وسلم اشتياقا لرؤيته.

وهذا حديث صحيح رواه أحمد والبزار وأبو يعلى والبيهقى والدارقطنى.

وهذا من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم لإلفْ الحيوانات التى لا تعقل ومهابتها له، وروى داجنة بالهاء وراجن بالراء، وقد علم أن قر من القرار، وهو السكون وعدم الحركة.

(وروى عن عمر) بن الخطاب، رضى الله تعالى عنه، فى حديث رواه الطبرانى والبيهقى، وروى أيضًا عن عائشة، رضى الله عنها، وأبى هريرة وهو ضعيف كما قاله السيوطى، وليس بموضوع كما قيل.

(أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان فى محفل) بفتح الميم وسكون الحاء المهملة وكسر الفاء واللام: محل يجتمع فيه ناس كثيرون، من حفل بمعنى جمع **(من أصحابه إذ جاء أعرابى)**: أى دخل بغتة عليهم رجل من أهل البادية غير معروف **(قد صاد ضبا)**: جملة حالية بفتح الضاد المعجمة وتشديد الباء الموحدة، حيوان برى أكبر من

الجرذون يبيض، والأعراب تصطاده وتأكله، **(فقال)** الأعرابي للصحابة: **(من هذا)**؟ سأل عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لأنه ينكره أو لم يعرفه.

(قالوا) له جوابا: **(نبي الله)** أي هو نبي الله ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم.

وليس قولك مَنْ هذا بضائـــره البيت يعرف من أنكرت والحــرم

(فقال: واللات والعزى)، وهما صنمان عبدا في الجاهلية، وأصل اللات اللاه فحذفوا الهاء، وأدخلوا تاء التأنيث عوضا عنها، وهو من لوى سمـي بـه؛ لالتوائـهم فـي طوافـهم حولها، وكان بنخلة والطائف لقريش وثقيف، والعزى تأنيث الأعـز شـجر مـن السـمرة كانت لغطفان، بعث إليها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خالد بن الوليد، فقطعها فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها داعية: ويلها، فقتلها، وقال:

يا عزى كفرانـــك لاسبحانـــك إني رأيت الله قـــد أهانـــك

ثم أخبر به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فقال: تلك العزى ولن تعبـد أبـدًا، وأقسم الأعرابي بهما؛ لأنه لم يكن مسلما كما يدل عليه ما بعده مـن قولـه: **(لا آمنت بك)** أي بأنك رسول الله **(أو يؤمن بك هذا الضب)** بنصب يؤمن، أي إلا أن يؤمن هـذا الضب، فأومن أنا بك أيضًا بعد رؤية معجزتك من نطق هذا الحيوان، وإقراره برسالتك، وأو بمعنى إلا أو إلى غاية لانتفاء إيمانه، وهما مما ينتصب بعده المضارع بعد النفي ونحوه، وفي نسخه حتى بدل أو.

(وطرحه) أي رمى الأعرابي الضبَّ **(بين يدي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم)**: أي في مقابلته قريبا منه، **(فقال)** صلى الله تعالى عليـه وسـلم **(له)**: أي للضـب: **(يا ضبُّ)** بالضم لأنه منادى مفرد، **(فأجابه بلسان بين)** كلامـه، أو بكـلام ظـاهر مفـهوم **(يسمعه القوم)** الذين عنده **(جميعا لبيك)**: أي إجابة لك بعـد إجابـة، وهـو مثنـى منصـوب علـى المصدرية كما بينه النحاة، **(وسعديك)**: أي مساعدة وطاعة لك بعد طاعة، وهو مثله في المعنى والنصب، وهما عبارة عن سرعة الإجابـة والانقيـاد والطاعـة **(يا زين من وافى القيامة)** أي من تزين وتحسن من كـل مـن جـاء إلى القيامـة والموافـاة الحضـور والمجيء، والقيامة معروفة، وإنما جعله زينا أي مزينا لأهلها ومن بـها؛ لأنـه صلـى الله تعـالى عليـه وسلم سيدهم وقائدهم والشفيع فيهم، وهـذه العبـارة شـائعة فـي لسـان عامـة العـرب، فيقولون: يا زين القوم لأشرفهم وأحسنهم.

(قال) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم للضب: **(من تعبد؟)** سأله ليقـر بعبوديتـه لله، فوصفه بما يعرفه كل أحد.

(قال): أعبد **(الذي في السماء عرشه)**، وهـو فـي الأصـل سـرير الملـك، والعـرش

والكرسى إجمالا معلوم، وتحقيقه فى كتب التفسير، والمراد بالسماء ما يقابل الأرض، أو جهة العلو مطلقا، فلا ينافى ما ورد من أنه فوق السموات كما قال الله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وللكلام فى هذا مقام آخر لا تحيط به ظروف الحروف، **(وفى الأرض سلطانه)**: أى فى الأرض ومن فيها يظهر عدله وحكمه وقهره، لمن فيها من الثقلين، وسلطانه وإن كان على كل موجود، لكن ظهوره فيمن قد يخالف ظاهر فيها، والسلطان فى الأصل مصدر من التسلط والقهر، **(وفى البحر سبيله)**: أى طريقه التى جعلها مسلوكة لعباده بتسخير الريح ونحوه، مما لا يقدر عليه غيره كما قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [يونس: ٢٢]، ولذا كانت الكفرة لا يدعون فيها سواه كما قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [العنكبوت:٦٥]، **(وفى الجنة رحمته)** المختصة به لعظمته الباقية، وإن كان رحيم الدنيا والآخرة، **(وفى النار عذابه)**، وفى نسخة عقابه، فلما آمن بالله، ووصفه بما هو مختص به دال على عظمته **(قال)** له صلى الله تعالى عليه وسلم ليكمل إيمانه: **(فمن أنا؟)**: أى إذا آمنت بى فمن أنا؟ **(قال: رسول رب العالمين)**إشارة إلى عموم رسالته صلى الله تعالى عليه وسلم لكل موجود حتى الجمادات والحيوانات، **(وخاتم النبيين)**، فلا نبى بعدك كما تقدم، **(وقد أفلح)** وفاز بسعادة الدارين **(من صدقك)** وأقر برسالتك، **(وخاب من كذبك)** بإنكار رسالتك، وعدم إجابة دعوتك، **(فأسلم الأعرابى)** لما رأى معجزته صلى الله تعالى عليه وسلم علما ضروريا بتوحيد الله تعالى، والإقرار برسالة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم.

وهذا الحديث طويل رواه البيهقى، وفيه أن الأعرابى من بنى سليم، وأنه كان ذاهبًا بالضب ليشويه ويأكله، فلما رأى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقع له معه ما ذكره المصنف، رحمه الله تعالى، من إسلامه، قال: لا أتبع أثرًا بعد عين، والله لقد جئتك وما على ظهر الأرض أبغض إلىّ منك، وأنت اليوم أحب إلىّ من نفسى وولدى، فلما أسلم وتشهد قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «الحمد [لله] الذى هداك، إن هذا الدين يعلو ولا يعلى ولا يقبل إلا بصلاة ولا صلاة» إلا بقرآن، ثم علمه الصلاة والقراءة، وعلمه سورة الإخلاص، وكان هذا سببًا لإسلام قومه وقدومه على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وقد علمت ضعف الحديث، وإن قال ابن دحية: إنه موضوع.

(ومن ذلك): أى من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم، فى تسخير الحيوانات وإنطاقها **(قصة كلام الذئب المشهورة)** التى رواها أحمد، والبزار، والبيهقى وصححها، **(عن أبى سعيد الخدرى)**، رضى الله عنه، هو سعيد بن مالك الصحابى كما تقدم.

(بينا راع) تقدم أن بينا من الظروف وأن الألف للإشباع أو كافة عن الإضافة، فراع فى محل رفع أو جر، وهو اسم فاعل من رعى الغنم ونحوها، وهو معروف، وقوله: **(يرعى غنما له)** ذكره لبيان أن الغنم له، فليس بأجنبى، وأنه كان يرعى غنما، فإن الراعى قد يرعى غيرها كالإبل والبقر.

واختلف فى اسم هذا الراعى فقيل: إنه أهبان بن أوس، وقد جرى عليه المصنف، رحمه الله تعالى، فيما يأتى، وأنه وقع مثل هذه القصة لأبى سفيان بن حرب، وصفوان بن أمية فى ذئب أخذ ظبيًا، ولأبى جهل وأصحابه.

وفى حديث آخر أن الذئب أخذ شاة، فتبعه الراعى، فقال له الذئب: من لها يوم السبُع يوم لا راعى لها غيرى؟ وأن الذى كلمه الذئب أهبان بن أوس الأسلمى، وقيل: أهبان بن عقبة عم سلمة بن الأكوع أحد أصحاب الشجرة، وقيل: أهبان بن الأكوع، وعند السهيلى أنه رافع بن ربيعة، وقيل هو أهبان بن عباد الخزاعى، وقيل: الذى كلمه الذئب سلمة بن الأكوع، ويأتى بيان ذلك كله، وقيل: أهبان بن صيفى، وعن ابن عساكر، أن الذى كلمه الذئب: رافع بن عميرة الطائى، كلمه الذئب وهو فى ضأن له يرعاها، ودعاه إلى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وأمره باللحوق به صلى الله تعالى عليه وسلم فقال:

رعيت الضأن أحميها زمانا ... من الضبع الخفى وكل ذيب
فلما أن سمعت الذئب نادى ... يبشرنى بأحمد من قريب
سعيت إليه قد شمرت ثوبى ... عن الساقين قاصدة الركيب
فألفيت النبى يقول قولا ... صدوقا ليس بالقول الكذوب
فصيرنى لدين الحق حتى ... تبينت الشريعة للمنيب
وأبصرت الضياء يضئ حولى ... أمامى إن سعيت وعن جنوبى
ألا بلغ بنى عمرو بن غوث ... وإخوتهم جذيلة أن أجيبى
دعاء المصطفى لا شك فيه ... فإنك إن أجبت فلن تخيبى

وقد علم أن قصة كلام الذئب وقعت مرارا عديدة على أنحاء مختلفة، وكلامه وإن كان لغيره، لكن إقراره به معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم **(عرض الذئب لشاة منها)**: أى أتاها لاختطافها، وأخذها، **(فأخذها الراعى منه)** أى أدركه وانتزعها من يده وردها، **(فأقعى الذئب)** أى مكث على عقبيه ناصبا يديه، كما هو معروف فى إقعاء الكلب والذئب، وللإقعاء معنى آخر كما ذكره الفقهاء فى كتاب الصلاة.

(فقال) الذئب بعد إقعائه: **(للراعى: ألا)** حرف استفتاح هنا **(تتقى الله)**: تخافه وتحذره

(**حُلْتَ**) بضم الحاء المهملة وسكون اللام وفتح تاء الخطاب: أى فصلت وفرقت (**بينى وبين رزقى**) الذى رزقه الله لى.

(**قال الراعى: العجب من ذئب يتكلم بكلام الإنس**)، وفى نسخة: البشر، وهما بمعنى، تعجب من نطقه وليس من شأنه ذلك.

(**فقال الذئب**) مجيبا له: (**ألا أخبرك بأعجب من ذلك؟**): أى من كلام حيوان أعجم: (**رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بين الحرتين**) بفتح الحاء وتشديد الراء المهملتين وتاء تأنيث: مثنى حرة، وهى ثنية مرتفعة ذات حجارة سود كأنها اسودت من الحر، والحرتان بالمدينة، (**يحدث الناس بأنباء ما سبق**)، وفى نسخة: من سبق أى الأمم السابقة وأحوالهم، وإنما جعله أعجب؛ لأنه إخبار بالغيب معجز، فلذا عده أعجب من نطق حيوان أنطقه الله الذى أنطق كل شىء، وكون الأمر أعجب يختلف باختلاف الأسباب، والأنباء جمع نبأ وهو الخبر.

(**فأتى الراعى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فأخبره**) بكلام الذئب وقصته معه.

(**فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم للراعى: قم**) من عندى فاذهب للحاضرين، (**فحدثهم**) بما شاهدته ليزداد إيمانهم ويسرهم ما ظهر من معجزاته.

(**ثم قال: صدق. والحديث فيه قصة**) لما فيه من الغرابة، وأنه من أشراط الساعة؛ لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم: «والذى نفسى بيده لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الناس، ويكلم الرجل شراك نعله وعذبة سوطه ويخبره فخذه بما حدث فى أهله»[1]، ولما لم يكن فى هذا استشهاد لما هو بصدده، أسقطه واعتذر عنه بقوله: (**وفيه**) أى فى بعض رواياته (**طول**) ولذا تركه، عدم الحاجة إليه هنا.

(**وروى حديث الذئب عن أبى هريرة، رضى الله تعالى عنه**) رواه أحمد والبزار والبيهقى وصححه والبغوى، وأبو نعيم بسند صحيح، (**وفى بعض الطُرق**) بضمتين: جمع طريق، تجوز به عن الرواية.

(**فقال الذئب**) للراعى: (**أنت أعجب**) أى حالك أعجب من حالى فى حال كونك (**واقفا على غنمك**): أى مراعيا وحافظا لها، (**وتركت نبيا**): أى وقد تركت إلى آخره، فالجملة حالية بتقدير قد (**لم يبعث الله نبيا**) من أنبيائه السالفة (**قط أعظم منه عنده**)، وأجل (**قدرًا**) ومنزلة عند ربه، وهو تمييز لنسبه أعظم، (**وقد فتحت له أبواب الجنة**) بتشديد تاء فتحت وتخفيفها: أى هيئت وأعدت له، والجملة حالية أيضًا.

---

(١) أخرجه الترمذى (٢١٨١)، والحاكم فى المستدرك (٤/٤٦٧، ٤٧٥)، وأبو نعيم فى الحلية (٣٧٨/٨).

وقوله: **(وأشرف أهلها)** يدل على أن المراد أنها انفتحت حقيقة؛ لينظر من فيها من الملائكة والإشراف النظر من مكان عال، مأخوذ من الشرف: وهو المكان العالى **(على أصحابه ينظرون قتالهم)**: أى ينظرون إليهم، وهم صفوف واقفون فى القتال كصفوف الملائكة.

(وما بينك وبينه إلا هذا الشعب) بكسر الشين المعجمة وسكون العين المهملة بعدها موحدة: وهو منفرج بين جبلين، يعنى أنه قريب منك لا عذر لك فى التخلف عنه، **(فتصير فى جنود الله)** إذا ذهبت إليه، وتصير من حزب الله المفلحين، فتخلفك عنه مع هذا أعجب من نطقى الذى تعجبت منه.

(قال الراعى) للذئب لما أشار عليه بالذهاب لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: **(ومن لى بغنمى؟)**: أى إذا ذهبت إليه من يتكفل لى بحفظ غنمى حتى أجىء؟ **(قال الذئب: أنا أرعاها)**: أى أحفظها وأحرسها **(حتى ترجع)** إليها من عنده صلى الله تعالى عليه وسلم، **(فأسلم الرجلُ)**: وهو الراعى **(إليه غَنَمَهُ)** أى سلمها للذئب، وتركها عنده، **(ومضى)** إلى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، **(وذكر له قصته)** مع الذئب، وما كلمه به وما فعله معه، **(وإسلامه)** الغنم له، **(ووجوده النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يقاتل)** كما قال له الذئب.

(فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) بعد ما قص قصته عليه وأسلم وآمن به صلى الله تعالى عليه وسلم: **(عد إلى غنمك تجدك بوفرها)** بفتح الواو وسكون الفاء: أى بتمامها وكمالها لم ينقص منها شىء، من قولهم: أرض وفرة لم يرع نباتها، **(فوجدها كذلك)** أى تامة غير ناقصة، **(وذبح للذئب شاة منها)** جزاء له على صنيعه، وإشادة له.

(وعن أهبان بن أوس) عطف على قوله عن أبى هريرة، وهو بضم همزة أهبان وأوس بفتحها: علم منقول، معناه العطية، وهذا الحديث رواه البيهقى والبخارى فى تاريخه عنه، **(وأنه كان صاحب هذه القصة)** المذكورة فى كلام الذئب **(و)** أنه **(المحدث بها ومكلم الذئب)** كما فى الروض الأنف، وأنه كان فى غزوة ذى قرد **(و)** روى أيضًا **(عن سلمة بن عمرو بن الأكوع وأنه)** أى ابن الأكوع لا سلمة كما قيل، ويجوز فتح همزة أنه وكسرها **(كان صاحب هذه القصة أيضًا)** يعنى أنها تعددت، **(و)** كانت **(سبب إسلامه)**، وفى مرآة الزمان لسبط ابن الجوزى أهبان بن الأكوع اسمه عقبة من الطبقة الثالثة من المهاجرين، وهو مكلم الذئب فى رواية هشام، وقد اختلفوا فيه، فقال هشام: هو أهبان بن الأكوع.

وعن الواقدى هو أهبان بن أوس الأسلمى الصحابى، رضى الله تعالى عنه، من أسلم،

نزل الكوفة، وتوفى فى خلافة معاوية.

وحكى ابن سعد عن ابن الأشعث أن مكلم الذئب: أهبان بن عباد بن ربيعة بن كعب بن أمية بن نقطة بن خزيمة من أسلم. وذكر جدى فى التلقيح أن من اسمه أهبان أربعة: أهبان بن الأكوع أبو عقبة، وأهبان بن أوس الأسلمى، وأهبان بن صيفى الغفارى، وأهبان بن عباد الخزاعى مكلم الذئب.

قال: وقيل: إن مكلم الذئب أهبان بن أوس انتهى، ولم يذكر فى الرواية منهم سوى أهبان بن صيفى، والحاصل أن مكلم الذئب على رواية هشام أهبان بن الأكوع، وعلى قول الواقدى أهبان بن أوس الأسلمى، وعلى قول ابن الأشعث أهبان بن صيفى الغفارى انتهى، ففيه أقوال ارتضى المصنف منها قول الواقدى، فإن كانت القصة تعددت فلا خلاف، وليس فى الصحابة من اسمه أهبان بن عقبة، وقد يقال إنه غلط من أبى عقبة فليحرر (**بمثل حديث أبى سعيد**) الخدرى أى روى سبب إسلامه بمثله.

(**وروى**) عبد الله (**بن وهب**) السابق ترجمته (**مثل هذا**) المذكور من كلام الذئب (**أنه جرى**) أى وقع واتفق (**لأبى سفيان بن حرب**) والد معاوية وأم حبيبة المشهور، رضى الله تعالى عنهم، (**وصفوان بن أمية**) الصحابى المعروف وقع هذا لهما قبل إسلامهما، وكانا من أشد الناس عداوة له صلى الله تعالى عليه وسلم قبل إسلامهما، فلما أسلما صار صلى الله تعالى عليه وسلم أحب إليهما من نفسهما (**مع ذئب وجداه أخذ ظبيا**): أى أراد أخذه، فجرى خلفه فى الحل ليأخذه بقرينة قوله: (**فدخل الظبى الحرم، فانصرف الذئب**) عنه لأنه فى الحرم المحرم صيده، أو أنه انفلت منه بعد أخذه، (**فعجبا من ذلك**): أى من كون الذئب عرف حرمة الحرم، وكف عن صيد أمكنه وهو ليس من العقلاء.

(**فقال الذئب**) لما سمع تعجبهما، أو علمه من حالهما: (**أعجب من ذلك**) الفعل الذى صدر منه: (**محمد بن عبد الله**) موجود (**بالمدينة يدعوكم إلى الجنة**) بدعوته للإسلام الذى هو مقتضى لدخولها، (**وتدعونه إلى النار**) بقولكم له: لم لا توافقنا وتعبد آلهتنا مما هو سبب للخلود فى النار، وإنما كان هذا أعجب؛ لأنه مخالف لما يقتضيه العقل، ونطق حيوان أعجم لقدرة الله تعالى، وإقداره ليس بعجيب كهذا فى النظر السديد والعقل السليم، وليس بأغرب من عبادة الحجارة.

(**فقال أبوسفيان: واللات والعزى لئن ذكرت**) بضم التاء وفتحها (**هذا**): أى تكلم الذئب وما قاله (**بمكة**) أى ذكرته لأهلها (**لتتركنا خلوفا**) بضم الخاء المعجمة واللام والفاء مصدر، أو جمع خالف، والمراد تركها خالية من أهلها بأن يسلموا جميعا، ويرتحلون له صلى الله تعالى عليه وسلم ؛ لأن من سمع مثله لا يتردد فى صحة رسالته صلى الله تعالى

عليه وسلم وسعادة من اتبعه، أو المراد يدعها وأهلها متغيرة فاسدة؛ لما يقع بين أهلها من الفساد والفتن باختلاف الكلمة، فالأول من قولهم: أتيت الحى، فوجدته خلوفًا: أى ليس فيه أحد من الرجال بل النساء، ويقال لهن: خوالف؛ لأنهن يخلفن الرجال، والثانى من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم: «لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك» أى رائحة تغيره.

(**وقد روى مثل هذا الخبر**) الذى وقع لأبى سفيان وصفوان (**وأنه جرى لأبى جهل وأصحابه**) أى أنهم شاهدوا مثله، وتعجبوا منه، ولكن الله أشقاه وأشقاهم.

(**وعن عباس بن مرداس**) بكسر الميم وهو من الصحابة، شاعر مجيد وشجاع شهم، وكان ممن حرم الخمر على نفسه فى الجاهلية كالصديق، رضى الله تعالى عنه، وجماعة إلا أنه كان من المؤلفة قلوبهم، ثم حسن إسلامه ونور الله قلبه (**لما تعجب**) لما ظرف متعلق بمقدر: أى وقع ذلك، أو شرطية جوابها قوله فإذا طائر إلخ، فإن جواب لما قد يقترن بالفاء لكنه نادر (**من كلام ضمار**) بكسر الضاد المعجمة وميم وآخره راء مهملة بوزن كتاب كما فى القاموس، وفى بعض نسخ الذيل والصلة للصاغانى بالدال المهملة، وفيه نظر كما قاله البرهان الحلبى (**صنمه**) بالجر بدل من ضمار، فإنه اسم صنم كان يعبده مرداس ورهطه، (**وإنشاده**) بالجر معطوف على كلام (**الشعر**) بالنصب مفعول المصدر، (**الذى ذكر فيه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم**) صفة الشعر، وضمير إنشاده للصنم، وسبب ذلك أن مرداس لما احتضر قال لابنه: يا عباس أى بنى اعبد ضمارا، فإنه سينفعك ويضرك، فتفكر عباس يومًا عند ضمار، وقال: إنه حجر لا يضر ولا ينفع، ثم صاح بأعلى صوته يا إلهى الأعلى اهدنى للتى هى أقوم فصاح صائح من جوف الصنم:

أودى ضمار وكان يعبد مرة	قبل البيان من النبى محمد
وهو الذى ورث النبوة والهدى	بعد ابن مريم من قريش مهتد
قل للقبائل من سليم كلها	أودى ضمار وعاش أهل المسجد

فحرق عباس ضمارا ولحق بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم (**فإذا طائر سقط**) أى خر من الجو بغتة عليه، (**فقال**) الطائر (**يا عباس أتعجب من كلام ضمار**) بالتنوين والصرف إلا أنه وقع فى الشعر غير مصروف، فإن لم يكن ضرورة فهو جائز، وتعجبه لنطق الجماد بما سمع من جوفه وإنكاره لتعجبه؛ لأنه كلام شيطان فى جوفه وكلام الطائر أعجب منه، (**ولا تعجب من نفسك أن رسول الله يدعو إلى الإسلام**) حذف مفعوله للتعميم: أى كل أحد إليه (**وأنت جالس**) فى منزلك متخلف عن إجابة دعوته صلى الله تعالى عليه وسلم التى هى السعادة العظمى، (**فكان ذلك**) المذكور مما سمعه من الصنم

والطائر **(سبب إسلامه)**؛ لأنه لما سمع ما ذكر نهض فى ثلاثمائة فارس من قومه، وهم سليم، فلما رآه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم تبسم، وقال له: يا عباس حدثنا بما رأيت، فقص عليه القصة وأسلم.

وقيل إن ضمارا كان صنما لخزاعة يتحاكمون إليه، وأن قصة نطقه وقعت لعمر بن الخطاب، وكأنه صنم آخر.

والقصة ونطق الأصنام وإخبارها ببعثة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقعت مرارًا، وفيها أخبار مذكورة فى السير، قيل: إنما تركها المصنف؛ لأن النطق المسموع منها من الجن.

(وعن جابر بن عبد الله)، رضى الله تعالى عنهما، فى حديث رواه البيهقى **(عن رجل)** اسمه أسلم وعن الواقدى أن اسمه يسار، وهو رجل أسود كمايأتى، قاتل بخيبر حتى قتل، كما ذكره ابن سيد الناس فى سيرته فى غزوة خيبر **(أتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وآمن به وهو على بعض حصون خيبر)**: قوله: وهو جملة حالية، أى وهو صلى الله تعالى عليه وسلم مقيم عنده لفتحه.

والحصون: جمع حصن وهى القلعة التى يتحصن بها، لا القصر كما قيل، ولا حذف فى هذا الكلام، وقيل الضمير للرجل، ويبعده قوله **(وكان فى غنم يرعاها لهم:)** أى لأهل خيبر، والظرفية بمعنى المعية أو هى مجازية لقوله: (﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ﴾ [النساء:١٠٢]) الآية **(فقال: يا رسول الله فكيف بالغنم؟)** أى كيف أفعل بالغنم إذا أسلمت وهى ملك غيرى وأنا أجير؟ **(فقال)** له صلى الله تعالى عليه وسلم: **(احصب وجوهها)**: أى ارمها فى وجوهها بالحصباء، وهى صغار الحجارة ودقاقها.

وما قيل من أن حكمة هذا أن الحصاة وردت بمعنى الفعل فى قوله:

وإن لسان المرء ما لم يكن له حصاة على عوراته لذليل

ومنه الإحصاء بمعنى العد أو أخذ العلم، والهداية لها إلى أهلها هذيان لا معنى له، وإنما المراد أنه إذا ضرب وجوهها ولت مدبرة فهداها الله ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم للرجوع لمنازل أصحابها حتى يخلص من عهدة ضمانها، كما أشار إليه بقوله **(فإن الله سيؤدى عنك أمانتك)**، وهى الغنم التى أسلمت لك، أى يوصلها ويبلغها، **(ويردها إلى أهلها)**، وهم أصحابها المالكون لها فتخرج أنت من عهدة ضمانها، **(ففعل)** ما أمره به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، **(فسارت كل شاة حتى دخلت إلى أهلها)** وإنما كان هذا؛ لأنه كان مستأمنا وفى يده أمانة لأهل خيبر قبل فتحها، فلذا ردها صلى الله تعالى عليه وسلم لأصحابها مع ما فيه من تطمين قلبه من خروجه من عهدتها، ولذا لم

يجعلها فيئا مع أنه علم أنها ستكون كذلك بعد الفتح.

وقيل: إن الراعى كان عبدًا أسود رقيقا لبعض أهل خيبر، فلما غزاها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وسمع خبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من اليهود جاءه وأسلم: أى أظهر إسلامه، فلا منافاة بينه وبين ما مر وحسن إسلامه، واستشهد فى تلك الغزوة بحجر أصابه أو سهم، ولم يصل صلاة قط، فشهد له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالجنة، وأخبر أنه رأى عنده حوريتان من الحور العين، كما رواه مفصلاً فى دلائل النبوة، وهذا من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم الظاهرة كما لا يخفى.

(وعن أنس) فى حديث صحيح مسند رواه أحمد والبزار: **(دخل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حائط أنصارى)** الحائط معروف ويتجوز به عن البستان، وهو المراد هنا، **(وأبوبكر وعمر ورجل من الأنصار، وفى الحائط)**: أى البستان **(غنم، فسجدت له)** صلى الله تعالى عليه وسلم تعظيما له لما شاهدت من نور نبوته، وألهمها الله تعالى معرفته.

(فقال أبو بكر) لما رأى سجودها له صلى الله تعالى عليه وسلم: **(نحن أحق بالسجود لك منها)** يعنى لو كان السجود لغير الله تعالى، والجار الأول متعلق بالسجود، والثانى بأحق، وفى بعض النسخ تقديم لك على السجود؛ لأنه ظرف يتوسع فيه، ومعمول المصدر غيره لا يتقدم عليه لضعف علمه **(الحديث)** وتتمته أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال له: لا ينبغى لأحد أن يسجد لأحد، وأحد المخصوص بالنفى يشمل الواحد وغيره، ويختص بالعقلاء كما صرحوا به، ففى ذلك إشارة إلى أن الغنم ونحوها من غير جنس الناس، سجودها تعظيما ليس ممنوعا كسجود الكواكب ليوسف، عليه الصلاة والسلام.

(وعن أبى هريرة) قال السيوطى: هذا الحديث رواه البزار بسند حسن، وحديث ثعلبة بن مالك الآتى رواه أبو نعيم، وحديث جابر رواه أحمد والدارمى والبزار والبيهقى، وحديث يعلى بن مرة رواه أحمد والحاكم والبيهقى، رحمهم الله تعالى، بسند صحيح، وحديث عبد الله بن جعفر رواه مسلم، وأبو داود وحديث عبد الله بن أبى أوفى رواه أبو نعيم والبيهقى.

(دخل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حائطًا) أى بستانًا، **(فجاء بعير)** كان فى البستان، **(فسجد له)** صلى الله تعالى عليه وسلم، **(وذكر مثله)** أى مثل الحديث الذى قبله، فقالوا: هذه بهيمة لا تعقل تسجد لك، ونحن نعقل، فنحن أحق أن نسجد لك، فقال صلى الله تعالى عليه وسلم: لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر، ولو صلح لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها لما له من الحق عليها.

(و) روى **(مثله فى الجمل عن ثعلبة بن مالك)** الصحابى، وهو ممن استشهد بأحد،

لكن ذكره ابن عبد البر أنه ثعلبة بن أبي مالك القرظي، وأبوه قدم من اليمن على دين اليهودية، فنزل على بني قريظة، فنسب إليهم، ثم أسلم فقول ابن مالك صوابه ابن أبي مالك.

(وجابر بن عبد الله، ويعلى بن مرة، وعبد الله بن جعفر)، فحديث الجمل، وسجوده روى من طرق متعددة مروية عمن ذكر، والقصة واحدة كما بينه السيوطي.

(قال) كل منهم أو عبد الله بن جعفر: **(وكان لا يدخل أحد الحائط)** من غير أصحاب البستان **(إلا شد عليه الجمل)** شد هنا: بمعنى أسرع، وحمل حملة عليه، قال الراغب: يقال: شد واشتد إذا أسرع، وشد عليه: حمل يعنى أنه كان عقورًا هائجًا على كل من استقر به.

(فلما دخل صلى الله تعالى عليه وسلم عليه) أي على الجمل في البستان **(دعاه)**، وأمره بالإقبال عليه، **(فوضع مشفره في الأرض)** بكسر الميم وسكون الشين المعجمة وفتح الفاء وراء مهملة، وهو في الإبل كالشفة للإنسان، والجحفلة للفرس، والخرطوم للسباع، والمنقار للطير كما بينه أهل اللغة في الفروق.

(وبرك بين يديه) البروك للجمل كالجلوس للإنسان، من البرك وهو صدر الجمل ونحوه، **(فخطمه)** أي وضع زمامه الذي يقاد به في رأسه وعلى فمه؛ لأنه برك عنده صلى الله تعالى عليه وسلم، وانقاد له متذللا بعد ما كان لا يطاق.

(وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم لمن عنده: **(ما بين السماء والأرض شيء)** من الحيوان والطيور وغيرها، والمراد بالأرض الجنس، فيشمل الأراضي السبع **(إلا يعلم)**، وفي نسخة إلا ويعلم **(أني رسول الله)** بعلم خلقه الله فيه، ويلهمه له **(إلا عاصي الجن والإنس)**: أي إلا من عصى الله ورسوله، وكفر؛ فإنه ينكر معرفتي: أي معرفة أني رسول الله حقا، وعاصي يجوز أن يكون مفردًا[1]، وأصله عاصين فحذفت النون للإضافة، والياء لالتقاء الساكنين، وقدم الجن لسبقهم خلقا ومعصية؛ لأن أول من عصى الله إبليس، والأكثر حيث اجتمعا تقديم الجن في القرآن **(ومثله عن عبد الله بن أبي أوفى)** هو وأبوه صحابيان، رضي الله تعالى عنهما، شهدا المشاهد مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وهو الذي دعا له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حين أتى إليه بصدقته، وقال: اللهم صل على آل أبي أوفى، وحديثه مذكور في دلائل النبوة لأبي نعيم والبيهقي كما علمت، ولفظه قريب مما ذكره أولاً.

(وفي خبر آخر في حديث الجمل أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم سألهم عن شأنه)

---

(١) يظهر من السياق أن هنا سقط، ويكون تقديره: [وأن يكون جمعًا...].

لما أبق منهم، وبطش بكل من قرب منه، **(فأخبروه)**، وفي نسخة، فأخبر بالبناء للمفعول **(أنهم أرادوا ذبحه)**؛ لأنه ضعف كما سيأتي.

(وفي رواية: أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لهم: إنه شكا كثرة العمل وقلة العلف) وهو بفتحتين فعل بمعنى المفعول، والمعلوف يطلق على قوت الدواب من الحبوب وغيرها، وشكايته الظاهر أنها بنطق، فهو من المعجزات.

(وفي رواية: إنه شكا إليّ أنكم أردتم ذبحه) ونحره، وأكثر ما يستعمل في الإبل النحر، وفي غيرها الذبح، والفرق بينهما قريب جدا، فلذا استعمل كل منهما بمعنى الأخر، ومعرفته إرادتهم ذبحه بالإلهام **(بعد أن استعملتموه)**: أي أكثرتم العمل به من التحميل ونحوه **(في شاق العمل)**: أي فيما يشق: أي يصعب عليه من العمل، وقولهم: عمل مشق غير مسموع، فكأنه مبني على أن التعدية بالهمزة مقيسة، وفيه خلاف مذكور في كتب اللغة.

(من صغره) إلى أن بلغ الكبر، وعجز عن العمل، **(فقالوا: نعم)** اعترافا بما ذكر، فبئس الجزاء الذي أرادوه، وهذا الحديث أخرجه الطبراني وابن ماجه في سننه في غزوة ذات الرقاع عن جابر وتميم الداري، وفيه أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لهم: ما هكذا جزاء المملوك الصالح يعينه، فابتاعه منه، وأرسله يرعى في الشجر، حتى قوى، والحديث فيه طويل.

(وقد روى) بالبناء للمجهول، قيل: وهذه القصة بهذا التفصيل الآتي لا يعرف راويها **(في قصة)** الناقة **(العضباء)** بفتح العين المهملة وسكون الضاد المعجمة والموحدة والمد، وهي اسم ناقة للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم، ومعناها المشقوقة الأذن، وقد اختلف في ناقته العضباء، والقصواء والجدعاء بالمد فيهما أيضًا، هل هن ثلاثة أو واحدة لها ألقاب متعددة؟ أو اثنتان؟.

فذهب التيمي والعراقي في منظومته إلى أنها واحدة، ولا عضب ولا جدع: أي شق أذن فيها، وإنما هو لقب، وقيل: كان بأذنها عضب أي شق.

وفي البخاري: أن الجدعاء هي التي هاجر عليها، وقيل: إن التي هاجر عليها القصواء.

وعن ابن عباس أنه صلى الله تعالى عليه وسلم خرج ذات ليلة، فمر بناقة باركة في الدار، فقالت: السلام عليك يا نبي الله يا زين القيامة يا رسول رب العالمين، فالتفت لها، وقال: وعليك السلام، فقالت: إني كنت لرجل من قريش، يقال له: أعضب فهربت منه، **فوقعت في مفازة، فكان إذا غشيني الليل احتوشني السباع ينادي بعضها بعضا لا**

تؤذوها؛ فإنها مركب محمد، فإذا أصبحت رتعت نادتنى كل شجرة إلى إلى، فإنك مركب محمد، حتى وقعت هاهنا، فسميت عضباء باسم صاحبها، وفيه أنها قالت له صلى الله تعالى عليه وسلم: ادع الله أن يجعلنى مركبك فى الجنة، فقال: قد قضيت.

وقد قيل: إن هذا الحديث كله فى سنده طعن وقدعلمت أنها واحدة قد سميت عضباء وقصواء وجدعاء بدال مهملة، وصلما ومخضرمة، والكل متقاربة المعانى.

والجدع: قطع طرف الأذن، فإذا بلغ الربع فهو قصو، فإذا جاوزه فهو عضب، فإن استوصل فصلم، ونقل ابن الجوزى عن ثعلب أنها كلها ألقاب لناقة له صلى الله تعالى عليه وسلم، ولا جدع لها ولا عضب، واختاره فى القاموس.

(وكلامها للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم) كلام بمعنى تكليم مصدر، والنبى منصوب به مفعوله، **(وتعريفها له بنفسها)** كما سمعته آنفًا، **(ومبادرة العشب إليها)** بالدال المهملة، مفاعلة من البدار، وهو الإسراع، وقد تقدم أنه كان يناديها إلى إلى، فالمراد طلبه منها أن ترعاه قبل غيره، والعشب بالضم معروف **(فى المرعى)**: أى مكان رعيها، **(وتجنب الوحوش لها)** أى عدم أذيتها وأكلها لها كما مر، **(وندائهم لها: إنك)** معدة **(لمحمد)** ولركوبه، وضميرهم العقلاء، وعبر به لصدور فعل العقلاء منها، وهو النداء كما فى قوله تعالى: ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤] **(وأنها لم تأكل ولم تشرب بعد موته)** صلى الله تعالى عليه وسلم **(حتى ماتت)** من الحزن والأسف على فراقه ﷺ، وقيل: إنها التى اشتراها أبو بكر، رضى الله تعالى عنه، من بنى الحريش مع أخرى بثمانمائة درهم، فلما هاجرا اشتراها صلى الله تعالى عليه وسلم منه بأربعمائة درهم.

وقد ذكر قصتها مفصلة أبو سعيد فى كتاب الشرف، وكان له صلى الله تعالى عليه وسلم نوق أخر كما بينه أصحاب السير **(ذكره الإسفرائنى)**، رحمه الله، وقد تقدمت نسبته وترجمته.

(وروى ابن وهب)، رحمه الله تعالى، وهذا الحديث لم يخرجوه وأما ابن وهب فقد تقدمت ترجمته **(أن حمام مكة)** الموجود بحرمها إلى الآن، والحمام كل ذات طوق برى أو أهلى، وقيل: إنه مخصوص بالبرى، وقيل: إنه كل ما عب وهدر، والعب كرع الماء من غير نفس، والهدير، ويقال: الهديل: ترجيع صوت الطائر المعروف **(أظلت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم)** أى اجتمعت؛ لتجعل ظلها عليه وقاية من الحر.

قيل: ولذا كانت محترمة لا تصاد، وقيل: إنها من نسل حمامتى الغار، وسيأتى. **(يوم فتحها)**: أى فتح مكة، **(فدعا لها بالبركة)**، فأجاب الله دعاءه فيها، وكانت محترمة لا تصاد كما تقرر.

(وروى عن أنس) رواه عنه ابن سعد، والبزار، والطبراني، والبيهقي، وأبونعيم.

(وزيد بن أرقم والمغيرة بن شعبة قال: أمر الله ليلة الغار) منصوب على الظرفية، والغار: غار ثور الذى اختفى فيه صلى الله تعالى عليه وسلم لما هاجر، وقصته مشهورة مذكورة فى القرآن غنية عن البيان **(شجرة فنبتت)** من وقتها، والأمر هنا مجاز عن التسخير كقوله: ﴿**كُونُوا قِرَدَةً**﴾ [البقرة: ٦٥]، فنزلها منزلة المأمور المختار، وروى: بشجرة بالباء الجارة، وهما بمعنى.

والشجرة كانت من الطلح تسمى الراء كما قاله السهيلى، وهى بمقدار القامة، ولها زهر أبيض وبها شىء شبه القطن يحشى به المخاد كالريش خفة ولينا، واحده راه كما فى كتاب النبات، قال الشاعر[1]:

ترى ودك السَّدِيفِ على لحاهم   كمثل الراء لبده الصَّقيع

(تجاه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) تقدم أن التُّجاه بضم التاء المثناة الفوقية المبدلة من الواو، وأصله وجاه: أى فى مقابلة وجهة باب الغار، **(فسترته)** عمن ينظره بحيث لا يراه من طلبه من كفار قريش، **(وأمر)** أى ألهم الله **(حمامتين)** ذكرًا وأنثى، فعششتا وباضتا على تلك الشجرة، **(فوقفتا بفمه)** أى بفم الغار؛ لأن مثله لا يكون إلا بمكان خال من الناس، وورد فى الحديث، فسمت عليهما صلى الله تعالى عليه وسلم أى دعا لهما بالبركة، فانحدرا إلى الحرم، فأفرخا كل حمام به، وفى حديث الأكل **(سموا الله ودنوا وسمتوا)** أى إذا بدأتم بالأكل فكلوا مما يليكم ودنا منكم، وإذا فرغتم فسمتوا أى ادعوا لمن أكلتم عنده، وقيل: إن الشجرة جاءت تسعى من مكان آخر تشق الأرض كما أشار إليه القائل:

قامت إليه سرحة سترته من   نظر العدو بأحسن الأغصان

(وفى حديث آخر) رواه ابن سعد، والبزار، والطبراني، والبيهقي، وأبو نعيم، عن أنس وزيد بن أرقم، والمغيرة بن شعبة، وفيه فسمت عليهما ودعا لهما، وانحدرا إلى الحرم، فأفرخ ذلك الزوج كل شىء فى الحرم كما تقدم **(أن العنكبوت نسجت على بابه)**: أى على باب الغار وفمه، **(فلما أتى الطالبون له)** صلى الله تعالى عليه وسلم الذين قصوا أثره واتبعوه ليأخذوه، **(ورأوا ذلك)** المذكور من الشجرة والحمام والعنكبوت بباب الغار، **(قالوا: لو كان فيه)**: أى فى هذا الغار **(أحد)** من الناس، **(لم تكن الحمامتان)** يقران **(ببابه)** الذى منه المرور، **(والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم يسمع**

---

(١) البيت من الوافر، وهو لبشر بن أبى حازم فى ديوانه (ص١٣٤)، تاج العروس (٣٤٢/٢١)، المعانى الكبير (ص٣٨٢).

كلامهم)؛ لقربهم منه بحيث لو أمعنوا النظر رأوه، **(فانصرفوا)** راجعين تاركين للطلب، وكانوا فتيان من قريش مضوا خلفه صلى الله تعالى عليه وسلم، ومعهم سراقة القائف يقص أثره، فلما انتهوا إلى الغار، رأوا نسج العنكبوت، والحمامتين على بيضهما، فقالوا: إنه لو دخل أحدٌ لم يكن مثل هذا مع قربهم منه، بحيث لو طأطأ أحد رأسه رآه صلى الله تعالى عليه وسلم، وفى هذا معجزات شاعت حتى بلغت حد التواتر.

ورواه المحدثون من طرق كثيرة صحيحة، وقد قال فيها الشعراء كثيرًا، ويعجبنى قول ابن النقيب:

ودود القز إن نسجت حريرا   يجمل لبسه فى كل زى
فإن العنكبوت أجل منها   بما نسجت على رأس النبى

وانظر إلى هذا مع قولى:

على غار ثور عنكبوت بنسجه   لقد حاز فخرًا فاق كل فخار
لذلك دود القز يهلك نفسه   وقد غار من نسج له بفم الغار

وفيه معان أخر لا نطيل بها تنبيه قول البوصيرى فى همزيته[1]:

أخرجوه منها وأواه غار   وحمته حمامة ورقاء
وكفته بنسجها عنكبوت   ما كفته الجنانة الحصداء

الجنانة بنونين: هى الدرع؛ لأنها تجن البدن: أى تستره، والحصداء المحكمة النسج كما فى كتب اللغة، وهذا البيت حرفه شراحه وصاحب المواهب، إذ جعلوه لحمامة الحصداء، أى الكثيرة الريش، وهذا قول من لم يصل إلى العنقود، ويفسره قوله فى البردة[2]:

وقاية الله أغنت عن مضاعفة   من الدروع وعن عال من الأطم

(وعن عبد الله بن قرط) بضم القاف وراء مهملة ساكنة يليها طاء مهملة، وهو صحابى ثمالى، وكان أميرا على حمص من قبل معاوية، وقتل بأرض الروم سنة ست وخمسين، وأخرج له أصحاب السنن، وأحمد فى مسنده وغيرهم، وهذا الحديث رواه الحاكم والطبرانى وأبو نعيم مسندًا **(قُرِّبَ)** بالبناء للمفعول أى أتى بعض الصحابة **(إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بدنات)** جمع بدنة، وهى ما يعد للنحر من الإبل خاصة، ولا تطلق على البقر وغيرها، وإن كانت فى حكمها شرعًا فى الإجزاء عن

---

(١) البيتان من الخفيف، وهما فى ديوان البوصيرى (ص١٣).

(٢) البيت من البسيط، وهو للبوصيرى فى تاج العروس (وقى)، ولم أجده فى ديوانه.

سبعة، وقال ابن الأثير: إنها من الإبل والبقر حقيقة.

وبَدَنَات بفتحات، وقال العزفى: إنه بُدْنات بضم الموحدة وسكون الدال، وَرُدَّ بأنه على خلاف القياس، إلا أن يكون جمع بدن فهو جمع الجمع، وهو بعيد إلا أن تساعده الرواية، وسميت بدنة لعظم بدنها.

(خمس أو ست أو سبع) الشك من الراوى؛ **(لينحرها يوم عيد فازدلفن إليه)** افتعال من الزلفى، وهى القرب أبدلت تاؤه دالاً لأجل الزاء أى تقدمت كل واحدة منهن إليه صلى الله تعالى عليه وسلم ؛ رغبة فى أن يذبحها، وانقيادًا له بإلهام من الله تعالى **(بأيتهن يبدأ)** فى الذبح، وهذه معجزة باهرة.

(وعن أم سلمة) فى حديث رواه الطبرانى، والبيهقى، واسمها هند أو رملة كما تقدم **(كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى صحراء فنادته ظبية)**: أى كلمته بنطق سمعه الناس، لا بلسان الحال، قالت له: **(يا رسول الله)**، فالتفت إليها، فإذا هى موثقة عندها أعرابى نائم.

(قال: ما حاجتك؟) حتى ناديتنى.

(قالت: صادنى هذا الأعرابى ولى خشفان) مثنى خشف بوزن طفل بمعجمتين، وهو الظبى الصغير الذى ولدته أمه **(فى ذلك الجبل)** تشير لجبل بتلك الصحراء، **(فأطلقنى حتى أذهب فأرضعهما وأرجع)** بنصب الأفعال الثلاثة.

(قال: أو تفعلين؟) أى ترجعين إلى أن أطلقتك؟ **(قالت: نعم. فأطلقها)**، والأعرابى نائم لا يشعر بذلك، **(فذهبت)** وأرضعتهما، **(ورجعت فأوثقها)** وربطها كما كانت، **(فانتبه الأعرابى)**، ورأى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عنده، **(فقال لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ألك حاجة؟ قال: تطلق هذه الظبية فأطلقها)** من وثاقها، **(فخرجت تجرى، وهى تقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله)**، فالجملة حالية بتقدير مبتدأ، وقد ذكرنا من روى هذا الحديث، وقد صححه ابن حجر؛ لوروده من طرق أخر، فلا نلتفت لقول ابن كثير: إنه لا أصل له؛ لأن فى سنده مجاهيل، وإنما استأذنه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى ذلك؛ لأنه ملكها بالحيازة، وإتلاف ملك الغير بغير إذنه ممنوع، والواو فى قوله: أو تفعلين؟ محركة عاطفة على مقدر: أى أتقولين ذلك لى وترجعين إلى؟ أو استئنافية على القولين فى مثله، وفى الحديث معجزات ظاهرة.

(ومن هذا الباب) أى باب المعجزات بإطاعة الحيوانات **(ما روى)** قال السيوطى: لم أقف على هذا الحديث هكذا، وأخرج البيهقى أنه وقع لسفينة حين ضل عن الجيش بأرض الروم، إلا أن البخارى ذكره فى تاريخه كما قاله المصنف، فلا اعتراض عليه.

(من تسخير الأسد) أى تذليله وانقياده **(لسفينة مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم)**، وهو من خدمة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وهو الذى لقبه سفينة؛ لأنه رآه فى بعض أسفاره حاملاً لأمتعة، فقال له: إنما أنت سفينة فاشتهر بذلك.

واختلف فى اسمه، فقيل: رومان، وقيل: مهران، وقيل: طهمان، وروى عنه مسلم وغيره من أصحاب السنن، وفى الحديث مناسبة اتفاقية لاسمه.

(إذ وجهه إلى معاذ) بن جبل حال كونه **(باليمن)**، وهو الإقليم المعروف، وسفينة من مولدى العرب، وقيل: من فارس، اشتراه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأعتقه، وقيل: إن أم سلمة أعتقته، فخدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وكان صلى الله تعالى عليه وسلم أرسل معاذ بن جبل لليمن؛ ليجمع الزكاة، **(فلقى الأسد)** فى طريقه **(فعرفه)**: أى قال له **(أنه مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومعه كتابه)**، فألهمه الله تعالى فهم كلامه وكف عنه.

(فهمهم) الهمهمة: صوت لا يفهم، وقيل: صوت فيه بحة، وفى الحديث أن سفينة قال: ظننته السلام يعنى عليه، أو على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، **(وتنحى عن الطريق)** أى تأخر عنه فى ناحية متباعدة عن الطريق؛ إذهابا لخوفه.

(وذكر): أى سفينة **(فى منصرفه)** أى انصرافه ورجوعه من اليمن **(مثل ذلك)**: أى مثل ما وقع له فى ذهابه؛ فيكون لقيه فى سفره هذا مرتين.

(وفى رواية أخرى عنه) أى عن سفينه، وهذه الرواية هى التى رواها البيهقى والبزار وصححها السيوطى فى تخريجه **(أن سفينة تكسرت به)** فى بعض أسفاره، **(فخرج إلى جزيرة فإذا الأسد)**: أى فاجأه بها أسد لقيه فيها، والجزيرة معروفة، **(فقلت)** للأسد: **(أنا مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فجعل)** أى طفق وصار **(يغمزنى)** بسكون الغين المعجمة وكسر الميم وضمها وزاء معجمة، وأصل الغمز الإشارة بالجفن، فتجوز به عن الدفع الخفيف بقرينة قوله: **(بمنكبه)** بفتح الميم وكسر الكاف، وهو رأس الذراع، وما بين الكتف والعنق، **(حتى أقامنى على الطريق)**: أى حتى أتى بى إلى الطريق، ليعرفه بما يذهب فيه.

وقال البيهقى: قال سفينة: وكنت فى البحر، فانكسرت السفينة، فركبت لوحا منها، فأخرجنى إلى أجمة فيها أسد، فرأيته أقبل إلى، فقلت: يا أبا الحارث: أنا مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فأقبل نحوى حتى ضربنى بمنكبه، ثم مشى معى حتى أقامنى على الطريق، ثم همهم ساعة، وضربنى بذنبه فظننته أنه يودعنى، فكان آخر عهدى به، وفيه معجزة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بانقياد الأسد له إذ ذكر اسمه، وكرامة

لسفينة أيضًا، رضى الله تعالى عنه.

(وأخذ، عليه الصلاة والسلام، بأذن شاة) أى أمسكها، وأخذ المتعدى بالباء بمعنى أمسك بخلاف أخذه فهو تضمين **(لقوم من بنى عبد القيس)**: اسم قبيلة مشهورة **(بين إصبعيه)** بكسر الهمزة مثنى إصبع معروف، وفيه لغات عشر تقدمت، **(ثم خلاها)** أى نحى إصبعيه عنها وتركها، **(فصار ذلك)** أى أخذه بأذنها يعنى أثره **(ميسما)** بكسر الميم، أصله موسم، فقلبت واوه ياء من الوسم: وهو الكى، فهو اسم آلة الكى من الحديد، فأطلقت على العلامة وأثرها مجازا كما يطلق على العضو الذى فيه الأثر كما ورد فى الحديث **(فيها)** أى الشاة **(ونسلها بعد)** بالبناء على الضم: أى بعدها أو بعد أخذه وعهده، قالوا: وهذا الحديث لا يعلم من رواه من المحدثين.

(وما روى عن إبراهيم بن حماد بسنده) هذا الحديث رواه ابن حبان لكنهم قالوا: إنه ضعيف **(من كلام الحمار)** ونطقه له صلى الله تعالى عليه وسلم صريحا بمقاله **(الذى أصابه بخيبر)** أى وجده بها لما فتحها، **(وقال له: ما اسمك؟ قال: يزيد بن شهاب)**، وأنه من نسل ستين حمارًا كلها لم يركبها إلا نبى، وقال له: كنت أتوقع أن تركبنى إذ لم يبق من نسل جدى غيرى، ولا من الأنبياء غيرك، وكنت ليهودى فكنت أعثر به عمدًا، فكان يجيعنى ويضربنى، **(فسماه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يعفورًا)** هو فى أكثر النسخ مصروف منون منصوب؛ لأنه مفعول سمى، وروى غير منون قيل: لمنع صرفه للعلمية ووزن الفعل كيعقوب، قاله التلمسانى، أقول: فيه نظر؛ لأن زيادة الواو فيه أخرجته عن شبه الفعل، والظاهر صرفه، ويعفور لم يمنع صرفه لذلك بل للعلمية والعجمة، ألا ترى أن يعفر بضم الياء يصرف؟ لذلك قال فى الصحاح: الأسود بن يعفر بضم الياء منصرف؛ لأنه قد زال عنه شبه الفعل انتهى، وليس فى أوزان الفعل يفعول، وفى هذه المسألة كلام فى شرح التسهيل.

واعلم أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان له حماران يعفور وعفير، وهو الذى رمى نفسه فى البئر كما سيأتى، ويقال: هما واحد، وقال ابن فورك: إنه كان من مغانم خيبر، وقيل: إن عفير كان أشهب، وهو مما أهداه له المقوقس ملك القبط، وكان له حمار آخر أهداه له فروة كان يركبه، وآخر أعطاه له سعد بن عبادة، وقصة يعفور هذه نقلها السهيلى فى الروض عن ابن فورك فى كتاب الفصول، قال السهيلى: وزاد الحوفى فى كتاب الشامل.

(وأنه كان يوجهه إلى دور أصحابه فيضرب عليهم الباب برأسه ويستدعيهم)، ومعنى يوجهه: يرسله إلى جهة، ودور جمع دار، ويستدعيهم بمعنى يطلب منهم إجابة دعوة

رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ؛ لأنهم كانوا إذا خرجوا لدقه الباب، ورأوه علموا أنه يطلبهم لا أنه يكلمهم، لكنه يفهم ما أمره به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بإلهام من الله، وهو من معجزاته إذ سخر له وفهم مراده.

(وأن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما مات تردى) الحمار أى ألقى نفسه وطرحها **(فى بئر)** كانت بالمدينة معروفة لأبى الهيثم بن التيهان، فكانت البئر قبره.

والتردى: تفعل من الردى، وهو الهلاك، وهو مخصوص بهلاك من ألقى نفسه، يقال: تردى من الجبل، وفى البئر إذا سقط أو ألقى نفسه فيها، **(جزعا وحزنا)** على فراق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفقده، **(فمات)**.

وكونه صلى الله تعالى عليه وسلم كان له حمار، وأنه كان يركبه، وأن ركوبه سنة لا كلام فيه، وإنما الكلام فى هذا الحديث، فإنه رواه ابن حبان بسند ضعيف فيه من طعن فيه، حتى قيل: إنه كذب موضوع كما قال ابن الجوزى وغيره، وقال بعضهم: لا أصل له.

(و) مما ذكر من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم فى الجماد والبهائم، ونطقها **(حديث الناقة)** الذى رواه الطبرانى عن زيد بن ثابت بسند فيه مجاهيل، والحاكم عن ابن عمر، وقال الذهبى: إنه موضوع **(التى شهدت)** بنطق بين **(عند النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لصاحبها)** ومالكها الذى قيل: إنه سرقها، فقالت: **(إنه ما سرقها وإنها ملكه)**، فحكم له صلى الله تعالى عليه وسلم بها؛ لأن للقاضى أن يحكم بعلمه، أو نقول: إنه من خصائص الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام.

والحديث هو ما قال زيد بن ثابت: غزونا معه صلى الله تعالى عليه وسلم، حتى إذا كنا بمجمع طرق المدينة، أبصرنا بأعرابى آخذ بخطام بعير، حتى وقف صلى الله تعالى عليه وسلم، وقال: السلام عليك يا نبى الله، فرد عليه السلام، فجاء رجل، وقال: إنه سرق هذا البعير فرغا البعير وهو منصت له، ثم قال للرجل: انصرف فإن البعير شهد بأنك كاذب.... إلى آخره.

(وفى العنز) أى فى حديث العنز الذى أخرجه ابن سعد والبيهقى وابن عدى عن سعد مولى أبى بكر، رضى الله تعالى عنه، **(التى أتت رسول الله)** صفة العنز، وفى نسخة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم **(فى عسكره)** حال: أى وهو فى عسكره، **(وقد أصابهم عطش، ونزلوا على غير ماء)**: أى فى مكان لا ماء فيه، **(وهم زهاء ثلاثمائة)**: أى قريب عددهم تخمينا من ثلاثمائة رجل، وقد تقدم الكلام على زهاء ومعناه وضبطه، **(فحلبها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم)** يحتمل أنه على ظاهره، وأن يكون أمر بحلبها،

والإسناد مجازى **(فأروى)** بلبنها **(الجند)** بأجمعهم لما سقاهم، فشربوا حتى زال ما كان بهم من العطش والرى ضده، ومنه أروى، والعسكر والجيش والجند بمعنى، ففيه تفنن وإسناد أروى للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم؛ لأنه سببه بحلبه وسقيه، فهو مجاز أيضًا إن لم نقل فاعل أروى ضمير يعود على ما حلبه المفهوم مما قبله مع بعد، **(ثم قال)** صلى الله تعالى عليه وسلم **(لرافع)** براء وعين مهملتين بينهما ألف وفاء، بزنة اسم الفاعل من الرفع، علم لصحابى كانت تلك العنز عنده، وتقدمت ترجمته: **(املكها)** أى خذها واتخذها ملكا؛ لأنها لا صاحب لها إذ وجدت بأرض العدو، ويحتمل أن يكون معناه شدها، وأوثقها من ملاك الأمر، أو ملك العجين ونحوه.

(ما أراك) مالكًا لها أو فاعلا ذلك، وهو بضم الهمزة مبنى للمفعول، أى لا أظنك تملكها أو تحفظها، **(فربطها)** وشدها بوثاق ثم ذهب ورجع، **(فوجدها قد انطلقت)** أى انحل وثاقها، ومضت وغابت عنه فالفاء فصيحة.

(رواه) أى حديث هذه العنز **(ابن قانع)** بقاف ونون وعين مهملة، **(وغيره)** من الرواة من غير هذه الطريق، فقد رواه البيهقى، وابن عدى عن جماعة من الصحابة، قالوا: كنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى سفر، وكنا أربعمائة، فنزلنا فى موضع ليس فيه ماء، فشق ذلك علينا، وأعلمناه ذلك، فجاءت شويهة لها قرنان، وقامت بين يديه صلى الله تعالى عليه وسلم، فحلبها وشرب حتى روى، وسقانا حتى روينا، وقال: يا رافع املكها الليلة، وما أراك تملكها، فأخذت لها ووتدت لها ونمت، ثم قمت فى بعض الليل، فلم أجدها، فأخبرت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قبل أن يسألنى، فقال: يا رافع ذهب بها الذى جاء بها، وما قيل من أنها ليست من جنس حيوان الدنيا، وإنما هى ككبش الفداء، وإنما سماها عنزا لكونها على صورتها، لا وجه له، ومثله من خلاف الظاهر يحتاج للرواية، والذى أوهمه ذلك قوله: **(وفيه فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم)** لرافع لما أخبره بانطلاقها: **(إن الذى جاء بها هو الذى ذهب بها)** يعنى الله أو الملك.

(و) من هذا القبيل ما روى أنه، عليه الصلاة والسلام، **(قال لفرسه)** الفرس: واحد الخيل يطلق على الذكر والأنثى إلا أنه مؤنث سماعى، وسمع فرسه وكان له صلى الله تعالى عليه وسلم عدة أفراس مذكورة فى السير بأسمائها، ومن أين ملكها ولا داعى لتفصيلها هنا كما ذكره بعضهم، **(وقد قام إلى الصلاة فى بعض أسفاره)**، والفرس غير مربوط، ولم يأمر أحدا بإمساكه، بل خاطب الفرس وقال له: **(لا تبرح)** أى لا تزل من مكانك الذى أوقفتك فيه، من البراح وهو المكان الواسع، وبرح بمعنى ثبت فى مكانه

بمعنى زال وهو نفى معين، فإذا دخل عليه صار لنفى النفى، وهو إثبات كما هنا فمعناه اثبت والزم كما حققه النحاة وأهل اللغة.

(بارك الله فيك): دعاء له من البركة، وقد تقدم تحقيقها ويأتى أيضًا مع زيادة، **(حتى نفرغ من صلاتنا)** ونتمها، وهو غاية لثباته فى مكانه، **(وجعله قبلته)** أى جعله فى جهة قبلته ساترا ومانعا لمن يمر بين يديه صلى الله تعالى عليه وسلم، وفيه دليل على جواز الاستتار بالحيوان، والكلام عليه مفصل فى كتب الفقه لا حاجة لذكره هنا.

(فما حرك) الفرس **(عضوًا)** من أعضائه، وهو بضم العين وكسرها وسكون الضاد المعجمة معروف، **(حتى صلى)** أى أتم صلاته **(صلى الله تعالى عليه وسلم)**، وفيه معجزة له، عليه الصلاة والسلام، لفهم الحيوان كلامه وطاعته له وانقياده لعلمه بأنه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم.

وفى بعض النسخ هنا زيادة وهى **(ويلتحق بهذا)** المذكور من معجزاته أو من كلام الحيوانات؛ لأن فهم لغة لم يعرفها كفهم العربى كلام العجمى قريب منه ومشابه له **(ما روى الواقدى)** صاحب السير، وهو محمد بن عمر بن واقد قاضى العراق وعالمها، وقد قيل فيه: إنه ضعيف ونسب للوضع، وقيل: إنه مجمع على ضعفه ونازع فيه بعضهم، وقال: كفى برواية الشافعى عنه دليلا على صحة ما رواه، وترجمته فى الميزان مفصلة، وكذا فى أول سيرة ابن سيد الناس **(أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما وجه رسله)** جمع رسول **(إلى الملوك)** من العرب والعجم: أى أرسلهم لجهتهم وناحيتهم، لما فشا الإسلام وقوى، **(فخرج ستة نفر منهم)** أى ستة رجال من الرسل، والنفر اسم جمع للثلاثة فما فوقها إلا أنه يستعمل بمعنى الرجل الواحد كما بيناه فى شرح الدرة، وقد صرح به الكرمانى فى شرح البخارى، وهو عربى فصيح أيضًا، وكان إرساله لهم **(فى يوم واحد)** خرجوا من عنده صلى الله تعالى عليه وسلم فيه، **(فأصبح كل واحد منهم يتكلم بلسان القوم الذى بعثه)** صلى الله تعالى عليه وسلم **(إليهم)** من غير مضى زمان يحتمل التعلم فيه، وتفصيل الرسل ومن أرسلوا إليه مفصل فى السير أيضًا، وهذا معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم لشمول بركته لهم.

(والحديث فى هذا الباب كثير، وقد جئنا منه بالمشهور من ذلك، وما وقع منه فى كتب الأئمة) رضى الله تعالى عنهم، ونفعنا ببركاتهم.

(خاتمة) مما يلتحق بمعجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم فى الحيوانات والجمادات ما ذكر فى بعض الكتب، وشاع فى الأقطار ونظمه الشعراء فى فصيح الأشعار من أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان فى بعض الأحيان إذا مشى غاص قدمه فى الحجارة

بحيث بقى ذلك إلى الآن، وارتسم فيها مثاله بعينه، والناس تتبرك به وتزوره وتعظمه، كما في القدس، ونقل منه لمصر فى أماكن متعددة، حتى قيل: إن السلطان قايتباى اشتراه بعشرين ألف دينار، وأوصى بجعله عند قبره، وهو موجود إلى الآن، وأنه صلى الله تعالى عليه وسلم إذا مشى على الرمل أحيانا لا يكون لقدمة أثر فيه، إلا أن هذا لم يضبط لأن هذا أمر عدمي لا يعرفه إلا من كان حاضرًا ثمة، وقد ذكر هذا السبكى فى تائيته وغيره.

قال الإمام القسطلانى فى المواهب اللدنية: كان صلى الله تعالى عليه وسلم إذا مشى على الصخر غاصت قدماه فيه كما هو مشهور قديما وحديثا على الألسنة، ونطق به الشعراء فى قصائدهم النبوية، والبلغاء فى منثورهم مع اعتضاده بوجود أثر قدمى الخليل، عليه الصلاة والسلام، فى حجر المقام المنوه به فى التنزيل، فى قوله تعالى: ﴿فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ﴾ [آل عمران: ٩٧] البالغ تعيينه، وأنه أثره مبلغ التواتر، وفيه يقول أبو طالب:

وموطئ إبراهيم فى الصخر وطؤه   على قدميه حافيا غير ناعل

وبما فى البخارى من معجزة موسى، عليه الصلاة والسلام، بتأثير ضربه فى الحجر ستًا أو سبعًا، لما فر بثوبه حين اغتسل، وقد صح «ما من معجزة لنبى إلا ولنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم مثلها»، ويؤيده وجود أثر حافر بغلته صلى الله تعالى عليه وسلم فى مسجد بطيبة عرف بها إلى الآن، يقال له: مسجد البغلة، وما ذاك إلا من سره صلى الله تعالى عليه وسلم السارى فيها؛ ليكون أوضح فى الدلالة على أنه أوتى مثل ما أوتى الخليل صلى الله تعالى عليه وسلم على وجه أعلى منه، ونقل المجد الشيرازى عن ابن بكار فى المغانم المطابة بعد ذكره لحافر البغلة، ومسجدها أنه فى غربى هذا المسجد أثر كأنه مرفق، يذكر أنه صلى الله تعالى عليه وسلم اتكأ عليه بمرفقه الشريف، فأثر فيه، وفى آخر أصابعه انتهى.

وممن ذكر أثر البغلة السيد السمهودى فى تاريخ المدينة، وقال: إنه مسجد بنى ظفر من الأوس شرقى البقيع بطرف الحرة الغربية، ويعرف بذلك.

وذكره ابن النجار فى تاريخه أيضًا، لكن قال الشيخ محمد بن يوسف الدمشقى فى سيرته: إن هذا لا وجود له فى شىء من كتب الحديث، وممن أنكره الشيخ برهان الدين التاجى، وقال السيوطى فى فتاويه: لم أقف له على أصل ولا سند، ولا رأيت من خرجه فى شىء من كتب الحديث، وتبعه تلميذه العلقمى فى شرح الجامع الصغير، وزاد أنه لم يوجد فى شىء من التواريخ المعتمدة، فلا يسوغ نسبته له صلى الله تعالى عليه وسلم، وقد تعقبه من علماء عصرة الشيخ الصالح المحدث أحمد المتولى شارح الجامع الصغير،

فقال بعد ما ساق ما قلناه مفصلاً: سبحان من لا ينسى كيف سها السيوطى؟ وقد قال فى خصائصه الصغرى: إن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما وطئ على صخر إلا وأثر فيه وعزاه للحافظ رزين العبدرى، انتهى.

قلت: لا سهو ولا نسيان، فإن السيوطى، رحمه الله تعالى، لم يذكرهذه المعجزة، وإنما أنكر ما يؤثر بعينه فى الأماكن التى ذكروها، وكذا ما قاله صاحب المواهب إلا أن ما نقله السيوطى من قوله:» ما وطئ صلى الله تعالى عليه وسلم على صخر إلا وأثر فيه» لا ينبغى؛ لأن الظاهر أنه كان أول البعثة ككلام الحجر والشجر الذى تقدم، وأما كونه لا أثر لقدمه صلى الله تعالى عليه وسلم فى الرمل، فقد رواه ابن سبع والنيسابورى وغيرهما بسند ضعيف، وقال: إنه صلى الله تعالى عليه وسلم ألطف خلق الله وأخفهم، ولذا لم يؤثر مشيه فى الرمل، ولا ينافيه تأثيره فى الحجارة، فإنما هو لبقاء أثره وتبكيت حاسديه وأنهم أقسى من الحجارة إلا أنه وقع فى الإحياء ما يقتضى خلافه؛ لأنه نقل فيه أثرًا، فيه أن بعض الصحابة أنكر على أبى موسى، رضى الله تعالى عنه، دعاءه على المنبر لعمر، رضى الله تعالى عنه، إذ لم يذكر أبا بكر، رضى الله تعالى عنه، فقام بين الملأ بالمسجد وقال له: أين من كان قبله، فشكاه لعمر، رضى الله تعالى عنه، فأمر بإشخاصه إليه من البصرة، فلما جاءه دق عليه الباب، فخرج إليه وقال له: أزعجتنى من وطنى، فسأله عن سبب شكاية أميره منه، فقص عليه القصة، فبكى، رضى الله تعالى عنه، وقال: والله ليوم وليلة لأبى بكر، رضى الله تعالى عنه، خير من خلافتى، يعنى باليوم لما قام على المنبر خطيبًا يوم مات النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، وبالليلة ليلة ذهابه معه إلى الغار، فكان يمشى تارة خلفة، وتارة أمامه، وتارة يحمله، يقصد بذلك إخفاء أثر أقدامه فى الرمل حتى لا يشعر به من يقص أثره.

قلت: وكان هذا هو مستند ابن خلدون فى مقدمة تاريخه إذ ذكر فيها أن الدعاء للسلاطين فى الخطبة سنة، وإن كان الزركشى قال فى كتاب أحكام المساجد: إنه بدعة ينبغى تركها لخوف الفتنة فاعرفه، فإنه من الفوائد النفيسة الجليلة.

* * *

[فصل من معجزاته ﷺ فى إحياء الموتى وكلامهم]

(فصل) من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم **(فى إحياء الموتى وكلامهم)** له صلى الله تعالى عليه وسلم، و»**إحياء**» مصدر مضاف لمفعوله، وفاعله الله أوالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لأنه سببه، وإن كان الفاعل الحقيقى هو الله، وهو أعظم معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم، ولذا قال فى البردة:

لـو ناسبـت قـدرة آياتـه عظمـا أحيى اسمه حين يدعى دارس الرمم

وقد تكلم الناس فى معنى هذا البيت وأورد عليه أن من جملة معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم القرآن، وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم: «آيه من كتاب الله خير من محمد وآل محمد» فكيف لا يكون فى معجزاته ما يناسب مقداره فى الشرف.

وأجيب: بأن المراد بمعجزاته ما أحدثه الله، تعالى، على يديه، والقرآن صفة لله قديمة، ومعناه أنه لا يعد شيئًا من معجزاته عظيمًا بالنسبة إليه إلا أن يكون منها أن كل أحد لو دعا باسمه وتوسل به فى إحياء الموتى وقع له ذلك بأن يقول: اللهم إنى أسألك بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم أن تحيى صاحب هذا القبر، وليس عطف الكلام من عطف الخاص على العام كما توهم.

(وكلام الصبيان) الذى فى المهد لم يصلوا لسن يتكلم فيه مثلهم، ولذا عطف على كلام الموتى؛ لأنه ليس من شأنهم الكلام، وأخره لأنهم أحياء من شأنهم الكلام فهو دونه مرتبة.

(والمراضع) جمع مرضع اسم مفعول، وهو الولد الصغير على القياس، وليس جمع راضع على خلاف القياس كما قيل، وليس جمع مرضع بكسر الضاد، وهو الأم؛ لأنه ليس فيه خرق للعادة ولا مرضعة بالفتح بمعنى بنت صغيرة ترضع وإن كان الأحسن أن يقول: الأطفال؛ لأنه عطف تفسير للصبيان بمعنى من ابتدأ رضاعه؛ والأطفال كالصبيان لا تؤدى مؤداه الذى قصده.

(وشهادتهم له صلى الله تعالى عليه وسلم بالنبوة) أى قول من فى المهد: إنك نبى الله ورسوله وعطفه على كلام الصبيان من عطف الخاص على العام، ثم شرع فى إثبات ما ذكره بحديث أورده أبو داود مسندًا عن أبى هريرة، رضى الله تعالى عنه، فقال:**(حدثنا أبو الوليد هشام بن أحمد الفقيه)** أى المتبحر فى معرفة الأحكام الشرعية الفرعية، وقيل: المراد به العالم بالعلوم الشرعية مطلقاً **(بقراءتى عليه والقاضى أبو الوليد محمد بن رشد)** علم منقول من [الرشد] ضد الغى، وهو محمد بن أحمد بن رشد، الإمام فى كل فن، الجليل قاضى قرطبة، تولى قضاءها بعد أبى القاسم بن حمدين سنة أحد عشرة وخمسمائة، ثم عزل سنة أربع عشرة وولى أبو القاسم، وذلك فى سلطنة يوسف بن تاشفين، **(والقاضى أبو عبد الله محمد بن عيسى التميمى)** الذى تقدمت ترجمته **(وغير واحد سماعاً وإذناً)** يعنى أنه سمع منهم وأذنوا له فى الرواية عنهم **(قالوا: حدثنا أبو على الحافظ)** الغسانى الذى تقدم، قال:**(حدثنا أبو عمر الحافظ)** هو ابن عبد البر الإمام المشهور كما تقدم، قال:**(حدثنا أبو زيد عبد الرحمن بن يحيى)** ابن محمد، المعروف بابن

العطار، قال:(**حدثنا أحمد بن سعيد**) تقدمت ترجمته، قال: (**حدثنا ابن الأعرابى**) تقدم، قال:(**حدثنا أبو داود**) الإمام صاحب السنن، قال:(**حدثنا وهب بن بقية**) الواسطى أبو محمد ويقال له وهبان، توفى سنة تسع وثلاثين ومائتين، وروى له مسلم، وأبو داود، والنسائى، (**عن خالد، هو الطحان**) هو خالد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن يزيد، المعروف بالطحان، كان من الزهاد الصالحين، يقال:إنه اشترى نفسه من الله ثلاث مرات فتصدق بوزنه فضة، توفى سنة تسع وتسعين ومائة، وولد سنة عشر ومائة، وأخرج له أصحاب الكتب الستة، (**عن محمد بن عمرو**) بن علقمة، وله ترجمة فى الميزان، (**عن أبى سلمة**) أحد الفقهاء السبعة كما تقدم، (**عن أبى هريرة**)، رضى الله تعالى عنه: (**أن يهودية**) من يهود خيبر، اسمها زينب بنت الحارث، امرأة سلام بن مشكم صاحب الكنز، وهو من بنى النضير، وقيل: إنها زينب أخت عبد الله بن سلام (**أهدت للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم بخيبر شاة مصلية**) أى مشوية، من صلاه بالنار إذا شواه، وأصلها مصلوية، فقلبت الواو ياء وأدغمت وكسر ما قبلها (**سمتها**) أى وضعت فيها السم، يقال:سممته أنا، والعامة تقول:سميته، وهو خطأ كما قال السراج الوراق، رحمه الله تعالى:

رزقت بنتا ليتها لم تكن فى ليلة كالدهر قضيتها
فقيل ما سميتها قلت لو مكنت منها كنت سميتها

وقد يقال: أصله سممتها بثلاث ميمات، أبدلت الثالثة ياء على القياس (**فأكل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منها وأكل القوم**) الذين كانوا معه من الصحابة، رضى الله تعالىعنهم، أى شرعوا فى الأكل (**فقال**) صلى الله تعالى عليه وسلم (**ارفعوا أيديكم**) أى كفوها عن الأخذ منها للأكل وابعدوا أيديكم عنها، وأصل الرفع الإعلاء، فكنى به عما ذكر وشاع حتى صار حقيقة فيه، (**فإنها أخبرتنى أنها مسمومة**) وهو محل الشاهد؛ لأنها كلمته صلى الله تعالى عليه وسلم وهى ميتة بكلام لم يسمعه غيره، ولو شاء الله أسمعهم كلامها (**فمات بشر بن البراء**) بفتح الباء الموحدة والراء المهملة والمد، ابن معرور بسكون العين المهملة، وفتحها خطأ، وهو صحابى خزرجى، شهد العقبة وبدراً، قيل:إنه مات فى الحال، وقيل: لم يزل مريضاً حتى مات بعد سنة، (**وقال**) صلى الله تعالى عليه وسلم (**لليهودية: ما حملك على ما صنعت؟**) من السم ووضعه حتى حصل منه ما حصل، وهو مجاز مشهور من الحمل المشهور من قوله:حمله كذا وحمله عليه، إذا كلفه به، قال الله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾ [الجمعة: ٥]، أى كلفوا أن يقوموا بحقها فلم يفعلوا، فالمعنى:ما دعاك لصنعك هذا؟ (**قالت:**) الداعى أنى أردت معرفة حالك واختبارك (**إن كنت نبيًا لم يضرك ما**) وفى نسخة «الذى» (**صنعت**) من وضع السم وأكلك له، (**وإن كنت ملكاً**) بكسر اللام أى سلطاناً (**أرحت الناس منك**) بموتك، فلم

يضره السم ضررًا يظهر لغيره، علم بذلك أنه نبى.

وهذه معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم لأن الله عصمه من أذى الناس، و لم يمكن أحدًا من قتله صلى الله تعالى عليه وسلم بأى طريق كان، فإنما احتجم بعده كما روى هنا بيانًا لاستحباب المداواة وتعليمًا للأمة، ولذا لم تخبره الشاة قبل الأكل، ولينال مرتبة الشهادة العظمى من غير إهانة له صلى الله تعالى عليه وسلم، واختلف فى السم هل كان فى الشاة كلها، وفى الذراع زيادة على غيره؛ لأنها سألت: ما أحبها إليه صلى الله تعالى عليه وسلم؟، فقالوا: الذراع، أو كان فى الذراعين فقط، لذلك ذهب إلى كل منهما ناس، وإنما سألها صلى الله تعالى عليه وسلم لتقر، فتتبين القصة؛ ولأنه كان بينه وبين اليهود عهد، وهذا نقض له.

(قال) أى أبو هريرة راوى الحديث كما ذكره البيهقى، وإن كان رواه مرسلاً فى محل آخر **(فأمر بها)** أى بقتلها، **(فقتلت، وقد روى هذا الحديث)** أى حديث أبى هريرة، رضى الله تعالى عنه، من طريق آخر فى الصحيحين **(عن أنس)** بن مالك، **(وفيه)** أى فيما رواه أنس **(قالت: أردت قتلك)** إن لم تكن نبيًا كما مر، **(فقال)** لها **(ما كان الله ليسلطك)**، من التسليط والسلاطة، وهى التمكن من القهر والأذية كما قال الله، تعالى، ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٩٠] **(على ذلك)** أى القتل، وروى «على» مشددًا بجر ياء المتكلم والكاف مكسورة؛ لأن الخطاب لمؤنث كما قاله التلمسانى، **(فقالوا: أنقتلها)** وفى نسخة «نقتلها» بتقدير همزة الاستفهام، وفى أخرى «ألا نقتلها»، **(قال: لا)** تقتلوها، ولعل هذا كان قبل موت بشر بن البراء، وبهذا يجمع بين هذه الرواية وبين رواية أبى هريرة أنه قتلها، وبه يجاب عما قيل: إنه مشكل؛ لأنه كيف يعفى عنها مع قتلها للبراء، إلا أن يقال: إن البراء عفى عنها، أو على أنه لا يقتل بالسم، وإنما يستحق الدية على ما فصل فى كتاب الفقه.

(وكذلك روى) بالبناء للمجهول، أى روى هذا الحديث **(عن أبى هريرة من رواية غير ابن وهب)** بن بقية شيخ أبى داود أنه روى و**(قال: فما عرض لها)** «عَرَضَ» بفتحتين، بمعنى تعرض المشدد، أى تركها.

(ورواه أيضًا جابر بن عبد الله) كما فى سنن أبى داود والبيهقى، **(وفيه)** أى فيما رواه جابر **(أخبرتنى به)** أى بالسم الذى فيها **(هذه الذراع)** أى ذراع الشاة، وهو مؤنث سماعى، ولذا قال: هذه، وكذا الفخذ الآتى مؤنث.

(قال) جابر، رضى الله تعالى عنه: **(ولم يعاقبها)** أى لم يقتلها، وفى بعض النسخ **(وفى رواية الحسن)** البصرى: **(إن فخذها)** هو بفتح الفاء وكسر الخاء وسكونها ما فوق الساق

(كلمتنى) أى قالت لى: **(أنها)** أى الشاة**(مسمومة)** إما لأن السم عمها أو فى ذراعها فقط كما مر، وهذا لا ينافى ما مر من أن الذراع كلمته؛ لأنه لا مانع من أن تكلمه الذراع والفخذ معًا، ويكون عود الضمير للفخذ بناء على أحد الوجهين.

(وفى رواية أبى سلمة بن عبد الرحمن قالت: إنى مسمومة، وكذلك) أى مثل هذه الرواية **(ذكر الخبر)** السابق **(ابن إسحاق)** فى سيرته، **(وقال فيه:فتجاوز عنها)** أى عفى عنها و لم يقتلها فى أول الأمر، ثم لما مات بشر بن البراء قتلها به كما مر فى الجمع بين الروايتين، أو لم يقتلها بسببه إما لأنه لا يوجب القتل أو لأمر آخر رآه.

(وفى الحديث الآخر) الذى رواه الشيخان **(عن أنس أنه قال: فما زلت أعرفها)** أى أعرف الفعلة التى فعلتها اليهودية **(فى لهوات رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم)** بفتح اللام والهاء والواو جمع لهاة بوزن قناة، وهى لحمة فى أقصى سقف الفم تنطبق على آخر اللسان وأول الحلق، وهى لا ترى إلا إذا فتح الفم انفتاحًا تامًا، فكأنه يريد بها الفم بإطلاق الجزء على الأقل كما فى قولهم «اللهى تفتح اللها» فكان لها أثر فى ظاهر فمه من بثر ونحوها؛ لأن الإطلاع على حقيقتها بعيد، وقيل: المراد أنها أثرت فى صورته تأثيرًا قليلاً يظهر لمن تأمله، فأراد باللهاة الصوت، ولا يخفى ما فيه، والحديث فى البخارى وفيه كلام فى شروحه.

والحاصل: أنهم اختلفوا فى قتلها كما مر، وعن ابن شهاب أنها أسلمت فتركها لإسلامها، وفى الروض الأنف أنه تركها أولاً؛ لأنه كان لا ينتقم لنفسه، فلما مات بشر قتلها قصاصًا به، إلا أن فيه أن فقهاءنا والشافعى قالوا: إن من قدم لضيفه طعامًا مسمومًا فأكل منه وهو لا يعلم فمات لا يجب القصاص، ولذا قيل: إنه إنما قتلها سياسة أو لنقض العهد، والقصاص يجب فيه المماثلة، والذى فى البخارى أن اليهود سموها لا ينافيه، لأنه كان بأمرهم واتفاق منهم.

(وفى حديث) عن **(أبى هريرة)**، رضى الله تعالى عنه، الذى رواه عنه ابن سعد بسند صحيح **(أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال فى وجعه)** يعنى مرضه فعبر عنه بلازمه **(الذى مات فيه)** أى مات متلبسًا به أو فى زمنه، وروى منه بدل فيه **(:ما زالت أكْلة)** بضم فسكون، وهى ما يؤكل كالغرفة لما يغرف؛ لأن فعلة بالفتح للمرة، وبالكسر للهيئة، وبالضم للمقدار كما قاله النحاة **(خيبر)** بمنع الصرف، بلدة على أميال من المدينة أهلها يهود. **(تعادنى)** بضم المثناة الفوقية وفتح العين المهملة وألف ودال مهملة مشددة ونون الوقاية وضمير المتكلم، أى تعود إلىّ مرة بعد مرة أخرى فى أوقات معلومة، من العداد، وهو كما قال ابن الأثير:ما يأتى لوقت كالحمى والسم، وقال السهيلى: تعادنى

بمعنى تعتادنى، وقيل: هو ما يهيج بعد سنة من ألم لدغ ونحوه، وليس المراد بالألم نقص فى الذوق؛ لأنه لا يعد مثله ألم.

وما قيل من أن المراد مكابرة فى المحسوس لا وجه له، مع أنه لا ينافى قوله **(فالآن)** مبنى على الفتح ولا يستعمل بغير «أل»، وهو الزمن الحاضر **(أو إن قطعت)** أى الأكلة بسمها وتأثيره. **(أبهرى)** بهمزة مفتوحة وموحدة وهاء وراء مهملة بزنة أفعل التفضيل، وهو عرق كبير متصل بالقلب أو داخله، وهما أبهران، وقيل: هو الوريد، وهو إذا انقطع يموت صاحبه، وقيل: إنه الأكحل، وموته بهذا السم لا ينافى قوله تعالى: ﴿**وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ**﴾ [المائدة: ٦٧] إلى آخره، لا لأنه قبل نزول هذه الآية، بل لأن المراد عصمته صلى الله تعالى عليه وسلم من قتلهم له بسيف ونحوه مجاهرة، بحيث يظهر فى وقته، وهذا مع أنه سم ساعة لم يظهر فيه صلى الله تعالى عليه وسلم حتى عد من معجزاته لخفاء أثره، وإنما قدر الله تعالى، تأثيره فيه بعد زمان ليرزقه، الله تعالى، الشهادة، وهذا مما لا دخل لمخلوق فيه.

ومرضه الذى مات فيه صلى الله تعالى عليه وسلم كان حمى مع صداع، وروى أبو يعلى بسند ضعيف: أنه ذات الجنب، وأورد عليه: أنه صلى الله تعالى عليه وسلم لد بقسط وزيت فلما أفاق صلى الله تعالى عليه وسلم قال: «كنتم ترون أن بى ذات الجنب، ما كان الله تعالى ليجعل لها علىّ سلطانًا والله لا يبقى أحد فى البيت إلا لد ففعلوه»[1]، واللدود دواء ذات الجنب.

وقد ورد: أن ذات الجنب من الشيطان، وأجيب بأن ذات الجنب قسمان حار يكون فى مستبطن الحشاء وهو المنفى، وآخر يكون بين الأضلاع وهو المروى فى الحديث المذكور، والحمى المذكورة إنما كانت بسبب ذلك السم.

(وحكى ابن إسحاق إنْ) بكسر الهمزة وتخفيف النون الساكنة المخففة من الثقيلة، واسمها مقدر أصله إنهم **(كان المسلمون ليرون)** بفتح اللام وهى لام الابتداء، ويرون بضم المثناة التحتية أى يجوزون، ويجوز فتحها. **(أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مات شهيداً)** بسم الشاة ليكرمه الله بنيل الشهادة. **(مع ما أكرمه الله به من النبوة، وقال ابن سحنون)** بضم السين وفتحها ومنع الصرف وهو محمد بن عبد السلام المالكى الإمام المشهور عمدة مذهب مالك كما تقدم: **(أجمع أهل الحديث أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قتل اليهودية التى سمته)** كما مر فى بعض الروايات مع ما فيه.

ودعواه الإجماع مع هذا غير مسلمة منه، وكون الرواية الأخرى مؤولة عنده كما مر

(١) أخرجه ابن سعد فى الطبقات (٣١/٢/٢).

لا تصفى كدره وإليه أشار المصنف، رحمه الله، بقوله: **(وقد ذكرنا اختلاف الروايات فى ذلك)** الدال على خلاف ما قاله ابن سحنون: **(عن أبى هريرة وأنس بن مالك وجابر)**، وغيرهم من الصحابة، رضى الله تعالى عنهم، فمع ذلك كيف تصح دعوى الإجماع.

وما ذكر فى الحديث الذى قبل هذا من كون آثار السم تشاهد فى لهواته من تتمة القصة، فلا ينافى كون الفصل معقودًا لإحياء الموتى كما توهم، وكذا ما ذكر فى هذا الحديث.

(وفى رواية ابن عباس) التى رواها ابن سعد **(أنه)** صلى الله تعالى عليه وسلم **(دفعها)** أى سلم المرأة التى سمته. **(لأولياء بشر بن البراء فقتلوها)** يعنى ورثته الذين لهم دعوى القصاص.

(وكذلك) أى مثل ما اختلف فى قتل من سمه وحكمه **(قد اختلف فى قتله من سحره)** وفى نسخة « الذى سحره» وهو رجل يهودى من بنى زريق يقال له: لبيد بن الأعصم، كما صرح به بعد سحره صلى الله تعالى عليه وسلم حتى كان يخيل له أنه يفعل الشىء وما يفعله، ثم شفاه الله تعالى، منه كما سيأتى الكلام على قصته فى كلام المصنف، رحمه الله تعالى.

(وقال الواقدى: وعفوه عنه) أى الساحر **(أثبت)** أى أقوى وأصح، وأصل معناه: أشد ثبوتًا ولزومًا فاستعير لما ذكر **(عندنا)** معاشر أهل السنة والحديث.

(وروى عنه أنه قتله)، وفى الوفاء عن زيد بن أرقم قال: سحر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رجل يهودى، فاشتكى لذلك ألمًا فأتاه جبريل، عليه الصلاة و السلام، فقال له: إن رجلاً من اليهود سحرك فعقد لك عقدًا فى بئر كذا وكذا، فأرسل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عليًا فاستخرجها وجاء بها وحلها، فجعل كلما حل عقدة وجد لذلك خفة، فقام كأنما نشط من عقال، فما ذكر لذلك اليهودى ولا أراه فى وجهه قط، وقال الثعلبى: إنهم قالوا له صلى الله تعالى عليه وسلم: أما تأخذ الخبيث فتقتله، فقال: « أما أنا فقد شفانى الله وأكره أن أثير على الناس منه شراً بسببى»[1] وقتل الساحر ذكره الفقهاء مفصلاً فى الفروع، وفى السحر وجواز تعلمه كلام مشهور بيناه فى غير هذا المحل.

(وروى الحديث) أى حديث الشاة المسمومة السابق لا حديث السحر كما توهم **(البزار عن أبى سعيد)** الخدرى **(فذكر مثله إلا أنه قال فى آخره: فبسط يده)** مدها صلى

---

(١) أخرجه البخارى (١٤٨/٤، ١٧٨/٧)، ومسلم (٢١٨٩/٤٣)، وأحمد (٥٧/٦، ٦٤)، والبيهقى فى الكبرى (١٣٥/٨)، وفى دلائل النبوة (٢٤٧/٦).

الله تعالى عليه وسلم ليتناول من لحمها، **(وقال)** لمن عنده من الصحابة: **(كلوا)** متبركين **(بسم الله فأكلنا منها فلم يضر منا أحداً)** وهو مصادم لحديث البراء الصحيح الذى تقدم، وقال السيوطى نقلاً عن الشيخ ابن حجر: إن هذا الحديث منكر.

(قال القاضى أبو الفضل) عياض مصنف هذا الكتاب، **(رضى الله تعالى عنه: وقد خرج حديث الشاة المسمومة أهل الصحيح)** الذين اعتنوا بتصحيح الحديث وروايته، **(وخرجه الأئمة)** فى كتبهم كأصحاب السنن، **(وهو حديث مشهور)** بين المحدثين، **(واختلف أئمة أهل النظر)** من المتكلمين وغيرهم من نقاد الحديث **(فى هذا الباب)** أى باب خلق الله الكلام فى أجسام غير ناطقة، ثم بين وجوه اختلافهم بقوله: **(فمن قائل يقول: هو كلام يخلقه الله فى الشاة الميتة)** بالتشديد والتخفيف، **(أو الحجر، أو الشجر)** ولما كان الكلام يطلق عند المتكلمين على اللفظى والنفسى بالاشتراك أو الحقيقة فى الأول، والمجاز فى الثانى، أو بالعكس، أشار إلى أن المراد الأول بقوله: **(وحروف وأصوات)** أى هواء يخرج من الجسم متكيف بكيفية مخصوصة، ومجموعها هو الحروف ذات المخارج المعروفة، وهو معطوف على قوله: كلام **(يحدثها)** أى يوجد تلك الحروف والأصوات **(فيها)** أى فى تلك الأجسام بلا حياة مخلوقة فيها؛ لعدم توقفها عليها.

(ويُسمعها) بضم التحتية: أى يجعلها مدركة بالسمع لمن شاء من خلقه الأحياء **(منها)** أى من تلك الأجسام لا من الأصوات والحروف كما قيل، **(دون تغيير أشكالها)** جمع شكل بفتح فسكون، وهو الصورة والهيئة، ومنه المشاكلة، قال الله تعالى: ﴿وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ﴾ [ص: ٥٨]، أى هو مثله فى الهيئة، ومنه قولهم: الناس أشكال وآلاف، وهو من الشكل بمعنى تقييد الدابة كما قال الراغب، فقوله: **(ونقلها من هيئتها)** أى نقلها من هيئتها الأصلية إلى هيئة أخرى لذوات الأرواح والنطق.

(وهو) أى عدم لزوم ما ذكر **(مذهب الشيخ أبى الحسن)** الأشعرى إمام أهل السنة، **(والقاضى أبى بكر)** الباقلانى فعندهما الحياة ليست بشرط لخلق الكلام فى الأجسام.

(و) قوم **(آخرون)** من أهل السنة **(ذهبوا إلى)** اشتراط ذلك، وإلى **(إيجاد الحياة بها أولاً)** قبل نطقها وصدور الكلام منها، **(ثم الكلام بعده)** أى بعد إيجاد الحياة بها.

(وحكى هذا أيضًا عن شيخنا أبى الحسن) الأشعرى كما حكى القول الأول عنه، فله قولان فى هذه المسألة، والضمير لأهل السنة المعلوم من السياق، والشيخ هو المسن، وشاع بمعنى الأستاذ كما مر، ولا يلزم أن يكون المصنف، رحمه الله تعالى، أدركه وتتلمذ له كما لا يخفى فى مثله.

(وكل) من القولين **(محتمل)** اسم الفعول:أى جائز عقلاً، فيحتمل فيما صدر عنه

النطق أن يخلق الله فيه حياة، وأن ينطقه بدونها، ولا تناقض على ما قررناه فى كلام الشيخ حتى يحتاج لحمل أحد قوليه على الكلام النفسى؛ لاستلزامه الحياة كاستلزام العلم لها، والآخر على اللفظى لعدم استلزام خلقه فى محل خلقها فيه، ومثل هذا لا يلتفت له حتى يسود به وجه الصحف كما لا يخفى.

(**إذا لم تجعل الحياة شرطا لوجود الحروف والأصوات**)، وحينئذ يحتمل أنه تعالى خلق فيها حياة ويحتمل أنه أنطقها بدون ذلك، إذ لا يشترط وجوده ولا عدمه، (**إذ لا يستحيل**) ويمتنع عقلا (**وجودها**) أى الحروف والأصوات، (**مع عدم الحياة بمجردها**): أى وحدها من غير جارحة وحياة ونحوها، (**فأما إذا كانت**) أى الحروف والأصوات أو هذه العبارة التى هى الكلام، فالتأنيث لمراعاة الخبر فى قوله: (**عبارة**) أى معبرًا بها، والظاهر الثانى (**عن الكلام النفسى**) الذى يعبر به عندهم، وتحقيق الكلام النفسى والفرق بينه وبين العلم فيه كلام طويل فى علم الكلام يضيق طوق المقام عنه.

(**فلابد من شرط الحياة لها**)؛ لأنها العلم أو مستلزمة له، وعلى كل حال فلابد من الحياة فيها، (**إذلا يوجد كلام النفس إلا من حى**) إذ لابد له من نفس تقوم به، والنفس لا تكون إلا ذات حياة، وأما الكلام اللفظى فلا يشترط فيه ذلك (**خلافا للجبائى**) بضم الجيم وفتح الباء الموحدة المشددة والمد وياء نسبة إلى الجباء قرية بالسواد، وهو أبو على محمد بن عبد الوهاب بن سلام مخفف اللام ابن خالد بن حمدان بن أبان مولى عثمان بن عفان البصرى رئيس المعتزلة مات سنة ثلاث وثلاثمائة (**من بين سائر متكلمى الفرق**) أى فرق أهل السنة والمعتزلة، فإنه تفرد (**فى إحالة وجود الكلام اللفظى**) أى عده محالا عقلا وعادة، (**والحروف والأصوات إلا من حى مركب**) قائم بحسب الصورة (**على تركيب من يصح منه النطق بالحروف والأصوات**) بأن يكون جسمًا له آلة نطق وجوف، ثم لما ورد عليه ما تواتر عن نطق غيره قال دفعا له يلتزمه وإليه أشار بقوله: (**والتزم ذلك**) أى وجود التركيب المذكور (**فى الحصا**) بمهملتين جمع حصاة، (**والجذع والذراع**) الذى نطق له صلى الله تعالى عليه وسلم لتواتره، (**وقال: إن الله خلق فيها حياة وخلق لها فمًا**) أى أبدعه وميزه عن غيره من الأعضاء كما خرق سمعه وشقه إذا أبرزه وصوره (**ولسانًا وآلة**) للكلام (**أمكنها**) أقدرها وجعلها متمكنة بها (**من الكلام**) والنطق (**وهذا**) أى المذكور من الآلة والأعضاء دعوى بلا بينة إذ (**لو كان**) أى ما دعاه وقع فى الخارج (**لكان نقله**) أى وجد نقله وسمع فكان فيهما تامة.

(**والتهمم به**) تفعل من الهم أى الاهتمام، والاعتناء به (**آكد**) بالمد وأوكد بالواو بمعناه: أى أقوى وأشد (**من التهمم بنقل تسبيحه**):أى تسبيح الحصا (**وحنينه**) أى الجذع

كما تقدم، والأمر بالعكس، فإنه نقل تسبيحه وحنينه ونطقه نقلاً شائعا لم ينقل أنه رؤى له فم ولا لسان، فما ذكره مكابرة فى المحسوسات ودعوى شهد الحس بخلافها.

(ولم ينقل أحد من أهل السير): أى رواة الحديث والسير النبوية **(والروايات)** وفى نسخة الرواية: **(شيئًا من ذلك)** المذكور الذى ادعاه، **(فدل)** عدم نقلهم **(على سقوط دعواه)**: أى بطلانها **(مع أنه لا ضرورة)** داعية **(إليه فى النظر)**، والفكر فى الأمر المعقول وأما كون الله خلق ذلك وأخفاه فأوهى من دعواه، **(والله الموفق)** للصواب.

(وروى وكيع) بفتح الواو والكاف المكسورة هو أبو سفيان بن الجراح بن مليح بن عدى الراسبى **(رفعه)** أى رواه مرفوعًا له صلى الله تعالى عليه وسلم **(عن فهد بن عطية)** هو بفاء مفتوحة وهاء ساكنة ودال مهملة وفى نسخة راء مهملة، قال البرهان: لا أعرفه بدال ولا براء والذى فى البيهقى أنه عن سمى بن عطية من بعض أشياخه، فيحتمل أنه تحرف على الناسخ **(أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أتى بصبى قد شب)** أى كبر وصار شابا وهو**(لم يتكلم قط)** من طفوليته لشبابه؛ لأنه خلق أخرس، **(فقال)** له: **(من أنا؟ فقال: أنت رسول الله)** فأنطقه الله معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم بعد ما كان أبكم، وذكر هذا فى الفصل الذى بعده أظهر، وإن كان هذا بتنزيل الأبكم لمنزلة الميت والجماد، لعدم القدرة على النطق.

(وروى عن معرض بن معيقب) بميم مضمومة وعين مهملة فيهما وضاد معجمة بزنة اسم الفاعل، وقيل الراء مكسورة مشددة، وروى معيقب بباء، وقيل: معيقل بلام: **(رأيت من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عجبا)** أى أمراً عجيبا وقع عنده، وهو أنه **(جىء)** بالبناء للمجهول أى جاء إليه بعضهم **(بصبى يوم ولد)** بمجهول أيضًا، **(فذكر)** راويه وهو معرض **(مثله)** أى مثل ما مر من أنه قال له صلى الله تعالى عليه وسلم من أنا؟ فقال له: أنت رسول الله، **(وهو)** معروف فى المعجزات بأنه**(حديث مبارك اليمامة)**، وفى نسخة: وكان يسمى أى ذلك الولد مبارك اليمامة؛ لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم له: بارك الله فيك، واليمامة علم لأرض باليمن منقول من اسم طائر وهذا مؤخر فى النسخ كما سيأتى.

(ويعرف) ذلك الحديث **(بحديث شاصونة)** بشين معجمة وألف وصاد مهملة وواو ساكنة تليها نون وهاء، وهو **(اسم راويه)** أى راوى هذا الحديث، وبيانه ما قاله السيوطى فى خصائصه الكبرى: قال الخطيب: أخبرنى على بن أحمد الرزان قال: حدثنا أبو عمر محمد بن عبد الواحد بن أبى هاشم إملاء قال: حدثنا محمد بن يونس بن موسى الكديمى إملاء قال: حدثنا شاصونة بن عبيد أبو محمد اليمامى منصرفا من عدن سنة

عشر ومائتين بقرية يقال لها: الجردة قال : حدثنا معرض بن عبد الله اليمامى عن أبيه عن جده: حججت حجة الوداع، فدخلت مكة، فرأيت فيها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ووجهه مثل دارة القمر، وسمعت منه عجبا: جاءه رجل من أهل اليمامة بغلام يوم ولد، وقد لفه فى خرقة، فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: يا غلام من أنـا؟ فقال: أنت رسول الله. قال: صدقت بارك الله فيك[1]. ثم أن الغلام لم يتكلم حتى شب.قال أبى: فكنا نسميه مبارك اليمامة، قال شاصونة: سمعت هذا الحديث منه منذ ثمانون سنة، ولم أسمع منه إلا هذا الحديث.

قال الدارقطنى: كان الكديمى يتهم بوضع الحديث، ومما تكلم به فيه حديث شاصونة، وقيل: إنه حديث عمن لم يخلق بعد، فلما بلغه ذلك قال: عقدت بينى وبينه عقدة لا أحلها إلا بين يدى الجبار، فانتهى إليه الخبر فكان لا يذكره إلا بخير، وقال الخطيب: إن الكديمى لما أملى هذا الحديث استعظمه الناس، وقالوا: إنه كذاب، إلا أنه قد وقع إلينا من غير طريق الكديمى، ثم ساقه بسنده إلى آخره.

قال السيوطى: فقد وقع روايته من طرق، فهو حديث حسن وسبب إنكاره أنه من الأمور الخارقة للعادة، وقد وقع فى حجة الوداع مع كثرة الناس، فكان حقه أن يشتهر انتهى باختصار.

فقول بعض الشراح تبعا لابن دحية: إنه موضوع غير مسلم، وتبعه السيوطى هنا من غير تعقب له فبين كلاميه تناف.

(وفيه) أى فى هذا الحديث **(فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم له)** أى للصبى حين تكلم (**:صدقت بارك الله فيك ثم إن الغلام لم يتكلم بعد)** مبنى على الضم أى بعد ذلك الكلام **(حتى شب)** أى كبر ووصل سن النطق، **(فكان يسمى مبارك اليمامة)** لدعاء النبى صلى الله تعالى عليه وسلم له بالبركة، **(وكانت هذه القصة بمكة فى حجة الوداع)** بفتح الواو وكسرها سميت بها لأنها آخر حجه صلى الله تعالى عليه وسلم، وقد ذكر فيها ما يشعر بقرب أجله، وأنه يوادع فيها أمته.

(وعن الحسن) البصرى وقدمنا ترجمته، وهذا الحديث لم يخرجه السيوطى: **(أتى رجل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فذكر أنه طرح بنية له)** تصغير بنت **(فى وادى كذا)** لم يعينه راويه أى رماها ثمة، فماتت، وقيل: إنه وأدها على عادة الجاهلية، **(فانطلق)**، أى مشى صلى الله تعالى عليه وسلم **(معه إلى الوادى)** الذى ذكره، **(وناداها)** أى نادى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بنت ذلك الرجل **(باسمها: يا فلانة أجيبينى بإذن الله تعالى)** أى

---

(١) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة (٦/٥٩)، وأورده ابن كثير فى البداية والنهاية (٦/١٨١).

بإرادة الله تعالى وقدرته، والإذن يتجوز به عما ذكر تجوزًا مشهورًا.

(فخرجت) حية من قبرها **(وهى تقول: لبيك وسعديك)** أى إجابة لك بعد إجابة وإسعادًا بعد إسعاد، ومعناه سرعة الإجابة والانقياد، ولا يستعمل إلا مثنى، والكلام عليه مشهور فى كتب النحو كما تقدم.

(فقال لها) لما أجابته: **(إن أبويك قد أسلما، فإن أحببت أن أردك عليهما)** بعد استقرار الحياة فيك رددتك عليهما.

(قالت: لا حاجة لى فيهما) ولا أريد الرجوع إليهما، **(وجدت الله)** وما عنده من الخير **(خير إلى منهما)**، ومما عندهما، وفيه دليل إن صح الحديث على أن أطفال الكفار غير معذبين وهو الأصح، وفيه من المعجزات إحياء الموتى وكلامهم ونطق الطفل الصغير أيضًا، وقد نطق فى المهد جماعة منهم من ذكر فى هذه الأحاديث وسيأتى تمامه.

واعلم أن من تكلم فى المهد من الأطفال كثير عدوا منهم: عيسى ابن مريم وصاحب الأخدود، وابن ماشطة بنت فرعون، وصاحب جريج، وشاهد يوسف، وشاهد الأمة والجبار، وما ذكره المصنف، رحمه الله تعالى، وقد نظمهم السيوطى فى قوله:

تكلم فى المهد النبى محمد ويحيى وعيسى والخليل ومريم
ومبرى جريج ثم شاهد يوسف وطفل لدى الأخدود يرويه مسلم
وطفل عليه مر بالأمة التى يقال لها تزنى ولا تتكلم
وماشطة فى عهد فرعون طفلها وفى زمن الهادى المبارك نختم

وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك أيضًا.

(وعن أنس) فى حديث رواه البيهقى وابن عدى مسندًا **(أن شابا من الأنصار توفى وأمه عجوز عمياء)**، وهذا مما يدل على شدة حزنها؛ لكبر سنها وعجزها المحوج لولدها، **(فسجيناه)** بالسين المهملة والجيم أى غطيناه، من قولهم: سجا الليل إذا ستر بظلمته الأرض أو كفناه، **(وعزيناها)** أى صبرناها وسليناها بذكر ما لها من الأجر ونحوه، كما هو معلوم، والتعزية: تسلية أهل الميت عنه، وهى سنة معروفة.

(فقالت لهم) لما عزوها: **(مات ابنى؟)** فيه استفهام مقدر أى أمات ابنى، وإنما قالته إما لأنها لم تعلم أو لتذكر ما بعده، أو لذهولها بالمصيبة.

(قلنا: نعم، فقالت: اللهم إن كنت تعلم أنى هاجرت) الهجرة: الانتقال من بلد إلى آخر، وهذا لا ينافى كونها من الأنصار لأنها قد تسكن فى مكان بعيد هاجرت منه **(إليك وإلى نبيك)** الهجرة إلى الله بالهجرة لرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم وإلا فالله معها أينما كانت **(رجاء أن تعيننى)** بالفوقية خطاب لله لأنه هو المعين **(على كل شدة)**

الشدة بمعنى الصعوبة هنا، أى على كل أمر شاق يصعب على، ويعسر تحمله لا سيما فقد الولد مع كبر السن وعدم البصر، وعلقته بإن المشعرة بعدم الجزم باعتبار أن خلوصها فى هجرتها لله ورسوله مما لا يخفى على غيرها، ومن شأنه أن يشك فيه لا لأنها لا تعلم ذلك لأنه ينافى توصيلها به إلى الله، أو باعتبار القبول أو تجاهلاً رجاء للإجابة، ورجاء منصوب مفعول له **(فلا تحملن)** بالحاء المهملة وتشديد الميم ونون التوكيد بمعنى: لا تكلفن؛ لأن التكليف كالحمل الثقيل، فأستعير له كقوله تعالى: ﴿**وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ**﴾ [البقرة:٢٨٦] **(على)** بجر ياء المتكلم **(هذه المصيبة)** يعنى موت ولدها فى هذه الحالة، **(فما برحنا)** أى ما ذهبنا من مكاننا الذى كنا فيه **(حتى كشف)** ولدها **(الثوب عن وجهه)** بعد ما غطى به، **(فطعم وطعمنا)** أى قدم لنا طعام أكل منه ولدها وأكلنا معه، وذكروا أنه عاش إلى وفاة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل: بقى بعده كما ذكره ابن أبى الصيف، وفيه معجزة حيث إنه أحيا الميت للدعاء باسم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فلا يقال: إن هذا كرامة لأم الصبى.

(وروى) الراوى له البيهقى، رحمه الله تعالى، **(عن عبد الله بن عبيد الله الأنصارى)** بتصغير الثانى: **(كنت فيمن دفن ثابت بن قيس)** أى حضر دفنه، وهو ابن مالك بن زهير ابن امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج الأنصارى المدنى الصحابى، وكان خطيب الأنصار، وشهد له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالجنة، **(وكان قتل باليمامة)** وروى له البخارى والنسائى وأبو داود، وكان جهورى الصوت، فلما نزل ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ**﴾ [الحجرات: ٢] احتبس عن الحضور عنده؛ لأنه كان يرفع صوته إذا تكلم، فسئل عن سبب ذلك، فقال: قد علمتم أنى أرفعكم صوتًا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فأخشى أن أكون من أهل النار، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال: بل هو من أهل الجنة، وقال التلمسانى: إنه كانبأذنه صمم، فلذا كان يرفع صوته، وفيه أن الأصم لا يحتاج لرفع صوته، وقد قال ابن حجر: إن الصحابة لم يكن فيهم أصم، وكانت وقعة اليمامة فى ربيع الأول سنة اثنتى عشرة فى خلافة الصديق، واليمامة اسم بلدة من جانب اليمن كما مر، وهى بلدة مسيلمة الكذاب، وهى على ستة عشر مرحلة من المدينة، وقد قالوا: إنه أوصى بعد موته ونفذت وصيته و لم تنفذ وصية أحد بعد موته إلا هو وذلك أنه لما قتل كان له درعان، فسرقت إحداهما وجعلت تحت قدر وكانت أنفس درعيه، فرأى رجل ثابتا فى منامه، فقال: أوصيك بوصية فإياك أن تقول إنها حلم فتضيعها: إنى قتلت أمس فمر بى رجل فأخذ درعى، ومنزله فى أقصى الناس، وعند خبائه فرس يستن فى طوله، وقد كفى على الدرع برمة وفوق البرمة رحلاً، فأت خالدًا يعنى أميرهم فمره

فليأخذها، وإذا قدمت المدينة فقل لأبى بكر: إن علىَّ دينا لناس مقداره كذا، والدائن فلان وفلان، وإن رفيقى فلانا حر، فأتى الرجل خالدًا فأخبره، فبعث إلى من عنده الدرع فوجدهاكما وصف، وأخبر أبو بكر بوصيته فأجازها.

(فسمعناه حين أدخلناه القبر يقول) أى سمعنا كلامه، ففيه مضاف مقدر أو الضمير مفعوله الأول، وقوله: يقول مفعوله الثانى على ما ذهب إليه أبو على الفارسى من أن سمع إذا تعدى لغير مسموع نصب مفعولين، وغيره يقول: إنه متعد لواحد مقدر والجملة حالية أو مستأنفة، وقد خطأ ابن السيد أبا على فى هذه المسألة فى كتاب الحلل، كما فصلناه فى غير هذا المحل وأجبنا عنه**(محمد رسول الله. أبو بكر الصديق)** مبتدأ أو خبر أى الكامل فى التصديق والصدق؛ لأنه لم يرتب فى تصديقه صلى الله تعالى عليه وسلم وقد سبق الناس فى ذلك؛ فلذا خص بالصديقية وسيأتى تحقيقها.

(عمر الشهيد) أى المخصوص بالشهادة الكاملة من بين الخلفاء؛ لأن قاتله كافر مجوسى وهو أبو لؤلؤة غلام المغيرة بخلاف قاتل عثمان؛ فإنه من رعاع الناس، وهو شهيد أيضًا.

(عثمان) بن عفان **(البر الرحيم)** ذو البر والإحسان لشهرته بالكرم وهو رحيم أيضًا أى ذو رحمة ورأفة بالمسلمين؛ لحسن أخلاقه وشفقته.

(فنظرنا إليه) لما تكلم بعد موته لتوهمنا أنه عادت إليه حياته، **(فإذا هو ميت)** أى فاجأنا بغتة معرفة كونه ميتا على حاله، وإنما أنطقه الله الذى أنطق كل شىء ؛ لتحقق حياة الشهداء. قيل: وقوله هذا كان عند سؤال الملكين له إن قلنا أن الشهداء يُسئلون وفيه نظر.

(وذكر) بالبناء للمجهول، وهذا مما رواه الطبرانى وأبو نعيم وابن منده، ورواه ابن أبى الدنيا عن أنس أيضًا **(عن النعمان بن بشير)** الصحابى الأنصارى الخزرجى البدرى، وهو أول من بايع أبا بكر، واستشهد مع خالد بن الوليد بعين النهر بعد انصرافه من اليمامة، والنعمان أول مولود بعد الهجرة، ولد بعد أربعة أشهر منها، ومات بقرية من قرى حمص فى ذى الحجة سنة أربع وستين، وولاه معاوية حمصا والكوفة.

(أن زيد بن خارجة) هذا أصح مما وقع فى بعض النسخ: ابن حارثة، وإن كان من بنى الحارث بن الخزرج؛ لأنه زيد بن خارجة بن زيد بن أبى زهير بن مالك من بنى الحارث بن الخزرج.

قال فى الاستيعاب: ولم يختلفوا فى أنه هو الذى تكلم بعد الموت، وقال ابن سيد **الناس:** قال أبو نعيم الأصبهانى: خارجة بن زيد هو الذى تكلم بعد الموت على اختلاف

فيه، والصحيح أنه زيد بن خارجة كما قاله ابن عبد البر وابن الأثير فى أسد الغابة، وكذا قال الذهبى، وقيل المتكلم أبوه، وهو وهم لأنه قتل بأحد، وجزم به ابن الجوزى، و لم يحك فيه خلافا، ولابن أبى الدنيا جزء وأفرده لمن تكلم بعد الموت و لم نقف عليه.

(خر ميتا) أى سقط من قيام فى حال كونه ميتا، وأصل معنى خر: سقط سقوطا يسمع معه خرير، وتقدم أن الخرير صوت الماء والريح ونحوه مما سقط من علو، قال تعالى: ﴿وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا﴾ [يوسف: ١٠٠] **(فى بعض أزقه المدينة)** جمع زقاق كغراب وهو الطريق.

(فرفع) بالبناء للمجهول، أى أخذ مكانه الذى سقط فيه، **(وسجى)**، بالبناء للمجهول، أى غطى **(إذ سمعوه بين العشائين)** إذ هنا فجائية، والتقدير فبينما هو كذلك إذ سمعوه إلخ والعشائين يعنى المغرب والعشاء على التغليب، **(والنساء يصرخن)** بالصاد المهملة والخاء المعجمة ونون النسوة **(حوله يقول)** مفعول ثان لقوله: سمعوه أو حال أو جملة مستأنفة كما مر ومقول القول **(:أنصتوا أنصتوا)** أى استمعوا وكرره للتأكيد، **(فحسر عن وجهه)** بضم الحاء وكسر السين والراء المهملات: أى كشف عنه بعد ما كان عليه غطاء، **(فقال)** لما كشف عن وجهه **(: محمد رسول الله النبى الأمى وخاتم النبيين)**. أى آخرهم بعثا كما مر؛**(كان ذلك)** المذكور من كونه رسولا ونبيا أميا خاتما للرسل **(فى الكتاب الأول)** أى فى جنسه من الكتب المتقدمة، أو اللوح المحفوظ المكتوب فيه كل ما قدره الله تعالى.

(ثم قال) زيد بن خارجة مخاطبا لمن كان عنده، أو لمن يصح أن يتوجه الخطاب إليه، أو مجردا من نفسه مخاطبا مأمورا إن كان قوله:**(صدق صدق)** أمرا كما ذهب إليه بعض الشراح، فإن كان ماضيا كما رأيناه بضبط القلم، واعتمد عليه فى الشرح الجديد، وقال: فاعله ضمير مستتر عائد للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فالأمر ظاهر أى صدق محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فيما بلغ عن الله.

(وذكر) بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم **(أبا بكر وعمر وعثمان)**، وكأنه لم يذكر عليا، رضى الله تعالى عنه، لعدم إدراكه خلافته؛ لأنه توفى زمن عثمان كما ذكروه، ومراده الثناء عليهم، رضى الله تعالى عنهم، بما فعلوه وأيدوا به الدين الذى بلغه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن ربه.

(ثم قال: السلام عليك يا رسول الله) دعاء له صلى الله تعالى عليه وسلم وأصله سلمت سلاما، فأقيم المصدر مقام فعله، ثم عدل إلى الرفع وجعل مبتدأ للدلالة على الثبوت ثم عرف ليدل على استغراق أنواع السلام الذى يوجه للأنبياء وزيادة، ومعناه

السلامة من النقائص والتشريف له بما يليق بجنابه كما بينوه، وخص وصف الرسالة بالذكر لانتفاع الأمة بها الذى هو من جملتهم **(ورحمة الله وبركاته)** والرحمة بمعنى الإنعام والإحسان أو إرادة ذلك، وفيه دليل على جواز الدعاء بالرحمة للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم خلافا لمن أباه لورودها فى حديث التشهد كما هى، ويأتى بيانه أيضًا.

والبركات جمع بركة، وهى الخير الإلهى وكثرته. قال الراغب: أصل البركة صدر البعير وغيره، وبرك البعير ألقى بركه، واعتبر فيه معنى اللزوم، فقيل: ابتركوا فى الحرب، وبركات القتال مكان يلزمه الأبطال، وسمى محبس الماء بركة والبركة ثبوت الخير الإلهى فى الشىء قال الله تعالى: ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف:٩٦].

ولما كان الخير الإلهى من حيث لا يحس على وجه لا يحصى ولا يحصر، قيل لكل من يشاهد منه زيادة غير محسوسة: مبارك وفيه بركة. **(ثم عاد ميتا كما كان)** قبل تكلمه حين سجى وكفن.

فإن قلت: المقام والفصل معقود لذكر معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم بإحياء الموتى وإنطاق من ليس من أهل النطق له، وما فى هذا الحديث ليس كذلك.

قلت: هو من أمته صلى الله تعالى عليه وسلم وصحابته، وكلامه بعد موته كرامة له وكرامات الأمة من جملة كراماته، وقد يقال: إنه دليل على ما قبله ومؤكد له؛ لأنه إذا كان فى أمته من يصدر عنه مثله، فكيف لا يصدر عنه صلى الله تعالى عليه وسلم؟.

* * *

[فصل من معجزاته ﷺ فى إبراء المرضى وذوى العاهات]

(فصل) من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم **(فى إبراء المرضى)** جمع مريض كقتلى وقتيل، وإبراؤهم زوال مرضهم وحصول شفاء لهم، وأصل البرء والبرأة والتبرى والتفصى مما يكره؛ ولذلك قيل: برئت من المرض إذا خلصت منه، **(وذوى العاهات)** جمع عاهة، وهى الآفة، ويقال: عاه الزرع إذا أصابته العاهة، والعاهة قد تخص بالأمراض المزمنة وقد لا تخص بها، فتكون الأمراض ما يعرض مما لم يزمن كالحميات ونحوه فتكون أتم فائدة، وهو المراد هنا، فليس من عطف المترادفين، وتطلق العامة على بعض الأعضاء كالشلل والعرج والعمى، وقد يكون بعضها خلقيا أيضًا، وهذا هو المعروف.

(أخبرنا أبو الحسن على بن مشرف فيما أجازنيه وقرأته على غيره) تقدم الكلام على هذا، وعلى معنى الإجازة قال:**(حدثنا أبو إسحاق الحبال)** بحاء مهملة وموحدة مشددة كما تقدم فى ترجمته قال:**(حدثنا أبو محمد بن النحاس)** بحاء مهملة أيضًا كما تقدم قال:**(حدثنا ابن الورد)** عبد الله بن جعفر بن محمد بن الورد بن زنجويه راوى سيرة ابن

هشام **(عن البرقى)** هو أبو سعيد عبد الرحيم بن عبد الله بن عبد الرحيم بن أبى ذرعة البغدادى الزهرى مولاهم، المعروف بابن البرقى نسبة لبرقة اسم مكان **(عن ابن هشام)** أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الإمام الأديب النحوى صاحب السير، وهو حميرى معافرى بصرى، وسكن مصر وتوفى بها سنة ثلاث عشرة ومائتين، وله تآليف نفيسة ككتاب الأنساب وغريب أشعار السير وغيره كما فصله ابن خلكان، وفى تاريخ وفاته اختلاف **(عن زياد البكائى)** بفتح الموحدة وتشديد الكاف والمد، وهو ربيعة بن عامر بن صعصعة سمى البكائى؛ لأنه دخل على أمه فرآها تحت أبيه وهو صغير، فخرج يصيح ويقول: إن أبى قتل أمى توفى سنة ثلاث وثمانين ومائة، وروى له أصحاب السنن وترجمته فى الميزان مفصلة **(عن محمد بن إسحاق)** الإمام صاحب المغازى والسير كما تقدم **(حدثنا ابن شهاب)** محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهرى شيخ ابن إسحاق الإمام المشهور كما تقدم، ووقع فى بعض النسخ هنا ابن هشام، وهو غلط من الناسخ كما فى المقتفى، **(وعاصم بن عمر بن قتادة)** بن النعمان الظفرى الثقة إمام رواة المغازى توفى سنة تسع أو سبع وعشرين أو عشرين فقط ومائة، أخرج له الستة وترجمته فى الميزان، **(وجماعة ذكرهم)** فاعل ذكرهم لابن شهاب الزهرى **(بقضية أحد بطولها)** متعلق بذكرهم، والباء بمعنى فى، وقضية أحد غزاتها وما وقع فيها **(قال: وقالوا)** أى الجماعة المذكورون الذين رووا هذا الحديث من طريق ابن إسحاق التى أسندها المصنف، رحمه الله، عنهم ورواه البيهقى أيضًا **(قال سعد بن أبى وقاص)** الصحابى المشهور، رضى الله تعالى عنه، فى قصة أحد التى رواها بطولها (:**إن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليناولنى)** أى يعطينى بيده، وهو معنى المناولة ومنه النوالبمعنى العطية **(السهم الذى لا نصل له)** بفتح النون وسكون الصاد المهملة قبل لام، وهو حديدة فى طرف السهم والرمح، وفى بعض النسخ نضل بضاد معجمة بدل الصاد، قال: قال البرهان: والصحيح الأول، والثانى لا يتضح معناه ولا يستعمل، قلت: هو بعيد هنا رواية ودراية، وكأنه من تحريف النساخ، إلا أن معناه صحيح أيضًا لأن النضل رمى السهام، فالمعنى أنه ليس مما يرمى به لأنه لا نصل له فيئول إلى الرواية الأخرى، وإن كان لا وجه له هنا، **(فيقول)** رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لسعد بعد مناولته السهم له:**(ارم به)** بكسر الهمزة والميم أمر من الرمى، والضمير للسهم، وفى الكلام مقدر أى فيرمى به ويقتل من أصابه سهمه مع أنه لا نصل له، ومثله لا يقتل عادة، وهذه معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم؛ ولذا ذكره المصنف، رحمه الله تعالى، وإن لم يكن محل الشاهد.

(وقد رمى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يومئذ) أى يوم أحد **(عن قوسه)** يقال:رمى عن قوسه وبقوسه لا قوسه **(حتى اندقت)** أى انكسرت، والقوس **مؤنثة**

سماعية، وأصل معنى الدق الرض بجرم صلب **(وأصيبت يومئذ عين قتادة بن النعمان)** أصيبت مبنى للمجهول :أى أصابها سهم، فأخرجها وأذهبها وروى أصيب بدون تأنيث للتأويل بالعضو أو للفاصل بينهما **(حتى وقعت)** عينه **(على وجنته)** الوجنة أعلى الخد، وما يلى العين من الوجه، ويطلق على الخد كله، **(فردها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بيده)**، أى أعاد حدقة عينه التى سالت لمكانها، **(فكانت)** العين المردودة بيده صلى الله تعالى عليه وسلم **(أحسن عينيه)** أى أجملهما وأقواهما حسنًا أى أحسن من عينيه اللتين كانتا له قبل ما أصيب وردت عينه، فلا يرد عليه أن الشيء لا يكون أحسن من نفسه، وقوله:أصيبت عينه: ظاهره أنما أصيبت عين واحدة، وهو كذلك عند الأكثر، وروى أن عينيه أصيبتا، فيكون من التعبير عن العضوين المتفقين ذاتا وصفة واسما بأحدهما، وهو فصيح مشهور كما يقال: نظر بعينه ومشى بقدمه كما قرره النحاة، وقالوا: إنه حقيقة مشهورة.

وروى أن عاصم بن عمر بن قتادة وفد على عمر بن عبد العزيز، رضى الله تعالى عنه، فقال له: من أنت؟ فقال بديهة:

أنا ابن الذى سالت على الخد عينه فردت بكف المصطفى أيما رد
فعادت كما كانت لأول أمرها فيا حسن ما عين ويا حسن مارد

فقال عمر:

تلك المكارم لا قعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

وروى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال له:إن شئت رددتها لك وإن شئت فاصبر ولك الجنة.فقال: يا رسول الله إن الجنة لعطاء جزيل جميل، ولكنى أكره العور، فردها واسأل الله تعالى لى الجنة، فردها ودعا له.

وكان لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قسى اختلف أهل السير فى عدها، فقيل: سبع، وقيل: ست، وهى الروحاء والصفراء من بتع، والبيضاء من شوحط، والزوراء والكتوم سميت به لعدم صوت لها، والسداد، ورند الرنان لصوتها، والتى انكسرت بأحد هى الكتوم كما فى الهدى النبوى والكلام على قسيه صلى الله تعالى عليه وسلم ومن أين صارت، وتوجيه تسميتها مذكور فى السير وشروحها.

(وروى قصة قتادة) المذكور فيها رد عينه، وهى قصة فيها طول اقتصر المصنف منها على محل الشاهد، وذكر أولها لما فيها من المعجزة أيضًا.

(عاصم بن عمر بن قتادة) صاحب القصة، **(ويزيد بن عمر بن قتادة)** كذا فى النسخ كما قاله البرهان الحلبى، والصواب يزيد بن عياض عن ابن عمر بن قتادة، ففيه سقط

لأن عاصما شيخ يزيد أو سقط عن عاصم ويزيد بن عياض الليثى الحجازى حدث عن نافع إلى آخره، و كذا وقع فى نسخة على الصواب.

(ورواها أبو سعيد الخدرى عن قتادة)، رضى الله تعالى عنه، وأبو سعيد هو أخو قتادة لأمة، وقتادة بن النعمان أنصارى أوسى، وشهد مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بدرًا وأحُدًا وغيرهما من المشاهد، وكانت واقعته يوم أحُد، وقيل: يوم بدر وقيل: يوم الخندق، والصحيح الأول كما قاله ابن عبد البر، وقد اختلف كما مر هل قلعت عينه أو عيناه؟ والمشهور الأول، ووقع الثانى مصرحاً به فى بعض الروايات أيضًا كما رواه أبو نعيم الأصبهانى، ونقله السهيلى.

وقال الدارقطنى: إنه غريب تفرد به عمار بن نصر عن مالك وهو ثقة، قال ابن حجر فى شرح الهمزية: وهى زيادة ثقة فتقبل، وترجح به رواية الثنتين وهو رد على من قال:إن هذه الرواية غلط، وفيه نظر وقد اختلف أيضًا: هل انفصلت أو لا؟ فقيل: إنها بقيت معلقة، وقيل: سقطت فأتى بها أوبهما فى كفه، فقال له رسول الله: إن شئت فاصبر ولك الجنة، وإن شئت رددتها، فقال :يا رسول الله إنى محب للنساء وعندى امرأة أحبها فأخشى أن تعذرنى، فردها وادع الله لى بالجنة، ففعل فكانت أقوى عينيه وأحسنهما، وتوفى وهو ابن خمس وستين سنة ثلاث وعشرين وصلى عليه عمر، رضى الله تعالى عنهما.

(و) روى البيهقى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم **(بصق على أثر سهم)** أى جعل ريقه وما فيه على جراحة **(فى وجه أبى قتادة)** الحارث بن ربعى الأنصارى السلمى الصحابى توفى بالمدينة وهو ابن أربع وخمسين، وقيل: ابن سبعين، وفى وجه ظرف لغو متعلق بقوله: بصق أومستقر حال أوصفة لسهم **(فى يوم ذى قرد)** بقاف وراء مفتوحتين ودال مهملتين، وروى بضمتين كحبك، وهو اسم ماء بينه وبين المدينة مسافة يوم وليلتين من جهة خيبر.

والقرد: الوبر والصوف الردى المتجعد، فسمى به؛ لأنه معاطن فيها ذلك، أولكثرة طحلبه الشبيه به واليوم هنا بمعنى الغزو كما يقال: أيام العرب وقد تقدم.

ويقال: ذو القرد معرفا، وهى غزوة تسمى أيضًا غزوة الغابة، وكانت قبل الحديبية، وقيل: بعدها، ورده فى الهدى النبوى والقرطبى فى شرح مسلم، وسببها أنه كان لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لقاحا يرعى بالغابة، فيها ابن أبى ذر وامرأة من غفار، فأغار عليها عيينة بن حصن الفزارى فى أربعين فارساً فاستاقوها وقتلوا ابن أبى ذر، وسبوا المرأة فركبت المرأة ناقة لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على غفلة

منهم، ونذرت إن نجت لتنحرنها فنجت، فأخبرت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك فقال: لا نذر فى معصية الله ولا لأحد فيما لا يملك(١)، وركب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ونودى: يا خيل الله اركبى، وكان أول ما نودى به فأدركهم فى خمسمائة، وقيل: سبعمائة فاستنقذ منهم عشرا وفروا بباقيها كما فصل فى السير.

(قال) أبو قتادة: **(فما ضرب)** الجرح وأثر السهم، **(على)** أى ما آلمنى ولا أوجعنى ضربانه، ولا سلط على ضربانه من الضربان، يقال: ضرب الدهر بمعنى ألم **(ولا قاح)**: أى سال منه قيح ومدة، يقال: قاح يقيح وتقيح والقيح صديد وهو شىء كالماء أصفر يخالطة قليل من دم، وهذا حديث حسن صحيح رواه الترمذى والبيهقى.

(وروى النسائى)، والترمذى، والحاكم، والبيهقى وصححوه، والنسائى بالهمزة، نسبة لنساء بلدة، ويقال: نسوى بالواو أيضًا هو أبو عبد الرحمن بن أحمد بن شعيب بن على بن سنان الإمام المشهور صاحب السنن، توفى سنة ثلاث وثلاثمائة على الأصح وله ثمان وثمانون و لم يتأخر عن الثلاث مائة من أصحاب السنن غيره **(عن عثمان بن حنيف)** بضم الحاء المهملة ونون وفاء مصغر، وهو أخو عباد وسهل ابنا وهب، وله صحبة ورواية، وروى عنه أحمد وأصحاب السنن، وهو من الأشراف، ولى سواد العراق والبصرة وعاش إلى زمن معاوية وسنقرر هذا الحديث قريبا إلاأن البرهان قال: كان ينبغى للقاضىأن يذكر سنده، ليعلم أنه صحابى لئلا يتوهم أن النسائى سمع منه ومثله سهل **(أن أعمى)** لم يذكروا اسمه **(قال: يا رسول الله ادع الله لى وأن يكشف عن بصرى)** المعنى أن يدعو له بأن يصح بصره ويزيل الله عنه العمى، فعبر عنه بالكشف وهو إزالة الغطاء، فإما أن يكون على بصره غشاوة وجلدة رقيقة طلب إزالتهما، أو شبه عدم الرؤية بحجاب حائل بينه وبين المبصرات، والرؤية بإزالته ففيه استعارة.

(فقال) له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم آمرًا له: **(انطلق)** أى قم من مجلسك هذا، **(فتوضأ)** أمر بالوضوء، **(ثم صل ركعتين)** نافلة، وتسمى صلاة الحاجة، ومنه أخذ أن كل من أهمه أمر ينبغى له ويستحب أن يصلى قبل الدعاء تقربا إلى الله، **(ثم قل: اللهم)** أى يا الله والكلام عليه مشهور ذكرناه فى غير هذا المحل **(إنى أسألك)** وأطلب منك حاجتى هذه **(وأتوجه إليك)** أصل معنى التوجه المقابلة بالوجه، فأريد الإخلاص فى القصة للدعاء والتوسل **(بنبيك)** وفى بعض النسخ: بنبيى بالإضافة إلى ياء المتكلم **(محمد نبى الرحمة)** بدل من نبيك أو عطف بيان، وقد تقدم معناه ثم التفت من خطابه لله تعالى

---

(١) أخرجه مسلم (١٦٤١)، والترمذى (١٥٢٤)، والنسائى (٧/٢٩)، وابن ماجه (٢١٢٤)، والدارقطنى (٤/١٦)، والبيهقى (١٠/٦٩).

إلى خطاب نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم؛ لأنه واسطة فى كل ما يصل من الإحسان والفيض الإلهى، **(يا محمد إنى أتوجه بك إلى ربك)** أى أتوسل بك فيما طلبته من الله، وهو **(أن يكشف عن بصرى)** حجابه المانع له من الرؤية، وفيه مقدر أى فدعا فأبصر، ونداؤه صلى الله تعالى عليه وسلم باسمه إنما يحرم إذا كان بحضرته، وإذا لم يكن فى الدعاء مأثورا مر به كما هنا لقوله تعالى: **(قل اللهم)** إلى آخره، فإن امتثال الأمر هو عين الأدب كما ذكره ابن حجر، فما قيل: إن نداءه صلى الله تعالى عليه وسلم باسمه لعله كان قبل علمه تحريمه، أو قبل تحريمه بقوله تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ [النور: ٦٣] ليس بظاهر، وعدل صلى الله تعالى عليه وسلم عن دعائه له بأمره أن يدعو لنفسه؛ تعليمًا وإرشادًا لأمته وتواضعًا وتأدبًا مع الله تعالى، وهذا الحديث مسند صحيح أخرجه الترمذى والحاكم وغيرهما، وكان ابن حنيف وبنوه يعلمونه الناس، وقد حكى فيه إجابة دعاء من دعا به من غير تأخر، وقد أخرجه البرهان الحلبى من طرق متعددة، فلم يبق فيه شبهة فاحفظه، **(اللهم شفعه)** أى اقبل شفاعته **(فى)** وهو يحتمل أن يريد شفاعته صلى الله تعالى عليه وسلم فيه فى الدنيا برد بصره، أو شفاعته له فى الآخرة، أو ما يشملهما وهذا أولى، ومنه علم استحباب الدعاء عقب الصلاة.

(وروى) بالبناء للمجهول، والراوى له الواقدى، وأبو نعيم، عن عروة **(أن ابن ملاعب الأسنة)** قال البرهان الحلبى: إن ابن ملاعب الأسنة لا يعرف اسمه ولا ترجمته، وأما ملاعب الأسنة فهو عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة سمى ملاعب الأسنة جمع سنان، وهو حديد فى طرف الرمح يعد للطعن ويقال له: ملاعب الرماح، سمى بذلك لأنه فى يوم سوبان بزنة طوفان، وهو يوم كان فيه بين قيس وتميم وقعة، وكان أخوه طفيل بن مالك فارس قرزل، وهو اسم فرس له فر فى ذلك اليوم، فقال فيه الشاعر :

فررت وأسلمت ابن مالك عامرا ... يلاعب أطراف الوشيح المزعزع

فسمى بذلك ملاعب الرماح وملاعب الأسنة، وهو عم لبيد وهو أبو براء عامر، وذكره بعضهم فى الصحابة، وقال الذهبى: الأصح أنه لم يسلم؛ لأنه قدم المدينة وعرض عليه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الإسلام فلم يسلم، وهو عم لبيد بن ربيعة المسمى بربيعة الفرس.

(أصابه استسقاء) أصل معناه طلب السقى، وهواسم مرض معروف قال فى الأساس: سقى بطنه واستسقى، وبه سقى بكسر السين، وهو أن يقع الماء الأصفر فى بطنه،

انتهى. وهو مرض علاجة صعب لا يكاد ينجو من أصابه منه.

(فبعث إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) قاصدا يلتمس منه الدعاء، وأن يشفيه الله ببركته، وهذا يدل على أنه أسلم بخلاف أبيه كما مر، **(فأخذ)** صلى الله تعالى عليه وسلم لما قص عليه قاصده أمره **(بيده)** الشريفة **(حثوة من الأرض)** بفتح الحاء المهملة وسكون المثلثة ويقال حثية بالياء أيضًا، وهو ملء يده أو يديه وهو من التراب هنا، **(فتفل)** بفتح المثناة الفوقية والفاء وفي نسخة بصق **(عليها)** أي الحثوة من ماء فمه المبارك، **(ثم أعطاها)** أي حثوة التراب **(رسوله)** الذي أرسله للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم **(فأخذها متعجبا)** مما أعطاه، وأن مثله لا يداوى به الاستسقاء بل يزيده؛ لأن مبدأه سدة في الجوف، والتراب يزيدها كما يشاهد ممن يأكل الطين **(يرى)** بفتح الياء وضمها أي يظن **(أن قد هزئ به)** الضمير للرسول أو لمرسله، وهزئ بالبناء للمجهول ويجوز فيه بناء الفاعل أيضًا، **(فأتاه بها)** أي بالحثوة **(وهو)** أي ابن ملاعب الأسنة على **(شفا)** بفتح الشين المعجمة والفاء مقصور: أي قريب من الموت، وأصل الشفا مكان متصل بحفرة كالبئر قال تعالى: ﴿عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ﴾ [التوبة: ١٠٩]، ويجوز أن يراد به الكناية عن الموت، و يراد بالحفرة القبر، والجملة حالية وبينه وبين قوله: **(فشربها فشفاه الله)** تجنيس بديع: أي وضعها في ماء وشربها، فشفاه الله ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم **(وذكر العقيلي)** بالتصغير، وهو الإمام الحافظ أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد المكي صاحب كتاب الضعفاء الذي رتبه الهيثمي، وهو ثقة جليل توفي سنة اثنين وعشرين وثلاثمائة.

(عن حبيب بن فديك) حبيب بفتح الحاء المهملة وبموحدتين بينهما ياء مثناة تحتية، وقيل: إنه بخاء معجمة مضمومة، وفديك، وقيل: فويك بضم الفاء ودال مهملة مفتوحة مصغر وكاف، وقيل: إنه بواو بدل الدال، وقيل: براء مهملة ذكره الذهبي في الصحابة، وقيل: إنه حبيب بن عمرو بن فديك السلاماني، وقد اضطرب فيه وفي اسمه، وأخرج حديثه هذا البيهقي والطبراني وابن أبي شيبة في مسنده عن رجل من بني سلامان عن أمه أن خالها حبيب بن فديك حدثها أن أباه خرج به إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعيناه مبيضتان، فسأله: ما أصابه؟ فقال: كنت أقود جملا لي فوقعت رجلي على بيض حية فأصبت في بصري، فلا أبصر شيئًا[1]، وإلى بعض ما ذكر من الاختلاف في اسمه أشار بقوله:**(ويقال فويك)** بواو أو براء بدل الدال **(أن أباه أبيضت عيناه)** لغشاوة غطتهما أو هو عبارة عن العمى، **(فكان لا يبصر بهما شيئًا فنفث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم)** بالمثلثة أي تفعل ريقه **(في عينيه فأبصر)** بهما وذهب عنه عماه في

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/٤٠٢، ١١/٥١٢).

ساعته، **(فرأيته يدخل الخيط فى الإبرة)** لقوة بصره وصحته، **(وهو ابن ثمانين سنة)** وهو من يضعف فيه بصر مثله، وإن لم يعرض له عارض وليس فى الحديث أن البياض لم يزل بعينه مع شدة نظره وقوته وأنه أعظم فى المعجزة كما قيل؛ لاحتمال أن البياض زال ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم و لم يصرح به؛ لأنه معلوم.

(ورمى) بالبناء للمجهول **(كلثوم بن الحصين)** بضم الحاء وفتح الصاد المهملتين ونون مصغر حصن، وهو أبو رهم الغفارى الصحابى، وهو من أصحاب الشجرة وشهد أحدًا واستخلفه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عام الفتح **(يوم أحد)** لما وقع السهم فى نحره وخشى الموت من وقوع السهم **(فى نحره)** أى مقدم عنقه عند حبل الوريد الذى لا يعيش من جرح به، **(فبصق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيه)** أى فى نحره ومحل جراحته، **(فبرأ)** بفتحات وهمزة مقصورة آخره، ويقال: برئ أيضًا بزنة علم وضرب كما قاله ابن السكيت: أى حصل له البرء من حينه، وهذا الحديث لم يخرجوه.

(و) روى الطبرانى حديثًا مسندًا فيه أنه صلى الله تعالى عليه وسلم **(تفل)** بتاء مثناة وفاء ولام مفتوحات أى بصق **(على شجة عبد الله بن أنيس)** الشجة بفتح الشين المعجمة والجيم المشددة: جراحة ضربة فى الوجه أو الرأس، وقد تطلق على ما فى غيرهما من الجسد، والمعروف الأول.

وأنيس مصغر ابن أسعد بن حرام بن مالك بن غنم بن كعب الجهنى الأنصارى الصحابى شهد أحدًا، وكان صلى الله تعالى عليه وسلم بعثه مع عبد الله بن رواحة ونفر من الصحابة إلى اليسير بن رزام بخيبر لما جمع جمعًا من غطفان لغزو رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقالوا له: إن قدمت على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أكرمك، فلم يزالوا به حتى خرج معهم، فحمله ابن أنيس على بعيره حتى كانوا بالقرقرة بقرب خيبر ندم ففطن له ابن أنيس وضربه بسيفه فقطع رجله، وضرب اليسير ابن أنيس بعصاه فشجه، فلما قدم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تفل فى شجته، **(فلم تمد)** بضم المثناة الفوقية وكسر الميم وتشديد الدال المهملة المفتوحة، أى لم يبق فيها مدة وقيح، يقال: أمد الجرح إذا صارت فيه مدة وهى القيح كما فى الصحاح وغيره والمدة بكسر الميم.

(وتفل فى عينى على) بن أبى طالب، رضى الله تعالى عنه، فى حديث رواه الشيخان عن سهل بن سعد **(يوم خيبر وكان رمدا)** بزنة حذر منصوب منون: أى به رمد، والرمد وجع العين، **(فأصبح بارئا)** أى صار بارئا فى الحال لا أنه تأخر برؤه إلى وقت الصباح، وأصبح له معنيان هذا أحدهما، والحديث بتمامه فى الصحيحين وغيرهما.

وفى دلائل البيهقى عن بريدة كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ربما أخذته الحمى، فيمكث اليوم أو اليومين لا يخرج، فلما نزل خيبر أخذته، فلم يخرج، فأخذ أبو بكر، رضى الله تعالى عنه، الراية وقاتل قتالاً شديدًا، ثم أخذها عمر، رضى الله تعالى عنه، وقاتل، فلما خرج وأخبر بذلك قال: «لأعطينها غدًا رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، فتطاول الناس لذلك فأصبح وجاء على وقد عصب عينيه، فقال: ادن إلىَّ وتفل فى عينيه، ففتحهما وأعطاه الراية»[1].

وروى أنه وضع رأسه فى حجره، ثم بصق فى راحتيه ودلك بهما عينيه، والحديث طويل والكلام عليه وعلى الاستدلال به لتفضيل علىّ مشهور غير محتاج للبيان.

(و) فى صحيح البخارى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم (**نفث على ضربة بساق سلمة بن الأكوع يوم خيبر فبرئت**) من حينها، والضمير للساق لأنها مؤنث سماعا أو للضربة وبرؤها بذهاب أثر الجراحة والتحامها.

(و) روى عبد بن حميد فى تفسيره أنه صلى الله تعالى عليه وسلم نفث (**فى**) جراحة (**رجل زيد بن معاذ**): أى جعل ريقه عليها (**حين أصابها السيف إلى الكعب حين قتل ابن الأشرف فبرأت**) رجله أو جراحتها، واعتراض البرهان الحلبى على المصنف بأن قصة كعب بن الأشرف مقررة فى السير، ورواها مسلم فى الجهاد كغيره، وذكروا الجماعة الذين اشتركوا فى قتله بأسمائهم، وليس فيهم من اسمه زيد بن معاذ، بل لا يعرف فى الصحابة من اسمه زيد بن معاذ إلا أن يكون نسبه إلى أحد أجداده وإلى جد أعلى له، وهو خلاف الظاهر، والجرح الذى فى رأسه أو رجله على الشك من الراوى فى قصة كعب إنما هو الحارث بن أوس بن معاذ بن النعمان بن أخى سعد بن معاذ الأشهلى، وقد سمى البخارى الذين قتلوا كعبا، وسمى منهم الحارث بن أوس بن سعد بن النعمان، وهو الذى تفل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على جرحه، وقيل: هو الحارث بن أوس بن النعمان، وقيل: هما واحد.

وقال التلمسانى: إن العزيزى نقل فى تفسيره فى سورة الحشر ما ذكره المصنف بعينه، وقال: إنه زيد بن معاذ وهو ابن أخى سعد بن معاذ فالمصنف لم يقل ما قاله إلا عن تحقيق وقع له، ولا يخفى ما فيه فإنه مصادم للنقول الصريحة، ومثله لا يقال بسلامة الأمير.

وكعب بن الأشرف بزنة أفعل التفضيل من الشرف يهودى من بنى نبهان، وقصته كما فى السير أنه لما أصيب أصحاب القليب من كفار قريش وبلغه الخبر، قال: إن كان

---

(١) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة (٤/٢١١).

محمد أصاب هؤلاء لبطن الأرض خير من ظهرها، فلما تحقق الخبر خرج لمكة يحرض الكفار على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، ويبكى أصحاب القليب ويرثيهم بشعره تارة، وتارة يشبب بنساء المسلمين حتى آذاهم، فقال صلى الله تعالى عليه وسلم: من لابن الأشرف؟ فإنه آذى الله ورسوله، فقال محمد بن مسلمة أخو بنى عبد الأشهل: أنا لك به يا رسول الله.

قال: فافعل إن قدرت، فرجع وأقام ثلاثًا لا يأكل الطعام ولا يشرب، فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم: لم تركت الطعام والشراب؟ قال: قلت قولا لا أدرى أفى به أم لا؟ قال: عليك الجهد، فقال:لابد أن نقول.

فقال صلى الله تعالى عليه وسلم: قولوا ما بدا لكم فأنتم فى حل من ذلك. فاجتمع فى قتله محمد بن مسلمة، وسلكان بن سلامة أبو نائلة الأشهلى، وكان أخا ابن الأشرف من الرضاعة، وعباد بن بشر وقيس، وأبو عبس بن جبير، ثم قدموا إلى عدو الله، فتقدم ابن سلامة رضيعه وتحدث معه وناشده الأشعار، وكان شاعرا، ثم قال له: ويحك يا ابن الأشرف إنى جئتك لحاجة أذكرها لك فاكتمها، قال: أفعل، قال:كان قدوم هذا الرجل علينا بلاء من البلاء، عادتنا العرب، ورمتنا عن قوس واحدة، وانقطعت عنا السبل حتى ضاعت العيال وجهدت الأنفس، فقال كعب: قد أخبرتك أن الأمر سيصير لما أقول.

فقال: إنا لا نحب أن ندعه حتى ننظر لِمَ يصير شأنه وإنى قد جئتك أستسلفك، وقال الدمياطى: الذى تحدث معه أبو نائلة وهو الذى نزل له كعب من حصنه، فلما استسلفه، وقال له: نرهنك ما تثق به، قال: ارهنوا أبناءكم ونساءكم. قال: أردت أن تفضحنا فأنت أشب أهل يثرب وأعطرهم، ولكن نرهنك الحلقة والسلاح، فقال: إن فيها الوفاء وأراد أن لا ينكر مجيئهم مسلحين ولى أصحاب جاءوا لذلك، فرجع إلى أصحابه وأمرهم أن يأخذوا السلاح ويجتمعوا إليه، فلما قفلوا شيعهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إلى البقيع فى ليلة مقمرة، فلما انتهوا إلى حصنه هتف به أبو نائلة وكان كعب حديث عهد بعرس، فقالت له امرأته: إنك رجل محارب لا ينبغى لك الخروج فى مثل هذا الوقت، وإن فى الصوت لسوء، وإنه صوت يقطر منه الدم، فقال: إن الكريم لو دعى لطعنة ليلا أجاب.

والبلاء موكل بالمنطق

فقال لها: إنه أبو نائلة لو وجدنى نائما ما أيقظنى، ونزل لهم فى ملحفة، فتحدثوا معه، ثم قالوا: نمشى لشعب العجوز نتحدث بقية ليلتنا. قال: إن شئتم فتماشوا ساعة، ثم وضع أبو نائلة يده على رأسه ثم شمها وقال: ما رأيت كالليلة طيبا أعطر من هذا، ثم

تماشى ساعة وفعل مثل ذلك، ثم أخذ بفود رأسه وقال: اضربوا عدوا الله، فصاح صيحة أشرف عليه أهل الحصون، فلما قتلوه أتوا برأسه، ويقال: إنها أول رأس حملت فى الإسلام، وقيل: بل هى رأس أبى عزة الجمحى، وقيل: رأس عمرو بن الحمق، فأصاب الحارث بن أوس سيف من أصحابه برجله، فأبطأ عليهم ثم أتاهم يتحامل، فحملوه آخر الليل وأتوا به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يصلى، فأخبروه بقتله وجراحة صاحبهم، فتفل على جراحته كما ذكره المصنف على ما فيه[1].

وفى هذه القصة إشكال مشهور، وهو أنهم تكلموا فى حقه صلى الله تعالى عليه وسلم بما لا يجوز مما ظاهره ومثله كفر، ولا إكراه فيه.

وقد أجاب عنه الفقهاء وغيرهم بأنه لم يقصد ظاهره، وهو من المعاريض التى تجوز لمصلحة، وإذا تأملت ما قالوه تجده يحتمل المدح، وقد أذن لهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيه، وسيأتى تفصيله فى محله آخر الكتاب إن شاء الله تعالى، وفى قوله: إلى الكعب نكتة يعنى أن صدمة السيف امتدت إلى أن وصلت إلى كعبه، وكأنه قصد تجنيسا لأن ابن الأشرف اسمه كعب كما علمت، فكأنه قال: جرح إلى الكعب فى قصة كعب، وعلى كل حال فكلامه هنا فيه ما فيه فتأمل.

(و) نفث **(على ساق علىّ بن الحكم يوم الخندق)** علىٌّ هذا صحابى، وهو أخو معاوية بن الحكم السلمى، وهذا الحديث أخرجه أبو القاسم البغوى فى معجمه كما قاله السيوطى، ويوم الخندق هذا كان فى غزوة الأحزاب سمى به لأن سلمان، رضى الله تعالى عنه، أشار على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بحفر خندق حول المدينة، ولم تكن العرب تعرف ذلك، وإنما كان يعمله ملوك الفرس.

قال الطبرى: إن أول من عمله منوشهر بن إيدج بن فريدون، وهم يزعمون أن فريدون ابن إسحاق وأكثرهم على خلافه، وخندق معرب كندة، ومعناه الحفر وهو من الألفاظ الإسلامية **(إذ انكسرت)** أى ساقه لأنها مؤنثة، وهى ما بين القدم والركبة، **(فبرئ)** أى صح وزال ما به من الكسر، ويقال: برئ كعلم وبرأ كضرب وآخره مهموز **(مكانه)** بالنصب على الظرفية: أى كائنا فى مكانه وسرجه الذى ركب عليه، **(وما نزل عن فرسه)** الذى كان عليه لما جاءه يستشفيه.

قال أبو القاسم البغوى بإسناده عن معاوية بن الحكم عن أبيه قال: كنا مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فأنزل أخى على بن الحكم فرسًا له الخندق، فأصاب رجله جدار الخندق، فدقها فأتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وما نزل عن فرسه، فمسحها له،

---

(١) أورد القصة بتمامها ابن كثير فى البداية والنهاية (٤/٧)

وقال: بسم الله فما آذاه شيء منها وقد عده أبو حاتم البغوى فى الثقات.

(و) روى البيهقى فى الدلائل عن على بن أبى طالب، كرم الله وجهه، ورضى الله تعالى عنه، قال: (**اشتكى على بن أبى طالب**) رضى الله تعالى عنه مرضًا، والمرض يسمى شكاة، (**فجعل يدعو**) الله تعالى لما ضجر كما سيأتى، (**فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم**) لما سمعه:(**اللهم اشفه أو عافه**) شك من الراوى فى لفظه والمعنى واحد، (**ثم ضربه برجله**) ليقوم من مضجعه، (و) قام و(**ما اشتكى ذلك الوجع بعد**) مبنى على الضم أى بعد ضربه أو دعائه أو هما، ولفظ البيهقى عن عبد الله بن سلمة قال: سمعت عليا، رضى الله تعالى عنه، يقول: أتيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأنا شاك أقول: اللهم إن كان أجلى قد حضر فأرحنى، وإن كان متأخرًا فاشفنى، وأن كان بلاء فصبرنى فضربنى برجله، وقال: كيف قلت؟ فأعدت عليه، فقال: اللهم اشفه أو قال: اللهم عافه، قال على، رضى الله تعالىعنه: فما اشتكيت وجعى ذلك بعد.

(**وقطع أبو جهل يوم بدر**) اعترض على المصنف، رحمه الله تعالى، بأن المعروف أن القاطع عكرمة بن أبى جهل لا هو، وأن المقطوع معاذ بن عمرو بن الجموح حين ضرب أباه، وقد نقله ابن سيد الناس عن المصنف، رحمه الله، (**يد معوذ**) بضم الميم وفتح العين المهملة وتشديد الواو المكسورة وتفتح وذال معجمة (**ابن عفراء**) بعين مهملة وفاء ساكنة وراء مهملة ومدة اسم أمه، وهو من جملة شهداء بدر، وهم أربعة عشر، ومعوذ بن الحارث بن رفاعة النجارى الأنصارى، رضى الله تعالى عنه، وعفراء بنت عبيد بن ثعلبة النجارية، وعرف بأمه هو وأخواه معاذ وعوف، شهدوا بدراً فاستشهد عوف ومعوذ بها، وبقى معاذ بن عفراء إلى زمن عثمان بن عفان، رضى الله تعالى عنه، والذى فى سيرة ابن سيد الناس أن معاذ بن عفراء قتل أبا جهل، فضربه ابنه عكرمة على عاتقه وطرح يده، وتعلقت بجلدة من جنبه وأجهضه القتال، فقاتل يومه وهو يسحب يده خلفه، فلما آذته وضع عليها قدمه فقطعها.

(**فجاء يحمل يده، فبصق عليها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وألصقها فلصقت**) كما كانت فى مكانها ببركته وبركة ريقه الشريف الذى تفله عليها، وهذا لا ينافى كونه فعل الله تعالى، ولا حاجة لذكر مثله.

(**رواه ابن وهب**) وقد علمت ما يخالفه مما رواه ابن إسحاق، وصححه ابن سيد الناس، والمصنف، رحمه الله تعالى، فى غير هذا الكتاب، وقيل: إن ابن وهب لا شك فى جلالته، فما رواه يخالف ما قاله ابن إسحاق لجواز كون معاذ قطعت يده أيضًا، وعكرمة قطع يد أخيه معاذ و أبو جهل نفسه قطع يد معوذ وألصقها له رسول الله صلى الله تعالى

عليه وسلم، ثم قتل، وهذا من غير نقل صريح لا يقبل مثله بمجرد الاحتمال، فلا ينبغى ذكره من غير تثبت.

(ومن روايته) أى رواية ابن وهب التى رواها ابن إسحاق والبيهقى عنه كما نقله السيوطى **(أيضًا)** كروايته الأولى **(أو خبيب)** بالتصغير وخاء معجمة وموحدتين تصغير خب وهو المغفل **(ابن يساف)** بكسر الياء آخر الحروف وسين مهملة وألف وفاء ويقال: إساف بهمزة مكسورة **(أصيب)** بالبناء للمجهول أى أصابته ضربة سيف **(يوم بدر مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بضربة على عاتقه)** وكتفه، **(حتى مال شقه)** الذى أصابته الضربة بقطع يده وانفصالها عن عاتقه من غير انفصالها، **(فرده رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم)**: أى رد عضوه إلى مكانه الذى كان فيه، **(ونفث عليه حتى صح)** أى التأم وعاد كما كان فيه، ويساف هو ابن عيينة بن عمرو الخزرجى شهد ابنه حبيب بدرًا وأحدًا، وكان بالمدينة حين قدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وتأخر إسلامه حتى سار رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إلى بدر، فلحقه وأسلم وشهد بدرًا، فضربه رجل على عاتقه يومئذ فمال شقه، فأتاه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فتفل عليه ورده، فالتأم فانطلق وقتل الذى ضربه وتزوج ابنته بعد ذلك، فكانت تقول: لا عدمت رجلاً وشحك هذا الوشاح، يعنى الضربة التى فى محل الوشاح، فيقول: لا عدمت رجلاً عجل أباك إلى النار، وإلى ذلك أشار المصنف بما ذكر.

(و) ورى ابن أبى شيبة عن أم جندب أنه صلى الله تعالى عليه وسلم **(أتته امرأة من خثعم)** بخاء معجمة ومثلثة وعين مهملة وميم بزنة جعفر اسم جبل واسم قبيلة نزلت عنده منها هذه المرأة لأنها كانت نازلة بالجبل كما توهم **(معها صبى)** وهو ابنها **(به بلاء)**، وهو ما يبتلى به الناس، وفسره بقوله: **(لا يتكلم)** فإن كان بمعنى لا يقدر على الكلام فبلاؤه أنه كان أخرس أو أبكم، وإن كان بمعنى أنه به ذهول وعدم عقل للكلام، فهو مستأنف، وهذا هو المراد كما سيأتى **(فأتى بماء)** بالبناء للمجهول أى أمر من يأتيه بماء فى إناء فأتاه به، **(فمضمض فاه)** مضمض متعد وفاه مفعول، والمضمضة إدارة الماء فى الفم، فذكر الفم بعده تجريدًا وهو لازم ضمن معنى غسل، **(وغسل يديه)** بذلك الماء **(ثم أعطاها إياه)** أى أعطى المرأة ذلك الماء الذى رده فى إنائه بعد المضمضة وغسل اليدين منه، **(وأمرها بسقيه)** أى أمر المرأة بأن تسقى الصبى من ذلك الماء، **(ومسه به)** مصدر مضاف للمفعول أى مسحه بالماء، **(فـ)** لما فعلت ما أمرها به **(برأ الغلام، وعقل عقلا يفضل)** بزنة يقعد ويرقد **(عقول الناس)** أى يزيد على عقول الناس الذى من أمثاله.

وهذا الحديث رواه أحمد فى مسنده متصل بابن عباس قال: إن امرأة جاءت بولدها

إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وقالت: يا رسول الله إن به لمسا، أى جنونا، يأخذه عند طعامنا، فيفسده علينا، قال: فمسح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صدره ودعا له، فثع ثعة أى تقيأ، فخرج من فيه مثل الجرو، وهو الكلب الصغير جدًا، وفى كون هذه القصة ما ذكر القاضى بعينه نظر لما بينهما من الخلاف، مع احتمال تعدد القصة، وهو الظاهر، فلا وجه لجعلهما قصة واحدة، بل هذه التى رواها أحمد، والبيهقى، وابن أبى شيبة ما أشار إليه المصنف، رحمه الله تعالى، بقوله: (**وعن ابن عباس، رضى الله تعالى عنهما، جاءت امرأة بابن لها به جنون، فمسح صلى الله تعالى عليه وسلم صدره**) بيده المباركة الشريفة، (**فثع ثعة**) بفتح المثلثة وتشديد العين المهملة أى قاء مرة واحدة، كذا قاله أهل اللغة، وقال بعض أهل اللغة: ثع بمعنى سعل، وروى الحديث من طرق متعددة.

(**فخرج من جوفه**) وبطنه (**مثل الجرو الأسود**) بجيم مثلثة وراء مهملة ساكنة وواو، وهو الصغير من أولاد الكلاب والسباع، ويطلق على صغار الحنظل والقثاء أيضًا، وهو يحتمل هنا، وجمعه أجر كأدل بكسر آخره، وحذف الواو بعد قلبها ياء، (**فشفى**) بالبناء للمجهول أى شفاه الله.

(**و**) فى حديث رواه البيهقى، والنسائى، والطيالسى مسندًا مصححا فيه أنه (**انكفأت**) بنون وكاف وفاء وهمزة مفتوحة بعدها تاء تأنيث ساكنة: أى انقلبت (**القدر**) التى يطبخ فيها: أى وقع ما فيها من طعام حار كالنار المحرقة (**على ذراع محمد ابن حاطب**) بن الحارث بن معمى القرشى الجمحى الصحابى الذى ولد بالحبشة، وهو أول من سمى محمدًا فى الإسلام، وحاطب بزنة فاعل بحاء وطاء مهملتين وموحدة علم منقول من جامع الحطب، وسمى لذلك (**وهو طفل**) صغير، والجملة حالية، وفيه تقدير أى فحرق ذراعه، (**فمسح عليه**) أى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم مسح على ذراع محمد أو على محمد نفسه، (**ودعا له وتفل عليه**): أى نفخ نفخا فيه ريقه الشريف، وفى نسخة وتفل فيه، (**فبرأ لحينه**) من غير بطؤ، ومثله يكون فى أيام عديدة، ومحمد بن حاطب هذا صحابى ابن صحابى، توفى عام أربع وسبعين بمكة وقيل بالكوفة.

(**و**) فى حديث رواه الطبرانى، والبيهقى مسندًا (**كانت فى كف شرحبيل**) بضم الشين المعجمة وفتح الراء وسكون الحاء المهملتين وموحدة مكسورة ومثناة تحتية ساكنة ولام، قال ابن السيد فى شرح أدب الكاتب عن الأصمعى: شرحبيل أعجمى، وكذا شراحيل، وإيل معناه الله، ومعنى شراحيل وديعة الله عند أهل اليمن، ورأى أكثر البصرية خلافه بل شرحبيل كقذعميل، وشراحيل كسراويل جمع سمى به، أو بزنة الجمع انتهى، وهو عند

سيبويه اسم عربى غير منصرف، **(الجعفى)** بضم الجيم نسبة للجعفة مكان معروف، وشرحبيل صحابى ذكره الذهبى.

(سلعة) بكسر السين وسكون اللام وعين مهملة: زيادة بين الجلد واللحم كالغدة، وفيها لغات فتفتح سينها مع سكون اللام وفتحها، ويقال: سلعة بزنة عنبة، وقول البرهان هنا من فتح أراد الشبحة لا وجه له، فإنها لغة والكل بمعنى، ولا ينافى كون السلعة بمعنى الشبحة كما فى القاموس، والسلعة المتاع الذى يباع أيضًا **(تمنعه)** أى تلك السلعة لكونها فى داخل كفه **(القبض على السيف وعنان الدابة)** بكسر العين المهملة، وهو ما يقاد به الفرس ونحوه، **(فشكاها)** أصله شكى منها لضررها له **(للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فما زال يطحنها)** أى يدير كفه الشريفة عليها بقوة كما تدور الرحا، وهو بفتح الحاء ونون كسأل يسأل، **(حتى رفعها)** أى حتى أزالها من كفه، **(ولم يبق لها أثر)** فى كفه يضره ويمنعه، ففى قوله يطحنها استعارة.

(و) فى حديث رواه الطبرانى عن أبى أمامة أنه صلى الله تعالى عليه وسلم **(سألته جارية طعاما)** أى امرأة صغيرة السن أو خادمة لبعض أهل المدينة، **(وهو يأكل)** جملة حالية أى حال تناوله من طعامه، **(فناولها)** أى أعطاها **(من بين يديه)** أى من طعامه صلى الله تعالى عليه وسلم الذى كان بين يديه، **(وكانت)** الجارية **(قليلة الحياء)** من الناس لوقاحتها، **(فقالت)** الجارية له صلى الله تعالى عليه وسلم: **(إنما أريد)** بسؤالى أن تناولنى **(من الذى)** وضعته من الطعام **(فى فيك)**، وقصدت التبرك والتلذذ بما فيه ريقه الشريف، لكن فيه من ترك الأدب ما لا يخفى، **(فناولها ما فى فيه)** ولم يحرمها ويردها بعنف، **(ولم يكن)** صلى الله تعالى عليه وسلم **(يُسأل)** بالبناء للمفعول أى يسأله أحد **(شيئًا فيمنعه)** بالنصب فى جواب النفى، **(فلما استقر)** الطعام الذى ناولها من فيه **(فى جوفها ألقى)** بالبناء للمفعول أى ألقى الله **(عليها من الحياء)** بالمد، وأما بالقصر فهو المطر **(ما لم تكن امرأة بالمدينة أشد حياء منها)** أى حياء لم يكن فى امرأة غيرها، لشدته ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم فما موصولة أو موصوفة فى محل رفع نائب فاعل ألقى، والجملة صلة أو صفة بتقدير العائد أى ما لم يكن به أى بسببه، وذكر هذا لأن قلة الحياء من العاهات النفسية والجبلة الخبيثة التى يصعب زوالها، فمناسبة الحديث ظاهرة هنا، وفى هذا الباب من أمثال ما ذكر أحاديث كثيرة من أرادها فعليه بالنظر فى مطولات كتب الحديث.

* * *

(فصل فى إجابة دعائه ﷺ)

أى دعائه للناس وعليهم، **(وهذا)** الأمر المذكور هنا والإجابة وذكرها رعاية للخير

فى قوله: (**باب واسع جدًا**) بكسر الجيم منصوب على المصدرية، فهو فى الأصل ضد الهزل، ثم استعمل فى معنى الزيادة المفرطة المحققة هنا، وهو ظاهر، (**وإجابة دعوة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لجماعة**) أى لأجل ناس استحقوا ذلك سواء كان ذلك لهم أو عليهم، كما أشار إليه بقوله: (**دعا لهم وعليهم**) فإنَّ دعا إذا تعدى باللام كان للنفع؛ لأنه أوصل لهم بدعائه ما ينفعهم، وإذا تعدى بعلى كان للضرر كأنه أنزل عليهم البلاء وصبه عليهم، وهذا مخصوص بلفظ دعا، ألا ترى صلى الله على محمد، فإنه تعدى بعلى للرحمة؛ لما فيه من الحنو والشفقة.

قيل: إنما أعاده بلفظ الإفراد دون الجمع المعنوى كدعائه كما تقدم؛ لإرادة التنصيص على ما وقع منه فردًا فردًا، فالأول على الإجمال المطلق، والثانى على الإجمال التشخيصى، وقد أدرج شيئًا مما عقد له هذا الفصل فى الفصل الذى قبله، انتهى.

(**متواتر على الجملة**) أى متواتر تواترًا معنويًا باعتبار معناه الإجمالى، وإن لم تتواتر أفراده (**معلوم ضرورة**) أى بعلم ضرورى غير محتاج لدليل، (**وقد جاء**) أى ورد فى حديث رواه أحمد بن حنبل (**فى حديث حذيفة**) بن اليمان الصحابى المشهور، رضى الله تعالى عنه، (**كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم إذا دعا لرجل أدركت**) أى وصلت وأثرت (**دعوته**) المستجابة له (**ولده وولد ولده**)، فوصل أثرها لهم، وظهر فيهم ثم استشهد لما ذكره بقوله فيما رواه من حديث الصحيحين عن أنس، رضى الله تعالى عنه، (**حدثنا أبو محمد العتابى**) هو بفتح العين المهملة، وتشديد المثناة الفوقية نسبة لعتاب كما تقدم (**بقراءتى عليه**) من صحيح البخارى قال: (**حدثنا أبو القاسم حاتم بن محمد**) الذى تقدمت ترجمته، وتقدم ويأتى أنه يجوز التكنى بأبى القاسم على الصحيح من أن النهى مخصوص بعصره صلى الله تعالى عليه وسلم أو بالجمع بين الاسم والكنية قال: (**حدثنا أبو الحسن القابسى**) الحافظ السابق ترجمته قال: (**حدثنا أبو زيد المروزى**) نسبة لمرو كما تقدم قال: (**حدثنا محمد بن يوسف**) الفربرى كما تقدم.

قال: (**حدثنا محمد بن إسماعيل**) الإمام البخارى قال: (**حدثنا عبد الله بن أبى الأسود**) واسمه حميد البصرى الحافظ روى عنه البخارى وغيره، وتوفى سنة ثلاث وعشرين ومائتين، وترجمته فى الميزان قال: (**حدثنا حرمى**) بفتح الحاء والراء المهملتين وهو حرمى بن عمارة بن أبى حفصة العتكى توفى سنة إحدى ومائتين قال: (**حدثنا شعبة عن قتادة عن أنس**)، رضى الله تعالى عنه، تقدم تراجم هؤلاء كلهم (**قال**) أنس، رضى الله تعالى عنه: (**قالت أمى**) لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واسم أمه رميلة، وقيل: الرميصاء وهى أنصارية صحابية، وهى أم سليم (**يا رسول الله خادمك أنس**) بن مالك بن ضمضم

ابن زيد الأنصارى النجارى، وكنيته أبو حمزة، وكان لما قدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المدينة صغيرًا فخدمه وشهد معه المشاهد، وفى عمره اختلاف والأصح أنه عمر مائة إلا سنة، وقيل: إحدى وتسعين، وقيل: مائة وعشرين، وقال النووى: الأصح أنه جاوز المائة، ومات بمكان يسمى الطف على فرسخين من البصرة ودفن به. وقيل: إنه آخر من مات بالبصرة من الصحابة، رضى الله تعالى عنهم، وقال ابن عبد البر: لا أعلم أحدًا مات بعده غير أبى الطفيل، وخدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مدة إقامته بالمدينة، وروى عنه كثيرًا فروى عنه ألفى حديث ومائتين وستة وثمانين حديثا: **(ادع الله تعالى له)**، ولم تعين الدعوة، بل فوضتها له صلى الله تعالى عليه وسلم النبى **(وقال: اللهم أكثر ماله وولده)** أكثر وكثر بمعنى، **(وبارك له فيما آتيته)** أى فيما أعطيته من المال والولد، فأجاب الله تعالى دعوته حتى مات له فى الطاعون الجارف من نسله سبعون ولدًا، قيل: وفى هذا دليل على فضل الغنى على الفقير، وارتضوا أن الغنى الشاكر خير من غيره، والفقير الصابر خير من غيره، والظاهر أنه يتفاوت بحسب الناس كما ورد فى الحديث القدسى **(إن من عبادى من لا يصلحه إلا الغنى وإن من عبادى من لا يصلحه إلا الفقر)**، ودعا له صلى الله تعالى عليه وسلم بالبركة؛ لأن من بورك له فيما أوتى لم يكن فيه ضرر ولا تقصير فى الحقوق، وهو غنى محمود.

(ومن رواية عكرمة) عن أنس بن مالك صلى الله تعالى عليه وسلم كما أخرجه مسلم **(قال أنس: فوالله إن مالى لكثير)** ببركة دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم، **(وإن ولدى وولد ولدى)** لكثير لما مر **(ليعادون اليوم)** المراد باليوم الزمن الحاضر مطلقا، ويعادون بضم الياء المثناة التحتية وفتح العين المهملة المخففة وألف بعدها دال مهملة مشددة وواو جماعة ونون أى يزيدون **(على نحو المائة)**، وهو مفاعلة من العدد، وروى فى الصحيحين وغيرهما ليتعادون بزيادة تاء فوقية، والمعنى واحد، وقد وقع فى نسخ الشفاء بالروايتين أيضًا، وفى الأساس بنو فلان يتعادون على بنى فلان أى يزيدون. انتهى. كأن بعضهم يعد بعضا، ثم عبر به عما ذكر وأقحم، والمعنى أنهم يزيدون على ما يقرب من المائة اقتصارًا على المتيقن المتحقق.

(وفى رواية) قالوا هذه الرواية لا يعرف من رواها، **(و ما أعلم أحدًا أصاب)** أى وجد عنده **(من رخاء العيش)** أصل الرخاء بفتح الراء المهملة وخاء معجمة ومد بمعنى اللين، ثم استعير للسعة، والعيش بمعنى المعيشة **(ما أصبت)** أى كالذى أصبته أنا، **(ولقد)** جواب قسم مقدر، وقد هنا للتحقيق وكثيرًا ما يقترن بها جواب القسم **(دفنت بيدى)** بالتثنية **(هاتين)** إشارة ليديه ليبين أنه على ظاهره، وحقيقته فى الجارحة لا بمعنى القدرة والتصرف **(مائة من ولدى)**، ثم بين أن المراد بالولد أولاده الكبار لصلبه، فقال: **(لا**

أقول) إن الولد كان **(سقطا)** بتثليث السين المهملة، وهو ما سقط من بطن أمه قبل مدة تمام حمله، وأوان ولادته، **(ولا ولد ولد)** نفاه لأن الولد قد يطلق عليه مجازًا، وعلى ما يشمل الولد الصلبى وغيره بعموم المجاز، وهو منصوب بمقدر أى لا أقول: دفنت سقطا إلى آخره، والجملة مقول القول.

وحديث أنس هذا صحيح، وروى من طرق مختلفة فى ألفاظها اختلاف يحتاج للتوفيق إن لم تكن القصة متعددة، وفى الوفاء لابن الجوزى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال فى دعائه له: وأطل حياته، وأن أنسا قال: فأكثر الله مالى حتى أن لى كرما يحمل فى السنة مرتين، وولد لصلبى مائة وستة، وفى مسلم أنه قال: دخل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم علينا وما هو إلا أنا وأمى وأم حرام خالتى، فقالت أمى: يا رسول الله خويدمك أنس ادع الله له، فدعا لى بكل خير، وكان فى آخر ما دعا لى: اللهم أكثر ماله وولده، وبارك له فيه.

وفيه أيضًا جاءت أمى إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد أزرتنى بنصف خمارها وردتنى بنصفه، فقالت: هذا ابنى أتيتك به يخدمك فدعا له، وفيه أنه صلى الله تعالى عليه وسلم مر بأمى فسمعت صوته، فقيل: يجوز أن يكون مر فعرفت صوته فدعته لدخول دارها فدخلها.

(تنبيه): قال ابن قتيبة: إن ثلاثة من أهل البصرة رزق كل منهم مائة ولد صلبى: أنس وأبو بكرة وخليفة بن بدر، وفى تاريخ ابن خلكان أن تميم بن المعتز بن باديس خلف مائة ذكر وستين أنثى.

(ومنه) أى من دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه البيهقى **(دعاؤه لعبد الرحمن ابن عوف)** الصحابى أحد عشرة المبشرين بالجنة، وهو من أغنياء الصحابة، رضى الله تعالى عنهم، وترجمته معروفة **(بالبركة)** أى بأن يبارك الله تعالى له فيما رزقه.

(قال عبد الرحمن: فلو رفعت حجرًا) من مكانه بيدى، **(لرجوت)** ببركة دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم **(أن أصيب)** وأجد **(تحته ذهبا، وفتح الله عليه)** أى يسر له أمور الدنيا بسهولة، وتقدم أن أصل الفتح إزالة الإغلاق والإشكال، قال الله تعالى: ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٤٤] أى وسعنا عليهم بإقبال أنواع الخيرات عليهم، وهذا ببركة دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم له فإنه لما قدم المدينة آخى بينه وبين سعد بن الربيع، وتعاطى التجارة فرزقه الله تعالى مالا كثيرًا، **(ومات)** فى سنة إحدى وثلاثين، وقيل: اثنين وثلاثين، وهو ابن خمس أو ثلاث أو اثنين وسبعين سنة ودفن بالبقيع، **(فحفر الذهب من تركته بالفئوس)** الحفر معروف وهو فى الأصل إخراج تراب

الأرض، قيل: المراد به هنا قطعه لأنه فى صدر الإسلام لم يكن تضرب الدنانير، وإنما كانت تأتى من غير ديارهم، وتجعل الذهب والفضة سبائك وقطعا توزن، فكان عنده منها قطع كثيرة لما أريد قسمتها كسرت، والتركة بفتح أوله وكسر ثانيه ما تركه الميت خالصا من حق الغير، والفئوس بضم الفاء والهمزة تليها واو ساكنة بزنة كئوس، جمع فأس بفتح فهمزة ساكنة وتبدل ألفًا، **(حتى مجلت فيه الأيدى)** بفتح الميم والجيم، ويجوز كسرها، وفى آخره لام وتاء تانيث، وضمير فيه للحفر المعلوم مما قبله، والمجل تغير يكون فى اليد من كثرة العمل حتى خرج فى أيديهم نفاطات وجراحات من كثرة عملهم، **(وأخذت كل زوجة)** واحدة من زوجاته **(ثمانين ألفًا)** لم يبين هل هى ذهب أو فضة؟ وهل هى مثاقيل أو دراهم؟ إلا أنه وقع التصريح فى رواية بأنها دراهم، والعادة أن يعد الذهب بالمثاقيل والفضة بالدراهم **(وكن)** أى زوجاته التى مات عنهن ورثته **(أربعا)** من النسوة، **(وقيل)**: إن نصيب كل واحدة من هؤلاء الزوجات الأربع **(مائة ألف، وقيل: بل صولحت)** بالبناء للمجهول **(إحداهن)** أى صالحها بعض ورثته بعد موته على طريق الخارج من التركة **(لأنه طلقها فى مرضه)** الذى مات فيه، والمطلقة فى مرض الموت ترث إذا مات وهى فى العدة، ولم يكن الطلاق بطلب منها بشروط مفصلة فى كتب الفقه، وهو مذهب أبى حنيفة، رحمة الله تعالى عليه، وخالفة فى ذلك الشافعى، رحمة الله تعالى عليه، فى أحد قوليه، وذهب إلى كل من المذهبين كثير من الصحابة كما فصل فى كتب الفقه، وليس هذا محله.

(على نيف) بفتح النون وتشديد الياء المكسورة بوزن كيس، وهو كل ما زاد على عقد إلى أن يبلغ ما فوقه من العقود، من ناف بمعنى زاد، ويجوز تخفيفه **(وثمانين ألفًا)** من الدنانير **(وأوصى بخمسين ألفًا)** من الدنانير كما ذكره الطبرانى فى الرياض النضرة قال: أوصى عبد الرحمن بن عوف بخمسين ألف دينار فى سبيل اللّه، وأوصى بحديقته لأمهات المؤمنين، فبيعت بأربعمائة ألف، وأوصى لمن بقى من أهل بدر لكل رجل بأربعمائة دينار، وبألف فرس فى سبيل اللّه، وهذا كله **(بعد صدقاته الفاشية)** أى الظاهره المشهورة من فشى السر إذا شاع **(فى حياته وعوارفه العظيمة)** جمع عارفة، وهى ما يعتاد من الإحسان والعطايا بجعل المعروف عارفًا مبالغة وتمليحًا، وهو من لطائفهم المشهورة، ثم أشار إلى شىء مما ذكره، فقال:**(أعتق يومًا ثلاثين عبدًا وتصدق يومًا بعير)**بكسر العين المهملة، وهى الجمال التى تحمل الميرة اسم جمع لا واحد له، وقد يقال لكل ما تحمل الميرة من الإبل وغيرها، والمراد الأول لقوله: **(فيها سبعمائة بعير وَرَدَتْ عليه)** أى جاءته مع قافلة أرسلها للتجارة **(تحمل من كل شىء)** أى عليها أحمال من أمور مختلفة كالبر والتمر والثياب، والاستغراق عرفى أى من كل ما عهد حمله للتجارة، **(فتصدق بها)** أى

بالإبل، **(وبما عليها)** من طعام وغيره **(بأقتابها)** جمع قتب بفتحتين ويجوز إسكان ثانيه، وهو إكاف صغير يوضع على سنام البعير ليقيه من الأذى، **(وبأحلاسها)** جمع حلس بكسر الحاء المهملة وسكون اللام وسين مهملة، وهو كساء يوضع تحت الإكاف على ظهر البعير، وهذا قليل بما ذكر فى مناقب ابن عوف وصدقاته، فإنه لايعد ولا يحصى، وكان أهل المدينة عيالا عليه يصلهم دائما ويقضى ديونهم، ويقوم بمؤنة فقرائهم وليس هذا محل تفصيله.

(ودعا) صلى الله تعالى عليه وسلم **(لمعاوية)** بن أبى سفيان صلى الله تعالى عليه وسلم **(بالتمكن فى البلاد)** التمكن تفعل من المكان، والمراد به القدرة على التصرف فيها يقال: مكنته ومكنت له، قال الله تعالى ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّـٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٠].

(فنال الخلافة) أى صار خليفة وسلطانًا مالكًا للبلاد بدعائه صلى الله تعالى عليه وسلم، وهو إشارة إلى حديث رواه أبو سعيد فيه أنه قال: اللهم علمه الكتاب ومكن له فى البلاد وقه العذاب، ومعاوية رضى الله تعالى عنه، أسلم هو وأبوه وأمه هند وأخوه يزيد فى فتح مكة، وقال معاوية: أنه أسلم فى يوم الحديبية، وكتم إسلامه عن أبويه، وشهد مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حنينًا فأعطاه من غنائم هوازن أربعين أوقية، ولما بعث أبو بكر صلى الله تعالى عليه وسلم الجيش إلى الشام سار هو وأخوه يزيد معهم، فاستخلفه أبو بكر على دمشق، ثم أقره عمر عليها، ثم أقره عثمان عليها، فلما قتل لم يبايع عليا لطلبه بدم عثمان ممن كان معه ممن باشر قتله، وجرى بينهما ما جرى فى وقعه صفين مما ينبغى الكف عنه، وقال صلى الله تعالى عليه وسلم لمعاوية: اللهم اجعله هاديا مهديا. وورد فى فضائله أحاديث أخر، فكان فى أول أمره أميرًا لأبى بكر وعمر وعثمان، رضى الله تعالى عنهم، فلما قتل عثمان استقر مكانه، ولم يمتثل أمر على، كرم الله تعالى وجهه، لاجتهاد أداه لذلك، فلما قتل على، واستخلف ابنه الحسن، رضى الله تعالى عنه، سار معاوية إلى العراق، وسار إليه الحسن، ثم رأى أن الخطب عظيم تراق فيه دماء المسلمين، فسلم الأمر إلى معاوية باختيار منه، فرجع إلى المدينة فتسلم منه معاوية الخلافة، وأتى الكوفة فبايعه الناس واجتمعوا عليه، فسمى ذلك العام عام الجماعة، وصار معاوية خليفة حقيقة بعد ما كان الحق مع على، كرم الله وجهه، كما ارتضاه القاضى أبو بكر بن العربى لا متغلبا كما أشار إليه المصنف بقوله: نال الخلافة، فاندفع ما قيل من أن الصواب أن يقول: نال الإمارة أو الملك؛ لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم: «الخلافة بعدى ثلاثون سنة، ثم يكون ملكا عضوضا» وسيأتى الكلام على ذلك كله، وكملت الخلافة بمدة الحسن بعد أبيه ستة أشهر، وقيل: الخلافة بالمعنى اللغوى؛ لأنه خلف من قبله، أو الخلافة اتباع السنة.

(و) دعا صلى الله تعالى عليه وسلم **(لسعد بن أبى وقاص)** أى دعا دعاء مستجابا لسعد بن أبى وقاص، رضى الله تعالى عنه، كما ورد فى حديث رواه الترمذى مسندًا متصلاً عن سعد والبيهقى، عن قيس بن أبى حازم مرسلاً حسنًا، وأبو وقاص كنية أبيه، وهو مالك بن وهيب بن عبد مناف الزهرى القرشى أحد العشرة المبشرين بالجنة، وهم أول من أراق دما فى الإسلام، وهو من الشجعان الذين كانوا يحرسون رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وآخر العشرة موتا مات سنة خمس وخمسين، وله بضع وستون أو سبعون سنة أو ثمانون، ودفن فى البقيع ومناقبه مشهورة.

(أن يجيب الله دعوته) أى كل دعوة له، **(فما دعا على أحد إلا استجيب له)** بالبناء للمجهول، والاستجابة بمعنى الإجابة قال[1]:

وداع دعا يا من يجيب إلى النداء   فلم يستجبه عند ذاك مجيب

وأصل معناه الإجابة، قال الترمذى: قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم: اللهم استجب لسعد إذا دعاك، وعن المقداد، رضى الله تعالى عنه، أن سعدًا قال: يا رسول الله ادع الله أن يستجيب دعائى، فقال: «يا سعد إن الله لا يستجيب دعاء أحد حتى يطيب طعمته»، فقال: ادع الله أن يطيب طعمتى فإنى لا أقوى إلا بدعائك، فقال: «اللهم أطب طعمة سعد»[2]، الحديث، ودعواته مشهورة مأثورة، وقد أجيب له دعوات مخرجة فى الصحيح وغيره.

(ودعا) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه الترمذى عن ابن عمر، رضى الله تعالى عنهما، **(بعز الإسلام)** بأن الله يعز الإسلام أى يقويه وينصره ويظهره بأحد الرجلين **(بعمر)**، رضى الله تعالى عنه، **(أو بأبى جهل)**؛ لما كان يعلم من شدتهما وشجاعتهما، وبتفرسه فيهما لا على التعيين، وكان هذا بمكة قبل الهجرة، وتمكن المسلمين من إظهار الدين، **(فاستجيب له فى عمر)** بأن هداه الله تعالى، وأعز به دينه فسبقت له السعادة، وسبقت الشقاوة لأبى جهل عمرو بن هشام فرعون هذه الأمة لعنه الله، فقتل كافرًا يوم بدر فى السنة الثانية من الهجرة، والمراد بعز الإسلام عز أهله، وإلا فهو دائما عزيز؛ لأنهم كانوا قبل إسلام عمر لا يظهرون صلاتهم عند البيت خوفًا من المشركين، فلما أسلم، رضى الله تعالى عنه، قاتلهم حتى صلوا معه عند الكعبة، ولذا قال ابن مسعود،

---

(١) البيت من الطويل، وهو لكعب بن سعد الغنوى فى الأصمعيات (ص٩٦)، لسان العرب (٢٨٣/١)، تاج العروس (٢٠٦/٢)، جمهرة أشعار العرب (ص٧٠٥).

(٢) أخرجه الطبرانى كما فى مجمع الزوائد (٢٩١/١٠)، وابن عساكر فى تهذيب تاريخ دمشق (١٠٤/٦).

رضى الله تعالى عنه: كان إسلام عمر فتحًا وهجرته نصرًا وخلافته رحمة، وتشريكه صلى الله تعالى عليه وسلم له فى الدعاء مع أبى جهل؛ لأنه لم يتعين عنده أحدهما أو لم يعينه لأمر ما.

وقد روى من طرق أنه صلى الله تعالى عليه وسلم، خص عمر بالدعاء؛ فقال: «اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب، اللهم أيد الإسلام بعمر»[1]، وجمع بين الروايتين بأنه لما تفرس فيهما الشهامة، ونفوذ الكلمة بحيث لا يعصى أمرهما دعا بذلك، ثم لما تبين له بإعلام من الله تعالى، وإلهام منه أن اللائق بذلك عمر خصه بدعائه ثانيًا، وكرره حتى استجيب له، وقصة إسلامه مفصلة فى السير.

(قال ابن مسعود: ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر)؛ لأنه أظهر ذلك، وقاتلهم فى بلدهم كما فعل حمزة أيضًا، رضى الله تعالى عنه، فكان ذلك ابتداء الظهور، وكان ما كان مما لم يجل فى خواطر الإمكان.

(و) مما وقع له صلى الله تعالى عليه وسلم من إجابة دعائه ما رواه البيهقى والحاكم وصححه عن عمر، رضى الله تعالى عنه: **(أصاب الناس فى بعض مغازيه)** صلى الله تعالى عليه وسلم، **(عطش فسأله عمر الدعاء)** للناس أن يسقيهم الله من فيض فضله، **(فدعا فجاءت سحابة)** أى ظهرت سحابة عقب دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه استعارة لتشبيهها برجل يسمع نداءه فجاءه، فهى تصريحية تبعية أو تخييلية كما فى قوله: **(فسقتهم)** أى شربوا من ماء مطرها، وقوله: **(حاجتهم)** مفعوله لتضمينه معنى أعطتهم حاجتهم، وهى الماء الذى يزيل عطشهم، **(ثم أقلعت)** أى انجلت وكفت عن المطر بعد قضاء حاجتهم من مائها، قيل: هذه الغزاة هى غزاة بدر المشار إليها بقوله فى سورة الأنفال: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ﴾ [الأنفال:١١] كما ذكره ابن الجوزى فى الوفاء، وساق الحديث بتمامه.

(ودعا) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه الشيخان عن أنس، رضى الله تعالى عنه، **(فى الاستسقاء)** أى فى دعائه وطلبه أن يسقيهم، **(فسقوا)** بالبناء للمجهول أى سقاهم الله تعالى عقب دعائه، ودام السحاب يمطر، **(ثم شكوا إليه المطر)** من كثرته ودوامه المضر بهم، **(فدعا)** الله بأن يكف المطر ويقلع السحاب، **(فصحوا)** أى صحت السماء وانكشف غيمها: فإسناد الصحو إليهم مجازى، وهو بفتح الحاء بزنة رموا، وروى بضمها، وأصله صحووا، فنقل وحذف. **(ودعا لأبى قتادة)** الحارث بن ربعى

(١) أخرجه ابن ماجه (١٠٥)، والحاكم (٨٣/٣)، وابن حبان (٢١٨٠)، والطبرانى (١٩٧/١٠)، والبيهقى فى السنن الكبرى (٣٧٠/٦)، وفى دلائل النبوة (٨/١).

الصحابى، وقد تقدمت ترجمته، وهذا الحديث رواه البيهقى فى الدلائل وبين دعاءه بقوله: **(أفلح وجهك)** الفلاح الظفر وإدراك البغية، وهو دنيوى وهو نيل ما يطيب به حياة الدنيا، والبقاء فى عز وغنى وأخروى، وهو النعيم المخلد والوجه معروف، وقد يعبر به عن الذات كما فى قوله تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧].

(اللهم بارك له) أى لأبى قتادة، رضى الله تعالى عنه، وتقدم معنى البركة **(فى شعره وبشره)**، والشعر معروف، والمراد به ما يستحسن ويعد زينة، والبشر ظاهر الجلد والبدن، وكنى بذلك عن جملته، وجميع بدنه فدعا له صلى الله تعالى عليه وسلم بأن يبقى معمرًا على أحسن تقويم، كاملاً جميع أعضائه.

(فمات وهو ابن سبعين سنة، وكأنه ابن خمس عشرة سنة) فى نضارته وقوته لم يتغير بدنه، و لم يشب شعره ببركة دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم له، وتوفى بالمدينة سنة أربع وخمسين، وقد تقدم أن الفلاح دنيوى وأخروى وما ذكره من تمام خلقته دنيوى، فتمامه يدل على فوزه بالفلاح الأخروى؛ لأن الكريم إذا طلب منه أمران فعجل بأحدهما، دل على أنه يعطى الآخر، وإنما اقتصر على هذا؛ لأنه معلوم مشاهد دال على غيره كما قيل:

كما أحسن الله فيما مضى   سيحسن الله فيما بقى

(وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم: **(للنابغة)** الجعدى، وهو قيس وقيل: حبان بن عبد الله بن عمر بن عدس، بوزن عمر، وفى الشعراء من لقب بالنابغة غيره كالنابغة الذبيانى، ولكنه إذا أطلق يراد به هذا، وهو أحد المخضرمين المعمرين، قيل: إنه عاش مائتين وثمانين سنة، وقيل: مائتين وأربعين، وقيل: مائة وعشرين سنة كما يأتى.

واجتمع بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وأخرج له بقى بن مخلد حديثا، ومدح النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بقصيدته الرائية، وهى نحو مائة بيت فى غاية البلاغة أنشدها بين يديه صلى الله تعالى عليه وسلم فدعا له بما ذكره المصنف، ولما بلغ قوله فيها[1]:

بلغنا السماء مجدنا وسناؤنا   وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرًا

قال إلى أين يا أبا ليلى؟ قال: إلى الجنة: قال: نعم إن شاء الله[2]، ثم لما أنشده صلى

---

(١) البيت من الطويل، وهو للنابغة الجعدى فى ديوانه (ص٦٨)، خزانة الأدب (١٦٩/٣)، شرح التصريح (١٦١/٢)، لسان العرب (٥٢٣/٤)، المقاصد النحوية (١٩٣/٤).

(٢) أخرجه أبو نعيم فى تاريخ أصفهان (٧٤/١)، وابن حجر فى الكاف الشاف (١٠٦).

الله تعالى عليه وسلم قوله:

ولا خير فى علم إذا لم يكن له بوادر تحمى صفوه أن يكدرا
ولا خير فى جهل إذا لم يكن له حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا

قال له صلى الله تعالى عليه وسلم :(**لا يفضض الله فاك**)، وروى لا يفضى الله فاك بضم أوله وسكون ثانيه وكسر الضاد يليها ياء ساكنة مضارع أفضى كأعلى يعلى، قال المرزوقى فى شرح الفصيح: تقول العرب فى الدعاء عليه: فض الله فاه، وفى الدعاء له لا يفضض الله فاه، ومصدره الفض ومعناه الكسر، وبعض العرب تقول: لا يفضى الله فاك: أى لا يجعله فضاء خاليًا عن الأسنان، وهذا كقوله:

قد ترك البرنى فاه بلدا

انتهى.

فعلى الأول الفم مجاز عما فيه من الأسنان، وعلى الثانى على حقيقته، والنابغة لقب له لأنه نبغ فى الشعر: أى فاق أقرانه، والهاء للمبالغة كعلامة (**فما سقطت له سن**) ببركة دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم له، والسن واحد الأسنان المعروفة، وقد قالوا: زيادة السن نقص فى السن، فالسن الأول العمر، والثانى واحد الأسنان.

(**وفى رواية**) لحديث النابغة المذكور (**فكان أحسن الناس ثغرًا**) بثاء مثلثة مفتوحة وغين معجمة ساكنة وراء مهملة، وهو ما تقدم من الأسنان، ويقال: اثغر الغلام بتشديد المثلثة واتغر بتشديد المثناة، ويطلق الثغر على الفم، ويصح إرادته هنا، وثغرًا منصوب تمييز.

(**إذا سقطت له سن نبتت له أخرى**) مكانها لئلا يخلو فمه من الأسنان (**وعاش عشرين ومائة، وقيل: أكثر من هذا**) فقيل: مائة وأربعين، وقيل: مائتين وأربعين، وقيل: مائتين وثمانين؛ لأن دعاءه صلى الله تعالى عليه وسلم له بأن لا تسقط أسنانه يتضمن الدعاء له بطول العمر، وفيه معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم بإجابة دعوته فيه.

وأكثر أعمار هذه الأمة ما بين الستين والسبعين، وما زاد لا يزيد غالبا على مائة وعشرين ويزعم الأطباء أنه العمر الطبيعى، وقد زاد بعضهم على ذلك كما استقصاه الأصمعى فى كتاب المعمرين، ومنهم سلمان الفارسى، وقد اختلفوا فى مدته كما هو مفصل فى ترجمته.

وفى الحديث ما يدل على أن مدح الشعراء للأشراف غير مكروه، وأن الإحسان لمن مدحهم بعطية وجائزة أو بدعاء وجميل من القول سنة.

وقصيدة النابغة هذه طويلة بليغة رواها ابن حجر بتمامها فى بعض كتبه، ولولا خوف الإطالة أوردناها هنا.

(ودعا) صلى الله تعالى عليه وسلم **(لابن عباس)** فى حديث صحيح رواه الشيخان، وابن عباس هو عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، غلب عليه حتى صار علمًا بالغلبة له دون سائر بنيه.

وقوله: **(اللهم فقهه فى الدين)** معمول مقدر، أى فقال أو قائلاً إلى آخره، أى فهمه وعلمه. قال الراغب: الفقه التوصل إلى علم غائب بعلم شاهد فهو أخص من العلم، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ [الحشر: ١٣]، والفقه العلم بالأحكام الشرعية، يقال: فقه إذا صار فقيها وفقه بمعنى فهم، وفقهه فهمه، وتفقه إذا طلبه فيخص به كما قال تعالى: ﴿لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾ [التوبة: ١٢٢] انتهى.

(وعلمه التأويل) أى التفسير، وقد يفرق بينهما فقال: التفسير بيان معنى القرآن بما هو مأثور عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أو كبار الصحابة، والتأويل بيانه بما تقتضيه قواعد العربية، وهو تفعيل من الأول بمعنى الرجوع إلى الأصل، ومنه الموئل لموضع الرجوع، فهو رد الشيء إلى الغاية المرادة منه علما كان أو فعلا، فالعلم كقوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧] والفعل كقوله:

وللنوى قبل يوم البين تأويل

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾ [الأعراف: ٥٣]، أى بيان غايته المقصودة منه، وقوله: ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩] بمعنى أحسن معنى وترجمة، وقيل: أحسن ثوابا فى الآخرة، فدعاؤه له صلى الله تعالى عليه وسلم بأن يعلمه الله الشريعة المحمدية وأن يهديه للوقوف على معانى كلامه، فأجاب الله دعاءه حتى كان معول الناس عليه فى ذلك.

(فسمى بعد) بالبناء على الضم: أى بعد دعائه، صلى الله تعالى عليه وسلم له، أو بعد موته صلى الله تعالى عليه وسلم **(الحبر)** مفعول سمى، وهو بكسر الحاء وفتحها، ومعناه العالم المتقن الذى تبقى آثاره بعده، وأصل معنى الحبر: الأثر المستحسن، ومنه ذهب حبره وسبره: أى جماله وبهاؤه: أى كان الصحابة وسائر الناس يسمونه بذلك؛ لأن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم توفى، وابن عباس ابن عشر أو ثلاث عشر أو خمس عشر سنة على اختلاف فيه.

(وترجمان القرآن) ترجمان بالضم كعنوان، والفتح كزعفران، وبفتح أوله وضم الجيم، وهو من يفسر لسانا بلسان، ويطلق الترجمان على من يبلغ الكلام، وللترجمة إطلاقات

أخر، وفى كلام المصنف، رحمه الله تعالى، شبه اللف والنشر، فإن كونه حبر الأمة ناظر لقوله: «فقهه فى الدين» وكونه ترجمان القرآن ناظر لعلم التأويل والتفسير، ودعاؤه صلى الله تعالى عليه وسلم لابن عباس وقع مرارا، وروى من طرق صحيحة.

منها ما روى عنه أنه قال: أتى صلى الله تعالى عليه وسلم الخلاء، فوضعت له وضوءًا أى ماء يتطهر به فقال: من صنع هذا؟ فقالوا: ابن عباس، فقال: اللهم... إلى آخره.

قال ابن المنير: مناسبة الدعاء لما فعله أنه يدل على ذكائه لعلمه بأنه يحتاج لطلب الماء، فبادر لذلك وكان عند خالته ميمونة ليلا، وهى المخبرة له صلى الله تعالى عليه وسلم بما صنعه، وفى رواية «علمه الكتاب وزده علما وفهما»، ووضع يده الشريفة على كتفه، وفى رواية أنه صلى الله تعالى عليه وسلم ضمه لصدره.

وأول من لقبه بترجمان القرآن ابن مسعود، وكان أعلم الناس بالفقه والفرائض، وأشعار العرب وأيامها، وكان يجلس لإفادته، فكان لا يسأل عن شىء إلا وجد عنده علم منه، كل ذلك ببركة دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم.

(ودعا) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه البيهقى عن عمرو بن حريث **(لعبد الله بن جعفر)** بن أبى طالب بن عبد المطلب، فعبد الله هاشمى مدنى صحابى ولد بالحبشة، وتوفى سنة تسعين أو ثمانين، وروى عنه أحاديث عدة، وجعفر هو الطيار ذو الجناحين، وكان عبد الله ولده من أسخى الناس حتى لقب بحر الجود وقطب السخاء **(بالبركة)** أى الزيادة والنماء **(فى صفقة يمينه)** أى فى بيعه وشرائه ومعاملته، وسمى ذلك صفقة لأنهما كانوا إذا تبايعوا يصفق أحدهم يده بيد الآخر، والصفقة ضرب اليد بصوت، وذكر اليمين لأن الأكثر فى الأخذ والعطاء بها تيمنا، **(فما اشترى شيئًا إلا ربح فيه)**: أى وجد فيه ربحا وفائدة.

(ودعا) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه البيهقى فى الدلائل وأبو نعيم **(للمقداد)** بن الأسود، والمقداد هو ابن عمرو بن ثعلبة، ويأتى أنه اشتهر بابن الأسود؛ لأنه تربى فى حجره، وهو صحابى مشهور توفى فى خلافة عثمان رضى الله تعالى عنه **(بالبركة)** أى الزيادة فى ماله، **(فكان عنده غرائر من المال)** ببركة دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم له، والغرائر: جمع غرارة بكسر الغين المعجمة، وهى معروفة، وقال الجوهرى: أظنها معربة، قال أبو نعيم: قالت ضباعة بنت الزبير وهى زوجة المقداد: خرج المقداد يومًا لقضاء حاجته فبينما هو جالس خرج جرذ: من جحره بدينار، ولم يزل يخرج دينارًا دينارًا حتى بلغ سبعة عشر، فجاء بها المقداد للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وأخبره بخبره، فقال له: أدخلت يدك فى الجحر؟ قال: لا والذى بعثك بالحق فقال: صدقة

تصدق الله بها عليك بارك الله لك فيها. قالت ضباعة: فما فنى آخرها حتى رأيت غرائر الورق فى بيت المقداد. انتهى.

(ودعا بمثله): أى بمثل ما دعى للمقداد وغيره فى حديث رواه البخارى والدارقطنى وأحمد فى مسنده **(لعروة بن أبى الجعد)** البارقى، وقيل: الأزدى، واختلف فيه فقيل: عروة بن أبى الجعد، وقيل: ابن الجعد، وهو صحابى مشهور أخرج له الستة وأحمد، وبارق بطن من الأزد نزلوا عند جبل يقال له: بارق فنسبوا له، قيل: من قال ابن الجعد فقد أخطأ. وولاه عمر قضاء الكوفة.

(قال) عروة: **(فلقد كنت)** جواب قسم مقدر **(أقوم بالكناسة)** بضم الكاف معناها القمامة، ثم صارت علما لسوق مشهور بالكوفة، وقيل: إنه يجوز أن يراد به حقيقته: أى أقوم بمقام حقير يستبعد الكسب فى مثله، وهو بعيد، **(فما أرجع)** أى أعود من المحل الذى قمت فيه، **(حتى أربح أربعين ألفًا)** مما يبيعه ويشتريه.

(وقال البخارى فيه) أى فى حديث عروة: **(فكان)** عروة، رضى الله تعالى عنه، **(لو اشترى التراب ربح فيه)** ببركة دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم.

(وروى مثل هذا): أى مثل حديث عروة المذكور **(لغرقدة أيضًا)** بفتح الغين المعجمة وسكون الراء المهملة وقاف ودال مهملة واحدة الغرقد، وهو شجر معروف له شوك يسمى العوسج والعضاه، وبه سمى بقيع الغرقد، وهو مقبرة أهل المدينة، وغرقدة صحابى يسمى أبا شبيب روى عنه ابنه.

(وندت له ناقة) الضمير للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وندَّ ماض بفتح النون وتشديد الدال المهملة: بمعنى نفرت وشردت حتى غابت عن نظره، فلا يراها، وأصل معناه انفردت عن أندادها، وهذا يختص بالإبل ونحوها فلا يقال: ند الرجل، وليس ضمير له لغرقدة كما توهمه بعضهم، **(فجاء بها إعصار ريح)** الإعصار بحروف مهملة: ريح شديدة تثير غبارا، ويرتفع إلى السماء، كأنها عمود، وهى الزوابع، وقيل: ريح تثير سحابا ذات رعد وبرق، والمراد الأول هنا **(حتى ردها)** الإعصار **(عليه)** أى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم.

وهذا الحديث لم يخرجوه، وكون الضمير لغرقدة لا يناسب المقام وإن اتفقوا عليه، والظاهر ما قلناه.

وليس من هذا أيضًا كما فى الشرح الجديد ما وقع فى غزوة بنى المصطلق؛ لأنها هاجت فيها ريح شديدة فآذتهم، وكانت ناقته صلى الله تعالى عليه وسلم ضلت ليلا فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم: إنها هبت لموت عظيم من الكفار، وهو رفاعة بن

زيد، فقال بعض المنافقين: أيزعم محمد أنه يعلم الغيب، وهو لا يعلم مكان ناقته؟ فأتاه جبريل وأخبره بما قاله، وبمكان ناقته بالشعب إلى آخر القصة، إذ ليس فيها أن الريح ردت الناقة عليه، فلعل المصنف وقف عليه من طريق آخر فيه رد الريح.

(ودعا) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه مسلم فيه أنه دعا **(لأم أبى هريرة)**، رضى الله تعالى عنهما، بأن يهديها الله للإسلام، وكانت مشركة، **(فأسلمت)** وهداها الله للإسلام، وحازت شرف الصحبة، واسمها: أميمة بنت صبيح بن الحارث ابن دوس كما ذكره ابن بشكوال، وأبوها صبيح بالموحدة وقيل: صفيح بالفاء، وقيل: اسمها ميمونة، وحكى القولين ابن الأثير فى أسد الغابة، وأما أبو هريرة فقد تقدم الكلام على اسمه والخلاف فيه، وكان، رضى الله عنه، حريصا على إسلامها فدعاها للإسلام فأسمعته ما يكره فى حق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فأتاه وهو يبكى، وقال له: إنى كنت أدعوها للإسلام فتأبى فدعوتها اليوم فأسمعتنى فيك ما أكره فادع الله أن يهديها، فقال: **(اللهم اهد أم أبى هريرة)**، فخرج مستبشرًا بدعائه صلى الله تعالى عليه وسلم فلما أتى الباب سمعت خشف أقدامه، فقالت: مكانك يا أبا هريرة، فسمع صبها الماء، فاغتسلت ولبست درعها وخمارها وفتحت له الباب، فلما دخل قالت: يا أبا هريرة إنى أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله، فرجع إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فرحا، وقال: أبشر يا رسول الله، فقد أجيبت دعوتك وهدى الله تعالى أمى للإسلام، فحمد الله تعالى فقال: يا رسول الله ادع الله أن يحببنى أنا وأمى إلى عباده المؤمنين ويحببهم إلينا فقال: **(اللهم حبب عبدك هذا وأمه إلى عبادك وحببهم لهما)**، فكان لا يسمع به أحد أو يراه إلا أحبه كما ذكره مسلم والبيهقى فى دلائله.

(ودعا) صلى الله تعالى عليه وسلم **(لعلى)** بن أبى طالب فى حديث رواه البيهقى وابن ماجه بسند صحيح متصل لعلى رضى الله تعالى عنه، **(أن يُكْفَى)** بالبناء للمجهول: أى أن يكفيه الله تعالى بفضله **(الحر والقر)** أى ألمهما وهو بفتح الحاء وتشديد الراء المهملتين وهو ضد البرد، والحرارة سخونة تعرض للهواء من نحو الشمس والنار، ومنها ما يعرض للبدن من الطبيعة كحرارة المحموم، والقر بضم القاف وتشديد الراء هو البرد، ويخص ببرد الشتاء كما يخص الحر بحرارة الصيف، وهو المراد، وحكى ابن قتيبة تثليث قافه فيجوز فتحها هنا للازدواج، وأصله من القرار؛ لأن البرد يقتضى السكون، والحر يقتضى الحركة كما قاله الراغب.

(فكان) على، رضى الله تعالى عنه، بعد دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم له **(يلبس)** فى زمن **(الشتاء ثياب الصيف)** الخفيف كالقميص الواحد، **(وفى)** زمن **(الصيف ثياب**

الشتاء)، وهى المضربات المحشوة والثياب الثخينة، **(ولا يصيبه)**: أى لا يجد ويحس **(حر ولا برد)** أى ألمهما.

ويقصد بإظهار ذلك أنه اختص بأمر يخالف به غيره لدعائه صلى الله تعالى عليه وسلم له، فإذا كان لا يضره شدة حر الصيف لاسيما فى الحجاز، ولا شدة برد فصل الشتاء، فغيره بالطريق الأولى.

وكان دعاؤه صلى الله تعالى عليه وسلم له بخيبر لما أصابه بها رمد شديد، قال عبد الرحمن بن أبى ليلى: كان على، رضى الله تعالى عنه، يلبس فى الحر القباء المحشو الثخين ولا يبالى بشدة الحر، ويخرج فى البرد الشديد بثوب خفيف ولا يبالى، فسئل عن ذلك، فقال: إنه صلى الله تعالى عليه وسلم أعطى الراية يوم خيبر أبا بكر، ثم عمر، فلم يحصل فتح على يديهما فقال: «لأعطين الراية اليوم رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله خيبر على يديه»، فدعانى وأعطانى الراية، وكان بى رمد شكوته له صلى الله تعالى عليه وسلم، فقال: «اللهم اكفه الحر والبرد»[1]، فما وجدت لهما ألما بعد ذلك، وإنما دعا له برفع الحر والبرد مع أن تألمه، رضى الله تعالى عنه، كان من رمد ووجع العين؛ لأنه صلى الله تعالى عليه وسلم علم أن رمده كان من زيادة الدم الذى حصل له من الحر، فدعا له بدفع سبب ذلك، وزاد عليه دفع ألم البرد؛ لأنه ضده فربما آذاه لقوته بعدم ضده وروى يسيئه من الإساءة ويسوءه من السوء بدل قوله يصيبه، والمعنى واحد.

(ودعا) صلى الله تعالى عليه وسلم **(لفاطمة ابنته)**، رضى الله تعالى عنها، فى حديث رواه البيهقى عن عمران بن حصين.

(الله) مفعول دعا، وفى نسخة أن الله **(أن لا يجيعها)**: أى أن لا يجعلها متألمة من الجوع وترك الطعام وأكله.

(قالت) فاطمة، رضى الله تعالى عنها: **(فما جعتُ)** بضمير المتكلم **(بعد)** مبنى على الضم: أى بعد دعائه وبركته.

قال عمران بن حصين: كنت معه صلى الله تعالى عليه وسلم فأقبلت فاطمة، ووقفت بين يديه، فنظر إليها وقد اصفر وجهها من الجوع، فوضع يده على صدرها، وقال: اللهم مشبع المجاعة ورافع الوضيعة ارفع فاطمة بنت محمد، قال عمران: فرأيت وجهها وقد احمر وذهبت صفرته ثم جئتها، فقالت لى: ما جعت بعد يا عمران.

---

(١) أخرجه البخارى (٦٥/٤، ٧٣)، ومسلم (١٨٠٧/١٣٢)، وأحمد (٥٢/٤)، والترمذى (٣٧٢٤)، وابن ماجه (١٢١)، والبيهقى فى السنن الكبرى (١٣١/٩)، وفى دلائل النبوة (٢٠٨/٤، ٢١٣)، وابن أبى شيبة (٦٣/١٢).

قال البيهقى بعد ما ذكر الحديث: هذا كان قبل نزول آية الحجاب، وذكر دفع الجوع عنها بعد دفع الحر والبرد عن على لما بينهما من المناسبة مما لا يخفى.

(وسأله) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه ابن إسحاق بلا سند والبيهقى عنه، وابن جرير من طريق الكلبى **(الطفيل بن عمرو)** بضم الطاء المهملة المشددة والفاء المفتوحة وسكون المثناة التحتية واللام، كتصغير عقيل، ابن عمرو بن طريف بن العاص ابن ثعلبة بن سليم الأزدى الدوسى، ويقال له: ذو النور، وقتل فى وقعة اليمامة، وتقدم أن وقعتها كانت فى ربيع الأول سنة اثنتى عشرة فى خلافة أبى بكر، رضى الله تعالى عنه، وقيل: فى عام اليرموك فى خلافة عمر، رضى الله تعالى عنه، وهو من كبار الصحابة، ومن أصحاب النور، وهم ستة: أسيد بن حضير بضم الهمزة، وعباد بن بشر، وحمزة بن عمرو الأسلمى، وقتادة بن النعمان كما يأتى، والطفيل هذا، والحسن بن على، رضى الله تعالى عنهم، ولكل منهم قصة مذكورة فى محلها.

(آية لقومه) مفعول سأل أى سأله صلى الله تعالى عليه وسلم معجزة تكون معه يؤمن بها قومه إذا دعاهم للإسلام، وكان آمن بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم قبل الهجرة، ودعا قومه فلم يطيعوه، فقال: يا رسول الله إن دوسا قد عصت وأبت فادع عليها، فقالوا: هلكت دوس إن دعا عليها، فقال: «اللهم اهد دوسا»[1]، فعلم أن الله تعالى سيهديهم ببركة دعائه، فطلب الطفيل منه صلى الله تعالى عليه وسلم أن يريهم آية يهتدوا بها.

(فقال: اللهم نور له) الضمير للطفيل: أى اجعل معه نورًا يكون آية لصدقه، رضى الله عنه، **(فسطع له نور بين عينيه)**: أى ظهر بين عينيه نور ساطع، وأصل معنى السطوع الارتفاع والظهور، وهو المراد هنا.

(فقال) أى الطفيل لما علم بذلك النور الذى بين عينيه: **(يا رب إنى أخاف)** من قومى إذا رأوا ذلك النور **(أن يقولوا مثلة)**: خبر مبتدأ مقدر أى هو أو هذا مثلة بضم الميم وسكون المثلثة ولام بعدها هاء، وهو التنكيل والعقوبة وتغيير الخلقة الأصلية بقطع بعض الأعضاء وتسويد الوجه ونحوه، وهذا هو المراد هنا أى خشى أن يعدوه عارا؛ لتوهم أنه برص ونحوه، وجوز بعضهم نصبه وفتح ميمه وكسرها، وهو تكلف لا داعى له.

(فتحول) ذلك النور **(إلى طرف سوطه)**: أى لما شكى إلى الله تعالى ما يخافه وتضرع

---

(١) أخرجه البخارى (٤/٥٤، ٥/٢٥٠)، ومسلم (٢٥٢٤/١٩٧)، وأحمد (٢/٢٤٣، ٤٤٨، ٥٠٢)، والحميدى (١٠٥٠)، والبيهقى فى دلائل النبوة (٥/٣٥٩)، وأبو نعيم فى دلائل النبوة (١/٧٩).

إليه، انتقل ذلك النورمن بين عينيه إلى سوط كان معه، والسوط فى الأصل بمعنى الخلط، فسمى به ما يعد للضرب من جلد ونحوه وهو معروف، **(فكان)** أى سوطه **(يضىء فى الليلة المظلمة)** كالشمع والمصباح، **(فسمى)** الطفيل **(ذا النور)** أى صاحب النور لذلك، وروى الظلماء بدل المظلمة، ولا إشكال فى شيء من هذا كما توهمه بعضهم.

وأغرب منه أنه قال: روى صوته بصاد مهملة ومثناة فوقية، ثم تكلم فى تأويله بخرافات لا ينبغى تسويدها لوجه الصحف.

وقصة الطفيل كما نقله ابن عبد البرّ عن ابن عباس، رضى الله تعالى عنهما، قال: كان الطفيل سيدا مطاعا فى قومه وشاعرا بليغًا، فقدم مكة ومشى لقريش، فقالوا له: إنك سيد قومك وإنا نخشى أن يلقاك هذا الرجل يعنون رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيصيبك، فإنه يفرق بين المرء وزوجه وولده، فما زالوا ينهونى ويحذرونى منه، حتى قلت لهم: لا أدخل المسجد إلا سادا أذنى فحشوتهما كرسفا أى قطنا، ودخلت المسجد، فإذا برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قائما قريبا منى، وأبى الله إلا أن يسمعنى قوله، فقلت فى نفسى: إن هذا لمعجز، وأنا امرؤ ثبت لا يخفى على الحسن والقبيح، والله لأسمعنه فإن كان رشدا أخذته أو عناء تركته فنزعت ما بأذنى، واستمعت له فلم أسمع بأحسن وأحلى مما قاله فانتظرته صلى الله تعالى عليه وسلم حتى انصرف وتبعته، فدخلت منزله معه، وقلت له: يا محمد إن قومك قالوا: كذا وكذا، وقد سمعت ما قلت ووقع فى نفسى أنه حق فاعرض على دينك وما تأمر به وتنهى عنه، ففعل فأسلمت، ثم قلت: يا رسول الله إنى راجع لدوس، وأنا فيهم سيد مطاع وأنا داعيهم إلى الإسلام، فادع الله تعالى أن يجعل لى آية تكون عونًا لى عليهم، فقال: اللهم اجعل له آية قال: فخرجت حتى أشرفت على حاضرة دوس، ولى هناك أب شيخ كبير وامرأة وولد، فلما علوت الثنية ظهر بين عينى نور كالشهاب، فقلت: اللهم فى غير وجهى فإنى أخشى أن يظنوه مثلة لفراق دينهم، فتحول فى رأس سوطى، فلقد رأيتنى أسير وإنه على رأس سوطى كأنه قنديل معلق فيه، فلما قدمت عليهم أتانى أبى فقلت: إليك عنى، فلست منك ولست منى فإنى أسلمت واتبعت دين محمد، فقال: أى بنى إن دينى دينك فأسلم وحسن إسلامه، ثم أتتنى صاحبتى فقلت لها: كما قلت لأبى، فأسلمت وحسن إسلامها واغتسلت، ثم دعوت دوسا فأبت وتعاصت على، فأتيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو بمكة، فقلت: يا رسول الله إن دوسا غلب عليها الزنا والربا فادع عليهم، فقال: اللهم اهد دوسا، فرجعت إليهم، وأقمت بين ظهرانيهم أدعوهم إلى الإسلام، حتى استجاب لى منهم من استجاب، ثم قدمت المدينة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم بعد أحد والخندق، وثمانين أو سبعين من أهل بيتى، حتى فتحت مكة وأرسله

رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لإحراق صنم عمرو بن حممة، فأحرقه وأقام معه حتى قبض[(١)]، ثم بعثه أبو بكر الصديق، رضى الله عنه، إلى مسيلمة فاستشهد باليمامة، وقيل: باليرموك فى خلافة عمر، رضى الله عنه، كما تقدم.

(ودعا على مضر) أى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كما ورد فى حديث صحيح رواه الشيخان والنسائى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما، والبيهقى عن ابن مسعود، رضى الله تعالى عنه، دعا عليهم.

ومضر اسم قبيلة سميت باسم الجد، وهو مضر بن معد بن عدنان، وفى وجه تسميته اختلاف، وتسمى مضر الحمراء، وتسمى مضر ربيعة، وقبيلة ربيعة الفرس لأن نزار أبوهم أوصى لمضر بالذهب، وهو قد يؤنث فيوصف بالحمرة ويقال: ذهب حمراء، وأعطى ربيعة الخيل فقال لها ربيعة الخيل، وكان شعارهم فى الحرب العمائم والرايات الحمر، وشعار أهل اليمن الصفر، وبه فسر قول أبى تمام فى الربيع[(٢)]:

محمـــرة مصفـــرة فكأنهـــا عصب تيمن فى الوغـى وتمضـر

ومضر أبو قريش **(فأقحطوا)** بالبناء للمجهول: أى أصابهم القحط لاحتباس المطر عنهم، حتى كادوا يهلكون وتهلك دوابهم، ويجوز بناؤه للفاعل قيل: وهو الأفصح لأنه لازم، والهمزة للصيرورة لا للتعدية، **(حتى استعطفته قريش)**: أى سألوه صلى الله تعالى عليه وسلم أن يعطف عليهم ويرحمهم بدفع القحط عنهم، وما حل بهم من البلاء، **(فدعا)** الله **(لهم)** أن يمطرهم ويزيل قحطهم، **(فَسُقُوا)** أى سقاهم الله تعالى، عز وجل، وأمطر أرضهم فزال عنهم القحط بدعائه صلى الله تعالى عليه وسلم سريعا.

وكان دعاؤه صلى الله تعالى عليه وسلم لما لم يجيبوا دعوته أنه قال: «اللهم اجعلها عليهم سنينا كسنين يوسف»[(٣)]، فأقحطوا حتى أكلوا الجراد والدم والعظام، فقال له أبو سفيان أو كعب بن مرة: إنك تأمر بصلة الرحم، وإن قومك قد هلكوا فادع الله لهم، فقال: «اللهم اسقنا غيثا مريعا طبقا غدقا عاجلا غير رابث نافعًا غير ضار»[(٤)]، فما أتى عليهم جمعة حتى مطروا كما رواه أبو نعيم فى الدلائل.

---

(١) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة (٥/٣٦١)، وابن سعد (٤/١/١٧٦)، وابن عساكر فى تهذيب تاريخ دمشق (٧/٦٥)، وأوردها ابن كثير فى البداية والنهاية (٣/٩٩).

(٢) البيت من الكامل، وهو فى ديوان أبى تمام (١/٣٣٤)، لسان العرب (٥/١٧٨).

(٣) أخرجه البخارى (٢/٢٣، ٨/٥٥، ١٠٤)، وأحمد (٢/٤٧٠، ٥٠٢، ٥٢١)، وابن سعد (٤/١/٩٦)، والبيهقى فى الكبرى (٢/١٩٨).

(٤) أخرجه أحمد (٤/٢٣٦)، وأبو داود (١١٦٩)، وابن ماجه (١٢٦٩، ١٢٧٠)، والحاكم (١/٣٢٧)، وابن خزيمة (١٤١٦)، وعبد الرزاق (٤٩٠٧، ٤٩٠٩).

(ودعا) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه الشيخان، عن ابن عباس، رضى الله تعالى عنهما **(على كسرى)** بكسر الكاف، وقد تفتح كما مر، وهو معرب خسرو، وهو لقب لكل من ملك الفرس، واسم هذا الذى كتب إليه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كتابا يدعوه فيه إلى الإسلام أبرويز بن هرمز، وهو من أولاد أنوشروان قيل: أبرويز معناه المظفر، وأنوشروان معناه مجدد الملك كما قاله السهيلى، رحمه الله.

(حين مزق كتابه) الذى بعثه صلى الله تعالى عليه وسلم إليه يحثه فيه على الإسلام وسعادة الدارين، وكان بعثه صلى الله تعالى عليه وسلم مع عبد الله بن حذافة السهمى، وقيل مع غيره، فقطعه تحقيرا به، وقيل: جعله هدفا ورماه بالسهام حتى تمزق، تجبرًا منه، وقيل: لأنه كتب اسمه فوق اسمه وصورة الكتاب.

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس:

سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله ورسوله شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أرسله إلى الناس كافة، لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين، أسلم تسلم، فإن توليت فإن عليك إثم المجوس.

وقوله حين مزق كتابه، وإن كان الدعاء بعده حين بلغه خبره بعد زمان، إما لأن المراد زمان ممتد لأن الحين يطلق على مطلق المدة، كما فى قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾ [الإنسان:١] أو المراد حين بلغه تمزيقه، ففيه تقدير، فما قيل: إنه كان ينبغى أن يقول: من أجل تمزيقه كتابه، ليس بشىء.

(أن يمزق الله ملكه) معمول دعا أى بأن يمزق... إلى آخره، بإهلاكه وانتقال ملكه لغيره، فمزق كل ممزق.

(فلم يبق له): أى لكسرى أو لملكه **(باقية)** أى نفس باقية من عقبه أو هو مصدر بمعنى بقية وبقاء، والمصدر يكون بوزن فاعله قليلاً.

(ولا بقيت لفارس) هو معرب بارس بالباء العجمية، ويطلق على القبيلة وعلى بلادهم **(رياسة)**: أى ملك ونفاذ كلمة **(فى أقطار الدنيا)**، وفى نسخة البلاد: أى فى جميع نواحيها، فقطع الله دابرهم، وأفناهم بدعائه صلى الله تعالى عليه وسلم عليهم لما عصوه، وتجبروا فلم يزل أمره فى انحطاط، حتى قتله ابنه شيرويه، ثم مات ابنه بعده بزمن يسير، ومالت دولتهم حتى انقرضوا كما فصل فى التواريخ، والحديث فى البخارى والكلام عليه مبسوط فى شروحه.

(ودعا) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه أبو داود والبيهقى أنه دعا **(على**

صبى) صغير، قال ابن حبان: اسم الصبى يزيد بن بهرام، وقيل: إنه لا يعرف اسمه، وحديثه ضعيف.

وقال الذهبى: أظنه موضوعًا؛ لأنه أشكل عليهم بأن الصغير غير مكلف، فكيف يدعو صلى الله تعالى عليه وسلم عليه مع رأفته به، وما أجاب به البرهان الحلبى من أن الأحكام إنما تعلقت بالبلوغ بعد أحد كما قاله التقى السبكى، أو بعد الهجرة كما قاله غيره، أو هو من باب خطاب الوضع المتعلق بالإتلاف وهو لا يشترط فيه التكليف، لا يخفى ما فيه على بعده، وأبعد منه وأغرب ما قيل: إن الله أطلعه صلى الله تعالى عليه وسلم على حال هذا الصبى، وأنه سيصير متعديا، وأنه لو لم يكن كذلك أضر بالناس، فلذا دعا عليه كما أطلع الخضر، عليه الصلاة والسلام، على حال الغلام الذى قتله، وأنه لو عاش كان كافرًا، وقد قرر أئمة الحديث أنه صلى الله تعالى عليه وسلم له أن يحكم بالباطن أحيانًا كما يحكم بالظاهر، وأنه من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم وقد أفرده السيوطى بجزء ألفه فيه إلا أنه هنا تعسف لا يلتفت إليه.

(قطع عليه صلاته) بمروره بين يديه صلى الله تعالى عليه وسلم، وقطع الصلاة مجاز عن إفسادها قبل تمامها حتى يحتاج للإعادة، والمصلى إذا صلى فى غير العمران، يستحب له أن يجعل بين يديه سترة تمنع المار عن المرور بينه وبين القبلة، وينبغى أن تكون مرتفعة ارتفاعًا ما، فكأنه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكن له سترة فى هذه الصلاة، أو كانت ومر الصبى بينه وبين السترة، وحينئذ فلو مر إنسان أو حيوان لا يقطع صلاته عند الجمهور من المحدثين والفقهاء، ولا يفسدها، كما صرحوا به، وذهب بعضهم إلى أنه يقطعها لأنه ورد فى أحاديث صحيحة، منها ما رواه أبو ذر أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال: إذا قام أحدكم يصلى بسترة ما يضعه بين يديه مثل آخرة الرحل، فإذا لم يكن ذلك فإنه يقطع صلاته الحمار والمرأة والكلب الأسود، وخصه لأنه ورد فى الحديث: «الكلب الأسود شيطان»[1]، وقد علمت أن الجمهور على خلافه، فقيل: إنه منسوخ، وقيل: إنه مؤول، والمعنى يقطع خشوعه فى صلاته وهو صلى الله تعالى عليه وسلم وإن كان لا يشغله عن الله شىء فعله تشريعا لأمته.

(أن يقطع الله أثره) معمول دعا أى دعا صلى الله تعالى عليه وسلم على ذلك الصبى بأن يقطع الله أثره، والأثر بفتحتين ما يؤثره بمشيه وغيره، ويبقى بعده علامة عليه، وقطع الأثر يكنى به فى الأكثر عن الفناء والذهاب بالكلية، فيقال: ما بقى له عين ولا أثر كما قيل:

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٥/٥١٠)، وأحمد (١٤٩/٥، ١٥١، ١٥٦، ١٦٠)، وأبو داود (٧٠٢)، والترمذى (٣٣٨)، وابن ماجه (٩٥٢)، وابن خزيمة (٨٣٠)، وأبو عوانة (٤٧/٢).

الدهر يفجع بعـــد العيـــن بالأثر فمـا البكاء على الأشباح والصور

وهو هنا كناية عن كونه زمنا مقعدًا لأن الأثر إنما يكون من المشى، فإذا انقطع مشيه انقطع أثره كما تقرر، ويجوز أن يراد المعنى الحقيقى؛ فلذا قيل: إنـه كنايـة لا مجـاز كمـا أشار إليه بقوله: **(فأقعد)** الصبى، وصار مقعدًا زمنًا لا يمكنه المشى ليبس أعصـاب رجلـه التى يتحرك بها، وروى أن يقطع الله دابره، والدابر فـى الأصـل الآخـر كمـا فـى قولـه: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ [الأنعام: ٤٥] أى آخرهم، فلم يبق منهم أحد، فاستعير هنا للزمانة بأن يسلبه الله قوة مشيه.

وهذا رواه ابن حبان عن ابن مهران قال: رأيت مقعدا بتبوك يسمى يزيد بـن بـهرام، يقول: مررت بين يدى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهـو يصلـى فقـال: اللـهم اقطع أثره فما مشيت بعد، وقد سمعت ما فيه.

(وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه مسلم عن سلمة بن الأكـوع أنـه صلى الله تعالى عليه وسلم قال **(لرجل)** قال البرهان الحلبى اسم هـذا الرجـل بُسْر بضـم الموحدة وسكون السين وراء مهملة، ومن أعجمه فقد صحف، وهو بسر بن راعى العير الأشجعى، **(رآه يأكل بشماله: كل بيمينك)** إرشادًا له للسـنة، فـإن الأكـل بغـير اليمـين مكروه، وقوله إلى آخره مقول القول.

(فقال: لا أستطيع): أى لا أقدر على الأكل بيمينى.

(فقال) له صلى الله تعالى عليه وسلم: **(لا استطعت)** بتاء الخطاب، وهو دعاء عليه بأن يسلبه الله القدرة على الأكل باليمين، **(فلم يرفعها)**: أى يده اليمنـى؛ لأنـها مؤنثـة سماعـا أى لم يقدر بعد دعائه صلى الله تعالى عليـه وسـلم عليـه أن يرفـع يـده اليمنى **(إلى فيـه)** ويحركها؛ لأنها شلت وبطل عمله بها لأنه صلى الله تعالى عليه وسلم أمره بالتيمن وهـو سنة بالأكل والشرب؛ لقولـه: «إذا أكـل أحدكـم فليـأكل بيمينـه وإذا شـرب فليشـرب بيمينه»، فلا يتركه إلا لعذر، وقد علم صلى الله تعالى عليه وسلم أنه لا عذر له، وأنه إنما لم يمتثل أمره إلا لتكبره، ولذا قـال المصنـف فـى شـرح مسـلم: إنـه كـان منافقـا، إلا أن الذهبى قال: إنه صحابى جليل، فيحتمل أنه كان كذلك فى أول أمره، ثم لما ظهرت لـه هذه الآية تاب وأخلص لله، فلا إشكال فيه، وما قيـل مـن أن تـرك المنـدوب لا يقتضـى استحقاق العقاب ليس بشىء؛ لأن مخالفة أمره صلى الله تعالى عليه وسلم مشـافهة بغـير عذر لا تجوز، وليس هذا الرجل جاهليًا كما توهم هذا القائل وخبـط وخلـط هنـا علـى عادته، وليس فى قوله: قال دون دعا إشارة لما توهمه.

(وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه الحاكم والبيهقى وابن إسحاق من

طرق صحيحة مسندة (**لعتبة بن أبى لهب**) الجهنمى عدو الله ورسوله، واسمه عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم المشهور، وكان له ثلاثة أولاد عتبة وعتيبة بالتصغير ومعتب، أسلم منهم اثنان يوم الفتح و لم يهاجرا من مكة، وبقى واحد منهم على الكفر، وهو عقير الأسد، وكان عنده ابنة للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم، فطلقها فآذاه فدعا عليه بما يأتى، فافترسه الأسد بالزرقاء من أرض الشام، كما رواه الحاكم من حديث أبى نوفل، وقال: إنه صحيح الإسناد.

قال: تجهز أبو لهب وابنه عتبة إلى الشام، فنزل بالسراة قريبًا من صومعة راهب، فقال لهم الراهب: هنا سباع فاحذروا على أنفسكم، فقال أبو لهب لمن معه: أنتم قد عرفتم سنى وحقى. قالوا: أجل، فقال: إن محمدًا دعا على ابنى، فاجمعوا متاعكم على هذه الصومعة، وافترشوا لابنى عليها وناموا حوله ففعلوا، ونام عتبة فوق متاع عال فجاء أسد فشم وجوههم ووثب على عتبة فقطع رأسه وذهب، قيل: إنه لم يأكله لما فيه من خبث الطوية ببغض خير البرية، إلا أنه قيل: إن العقير عتيبة مصغر، وأن عتبة أسلم وحسن إسلامه، فهو من كبار الصحابة، والصواب عتيبة.

وقال البرهان: إن الذى فى نسخ الشفاء بالتكبير، وكذا صححه بعضهم، وقال: الذى أسلم عتيبة بالتصغير، والمشهور أن المصغر عقير الأسد، والمكبر هو الصحابى كما فى بعض النسخ مما خالفه على قول خلاف المشهور انتهى. فقد علمت الاختلاف فيه، وفى النسخ، والأصح منها.

(**اللهم سلط عليه كلبا من كلابك**) قال فى حياة الحيوان: الأسد يسمى كلبا لأنه يشبهه فى بعض أحواله ويرفع رجله إذا بال، فلما أضاف الكلب إلى العظيم علم أنه أعظم ما يسمى بذلك الاسم كما قاله الثعالبى، وإلى ذلك أشار بقوله: (**فأكله الأسد**).

وفى دلائل النبوة للبيهقى: كانت أم كلثوم ابنته صلى الله تعالى عليه وسلم فى الجاهلية تحت عتيبة بن أبى لهب، وأختها رقية تحت أخيه عتبة، فلما نزل ﴿**تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ**﴾ [المسد:١] قال أبو لهب لابنيه: رأسى من رأسيكما حرام إن لم تطلقا ابنتى محمد، وقالت أمهما حمالة الحطب مثله، فطلقها عتبة، وأتاه صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له: إنى طلقت ابنتك، فإنى لا أحبك ولا تحبنى وشق إزاره وسفه عليه، فقال صلى الله تعالى عليه وسلم: اللهم سلط إلى آخره، ثم خرج فى نفر من قريش إلى الشام، فكانت قصة الأسد، وفى روايتها وتسمية ابنه اختلاف كما مر، ولا خلاف فى أصل القصة، وقد ذكرها حسان، رضى الله تعالى عنه، فى شعره، (**قال**) صلى الله تعالى عليه وسلم (**لامرأة: يأكلك**) وفى نسخة: أكلك (**الأسد فأكلها**) الأسد.

قال البرهان الحلبى: هذه المرأة لا أعرفها، وذكر غيره أنها بنت المطعم الأنصارية، فإنها أتت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، وهو مولى ظهره الشمس، فضربت منكبه، فقال: من هذا؟ أكله الأسد. فقالت أنا ابنة مطعم الطير ومبارى الريح أبو ليل جئت لأعرض نفسى عليك لتتزوجنى، فقال: قد فعلت فرجعت إلى قومها وأخبرتهم الخبر، فقالوا: أنت امرأة غيرى، وللنبى صلى الله تعالى عليه وسلم نساء، فيدعو عليك فرجعت، وقالت له: أقلنى، فأقالها وتزوجت بغيره، فبينما هى فى حائط بالمدينة افترسها ذئب[1]، فالأسد هنا بمعنى الحيوان المفترس، فلا يقال إن دعوته صلى الله تعالى عليه وسلم لم تتحقق، وهذا الحديث سقط من بعض النسخ.

(و) من ذلك (**حديثه**) صلى الله تعالى عليه وسلم (**المشهور**) الذى رواه مسلم والبخارى (**عن عبد الله بن مسعود فى دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم على قريش**) قبل الهجرة بمكة (**حين وضعوا**): أى حين إذ وضع بعض منهم، فهو من إضافة ما للبعض إلى الكل.

(**السلا**) بفتح السين المهملة واللام المخففة مقصور، وهو جلد رقيق يخرج مع الولد من بطن أمه ملفوفًا فيه، قيل: وهو كالمشيمة من المرأة، وفى النهاية الأول أشبه لأن المشيمة إنما تخرج بعد الولد، والسلا: وهو للمواشى إن نزع عنه ساعة يولد بقى حيا وإلا هلك، وكذا إذا انقطع فى البطن، ويقال للولد بعينه: سلا أيضًا تسمية باسم محله، ويكون فيه دم ونحوه.

(**على رقبته**) الشريفة، والرقبة مؤخر أصل العنق عند الكتفين، (**وهو ساجد**) عند البيت فى صلاته، والجملة حالية.

(**مع الفرث والدم**) حال من السلا، والفرث بالفاء وراء مهملة وثاء مثلثة هو السرجين مادام فى الكرش.

(**وسماهم**) فاعل سمى ضمير ابن مسعود، وضمير المفعول لقريش، وهو يدل على أن المراد بعضهم لا الجميع كما أشرنا إليه وهم المستهزؤن المذكورون فى الآية، وكانوا سبعة كما تقدم، ويحتمل أن فاعل سمى هو النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، وهو الذى صرح به سياق أهل الحديث.

(**فقال**) أى ابن مسعود: (**فلقد رأيتهم قتلوا يوم بدر**)، فأجاب الله تعالى دعوته صلى الله تعالى عليه وسلم فيهم، وحديث ابن مسعود هذا فى الصحيحين كما مر قال: إنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يصلى عند البيت، وأبو جهل وأصحاب له جلوس، فقال

---

(١) أخرجه ابن سعد (١٠٧/٨، ١٠٨)، وابن عساكر فى تهذيب تاريخ دمشق (٣١٤/١).

بعضهم لبعض: أيكم يجىء بسلا جزور بنى فلان فيضعه على ظهر محمد إذا سجد، فانبعث أشقى القوم فجاء به وانتظر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حتى سجد، فجعله بين كتفيه وأنا أنظر، فجعلوا يضحكون ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا يرفع رأسه، حتى جاءت فاطمة، رضى الله تعالى عنها، فطرحته عنه، فرفع صلى الله تعالى عليه وسلم رأسه الشريف، ثم قال: اللهم عليك بقريش[1] ثلاث مرات، اللهم عليك بأبى جهل وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وأمية بن خلف وعقبة بن أبى معيط وعمارة بن الوليد، وعدهم.

والذى جاء بالسلا وألقاه عقبة وهو أشقاهم لمباشرته الفعل كأشقى ثمود، والكلام على الحديث مفصل فى شروح البخارى، وأما استمراره صلى الله تعالى عليه وسلم فى سجوده مع ما عليه من النجاسة المفسدة للصلاة، فقد أجابوا عنه بأجوبة، منها أنه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يرها حتى يتحقق نجاستها، وكان هذا فى آخر الصلاة، فلا يلزم إعادتها مع أنه كان قبل الهجرة وتحقق شروط الصلاة المفروضة، ثم إنه قيل: إنهم كلهم لم يقتلوا ببدر، ولم يلقوا فى قليبها، فإن عقبة بن أبى معيط أسر ببدر، ثم قتله صلى الله تعالى عليه وسلم بعد مرحلة منها، وعمارة بن الوليد مات بالحبشة، فقيل: إنه باعتبار أكثرهم وغالبهم على ما فيه.

(ودعا) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه البيهقى مسندًا من طرق صحيحة **(على الحكم بن أبى العاص)** بن عبد شمس بن مناف بن قصى القرشى الأموى، وهو أبو مروان، وعم عثمان بن عفان، رضى الله تعالى عنه، وهو ممن أسلم فى الفتح.

(وكان): أى الحكم **(يختلج بوجهه)** أى يحرك وجهه وبعضه كحاجبيه وعينيه، **(ويغمز)** بعينيه أى يحركهما مشيرًا بهما وهو جالس **(عند النبى صلى الله تعالى عليه وسلم)** قاصدًا بإشارته وغمزه لمن يراه ثمة من المنافقين ونحوهم أن ما حدث به الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم لا أصل له كما أشار إليه بقوله: **(أى لا)** فهو تفسير للغمز بالمراد منه، وليس المراد بالغمز هنا العيب، كما قيل لأنه غير مناسب هنا، وإن كان ورد بهذا المعنى فى اللغة، فلا وجه لتفسير يغمز بيعيب، لأنه كان يخبر المنافقين بأسراره صلى الله تعالى عليه وسلم وإلا لما قيل: إنه كان يحرك ذقنه وشفتيه محاكاة لفعله صلى الله تعالى عليه وسلم، **(فرآه)** صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يختلج، **(فقال)** له: **(كن كذلك)** دعا عليه بأن لا يزال وجهه يختلج، وفى نسخة كذلك كن، **(فلم يزل يختلج إلى أن مات)**

---

(١) أخرجه البخارى (٦٩/١، ١٣٨، ٥٣/٤)، ومسلم (١٧٩٤/١٠٧)، والنسائى (١٦٢/١)، والبيهقى فى السنن الكبرى (٨/٩)، وفى دلائل النبوة (٥٥/٢، ٨٢، ٢٧٩، ٣٥٧).

بدعائه، وكان موته فى خلافة عثمان قبل فتنته والقيام عليه بأشهر، وكان صلى الله تعالى عليه وسلم أخرجه من المدينة، ونفاه إلى الطائف ومعه ابنه مروان، وقيل: إن مروان ولد بالطائف، فلم يزل بها إلى أن رده عثمان فى خلافته، فكان بسبب رده وابنه ما كان.

ولما توفى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سأل عثمان أبا بكر، رضى الله تعالى عنه، فى رده فقال: ما كنت لأرد من نفاه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال: إنى سألت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رده، فوعدنى به فقال أبو بكر، رضى الله تعالى عنه: إنى لم أسمع ذلك، ولم تكن معه بينة، ثم لما ولى عمر بن الخطاب، رضى الله تعالى عنه، سأله ذلك، فقال كما قال أبو بكر الصديق، رضى الله تعالى عنه.

فلما تولى عثمان بن عفان، رضى الله تعالى عنه، عمل بعلمه ورده، فلا وجه للتشنيع عليه بذلك، والطعن بسببه فى خلافته، كما تزعم الشيعة مع أنه، رضى الله تعالى عنه، علم من الحكم أنه تاب وخلصت طويته.

واختلف فى سبب نفيه، فقيل: إنه كان يستخفى ويسمع ما يسره رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، لكبار الصحابة فى أمر المشركين والمنافقين، فيخبرهم به.

وقيل: إنه كان يحاكى مشى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وحركاته، فيفعل مثلها ويتغامز فى مجلسه كما مر، فلما علم ذلك منه نفاه.

وروى عن عائشة أم المؤمنين، رضى الله تعالى عنها، أنها قالت لمروان لما قال فى حق أخيها عبد الرحمن ما قال: أما أنت فأشهد أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لعن أباك وأنت فى صلبه، تشير إلى ما روى أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال يومًا لأصحابه: سيدخل عليكم رجل لعين، فدخل عليهم الحكم. فلذا قيل:

فليت عثمان لم يحكم بعودته رضى بما حكم الصديق فى الحكم

(ودعا) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه البيهقى وابن جرير موصولا عن ابن عمر بن الخطاب، رضى الله تعالى عنهما، قال: بلغنا أنه صلى الله تعالى عليه وسلم دعا **(على محلم)** بميم مضمومة وحاء مهملة مفتوحة ولام مشددة مكسورة فميم **(ابن جُثَّامة)** بضم الجيم وتشديد الثاء المثلثة وألف وميم وهاء، واسمه جثامة بن بدر بن قيس ابن ربيعة الكنانى الليثى، أخو الصعب، قيل إنه نزل فيه: ﴿إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٩٤] الآية كما يأتى، **(فمات)** أى محلم هلك عقب دعائه عليه **(لسبع)** أى عند سبع أو بعد سبع ليال من دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم، وهذا رواه ابن سيد الناس وغيره.

وقال السهيلى: إنه مات بحمص أيام ابن الزبير، وسيأتى مثله، وبينهما بون بعيد كما

قاله البرهان الحلبى، **(فلفظته الأرض)** أى قذفته وطرحته وأخرجته من بطنها لعدم قبولها له وهذا مما شوهد كثيرًا، وورد فى الحديث: «يبقى فى كل أرض شرار أهلها تلفظهم أرضوهم».

(ثم ورى) بواوين مضمومة فساكنة وراء مكسورة ومثناة تحتية أى ستر وغطى وغيب، فهو مجهول واراه إذا غيبه، **(فلفظته)** الأرض **(مرات)**، فكانوا كلما دفنوه أصبحوا رأوه فوق الأرض تفضيحًا له وإشارة إلى أنه من الأشرار، فعجزوا **(فألقوه)** أى ألقوا بدن محلم **(بين صدّين)** مثنى صدّ بضم الصاد وفتحها وتشديد الدال المهملتين، وهو ناحية الوادى أو الشعب أو الجبل، **(ورضموا عليه الحجارة)** رضم بفتح الراء المهملة والضاد المعجمة وميم من الرضم بالفتح والسكون، وهو وضع الصخور بعضها فوق بعض كالبناء، **(والصد)** بالضم والفتح **(جانب الوادى)** وهو الأرض الواسعة، وهذا أحد الأقوال فيه كما تقدم، وسبب دعائه، عليه الصلاة والسلام، أنه بعثه فى سرية أمر عليها عامر بن الأضبط، فبلغوا بطن واد، فقتل محلم عامرًا، فلما بلغه صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك قال: «اللهم لا تغفر لمحلم ثلاث مرات»، فمات فلفظته الأرض مرات فقال صلى الله تعالى عليه وسلم: «إن الأرض لتقبل من هو شر منه، ولكن أراد الله أن يجعله لكم عبرة»، فألقوه بين صوحى جبل حتى أكلته السباع، قال الزبيدى: الصوح: الشق.

قال التلمسانى: والذى رواه ابن عبد البر مسندًا إلى القعقاع عن أبيه أنه قال: بعثنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى سرية إلى إضم، فلقينا عامر بن الأضبط فحيانا بتحية الإسلام، فحمل عليه محلم، فقتله وسلبه، فلما قدمنا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأخبرناه نزل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ﴾ [النساء: ٩٤] الآية، وقد قيل: إن الملفوظ غير محلم بن جثامة وأن محلما نزل حمصًا، ومات بها فى زمن ابن الزبير، رضى الله تعالى عنهما.

ولهم اختلاف فى سبب نزول الآية المذكورة، وفيمن نزلت، على أقوال كثيرة، وقد اختلف فى محلم هذا بعد تحقق إسلامه وصحبته، هل كان منافقا أم لا؟.

(وجحده) صلى الله تعالى عليه وسلم **(رجل بَيْع فرس)** أى أنكره، وكان اشتراها منه صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا الرجل أعرابى يسمى سواد بن قيس، وقيل: ابن الحارث، وهو صحابى، والفرس المرتجز كما قاله الجوهرى، وقيل الطرف بكسر الطاء المهملة، وقيل: النجيب.

(وهى) أى هذه الفرس **(التى شهد فيها)** أى بيعتها **(للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم خزيمة)** بخاء وزاء معجمتين، ويقال: اسمه أبو خزيمة، وهو صحابى مشهور قتل بصفين مع

على، رضى الله تعالى عنهما، سنة سبع وثلاثين، ولما شهد له قبل صلى الله تعالى عليه وسلم شهادته، وجعل شهادته بشهادتين وهو من خصائصه، رضى الله تعالى عنه، **(فرد الفرس)** بالنصب مفعول رد **(بعد)** مبنى على الضم، أى بعد جحده وشهادة خزيمة له **(النبى صلى الله تعالى عليه وسلم)** هو فاعل رد **(على الرجل)** الذى جحد البيع، وهو متعلق برد وإنما ردها صلى الله تعالى عليه وسلم تعففًا منه وتكرمًا **(وقال)** إذ ردها **(اللهم إن كان كاذبا فلا تبارك له فيها)** أى لا تجعل له بركة فى فرسه **(فأصبحت)** أى الفرس **(شاصية برجلها)** الباء زائدة، وشاصية بشين معجمة وألف وصاد مهملة ومثناة تحتية وهاء **(أى رافعة)** رجلها، والمراد أن رجلها مرفوعة والإسناد مجازى، وارتفاع رجلها كناية عن أنها ماتت وانتفخ بطنها حتى صارت رجلها مرفوعة، كما يشاهد فى الجيف بعد أيام، يقال: شصا الميت إذا انتفخ وارتفعت يداه ورجلاه كما قاله أهل اللغة، ووقوع مثله عادة لا يكون إلا بعد أيام، فوقوعه بسرعة من الآيات أيضًا.

وحاصل قصة خزيمة أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ابتاع الفرس من ذلك الأعرابى وتبعه ليقبض الثمن، فجعل الناس يساومونه ويزيدون ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا يشعر، فناداه الأعرابى: إن كنت مبتاعًا الفرس، وإلا بعته، فقال صلى الله تعالى عليه وسلم: قد ابتعته، فقال: هلم شاهدا، فقال خزيمة: أنا أشهد، فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم أحضرتنا فقال: بأبى أنت وأمى أنا أصدقك فى أخبار السماء أفلا أصدقك فى ابتياع فرس؟ فسماه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذا الشهادتين، وقال: «من شهد له خزيمة فحسبه»(١)، وكان كلام الأعرابى قبل إسلامه، أو قبل خلوص إسلامه وإلا فمثله لا يليق.

(وهذا الباب) أى باب دعاء النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وإجابة دعائه وقع كثيرًا، وروى فى أحاديث كثيرة **(أكثر من أن يحاط به)**: أى لا يمكن أحد من علماء هذه الأمة أن يعلم جميع دعواته صلى الله تعالى عليه وسلم ؛ فإنها كثيرة جدا، وما نقله المصنف، رحمه الله تعالى، منها قطرة من بحر يعلم بها ما سواه إجمالا، ويحصل به اليقين لمن كان من المؤمنين، وقوله: أكثر من أن يحاط به كقولهم: أكثر من أن يحصى، ومثله كثير وتأويله مشهور، فإن ظاهره غير مراد إذ لا يعنى أنه أكثر من الإحاطة، وقد بينوه فى محله حتى أفرده بعض فضلاء العصر بجزء مستقل، والإحاطة بالشىء معناها استقصاء جميع أفراده.

---

(١) أخرجه الحاكم (١٨/٢)، والطبرانى فى الكبير (١٠١/٤)، والبخارى فى التاريخ الكبير (٨٧/١)، وابن عساكر فى تهذيب تاريخ دمشق (١٣٦/٥).

(تنبيه): مر أن الدعاء معناه التضرع إلى الله تعالى فى جلب ما ينفع ودفع ما يضر، وقد قيل: إذا كان كل شىء بقضاء وقدر وقد جف القلم، فما فائدة الدعاء؟.

وأجيب: بأنه أمر تعبدى محافظة على مقام العبودية، وقد يكون ذلك معلقًا بالدعاء موقوفًا عليه كما أشار إليه صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له»، فمن أنكر الدعاء، وقال: إنه لا فائدة فيه، فقد ضل عن سواء السبيل فاعرفه.

* * *

(فصل فى كراماته)

صلى الله تعالى عليه وسلم أى ما أكرمه الله تعالى سبحانه به من الأمور الخارقة للعادة، والكرامة أعم من المعجزة، فإن المعجزة تكون بعد دعوى النبوة مقارنة للتحدى بالفعل أو بالقوة، والكرامة لا يشترط فيها ذلك، ويكون للنبى وغيره من أولياء الله تعالى سبحانه، وإن غلب فى العرف جعل الكرامة للولى، والمعجزة للنبى إلا أنها لا تختص بذلك على ما عرف، وما كان منها قبل النبوة للنبى يسمى إرهاصا؛ لأنه تأسيس للنبوة ومقدمة لها، **(وبركاته)** أى ما وقع له صلى الله تعالى عليه وسلم ببركته من الخوارق.

(وانقلاب الأعيان له): أى تبدل حقيقتها وماهيتها وصورتها، وذلك جائز وواقع على الأصح، وليس بممتنع كما توهم، وليس هذا الفصل مقصورا على هذا، وإن كان أعظمه، فما قيل: الأحسن أن يقول فى كراماته بانقلاب الأعيان ليس بظاهر، والأعيان جمع عين، وهى الذات، **(فيما لمسه)** صلى الله تعالى عليه وسلم **(أو باشره)** المباشرة أن يلى الأمر بنفسه، فهى أعم من اللمس، واللمس والمس متقاربان.

(أخبرنا أحمد بن محمد) بن عبد الله بن عبد الرحمن بن غلبون الخولانى شيخ المصنف، رحمه الله، توفى سنة ثمان وخمس مائة، وكان فى الحديث وسائر الفنون إمام عصره قال: **(حدثنا أبو ذر الهروى)** تقدم بيان ترجمته **(إجازة، وحدثنا القاضى أبو على سماعا)** أبو على هو ابن سكرة السابق ترجمته، **(والقاضى أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن وغيرهما)** ابن عبد الرحمن هو ابن سعيد كما تقدم.

(قالوا: حدثنا أبو الوليد القاضى) الباجى الحافظ وقد تقدم قال: **(حدثنا أبو ذر)** يعنى الهروى المتقدم قال: **(حدثنا أبو محمد)** السرخسى المتقدم **(وأبو إسحاق)** المستملى المتقدم، **(وأبو الهيثم)** الكشميهنى المشهور، **(قالوا: حدثنا الفربرى)** تقدم بيانه ونعته ونسبته قال: **(حدثنا البخارى)** صاحب الصحيح المشهور قال: **(حدثنا يزيد بن زريع)** بالتصغير أبو معاوية البصرى، ولد سنة إحدى ومائة، ومات سنة ست وثمانين ومائة كذا فى النسخ هنا، وصوابه حدثنا البخارى حدثنا عبد الأعلى بن حماد حدثنا يزيد بن زريع، وهكذا

هو فى صحيح البخارى، فسقط منه راو من قلم المصنف قال: حدثنا سعيد بن أبى عروبة كما تقدم وفى نسخة عن سعيد **(عن قتادة)** تقدمت ترجمته **(عن أنس بن مالك)** الصحابى المشهور**(أن أهل المدينة فزعوا مرة)**: أى وقع بهم فزع بفتح الفاء والزاء المعجمة والعين المهملة، قال المبرد فى الكامل: الفزع فى كلام العرب على وجهين أحدهما الخوف والذعر، والآخر الاستنجاد والاستصراخ، يقال: فزع وأفزع وهو من الأضداد قال زهير[1]:

إذا فزعوا طاروا إلى مستغيثهم طوال رماح لاضعاف ولا هزل

وقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم: **(إنكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع)**، والمراد هنا الأول: أى وقع خوف استصرخوا بسببه وهو أشهر معنييه.

(فركب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) لما سمع صياح الناس وفزعهم؛ لظنهم أن عدوًا هجم عليهم، فسبق الناس كلهمإلى الجانب الذى سمع منه الصوت، ورأى الناس فى رجوعه، فقال لهم: لن تراعوا وهو راكب **(فرسًا لأبى طلحة)** ركبها عريا من غير سرج عليه، وأبو طلحة هو زيد بن سهل الأنصارى النجارى الصحابى البدرى، وهو أحد النقباء ليلة العقبة، وممن شهد المشاهد مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وله مقام محمود بأحد كما تقدم، وروى عنه أحاديث كثيرة، وتوفى سنة أربع وثلاثين من هجرته.

(كان يقطف أو به قطاف) بكسر القاف وبالطاء المهملة والفاء، والشك فيه من الراوى.

قال البرهان: يقطف بضم الطاء فى قولهم الدابة بمعنى تبطئ، وإما من قطف العنب، فبكسر الطاء كما قاله الزمخشرى، والقطاف بكسر القاف: الاسم منه، وقال الجوهرى: المقطوف فى الدواب البطئ، وقال أبو زيد: الضيق المشى وهما متقاربان، ويوصف به الإنسان والخيل وهو عيب فى الخيل، وهو معنى قوله وبه قطاف.

(وقال غيره) أى غير أنس **(يبطأ)** مكان يقطف بمثناة تحتية مضمومة وباء موحدة مفتوحة وطاء مهملة مشددة مفتوحة، وهمزة مضارع بطأ، والبطؤ ضيق الخطأ فهو قريب من الرواية الأولى، والظاهر أن المراد به هنا أنه كان يوصف بالبطؤ، وينسب إليه ذلك وهو مبنى للمجهول.

(فلما رجع) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الفزع، ولقى أبا طلحة **(قال)** له: **(وجدنا فرسك بحرا)** أى كالبحر فى شدة جريه وعدوه بسهولة، وهو استعارة

---

(١) البيت من الطويل، وهو فى ديوان زهير بن أبى سلمى (ص١٠٢)، لسان العرب (٢٥٢/٨).

تصريحية كما يقال: تبحر فلان فى علمه أى توسع.

(فكان) ذلكَ الفرس **(بعد)** مبنى على الضم: أى بعد قول النبى صلى الله تعالى عليه وسلم له ذلك ببركته **(لا يجارى)** مبنى للمجهول: مفاعلة من الجرى، وهو مما يوصف به الماء والحيوان أيضًا فهو تجريد شبه بالترشيح، وفيه مبالغة، والمعنى لا يسبق فكأنه لذلك لا يجاريه أحد بقرينة السياق، وهذا الحديث رواه البخارى، والكلام عليه مفصل فى شروحه، وكان ذلك الفرس يسمى مندوبا.

(و) مما رواه الشيخان من هذا النوع أنه صلى الله تعالى عليه وسلم **(نخس جمل جابر)** ابن عبد الله الأنصارى الصحابى المعروف، رضى الله تعالى عنهما، ونخس بخاء معجمة وسين مهملة كنصر من النخس، وهو أن يطعنه فى جنبه أو نحوه بعود أو نحوه، وكان ذلك بمحجن فى يده الشريفة.

(وكان) ذلك الجمل **(قد أعيى)** أى تعب وقلت حركته من السير، **(فنشط)** بكسر الشين المعجمة فى الماضى وفتحها فى المضارع: أى أسرع فى السير وخف، من النشاط ضد الكسل، والمراد أنه ذهب إعياؤه فأبدى قوة وسرعة، وفى النهاية روى كثيرًا نشط وليس بصحيح، يقال: نشطت العقدة إذا عقدتها وأنشطتها إذا حللتها، وفى الحديث: «كأنما أنشط من عقال»، ونشطت الدلو إذا جذبتها بقوة انتهى، يعنى أن الصواب هنا أنشط من المزيد، وأصل معناه الجذب بسرعة، وإذا صحت الرواية بخلافه، فكيف يقال: إنه غير صواب؟ ولا يخفى أنه استعارة، فيجوز أن يستعار من نشط الدلو إذا نزعها، فيشبه الجمل بدلو فى بئر، ويشبه نخسه له حتى جد فى سيره بإخراجه من البئر كأنه جذبه، وأبدى قوته التى لم تكن ظاهرة فيه.

(حتى كان) أى جابر أو الجمل **(لا يملك زمامه)** الزمام مقود الجمل، ويملك يجوز بناؤه للمعلوم، فالضمير فيه لجابر، وللمجهول فهو للجمل، ومعناه أنه لا يقدر على ضبطه وحبسه، لأنه لشدة نشاطه يجذبه من يده، وينازعه فيه.

والحديث كما فى الصحيحين قال جابر، رضى الله تعالى عنه، إنه كان معه صلى الله تعالى عليه وسلم فى غزوة، فأبطأ به جمله، ومر به صلى الله تعالى عليه وسلم، فقال له: ما شأنك، فقال له: أبطأ بى جملى وأعيى، فتخلفت فنزل ونخسه بمحجن، وقال له: اركب قال: فصار لا يقدر على كفه عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم إنه اشتراه منه، ثم وهبه له كما فصل قصته فى الحديث وشروحه، وفى ثمنه اختلاف أيضًا.

وفيه من بركته صلى الله تعالى عليه وسلم ولطف معاملته مع أصحابه وكرمه مالا يخفى، وهذه الغزوة هى غزوة ذات الرقاع، كما فى شرح البخارى.

(وصنع مثل ذلك) أى مثل ما صنع مع جابر، رضى الله تعالى عنه، فى حديث رواه البيهقى **(بفرس لجعيل)** بضم الجيم وفتح العين المهملة وياء تصغير ولام، وهو جعيل بن زياد، وقيل: إنه سمرة الصحابى الكوفى، وقيل اسمه **(الأشجعى)** بشين معجمة وجيم وعين مهملة منسوب لأشجع، وهى قبيلة وحديثه هذا رواه عنه عبد الله بن أبى الجعد، قال: كنت فى بعض غزواته صلى الله تعالى عليه وسلم على فرس عجفاء ضعيفة، فضربها بمخفقة كانت فى يده، وقال: بارك الله لك فيها، قال: فلقد رأيتنى أول الناس ما أملك رأسها، وبعت من بطنها عدة كثيرة أشار إليه بقوله **(فخفقها)** رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أى ضربها **(بمخفقة)** كانت **(معه)** بكسر الميم وسكون الخاء المعجمة وفتح الفاء وقاف وهاء، اسم آلة من الخفق، وهى الدرة، وقيل: إنها عصا، والخفق الضرب ومنه خفق الطائر بجناحه، وخفقان القلب والخافقان كله يرجع لهذا **(وبرك عليها)** بالتشديد تفعيل من البركة أى دعا مرارًا بالبركة فيها، **(فلم يملك رأسها)** أى لم يقدر على ضبط رأسها بلجامها لقوة سيرها ومجاذبتها له، وهذا من قولهم: ملك العجين إذا عجنه بقوة، والملك مأخوذ من هذا وهو حقيقته **(نشاطا)** أى من شدة نشاطها، **(وباع من بطنها)** أى مما ولدته وحصل من نسلها الخارج من بطنها، والبطن حقيقة الجوف ثم شاع فى الولد والنسل **(باثنى عشر ألفًا)** وهذه بركة عظيمة لدعائه صلى الله تعالى عليه وسلم، ولعله كان عنده منها بطون متعددة تتناسل، فيكون ذلك ولدها وولد أولادها، وفيه لف ونشر، فقوله: يملك ناظر لقوله خفقها، وقوله: وباع إلى آخره ناظر لقوله وبرك عليها، وهو ظاهر، وهذا رواه النسائى وابن عبد البر فى الاستيعاب.

(و) فى حديث رواه ابن سعد من حديث إسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة أنه صلى الله تعالى عليه وسلم **(ركب حمارًا قطوفًا)** قليل السير متقارب الخطا **(لسعد بن عبادة)** الأنصارى سعدهم المشهور، **(فرده)** أى أعاده صلى الله تعالى عليه وسلم لصاحبه بعد ما ركبه، أو معناه صيره لأن رد يكون بمعناها، ويعمل عملها كما صرحوا به، فعلى الأول ما بعده حال وعلى الثانى مفعول ثان **(هِمْلاجا)** بكسر الهاء وسكون الميم ولام وجيم، وهو فارسى معرب، وهو من البرازين ما يسرع مشيه، ويكثر نقله على هيئة مخصوصة والعامة يسمونه رهوان، **(لا يساير)** مبنى للمجهول أى يسبق كل ما سار معه فعبر بما ذكر مبالغة كما مر فى قوله: لا يجارى.

(و) روى البيهقى أنه **(كانت شعرات من شعره)** صلى الله تعالى عليه وسلم وهو بفتح العين فيهما **(فى قلنسوة خالد بن الوليد)** أى أنه، رضى الله تعالى عنه، وضعها فى داخل قلنسوته تيمنًا بها، والقلنسوة بفتح القاف واللام وضم السين وفتح الواو قبل هائه ما يوضع على الرأس، وهى معروفة، ويقال: قلنسية كما فى الصحاح، **(فلم يشهد بها)** أى

لم يحضر **(قتالا)** وحربا قاتل فيه **(إلا رُزقَ النصر)** أى إلا نصره الله تعالى على أعدائه فيقتلهم أو يهزمهم ببركة تلك الشعرات التى كانت فى قلنسوته، وجملة إلا رزق إلى آخره حال مستثناة استثناء مفرغًا من أعم الأحوال، وحكى ابن العديم أن ابن أبى طاهر العلوى كان عنده أربعة عشر شعرة من شعره صلى الله تعالى عليه وسلم فبلغه أن بعض أمراء حلب يحب العلويين وله كرم، فارتحل له وأهدى تلك الشعرات له فأكرمه ثم أتاه بعد أيام فعبس فى وجهه و لم يلتفت إليه، فسأله عن السبب، فقال له: قال لى فلان: إن هذه الشعرات لا أصل لها، فسأله إحضارها فأحضرت فطلب منه نارًا موقدة، فأتى بها فرمى شعرات منها فى النار، فلم تحترق بل صارت أحسن مما كانت، فقبل رجله وأنعم عليه بنعم لا تحصى، وأكرمه غاية الإكرام.

(وفى الصحيح): أى فى الحديث الصحيح، أو صحيح مسلم لأن هذا الحديث رواه مسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجه **(عن أسماء بنت أبى بكر)** الصديق، رضى الله تعالى عنهما، **(أنها)** أى أسماء **(أخرجت)** أى أظهرت وأرت الناس **(جبة)** بضم الجيم وتشديد الباء الموحدة، وهى ثوب مخيط **(طيالسة)** قال النووى: إنه روى بإضافة جبة لطيالسة جمع طيلسان بتثليث اللام، والأشهر فتحها، وطيالسة منون مصروف؛ لأنه بزنة ثمانية ورفاهية، ويجوز نصبه على أنه صفة جبة كثوب أخلاق، وقد سقط لفظ طيالسة من بعض النسخ، وهذه الجبة كانت عند أختها عائشة أم المؤمنين، فلما ماتت بعد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بنحو خمسة وأربعين سنة، انتقلت لها، والطيالسة نوع من الأكسية، قيل: إنها ذات أعلام خضر، ولذا روى جبة خضراء، فوصفت بوصف بعضها، وقيل: معنى طيالسة خلقة، وقيل: إنه جمع طيلس كصيقل، وهو المتقن النسج، وقيل: الطيلسان كساء أخضر يعرف بالساج، وقيل: الطيلسان رداء من صوف تستعمله العجم، ولذا يقال: يا ابن الطيلسان فى الشتم.

(قالت) أسماء: **(كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يلبسها)** أى كان يكثر لبس هذه الجبة؛ لأنه كان يفعل كذا يدل على تكرر الفعل عرفًا كما ذكره الأصوليون، وليس بطريق الوضع كما مر، **(فنحن نغسلها)** ونأخذ ما غسلها فنعطيه **(للمرضى فتستشفى)** المرضى **(بها)** أى بمائها بأن يشرب منه ويمسح به الأبدان تيمنًا بآثاره صلى الله تعالى عليه وسلم فيرزقهم الله الشفاء ببركته.

وفى مسلم أنها جبة كسروانية نسبة لكسرى أى عجمية، وأنها كانت مكفوفة بالديباج، واستدل به بعضهم على حل السجاف من الحرير، وقيده بعضهم بأن لا يزيد على أربعة أصابع، ولا ينافى كونها من الطيالسة ما قيل: إنه صلى الله تعالى عليه وسلم

لم يستعمل الطيلسان، وكرهه بعضهم لما ورد أنه حلية قوم الدجال.

(وحدثنا القاضى أبو على) هو ابن سكرة وقد تقدم **(عن شيخه أبى القاسم بن المأمون)** بن محمد بن هشام الرعينى السبتى المعروف بابن المأمون الإمام المشهور **(قال: كانت عندنا قصعة)** بفتح القاف ولا تكسر كما مر، وهى الجفنة المعروفة وتخص فى العرف بما كان من الخشب، وقيدها النووى بما كانت تسع عشرة، والقائل ابن المأمون، فيحتمل أنها كانت عنده وصلت إليه بطريق من الطرق، ويحتمل أنها كانت بديارهم وبلادهم **(من قصاع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم)** بكسر القاف كجمع جفنة وجفان، ويجمع على قصع أيضًا، وقصاعه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يعدوها، ولم يذكروا صفاتها؛ لأنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان لا يعتنى بها، ولا يعدها ولا يدخرها.

(فكنا نجعل فيها الماء للمرضى) جمع مريض **(فيستشفون بها)** أى يطلبون الشفاء، فيحصل لهم بشربهم مما وضع فيها لبركة آثار آثاره.

(وأخذ جهجاه الغفارى) جهجاه بجيمين مفتوحتين بينهما هاء وبعد الأخيرة ألف وهاء، وقيل: إن صوابه جهجا مقصورًا لا هاء فى آخره، والغفارى بكسر الغين نسبة لغفار، وهى قبيلة معروفة واختلف فى اسم أبيه، فقيل: هو ابن مسعود، رضى الله تعالى عنه، وقيل: ابن سعد بن حرام، وقيل: ابن سعيد، وقيل: ابن قيس، وهو صحابى مهاجرى مدنى، وروى عنه أحاديث وشهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وتوفى بعد عثمان بن عفان، رضى الله تعالى عنه، بسنة.

(القضيب) يعنى قضيب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الذى كان مع الخلفاء، والقضيب عصى قصيرة **(من يد عثمان)** بن عفان لما قام عليه قبل يوم الدار، فقيل: أخذه وجذبه من يده وهو على المنبر، وقيل: بعد نزوله منصرفًا لداره **(ليكسره)** أى أخذه بقصد أن يكسره، وظاهر أنه لم يكسره لصياح الناس عليه، وقاله ابن عبد البر وبعض أهل السير: إنه كسره **(على ركبته)** أى اتكأ على ركبته فى كسره كما هو معتاد، **(فصاح به الناس)** ليمنعوه من كسر قضيب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فإنه أمر عظيم وجرأة لم يرضوها، ولذا قال ابن العربى: لا يصح كسر العصا عمن أطاع أو عصى، وهذه العصا كان يعتمد عليها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم إذا خطب وكذا الخلفاء بعده، **(فأخذته)** أى أصابته ووقعت به، وأصل معنى الأخذ التناول فتجوز به عما ذكر **(الأكلة)** كفرحة، وهو داء يصيب بعض الأعضاء فيتآكل أى يتفتت ويتقطع، وهو نوع من الجذام والفرق بينهما مذكور فى مفصلات كتب الطب، والناس تقول آكلة بالمد، وقد قيل: إنه خطأ إلا أن الثعالبى أنشد لبعض العرب فى كتابه ثمار القلوب:

ومن أنت هل أنت إلا امرؤ إذا صح نسلك فى باهلة
وللباهلى على خيره كتاب لآكله الآكلة

و لم يخطئه فيه، وهو من أئمة اللغة فيصح أن تقرأ عبارة المصنف، رحمه الله تعالى، به إلا أن تعارضه الرواية.

(فقطعها) أى قطع جهجاه ركبته أو رجله من ذلك، لئلا يسرى المرض لبدنه، فإن هذا المرض يعالج بقطع العضو كما قيل:

القطع طب كل عضو فاسد

فلا حاجة لما قيل: إن ضمير الفاعل للأكلة، وذكره بتأويل المرض ونحوه.

(ومات) الجهجاه من قطعها **(قبل)** تمام **(الحول)** أى السنة التى وقع فيها القطع؛ بسبب إهانته لقضيبه صلى الله تعالى عليه وسلم.

قال ابن عبد البر فى الاستيعاب: إنه تناول العصا من يد عثمان، رضى الله تعالى عنه، وهو يخطب، فكسرها فوقعت الأكلة فى ركبته، وتوفى بعد عثمان، رضى الله تعالى عنه، بسنة، وهو مناف لكلام المصنف، رحمه الله تعالى، من وجهين؛ لأن ظاهره أنه لم يكسرها، وأنه حال عليه الحول، وفى الروض الأنف أنه انتزعها من يد عثمان، رضى الله تعالى عنه، حين أخرج من المسجد ومنع من الصلاة فيه، وهو أيضًا مخالف لكلام ابن عبد البر فى قوله: إنه أخذها وهو على المنبر، وكان عثمان لما قام عليه الناس وهاجموا المدينة، يخرج يصلى بالناس على عادة الخلفاء الراشدين، ثم خرج فى آخر جمعة، فحصبوه حتى وقع من على المنبر، و لم يقدر على الإمامة، فصلى بهم أبو أمامة بن سهل، ثم حاصروه ومنعوه من المسجد، وكان من القائمين عليه الجهجاه وشافهه بما لا يليق، وفعل بالقضيب ما فعل، وفى جرأته على قضيب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مع أنه من الصحابة الذين شهدوا المشاهد معه صلى الله تعالى عليه وسلم إشكال لا يخفى، فإن الظاهر أنه يعرف القضيب وحرمته، وغضبه على عثمان، رضى الله تعالى عنه، لا يسوغ له مثل ذلك، وعثمان، رضى الله تعالى عنه، كان مجتهدًا متأولاً فيما أنكروه عليه، وما هذه إلا زلة عظيمة لا تليق بمن كان مؤمنًا صحابيًا.

(و) روى البيهقى عن أنس بن مالك، رضى الله تعالى عنه، حديثًا متصلاً أنه صلى الله تعالى عليه وسلم **(سكب من فضل وضوئه)**، السكب بمعنى الصب، وفضل وضوئه ما زاد عليه، وقال شيخنا المقدسى، قدس الله تعالى روحه فى كتابه الرمز، إن الوضوء بالفتح فى المصدر كما فى الصحاح وبالضم مصدر عن اليزيدى، والفتح أولى وفى كتاب سيبويه فيما جاء على فعول بالفتح توضأ وضوءًا، وتطهر طهورًا، وولع ولوعًا، وقبل

قبولاً، وقال ابن خروف فى شرحه: زعموا أن الوضوء من أسماء الماء كالوقود، ولم يحك عمن يوثق به الوضوء بالضم، قلت: ولولا أنه ضعيف ما تبرأ منه الجوهرى والقاضى عياض وتبعه النووى، وكلاهما لم يحرراه. انتهى ما قاله شيخنا فلك هنا الفتح والضم.

(فى بئر قباء) بضم القاف والمد مكان بقرب المدينة الشريفة غير مصروف، ويجوز صرفه أيضًا باعتبار المكان، وألفه ليست للتأنيث، وقال فى التبصرة: إنه اسم أماكن ثلاثة، وينسب إليه قباى، وإلى قبا فرغانة قباوى، والقصر لغة فيه أيضًا.

(فما نزفت) البئر أى انقطع ماؤها **(بعد)** مبنى على الضم: أى بعد ما سكب فيها فضل وضوئه صلى الله تعالى عليه وسلم، ونزفت بفتح الزاء المعجمة، ويجوز كسرها، فهو مبنى للفاعل، ويجوز بناؤه للمفعول أيضًا؛ لأنه ورد متعديا، وغير متعد، فمن اقتصر على الثانى فقد قصر، وقد ورد ثلاثيه متعديًا ومزيده لازمًا على خلاف القياس ككبه الله تعالى فأكب، وله أخوات فصلناها مع الكلام عليها فى السوانح، والمصنف، رحمه الله تعالى، قال: إنه صب فضل وضوءه أى بقيته، ووقع فى رواية: أنه تفل فيها، وعد هذا من كراماته صلى الله تعالى عليه وسلم وتقدم أن من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم تفجير الماء فى بئر الحديبية وبئر تبوك؛ لأنه ثمة وقع التحدى لمشاهدة الكفار له وهنا لم يقصد التحدى كما قيل.

(و) روى أبو نعيم فى دلائله أنه صلى الله تعالى عليه وسلم **(بزق)** بزاء وصاد وكلاهما بمعنى، وهو مج الريق من فيه **(فى بئر كانت فى دار أنس)** بن مالك خادمه صلى الله تعالى عليه وسلم **(فلم يكن بالمدينة)** بئر من آبارها **(أعذب منها)** أى أحلى وألذ من مائها، وهذا كان بين أظهر المؤمنين فلذا لم يعده معجزة كما أشرنا إليه.

(ومر) صلى الله تعالى عليه وسلم **(على ماء)** فى بعض أسفاره **(فسأل عنه)** أى عن اسمه، **(فقيل)** له: **(اسمه بيسان)** بموحدة مكسورة، وقال التلمسانى بالفتح، وهو الظاهر لموازنته لنعمان الآتى، ولولاه جاز فتحه وكسره ومثناة تحتية ساكنة وسين مهملة وألف ونون، **(وماؤه ملح)** جملة حالية أى لا عذوبة فيه، فلما سمى بما يوهم البؤس ضد النعيم لم يجب صلى الله تعالى عليه وسلم بما يتشاءم به فغيره؛ لأنه كان يحب الفأل الحسن، **(فقال: بل هو نعمان)** بفتح النون فعلان من النعيم والنعمة، وبيسان موضعان أحدهما بالشام وهو فى حديث الدجال، والآخر بالحجاز وهو الذى مر به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى غزوة ذى قرد، وهو المذكور هنا فغير اسمه فغير الله ماءه، فاشتراه طلحة، رضى الله تعالى عنه، وتصدق به، فقيل له: طلحة الفياض وضبط الأنطاكى فى حواشيه هنا نعمان بضم النون، والصواب ما تقدم، وفى الشرح الجديد أنه بكسر النون،

فكأنه قصد بذلك موافقة بيسان، وملح هو الفصيح ومالح لغة أيضًا لكنها غير فصيحة، وليست لحنا كما قيل، لورودها فى النظم والنثر كثيرًا، ولولا خوف الإطالة أوردنا ذلك.

(وماؤه طيب) هذا من جملة مقوله صلى الله تعالى عليه وسلم وإلا تناقض كلامه، **(فطاب)** ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم لما غير اسمه وقال: إنه طيب.

(و) روى ابن ماجه فى حديث آخر مسندًا أنه صلى الله تعالى عليه وسلم **(أتى)** بالبناء للمجهول: أى أعطاه بعض أصحابه صلى الله تعالى عليه وسلم وجاء له **(بدلو)** مملوء **(من ماء زمزم)** ورواه البيهقى عن وائل الحضرمى إلا أنه لم يقل فيه أنه من ماء زمزم **(فمج فيه)** أى ألقى فيه صلى الله تعالى عليه وسلم ماء فمه وريقه **(فصارت)** رائحته **(أطيب من)** رائحة **(المسك)**، وقريب منه قصة نافع أحد القراء السبعة المذكورة فى شروح الشاطبية.

(و) من كراماته صلى الله تعالى عليه وسلم ما رواه الطبرانى عن أبى هريرة أنه **(أعطى الحسن والحسين لسانه)** الشريف: أى وضعه فى فمهما **(فمصاه)** أى جذبا ريقه وشربا منه، **(وهما يبكيان)** جملة حالية أى باكين **(عطشا)** تمييز أو مفعول له، والعطش: حرارة تقتضى اشتهاء ما يشرب، **(فسكتا)** فسكن عطشهما وتركا البكاء، وكان الأحسن أن يذكر هذا مع قوله: وكان يتفل فى أفواه الصبيان إلى آخره.

(و) فى حديث صحيح رواه مسلم عن جابر أنه **(كان لأم مالك)** الأنصارية الصحابية، وهى أم سليم بنت ملحان قيل: والصواب أن يقول أم أنس بن مالك، وفى الصحابة أم مالك البهزية، وليست هذه، وفيه نظر لأن أم مالك هذه ليست أم أنس، وقد قالوا: إنه لا يعرف اسمها، وفى شرح المصابيح للتوربشتى أن أم مالك فى الصحابة اثنتان: أم مالك الأنصارية، وأم مالك البهزية، وهى صاحبة العكة انتهى.

(عكة) بتثليث العين المهملة، والمشهور ضمها، وهى صفن من الجلد يوضع فيه السمن غالبا وكافها مشددة.

(تهدى فيها للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم سمنا): أى ترسل به على طريق الهدية، وهو بفتح السين المهملة وسكون الميم وفتحها لحن، قال الزبيدى: السمن للبقر غالبا ويكون للمعزى أيضًا، وفى القاموس أنه سلاء الزبد و لم يقيده.

(فأمرها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أن لا تعصرها) الأمر هنا بمعناه اللغوى لأن قوله: لا تعصرها نهى لا أمر، أو هو باعتبار لازمه؛ لأن النهى يلزمه الأمر بالكف، وعلى الأول هو مطلق الطلب، والعصر الضغط للظرف؛ ليخرج بقية ما فيه مما قل، ففيه إشارة

إلى أنه لا ينبغى النظر لقلة ما فيها واحتقاره، وتعظيم ما قل من نعم الله يزيده ويجعل فيه البركة، ولذا قيل: إن فيه دقيقة لمن نظر بين الحقيقة، ويعصر بكسر الصاد كضرب يضرب.

(ثم دفعها) أى دفع صلى الله تعالى عليه وسلم العكة **(إليها)** أى إلى أم مالك المهدية له **(فإذا هى مملوءة سمنا)** أى فاجأها بغتة ملؤها من ذلك، فمملوءة بزنة المفعول مهموز، ويجوز إبدال الهمزة واوًا وإدغامها.

(فيأتيها بنوها يسألونها الأدم) بضم الهمزة وسكون الدال المهملة وضمها، وهو جمع إدام وهو ما يؤتدم به مع الخبز كالسمن والعسل، واختلف الفقهاء فى اللحم هل يسمى إدامًا عرفا أم لا؟ فلا ينافى ما ورد فى الحديث: «سيد إدام الدنيا والآخرة اللحم» وقيل: الأدم ما يصلح به الطعام.

(وليس عندهم شيء) يعنى من الأدم، **(فتعمد إليها)** أى تقصدها وتمسكها بيدها، وعمد يعمد بفتح الميم فى الماضى وكسرها فى المضارع، ويجوز العكس كما فى شرح الفصيح للبلى، **(فتجد فيها سمنا)** كما كانت، فلا تنقص، **(فكانت تقيم أدمها)** أى تجده قائما أى باقيا على حاله، **(حتى عصرتها)** غاية للإقامة أى لما عصرته انتهت إقامة السمن فى العكة، وفقدته وذهبت بركته لما خالفت أمره صلى الله تعالى عليه وسلم.

قال النووى فى شرح مسلم: الحكمة فى ذلك أن عصرها يضاد التوكل والتسليم، ويتضمن التدبير والأخذ بالحول والقوة، فعاقبها الله تعالى بزوال ما أنعم به عليها، ولم يذكر هذا فى المعجزات، لأنه لم يتحد به، ولأنه حصل فى بيت أم مالك.

وفى أسد الغابة لابن الأثير أنه صلى الله تعالى عليه وسلم أمر بلالا، فعصرها ثم دفعها إليها فلما أخذتها إذا هى مملوءة، فأتت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، وقالت: يا رسول الله نزل بى شيء، فقال: «ما ذاك يا أم مالك؟»، قالت: رددت على هديتى، فدعا بلالاً وسأله عن ذلك، فقال: والذى بعثك بالحق نبيا لقد عصرتها حتى استحييت، فقال: «هنيئا لك يا أم مالك هذه بركة عجل الله ثوابها»[1]، ثم علمها صلى الله تعالى عليه وسلم أن تقول دبر كل صلاة: سبحان الله عشرًا، والحمد لله عشرًا، والله أكبر عشرًا، وهذا صريح فى أن ما ذكر كان بركة لا معجزة بملاحظته، عليه السلام، كما قيل فتدبر.

(و) فى حديث رواه البيهقى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم **(كان يتفل)** بفتح المثناة

---

(١) أخرجه الطبرانى كما فى مجمع الزوائد (١٠/١٠٢)، وقال الهيثمى: فيه عطاء بن السائب، ثقة، ولكنه اختلط، وفيه راو لم يسم.

التحتية وسكون التاء المثناة الفوقية وضم الفاء وكسرها، والتفل البصاق وخصه البيهقى بيوم عاشوراء (**فى أفواه الصبيان**) وأفواه جمع فم باعتبار أصله؛ لأن أصله فوه، والصبيان جمع صبى والمراد بهم الصغار الذين يرضعون، ولهذا قال: (**المراضع**) بزنة مساجد جمع مرضع بفتح الضاد اسم مفعول من الرضاعة، وهى مص الثدى، لا جمع رضيع بمعنى مرضع كما قيل، فإن فعيل لا يجمع على مفاعل، وادعاء أنه على خلاف القياس لا حاجة إليه، وفى بعض النسخ مراضيع بزيادة الياء، فإن صحت رواية فهو على خلاف القياس كما قيل فى جمع خاتم خواتيم، إلا أن ابن عصفور قال: إنه شاذ، وادعاء بعضهم أنه ضرورة لا يصح، فإنه ورد فى الحديث «الأعمال بخواتيمها» وما قيل: إن تقدير هذا الكلام: صبيان المراضع، وهن الأمهات خطأ، اللهم إلا إن وقع له رواية صبيان المراضع بالإضافة، ولم نجده فى شىء من النسخ.

(**فيجزيهم**) بضم المثناة التحتية وسكون الجيم وكسر الزاء المعجمة وهمزة: أى فى الفرق بين الإجزاء والصحة (**ريقه**) الشريف (**إلى الليل**) أى فيكفيهم عن الرضاعة النهار كله ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم فيقوم المص منه مقام لبن الأم الكثير.

(**ومن كراماته**) أى من كرامات النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ما رواه البيهقى (**بركة يده فيما لمسه**) اللمس قريب من المس، وهو وضع اليد على الشىء، فقوله بيده تأكيد أو تجريد كنظرت بعينى، والبركة الزيادة المعنوية والحسية كما تقدم، (**وغرسه لسلمان الفارسى**) أى لأجله كما سيأتى، والغرس وضع أصول الشجر فى الأرض لينمو، وفى نسخة أو غرسه فهو شك من الراوى، وسلمان هو أبو عبد الله الفارسى مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وهو من قرية يقال لها: جىء من قرى أصبهان أو رام هرمز، ولم يتخلف عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعدما أعتقه، وكان من علماء الصحابة وزهادهم المعمرين، وكان رضى الله تعالى عنه، يعمل الخوص، ويأكل منه مع أن عطاءه من بيت المال خمسة آلاف كل سنة، وكان إذا أخذها تصدق بها.

قال النووى: اتفقوا على أنه عاش مائتين وخمسين سنة، وقيل: ثلاث مائة وخمسين سنة، وتوفى بالمدائن ودفن بها سنة خمس أو ست وثلاثين، وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم: «إن الجنة لتشتاق له»، وكان مولاه قبل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رجلاً من اليهود، فاشتراه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منه وقصته مشهورة.

(**حين كاتبه مواليه**) من اليهود، وهذا ينافى ما قاله البرهان أنه صلى الله تعالى عليه وسلم اشتراه، وجمع الموالى، ولم يكن إلا مولى واحد تجوزًا، وقد قيل: إنه على ظاهره؛ لأنه ورد أنه اشتراه من قوم من اليهود، وفيه نظر، والمولى هنا هو السيد وهو مشترك بينه

وبين العبد وله معان أخر، والكتابة معلومة مفصلة فى كتب الفقه **(على ثلاثمائة ودية)** بفتح الواو وكسر الدال المهملة وياء مثناة تحتية مشددة قبل الهاء، وهى صغار النخل **(يغرسها لهم كلها تعلق)** بفتح التاء الفوقية وسكون العين وفتح اللام، ثم قاف أى تنبت بعد غرسها ويتم غراسها من علقت المرأة إذا حبلت، وقال بعض الشراح: تؤكل ثمرتها من علق يعلق كعلم يعلم، وقيل: تدرك وتضم لأمه كيكتب، فهو متداخل من بابين، والمراد الأكل هنا وهو الظاهر، وجملة كلها تعلق بدل مما قبله، وقوله: **(وتطعم)** أى يوجد فيها ما يؤكل من ثمرها، ويؤيد أن المراد بما قبله تدرك، وإن جاز أن يكون عطف تفسير، وهو بوزن يكرم، **(وعلى أربعين أوقية)** بضم الهمزة وتشديد الياء، ويقال وقية أيضًا بفتح الواو.

وقال السعد فى شرح الكشاف: الأوقية أفعولة، فأصلها أوقوية فأعلت أو فعلية من الأوق، وهو الثقل، والمراد أربعون درهما كما فى كتب اللغة، وعند الأطباء وهو المتعارف الآن أنها عشر دراهم وخمسة أسباع درهم، وقال الزمخشرى: إنها اثنان وأربعون درهما. انتهى، وقيل: إنها سبعة مثاقيل **(من ذهب)** بيان للأوقية وأنها ليست من فضة، ولفظ الوقية وقع فى حديث رواه الشيخان، فقول بعضهم: إنها عامية كما فى النهاية، لا وجه له، اللهم إلا أن يريد أنها المشهورة بين العوام، فلا ينافى تصحيح أهل اللغة لها كما فى القاموس وغيره، والنش بفتح النون وتشديد الشين المعجمة عشرون درهما، **(فقام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم)** من مجلسه إلى محل عين لغراسها فيه، **(وغرسها له بيده)** الشريفة تبركا **(إلا واحدة)** منها **(غرسها غيره)** قيل: هو عمر بن الخطاب، رضى الله تعالى عنه، كما رواه ابن عبد البر، وقيل: إنه سلمان ووفق بينهما بأنهما غرساها معًا أو أن كل واحد منهما غرس واحدة.

(فأخذت كلها) بمعنى أنها طلعت وأدركت فهو مجاز كأنها أخذت من الأرض ما قامت به ونمت كما يدل عليه الكلام **(إلا تلك الواحدة)** التى غرسها غيره، **(فقلعها)** من محلها، **(وردها)** أى أعادها إلى محلها **(فأخذت)** أى نبتت وأدركت ببركة يده الشريفة ومسها، وهو من معجزاته الباهرة صلى الله تعالى عليه وسلم.

وقوله: إلا واحدة يدل على بطلان التوفيق بأنها غرس كل واحد منهما ودية، وفى بعض السير أنه صلى الله تعالى عليه وسلم غرسها كلها من غير ذكر الواحدة، فينبغى أن يحمل على القصة إجمالا، فإنه غرس تلك الواحدة بعد ذلك، فلا منافاة بينهما.

(وفى كتاب البزار) بموحدة وزاء معجمة وألف وراء مهملة، نسبة لعمل بزر الكتان زيتًا عند البغداديين، وهو الحافظ المشهور، **(فأطعم النخل)** أى أثمر ذلك النخل الذى

غرسه صلى الله تعالى عليه وسلم بيده الشريفة **(من عامه)** أى فى سنته التى غرس فيها، ومن ابتدائية **(إلا الواحدة، فقلعها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وغرسها فأطعمت من عامها)** وإضافة العام لها حقيقية، لوقوع الغراس فيه.

(وأعطاه) أى أعطى صلى الله تعالى عليه وسلم سلمان مما كوتب عليه **(مثل بيضة الدجاجة)** أى قدر حجمها لا وزنا كما قيل **(من ذهب)** جاءه من الغنائم **(بعدما أدارها على لسانه)** الشريف، ليحصل فيها بركته، ولا حاجة إلى أن يقال: إنه صلى الله تعالى عليه وسلم دعا بالبركة فيها، ولم يسمع فإنه لا يقال مثله بالرأى.

(فوزن) سلمان، رضى الله تعالى عنه، **(منها لمواليه)** أى لمن كاتبه كما مر **(أربعين أوقية، وبقى عنده مثل ما أعطاهم)**، وهى أربعون أخرى، وكانت فى رأى العين دون ما كوتب عليه من الذهب، لكنها زادت وزنا، ورجحت ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم، وهو من نمو الأعيان، قيل: يجوز أن يكون فاعل وزن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، وكذا بقى وهو بكسر القاف المخففة ويجوز فتحها مشددة.

وقصة سلمان، رضى الله عنه، طويلة مفصلة فى السير، وحاصلها: أنه كان بجئ وهى قرية بفارس كان أبوه رئيسها، وهو ممن يعبد النار، فمر سلمان برهبان فى كنيسة يصلون ويتعبدون فأعجبه أمرهم، وقال: هذا خير من ديننا فلما أخبر أباه بذلك نقم عليه وقيده، مخافة أن يتبعهم فأرسل سلمان إليهم يقول: إذا كان عندكم من يذهب إلى الشام، فأخبرونى به، وكانوا قالوا له: إن ديننا هذا بالشام، فأخبروه، فكسر قيده وذهب معهم وجاء إلى الشام، ودخل كنيسة فيها قسيس يتعبد بها، فاستمر عنده إلى أن مات فذهب لآخر بعمورية، ثم لآخر بالموصل ومكث عنده فمرض وأشرف على الموت، فقال له: إن متَّ ما أفعل؟، قال إن ديننا هذا قديم، وقد دنا زمن نبى على الحنيفية يظهر بأرض النخل، فسأله عن علامته، فقال: به خاتم النبوة ولا يأكل الصدقة ويأكل من الهدية. فمر به قوم من كلب، وكان له بقرات وغنيمات اكتسبها من عمله، فأعطاها لهم على أن يحملوه إلى أرض العرب، فغدروا به وأسروه وباعوه من يهودى، وقيل: ابتاعته امرأة، والأصح الأول، فكان يخدمه، حتى قدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المدينة، فبينما هو على نخلة من النخيل، وسيده الذى اشتراه منهم تحتها، إذا برجل غريب جاء إلى سيده المذكور، وقال: هل سمعت ما فعله الأنصار؟ قدم عليهم رجل من مكة وهو معهم بقباء الآن، فلما سمع مقالته عراه نافض كالحمى، ونزل يسأل الرجل عما قاله، فنهره سيده فأضمر مقالته، ثم ذهب إليه صلى الله تعالى عليه وسلم بتمرات من نخل سيده، فأكلها فلما رأى العلامات المذكورة جاء وكاتب سيده على ما ذكره

المصنف، رحمه الله تعالى.

فإن قلت: تقدم فى الحديث أنه مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وقال: «سلمان منا أهل البيت»[(١)] فكيف يكون هذا وهو مكاتب؟ وكيف أكل صلى الله تعالى عليه وسلم مما أتى به والعبد لا يملك شيئًا؟.

قلت: أجابوا عنه بوجوه منها أنه ورد أنه صلى الله تعالى عليه وسلم اشتراه منه مما ذكر، وعلى هذا فلا إشكال، ومنها أنه علم أنه لم يمسه الرق كما مر، وإنما باعوه ظلمًا وغصبًا، ولو سلم فهو مولى موالاة لا مولى رق، ولذا قبل صلى الله تعالى عليه وسلم ما أهداه له لأنه أجرة له أو أذن له سيده فى دفعه لمن يريد.

(وفى حديث حنش) بفتح الحاء المهملة والنون وشين معجمة **(ابن عقيل)** بفتح العين وكسر القاف، وليس مصغرا وهو صحابى ترجمته فى الاستيعاب وغيره، وهذا الحديث رواه بطوله قاسم بن ثابت فى الدلائل عن المسور بن مخرمة **(سقانى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شربة من سويق)** بالسين، وقد تبدل صادًا، وهو قمح يقلى ويطحن ثم يجعل فى ماء ونحوه من المائعات ويشرب، فهوطعام وشراب، وشربة بفتح الشين المرة من المشروب، وليس بضم الشين كما قيل فهو مفعول به لا مفعول مطلق كما قيل. **(شرب)** صلى الله تعالى عليه وسلم **(أولها وشربتُ آخرها)** يعنى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم شرب منها أولا لتحصل البركة فيها، ثم ناوله الإناء فشرب بقيته، **(فما برحت)** أى لم أزل بعد ما شربت سؤره **(أجد شبعها)** أى يحصل عندى الشبع بزنة العنب، وهو معروف **(إذا جعت)** أى إذا جاء وقت الجوع والحاجة إلى الطعام، **(وريها)** بكسر الراء، وهو برد يحصل فى الجوف من الماء ونحوه يغنى عن الماء، **(إذا عطشت)**، أى جاء وقت الحاجة إلى الشرب، والضميران للشربة، **(وبردها إذا ظمئت)** بزنة علمت بهمزة بعد الميم ويجوز إبدالها، وهو من الظمأ وهو العطش فغاير بينهما فى العبارة تفننا أى لم يفارق بعد شربها الشبع والرى، لبركة سؤره صلى الله تعالى عليه وسلم.

(و) فى حديث صحيح رواه أحمد فى مسنده عن أبى سعيد أنه صلى الله تعالى عليه وسلم **(أعطى قتادة بن النعمان)** بن زيد، ويكنى أبا عمر، وهو صحابى مشهور، توفى سنة ثلاث وعشرين، وصلى عليه عمر رضى الله تعالى عنه وهو الذى ردت عينه كما تقدم، وهو من الأنصار **(وصلى بعد العشاء)** جملة حالية بتقدير قد أى: وقد صلى مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم العشاء **(فى ليلة مظلمة مطيرة)**: أى ذات ظلمة من

---

(١) أخرجه الحاكم (٣/٥٩٨)، والطبرانى (٦/٢٦١)، وابن سعد (٤/١/٥٩)، والبيهقى فى دلائل النبوة (٣/٤١٨)، وابن عساكر فى تهذيب تاريخ دمشق (٦/٢٠٠).

ظلمة الليل والسحاب المطبق بالمطر، وهو متعلق بأعطى **(عُرْجُونًا)** بضم العين وسكون الراء المهملتين وضم الجيم كعنقود وبكسر وفتح كفردوس، وبهما قرئ، وهو فعلون من الانعراج وهو الانعطاف، وقيل: وزنه فعلول وإليه ذهب صاحب القاموس، والصحيح الأول.

(وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم لقتادة **(انطلق به)** أى خذ العرجون واذهب به لمنزلك، **(فإنه سيضىء لك من بين يديك عشرًا ومن خلفك عشرًا)**: أى مقدار عشرة أذرع فى طريقك حتى تبصرها، وليست العشرة من الأشبار كما قيل، **(فإذا دخلت بيتك فسترى سوادًا)** وهو ضد البياض، والمراد جسم أسود، والسواد يطلق على الجثة والشبح، وفى توثيق عرى الإيمان للبارزى أنه كان هيئة قنفذ، فإذا رأيته، **(فاضربه حتى يخرج)** من البيت، **(فإنه)** أى السواد المرئى **(الشيطان)** تصور بهذه الصورة، **(فانطلق)** قتادة **(فأضاء له العرجون حتى دخل بيته، ووجد السواد فضربه حتى خرج)** من بيته كما أخبره به صلى الله تعالى عليه وسلم قيل: ما ذكره المصنف، رحمه الله تعالى، رواية بالمعنى، فإن لفظ الحديث كما رواه أبو سعيد الخدرى أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم خرج ذات ليلة لصلاة العشاء، وهاجت السماء وأظلمت وبرقت، فرأى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قتادة، فقال له: قتادة قال: نعم يا رسول الله. علمت أن شاهد الصلاة قليل فأحببت أن أشهدها. فقال له: إذا انصرفت فأتنى، فلما انصرف أعطاه عرجونا، وقال: خذه فسيضىء أمامك عشرًا وخلفك عشرًا. الحديث، ويضىء جاء متعديًا، فعشرًا مفعوله، ولازما فهو منصوب على الظرفية، والشيطان المراد به: واحد من الجن المردة، أو إبليس بعينه.

(ومنها) أى من كراماته صلى الله تعالى عليه وسلم فى قلب الأعيان ما رواه البيهقى فى حديث مسند وهو **(دفعه لعكاشة)** ابن محصن الصحابى المشهور، وهو بضم العين المهملة وتخفيف الكاف وتشديدها معجمة علم منقول، وأصله العنكبوت أو بيته وهذه القصة وقعت له وهو ببدر مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، والدفع أصل معناه الإزاحة باليد والمنع، ويطلق على الإعطاء والتسليم كما يقال: دفع المال له **(جذل حطب)** بجيم مكسورة وذال معجمة ساكنة ولام وقد تفتح جيمه، وهو عود غليظ، أو أصل من أصول الشجر، ومنه المثل أنا جذيلها المحكك، وهو عمود ينصب لتحتك به الإبل الجرباء، فاستعير لمن يرجع لرأيه، ويستشفى بهدايته فى المهمات، والحطب: ما يبس من أغصان الشجر، وهو معروف، وهو الذى قال فيه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: سبقك بها عكاشة، وقد كان قال: يدخل الجنة سبعون ألفًا بغير حساب، وهم الذين لا يرقون ولا يسترقون، فقال عكاشة ادع الله أن يجعلنى منهم، فقال: جعلك

الله منهم، ثم قام آخر فقال: مثل ما قال، فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم: سبقك بها عكاشة[1].

قال ابن عبد البر: الثانى كان من المنافقين، ورده السهيلى بأنه ورد فى رواية، فقام رجل من خيار المهاجرين، وأيضًا ورد أنه إنما قال لثالث، ولعل الساعة الأولى كانت ساعة إجابة انقطعت أو لأنه عرف صلى الله تعالى عليه وسلم أنه لو دعا له استرسل الأمر وطال وعم مثله الناس وهو مما يكتم.

(**وقال: اضرب به حين انكسر سيفه يوم بدر**) أى فى وقعة بدر كما مر فى إطلاق اليوم على مثله، (**فعاد فى يده سيفًا**) أى صار؛ لأنه عاد يكون بمعنى رجع، وليس مناسبا هنا، وبمعنى صار كما فصل فى محله، وقوله (**صارمًا**) أى قاطعا، ومنه الصرم وهو الهجر والقطيعة (**طويل القامة**) أى طويلاً مستقيمًا (**أبيض**) اللون (**شديد المتن**) أى قوى الجرم صلبًا من المتانة، وهى القوة، ولذا سمى الظهر متنا لقوته فى اشتداد الأعضاء وقوامها به.

(**فقاتل به**) ببدر حتى انقضت، (**ثم لم يزل**) السيف (**عنده**) أى فى ملكه وتصرفه، والعند للحضرة، وترد لمعان أخر منها هذا.

(**يشهد**) أى يحضر (**به المواقف**) أى قتال الكفرة (**إلى أن استشهد فى قتال أهل الردة**)، واستشهد بمعنى صار شهيدا، وقيل: معناه طلب الله تعالى منه الشهادة، وذلك فى خلافة أبى بكر رضى الله تعالى عنه، وهو مشهور وقوله: إلى أن استشهد إلى آخره: غاية لبقائه فى يده، فلا ينافيه بقاؤه عند أهله بعده كما توهم.

(**وكان هذا السيف يقال له: العون**) سمى بهذا المصدر مبالغة لإعانته على الأعداء وكان من عادة العرب وأهل الصدر الأول أنهم يسمون آلات حربهم وخيولهم بأسماء كالأناسى.

(**وَدَفْعُهُ**) مصدر مرفوع مبتدأ خبره مقدر أى من كراماته صلى الله تعالى عليه وسلم دفعه، أو هو معطوف على دفعه السابق بلا تقدير وهو الأولى (**لعبد الله بن جحش يوم أحد**): أى فى وقعة أحد المشهورة، وهو ابن عمته صلى الله تعالى عليه وسلم أميمة بنت عبد المطلب، وهو من المهاجرين بالهجرتين، ويسمى المجدع؛ لأنه استشهد بأحد ومثل قطع أنفه وأذنيه؛ لأنه طلب ذلك من الله، وقصته مشهورة فى السير ورواها البيهقى مسندة.

(**وقد ذهب سيفه**) جملة حالية أو معترضة، **فأعطاه** صلى الله تعالى عليه وسلم (**عسيب نخل**) عسيب بوزن كريم بعين وسين مهملتين ومثناة ساكنة تحتية وباء موحدة، قيل:

(١) تقدم تخريجه.

وهى جريدة النخل لا خوص عليها، والصواب ما فى الصحاح من أنه من السعف ما فوق الكرب لم ينبت عليه خوص كعسب الذنب.

(فرجع) أى صار العسيب وهو أحد معنيي الرجوع ويكون لازمًا ومعتديًا **(سيفا)** مفعول رجع.

قال ابن عبد البر فى الاستيعاب: انقطع سيف عبد الله بن جحش يوم أحد، فأعطاه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوم أحد عرجون نخلة، فصار فى يده سيفًا يقال: إن قائمه كان منه، فبقى إلى أن بيع من بغاء التركى بمائتى دينار، وكذا ذكره ابن سيد الناس وغيره.

وهذه الرواية تدل على أن العسيب أصل العرجون لا الجريد كما قيل، وهذه أعظم من معجزة موسى، عليه الصلاة والسلام، فى عصاه؛ لأنها بقيت بعده صلى الله تعالى عليه وسلم، وعصا موسى لم تبق بعد موته، وقد وقعت مرارًا فى عصى متعددة، وتلك عصا واحدة.

وفى سيرة ابن سيد الناس مثله لسلمة بن أسلم يوم بدر.

(ومنه) أى من هذا النوع من الكرامات والبركات **(بركته)** صلى الله تعالى عليه وسلم **(فى درور الشاة)** ودرور بدال ورائين مهملات: مصدر درت الشاة ونحوها درورًا:سال لبنها من ضرعها بكثرة، والدر اللبن، ومنه لله دره، ثم شاع فى معنى الخير والنفع، والشاة من الغنم وأصلها شوهة فأعلت وتطلق على ما يشمل المعز مجازا، والشياه بزنة رجال جمع شاة.

(الحوائل) جمع حائل، وهى التى لم تحمل مطلقا أوما حمل عليها فلم تحمل، وقيل إنها مالم تكمل سنة أو سنتين، وقيل: إنها جمع حول جمع حائل جمع الجمع، ووصفها بذلك لأنها أبعد من الدر **(باللبن الكثير)** ذكره للإيضاح والتأكيد، أو أراد بالدور مطلق الخروج على طريق التجريد والمجاز المرسل.

(كقصة شاة أم معبد) عاتكة بنت خالد الخزاعى أخت حبيش الصحابى المعروف بالأشقر وأبو معبد أسلم ومات فى حياة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وله رواية.

وقال السهيلى: إنه لا يعرف اسمه، وقيل: اسمه حبيش، وقيل أكثم بن أبى الجون ومنزله بقديد.

وقصة أم معبد مشهورة وتقدمت الإشارة إليها وأفردها الحافظ العلائى بالتأليف، وملخصها أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مر على خبائها وهو مهاجر للمدينة، فنزل عندها وطلب منها زادًا، فقالت: ما عندى غير شاة عجفاء لا لبن فيها، فمسح صلى الله

تعالى عليه وسلم ضرعها فدرت ما كفاه ومن معه، وبقى فى الإناء بقية، فلما جاء زوجها أخبرته بخبره وصفته فعرفه، ثم قدمت عليه صلى الله تعالى عليه وسلم المدينة بولد صغير لها، وأسلمت كما بيناه سابقا وتفصيله فى السيرة وشرحها، وهو مشهور لا حاجة لذكره هنا.

(و) منها قصة **(أعنز)** جمع عنز **(معاوية بن ثور)** بالمثلثة ابن عبادة بكسر العين ابن البكاء والد بشر، وقصته رواها ابن سعد وابن شاهين عن الجعد بن عبد الله، وفى نسخة العزفى: أنه معونة بعين مضمومة ونون صححه، ولم يذكره الحافظ الحلبى، ونقل خلافه عن الذهبى، وكان وفد على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو شيخ كبير ومعه ولده بشر، ومعه الضجيع بن البكاء والأصم بن كعب، فقال: يا نبى الله بأبى أنت وأمى امسح على وجه ابنى، فمسح عليه وأعطاه أعنزًا سبعا، ودعا لها بالبركة: قال الجعد: وكانت السنة ذات قحط وغلاء أصاب بنى البكاء فأصابتهم بركته صلى الله تعالى عليه وسلم ونمت الأعنز وكتب لهم كتابا هو عند بنى بشر المذكور، وفيه قصة الأعنز، وفى ذلك يقول بشر، رضى الله عنه:

وأنا الذى مسح الرسول برأسه ودعا له بالخير والبركات

(وشاة أنس) وقصتها كقصة شاة أم معبد إلا أن الشراح لم يذكروها، ولم يذكرها السيوطى فى تخريجه أيضًا لعدم الوقوف عليها.

(وغنم حليمة مرضعته) صلى الله تعالى عليه وسلم أى قصة غنمها التى رواها أبو يعلى والطبرانى وغيرهما بسند حسن، لما حملته صلى الله تعالى عليه وسلم لترضعه فى سنة كان فيها قحط أصاب أرض قومها، وقل النبات فيها، فكان غنمها تأتى من المرعى، وقد رعت كثيرًا ودر لبنها، وغنم قومها تأتى عجافا جافة الضروع، فيتعجبون منها وما ذاك إلا ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم ويمن قدمه.

وحليمة هى بنت عبد الله بن الحارث السعدية وزوجها هو الحارث بن عبد العزى، وقد أسلمت هى وزوجها وأولادها كما تقدم، ومرضعته بالجر بدل من حليمة.

(وشارفها) بالجر عطف على غنم، والشارف الناقة المسنة المهرية، وقيل: إنها تشمل الذكر والأنثى والمعز، والمراد الأول، فكانت خرجت من بلدها مع زوجها وابن رضيع لها ومعهم شارف ليس فى ضرعها قطرة لبن، فكانوا لا ينامون من الجوع، فلما أخذت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لترضعه، قام زوجها فوجد شارفة حاملة بالدر، فحلب منها ما شربوا كلهم وشبعوا، وبات بخير ليلة، فقال لحليمة: إنه نسمة مباركة. فقالت: إنى والله أرجو بركته إلى آخر القصة.

(وشاة عبد الله بن مسعود) التى روى قصتها البيهقى وابن أبى مسعود من كبار المهاجرين السابقين، وترجمته تقدمت، وكان وهو صغير يرعى غنما لعقبة بن أبى معيط، فمر عليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأبو بكر، فقال له: هل عندك لبن؟ قال: نعم لكنى مؤتمن، فقال: ائتنى بشاة لم ينز عليها الفحل، فأتيته بجذعة فاعتقلها ومسح ضرعها ودعا الله، وأتاه أبو بكر بصحفة فحلب فيها، وقال لأبى بكر: اشرب، ثم قال للضرع اقلص فعاد كما كان، وكان هذا سبب إسلامه، **(وكانت لم ينز عليها فحل)** نزا الذكر على الأنثى إذا علاها لينكحها وأنزاه غيره وهو مخصوص بالبهائم والسباع، والفحل الذكر، فيصح فى ينز أن يكون بفتح الياء التحتية وضم الزاء المعجمة مبنى للفاعل، ويصح ضم أوله وفتح آخره بالبناء للمجهول، وهو مبالغة فى عدم اللين بنفى اللازم البعيد؛ لأنه إذا نزا عليها حملت، ثم ولدت ثم يدر لبنها.

(وشاة المقداد) بالجر أى قصتها التى رواها مسلم والبيهقى، وهو ابن عمرو لا الأسود وإن اشتهر به كما يأتى ابن عبد يغوث الصحابى المشهور، وقصته أنه قال: كنت أنا وصاحبان لى قد بلغ منا الجهد، فعرضنا أنفسنا على أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلم يقبلنا أحد فأتينا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فانطلق بنا إلى أهله فإذا ثلاثة أعنز، فقال: احتلبوا منها لبنا بيننا فكنا نحتلب ويشرب منا كل نصيبه، ونرفع للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم نصيبه، فيجىء من الليل ويشربه، فوقع فى نفسى ذات ليلة، أنه صلى الله تعالى عليه وسلم يأتيه الأنصار لحاجتهم لهذه الجرعة، فشربتها ثم ندمت خشية أنه إذا لم يجدها يدعو علىَّ فأهلك، فلم أنم وقد نام صاحباى، فجاء صلى الله تعالى عليه وسلم لعادته ليكشف الإناء، فلم يجد شيئًا ورفع بصره إلى السماء، فقلت: الآن يدعو علىَّ، فقال: اللهم أطعم من أطعمنى واسق من سقانى، فأخذت الشفرة وانطلقت إلى الأعنز لأذبح ما سمن منها، فإذا هن حفل كلها، فحلبت إناء حتى علت رغوته، وجئت إليه صلى الله تعالى عليه وسلم به فشرب ثم ناولنى، فلما علمت أنه روى وأصبت دعوته ضحكت حتى استلقيت فقال صلى الله تعالى عليه وسلم: احذر سوآتك يا مقداد يعنى أنك فعلت سوءة فما هى؟ فقلت: يا رسول الله كان منى كذا وكذا، فقال: ما هذه إلا رحمة من الله لو كنت أيقظت صاحباك فأصابا منها، فقلت: والذى بعثك بالحق ما أبالى إذا أصبتها وأصبت فضلك من أخطأت من الناس[1].

(ومن ذلك) أى من كراماته وبركاته صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه ابن سعد عن سالم بن أبى الجعد مرسلاً **(تزويده أصحابه)**: أى إعطاءهم ما يتزودونه أى يكون

---

(١) أخرجه مسلم (٢٠٥٥/١٧٤)، وأحمد (٣/٦)، وابن سعد (١٢١/١/١).

زادًا، والزاد يشمل الماء والطعام، والمراد الأول لقوله: **(سقاء ماء)** السقاء ككساء جلد كالقربة يوضع فيه الماء واللبن ونحوه، وضمن تزويد معنى إعطاء، ولذا نصب السقاء أو هو على التسمح، وقوله سقاء ماء المراد به: سقاء فيه ماء كما يشهد له ما بعده **(بعد أن أوكاه)** أى شده بالوكاء، وهو ما يربط به القربة ونحوها، **(ودعا فيه)** أى دعا فى شأنه وأمره وبسببه، وبعد متعلق بتزويد.

(فلما حضرتهم الصلاة) أى دخل وقتها حتى كأنها جاءتهم، وهذا يقتضى أنه كان ماءً يصلح للوضوء **(نزلوا فحلوه)** أى حلو وكاءه ليستعملوا ماءه، **(فإذا هو لبن حليب)** أى فاجأهم كونه لبنا خالصًا بعد ما كان ماء، وهذا من قلب الأعيان ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم **(وزبده)** بباء موحدة أو بالإضافة لضمير اللبن أو للسقاء بأدنى ملابسة **(فى فمه)** أى فى فم ذلك السقاء، والزبد دليل على خلوص لبنه وجودته، وإنما أوكأه لئلا يتوهم أن اللبن وضع فيه وبدل لمن لم يكن معه، وفى نسخة فنزلا فحلاه بضمير التثنية لرجلين كان السقاء معهما.

وهذا الحديث **(من رواية حماد بن سلمة)** بن دينار الإمام أبو سلمة أحد الأعلام، وله ترجمة فى الميزان كما تقدم، وذكر أنه من روايته على خلاف المعتاد من أسلوبه فى تحريره قبل بيانا لشأن هذا الحديث حيث رواه مثل هذا الإمام الثقة العابد الزاهد الذى كان مجاب الدعوة معدودًا من الأبدال، ومسلم ممن أجله وروى عنه، والمغاربة، والمصنف، رحمه الله تعالى، من أجلهم يمشون أثر مسلم فلا يعتدون بمن غض منه، وقال: إن البخارى لم يرو عنه إلا على طريق الاستشهاد، وهذا من قلة الإنصاف وسلمة بفتحتين كما مر.

(ومسح على رأس عمير بن سعد) أى أمرَّ صلى الله تعالى عليه وسلم يده على رأسه، قال الحافظ البرهان الحلبى: كذا فى نسخ من الكتاب، وفى بعضها عمر بن سعد بلا تصغير، وهو أبو كبشة الأنصارى الصحابى، وعمير من الصحابة أيضًا، ولا أعرف من جرت له هذه القصة منهما.

وقال السيوطى: إن الذى رواه الزبير بن بكار فى أخبار المدينة عن محمد بن عبد الرحمن بن سعد أنه عبادة لا عمير، ولعل ذلك واقعتان، وفى نسخة التلمسانى عمر بن سعيد، وقال: إنه أبو يحيى النخعى الكوفى مات سنة خمس عشرة ومائة، **(وبرَّك)** بالتشديد: أى دعا له صلى الله تعالى عليه وسلم بالبركة فى عمره وصحته.

(فمات وهو ابن ثمانين): أى وقد بلغ سنه الثمانين، فجعله ابنها مجازًا، ومثله مشهور يجعلون الدهر كالأب والأم كما يقال الليالى حبالى، قال:

فمخضت المنون لـــه بيـــوم أتى ولكـــل حاملـــة تمـــام

(فما شاب) أى ببركة مس يده الشريفة له لم يشب رأسه وشعره ولم يهرم، فنفى الهرم بنفى الشيب لأنه من لوازمه.

(وروى) للبناء للمجهول نائب فاعله **(مثل هذه القصص)** من بركاته صلى الله تعالى عليه وسلم **(عن غير واحد)** أى عن كثير، فنفى الوحدة كناية عن الكثرة، **(منهم السائب بن يزيد)** بن سعيد بن ثمامة بن الأسود، **(ومدلوك)** بفتح الميم وسكون الدال المهملة وضم اللام وواو تليها كاف، وهو أبو سفيان الفزارى له وفادة على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأسلم مع مواليه، وعلق البخارى حديثه فى غير الصحيح، وذكره ابن حبان، فقال: مدلوك أبو سفيان كان يسكن الشام وأتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فمسح برأسه، فكان ما مست يده أسود وسائر رأسه أبيض انتهى. وفيه تفضيل عدم الشيب عليه وإن كان الشيب وقارًا؛ لأن مدحه لدلالته على الصحة كما مر، ولكل شىء جهة مدح وجهة ذم، وقد أفرد ذلك الثعالبى فى كتاب سماه مدح الشىء وذمه.

(و) روى الطبرانى والبيهقى أنه **(كان يوجد لعتبة بن فرقد)** أى كان موجودًا عنده، والمضارع حكاية الحال الماضية، هو أبو عبد الله عتبة بن فرقد بن يربوع السلمى الصحابى، شهد خيبر وابتنى بالموصل دارًا ومسجدًا، وابنه عمرو عد من الأولياء، وسكن عتبة الكوفة، ويقال لأولاده: الفراقدة وولى الموصل **(طيب)** نائب فاعل يوجد، والمراد بالطيب الرائحة الطيبة، وقيل: إنه بتقدير مضاف أى رائحة طيب يشم من جسده ويفوح فى مجلسه، **(يغلب طيب نسائه)** أصل معنى الغلبة القهر والاستيلاء، فاستعير للزيادة والقوة كما ورد: «غلبت رحمتى غضبى»[1] وروى: سبقت، فالمراد أن رائحته تزيد على رائحة غيره حتى لا يظهر عندها، فإنه روى كما فى الدلائل والاستيعاب عن زوجته أم عاصم أنها قالت: كنا عنده ثلاث نسوة ما منا واحدة، إلا وهى تجتهد فى الطيب؛ لتكون أطيب ريحًا من صاحبتها، وعتبة لا يمس طيبًا، فكان أطيب منا ريحًا، فقلت له فى ذلك، فقال: أصابتنى الضراء على عهده صلى الله تعالى عليه وسلم فأقعدنى بين يديه وتجردت من ثيابى، فتفل فى كفه ودلك الأخرى، ثم أمرّهما على ظهرى وبطنى، فعبق بى ما ترون، وإليه أشار بقوله: **(لأن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مسح بيديه على بطنه وظهره)**، وهو متعلق وتعليل لقوله يغلب.

(وسلت الدم عن وجه عائذ بن عمرو) أى مسح صلى الله تعالى عليه وسلم وجهه

---

(١) أخرجه الحميدى فى مسنده (١١٢٦)، وابن أبى عاصم فى السنة (١/٢٧٠)، وابن أبى الدنيا فى حسن الظن (١٣).

بيده متكئا عليه، حتى أخرج ما عليه من الدم، وهذا معنى السلت، ويختص بإخراج المائع والرطب الملتصق بشىء آخر، يقال: سلت القصعة إذا أمر أصابعه على جوانبها لتنظف كما فى صحاح الجوهرى، وهو معنى معروف، فلا وجه لما قيل: إنه من سلت الدم قطعه.

وعائذ بعين مهملة وذال معجمة اسم فاعل من العوذ سمى به، وهو عائذ بن عمر ابن هلال المزنى الصحابى من أصحاب الشجرة، وهو مزنى وحديثه هذا رواه عنه الطبرانى.

(وكان) عائذ **(خرج يوم حنين)**: أى فى وقعته التى وقعت مع هوازن سنة ثمان من الهجرة كما فصل فى السير، وحنين اسم موضع قريب من الطائف بينه وبين مكة ثلاثة أميال، سمى باسم حنين بن مهيلائيل لنزوله به كما مر، وجملة وكان إلخ حالية.

(ودعا له) لجهاده فى سبيل الله، **(فكانت له غرة)** بيضاء منيرة **(كغرة الفرس)** من أثر يده الشريفة لما مسح وجهه، والغرة بياض منتشر طولاً وعرضًا فى وجهه، فإن قلت: سميت فرجة وليس فيه مثله كما توهم، فإنه كبياض يد موسى، عليه الصلاة والسلام، والفرق بينه وبين البرص ظاهر، وفى نسخة ولا كغرة الفرس أى لا تشبه غرته؛ لما فيه من النور، وليس كالوضح فى البدن.

(و) ذكر ابن الكلبى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم **(مسح على رأس قيس بن زيد)**، وهو صحابى له وفادة على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وكان سيد قومه، وفى بعض النسخ يزيد بياء فى أوله، وأبوه يسمى عامرًا **(الجذامى)** نسبة لجذام كغراب قبيلة مشهورة.

(ودعا له) صلى الله تعالى عليه وسلم بما فيه بقاء صحته وعافيته، **(فهلك)** أى مات، فالهلاك والموت بمعنى، وقد يخص الهلاك بموت غير مرض لكنه ليس معنى وضعيا، **(وهو ابن مائة سنة ورأسه أبيض)** لشيبه **(وموضع كف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وما مرت عليه يده أسود)** لم يشب ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم.

(وكان يدعى الأغر) أى كان يسمى بالأغر، لما فى وجهه من النور، تقول: دعوت ابنى محمدًا إذا سميته به.

(وروى) بالبناء للمجهول، والذى رواه البيهقى **(مثل هذه الحكاية لعمرو بن ثعلبة الجهنى)** فى مسحه صلى الله تعالى عليه وسلم برأسه وبقاء أثره فى وجهه وموته كما مات قيس على أحسن حالة، وثعلبة هو وهب بن عدى بن مالك النجارى الزهرى، والجهنى منسوب لجهينة وهى قبيلة مشهورة، وقصته كما فى دلائل البيهقى أنه قال: لقيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالسيالة، فأسلمت ومسح على وجهى،

فمات عمرو وقد أتت عليه مائة سنة، وما شاب منه شعرة مستها يد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من وجهه ورأسه، وسيالة بوزن سحابة بسين مهملة ولام موضع قريب من المدينة الشريفة.

(ومسح) صلى الله تعالى عليه وسلم **(على وجه آخر)** قال البرهان: لا أعرفه، وقيل لعله حزيمة بن سواد بن الحارث؛ لأنه روى أنه مسح على وجهه فصارت له غرة بيضاء، وقيل: لعله طلحة ابن أم سليم، فإنه روى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم مسح بناصيته، فكان كغرة **(فما زال على وجهه نور)** من آثار أنواره صلى الله تعالى عليه وسلم.

(ومسح) صلى الله تعالى عليه وسلم **(وجه قتادة بن ملحان)** بكسر الميم، ويجوز فيه الصرف وعدمه، وقتادة هذا صحابى له رواية وترجمة.

(فكان لوجهه بريق) أى لمعان وصفاء بشرة من أثر مرور يده الشريفة عليه، **(حتى كان ينظر)** بالبناء للمجهول **(فى وجهه)** أى يقابل وجهه بوجهه، ليرى الناظر صورة وجهه فيه لشدة صفاء بشرته **(كما ينظر فى المرآة)** بكسر الميم اسم آلة من الرؤية معروفة، والظاهر أنه مبالغة فى صفائه وحسنه، وليس المراد حقيقته.

(ووضع) صلى الله تعالى عليه وسلم **(يده على رأس حنظلة)** فى حديث رواه البيهقى بطوله مسندًا **(ابن حذيم)** قال ابن ماكولا: هو بكسر الحاء المهملة وسكون الذال المعجمة وفتح المثناة التحتية وميم، وقال: إنه حنيفة بن حذيم أبو حنظلة له صحبة، وكذا قال الذهبى فى المشتبه والتجريد: حنيفة والد حذيم، ولهما صحبة، ولحنظلة ابنه وذكر حذيما فقال: حذيم ابن حنيفة بن حذيم الحنفى والده له فيما قيل صحبة، ولابنه وابن ابنه صحبة، وفيه خلاف انتهى.

فعلم منه أنهم أربعة لهم صحبة، وقد قال ابن الجوزى: لا يعلم أربعة أدركوه صلى الله تعالى عليه وسلم إلا أبا قحافة وابنه أبا بكر وابنه عبد الرحمن وابنه محمد، ويكنى أبا عتيق انتهى. والصحيح أن أبا عتيق تابعى، وحمل عليه الذهبى فى تجريده: ولو قالوا عبد الله بن الزبير وأمه أسماء وأبوها أبو بكر وأبوه أبو قحافة كان صوابًا، فإنه لا خلاف فى صحبتهم، فحصل بمجموعه ثلاثة أشخاص ولهم رابع، ذكره العراقى فى حاشية ألفيته، وحنظلة مالكى، وقيل: حنفى، وقيل: سعدى. هذا محصل ماقاله البرهان.

(وبرّك عليه) بالتشديد: أى دعا له بالبركة، وقال: بارك الله فيك، **(فكان يؤتى)** بصيغة المجهول أى يأتيه الناس **(بالرجل)** تعريفه للعهد الذهنى المساوى للنكرة **(قد ورم وجهه)** جملة حالية: أى أصابه مرض ورم منه وجهه، **(والشاة)** بالجر من المعز والضأن **(وقد ورم ضرعها)**، وهو كالثدى للإنسان وهو معروف، **(فيضع)** محل الورم من الوجه

والضرع **(على موضع كف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم)** الذى مسه به، **(فيذهب الورم)** الذى كان أصابه.

(و) روى ابن عبد البر فى الاستيعاب أنه صلى الله تعالى عليه وسلم **(نضح فى وجه زينب بنت أم سلمة)** بفتحتين علم منقول من اسم شجرة معروفة، وأم سلمة هى أم المؤمنين، وزينب بنتها ربيبة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأخت ابن الزبير من الرضاعة، ونضح ينضح من باب ضرب يضرب، بمعنى رش بالماء ونحوه **(نضحة)** أى رشة **(من ماء، فما كان يعرف فى وجه امرأة)** أى ما كان يرى وينظر فى وجه أحد من النساء أو يعلم بالأخبار لمن لم يرها **(من الجمال)** أى حسن الوجه ورونقه **(ما بها)**: أى ماكان بها من ذلك ببركة الماء الذى رشه صلى الله تعالى عليه وسلم فى وجهها؛ لأن ذلك الماء كان مسه صلى الله تعالى عليه وسلم.

قال ابن عبد البر فى الاستيعاب:دخلت زينب على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يغتسل، فنضح فى وجهها ماء، فلم يزل ماء الشباب بوجهها حتى كبرت وعجزت، وكانت عند عبد الله بن زمعة، فولدت له وكانت من أفقه أهل زمانها وأعقلهم، وتقدم أن اسم أم سلمة هند، وقيل: رملة، وأبوها حذيفة المعروف بزاد الراكب، وزينب ولدت بأرض الحبشة، فقدمت بها أمها وكان اسمها برة، فسماها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم زينب.

(ومسح) صلى الله تعالى عليه وسلم بيده الشريفة المباركة **(على رأس صبى)** كان ذلك الصبى **(به عاهة)** أى آفة ومرض، والمراد أنه كان أقرع، واسم هذا الصبى لا يعرف، **(فبرأ)** بزنة ضرب، وآخره مهموز، وأما برى بمعنى خلق فمعتل أى زالت عاهته وشفى مما به، **(واستوى شعره)** أى نبت وتم وحسن من قولهم: استوت الثمرة إذا كملت، والشعر معروف بفتح العين وسكونها، وهذا الحديث لم يخرجه السيوطى ولا غيره من الشراح.

(ومثله روى فى خبر المهلب بن قبالة ومسح) صلى الله تعالى عليه وسلم **(على غير واحد)** أى على كثير كما مر بيانه **(من الصبيان المرضى)** جمع مريض **(والمجانين فبرءوا)** أى زال ما بهم من المرض والجنون، قيل: هذا كله كان ينبغى ذكره فى فصل إبراء المرضى وذوى العاهات، وأكثر فصوله متداخلة ولكل وجهة لمن تدبر، وعرف مقاصد المصنف.

(و) فى حديث لم يخرجوه أنه صلى الله تعالى عليه وسلم **(أتاه رجل به أدرة)** بضم الهمزة وسكون الدال وبالراء المهملتين وهاء، وهو انتفاخ فى الخصيتين معروف **(فأمره**

أن ينضحها) أى يرش على أدرته **(بماء من عين مج فيها)** أى كان صلى الله تعالى عليه وسلم تفل ريقه فيها، **(ففعل)** أى رش من مائها على أدرته، **(فبرأ)** أى شفاه الله وزال ورمه على السرعة ببركة الله وبركته صلى الله تعالى عليه وسلم فى الماء الذى خالطه فيه، وضمير فيها للعين أى عين الماء؛ لأنها مؤنثة، وفى بعض النسخ فيه بالتذكير، فالضمير للماء أو للعين لتأويلها به، والأمر فيه سهل ويجوز فى الأدرة الهمزة مع سكون الدال وفتحها، وقد قيل: إنها انفتاق فيها أو فى أحد جانبيها، وقد يكون بلحم يزيد فيها أو ريح كما يعرفه الأطباء، وينضحها يجوز فى ضادها الفتح والكسر، وفى بعض الحواشى أن الرجل اسمه المهلب بن قبالة بفتح القاف والباء الموحدة الخفيفة ولام، وروى هلب بن قنافة وهلب بضم الهاء وسكون اللام بزنة قفل، وقنافة بضم القاف ونون مفتوحة مخففة وفاء.

قال ابن عبد البر: هو الصواب إن لم يكونا قصتين.

وقال الطبرى: هو المهلب بن يزيد بن عدى بن قنافة بن عبد الشمس بن عوف الطائى وفد على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وبه قرع، فمسح برأسه ونبت شعره فسمى المهلب لذلك.

(و) فى حديث روى **(عن طاوس)** بن كيسان اليمانى أبو عبد الرحمن اليمانى المشهور، وهو من أبناء الفرس واسمه ذكوان، فلقب بطاوس لأنه طاوس القراء روى عن ابن عباس وأبى هريرة وغيرهما، وكان رأسا فى العلم والعمل توفى سنة ست أو خمس ومائة وأخرج له الستة، وهو ممن اتفق على زهده وعلمه حج أربعين حجة، وصلى الصبح بوضوء العتمة أربعين سنة إلى غير ذلك من مناقبه، وهو من أجل التابعين دفن بمكة، رضى الله تعالى عنه.

(لم يؤت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) بالبناء للمجهول أى لم يأته أحد **(بأحد به مس)** سيأتى تفسيره، **(فصك فى صدره)** بصاد مهملة وكاف مشددة: أى ضرب صدره بيده المباركة، والصك مطلق الضرب أو أشده **(إلا ذهب)** المس عنه وبرأ مما به، وهذا الحديث موقوف على طاوس ولم يذكروا من رواه عنه، والجملة حالية تأتى بالواو وقد وبدونهما.

(والمس: الجنون) واللمس والمس متقاربان إلا أنه يكنى به عن الجنون، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ [البقرة:٢٧٥] لأنه يقال على كل ما ينال الإنسان من الأذى، كقوله تعالى: ﴿مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ﴾ [البقرة:٢١٤].

(و) روى أحمد عن وائل بن حجر مسندًا أنه صلى الله تعالى عليه وسلم **(مج)** أى

صب من فيه (**فى دلو**) فيه ماء أخرج (**من بئر، ثم صب فيها**) أى فى البئر الماء الذى مج فيه ريقه، (**ففاح منها ريح المسك**) الريح هنا بمعنى الرائحة، ويطلق فى الأصل على نفس الهوى، والمراد أنه مثله فى الطيب، وهو أتم منه وأطيب ولكن جعل مشبها به لشهرته.

(**و**) فى حديث مشهور رواه مسلم عن سلمة بن الأكوع أنه صلى الله تعالى عليه وسلم (**أخذ قبضة**) بفتح القاف وضمها (**من تراب**): أى ملء كفه من التراب (**يوم حنين**): أى فى وقعتها المشهورة فى السير، (**ورمى بها**) أى بترابها (**فى وجوه الكفار**)، فأصابتهم جميعا، (**وقال: شاهت الوجوه**) جملة دعائية بمعنى قبحت، وقبحها الله، وهى من الشوهة والتشويه وهو القبح، قيل: وأول من تكلم به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ووقع مثله فى يوم بدر كما فى السير، وهو شيء أقدره الله تعالى، عليه كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧] فإن إيصال هذا المقدار اليسير إلى أعين هؤلاء الجم الغفير من صنع الملك القدير، (**فانصرفوا**) أى ولى الكفار حال كونهم (**يمسحون القذا**) بفتح القاف والذال المعجمة وألف مقصورة، وهو ما يقع فى العين من التراب، ويكون أيضًا ما يقع فى الماء المشروب ونحوه مما يكدره (**عن أعينهم**) أى يزيحونه ويزيلونه منها لتأذيهم به، ومنعهم من الإبصار وفتح العين، وهو معروف وواحده قذاه، وفى الحديث: «يرى أحدكم القذاة فى عين أخيه ويعمى عن الجذع فى عينه» وهو مثل يضرب لمن يرى عيوب الناس الصغيرة، ولا يرى عيوبه الكبيرة، وهو مثل تمثل به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ونظمه بعض المتأخرين فقال:

واعجبا للمرء مع علمه   أن ليالى عمره سارية
ينظر فى عين أخيه القذا   ولا يرى فى عينه السارية

وقوله: فانصرفوا بمعنى انهزموا لما وصل التراب إلى أعينهم، وقال: شاهت الوجوه، وفيه معجزة عظيمة له صلى الله تعالى عليه وسلم.

(**و**) فى بعض النسخ أنه صلى الله تعالى عليه وسلم (**ضرب صدر جرير بن عبد الله**) البجلى الصحابى، رضى الله تعالى عنه، وليس هو جرير الشاعر، وخص الصدر؛ لأنه محل الرهبة والأمن لأنه مقر القلب.

(**ودعا له وكان**) جرير (**ذكر له**) صلى الله تعالى عليه وسلم (**أنه لا يثبت على الخيل**) أى لا يقر على ظهورها لعدم فروسيته، (**فصار**) جرير، رضى الله عنه، حينئذ (**من أفرس العرب**) أى أقواهم (**وأثبتهم**) على ظهورها ببركة دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم له، فالفاء فصيحة أى فدعا له فصار إلى آخره.

(**ومسح**) صلى الله تعالى عليه وسلم (**على رأس عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب**) بن

نفيل القرشى العدوى المدنى الصحابى، **(وهو صغير)** وكان أتى به إلى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فحنكه **(وكان دميما)** بدال مهملة بمعنى حقير، وأما ذميم بالمعجمة فهو بمعنى مذموم وليس مرادًا هنا.

(ودعا له بالبركة) أى بالزيادة فى خلقته وسائر أموره، **(ففرع)** بفاء وراء وعين مهملتين مفتوحات **(الناس)** أى جنسهم، وفى نسخة: الرجال بدله بمعنى زاد عليهم **(طولا)** أى فى طول قامته، **(وتماما)** أى بأن تم سائر أعضائه، وكمل الله خلقته بدعائه له صلى الله تعالى عليه وسلم، وإلى هنا انتهى ما زيد فى الأصل، ونقل من خط المصنف، رحمه الله تعالى.

(وشكى إليه) صلى الله تعالى عليه وسلم **(أبو هريرة)** الصحابى المشهور، رضى الله تعالى عنه، وقد قدمنا ترجمته وما يتعلق به من الصرف وعدمه، وما فيه من الكلام للناس **(النسيان)** مصدر بكسر النون وهو ضد الحفظ، والفرق بينه وبين السهو: أن الثانى يتنبه صاحبه بأدنى تنبه، والفرق بينه وبين الخطأ: أنه صدور أمر من غير قصد، **(فأمره)** صلى الله تعالى عليه وسلم **(ببسط ثوبه)** أى ما كان لابسًا له فى ذلك الوقت أى بأن يضعه على الأرض ويفرشه، **(وغرف بيده فيه)**: أى فعل فعلا شبيهًا بمن يغرف من شىء ما يضعه فى آخر، وضمير فيه للثوب الذى أمره صلى الله تعالى عليه وسلم ببسطه للأمر الذى أراده له.

(ثم أمره) بعد ما غرف فيه **(بضمه)** أى ضم ثوبه على جسده، **(ففعل)** أى ضمه عليه حتى كأنه صار بدنه ما غرفه له، **(فما نسى شيئًا بعد)** بالبناء على الضم؛ لما تقرر فى محله فى علم العربية، أى لم ينس أبو هريرة شيئًا مما كان يسمعه منه صلى الله تعالى عليه وسلم ومن غيره؛ لما ناله من البركة.

قال أبو هريرة، رضى الله تعالى عنه: فما كان أحد أحفظ منى لحديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إلا [ابن عمرو][1]، رضى الله تعالى عنهما، لتقدم إسلامه عليه، ولأنه كان يكتب.

وهذا الحديث رواه البخارى وفيه بدل الثوب الرداء ولا مخالفة بينهما؛ لأن المراد بالثوب الملبوس مطلقًا كما تقرر، وإن خص فى العرف بالمحيط منه، وما فعله صلى الله تعالى عليه وسلم من الغرف ونحوه بجعل المعانى المعقولة بمنزلة الأمور المحسوسة، فجعل

---

(١) فى الأصل: ابن عمر، والصواب ما أثبتناه، والحديث فى صحيح البخارى (رقم١١٣)، قال أبو هريرة: ما من أصحاب النبى ﷺ أحد أكثر حديثاً عنه منى، إلا ما كان من عبد الله بن عمرو، فإنه كان يكتب ولا أكتب.

الحفظ كشيء عنده اغترف منه حتى ملأ رداءه وضمه إليه، حتى يحيط بـه ويسرى من ظاهره لباطنه، وهو صلى الله تعالى عليه وسلم كما فوض إليه التصرف فى عالم الشهادة فوض إليه التصرف فى غيره أيضًا، وهو سر من الأسرار دقيق لا يوقف عليه إلا بالكشف.

* * *

[فصل فيما اطلع عليه من الغيوب وما يكون]

(فصل ومن ذلك) أى من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم وكراماته الباهرة **(وما اطلع عليه)** هو أما مبنى للمجهول من الإفعال أى أطلعه الله تعالى عليه، أو من الأفعال مبنى للفاعل بتشديد الطاء **(من الغيوب)** بغين معجمة جمع غيب المصدر على خلاف القياس، من غاب بمعنى استتر عن العين، يقال: غاب عنى كذا ويستعمل فى كل غائب عن الحاسة، وما يغيب عن الإنسان بمعنى الغائب، والغيب بالنسبة للناس لا لله فإنه لا يعزب عنه مثقال ذرة وقوله: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ﴾ [الأنعام: ٧٣] أى ما يغيب عنكم وما تشاهدونه، وقوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٣] أى بما لا يقع تحت الحواس ولا تقتضيه بداهة العقول، وإنما يعلم بإخبار الرسل، عليهم الصلاة والسلام، **(وما يكون)** فى المستقبل وهو معطوف على الغيوب، عطف الخاص على العام؛ لأن الغيب إما باعتبار أنه موجود لم يطلع عليه غير الله أو ما سيوجد فهو قبل وجوده والعلم به من المغيبات.

(والأحاديث) الواردة **(فى هذا الباب)** أى فى هذا النوع من كراماته صلى الله تعالى عليه وسلم فى إخباره عن الغيب الذى أطلعه الله عليه، فإنه لا يظهر على غيبه أحدًا إلا من ارتضى من رسول.

(بحر) تشبيه بليغ أى فى كثرتها كالبحر **(لا يدرك قعره)** بالبناء للمجهول، والإدراك الوصول، وقعره قراره وأرضه أى لا يصل أحد إلى نهايته، **(ولا ينزف)** بمعجمة وفاء مبنى للمفعول أو للفاعل بزنة يضرب، والنزف والنزح بمعنى: أى لا ينفد ويفنى **(غمره)** بفتح الغين المعجمة وسكون الميم قبل راء مهملة وهو الماء الكثير جدًا.

(وهذه المعجزة) فى اطلاعه صلى الله تعالى عليه وسلم على الغيب **(من جملة معجزاته)** إشارة إلى كثرتها، فهى البحر حدث عنه ولا حرج **(المعلومة)** للناس **(على)** طريق **(القطع)** بتحققها، بحيث لا يمكن إنكارها أو التردد فيها لأحد من العقلاء، وقوله: المعلومة على القطع: صفة للمعجزات، والقطع بنوعها ومجموعها، وكذا تواترها تواترًا معنويًا حاصلاً من مجموعها بقطع النظر عن كل فرد منها مما لا شبهة فيه، كتواتر جود

حاتم، وهذا غير التواتر المصطلح عليه فإنه جار فى بعضها كالقرآن، وإلى هذا أشار بقوله: (**الواصل إلينا خبرها**) جاريًا (**على**) نهج (**التواتر**) المشهور؛ (**لكثرة رواتها**) أى رواة مجموعها (**واتفاق معانيها على الاطلاع على الغيب**) أى الأمور المغيبة، وهذا لا ينافى الآيات الدالة على أنه لا يعلم الغيب إلا الله، وقوله: ﴿**وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ**﴾ [الأعراف: ١٨٨] فإن المنفى علمه من غير واسطة، وأما اطلاعه عليه بإعلام الله له فأمر متحقق بقوله تعالى: ﴿**فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ**﴾ [الجن: ٢٦، ٢٧] قال ابن عطاء الله فى لطائف المنن، اطلاع العبد على غيب من غيوب الله بنور منه بدليل [قوله]: «اتقوا فراسة المؤمن، فإنه ينظر بنور الله تعالى»[1] لا تستغرب، وهو معنى قوله: «كنت بصره الذى يبصر به» فمن كان الحق بصره فاطلاعه على غيبه غير مستغرب.

وقال بعض العارفين: قوله: ﴿**إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ**﴾ [الجن: ٢٧] لا ينافى قول المرسى فى تفسيرها: إلا رسول أو صديق أو ولى، ولا زيادة فيه على النص، فإن السلطان إذا قال: لا يدخل علىَّ اليوم إلا الوزير لا ينافى دخول أتباع الوزير معه، فكذلك الولى إذا أطلعه الله على غيبه لم يره بنور نفسه، وإنما رآه بنور متبوعه، ولم يكلفنا الله الإيمان بالغيب إلا وقد فتح لنا باب غيبه، وإلى هذا أشار الغزالى فى أماليه على الإحياء، ثم قال: ويحتمل أن يكون المراد بالرسول فى الآية ملك الوحى الذى بواسطته تنكشف الغيوب، فيرسله للإعلام بمشافهة أو إلقاء فى روع، أو ضرب مثل فى يقظة أو منام؛ ليطلع من أراد.

وفائدة الإخبار الامتنان على من رزقه الله ذلك، وإعلامه بأنه لم يصل إليه بحوله وقوته، فلا يظهر على غيبه أحدًا من عباده إلا على يدى رسول من ملائكته أرسله لمن فرغ قلبه لانصباب أنهار العلوم الغيبية فى أوديته، حتى يصل لأسرار الغيب المكنونة فى خزائن الألوهية، انتهى.

فاعرفه فإنه من المهمات، وإليه أشار القاضى فى تفسيره وبقى ثمة أسرار لا تسعها الحرف.

ثم إنه بين ما أجمل بحديث رواه أبو داود عن حذيفة، وعدل عما رواه الشيخان، رحمهم الله تعالى، لما فى طريقه التى رواه منها من الزيادة، فقال: (**حدثنا الإمام أبو بكر محمد بن الوليد الفهرى**) المعروف (**إجازة**) منه بروايته عنه (**وقرأته على غيره**) إشارة إلى

(١) أخرجه الترمذى (٣١٢٧)، والطبرانى (١٢١/٨)، وأبو نعيم فى الحلية (٩٤/٤)، والعقيلى فى الضعفاء (١٢٩/٤).

أنه رواه من طرق متعددة قوية، والقـراءة والإجـازة طريقـان اختلـف فـى أيـهما أقـوى، وقيل: إنهما متساويان وهو الظاهر.

(قال أبو بكر: حدثنا أبو على التسترى) على بن أحمد بن علـى الإمـام المشـهور أحـد رواة سنن أبى داود، وتستر كجندب بلد معروفة وسينه مهملة وإعجامها لحن قال:

(حدثنا أبو عمر الهاشمى) وهو القاسم بن جعفر بن عبد الواحد قال: **(حدثنا اللؤلوى)** وهو أبو على محمد بن أحمد بن عمـر السـابق ترجمتـه قـال: **(حدثنـا أبـو داود)** صـاحب السنن المشهور كما تقدم قال: **(حدثنا عثمان بن أبـى شيبة)** بـن محمـد بـن إبراهيـم أبـو الحسن الكوفى الحافظ، توفى سنة تسع وثلاثـين ومـائتين، وأخـرج لـه أصحـاب السـنن وغيرهم وترجمته فى الميزان قال:

(حدثنا جرير) بن عبد الحميد الضبى، صاحب المصنفات المشهورة الثقـة، توفـى سـنة ثمان وثمانين ومائة، وأخرج له الستة وترجمته فى الميزان وغيره.

(عن الأعمش) هو سليمان بن مهران كما تقدم فى ترجمته.

(عن أبى وائل) سفيان بن سلمة الأسدى المخضرم، توفى سنة اثنين وثمانين وهـو مـن العلماء العالمين ثقة أخرج له الستة.

(عن حذيفة) بن اليمان الصحابى المشهور صاحب سر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الذى أخبره بالفتن وما سيكون، وروى عنه أحاديث كثيرة، وكـان عمـر، رضـى الله تعالى عنه، إذا لم يشهد حذيفة جنازة لا يشهدها هو؛ لاطلاعه على المنافقين بـإعلام منه صلى الله تعالى عليه وسلم له بذلك، توفى سنة ست وثلاثين بعد قتل عثمان، وروى عنه «لا تقوم الساعة حتى يسود كل قبيلة منافقوها»، وحديثه الطويل فى الفتن مشـهور وإليه أشار بقوله:

(قال: قام فينا رسول الله صلى الله تعالى عليـه وسـلم) الضمـير للصحابـة، والمـراد أنـه خطبهم يومًا فعبر بالقيام عـن الخطبـة؛ لأن الخطيـب يخطـب قائمـا أى قـام ونحـن عنـده فالظرفية مجازية **(مقاما)** بفتح الميم اسم مكان أو مصدر ميمى، فهو مفعول مطلـق، **(فمـا ترك)** رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى مقامه هذا **(شيئًا)** مما **(يكـون)** أى يوجـد ويحدث بعده مما يهم من أحوال المسلمين، ومن يتولى أمورهم بعده، وما يكون بعده من الفتن والحروب، فيكون تامة والجملة صفة شيئًا **(فى مقامـه ذلـك)** أى فـى خطبتـه التـى خطبها، وهو من وضع الظاهر موضع المضمر بكمال العناية به **(إلى قيام الساعة)** أى من أول زمنه إلى آخره فقدره لدلالة المقام عليه **(إلا حدثـه)** أى إلا حدثنـا بـه، وذكرنـا أنـه سيوجد، وفى نسخة: حدث به، والفعل فى تأويل الاسم كقولهم أنشـدك الله إلا فعلـت

والاستثناء متصل لدخول المحدث به فى الشىء، وقيل: إنه منقطع بمعنى لكن.

(**حفظه من حفظه**) الضمير للحديث المفهوم من السياق، (**ونسيه من نسيه**) أى حفظه بعض السامعين له ونسيه بعضهم (**قد علمه أصحابى هؤلاء**) الحاضرون عنده، أو المراد أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهذه الزيادة فى رواية أبى داود ولم يذكرها البخارى.

(**وإنه**) الضمير للشأن (**ليكون منه الشىء**) أى يوجد شىء مما حدثنا به فى ذلك المقام فى الخارج قد نسيته لطول العهد بحديثه، فأراه بعينى بعد ما وجد (**فأعرفه فأذكره**) أى أتذكره بعد ما نسيته فأتذكر ما أخبرنا به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم شبه تذكره أيضًا حاله (**كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ثم إذا رآه عرفه**) فيه تقديم وتأخير: أى كما أن الرجل إذا غاب عنه رجل كان يعرف وجهه وسيماه، وهو فى مخيلته إلا أنه لم يذكره، فإذا رآه تذكره وعرفه، فليس إذا متعلقا بتذكر، بل بنسى المعلوم من الكلام، وهو من تشبيه المعقول بالمحسوس تشبيها تمثيليًا.

(**ثم قال**) حذيفة فيما رواه أبو داود وزاده على ما رواه الشيخان: (**ما أدرى أنسى أصحابى**) هذا الحديث (**أم تناسوه**) أى أظهروا نسيانه خوف الفتن لا لقلة الاهتمام به كما قيل، بل لأنه من الأسرار التى لا ينبغى أن يحدث بها كل أحد (**والله**) قسم أكد به ما بعده (**ماترك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قائد**) بالقاف والدال المهملة ومن زائدة، والمراد به المتغلبة الذين معهم جند تتبعهم كما يتبع الجمل والفرس من يقوده ويمشى خلفه (**فتنة**)، فيأتى للمحاربة وإيقاع الضرر بالمسلمين كالحجاج وغيره من أصحاب البدع من زمنه (**إلى أن تنقضى الدنيا**) أى إلى أن تتم وتنتهى مدتها ويخرب العالم، وتبدو مقدمات الساعة بخروج الدجال ويأجوج ومأجوج (**ويبلغ من معه**) أى يصل من معه من أتباعه والضمير للقائد (**ثلاثمائة**) رجل (**فصاعدًا إلا قد سماه لنا**) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (**باسمه واسم أبيه وقبيلته**) بحيث لم يبق شبهة فيه، وهذا الحديث روى من طريق آخر مفصلاً على كلام فيه ذكره ابن الجوزى وغيره.

(**وقال أبو ذر**) الصحابى المشهور فى حديث رواه أحمد والطبرانى وغيرهما بسند صحيح: (**لقد تركنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم**) أى ذهب عنا وانتقل إلى الآخرة من بين أظهرنا، ولم يدع شيئًا إلا بينه لنا بحيث لا يخفى علينا شىء من بعده، وكان قد خطب قبل موته خطبًا أطال فيها مرة من الصباح إلى الظهر، ومرة من الظهر إلى قبيل الغروب لم يدع شيئًا إلا بينه لأصحابه.

(**وما يحرك طائر جناحيه فى السماء**) أى فى الجو، وهو كناية عن بيان كل شىء (**إلا**

ذكر لنا منه علما)، وفى نسخة: إلا ذكرنا منه علما، أى تذكرنا من طيرانه علما يتعلق به، فكيف بغيره مما يهمنا فى الأرض؟ وهذا تمثيل لبيان كل شىء تفصيلاً تارة وإجمالاً أخرى.

(وقد خرج أهل الصحيح) أى رووا بأسانيدهم ما صح عندهم كالشيخين وأصحاب السنن والمسانيد **(والأئمة)** الحفاظ الثقات كأحمد والشافعى وأبو حنيفة ومالك **(ما أعلم به أصحابه صلى الله تعالى عليه وسلم مما وعدهم به)** بيان لما **(من الظهور على أعدائه)** لغلبتهم وقلة شوكتهم، **(وفتح مكة)** الذى أخبر به قبل وقوعه فحققه الله تعالى.

(و) فتح **(بيت المقدس)** كما رواه البخارى وغيره، وبيت المقدس تقدم الكلام فيه، وقد أخبر صلى الله تعالى عليه وسلم تميمًا الدارى بفتحه لما أسلم، وأقطعه أرضًا بها ثم فتح فى خلافة عمر بن الخطاب، رضى الله تعالى عنه، فأعطى تميمًا إقطاعه فى سنة ست عشرة من الهجرة.

(و) فتح **(الشام و)** فتح **(اليمن و)** فتح **(العراق)** يعنى ما يشمل العراقين عراق العرب والعجم، وكلها مجرورة بالعطف على مكة كما مر، والشام واليمن والعراق بلاد معروفة، وكان إخباره صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك بمكة قبل الهجرة فى حديث رواه ابن دحية كما فى كتاب مرج البحرين فى أخبار المشرقين والمغربين، وأصل معنى العراق شاطئ البحر، وقيل: إنه معرب.

(وظهور الأمن) فى الممالك الإسلامية، وهو مجرور أى أعلم أصحابه بظهور الأمن، **(حتى تظعن المرأة)** بظاء معجمة وعين مهملة ونون: أى تسافر وحدها من الظعن بفتح العين وسكونها وهو السفر، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ ظَعْنِكُمْ﴾ [النحل: ٨٠] وذكر المرأة للمبالغة فى الأمن؛ لأنها مع ضعفها وشدة خوفها إذا أمنت علم أمن غيرها بالطريق الأولى.

(من الحيرة إلى مكة) بكسر الحاء المهملة وسكون المثناة التحتية وفتح الراء المهملة والهاء، مدينة بقرب الكوفة واسم بلدة أخرى بقرب نيسابور **(لاتخاف)** المرأة **(إلا الله)** كناية عن أنها لا تخاف أحدًا من الناس من قطاع الطريق واللصوص وغيرهم.

(وأن المدينة) يعنى طيبة، وهو عَلَم بالغلبة عليها، وأصل معناها كل قصر يجتمع فيه الناس **(ستغزى)** روى بغين وزاء معجمتين من الغزو، وهو القتال، وهو إشارة إلى وقعة الحرة الآتى ذكرها، فإنها وقعة عظيمة قتل بها المسلمون حتى تركت الصلاة فى الحرم، وروى بعين وراء مهملتين ومثناة فوقية مفتوحة، وهى مضمومة فى الرواية الأولى أى تخرب وتخلو، فتصير عراء ليس فيها أحد، والعراء الفضاء الخالى من الناس، قال الله تعالى:

﴿فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ [الصافات:١٤٥]، وهذا لم يقع بعد، وإنما يكون قرب الساعة، وقيل: إنه وقع وهو مقتضى السياق، فهو إشارة إلى قصة الحرة أيضًا، فإن الناس ارتحلوا فيها منها، وتركت الصلاة والأذان حتى سمع الأذان من مرقده صلى الله تعالى عليه وسلم ثم أمنهم يزيد حتى عادوا لها.

(و) أعلمهم صلى الله تعالى عليه وسلم **(بفتح خيبر على يد على)**، كرم الله تعالى وجهه، **(فى غد يومه)** أى أخبرهم فيه بفتحها كما رواه الشيخان عن سهل بن سعد: لما كانت وقعة خيبر، وتعسر فتحها، قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «لأعطين الراية غدًا رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله يفتح الله تعالى على يديه»[(١)]، فدعا عليا وكان أرمد، فبصق فى عينيه فبرأ وفتحها الله على يديه، على ما فصل فى السير، وقد تقدم الكلام على شىء منه.

(و) أعلم صلى الله تعالى عليه وسلم أصحابه **(بما يفتح الله تعالى على أمته)** أى بما ييسره الله تعالى لأمته من فتح البلدان، وما يوسعه لهم **(من الدنيا)** بكثرة المال والعزة، **(ويؤتون)** بالبناء للمجهول أى يؤتيهم الله تعالى **(من زهرتها)** أى زهرة الحياة الدنيا، وهى زينتها وطيب نضارتها ونعيمها، وهذا رواه الشيخان من طرق صحيحة.

(وقسمتهم كنوز كسرى وقيصر) الكنوز جمع كنز معرب كنج، وهو المال المدفون، ويطلق على كل نفيس مدخر، والمراد هنا خزائنهما وما لهما، وكسرى بكسر الكاف وفتحها وهو علم لملك من ملوك الفرس، ثم صار علم جنس لكل من ملكهم أو نكر، وقيصر علم ملك من ملوك الروم ثم أطلق على كل ملك لهم كذلك، ومعناه المشقوق لأن أمه ماتت حين أرادت وضعه فشق بطنها وأخرج منها حيا.

وهو إشارة لحديث رواه الشيخان عن أبى هريرة وغيره من طرق وفيه: «إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، والذى نفس محمد بيده لتنفقن كنوزهما فى سبيل الله»[(٢)] وقد حقق الله تعالى ما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم وصدق الله وعده، وكان ذلك على يد خلفائه، رضى الله تعالى عنهم.

(وما يحدث بينهم) أى أعلمهم صلى الله تعالى عليه وسلم بما يحدث بين أمته **(من الفتون)** بوزن دخول مصدر بمعنى الافتنان، كما فى أكثر النسخ جمع فتنة كما قال البرهان.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه البخارى (٤/١٠٤، ٢٤٦، ٢٤٧، ٨/١٦٠)، ومسلم (٢٩١٩/٧٧)، وأحمد (٢/٢٣٣)، والترمذى (٢٢١٦)، والبيهقى (٩/١٧٧)، والحميدى (١٠٩٤)، والطبرانى فى الكبير (٢/٢٣٤)، والصغير (١/٢٤٥).

والفتنة أصلها الاختبار، ثم قيلت لكل ما يقع بين الناس من النزاع والحروب، وقيل: صوابه الفتن جمع فتنة كما فى بعض النسخ؛ لأن الفتون الميل للزنا ونحوه من الفجور وليس بشيء؛ فإنه ورد بمعنى الفتنة أيضًا وهو بطريق المجاز أى مطلق الميل، **(والاختلاف)** فى الكلمة والآراء وهو سبب الفتن، ولذا قيل: إنه لو قدمه كان أحسن **(والأهواء)** بالمد جمع هوى، وهو ما تهواه النفس وتميل له وإذا أطلق خص بالأمور الباطلة.

(وسلوك سبيل من قبلهم) من الأمم، إشارة لما رواه الشيخان: «لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعًا بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم» قيل: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: «فمن»؟[1] والسنن بفتحتين الطريق، وهو تمثيل لما أحدثوه من الضلال والبدع والتحريف كما صرح به فى الحديث.

(وافتراقهم): أى افتراق هذه الأمة **(على ثلاث وسبعين فرقة)** أى ينقسمون إلى هذه الأقسام، وعداه بعلى لما وقع عليه الانقسام من النهج المخصوص، كما يقال: الدار مبنية على طبقات ثلاث، وعلى بنائية كما قاله الدوانى فى حواشى الشمسية فى قوله: رتبته على مقدمة إلى آخره، فقال: الترتيب لا يتعدى بعلى، فإما أن يكون بتضمين معنى الاشتمال، وإما أن يريد بمدخول على هذا الأسلوب الخاص، وحينئذ فإما أن يقال: إذا تعدى بعلى: إنه تضمن معنى البناء فإنه يتعدى بعلى إلى أسلوبه، فيقال: بنى الدار على طبقتين، أو يقال: تعدى بها بناء على أن معنى الترتيب جعل الأجزاء مترتبة، وهو مقصور على أنحاء، فيتعدى بعلى إلى النحو المعين انتهى.

وهذا الحديث رواه أحمد وأبو داود والترمذى والحاكم كما فى مناهل الصفاء للجلال السيوطى.

(الناجية منها واحدة): أى الفرقة الناجية من هذه الفرق فرقة واحدة، وهم أهل السنة والجماعة المتمسكون بكتاب الله وسنة رسوله، كما بينه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى هذا الحديث، فإنه قال فيه: «ليأتين على أمتى ما أتى على بنى إسرائيل حذو النعل بالنعل والقذوة بالقذوة، وإن بنى إسرائيل افترقت على ستين أو سبعين ملة، فستفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة، كلها فى النار إلا ملة واحدة أو فرقة واحدة» قالوا: يا رسول الله من هم؟ أى الناجون منهم قال: «من كان على ما أنا عليه وأصحابى».

فمعنى الناجية أنهم على الحق، فهم ناجون من غضب الله وعذابه، وفى قوله:

---

(١) أخرجه البخارى (٤/٢٠٦، ٩/١٢٦)، ومسلم (٦/٢٦٦٩)، وأحمد (٢/٣٢٧، ٣/٨٤، ٨٩)، وابن ماجه (٣٩٩٤)، والحاكم (١/٣٧).

ستفترق إشارة إلى أنه ليس فى زمانه صلى الله تعالى عليه وسلم اختلاف، وأنه إنما يحدث ذلك بعده، بل بعد الخلفاء الراشدين.

وفى قوله: ملة إشارة إلى أن الخلاف المذكور فى الدين والاعتقاد، فلا ينافيه ما وقع بينهم فى أمور جزئية وقد بينت هذه الفرق، وفصلت فى كتاب الملل والنحل، وفى علم أصول الدين، وهذا من جملة ما أطلعه الله عليه من المغيبات.

(و) فى حديث رواه الشيخان عن جابر، رضى الله تعالى عنه، و**(أنهم سيكون لهم أنماط)** جمع نمط كسبب وأسباب، وهو البساط يعنى أن أمته صلى الله تعالى عليه وسلم يتوسعون فى الدنيا، حتى يتخذوا الفرش النفيسة؛ لبسط الله لهم الرزق بعدما كانوا فيه من الفقر وضيق المعيشة، **(و)** قوله **(يغدو أحدهم فى حلة ويروح فى أخرى)** وما بعده من حديث رواه الترمذى عن على وحسنه، والغدو بغين معجمة ودال مهملة سير أول النهار، ويقابله الرواح.

والحلة هى الثوب النفيس، ولا تطلق إلا على ثوبين أحدهما فوق الآخر كما مر، إلا أنهم توسعوا فيه فأطلقوه على ما قلناه، والمراد تعدد لباسهم ونفاسته بعد ما كانوا عليه من التقشف، كما أن قوله: **(وتوضع بين يديه)** أى بين يدى أحدهم **(صحفة)** بزنة قصعة، وهى إناء الطعام، **(وترفع أخرى)** أى صحفة أخرى إشارة إلى تلون أطعمتهم وتعددها ونفاستها، **(ويستر بيوتهم)** بالبناء للمجهول: أى يسترون حيطان بيوتهم وأبوابها، وفى نسخة: ويسترون بيوتهم **(كما تستر الكعبة)** وهذا كما تفعله الأمراء والعظماء الذين اتسعت دنياهم حتى كسوا الحجارة والجدران، وهذا لم يكن فى العصر الأول وهو إسراف، وقد ورد النهى عنه.

(ثم قال) صلى الله تعالى عليه وسلم مخاطبًا لأصحابه **(فى آخر الحديث)** الذى رواه الترمذى وغيره: **(وأنتم اليوم)** المراد به مطلق الزمان الحاضر **(خير منكم يومئذ)** أى أحسن منكم حالا من حالكم الآتى الذى يبسط لكم فيه الرزق ويوسع عليكم، ففضلهم على أنفسهم باعتبارين؛ لأن الرزق الكفاف خيرمن غنى يشغل عن عبادة الله ويتعب القلب والبدن، كما يشاهده من ابتلى به.

(و) مما أعلم به صلى الله تعالى عليه وسلم أصحابه **(أنهم إذا مشوا المطيطاء)** كما ورد فى حديث رواه الترمذى عن ابن عمر إلا أن الذهبى قال فى ميزانه: إنه لم يصح، والمطيطاء بضم الميم وفتح الطاء المهملة ومثناة تحتية ساكنة وألف ممدودة، كما فى الصحاح، ويقصر أيضًا كما فى النهاية، وهو مبنى على التصغير كالكميت، وهو مشية فيها مد اليدين فهو منصوب على المصدرية، والمراد به التبختر وهو كالثريا والمريطا،

ويجوز فتح ميمه وكسر طائه، وهو من مط بمعنى مد، أو من مطا يمطو كما بين فى كتب اللغة.

(**وخدمتهم بنات فارس والروم**) أى اتخذوا الجوارى والخدم منهم، وخصهما لأن الرقيق كان منهم فى الأكثر لأنهم كفرة يحل سبيهم لأهل الإسلام كثيرًا أو لأنهم مع تكبرهم وتعاظمهم يصيرون خدمة أرقاء لأهل الإسلام.

ففيه إشارة لعزتهم وعلوهم على غيرهم، وفارس علم للجيل المعروف ممنوع من الصرف، ويطلق على بلادهم أيضًا وهو معرب بارس بالباء المعجمة، ولا يدخل عليه الألف واللام والروم جيل معروف أيضًا سموا باسم أبيهم.

(**رد الله بأسهم بينهم**)جواب إذا، والبأس معناه الخوف الشديد لا مطلقه، والمراد به العداوة ووقوع القتال بينهم؛ لأن الله كان أعطى نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم النصرة بإيقاع الرعب فى قلوب أعدائه الكفرة، وبقى من ذلك أثر فيمن اقتدى به من الخلفاء، فلما اشتغلوا بزخرف الدنيا نزع الخوف من قلوب الأعداء، وصار بعضهم يعادى بعضا ويقاتله لما بينهم من التحاسد والتباغض، وطلب كل منهم ما فى يد الآخر لما ظهرت الملوك المتغلبة، فصار الأمر لمن غلب.

(**وسلط شرارهم على خيارهم**) الشرار جمع شر بمعنى شرير، وخيار جمع خير بمعنى أخير، أو مخفف خير، وتسليطهم بقهرهم والعلو عليهم بالباطل، وهو كالتفسير لما قبله، وكان ابتداء ذلك بعد فتح فارس والروم وسبى ذريتهم واستخدامهم وتنافسهم فى الدنيا، وذلك من الدولة الأموية إلى الآن.

(**و**) أخبرهم صلى الله تعالى عليه وسلم (**قتالهم الترك**) كما ورد فى حديث رواه الشيخان: «لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا الترك صغار الأعين حمر الوجوه دلف الأنوف، كأن وجوههم المجان المطرقة»، وقد ورد هذا الحديث من طرق بألفاظ مختلفة، والترك بضم التاء جيل معروف من الناس يقال لهم: بنو قنطورا وهى أمة لإبراهيم الخليل، عليه الصلاة والسلام، واختلف فى نسبهم اختلافًا كثيرًا، والمشهور أنهم من أولاد يافث بن نوح عليه الصلاة والسلام، وقيل: إنهم الديلم، وقيل: المراد بهم هنا يأجوج ومأجوج، وعلى كل حال فهم قوم من الكفرة دارهم بعيدة من ديار الإسلام، ومنهم التتار ولهم وقائع مشهورة كوقعة جنكيز وهلاكه المفصلة فى التواريخ.

(**والخزر**) بضم الخاء وسكون الزاء المعجمتين وراء مهملة، وهم جيل من الناس كفرة، قيل: إنهم من الترك، وقيل: من العجم، وقيل: من التتار لأنهم جمع أخزر، وهو الضيق العين، وقيل: المراد بهم الأكراد، ووقائعهم كلها مشهورة فقد وقع ذلك كما

أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم، وروى الخزر بفتحتين أيضًا، وفي بعض نسخ الشفاء بخاء مضمومة، وواو وزاء معجمة ساكنة، وفيه نظر، والخزر ضيق العين كما علمت أو النظر بمؤخرها.

(والروم) أي مما وقع من إخباره صلى الله تعالى عليه وسلم أصحابه إخباره بما سيكون من قتال الروم، وهم قوم معروفون من ولد روم بن عيص بن إسحاق سموا باسم أبيهم، ثم قيل: روم ورومي كزنج وزنجي، وقد ملكوا الشام، واختلط بهم قوم من العرب من غسان، وأصل مساكنهم جهة الشمال.

(وذهاب كسرى) بفتح الكاف وكسرها كمامر: أي ذهاب ملكه وقومه بعد ظهور دولته وتغلبه، **(وفارس)** من أرض العراق وغيرها وقد تقدم بيانه، **(حتى لا كسرى ولا فارس)** أي حتى لا يبقى له ذكر، ولا ملك إلى يوم القيامة، ولا إنما تدخل على نكرة فأما أن نقول إنه نكرة كما في هذا الحديث: لا قيصر، فهو كقولهم: لكل فرعون موسى، أي لكل جبار مبطل محق يغلب عليه ويمحو أثره، وفيه مقدر أي لا مثل كسرى، ومثل وغير لا يتعرفان بالإضافة **(بعده)** أي لا يكون بعده من جنسه.

(وذهاب قيصر) ملك الروم بذهاب ملكه وقومه **(حتى لا قيصر بعده)**، وهذا مما رواه الشيخان أيضًا بدون فارس إلا أنه وقع في رواية من غير طريقهما.

(وذكر) صلى الله تعالى عليه وسلم فيما أخبر به من المغيبات التي كانت كما قال: **(إن الروم)** أي جنسهم المعروف **(ذات قرون)**، وفي نسخة: ذات القرون بالتعريف، جمع قرن وهم الجماعة في عصر واحد: أي كلما مضى قرن خلفه قرن، وقوم يملك ملكهم منهم، وقيل: القرن السيد: أي كلما هلك مَلِكٌ مَلَكَ بعده غيره، كما بينته رواية كلما هلك قرن خلفه مكانه قرن، وقيل: المراد بهم قرون شعورهم التي كانوا يطولونها ويعرفون بها للإشارة إلى طول هممهم **(إلى آخر الدهر)** أي يمتد ملكهم بديارهم بخلاف فارس فإن الله مزقهم ومزق ملكهم بدعوته صلى الله تعالى عليه وسلم عليهم، لما مزقوا كتابه حين بعثه لهم، كما هو مذكور في السير، وقد تقدم أيضًا، وهو مشاهد إلى الآن ليس لغيرهم ملك كملكهم، وذلك أنه صلى الله تعالى عليه وسلم لما أرسل الكتب للملوك في عهده كتب لكسرى، فلما قرأ كسرى كتابه مزقه فقال صلى الله تعالى عليه وسلم: مزق الله ملكهم، فكان كما قيل:

وكسر كسرى بتمزيق الكتاب فقد أذاقه الله تمزيقا بتمزيق

وأما قيصر فلما أتاه كتابه صلى الله تعالى عليه وسلم مع دحية قبله وأجله، فدعا له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بأن يثبت ملكه، وقد ذكروا أن مكتوبه صلى الله

تعالى عليه وسلم إلى الآن عند ملوكهم يجلونه، وهو محفوظ عندهم فى صندوق من ذهب، وأوصى بعضهم بعضا بحفظه، فإن ملكهم لا يزال قائما ما دام هذا الكتاب عندهم، حتى أنهم أخرجوه لابن الصائغ الحنفى لما أرسله السلطان قلاوون إلى ملك النصارى بالمغرب لأمر مهم، وقالوا له: هذا كتاب نبيكم لجدنا نحفظه ونتبرك به، وكان عند ملك طليطلة، وهو إلى الآن عندهم، ولكن الله يهدى من يشاء.

(و) أعلم صلى الله تعالى عليه وسلم أصحابه (**بذهاب الأمثل فالأمثل من الناس**) الأمثل هنا بمعنى الأشرف؛ لأنه أكثر مماثلة ومشابهة لأهل الحق والصدر الأول، والفاء لترتيب التفاضل لإثباته للأول ثم للثانى وهكذا إلى أن يبقى حثالة لا عبرة بهم، وفى الصحاح فلان أمثل بنى فلان أى أدناهم للخير، وهؤلاء أماثل القوم أى خيارهم، أى أعلمهم صلى الله تعالى عليه وسلم بموت الأقرب إلى الخير قبل غيره، وفى البخارى يذهب الصالحون الأول فالأول، وتبقى حثالة كحثالة الشعر أو التمر لا يباليهم الله بالة: أى لا يرفع لهم قدرا ولا يقيم لهم وزنا، والحثالة بالحاء المهملة والثاء المثلثة من كل شىء رديه.

(**وتقارب الزمان**) فى حديث رواه الترمذى عن أنس، رضى الله تعالى عنه: «لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان فتكون السنة كالشهر، والشهر كالجمعة، والجمعة كاليوم، واليوم كالساعة، والساعة كالضرمة بالنار»[1] بضاد مفتوحة معجمة وراء مهملة مفتوحة، وهو حشيش يحترق بسرعة، والتقارب تفاعل من القرب، والمراد قصره وقلته لأن القصير يقرب بعضه من بعض، ويقال للقصير متقارب، وهكذا يكون إذا قربت الساعة فى آخر الزمان كما ورد التصريح به فى بعض الروايات، واختلفوا فى معناه، فقيل: المراد أنهم يوسع عليهم من الدنيا فيستلذون معيشتهم، ويكونون مسرورين، ومازال الناس يصفون الأيام الهنية بالقصر، وللشعراء فيها مبالغة ومعان لطيفة يعرفها من له إلمام بالأدب كقول أبى تمام[2]:

أعوام وصل كان ينسى طيبها ... ذكر النوى فكأنها أيام
ثم انبرت أيام هجر أعقبت ... نحوى أسى فكأنها أعوام
ثم انقضت تلك السنون وأهلها ... فكأنها وكأنهم أحلام

وهذا المذكور هو الذى ارتضاه الخطابى، واعترض عليه الكرمانى بأنه لا يناسب قوله بعده (**وقبض العلم**)، وقال ابن حجر: إنما احتاج الخطابى لتأويله بما ذكر لأنه لم يشاهد

---

(١) أخرجه أحمد (٢/٥٣٧)، والترمذى (٢٣٣٢)، وابن حبان (١٨٨٧).

(٢) الأبيات من الكامل، وهى فى ديوان أبى تمام (ص٢٦٣).

النقص فى زمنه، والذى تضمنه الحديث نجده فى زماننا هذا، فإنا نجد من سرعة الأيام ما لم نجده فى العصر الذى قبله، وإن لم يكن هناك عيش مستلذ كما قيل(١):

كفى حزنا أن لا حياة هنية ولا عمل يرضى به الله صالح

فالحق أن المراد نزع البركة من كل شيء حتى من الزمان، وذلك من علامات قرب الساعة، وهذا هو الذى ارتضاه النووى، رحمه الله تعالى.

وقيل: المراد بتقاربه وقصره قصر الأعمار، فإن كل قرن أهله أقصر أعمارا من أعمار القرن [الذى] قبله.

وقال البيضاوى فى شرح المصابيح: المراد تسارع انقضاء الدول وانقراضها، وهنا وجه آخر قريب من الأول، وهو أنه لكثرة الظلم والأحزان، والاشتغال بأمور الدنيا، وكثرة الحرص على تحصيلها يغفلون عن أوقاتهم ولا يشعرون بها.

كما قلت:

إن الزمان مقصر ذهبت به بركاته إذ زادت الآلام
ما ذاك إلا أنه قد فر من خوف وقد جارت به الحكام

وهو مناسب لذكر الفتن بعده فى قوله: **(وظهور الفتن والهرج)** وهى جمع فتنة وهى معروفة وهذا قد شاهدناه، وقبض العلم بمعنى أخذه ونزعه من الناس، وذلك بموت العلماء حتى لا يبقى إلا ناس جهلة إذا استفتوا أفتوا بغير علم، وبهذا فسره صلى الله تعالى عليه وسلم لما سئل عنه، وموتهم بالكلية إنما يكون إذا قربت الساعة، فلا ينافى هذا قوله فى الحديث الصحيح الآتى: «لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق حتى يأتيهم أمر الله تعالى»(٢) عز وجل، فإنه قبل ذلك.

والهرج بالهاء وسكون الراء المهملة وجيم بمعنى القتل، وأصل معناه لغة الكثرة، وقد ورد تفسيره فى الحديث بالقتل، وورد بمعنى اختلاط الناس بعضهم ببعض، وقيل: إنه لغة حبشية، فهو معرب صار عربيا فصيحا، ومنه قولهم: هم فى هرج ومرج.

(وقال) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه الشيخان عن زينب أم المؤمنين، رضى الله تعالى عنها، **(ويل للعرب من شر قد اقترب)** أى قرب ودنا منه، وويل كلمة تفجع وتعجب، فتعجب مما ينالهم من المشقة والهلاك بفتن تقع بين المسلمين كقطع الليل المظلم، يصير المتمسك فيها بدينه كالقابض على الجمر، يشير بذلك إلى أمر عثمان

(١) البيت من الطويل، وهو بلا نسبة فى لسان العرب (١٣/٥٤١).
(٢) أخرجه مسلم (٢٤٧/١٥٦)، وأبو داود (٢٤٨٤)، والترمذى (٢١٩٢)، وابن ماجه (٦)، وأحمد (٤/١٠١).

وعلى، رضى الله تعالى عنهما.

وويل مبتدأ وإن كان نكرة، لما فيه من الدعاء مثل سلام عليكم، وهى ترد للتحزن والتحسر والكلام عليها مفصل فى العربية واللغة، والمراد بالشر ما مر لقوله اقترب، وقيل: إنه إشارة لفتح سدّ يأجوج ومأجوج؛ لأن الحديث أوله: قالت زينب، رضى الله تعالى عنها: استيقظ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من النوم محمرًا وجهه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يقول: «لا إله إلا الله، ويل للعرب» إلى آخره «فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج»[1]، أى السد، وعقد تسعين، يعنى جعل سبابته مضمومة لأصل إبهامه صلى الله تعالى عليه وسلم يشير للفرجة اليسيرة بينهما بحسابهم المشهور، ومثله كثير فى الحديث لتعارفه بينهم، والحديث والكلام عليه مبسوط فى شروحه.

(و) أعلم صلى الله تعالى عليه وسلم أصحابه أيضًا بـ**(أنه زويت له الأرض)** بالبناء للمجهول: أى جمعت وضم بعضها لبعض حتى يطلع على جميعها **(فأرى مشارقها ومغاربها)** أى جميع الأرض وجوانبها كما يضم البساط الكبير، حتى يصير فى محل واحد يحيط به الناظر إليه سريعًا وأرى بضم الهمزة مبنى للمجهول أى أراه الله جميع ذلك، ومشارقها مفعول ثانى، والمشارق والمغارب كناية عن الجميع، كما فى قوله: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ﴾ [المعارج: ٤٠]، والجمع باعتبار تعدد المطالع كما ذكره المفسرون، قيل: إنه لم يذكر الجنوب والشمال؛ لأن معظم امتداد ملك هذه الأمة فى جهتى المشرق والمغرب، وهكذا هو فى الواقع كما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم.

وفى قوله: **(وسيبلغ)** أى يصل **(ملك أمته)** أى سلطانهم وحكمهم إشارة إليه **(ما زوى له)** صلى الله تعالى عليه وسلم **(منها)** أى الأرض أو المشارق والمغارب، وهو من تتمة الحديث، ومن تفصيلية بيانية أو تبعيضية لما مر، **(وكذلك كان)** أى وقع ما ذكر من الامتداد.

(امتدت) مملكتهم واتسعت أو أمته بمعنى انتشرت فى نواحيها **(فى المشارق والمغارب ما بين أرض الهند)** بيان للمشارق والمغارب أو بدل **(أقصى المشرق)** بيان لأرض الهند أو بدل أيضًا **(إلى بحر طنجة)** بفتح الطاء المهملة ونون ساكنة وجيم بلدة مشهورة بساحل بحر المغرب **(حيث لا عمارة وراءه)**: أى انتهت إلى مكان من ذلك البحر، لا عمارة بكسر العين: أى ليس بعده بلاد ولا جزائر معمورة.

وطنجة لفظ بربرى، وهى مدينة عظيمة فتحت فى الإسلام، ثم استولى عليها

---

(١) أخرجه البخارى (١٦٨/٤، ٢٤١، ٦٠/٩، ٧٦)، ومسلم (٢٨٨٠/١)، والترمذى (٢١٨٧)، وابن ماجه (٣٩٥٣)، وأحمد (٤٢٨/٦)، وابن حبان (١٩٠٦)، والحميدى (٣٠٨).

النصارى فى سنة سبعين وثمانمائة بعد قتال عظيم، فلما رأى المسلمون أن لا معين لهم ولا مغيث سلموها لهم، فإنا لله وإنا إليه راجعون، ولم تزل النصارى ظاهرين ثمة حتى تملكوا أكثر البلاد، فعاد الإسلام غريبا كما بدأ، ومن أراد تفصيل ذلك فلينظر تاريخ الأندلس.

(وذلك) الذى امتد لهذه الأمة **(ما لم يملكه أحد من الأمم)** السالفة، **(ولم تمتد)** الممالك الإسلامية **(فى)** جهة **(الجنوب، ولا فى)** جهة **(الشمال مثل ذلك)** أى مثل امتدادها فى المشرق والمغرب، فما قيل فى تفسيره أنه بلغ ملكها أقصى الجهات الأربع مهاب الريح قبولاً ودبورًا وجنوبًا وشمالاً لم يتنبه لما قلناه.

(وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه مسلم عن سعد بن أبى وقاص، رضى الله تعالى عنه: **(لا يزال أهل المغرب)** سيأتى تفسيره مفصلا فى كلامه **(ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة)** غاية لاستمرار ظهورهم بتأييد الله تعالى لهم، و إعلائه لكلمة الدين بجهادهم وقوله: ظاهرين أصل معنى الظهور العلو على الظهر، ويطلق على ما يلزمه وهو الشهرة والعلو، وقديراد به العلو المعنوى، وهو الغلبة والقهر، وقد اختلفوا فى المشرق والمغرب أيهما أفضل؟ فذهب إلى كل منهما طائفة، وهو خلاف لا طائل تحته، قال ابن العماد فى كتابه كشف الأسرار: استدل من قال بفضل المغرب بهذا الحديث، قال: وأجيب بأن الثابت: «لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق حتى يأتى أمر الله وهم بالشام»، فإن ثبت هذا اللفظ، فالمراد الشام لأنه غربى المدينة، وقوله: على الحق خبر بعد خبر لأنه ليس المعنى على الظهور على الحق، بل أنهم ظاهرون وأنهم على الحق، وهو ضد الباطل أو هو متعلق بظاهرين بتضمين معنى محافظين مداومين على إقامة الحق وشعائر الدين.

(ذهب ابن المدينى) فى تفسير هذا الحديث، وهو على بن عبد الله بن جعفر بن جريج أبو الحسن إمام أهل الحديث، وأعلمهم به فى عصره.

وقال النسائى: كأن الله تعالى لم يخلقه إلا لهذا الشأن.

وقال البخارى، رحمه الله تعالى: ما استصغرت نفسى إلا بين يدى على بن المدينى إلى آخره. وكان من أحسن الناس كلامًا على حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم توفى لليلتين بقيتا من ذى القعدة سنة أربع وثلاثين ومائتين، وله ثلاث وسبعون سنة، وروى عنه البخارى، رحمه الله تعالى، وغيره من أصحاب السنن، وهو منسوب لمدينة الرسول على خلاف القياس، والقياس مدنى كما بينه النحاة، والمشهور أن يقال: مدينى فى النسبة لمدينة المنصور، فرقا بينه وبين المنسوب للمدينة المنورة، ولكنه اشتهر بذلك،

وله ترجمة فى الميزان، وقال ابن الأثير: النسبة إلى المدينة مدنى، والأكثر مدنـى، والمدينـى نسبة إلى مدائن سبعة غيرها كما فصله، وقال الجوهرى: المدينـى نسـبة لمدينـة الرسـول، والمدنى نسبة لمدينة المنصور، وبين كلاميهما تناف.

وقال ابن الصلاح فى الكلام على المسلسل بالأولية المدينى نسبة لحى مدينة أصبهان، وهو من المدينة إلا أنه سكن البصرة، وفى القاموس:النسبة لمدينة الرسول صلى الله تعـالى عليه وسلم مدنى، ولمدينة المنصور، وأصبـهان وغيرهمـا مدينـى، وقـال الكرمـانى: قـال الحافظ المقدسى: قال البخارى: المدينى الذى أقام بمدينـة الرسـول صلـى الله تعـالى عليـه وسلم ولم يفارقها، والمدنى الذى تحول عنها وكان منها. انتهى.

(إلى أنهم العرب) مطلقًا ووجه تسميتهم بـأهل الغـرب بقولـه: **(لأنـهم المخصوصـون بالسقى بالغرب)** بفتح الغـين المعجمـة وسـكون الـراء المهملـة والموحـدة، **(وهـى الدلـو)** العظيمة المعروفة تذكر وتؤنث سماعا، وقيل: المراد بالغرب فى الحديث الحدة والشـوكة، وتقدم تفسيره بالشام أيضًا، ومنه غرب الشام لحدتـه، وللغـرب معـان كثـيرة فـى كتـب اللغة.

(وغيره) أى غير ابن المدينى من علماء الحديث **(يذهب إلى أنهم)** فـى الحديـث **(أهـل المغرب)** بميم فى أوله، **(وقد ورد المغرب كذا)** أى بهذا اللفظ فى بعض الروايـات، وهـو مؤيد للتفسير الثانى ولا يعينه، لاحتمال أنه روى **(فى الحديث بمعناه)** فهو رواية بـالمعنى، ولولا هذا لم يفسره بغيره.

(وفى حديث آخر) من هذا القبيل رواه الطبرانى وعبد الله بـن أحمـد بـن حنبـل **(مـن رواية أبى أمامة)** عنه صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال: **(لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق قاهرين لعدوهم)** من الكفرة بالجهاد فى سبيل الله، **(حتى يأتيهم أمر الله)** يعنـى الساعة وأشراطها، وهو غاية لظهورهم على ظاهرها، أو المراد أنـهم لا يعـدم ظـهورهم كقوله عليه السلام: **(إن الله لا يمل حتى تملوا)** كما حققه الكرمانى وغيره، **(وهم كذلك)** أى باقون على حالهم والجملة حالّية، **(قيل: يا رسول الله وأين هم؟)** من البلاد ومقرهم.

(قال: ببيت المقدس) بالإضافة، وفيه لغات فمقـدس كمرجـع اسـم مكـان أو مصـدر ميمى من القدس، وهو الطهر أى المكان الذى يطهر فيه العابد من الذنوب أو يطهر فيـه للعبادة من الأصنام، وجاء فيه ضم الميم وفتح القاف والـدال المشـددة اسـم مفعـول مـن التقديس: أى التطهير، وجاء بكسر الدال المشددة اسم فاعل؛ لأنه يقدس العابد فيـه مـن الآثام، ويقال: البيت المقدس بالتوصيف، والأشهر الإضافة، والظاهر أن الطائفة المذكورة الأمراء والحكام وولاة الأمـور؛ لأنـهم المعروفـون بالقـهر والغلبـة، وقيـل: إنـه يشـملهم

ويشمل غيرهم من الفقهاء والمحدثين، وكل من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

وقال البخارى: هم أهل العلم، ونقل عنه أيضًا أنهم أهل الحديث، وكل محتمل، والتعميم أولى كما لا يخفى.

وفى شرح مسلم للقرطبى بعد ما ذكر رواية أهل المغرب من طرق متعددة وصححها أنه يدل على إبطال التأويلات فيه، والمراد بالمغرب جهة المغرب من المدينة إلى أقصى بلاد المغرب، فيدخل فيه الشام وبيت المقدس، فلا منافاة بين الروايات، وفى رسالة للطرسوسى أرسلها لأهل المغرب، وذكر فيها هذا الحديث، وقال فيها: هل أرادكم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بهذا إلا لما أنتم عليه من التمسك بالسنة، وطهارتكم من البدع واقتفاء أثر السلف، وفيه دليل على صحة الإجماع.

(وأخبر) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حيدث رواه الترمذى والحاكم عن الحسن بن على، رضى الله تعالى عنهما، **(بملك بنى أمية)**، وهذا من جملة ما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم من المغيبات، وهم بنو مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى، وقد رواه البيهقى مرسلاً من طريق آخر فى سنده ضعف، **(وولاية معاوية)** بن أبى سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس.

ولقد أجاد المصنف، رحمه الله تعالى، إذ عبر فى بنى أمية بالملك، ولم يدخل فيهم معاوية، وعبر فى معاوية، رضى الله عنه، بالولاية الشاملة للملك والخلافة كما سنبينه عن قريب، والفرق بين الملك والخلافة والولاية: أن الملك هو السلطنة بطريق التغليب، والخلافة ما كان ببيعة أهل الحق لمن هو قرشى جامع لشروط الخلافة المذكورة فى الأصول، والولاية أعم منهما فتشملهما وتشمل الإمارة ونيابة الخلفاء وغيرهم، كما فى الحديث الآتى مع الكلام عليه «الخلافة بعدى ثلاثون عاما ثم تصير ملكا عضوضا»، ومعاوية كما تقدم كان أولا أميرا ثم صار ملكا، وهو أول ملوك الإسلام، ثم لما بايعه الحسن، رضى الله تعالى عنه، برضاه صار خليفة، فلذا كان ذكر الولاية فيه إشارة لهذا، وليس عثمان، رضى الله تعالى عنه، من بنى أمية لأنه خليفة بحق، ومعاوية وإن كان منهم نسبا لأن أبا سفيان كما علمت ابن حرب بن أمية، فلم يدخله المصنف فيهم لما ذكرناه.

وقيل: إنه أول ملوك بنى أمية، ولكل وجهة، وقد ورد فى الحديث أنه صلى الله تعالى عليه وسلم رأى مناما بنى أمية على منبره الشريف، فساءه ذلك فأنزل الله عليه تسلية له صلى الله تعالى عليه وسلم سورة الكوثر، وسورة القدر لأن ملك بنى أمية كان ألف شهر لا تزيد ولا تنقص، فأعطى الله أمته فى كل سنة ليلة تعدل ملكهم، وتزيد بما لا يحصى من العجائب الواقعة فى تلك الليلة مما لا يعلم مقدار ثوابه إلا الله تعالى، يعرف

ذلك من ألهمه الله تعالى الفهم الثاقب وخصه بالمواهب، وفيه من الأسرار الخفية ما لا يخفى على ذى بصيرة.

(ووصاه) أى وصى، عليه الصلاة والسلام، معاوية إذا تملك بالعدل والرفق لما قال له: «إذا ملكت فانصح».

قال معاوية، رضى الله تعالى عنه: فما زلت أطمع فى الخلافة منذ سمعتها من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم.

قيل: فى قوله: إذا ملكت إشارة إلى أنه، رضى الله عنه، لم يكن خليفة، وإنما كان ملكا، وروى البيهقى عن معاوية أنه قال: ما حملنى على الخلافة إلا قوله صلى الله تعالى عليه وسلم: يا معاوية إن ملكت فأحسن، وهو ضعيف إلا أن له شواهد، منها ما روى أنه تبع بالإداوة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له: «يا معاوية إن وليت أمرًا فاتق الله، واعدل»[1]، وروى ما يقرب منه من طرق متعددة، وهذا من جملة ما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم من المغيبات.

(و) منه أيضًا قوله: و**(اتخاذ بنى أمية مال الله دولا)** كما ورد فى حديث رواه الترمذى والحاكم والبيهقى عن أبى هريرة، رضى الله تعالى عنه، **(إذا بلغ بنو أبى العاص أربعين أو ثلاثين اتخذوا دين الله دغلا وعباد الله خولا ومال الله دولا)**، ودول بضم الدال المهملة وفتح الواو ولام جمع دولة بالضم والفتح وهو ما يتداول: أى يأخذه واحد بعد واحد، والمراد أنهم استأثروا به ومنعوا حقوقه فأسرفوا وبذروا وضيعوا بيت مال المسلمين، وهم أول من فعل ذلك فى الإسلام، وأول ملوكهم بعد معاوية بن يزيد مروان بن الحكم، ثم ولى ابنه عبد الملك، وتمت دولتهم بالرابع عشر مروان بن محمد كما فصله المؤرخون.

(و) منه أيضًا **(خروج ولد العباس)** بعد انقراض الدولة الأموية أى ولد العباس بن عبد المطلب، كما ورد فى حديث رواه أحمد، والبيهقى بسند فيه ضعف، وهو مما أخبر به الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم، والولد يطلق على الواحد والجمع، والمراد هنا الثانى.

(بالرايات السود) إشارة إلى ما فى هذا الحديث: «تظهر الرايات السود لبنى العباس حتى ينزلوا بالشام، ويقتل الله على أيديهم كل جبار وعدو لهم»[2]، وفى رواية: «تخرج الرايات السود من خراسان لا يردها شىء حتى تنصب بإيلياء»[3]، أى بيت المقدس وفى سنده ضعف.

---

(١) أخرجه أحمد (٤/١٠١)، وابن أبى شيبة (١١/١٤٨)، والبيهقى فى دلائل النبوة (٦/٤٤٦).

(٢) أخرجه الخطيب فى تاريخه (١٠/٤٤٦)، وأورده السيوطى فى اللآلى (١/٢٢٧).

(٣) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة (٦/٥١٦).

وكان صلى الله تعالى عليه وسلم أخبر العباس أن الخلافة تكون فى ولده، فكانوا يتوقعون ذلك، وقد روى تبشيره صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك له ولأم الفضل زوجته من طرق أفردها السخاوى بتأليف ليس يسع تفصيله هذا المقام، وكان شعار بنى العباس السواد فى لباسهم وراياتهم، وسببه أنه صلى الله تعالى عليه وسلم أخبرهم بذلك، وقيل: سببه أن مروان الحمار آخر بنى أمية لما بلغت دعوة أبى مسلم إلى محمد ابن على الإمام، ومات محمد فعهد إلى ابنه إبراهيم فأتى به مروان وسجنه، فلما أحس بالقتل أوصى أتباعه بالثبات على أمرهم، واستخلاف أخيه السفاح، فلما قتل لبسوا السواد إظهارًا لحزنهم، وحثا للأخذ بثأره فاستمر ذلك فيهم، فلا منافاة بين الروايتين، ولم يزل ذلك إلى عهد المأمون بن الرشيد فى سنة إحدى ومائتين، فأمر بترك السواد ولبس الخضرة لمحبته للعلويين، حتى خلع أخاه المؤتمن وجعل العهد لعلى الرضى، فمات ولم يتم أمره، فكلمه العباسيون فى إعادة شعار السواد وترك الخضرة ففعل، وهذا أول لبس العلويين الخضرة، وليس مبدؤه، كما توهمه المتأخرون، فى سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة برسم الملك الأشرف بمصر، وفى ذلك يقول ابن جابر الأندلسى:

جعلوا لأبناء الرسول علامة ... إن العلامة شأن من لم يشهر
نور النبوة فى كريم وجوههم ... يغنى الشريف عن الطراز الأخضر

وقال ابن حبيب:

عمائم الأشراف قد تميزت ... بخضرة رقت وراقت منظرا
وهذه إشارة أن لهم ... فى جنة الخلد لباسا أخضرا

وقال ابن المزين:

أطراف تيجان أتت من سندس ... خضر كأعلام على الأشراف
والأشرف السلطان خصهم بها ... شرفا لتعرفهم من الأطراف

ولكن الأول لما لم يستمر وترك حتى نسى، توهموا أن ابتداءه كان كذلك، وكان سبب حدوث شعارهم أن يهوديا دخل بعمامة فعظم، ودخل بعض الأشراف فلم يلتفت إليه لعدم العلم به، فأمر بذلك.

وقال السبكى: إنه مستحب، واستنبطه من قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ [الأحزاب:٥٩] وهو كلام حسن.

(وملكهم) أى تملك بنى العباس الخلفاء **(أضعاف ما ملكوا)** أى أضعاف تملك بنى أمية وأضعاف خلفائهم، فإن أولهم السفاح بويع فى ربيع الآخر سنة اثنين وثلاثين ومائة، واستمر ملكهم إلى سنة ست وخمسمائة وكانوا نحو ثلاثين ببغداد انقضت تلك السنون

وأهلها، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

(وخروج المهدى) فى آخر الزمان كما ورد فى حديث رواه أصحاب السنن وغيرهم من طرق كثيرة إلا أنه قيل: إن أسانيده لا تخلو من ضعف، وفيه اختلاف كثير أفرد بالتأليف، فقيل: إنه عباسى، وقيل: إنه علوى، وأنه يملك سبع سنين، وكنيته أبو القاسم، واسمه محمد بن عبد الله، وفى زمنه ينبسط الأمن والعدل، وقيل: المراد به عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام، وذكره النبى صلى الله تعالى عليه وسلم باسمه وصفته كما فصلوه، وأحواله مبسوطة فى تذكرة القرطبى، وهو ممن يملك الأرض كلها، وقد ملكها قبله مسلمان: سليمان عليه الصلاة والسلام، وذو القرنين، وكافران: نمرود وبخت نصر.

(وما ينال أهل بيته وتقتيلهم وتشريدهم) يقال: نال كذا إذا وصل إليه، فيجوز أن يكون فاعله مستترا يعود لما، وأهل منصوب، ويجوز رفعه بتقدير أى ما يناله أهل بيته، وما قيل: إنه لا يجوز رفعه لا وجه له أى مما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم من المغيبات كما فى حديث رواه الحاكم: «إن اهل بيتى سيلقون بعدى من أمتى قتلا وتشريدًا»[1]، وضعفه الذهبى، والتشريد الطرد والتفريق من شرد البعير إذا ند، وشردت فلانا من البلاد وشردت به قال الله تعالى: ﴿فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ﴾ [الأنفال: ٥٧].

(وقتل على) بن أبى طالب كرم الله وجهه، أى مما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم قتل على كما رواه أحمد، والطبرانى فى حديث فيه **(وأن أشقاها)** أى أشقى الخلائق أو الدنيا أو الطائفة الخوارج أو أشقى هذه الأمة **(الذى يخضب هذه)** أشار به إلى لحيته **(من هذه)** إشارة لرأسه: أى يضربه على رأسه ضربة يسيل بها دمه، حتى يبل لحيته، والخضاب صبغ معروف، فشبه دمه بالخضاب؛ لتغييره لونها كما يغير الخضاب، ففيه استعارة، وهو عبد الرحمن بن ملجم، بضم الميم وسكون اللام وفتح الجيم، على زنة اسم المفعول كما قاله النووى فى تهذيبه وغيره.

(أى لحيته من رأسه) أى من دمها، وهو تفسير لما قبله، وقصة الخوارج والتحكيم وقتل على مشهورة لا حاجة لنا بها، وكذا قصة قتل أهل بيته، وإخباره بقتل سبطه بكربلاء.

(وأنه) يعنى عليا، كرم الله وجهه ورضى الله تعالى عنه، **(قسيم النار)** ظاهر كلامه أن هذا مما أخبر به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم إلا أنهم قالوا: لم يروه أحد من المحدثين إلا أن ابن الأثير قال فى النهاية: إلا أن عليا، رضى الله تعالى عنه، قال: أنا قسيم النار،

---

(١) أخرجه الترمذى (٤٠٨٢)، والحاكم (٤/٤٨٧)، والطبرانى فى الكبير (١٠/١٠٤)، وابن أبى عاصم فى السنة (٢/٣٣٣)، وأبو نعيم فى تاريخ أصفهان (٢/١٢).

يعنى أراد أن الناس فريقان: فريق معى فهم على هدى، وفريق علىَّ فهم على ضلال، فنصف معى فى الجنة ونصف على فى النار. انتهى.

قلت: ابن الأثير ثقة، وما ذكره علىّ لا يقال من قبل الرأى، فهو فى حكم المرفوع إذ لا مجال فيه للاجتهاد، ومعناه أنا ومن معى قسيم لأهل النار: أى مقابل لهم لأنه من أهل الجنة، وقيل: القسيم القاسم كالجليس والسمير، وقيل أراد بهم الخوارج ومن قاتله كما فى النهاية.

(يدخل أولياؤه الجنة) أى من والاه ونصره وكان من حزبه، ويدخل بفتح المثناة التحتية وضم الخاء المعجمة، ويجوز ضم أوله وكسر ثالثه، فيرفع أولياؤه أو ينصب، أو تدخل بفوقية، وذلك بإذن من الله تعالى تكريما له على الثانى؛ لأن كبار الأمة لهم شفاعة ثمة كما ورد فى الحديث.

(و) يدخل **(أعداؤه النار)** لبغضهم له وعدم اتباعهم الحق، وفى الغيلانيات أنه ينادى يوم القيامة أين أصحاب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فيؤتى بالخلفاء، رضى الله تعالى عنهم، فيقول الله لهم: أدخلوا من شئتم الجنة، ودعوا من شئتم، أو ما هو بمعناه.

(فكان ممن عاداه) أى أظهر العداوة له **(الخوارج)**، وهم الذين خرجوا عليه عند التحكيم، فكانوا اثنى عشر ألفًا أصحاب صلاة وصيام، وقد أخبر عنهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، وذكرهم بصفاتهم، وكان لعلى، رضى الله تعالى عنه، معهم وقائع مدونة فى التواريخ وهم من الفرقة الضالة، ولهم اعتقادات فاسدة وأعمال كاسدة، والواحد منهم خارج وخارجى، **(والناصبة)** أى الفرقة أو الطائفة الناصبة، ويقال لهم: النواصب، وهم قوم تدينوا ببغض على، كرم الله وجهه ورضى الله عنه، قال ابن السيد: من نصبت الشرك والحبالة، فاستعير ذلك لكل من يكيد ويوقع المكروه، واشتق منه هذا الاسم. انتهى.

وفى الكشاف النصب بغض علىّ وعداوته، وهو بالصاد المهملة وهم من الخوارج أيضًا.

(وطائفة ممن ينسب) بالياء التحتية وبالمثناة الفوقية، وروى ينتسب افتعال من النسبة **(إليه)** أى إلى علىّ؛ لأنهم كانوا يعتقدون أنه الخليفة بحق، وأن الإمامة حقه وتلك الطائفة **(من الروافض)** من الرفض، وهو الترك سموا بذلك لتركهم السنة والجماعة **(كفروه)** أى نسبوه إلى الكفر لتركه الخلافة، وهى حقه، وهو زعم فاسد وحماقة وهم المنكرون للتحكيم، وقولهم: لا حكم إلا لله وهى كلمة حق أريد بها باطل، وقد كفروا غيره من الصحابة أيضًا.

وفى قوله السابق: ممن عاداه إشارة إلى أن من عاداه ليس منحصرًا فيمن ذكر، فإن كثيرًا من بنى أمية والعباسيين أظهروا عداوته وسبه.

(وقال) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه الشيخان: **(يقتل عثمان بن عفان وهو يقرأه)** القرآن **(فى)** داره فى **(المصحف)**.

وروى الترمذى عن ابن عمر، رضى الله تعالى عنه، أنه صلى الله تعالى عليه وسلم ذكر فتنة، فقال: يقتل فيها هذا مظلوما: يعنى عثمان، رضى الله تعالى عنه، وحسنه، وهو من جملة ما أخبر به من المغيبات، فكان كما قال، والمصحف بضم الميم وكسرها محل الصحف؛ لجمعه ما كان فيها كما ياتى.

(وأن الله عسى أن يلبسه قميصًا) أتى بعسى هنا تأدبا؛ لعدم جزمه، واستعارها للاستقبال اللازم للترجى: أى سيلبسه، واستعار القميص للخلافة استعارة مرشحة بقوله: **(وأنهم يريدون خلعه)**، وظاهره أن الضمير للقميص، ويجوز عوده لعثمان وخلعه بمعنى عزله، فإنهم اجتمعوا لخلعه، فلم يرض لأنه صلى الله تعالى عليه وسلم نهاه عنه بقوله: فلا تخلعه فقتلوه، فأهدر الله تعالى بدمه سبعين ألفًا فقتلوا بصفين وغيرها، كما رواه الترمذى عن عائشة، رضى الله تعالى عنها، وهو حديث حسن.

وعن ابن عمر، رضى الله تعالى عنهما، أنه أى عثمان أصبح يحدث الناس، فقال: رأيت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال: «يا عثمان أفطر عندنا»[1]، فأصبح صائما، وقتل فى يومه، **(وأنه سيقطر دمه على قوله: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة:١٣٧])** أى يأخذ ثأرك ممن يقتلك، وهذا رواه الطبرى فى كتابه الرياض النضرة، ورواه الحاكم عن ابن عباس، وقال الذهبى: إنه موضوع، وتبعه السيوطى، والظاهر منه أن دمه وقع على هذه الآية، وقيل: المراد أنه أريق دمه، وهو يقرأها، وهو بعيد، وفيه إخبار بمغيبات منها وقوع هذه الفتنة، وأن عثمان سيقتل شهيدًا وأن القرآن سيجمع فى مصحف، فإنه لم يكن فى زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم مصحف، واختلفوا فيمن قتله، فقيل: رومان بن سرحان، وقيل: الأسود التجيبى، وهذه أول فتنة ومصيبة وقعت فى الإسلام.

ومن لم يقاس الدهر لم يعرف الأسى وفى غير الأيام ما وعد الدهر

(و) مما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم **(أن الفتن لا تظهر ما دام عمر حيا)** روى البيهقى هذا الحديث عن ابن عمر، رضى الله تعالى عنهما، والشيخان عن حذيفة، ولقى يومًا عمر، رضى الله تعالى عنه، أبا ذر فأخذ بيده وعصرها، فقال: دع يدى يا قفل

---

(١) أخرجه الحاكم (١٠٣/٣)، وابن سعد (٥٢/١/٣)، وابن أبى شيبة (٧٦/١١).

الفتنة، فقال له: ما هذا يا أبا ذر؟ قال: جئت يومًا، ونحن عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فكرهت أن تتخطى الناس، فجلست فى أدبارهم، فقال: لا تصبكم فتنة مادام هذا فيكم.

وقال عمر بن الخطاب، رضى الله تعالى عنه يومًا: أيكم يحفظ ما قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى الفتنة التى تموج كموج البحر؟ فقال حذيفة: ليس عليك منها يا أمير المؤمنين إن بينك وبينها بابا مغلقا. قال: أيفتح أم يكسر؟ قال: يكسر. قال: إذن لا يغلق أبدًا، فقيل له: أكان عمر يعلمه؟ قال: نعم كما أن دون الغد الليلة[1].

أقول: فى هذا سر من كنايات البلاغة عجيب، فإن قوله فيه: تموج إشارة إلى أنها ليست فتنة المال والأولاد، وقوله: يكسر يشير إلى أنه يقتل، فيتجرأ الناس على الخلفاء، والباب إذا انكسر لا يقفل، وقوله: دون الغد الليلة كناية عن أنه كان يقينا عنده، وإنما سأل ليعلم هل علمه غيره أم لا؟.

وخطب خالد بن الوليد يومًا فقال: إن أمير المؤمنين قد بعثنى إلى الشام، وهو يهمه فألقى بوانيه بثنية وعسلا أراد أن يؤثر به غيرى، فقال له رجل: أصبر أيها الأمير فإن الفتن قد ظهرت، فقال: أما وابن الخطاب حى فلا، إنما ذاك بعده إذا كان الناس بذى بلى، أو بذى بليان، فينظر الرجل هل يجد مكانا لم ينزل به ما نزل بمكانه من الشر، فلا يجده نعوذ بالله أن تدركنى وإياكم أولئك الأيام، وبوانيه جمع بانيه أى خيره وسعته، والبثنية حنطة منسوبة لبثنية ناحية بدمشق، وقيل: هى الزبدة أى كأنها عسل وزبد لما يجىء من أموالها، وذى بلى وذى بليان يريد به طوائف بلا إمام، وكل من بعد حتى لا يدرى موضعه، فهو بذى بلى من بلى فى الأرض إذا ذهب أراد أن أمور الناس تضيع بعد عمر، رضى الله تعالى عنه.

(و) أخبر صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه البيهقى من طرق وهو مما أخبر به من المغيبات **(بمحاربة الزبير لعلى وهو ظالم له).**

كان صلى الله تعالى عليه وسلم رآهما يومًا وكل منهما يضحك، فقال لعلى: أتحبه؟ فقال: كيف لا أحبه وهو ابن عمتى صفية وعلى دينى؟ فقال للزبير: أتحبه؟ فقال: كيف لا أحبه وهو ابن خالتى وعلى دينى؟ فقال: أما إنك ستقاتله وأنت له ظالم، فلما كان يوم الجمل قاتله، فبرز له على، رضى الله تعالى عنه، وقال: ناشدتك الله أسمعت من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قوله: إنك ستقاتلنى وأنت لى ظالم؟ قال: نعم

---

(١) أخرجه البخارى (٧٠٩٦)، ومسلم (١٤٤/٢٦)، وابن أبى شيبة (١٥/١٥، ١٦).

ولكن أنسيته وانصرف عنه[1]، فلما كان بوادى السباع خرج عليه ابن جرموز وهو نائم، فقتله وأتى برأسه كما فصله المؤرخون.

(و) مما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم من المغيبات (**نباح كلاب الحوأب على بعض أزواجه**) يعنى عائشة، رضى الله تعالى عنها، وهو بحاء مهملة وواو ساكنة وهمزة مفتوحة وموحدة اسم ماء، أو موضع وقرية، فيه الماء فى طريق الذاهب من المدينة إلى البصرة.

قال ابن عبد ربه فى العقد: وبعضهم يقول فيه: الحوأب بضم الحاء وتشديد الواو، والمشهور الأول قال الشاعر من الخوارج:

وأنا البرئ من الزبير وطلحة   ومن التى نبحت كلاب الحوأب

وفى معجم البلدان أصل معناه الوادى الواسع، وإنما كان المراد عائشة، رضى الله تعالى عنها، لأنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يومًا جالسا، وعنده نساؤه يتحدثن معه، فقال: أيتكن تنبحها كلاب الحوأب سائرة إلى الشرق فى كتيبة؟ فكانت عائشة فى وقعة الجمل، ولما مرت بذلك المكان نبحتها كلابه، فسألت عن اسم ذلك المكان، فقيل لها: الحوأب، فهمت بالرجوع فحلفوا لها: إنه ليس بالحوأب، والحوأب أيضًا اسم مخلاف بالطائف قتلت فيه سلمى المرادية عتيقة عائشة، وقيل أيضًا: إنها المرادة بالحديث أيضًا؛ لأنها كانت مع نسائه صلى الله تعالى عليه وسلم لما حدثهن به كما فى المعجم، والصحيح خلافه لما يأتى فى بقية الحديث، والنباح بضم النون وكسرها: صوت الكلب والتيس، وقيل: إنه أى الحوأب سمى باسم حوأب بنت كلب، لنزولها به كما قاله ابن ماكولا، واختلف فى وزنه، فقيل: فوعل، وقيل: فعال، وفيه الإخبار بالمغيبات، وهو حديث صحيح رواه البزار عن ابن عباس، وهو من تتمة حديث الزبير، رضى الله تعالى عنه؛ لأن عائشة ذهبت معه لتصلح بينه وبين على، فاتفق ما اتفق فى وقعة الجمل.

(و) أخبر صلى الله تعالى عليه وسلم فى هذا الحديث (**أنه يقتل حولها**) ممن كان معها (**قتلى كثيرة**) قيل: كانوا نحو ثلاثين ألفًا، (**وتنجو**) أى تسلم هى (**بعد ما كادت**) أى قاربت عدم النجاة، (**فنبحت**) كلاب الحوأب (**على عائشة عند خروجها إلى البصرة**)، وهذا الحديث صحيح كمامر، روى من طريق عديدة فعن ابن عباس أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لنسائه: «ليت شعرى أيتكن صاحبة الجمل الأزب تنبحها كلاب

---

(١) أخرجه أحمد (٢/٢٢٦، ٣/٤٣٦، ٥/٣٥)، والنسائى (٤/٢٣)، والحاكم (١/٣٨٤)، وابن أبى شيبة (٣/٣٥٤)، وابن سعد (١/٢/١٣٢).

الحوأب؟»[1]، والأزب كثير شعر الوجه، وفك إدغامه وعدمه لمشاكلة الحوأب، فكان ما أخبر به، لأنه لما قتل عثمان، رضى الله تعالى عنه، وكانت هى وأمهات المؤمنين حاجَّات فى ذلك العام فبايع الناس عليا، وانحاز إليه قتلة عثمان من غير رضى منه، لكنه خشى الفتنة لكثرتهم وتغلبهم، واشتد غيظ الناس، فخطبتهم عائشة، رضى الله تعالى عنها، وحثتهم على الطلب بدمه ودفع الخوارج عن البلد الحرام، فأجابها الناس وقالوا لها: حيثما سرت فنحن معك فسارت فى هودجها على جمل يقال له: عسكر وودعتها أمهات المؤمنين يبكين، فسمى ذلك العام عام النحيب، فلما وصلت إلى الحوأب وأناخوا جملها نبحتها الكلاب، فقالت: ردونى وأخبرت بما قاله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال لها الزبير: يا أم المؤمنين أصلحى بين الناس، فسارت لذلك وكان ما كان.

(و) مما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم من المغيبات **(أن عمارا)** ابن ياسر الصحابى المشهور **(تقتله الفئة الباغية)** من البغى، وهو الخروج بغير حق على الإمام، ولفظ مسلم: قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لعمار: تقتلك الفئة الباغية، وروى: وقاتله فى النار.

(فقتله أصحاب معاوية) وكان هو مع على بصفين، وهو صريح فى إن الخليفة بحق هو على، رضى الله عنه، وأن معاوية مخطئ فى اجتهاده كما فى حديث: «إذا اختلف الناس كان ابن سمية مع الحق»[2]، وابن سمية هو عمار، رضى الله تعالى عنه، كان مع على، وهذا هو الذى ندين الله به، وهو أن عليا، كرم الله وجهه، على الحق، ومجتهد مصيب فى عدم تسليم قتلة عثمان، ومعاوية، رضى الله تعالى عنه، مجتهد مخطئ، فدع القيل والقال فماذا بعد الحق إلا الضلال؟ وقد تأول معاوية حديث عمار لما لم يجد مجالا لإنكاره، فقال: إنما قتله من أخرجه، ولذا قال على، كرم الله وجهه لما بلغه قوله: فرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قتل حمزة، رضى الله تعالى عنه، لما أخرجه لأحد كما نقله ابن دحية، رحمه الله تعالى.

وقتل عمار بصفين، وهو ابن سبعين سنة قتله ابن العمادية، واحتز رأسه ابن جزء، ودفنه على، رضى الله تعالى عنه.

(وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث تقدم **(لعبد الله بن الزبير)** لما شرب دما من فضلاته صلى الله تعالى عليه وسلم: **(ويل للناس منك وويل لك من الناس)**، وويل هنا

---

(١) أخرجه الطبرانى كما فى مجمع الزوائد (٧/٢٣٤)، وابن أبى حاتم فى العلل (٢٧٨٧)، وأورده ابن حجر فى المطالب العالية (٤٤٦٤).

(٢) أخرجه الطبرانى فى الكبير (١٠/١١٨)، والبيهقى فى دلائل النبوة (٦/٤٢٢).

للتحسر والتأسف، وتكون للدعاء بالهلاك، وكان صلى الله تعالى عليه وسلم احتجم، وأعطاه دمه، وقال له: أرقه فى محل لا يرى، فلما رجع قال له صلى الله تعالى عليه وسلم: لعلك شربته، فقال: نعم، فقال له ذلك، واستدل به على طهارة فضلاته صلى الله تعالى عليه وسلم كما مر، وكان الناس يرون أن ما عنده من القوة والجرأة مكتسبة من ذلك الدم، والمراد من الناس الجنس، وويله من الناس لأن منكان على الحق جريئا على المقاتلة عليه، تكثر أعداؤه وحساده، وينال من الناس أذى، ووقع له ذلك، رضى الله تعالى عنه، حتى قتل هو وابنه ظلمًا وعدوانًا كما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم فلم يرق ذلك الدم حتى أراق دمه.

(وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم فى إخباره عن المغيبات فى حديث صحيح رواه الشيخان **(فى)** حق **(قُزْمَان)** بقاف مضمومة وزاء معجمة ساكنة وميم، وهو مولى لبعض الأنصار وكان شجاعا لكنه منافق، وكان قاتل قتالاً شديدًا أعجب الصحابة، رضى الله تعالى عنهم، كما أشار إليه بقوله: **(وقد أبلى مع المسلمين)**، وأبلى بفتح الهمزة وموحدة ساكنة ولام وألف مقصورة، فعل ماض من أبلى بمعنى اختبر، ويقال: أبلى بلاء حسنًا فى الحرب إذا صبر فى قتاله وأجاد، والجملة حالية أى أبان شجاعته وإقدامه، إلا أن ذلك لم يكن خالصا لله، وقد أطلع الله ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم على حاله **(فقال فيه: إنه من أهل النار)**، فعجب الناس من ذلك، فأظهره الله لهم، **(فقتل نفسه)** لما كثرت الجراحة فيه، وأثخنته، واختلفت الرواية فى أى موطن قال صلى الله تعالى عليه وسلم هذا الحديث بعد الاتفاق على صحته، لرواية الشيخين له عن أبى هريرة، فقيل: إنه كان ذلك بأحد، وقيل: بحنين، وقيل: بخيبر وأن حنين الواقع فى صحيح مسلم محرف من خيبر؛ لقرب رسمها بها خطا.

وقيل: إن القصة تعددت، فإنه صلى الله تعالى عليه وسلم فى بعض غزواته رأى رجلاً، فقال: إنه من أهل النار، فلما قاتلوا قاتل معهم أشد القتال حتى أثخن بجراحات كثيرة، فقال صلى الله تعالى عليه وسلم: إنه من أهل النار، فكاد بعض الناس يرتاب، فلما اشتد عليه ألم جراحاته قتل نفسه، فقيل: إنه جعل سيفه بين ثدييه وتحامل عليه حتى مات، وقيل: أخرج من كنانته سهما نحر به نفسه، وقيل: قطع عروق يده فأخبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك تصديقا لمقالته، فقال: «إن الله لينصر الدين بالرجل الفاجر وأمر مناديًا ينادى فى الناس إنه لا يدخل الجنة إلا مؤمن»[1]، أى مؤمن كامل، أو قد علم منه أنه منافق، أو أنه ارتد قبيل موته.

---

(١) أخرجه مسلم (١١١/١٧٨)، وأحمد (١٣٥/٤)، والطبرانى (٨٣/١٩، ٨٤).

والمنادى قيل: إنه عمر، رضى الله تعالى عنه، وقيل: بلال، وقيل: عبد الرحمن بن عوف، وجمع بين الروايات بتعدد القصة أو بأنه وقع كل ذلك مع تحامله وغيره وتعدد من نادى، وفيه إشارة إلى أنه لا ينبغى النظر لظاهر العمل ولا الاتكال عليه.

(و) روى الطبرانى والبيهقى من طرق، بعضها متصل وبعضها منقطع أنه صلى الله تعالى عليه وسلم **(قال فى)** حق **(جماعة)** من الصحابة كانوا عنده، **(فيهم أبو هريرة وحذيفة وسمرة بن جندب: آخركم موتا فى النار)** آخركم مبتدأ خبره محذوف تقديره يموت موتا فى النار، فموتا مفعول مطلق، والجار والمجرور متعلق بالخبر أو بالمصدر، أو آخركم فاعل يموت، وأما كونه مبتدأ وموتا تمييز والظرف خبره وإن احتمل، فليس بمراد، ولذا قيل: إن فيه إيهاما وتورية لأن المراد أنه يحترق فى الدنيا حريقا يموت به، لا أنه يدخل نار جهنم؛ لأن ابن عساكر روى عن ابن سيرين أن سمرة أصابه كزاز، وهو مرض يصيب صاحبه برد، لا يدفئوا منه، فكان يُملأ له قدر عظيم ماء يسخن ويجلس عليه ليدفأ من بخاره، فسقط فيه فاحترق، وقيل: إنه مات فى حريق، قيل: ويحتمل أنه على ظاهره بأن يدخل النار فى الآخرة ثم يخرج لأمر صدر منه، والذى صححه السيوطى وغيره الأول، وإليه يشير المصنف بقوله: **(فكان بعضهم)** أى بعض من قيل فى حقه ذلك مما تقدم **(يسأل عن البعض)** من رفقائه الذين قال صلى الله تعالى عليه وسلم فيهم ما مر، قال ابن حكيم الضبى: كنت إذا لقيت أبا هريرة سألنى عن سمرة فإذا أخبرته بصحته فرح، فسألته عن ذلك، وقال: كنا عشرة فى بيت فقال صلى الله تعالى عليه وسلم: «آخركم موتا فى النار»[1]، فمات منا ثمانية ولم يبق غيرى وغيره، وكان إذا قيل له مات سمرة يغشى عليه حتى مات قبله.

(فكان سمرة آخرهم موتًا هرم) بزنة علم أى كبر سنه وضعف بدنه وأصابه هزال الشيخوخة **(وخرف)** بخاء معجمة مفتوحة وراء مهملة مكسورة أى فسد عقله وتغير من الكبر **(فاصطلى)** أصله اصتلى فأبدلت التاء طاء لمجاورة الصاد أى تدفى **(بالنار)** أى بنار أوقدت له **(فاحترق فيها)** لغفلة أهله عنه وضعفه عن الحركة، فعلم صحة ما أخبر به الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم قبل وقوعه، ولم يكشف لهم الغطاء عن مراده؛ ليجدوا فى أعمالهم ويداوموا على الخوف والمراقبة، أو لأنه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يؤذن له فى ذلك، وهو من الحكم الخفية.

قيل: إن ما ذكر لم ير منقولا عن غير المصنف، ولم يذكر أحد أن سمرة حرق بل لم

---

(١) أخرجه الطبرانى فى الكبير (٧/٢١١)، والدولابى فى الكنى (٢/٣٧)، وابن أبى حاتم فى العلل (٦٦٠).

ينقل أن أحدًا من الصحابة حرق إلا بشر بن أرطأة أو ابن أبـى أرطـأة علـى القـول بأنـه صحابى، وقد نعى بشرًا سفينة مولاه صلى الله تعالى عليه وسلم كما قاله البرهان.

(وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه ابن إسحاق عن عاصم بـن عمـر ابن قتادة أنه قال **(فى حنظلة)** بن أبى عامر الأنصارى الصحابى المشـهور بــ**(الغسيل)**، فعيل بمعنى مفعول من الغسل، سمى بذلك، لأن الملائكة غسلته لما استشهد بأحد، وكان جنبًا فقتله أبو سفيان بن حرب، وقيل: قتله شداد بن أوس الليثى وهــو حنظلـة بـن أبـى عامر الراهب الذى لقبه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالفاسق، فرأى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الملائكة تغسله مع أنه شهيد، فقال: **(سلوا زوجه)** يعنى امرأته وزوجته، فإنه يقال للمرأة: زوج كالرجل فى الفصيح، وقد يقال: زوجـة للفـرق **(عنه)** أى عن حاله فإنه صلى الله تعالى عليه وسلم علم أن تغسيله لجنابته، وهى لا يطلع عليها غيرها كما أشار إليه بقوله: **(فإنى رأيت الملائكة تغسله)**، والشهيد لا يغسل وكان ذلـك بأحد، **(فسألوها فقالت:)** إنه **(خرج)** من بيتـه لأحـد **(جنبـا)** مـن جمـاع امرأتـه **(أعجلـه الحال)** أى محبة الجهاد واللحوق برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم **(عن الغسل)** بضم فسكون أى عن أن يغتسل من جنابته؛ لخوفه أن يبطئ عن حضوره معه صلـى الله تعـالى عليه وسلم، فيفوته ذلك الوقت.

وفى رواية قالت: كان جنبا فغسلت إحدى شقى رأسه، فلما سمع صوتا خرج فقتل، وكان ابتنى بزوجته فى تلك الليلة، وهى جميلة بنت أبى بن سلول المنافق.

(قال أبو سعيد) بن مالك بن سنان الخدرى وقد تقدم ذكره مرارًا (: **ووجدنـا رأسـه)** أى رأس حنظلة لما قتل **(يقطر ماء)** من أثر تغسيل الملائكة له، وهـذا مـن ظـهور مـا فـى عالم الغيب، وهذا مما وقع فى بعض النسخ ملحقا بالأم، والشهيد فى المعركة لا يغسـل، لكنه لو كان جنبا هل يلزم تغسيله أم لا؟ اختلف فيه، فقيل: يجب لأنه بسبب آخر وهـو ظاهر الحديث، والكلام عليه مفصل فى كتب الفقه.

(وقال) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه أحمد والترمذى، وهــو مما نحن فيه إذ فيه مع الحكم إخبار ببعض المغيبات (: **الخلافة فى قريـش)** ولـو كـان هـذا لمجرد الحكم لم يكن مما نحن فيه؛ لأنه صلى الله تعالى عليه وسلم حكـم باستحقاقهم لها وقع أو لم يقع، وقد وقع كما أخبر مدة طويلة إلى انقضاء دولة بنى العباس.

(و) فى حديث آخر رواه البخارى: **(لن يزال هذا الأمر)** يعنى الخلافة **(فى قريش مـا أقاموا الدين)** بيان لغايته أى ما حموا شوكة الإسلام، وأقاموا شعائر الدين الظاهرة، فـإذا غيروا غيرهم الله تعالى، ونزع الملك منهم، وقد وقع كما قال رسول الله صلى الله تعـالى

عليه وسلم، وفيه روايات متغايرة تحتاج لكلام طويل طويناه خوف السآمة والملل، وفى رواية حتى يمضى فيهم اثنا عشر خليفة، وما ظرفية مصدرية أى مدة إمامتهم، والإجماع منعقد على أن الخلافة مختصة بقريش.

(وقال) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه مسلم والبيهقى: **(يكون)** أى يوجد بعده صلى الله تعالى عليه وسلم **(فى ثقيف)** قبيلة معروفة **(كذاب ومبير)** أى مهلك يكثر القتل بغير حق، من البوار فهو الهلاك قال تعالى: ﴿**وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا**﴾ [الفتح: ١٢] أى هالكين **(فرأوهما)** من الرأى أى رأى العلماء أن المراد فى الحديث بهما **(الحجاج)** بن يوسف الثقفى، وهذا مما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم من المغيبات، ففى حديث أسماء، رضى الله تعالى عنها، من طريق مسلم أنها قالت للحجاج: إن فى ثقيف كذابًا ومبيرًا أما الكذاب فقد رأيناه، وأما المبير فلا إخالك إلا إياه.

وقال النووى، رحمه الله، أجمع العلماء على أن المبير هو الحجاج، وقال هشام بن حسان: إنه قتل مائة وعشرين ألفًا.

(و) الكذاب هو **(المختار)** بن أبى عبيد الثقفى بن مسعود بن عمر بن عمير، ففى عبارته لف ونشر مشوش، وأبوه أسلم فى حياة النبى، عليه السلام، ولم يره فلم يعد من الصحابة، والمختار هذا كان يزعم أن جبريل، عليه الصلاة والسلام، يأتيه، وكان يظهر مدح ابن الزبير ومحمد ابن الحنفية، واستحوذ على الكوفة وأظهر التشيع، واجتمع عليه ناس كثيرون وطلب الأخذ بثأر الحسين، فقتل كثيرًا من قتلته وعظم أمره، وكان يتكهن ويزعم أنه يوحى إليه، وله كرسى يضاهى به تابوت بنى إسرائيل فهو ضال مضل، واستمر على ذلك مدة حتى قتله مصعب بن الزبير، وأمر الحجاج أشهر من أن يذكر.

(وأن مسيلمة يعقره الله تعالى) أى مما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم من المغيبات ما ورد فى الحديث الصحيح الذى رواه الشيخان عن ابن عباس، رضى الله عنهما، من ظهور مسيلمة الكذاب وأن الله يقتله، ومسيلمة بصيغة التصغير فلامه مكسورة والعامة تفتحها وهو خطأ قبيح كما مر، وهو رجل من بنى حنيفة كنيته أبو ثمامة، ادعى النبوة وزعم أنه يأتيه الوحى بقرآن، فكان له هذيانات سخيفة تقدم بعض منها، ولما قدم وفد بنى حنيفة المدينة على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وهو معهم لم يقابله، وقال: لو جعل الأمر لى بعده اتبعته، فبلغ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما قاله، فقال: لو سألنى هذه الشظية ما أعطيتها له، فرجع معهم وتمخرق بشعبذة فافتتنوا به، وزعم أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أشركه معه فى أمره، وكتب إليه: من مسيلمة رسول

الله إلى محمد رسول الله، أما بعد:

فإنى قد أشركت فى الأمر معك، فإن لنا نصف الأرض ولقريش نصفها ولكنهم يعتدون.

فكتب إليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم :

من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب أما بعد:

فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين.

فأخفى الكتاب وكتب كتابًا من عنده أظهره لأصحابه زعم أنه صدقه فيما قاله، فكذبه من بنى حنيفة ثمامة بن مالك، رضى الله تعالى عنه، ونهى الناس عنه وقال يخاطبه وكان مؤمنا، رضى الله عنه:

مسيلمة ارجع ولا تمحك فإنك فى الأمر لم تشرك
كذبت على الله فى وحيه هواك هوى الأحمق الأنوك
فما فى السماء لك مصعد ومالك فى الأرض من مبرك

وكان يلقب نفسه برحمان اليمامة، ولما توفى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، جمع جموعا سفها، فجهز له أبو بكر، رضى الله تعالى عنه، جيشا أميرهم خالد بن الوليد، رضى الله تعالى عنه، فقتل مسيلمة كافرًا لعنه الله تعالى، قتله وحشى قاتل حمزة، رضى الله تعالى عنه، وشاركه فيه ناس، والعقر أصله يستعمل فى الحيوان كعقر الناقة ونحوها، ففيه إشارة إلى أنه بهيمة من البهائم مات ميته جاهلية فلم يذك ولم يزك.

(و) مما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم من المغيبات ما رواه الشيخان عن عائشة، رضى الله تعالى عنها، **(أن فاطمة)** الزهراء بنته صلى الله تعالى عليه وسلم، ورضى الله عنها، **(أول أهله لحوقا)** وروى لحاقا **(به)**: أى أول من يموت بعده صلى الله تعالى عليه وسلم من أهل البيت، فماتت بعد ستة أشهر، وقيل: ثمانية أشهر، وقيل: مائة يوم، وهى أصغر بناته صلى الله تعالى عليه وسلم وأحبهم إليه وهى أول من غطى نعشه من النساء فى الإسلام، وأول الحديث أنه صلى الله تعالى عليه وسلم سارها فى مرض موته فبكت، ثم دعاها وسارها بشىء فضحكت، فسئلت عن ذلك بعد موته صلى الله تعالى عليه وسلم فقال: سارنى أولاً بأنه يموت فى مرضه هذا فبكيت، ثم سارنى بأنى أول أهله يتبعه فضحكت، ولما توفيت دفنها على، كرم الله وجهه، ليلاً، واختلف فى محل دفنها، فقيل: فى قبة ولدها الحسن قرب محرابها.

وروى أحمد بن حنبل فى المناقب أنها اغتسلت ولبست ثيابا لها وكفنا، وقالت: إنى مقبوضة فلا يغسلنى ولا يكفننى أحد، فامتثل أمرها، وفيه كلام للفقهاء، وأنه هل يكفى

غسلها فى الحياة عن غسل الميت أم لا؟ إلا أنه يعارضه ما روى من أنها أمرت فاطمة بنت عميس أن تغسلها، وقيل: إنه من خصائصها وفى اللآلىء للسيوطى عن أم سلمة قالت: مرضت فاطمة فقالت: يا أمتاه اسكبى لى غسلا فسكبته، فاغتسلت ثم قالت: هاتى ثيابى الجدد فناولتها فلبستها، فقالت: قدمى الفراش فقدمته فاضطجعت مستقبلة، ثم قالت: إنى اليوم مقبوضة فلا يكشفنى أحد، فقبضت مكانها وأتى على فأخبرته فدفنها بغسلها، وقال ابن الجوزى: إنه موضوع، ورد بأنه رواه الطبرانى إلا أنه يعارضه ما روى بخلافه كما مر، ولعله من خصوصياتها وأنه صلى الله تعالى عليه وسلم أخبرها به.

(**وأنذر بالردة**) أى أعلم صلى الله تعالى عليه وسلم أصحابه بمن يرتد بعده وما يكون من قتالهم، وقد وقع ذلك فى خلافة أبى بكر، رضى الله تعالى عنه، والإنذار إخبار بأمر مكروه مخوف ضد التبشير، وهو مما رواه الشيخان أيضًا عن ابن عمر، رضى الله تعالى عنهما، وكان ذلك بعد ابتداء خلافة الصديق بسبعة أشهر وستة أيام، فإنه بعد انتقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ارتد كثير من الناس إلا أهل الحرمين والبحرين، فكفى الله أمرهم بأبى بكر، رضى الله تعالى عنهم، بعد أن قاسى منه أمورا شديدة.

(**و**) مما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم من المغيبات فى حديث رواه أصحاب الكتب الستة مسندًا وفيه (**أن الخلافة**) أى خلافة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بحق، وخلافة النبوة إنما تكون لمن تمسك بالسنة من قريش، وهى (**بعده ثلاثون سنة ثم تكون**) أى تتحول الخلافة، وتصير (**ملكا**) عضوضا أى سلطنة بالقهر والتطلب من غير وجود شروطها، (**فكانت**) الخلافة الحقيقية (**كذلك**) أى كما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم، وتمت المدة التى ذكرها (**بمدة الحسن بن على**) بن أبى طالب كما رواه سفينة مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فكانت خلافة الصديق، رضى الله تعالى عنه، سنتين وأربعة أشهر، وخلافة عمر، رضى الله تعالى عنه، عشر سنين ونصفا، وخلافة عثمان، رضى الله تعالى عنه، اثنى عشر سنة إلا أيامًا، وخلافة على رضى الله تعالى عنه أربع سنين وتسعة أشهر وأيامًا، وفى المغرب خلافة أبى بكر سنتان وثلاثة أشهر وتسع ليال، وعمر عشر سنين وستة أشهر وخمس ليال، وعثمان اثنى عشر سنة إلا اثنى عشر ليلة، وعلى خمس سنين إلا ثلاثة أشهر، فتتم المدة بمدة الحسن لما بويع فى عشر رمضان الأخير سنة أربعين من هجرته، ثم سلمها لمعاوية فى نصف جمادى الأول سنة إحدى وأربعين فمدته كانت سبعة أشهر ونصفا وأياما، فبها تتم الثلاثون كما ذكره المصنف، رحمه الله تعالى.

والملك بضم الميم، والعضوض بفتح العين المهملة صيغة مبالغة، وروى ثم يكون ملك عضوض بضم العين جمع عض بكسرها، وهو الشرير الخبيث، والملك السلطان والخليفة أمير المؤمنين، ويقال: خليفة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لأنه خلفه فى القيام بأمر المسلمين، ولا يقال: خليفة الله لغير داود صلى الله تعالى عليه وسلم.

(وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه البزار عن أبى عبيدة، رضى الله تعالى عنه، والبيهقى عن معاذ بن جبل، رضى الله تعالى عنه: **(إن هذا الأمر)** أراد به دين الإسلام، وأمر الشريعة المحمدية **(بدأ)** بهمزة فى آخره أى ابتدأ فى أول أمره، أو بألف مقصورة بمعنى ظهر وبرز من كون العدم إلى الخارج، والظاهر الأول هنا **(نبوة ورحمة)** بالنصب على الحالية أو بنزع الخافض: أى بدأ بنبوته صلى الله تعالى عليه وسلم ورحمته للعالمين بإنقاذهم من الضلال والكفر وأمور الجاهلية، وهذا فى حياته صلى الله تعالى عليه وسلم، **(ثم تكون)** بعده **(رحمة وخلافة)** فى زمن الخلفاء الراشدين، وأخر الرحمة أولاً؛ لأنها نشأت من النبوة، وقدمها هنا لسبقها على الخلافة، فإن رحمته صلى الله تعالى عليه وسلم كانت قبلهم واستمرت، **(ثم يكون)** بعد الخلافة **(ملكا عضوضا)** بفتح العين وضمها كما تقدم فى رواية ملك عضوض، وهو استعارة تصريحية أو مكنية بتشبيه ظلمهم وتعديهم على الرعية بعض حيوان مفترس يعض من رآه، **(ثم يكون)** بالتحتية والضمير للأمر **(عتوا وجبرية)** العتو بضم العين: الخروج عن طاعة الله تعالى، يقال: عتا يعتوا عتوا وعتا، والجبرية بفتح الجيم والموحدة وتسكن أيضًا من الجبر، وهو الإكراه والقهر، قال الراغب: الإجبار فى الأصل حمل الغير على أن يجبر الأمر لكن تعارف فى الإكراه المجرد، فقيل: أجبرته على كذا، وسمى الذين يدعون أن الله يكره العباد على المعاصى فى تعارف المتكلمين مجبرة، وفى قوله المتقدمين: جبرية وجبرية انتهى.

وقال غيره: الجبرية بفتح الباء أى قهرًا وتكبرًا، ولفظ الحديث الذى رواه البيهقى أن الله بدأ بهذا الأمر نبوة ورحمة، وكانتا خلافة ورحمة، وكانتا ملكا عضوضا، وكانتا عتوا وجبرية وفسادا فى الأمة يستحلون الفروج والخمور والحرير، وينصرون على ذلك، ويرزقون أبدا حتى يلقوا الله، وهما منصوبان خبر كان، وروى بالرفع فكان تامة، وروى جبروتا بمثناة فوقية.

والعتو بمثناة أيضًا وما قيل: إنه بمثلثة ومعناه الفساد وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِى الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [البقرة: ٦٠][1] فالحال مؤكدة، وقوله فى الحديث عتوا وجبروتا **(وفسادا فى الأرض)** يلزمه عطف الشيء على نفسه، وفى الكشاف معناه: أشد الفساد،

(١) [البقرة:٦٠، الأعراف:٧٤، هود:٨٥، الشعراء:١٨٣، العنكبوت:٣٦].

فقيل لهم: لا تتمادوا فى الفساد فى حال فسادكم انتهى.

وكونه أشد الفساد يحتاج إلى النقل، وفى الصحاح ما يخالفه؛ لأنه فسره بمطلق الفساد، ويلزمه أن يكون النهى عن التمادى فى حال الفساد انتهى ملخصه، وفيه بحث، وإنما تركناه لأنه أطال فيه من غير طائل، وأنا أقول: لا يخلو ما فى كلامه من الخبط، فإن العتو هنا بالمثناة فقط، والمثلثة تحريف، واعتراضه على العلامة من قصور نظره، فإن مثله لا يطلب منه النقل، ومراده أن العتو إن كان بمعنى الفساد، فالمراد بقوله: مفسدين، مستمرين على الفساد لأن الأصل التأسيس، وقد قرره فى سورة البقرة فى أمر المؤمنين بالإيمان ومثله كثير.

(و) مما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم عن المغيبات ما أشار إليه بقوله و**(أخبر)** صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه مسلم **(بشأن أويس)** بن عامر المرادى نسبة لمراد قبيلة مشهورة **(القرنى)** بفتحتين نسبة لقرن بن ردمان بن ناجية بن مراد، وغلط الجوهرى فى نسبته لقرن المنازل كما غلط فى فتح راء قرن المنازل كما فى القاموس، وتبعه بعض الشراح هنا، وقال ابن حجر فى فتح البارى: بالغ النووى فى حكاية الاتفاق على تخطئته فى تحريك قرن المنازل، وحكى المصنف، رحمه الله تعالى، عن تعليق القابسى أن من قال، بالإسكان أراد الجبل، ومن قال بالتحريك أراد البلد، وقال الكرمانى: أويس القرنى منسوب إلى قبيلة بنى قرن، ولا منافاة بينه وبين ما قدمناه، وفى طبقات الأولياء للشرجى أنه خير التابعين مطلقًا بشهادة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم له، وكان أدرك زمن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم و لم يره لاشتغاله ببر أمه، وعن عمر، رضى الله تعالى عنه، أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول: «يأتيكم أويس بن عامر مع أنداد من أهل اليمن من مراد من قرن كان به برص، فبرأ منه إلا موضع درهم منه لأنه دعا أن يزيله إلا لمعة أذكر بها نعمك على، فمن أدركه منكم فاستطاع أن يستغفر له فليفعل»، ووصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بأنه أشهل ذو صهوبة بعيد ما بين المنكبين، شديد الأدمة ضارب بذقنه إلى صدره، رام ببصره إلى موضع سجوده يبكى على نفسه ذو طمرين لا يؤبه به، مجهول فى أهل الأرض معروف فى السماء، لو أقسم على الله لأبره، تحت منكبه الأيسر لمعة بيضاء، ألا وإنه إذا كان يوم القيامة قيل للناس: ادخلوا الجنة، وقيل لأويس: قف واشفع فيشفعه الله فى ربيعة ومضر، يا عمر ويا على إذا أنتما لقيتماه، فاطلبا منه أن يستغفر لكما، فمكثا عشر سنين يطلبانه، فلم يلقياه، فلما كانت السنة التى توفى فيها عمر قام على أبى قبيس، فنادى يا أهل اليمن هل فيكم أويس؟ فقام شيخ، وقال: لا ندرى ما أويس، ولكن ابن أخ لى أخمل ذكرًا وأهون من أن نرفعه إليك، وهوفى إبلنا يرعاها، فعمى عليه عمر، رضى الله تعالى عنه، كأنه لا يريده،

ثم قال: أين هو؟ فقال: بأراك عرفات، فركب عمر وعلى، رضى الله تعالى عنهما، إليه، فإذا هو قائم يصلى، فسلما عليه وقالا: من الرجل؟ فقال: راعى إبل أجير، فقالا: لسنا نسألك عن ذاك، ما اسمك؟ فقال: عبد الله. فقالا: كلنا عبيد الله ما اسمك الذى سمتك به أمك؟ قال: فما ترايدان منى؟ فأخبراه بما قاله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لهما، وعرفاه بأنفسهما، فقام عليهما وقال لهما: جزاكما الله عن أمة محمد خيرًا واستغفر لهما كما أمرهما رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك، فقال له عمر، رضى الله تعالى عنه: مكانك يرحمك الله حتى آتيك بنفقة من عطائى، وكسوة من ثيابى فقال: لا ميعاد لى ولا ترانى بعد اليوم، وما أصنع بالنفقة والكسوة، ثم أقبل على العبادة، وتوفى بصفين على ما قيل عام سبع وثلاثين شهيدًا مع أصحاب على، رضى الله تعالى عنهم[(١)].

وقال ابن سلمة: غزونا أذربيجان فى زمن عمر، رضى الله تعالى عنه، ومعنا أويس، فلما رجع مرض ومات فدفناه، وجعلنا على القبر علامة، فلما رجعنا لم نجد له أثرا، والأول أصح لقول أبى هريرة: إن اجتماعه بعمر فى السنة التى توفى فيها، فكيف يكون غزا فى أيامه، وقيل: دفن بدمشق والله أعلم انتهى.

وهذا هو المراد بشأنه الذى أشار إليه المصنف، رحمه الله تعالى، وبما مر علمت أن أويسًا لم يدفن باليمن كما توهمه بعض الناس، وأنه أفضل التابعين وأنه لقى عليا وعمر وأدرك زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم، لما ورد فى الحديث الصحيح: «إن خير التابعين رجل يقال له أويس القرنى».

وقال أحمد بن حنبل: أفضل التابعين سعيد بن المسيب، قال العراقى: لعل أحمد لم يقف على هذا الحديث، أو لم يصح عنده، وفيه أنه ذكره فى مسنده ولم يضعفه، وإنما وجهه أنه رواه: «إن من خير التابعين»[(٢)] بمن التبعيضية، وقال النووى: أفضلية أويس بشدة زهده وخشيته لله وأفضلية سعيد بكثرة علمه وحفظه الحديث، فلا منافاة بينهما.

وقيل: أفضلهم الحسن البصرى، وقيل: حفصة بنت سيرين ولا شك أن الأفضلية على الإطلاق لأويس، وبالعلم النافع لسعيد وفيه نظر.

(و) مما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم ما رواه مسلم من طرق عن أبى ذر، رضى الله عنه، **(بأن أمراء يؤخرون الصلاة عن وقتها)**.

لفظ الحديث: «كيف أنت إذا كنت وعليك أمراء يؤخرون الصلاة عن وقتها؟ قلت:

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٤٢/٢٢٥)، وابن سعد (١١٢/٦)، وأبو نعيم فى الحلية (٧٩/٢).

(٢) أخرجه أحمد (٤٨٠/٣)، وابن سعد (١١٣/٦).

فما تأمرني؟ قال: «صل الصلاة لوقتها، فإن أدركتها فصل فإنها لك نافلة»[١]، وفى رواية: وإلا كنت قد أحرزت صلاتك.

قال النووى: المراد فى الحديث تأخيرها عن وقتها الاختيارى، لا عن وقتها مطلقا بشهادة أمره صلى الله تعالى عليه وسلم بإعادتها معهم بعد أدائها منفردًا إذ لا إعادة بعد خروج وقت الصلاة، ولا جماعة فى الصلاة المقضية، والقول بأن المراد تأخيرها عن جميع وقتها دعوى بلا بينة، وتلك بشهود لم تكن تقبل الرشا، والمراد الأمراء لغة، فيشمل الملوك، وخصهم لأن الإمامة كانت وظيفة لهم، فكل سلطان أو حاكم بلدة يؤم الناس فى المكتوبات، أو يستخلف من يصلى بهم، وقد وقع هذا فى زمن بنى أمية، لأنهم أول من غير رسم الخلافة، وقد وقع هذا التأخير فى زمن الحجاج وأنكر عليه ذلك.

(و) مما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم من المغيبات ما رواه أحمد والطبرانى والبزار، رحمهم الله تعالى، أنه قال: **(سيكون فى أمتى)**، وفى بعض النسخ فى أمته **(ثلاثون كذابا فيهم أربع نسوة)** إدخال النسوة فيهم بطريق التغليب، والذى فى صحيح مسلم: أنهم قريب من ثلاثين، وورد فى حديث آخر أنهم سبعة وعشرون دجالاً فيهم أربع نسوة، والذى ذكره المصنف رواية أخرى، وتسميتهم أمة بناء على ظاهر حالهم، أو المراد بالأمة أمة الدعوة، والمراد بالكذب فيهم كذب مخصوص، وهو ادعاء النبوة، وقد وقع هذا بعده صلى الله تعالى عليه وسلم من الرجال لمسيلمة، والأسود العنسى بالنون، ومن النساء لسجاح التى ظهرت باليمن، وقصتها مشهورة، وتفسيره بما ذكر ورد مصرحًا به فى الحديث كحديث: «فى أمتى دجالون كذابون وأنا خاتم النبيين لا نبى بعدى»[٢]، ولو استقصى عدتهم بلغت ما ذكر.

والدجال الكذاب الذى يخلط ويلبس، يقال: دجل أمره إذا خلطه وموهه، ولبس فيه، حتى يخفى، ومنه الدجال المشهور، وجمعه دجالون ودجاجلة.

(وفى حديث آخر) رواه الشيخان عن أبى هريرة، رضى الله تعالى عنه، **(ثلاثون دجالا كذابا)** عطف بيان على ما قبله، **(آخرهم الدجال الكذاب)** الأعور الذى يظهر فى آخر الزمان، ويقتله عيسى ابن مريم، عليه الصلاة والسلام، فالتعريف فيه للعهد، وتقدم أنه من الدجل وهو الكذب والتمويه، وفى تذكرة القرطبى فيه أقوال أخر: أحدها أنه ابن صياد يدعى الألوهية، ويظهر أمورًا خارقة للعادة، ولا يدخل مكة والمدينة والقدس، معه جنة ونار وجبال من خبز.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣٨/٦٤٨)، والبيهقى فى السنن الكبرى (١٢٤/٣).

(٢) أخرجه أحمد (٣٩٦/٥).

(كلهم يكذب على الله ورسوله) كذبه على الله قوله: إنه أوحى إليه، وعلى رسوله قوله: إنه بشر بى، وأخبر بنبوتى كقول مسيلمة المتقدم: إنه أشركنى فى أمره، ويحتمل أن يكون الرسول من رسل الملائكة، كقولهم: إن جبريل نزل علىَّ وأوحى إلىَّ كذا.

(وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه البزار والطبرانى بسند صحيح من حديث طويل فيه: **(يوشك)** بضم أوله مضارع أوشك بمعنى قرب ودنا وأسرع، يقال: وشك وأوشك **(أن يكثر فيكم العجم)** هم خلاف العرب مطلقا؛ لأن ألسنتهم عجم أى غير ظاهرة لهم، وقد يخص بأهل فارس، والأول أقرب هنا، والمراد أنه يكثر فيهم حكمهم وإمارتهم عليهم، كما فى كثير من الدول كالنوبة والأكراد والأتراك الذين كانت فيهم السلطنة والدولة، ولذا قال: **(يأكلون أفياءكم)** جمع فىء، وهو الغنيمة من الكفار بغير قتال، ويطلق على مطلق الغنيمة، والأكل فيه مجاز عن الاستيلاء عليه وأخذه قهرا ومنع المستحقين منه بغير وجه، وإضافة الأفياء إليهم باعتبار حقهم، ويحتمل أن يراد بأفيائهم ماهم الذى بأيديهم؛ سماه فيئًا لأنه مما أفاء الله لهم بغير مشقة عليهم.

(ويضربون رقابكم) أى يقتلونهم بغير حق، فالخطاب خطاب مشافهة لجنس المؤمنين من العرب، فيشمل جميع من بعد عصر النبوة كما فى غيره من خطابات الشارع، وإنما جعله قريبا منهم لأن كل آت قريب، والدنيا ساعة، وقد فسره الشارح الجديد بما لا وجه له، فتركه خير من ذكره.

(وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم، فى حديث رواه الشيخان: **(لا تقوم الساعة حتى يسوق الناس بعصاه)** أى يملك الناس ويسخرهم، كما يريد من غير مانع ولا كد وتعب، وفيه استعارة تمثيلية لتشبيهه براع لغنم يسوقها بعصاه يهش بها عليها، وفيه إشارة إلى ضعف الناس وجهلهم، فكأنهم غنم سائمة همها أن ترعى، والعصا فيه كما فى قولهم: فلان تحت عصا فلان، أى منقاد لأمره وحكمه، وهم عبيد العصا.

(رجل من قحطان): أى من عرب اليمن وقحطان أبو اليمن، وهذا الرجل يسمى الجهجاه كما ورد فى الحديث، وقحطان اسمه يقظ أو يقظان، وكان تجبر ومنع أرزاق الناس، فسمى قحطان لقحط الرزق بسببه.

(وقال)، صلى الله تعالى عليه وسلم، فى حديث رواه الشيخان أيضًا: **(خيركم)** المراد أمته، ولفظ الصحيحين خير أمتى وهو المراد **(قرنى)**: أى عصرى وزمانى الذى أنا فيه، والمراد أهله لقوله: **(ثم الذين يلونهم)** أى يأتون بعدهم بلا فصل، وهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان، **(ثم الذين يلونهم)**، وهم تبع التابعين، والقرن أهل زمان اجتمعوا واقترنوا فيه فى أعمارهم وجميع أحوالهم، وفى تفصيله كلام تقدم، والخيرية إن كانت

بالنسبة لما بعده، وهو الظاهر فلا كلام فيه، وإن كان على إطلاقه لا يلزم منه تفضيل أصحابه على الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام؛ لأن المراد تفضيل الجملة والمجموع على المجموع، لا تفضيل كل فرد على كل فرد، وثم لبيان التراخى فى الرتب كالأفضل والأفضل، ولا شبهة فى فضل العصر وجملة أهله من غير تفصيل، فلا ينافيه حديث: «أمتى كالمطر لا يدرى الخير فى أوله أم فى آخره»(١)، فإن هذا من واد آخر، وهذا إشارة إلى أنه قد يجيء فى الأمة من ينفع الناس نفعًا عظيمًا لم يتيسر لغيره ممن سبقه، وهذا بالنظر لأفراد مخصوصة، وذاك بالنظر لمجموع العصر، وشتان ما بينهما، ولذا عبر بالقرن، فلا يتوهم واهم نظر لعمر بن عبد العزيز، وما صدر منه، ولعثمان وما كان فى عهده تفضيل لعصره فَيَضِلّ ويُضِلّ.

(ثم يأتى بعد ذلك قوم)، وروى ثم إن بعدكم قومًا **(يشهدون ولا يستشهدون)**: أى يؤدون الشهادة قبل أن تطلب منهم، ومثله لا يقبل، وهذا لا ينافى ما ورد فى الحديث: «إن خير الشهود من يأتى بالشهادة قبل أن يسألها»(٢)، فإن هذا حمل على من كان عنده علم بأمر وشهادة فيه، وصاحبها لا يدرى أنها عنده، فيخبره بما عنده؛ ليستشهده عند حاجته، ولكل مقام مقال.

(ويخونون ولا يؤتمنون) هو عطف مؤكد لما قبله؛ لأن الخائن لا يؤتمن أو المراد ظهور خيانتهم حتى لا يأمنهم أحد بعد ذلك، بخلاف من خان مرة فإنه قد يؤتمن، أو المراد أنهم يخونون فيما لم يؤتمنوا عليه كمن سرق أو غصب ونحوه.

(وينذرون) بضم الذال المعجمة وكسرها **(ولا يوفون)** بما نذروه من غير عذر ومانع لهم، ويقال وفى وأوفى بمعنى.

(ويظهر فيهم السمن): أى عظم البدن بكثرة لحمه، وهذا علامة على كثرة أكلهم وشرابهم وترفهم، وعدم خوفهم من الله، وعدم تفكرهم فى عواقب الأمور.

وروى: «يأتى فى آخر الزمان قوم يتسمنون»، وفى التوراة: إن الله يبغض الحبر السمين، وفى الغالب أن من سمن وكثرت رطوبة بدنه كان بليدًا مغفلا غير مكترث بدينه ودنياه، فجعل هذا كناية عما ذكر؛ لأنه من لوازمه غالبًا، فلا ينافيه ما يشاهد من كون بعض العلماء والصلحاء سمين الجثة خلقة أنشأه الله عليها لقوة نطفة أبويه، وقيل: المذموم منه ما يكتسب دون الخلقى؛ لأنه ورد فى الحديث: «ويل للمتسمنات يوم القيامة»: أى اللواتى يستعملن السمنة، وهى دواء يتسمن به، وروى تخلف قوم يحبون

---

(١) أخرجه ابن عبد البر فى الاستذكار (١/٢٣٩)، والعقيلى فى الضعفاء (١/٣١٠).

(٢) أخرجه أحمد (٥/١٩٢)، وابن ماجه (٢٣٦٤)، والطبرانى فى الكبير (٥/٢٦٦).

السمانة بفتح السين المهملة، وهى السمن.

(وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم، فى حديث رواه البخارى عن أنس، رضى الله تعالى عنه: **(لا يأتى زمان إلا والذى بعده شر منه)** المستثنى جملة حالية يجوز فى مثلها الواو وتركها، والحديث هكذا قال الزبير بن عدى: أتينا أنسًا، رضى الله عنه، فشكونا له الحجاج، فقال: «اصبروا فإنه لا يأتى زمان إلا والذى بعده شر منه حتى تلقون ربكم»، سمعته من نبيكم، عليه الصلاة والسلام.

وروى أشر على الأصل كأخير، والمستعمل منهما خير وشر، وسمعًا على الأصل نادرًا وفى معنى هذا الحديث ما اشتهر من أنه صلى الله تعالى عليه وسلم، قال: «كل عام ترذلون» إلا أنهم قالوا: إنه لم يرد بهذا اللفظ، وإن كان معناه ثابتًا فى أحاديث كثيرة، فهو رواية بالمعنى، وقال الحسن البصرى: لما ذكر مجىء ابن عبد العزيز بعد الحجاج لابد للناس من تنفس يعنى أنه الله ينفس عن عباده، ويكشف عنهم البلاء أحيانًا.

(وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم، فى حديث رواه الشيخان: **(هلاك أمتى على يدى أغيلمة من قريش)** أغيلمة تصغير أغلمة، وهو جمع قلة يجوز فيه التصغير على لفظه، وهو فى حكم المفرد، وفى القاموس جمع غلام غلمة وأغلمة وغلمان، والغلام الشاب قد طر شاربه، وهو المراد فما فى النهاية من أنه تصغير غلمة على القياس ولم يرد فى جمعه أغلمة، ومثله أضبية تصغير ضبية كلام لا وجه له، فإن رد جمع القلة لجمع قلة آخر فى التصغير مما لا يعقل ولا يسمع، ولو لم يرد غير هذا دلنا على أنه سمع فيه أغلمة، فلا حاجة للتعسف فى تأويله، والمراد بهلاكهم ضياع أمورهم وهلاك بعضهم.

(وقال أبو هريرة راويه) أى راوى هذا الحديث: **(لو شئت سميتهم لكم بنو فلان وبنو فلان)** أى لو أردت أن أسميهم لكم سميتهم كيزيد، فإنه أباح المدينة ثلاثة أيام، وقتل من خيار أهلها ناسًا فيهم ثلاثة من الصحابة، وأزيلت بكارة ألف عذراء، وكبنى مروان ابن الحكم وغيرهم من بنى أمية، ولم يسمهم خوف الفتنة.

(وأخبر)، صلى الله تعالى عليه وسلم، عن بعض المغيبات فى حديث رواه الترمذى، وأبو داود، والحاكم **(بظهور القدرية)** فى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم: «القدرية مجوس هذه الأمة»[1]، وهم لما قالوا بأن الأمور كلها ليست بقضاء الله وقدره، وأن الإنسان خالق لأفعاله، وأنها بقدرته سموا قدرية لإثباتهم للعبد قدرة لا لإنكار قدرة الله على أفعاله، وشبههم بالمجوس؛ لأنهم أثبتوا خالقين خالق الخير، وهو النور الذى سموه

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٩١)، وابن المبارك (٣٠٥)، وابن أبى عاصم فى السنة (١/١٤٩)، والحاكم (١/٨٥).

يزدان، وخالق الشر الظلمة سموها أهرمن، وهؤلاء لما نسبوا أفعال العباد لهم قالوا بتعدد الخالق على ما تقرر فى الأصول، وأما معنى القضاء والقدر فعند السلف القضاء إرادة الله الأزلية المتعلقة بجميع الأشياء خيرها وشرها، والقدر إيجاده إياها على ما قضاه أولاً، وعند الفلاسفة القضاء علمه بما عليه الوجود، حتى يكون على أحسن نظام، ويسمونه العناية، والقدر خروجها على وفقه، وهؤلاء القدرية هم المعتزلة، وأما القدرية الذين أنكروا القدر، وأن الأمر أنف أى مستأنف لا يعلمه الله إلا بعد وجوده، فليس المراد بالحديث هم؛ لأنهم انقرضوا، ولم يبق منهم أحد.

(والرافضة) الذين أخبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، بظهورهم كما ورد فى حديث رواه البيهقى من طرق إلا أنها كلها ضعيفة، فقال: «يكون فى أمتى قوم فى آخر الزمان يسمون الرافضة يرفضون الإسلام»[1]، وروى: «يلفظونه فاقتلوهم فإنهم مشركون»، انتهى.

وفيه بيان لوجه التسمية، فإن الرفض معناه لغة الترك، وقيل: هم قوم تركوا حب الشيخين من الشيعة، وهم اثنان وعشرون فرقة، وقد وقع ما أخبر به الصادق الأمين لما ظهر الفاطميون ومن بالعجم الآن منهم.

(وسب آخر هذه الأمة أولها) أى أخبر صلى الله تعالى عليه وسلم بأن من تأخر من أمته سيظهر سب أولها، وهذا من المغيبات ورد فى حديث رواه البغوى عن عائشة، رضى الله عنها، مرفوعًا، فقال: «لا تذهب هذه الأمة حتى يلعن آخرها أولها»[2]، وقد وقع هذا كثيرًا من الرافضة، فأظهروا سب الشيخين وسب عائشة ومعاوية وغيرهم من الصحابة، رضوان الله تعالى عليهم.

ووقع من بنى أمية سب على، كرم الله تعالى وجهه، على المنابر، وأدخل بعضهم فى هذا من سب بعض الأولياء وعلماء السلف، وذكرهم بالسوء، وافترى عليهم ما لم يقولوه كما شاهدناه من بعض السفهاء يسبون العارف بالله سيدى محيى الدين بن عربى، وسيدى عمر بن الفارض، ونحوهما من أولياء الله تعالى حتى صنف بعضهم تصانيف فى الرد عليهم، ومقامهم أعلى من ذلك، والاشتغال بمثل هذا تضييع للزمان وتسويد لوجوه الأوراق، ويخشى على المتصدى لذلك من سوء الخاتمة، نفعنا الله تعالى ببركاتهم وحشرنا فى زمرتهم.

---

(١) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة (٦/٥٤٨)، والعقيلى فى الضعفاء (١/٢٨٥)، وأبو نعيم فى الحلية (٤/٩٥)، وابن الجوزى فى العلل المتناهية (١/١٦٠).

(٢) أخرجه ابن أبى شيبة (١٥/١٢٥)، والطبرانى فى الصغير (٢/٨٣).

(و) أخبر رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، **(بقلة الأنصار)** بعد عصر النبوة وهم الأوس والخزرج، وسموا أنصارًا لأنهم نصروا الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم، وآووه، وهو جمع ناصر أو نصير غلب على هذه القبيلة، ولذا نسب إليهم أنصارى، ولم يرد لواحده، وهذا إشارة لما رواه الشيخان عن ابن عباس، رضى الله تعالى عنهما، أنه قال: خرج علينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فى مرضه الذى مات فيه، فجلس على المنبر، وحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال(١): أما بعد، فإن الناس يكثرون وتقل الأنصار، **(حتى يكونوا كالملح فى الطعام)**، فمن ولى منكم شيئًا يضر قومًا فيه وينفع فيه آخرين، فليقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم: أى أن أهل الإسلام لا يزالون يدخلون فيه أفواجًا أفواجًا، وهؤلاء يقلون ويفنى نسلهم، فإن خيار الأكثر قليل فى كل جيل، ولم تزل قلتهم إلى أن صاروا بالنسبة لغيرهم كالملح فى الطعام، ووجه التشبيه أنهم مع قلتهم فيهم صلاح وإصلاح، وأنهم يذوبون بينهم كالملح، فإنه يذوب فيما وضع فيه، وقد كان كما قال.

فإن الآن فى المدينة لم يبق منهم إلا أقل من القليل كما أشار إليه بقوله: **(فلم يزل أمرهم يتبدد)**: المراد بأمرهم ما به بقاؤهم وانتظام حالهم من أملاكهم وأموالهم، ويتبدد بمعنى يتفرق، ويتشتت حتى يفنى ويضمحل ويقلون، **(حتى لم يبق لهم جماعة)**: أى لم يبق من نسلهم قوم مجتمعون بالمدينة كما كانوا عليه أولاً، وهكذا السادات العظام إذا مات واحد منهم لم يقم بعده من يخلفه.

(و) أشار لسبب ذلك بقوله: و**(إنهم سيلقون بعده)** أى يلقى الأنصار بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، **(أثرة)** بفتح الهمزة والمثلثة والراء المهملة قيل: ويجوز كسر الهمزة وسكون المثلثة، وهما بمعنى، وهو الاستبداد، وقيل: الثانى شدة الاستبداد أى يلقون بعده، صلى الله تعالى عليه وسلم، من يؤثر عليهم غيرهم، ويقدمه عليهم فى العطاء من الديوان، ويقل نصيبهم من الفىء، فتضيق معيشتهم وفى نفسهم شرف وحمية فيشتتوا ويتبدد أمرهم.

قال ابن سيد الناس: كان ابتداء هذا فى زمن معاوية، رضى الله عنه، ويجوز فى أثرة أن يكون جمع آثر ككاتب وكتبة: أى آثر لنفسه وقومه عليهم وبعده، فاصبروا حتى تلقونى على الحوض، والحديث طويل فى الصحيحين، وهذا كله من الإخبار عن المغيبات.

---

(١) أخرجه البخارى (٢٤٨/٤)، والبيهقى فى دلائل النبوة (١٧٧/٧)، والبغوى فى شرح السنة (١٧٨/١٤).

(و) منه إخباره صلى الله تعالى عليه وسلم **(بشأن الخوارج)** الذين خرجوا على أمير المؤمنين على، كرم الله وجهه، ورضى الله عنه، بالنهروان، وهم نحو أربعة آلاف، فقاتلهم حتى قتلهم، واستشهد بحربهم بعض أصحابه، وقيل: كانوا أكثر من ذلك بكثير، وحديثهم رواه الشيخان **(وصفتهم)** بالجر عطفًا على شأن، وهم فرق من أهل الضلال كالمحكمة الذين أنكروا تحكيم الحكمين، والأزارقة المنسوبين إلى نافع بن الأزرق، وغيرهم مما لا حاجة لتفصيل أحوالهم.

وقد قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم: «إنهم أهل صلاة وصيام يحقر أحدكم صلاته فى جنب صلاتهم وصيامه فى جنب صيامهم»، إلا أنهم مرقوا من الدين كما يمرق السهم من الرمية، وقد كفروا مرتكب الكبيرة، وأكثر الصحابة، ومواطنهم الجزيرة وعمان والموصل وحضرموت وبعض نواحى المغرب.

(و) أخبر صلى الله تعالى عليه وسلم، **(بالمخدج الذى فيهم)** وهو بضم الميم وسكون الخاء المعجمة وفتح الدال المهملة، ويروى بفتح الخاء وتشديد الدال والمعنى واحد، وروى المخدوج وهو الناقص خلقه، ومنه الخداج وهو إشارة لما فى حديث الصحيحين من أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قسم فى بعض الأيام قسمة، فقال له رجل من تميم وهو ذو الخويصرة: اعدل يا رسول الله، فقال: «ويحك ومن يعدل إذا لم أعدل؟ خبت وخسرت»[1]، فقال عمر، رضى الله عنه: ائذن لى أضرب عنقه فقال له: دعه إن له أصحابًا يحقر أحدكم صلاته... إلى آخره، وآيتهم رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدى المرأة، أو مثل البضعة تدر درا، ولما كانت وقعتهم وقتال علىّ لهم خطب الناس، وذكر الحديث.

وقال: اطلبوا ذا الثدية، فطلبوه فوجدوه تحت القتلى فجاءوا به، فقال: شقوا قميصه فشقوه، فلما رأى إحدى ثدييه مثل ثدى المرأة عليه شعرات سجد شكرًا لله تعالى إذ صدق نبيه، صلى الله تعالى عليه وسلم، وعلم أنه على الحق، وهم على الباطل.

(وإن سيماهم) بكسر السين المهملة وهى العلامة **(التحليق)** أى يحلقون شعور رءوسهم، ولم يكن فى الصدر الأول حلق الرأس إلا فى النسك، وهذه الأحاديث ظاهرة فى تكفيرهم كما قاله الخطابى، وفيه اختلاف.

وقيل: المراد جلوسهم حلقا حلقا، وليس بشىء، وقيل: المراد به العلو والارتفاع من قولهم حلق الطائر إذا طار وعلا، وبما ذكرناه علم أن حلق جميع الرأس ليس بممنوع، وليس فيما ذكر دليل على حرمته ولا كراهته على أنه استدل لجوازه بحديث صحيح

(١) تقدم تخريجه.

على شرط الشيخين أنه صلى الله تعالى عليه وسلم، رأى صبيًا حلق بعض رأسه، فقال: «احلقوه كله أو اتركوه كله»(١)، قال النووى، رحمه الله فى شرح مسلم: وهو صريح فى إباحته، وقال: قال الفقهاء: إنه جائز على كل حال، فإن شق عليه تعهده بالتسريح والدهن استحب حلقه، وإن لم يشق استحب تركه.

(ويرى رعاء الشاء) يرى بالتحتية مبنى للمجهول، ورعاء بكسر الراء المهملة والمد جمع راع كرعاة ورعيان، والشاء بالمد جمع شاة وهى معروفة **(رءوس الناس)** ورءوس جمع رأس، وهو مجاز مشهور بمعنى الرئيس، وروى ترى بالتاء الفوقية، والخطاب لغير معين نحو: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ﴾ [السجدة: ١٢]، ويجوز رفعه ونصبه.

(والعراة الحفاة) العراة جمع عار من اللباس، والحفاة جمع حاف، وهو من ليس فى رجله نعل، وهذا الحديث فى الصحيحين بمعناه، وبعض ألفاظه، فالمصنف، رحمه الله تعالى، رواه من طريق آخر، ورواه بالمعنى **(يتبارون فى البنيان)** أى يناظر بعضهم بعضًا فى بنائه، فيريد كل منهم أن يزيد على غيره، يقال: باراه إذا عارضه، فتبارى وانبرى، وهذا وما قبله كناية عن توسع من لا قدرة له فى الدنيا عليها، وعلوه على غيره، حتى يصير رئيسًا بعد فقره وذله وكثرة مفاخرة بعضهم لبعض فى البناء العالى، كالقصور المشيدة والمساجد المزخرفة.

وفى مسلم: «أن ترى الحفاة العراة رعاء الشاء الصم البكم ملوك الأرض»، وروى: «يتطاولون فى البناء»، يعنى: إن من أشراط الساعة أن أهل البادية ونحوهم ممن لا لباس له ولا نعل يتوطنون البلاد ويبنون القصور ويترأسون، وجهلة الناس وأراذلهم يصير حاكمًا واليًا عظيم الشأن، ولقد ظهر ما أخبر به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، من هذا المغيبات، وهو الآن عيان رأى العين، وكنى بكونهم رعاء إلى أنهم مجهولوا الأنساب جهلة وأنهم مشغولون عن عبادة الله، وروى يتمارون بالميم بمعنى يتنازعون، والمعنى واحد.

(وأن تلد الأمة) أى الجارية المملوكة التى اتخذت سرية **(ربتها)** بالتاء التأنيث وربت ورب بمعنى سيد وسيدة، والرب لغة له معان السيد والمالك والمربى والمدبر والقيم والمنعم، ويطلق على الله وعلى غيره مضافًا وغير مضاف، نكرة ومعرفة بحسب القرائن والمقامات، والمراد هنا السيد ذكرًا كان أو أنثى، وأنثه باعتبار النسمة وهو من حديث صحيح مشهور رواه الشيخان وغيرهما، وهو من المغيبات وأشراط الساعة التى أخبر

---

(١) أخرجه أحمد (٢/٨٨)، وأبو داود (٤١٩٥)، والنسائى (٨/١٣٠)، وعبد الرزاق (١٩٥٦٤).

بها، صلى الله تعالى عليه وسلم، أصحابه، وفى معناه اختلاف كثير، فقيل: معناه أن الإماء تلدن الملوك، فتكون أمه أمة من جملة رعيته.

وقيل: هو عبارة عن فساد أحوال الناس فى آخر الزمان وكثرة بيع أمهات الأولاد، حتى يشترى الرجل أمه وهو لا يدرى أنه ابنها، فلا يخص بأم الولد، والأمة قد تلد حرًا من غير سيدها؛ لوطئها بشبهة قوية أو رقيقًا بنكاح أو زنا، ويعتق ويتداول الأيدى أمه حتى يشتريها ابنها.

وقيل: معناه كثرة العقوق حتى يستطيل الولد على أمه استطالة السيد، والذى عد من الأشراط على الأول كثرة التسرى، فلا ينافى تسرى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، بمارية وغيره.

وفى الشروح كلام مبسوط فى هذا الحديث.

وفيه من دلائل النبوة الإعلام بكثرة التسرى والسبى بعد ظهور الإسلام، واستيلاء المؤمنين على الكفرة، وتملك ديارهم، والإنذار بأن غايته الانحطاط لإيذانه بقيام الساعة، وكل شىء بلغ الحد. انتهى.

(و) مما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم، من المغيبات ما رواه الشيخان، وهو **(أن قريشًا والأحزاب لا يغزونه أبدًا)** الأحزاب جمع حزب، وهو الطائفة الكثيرة المجتمعة للتعصب والقتال، وتعريفه هنا للعهد إذ المراد أحزاب مخصوصون فى الغزوة المشهورة، **(وأنه هو الذى يغزوهم)** بعد إخباره بذلك فى الأحزاب، وهى غزوة الخندق، وبعد أحد والخندق لم تغزه قريش، وهو صلى الله تعالى عليه وسلم، غزاهم حين فتح مكة، وأتى بالجملة مؤكدة بالاسمية وأن وضمير الفصل؛ لتحقيق وقوعه ونصره، ولذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم، يوم فتحها: «لا تغزى قريش بعد هذا إلى يوم القيامة»[(١)]، أى لا تعود مكة دار كفر ولا تغزوها الكفار، فلا ينافى ما وقع لبعض المسلمين كالحجاج، وكذا حديث ذى السويقتين، قال الواقدى: إنه صلى الله تعالى عليه وسلم، قال هذا لسبع بقين من ذى القعدة.

(و) مما رواه الشيخان أيضًا أنه صلى الله تعالى عليه وسلم، **(أخبر بالموتان)** بضم الميم بزنة بطلان وبفتحها وسكون الواو، وهو مصدر بمعنى الموت الكثير، وفتح الميم والواو لا يصح هنا؛ لأنه اسم يقابل الحيوان، وفى القاموس الموتان بالتحريك خلاف الحيوان أو أرض لم تحيى بعد، وبالضم موت يقع فى الماشية وتفتح، انتهى، يعنى أن فعلان بفتحتين

---

(١) أخرجه الطبرانى (٣/٣٩٢)، وابن أبى شيبة (١٤/٤٩٠)، وابن سعد (٢/١/١٠٥)، والبيهقى فى الكبرى (٩/٢١٤)، وفى دلائل النبوة (٥/٧٥).

فى المصادر يختص بما يدل على الحركة، كالجولان والدوران، وهو من محاسن اللغة العربية إذ جعل اللفظ على وفق معناه؛ فلذا امتنع تحريكه هنا.

(**الذى يكون بعد فتح بيت المقدس**)، وكان ذلك فى خلافة عمر، رضى الله تعالى عنه، بعمواس بفتحتين، وهى قرية من قرى بيت المقدس نزل بها عسكره، وهو أول طاعون وقع فى الإسلام، مات فيه سبعون ألفًا فى ثلاثة أيام، وكان ذلك سنة ست عشرة من الهجرة، وعمواس هذه هى القرية التى بين الرملة وبيت المقدس، مات فيها أبو عبيدة بن الجراح.

والحديث أوله عن عوف بن مالك، رضى الله تعالى عنه، قال: أتيت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، فى غزوة تبوك وهو فى قبة من أدم، فقال: «اعدد ستًا بين يدى الساعة: موتى، ثم فتح بيت المقدس، ثم موتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم بقاف وعين وصاد مهملتين داء تموت به الغنم من وقتها، ثم استفاضة المال، وعدها إلى آخرها، وفتنة، وهدنة بينكم وبين بنى الأصفر»(١).

والموتان إن خص بالماشية كما مر، فهو هاهنا مجاز مرسل لمطلق الموت أو استعارة، ولا ينافيه التصريح بأداة التشبيه؛ لأنه من وجه آخر، وهو شدة السرعة، والمنافى له ذكر التشبيه فى ذلك المجاز بعينه، وقد أشار لما قلناه الشريف فى حواشى الكشاف فى قوله: كان أذنى قلبه خطلاوان، وهو من الفوائد النفيسة.

(**وما وعد من سكنى البصرة**) بتثليث الباء، ومعناها أرض غليظة أو ذات حجارة، والفتح أشهر وأفصح، وهى بلدة إسلامية، ويقال لها: بصيرة بالتصغير أيضًا، بناها عتبة ابن غزوان فى خلافة عمر سنة سبع عشرة، وسكنت سنة ثمان، ومن شرفها أنه لم يعبد بها صنم، وينسب إليها بصرى بكسر وفتح ولا يجوز الضم.

وهذا الحديث رواه أبو داود عن أنس أنه قال له صلى الله تعالى عليه وسلم: «يا أنس إن الناس يمصرون أمصارًا وإن مصرًا منها يقال له: البصرة، فإن أنت مررت بها أو دخلتها، فإياك وسباخها وكلاؤها وسوقها وباب أمرائها، وعليك بضواحيها، فإنه يكون بها خسف وقذف ورجف ومسخ»(٢)، وضواحيها نواحيها، ومنه قريش الضواحى للنازلين ببطحائها وظواهرها، وكلاؤها بتشديد اللام مرسى سفنها، وفى هذا من أعلام

---

(١) أخرجه البخارى (١٢٤/٤)، والحاكم (٥٤٧/٣، ٤١٩/٤)، والطبرانى (٤١/١٨)، والبيهقى فى السنن الكبرى (٢٢٣/٩).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٣٠٧)، وابن الجوزى فى الموضوعات (٦٠/٢)، وابن عدى فى الكامل (١٧٣١/٥)، وأورده ابن عراق فى تنزيه الشريعة (٢١/٢).

النبوة والإخبار بالغيب ما لا يخفى، ويجوز كسر صادها ولهم بلدة بالغرب تسمى البصرة أيضًا، والمراد الأولى، وسكنى مصدر كعقبى بمعنى الإقامة بها ونزولها.

(و) من إخباره صلى الله تعالى عليه وسلم، عن الغيب أيضًا فى حديث رواه الشيخان **(أنهم)** أى أمته صلى الله تعالى عليه وسلم، **(يغزون فى البحر)** بعده صلى الله تعالى عليه وسلم، فإنه لم يكن ذلك فى حياته، والمراد بالبحر البحر الملح؛ لأنه إذا أطلق ينصرف إليه، و لم يعهد فى غيره إلا نادرًا **(كالملوك على الأسرة)** وهو تشبيه بليغ، والأسرة جمع سرير، وهو مقعد يعد للملوك مرتفع يجلسون عليه ترفعًا وتعظمًا، ومؤخر المراكب المعدة للغزو الذى يقعد عليه رئيسهم يعمل على هيئة سرير الملك بعينه، كما يعرفه من شاهده، فهو من الأعلام العجيبة؛ لأنه لم تكن ذلك بديار العرب، و لم يره أحد منهم، فتوصيفه صلى الله تعالى عليه وسلم، له كمن عرفه وجلس عليه مما تحار فيه العقول.

والحديث عن أنس بن مالك، رضى الله تعالى عنه، عن خالته أم حرام بنت ملحان، وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، نام عندها يومًا لأنه محرم لها، ثم استيقظ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وهو يتبسم، فقالت له: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: «أناس من أمتى عرضوا على يركبون البحر الأخضر كالملوك على الأسرة»[1]، قالت: ادع الله تعالى أن يجعلنى منهم، فدعا لها، ثم نام فرأى ذلك، فقال لها ما قال أولاً ودعا لها، وقال لها: أنت من الأولين، فخرجت مع زوجها عبادة بن الصامت مع المسلمين الغزاة فى البحر مع معاوية، رضى الله تعالى عنه، فلما انصرفوا قرب لها دابة تركبها، فوقعت وماتت شهيدة ثمة، واختلف فى زمنه، فقيل: فى زمن معاوية كما مر، وقيل: فى زمن عثمان، رضى الله عنه، وجمع بينهما بأنه فى زمن عثمان، رضى الله تعالى عنه، أمر معاوية، رضى الله تعالى عنه، بغزو البحر، فغزاه بأمر عثمان، رضى الله عنه، ثم لما ولى الخلافة غزاه بنفسه.

وفى الحديث معجزات إخباره، صلى الله تعالى عليه وسلم، عن غزو أمته فى البحر وغلبتهم، وظهور شوكة الملوك فيهم، وأن أم حرام من أولهم، وفيه دليل على جواز ركوب البحر للرجال والنساء، خلافًا لمالك فى كراهته للنساء فى رواية عنه، وأن الغزو فيه مشروع مطلوب، وورد فى الحديث: «إن غزو البحر يزيد أجره على البر بعشر درجات»[2]، لما فيه من المشاق، وهذه الغزوة أول غزوة فيه، وهى فتح قبرس، وكان عمر ابن الخطاب، رضى الله تعالى عنه، لم يأذن فى ذلك أولاً، ثم لما ذكر له هذا

---

(١) أخرجه البخارى (٢١/٤)، والترمذى (١٦٤٥)، وابن ماجه (٢٧٧٦).

(٢) أخرجه ابن أبى شيبة (٣١٥/٥)، وابن عبد البر فى التمهيد (٢٣٨/١).

الحديث أمر به وجهز الأسطول كما هو مفصل فى محله، وليس المراد بالبحر فى الحديث بحر الشام وتعريفه للعهد، بل مطلقه كما لا يخفى، وأم حرام، رضى الله تعالى عنها، مدفونة بقبرس وقبرها معروف بها يزار، وفى نسخ ثبج البحر بمثلثة وموحدة وجيم، وهو وسطه ومعظمه.

(و) أخبر صلى الله تعالى عليه وسلم، **(أن الدين لو كان منوطًا)** أى معلقًا **(بالثريا لناله)** أى وصل إليه **(رجال من أبناء فارس)** أى ناس منهم، ومناط الثريا كناية عن غاية البعد، وهى كواكب مجتمعة اختلف فى عدتها كما مر، وهى المنازل المشهورة، وهى أى الثريا مشهورة بالعلو فى السماء، ويضرب بها المثل، ولفظها مصغر من الثروة كما تقدم، والدين بمعنى الإيمان أو الشرع وما يتعلق به، وهو كناية عن أن هؤلاء يصلون منه لما لم يصل إليه غيرهم قط.

وهذا من حديث رواه الشيخان، وهو من أعلام النبوة أيضًا لما ظهر فيهم من الأولياء والعلماء، وما ظهر منهم من التصانيف التى لا تعد، ولم يأت الدهر بمثلها، وما كان فيهم من خدمة كتاب الله وحديث رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم، فلا تجد فنا إلا وقد حازوا قصب السبق فيه، وانظر إلى البخارى هل له مثل؟، وليست هذه شعوبية كما يتوهمه من يتعصب تعصب الجاهلية، وإنما هو تحقيق لما أخبر به سيد البرية، صلى الله تعالى عليه وسلم، وفارس جيل معروف ويقال لهم: الفرس أيضًا، وهم من أولاد سام بن نوح على الأشهر، وفارس اسم جدهم سموا به، ويطلق على بلادهم أيضًا.

والحديث مروى عن أبى هريرة، رضى الله تعالى عنه، قال: كنا جلوسًا عنده، صلى الله تعالى عليه وسلم، فأنزل الله تعالى سورة الجمعة، وقوله فيها: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ [الجمعة: ٣]، فقلت: من هم يا رسول الله؟ وفينا سلمان الفارسى، رضى الله تعالى عنه، فوضع صلى الله تعالى عليه وسلم، يده عليه، ثم قال: «لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال أو رجل من هؤلاء»(١)، وفى رواية: لو كان العلم. وروى أيضًا أن ذلك كان عند نزول قوله تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨]، ولا مانع من تعدد سبب النزول كما حققه المفسرون، والإشارة بهؤلاء مع أن المشار إليه واحد، وهو سلمان، رضى الله تعالى عنه؛ لأن المراد به الجنس، أو هو بتقدير من جنس هؤلاء.

(و) من ذلك ما رواه مسلم، عن جابر بن عبد الله، رضى الله عنه، أنه **(هاجت)** أى

---

(١) أخرجه البخارى (١٨٩/٦)، ومسلم (٢٣١/٢٥٤٦)، وأحمد (٤١٧/٢)، والترمذى (٣٢٦١)، ٣٣١٠.

هبت (**ريح**) بشدة (**والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم،فى غزواته**) أى فى غزوة من غزواته، وهى غزوة تبوك، وهو محل من أرض الشام كما قيل وفيه نظر، (**فقال: إنها لموت منافق**) أى رجل من المنافقين، وهو رفاعة بن زيد بن التابوت أحد بنى قينقاع وكان من عظماء اليهود كهف المنافقين، فلذا سماه منافقًا، وقال ابن الجوزى: إنه عم قتادة بن النعمان، رضى الله تعالى عنه، وذكر قتادة بن النعمان، رضى الله تعالى عنه، أنه رأى منه ما يدل على صحة إسلامه.

وقال الذهبى فى التجريد: إن له صحبة فتسميته منافقًا على حقيقته وظاهره، وروى أنها لموت عظيم من عظماء الكفار، وهو أيضًا محمول على ظاهره أو هو باعتبار ما فى قلبه من الكفر المضمر، وصحح البرهان أن هذه الغزوة غزوة بنى المصطلق، وكان ذلك فى رجوعه منها سنة ست أو أربع أو خمس قبل الخندق على اختلاف فيها، وهذه علامة لما ذكر؛ لأنها تدل على غضب الله تعالى، كما فى ريح عاد التى أهلكتهم كما تهلك ريح السموم، من هبت عليه إلا أنه استدل بها كما يستدل بالنجوم وحوادث الجو عند الحكماء والمنجمين، ولا حاجة إلى أنها علامة لما صنعه الله تعالى وقدره وأطلع من أراد عليه، والممنوع هو إسناده لها وجعلها مؤثرة فيه.

(**فلما رجعوا**) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، ومن معه من تلك الغزوة (**وجدوا ذلك**) أى ما أخبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، من المغيبات بموت ذلك المنافق المذكور، فهلك فى وقت إخباره، صلى الله تعالى عليه وسلم.

(**وقال**) صلى الله تعالى عليه وسلم، فى حديث رواه الطبرانى عن رافع بن خديج، رضى الله تعالى عنه، بسند صحيح (**لقوم من جلسائه**) من الصحابة، رضى الله تعالى عنهم، وهو جمع جليس بمعنى مجالس مثل كريم وكرماء (**ضرس أحدكم**): أى واحد منكم أيها الحاضرون (**فى النار**): أى إذ كان فى جهنم (**مثل أحد**): أى كالجبل المذكور عظما، وهو عبارة عن أن أحدهم يموت كافرًا؛ لما فى حديث آخر: «ضرس الكافر مثل أحد»[1]، وجسم المعذب كلما زاد عذابه فكان أشد عليه، وكونه عبارة عن ثبات عذابهم وقوة صبرهم عليه، قيل: فى غاية البعد.

(**قال أبو هريرة**)، رضى الله تعالى عنه، الذى كان الخطاب له: (**فذهب القوم**) الذين كانوا جلساءه: أى ماتوا كلهم، كما أشار إليه بقوله: (**يعنى**) أبو هريرة بقوله ذهب القوم (**ماتوا**)، فإن الذهاب حقيقته الانصراف عن مكان، وقد يخص بالموت كقول قس:

فى الذاهبين الهالكين لنا بصائر

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٥١/٤٤)، وأحمد (٣٣٤/٢)، والترمذى (٢٥٧٩)، والبيهقى فى السنن الكبرى (٢٧٦/١).

(وبقيت أنا ورجل) منهم، ولم يعينه لكراهته، والستر على من كان صحابيًا بحسب الظاهر، واسمه الرحال بن عنعوة، والرحال براء مهملة وحاء مهملتين ولام، وقيل: إنه بالجيم وهو الأصح رواية، وهو من أهل اليمامة، **(فقتل مرتدًا)** حال من ضمير قتل النائب عن الفاعل، والضمير لرجل **(يوم اليمامة)** أى فى حرب كانت باليمامة، وهى اسم أرض معروفة شرقى الحجاز، ومدينتها العظمى الحجر، ويسمى حجر اليمامة أيضًا، وقيل: قتله زيد بن الخطاب فى حرب مسيلمة لعنه الله، وكان معه، وقدم مع وفد بنى حنيفة على النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، وأسلم وتعلم القرآن، فلما ادعى مسيلمة الشرك مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، فى الوحى ارتد، وشهد له بذلك.

(وأعلم) الصحابة، رضى الله تعالى عنهم، بمغيب عنهم، وهو ماض مبنى للفاعل بوزن أكرم، وفاعله ضمير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، وهذا الحديث رواه أبو داود والنسائى عن زيد بن خالد الجهنى **(بالذى غل)** بغين معجمة ولام مشددة، من الغلول وهو السرقة خفية، كأن الأيدى غلت أو من الغلل، وهو الماء الجارى تحت النبات، وكثر استعماله فى السرقة من الغنائم، **(خرزًا)** بخاء معجمة وراء مهملة وزاء معجمة واحده خرزة، وهى حجارة تنظم ويزين بها وكل جوهر **(من خرز يهود)** ممنوع من الصرف؛ لأنه علم لهذه الطائفة سموا باسم جدهم يهود بن يعقوب أخو يوسف، والمراد يهود خيبر؛ لأنه توفى بها، فذكر ذلك له صلى الله تعالى عليه وسلم، فقال: «صلوا على صاحبكم»، فتغيرت وجوه الناس لذلك، فقال: «إن صاحبكم قد غل فى سبيل الله»، ففتشنا متاعه وما معه، **(فوجدت)** تلك الخرز التى غلها **(فى رحله)** أى فى منزله وما معه بعد موته، وهى لا تساوى درهمين، وأصل الرحل ما يوضع على البعير، وتجوز به هنا عن محله النازل فيه بما معه، وهذا الرجل لا يعرف اسمه.

(و) أعلم أيضًا بما هو من الغيب **(بالذى غل)** أى سرق كما مر **(الشملة)**، وهى المرة من الشمول، وكساء صغير يشتمل به الإنسان، وهذا بعض حديث رواه الشيخان عن أبى هريرة، رضى الله تعالى عنه، قال: أهدى رجل لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، غلامًا اسمه مدعم، فبينما هو يحط رحل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جاءه سهم عائر، فقتله فقلنا: هنيئًا له الجنة، فقال صلى الله تعالى عليه وسلم: «كلا والذى نفسى بيده إن الشملة التى أخذها يوم خيبر من الغنائم قبل القسمة لتشتعل عليه نارًا»[1].

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٧١١)، والنسائى (٢٤/٧)، والحاكم (٤٠/٣)، والبيهقى فى السنن الكبرى (١٠٠/٩).

ففيه إخبار عن الغيب باعتبار إخباره بسرقته، وبكونه معذبًا، وعائر بعين وراء مهملتين إصابة من غير قصد، من عار الفرس إذا انفلت، وقيل: إنه إشارة لحديث المصابيح، وهو أن رجلاً قفل عليه صلى الله تعالى عليه وسلم، يقال له: كركرة بفتحتين أو كسرتين، فمات فقال صلى الله تعالى عليه وسلم: هو فى النار، فذهبوا ينظرون، فوجدوا عنده عباءة غلها، واقتصر السيوطى، رحمه الله تعالى، على الأول وأنه الذى عناه المصنف، وهو الظاهر، والنووى فى المبهمات على الثانى والبرهان تبعه، والذى أوجب عدول الجلال عنه لفظ الشملة، وفيه تعظيم الغلول فى الغنائم لتعلق حق المسلمين كلهم به، وإذا عرف يرد للإمام أو يتصدق به، وقيل: إنه يحرق، وقيل: إنه مبنى على التعزير بأخذ المال وهو منسوخ، وإذا كان هذا من الكبائر فما حال ولاة الأمور اليوم، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

(وحديث ناقته) أى مما أعلم به صلى الله تعالى عليه وسلم، من المغيبات حديث ناقته الذى رواه البيهقى عن عروة مرسلاً **(حين ضلت)** ناقته وغابت عنه حتى لم يروها، **(وكيف تعلقت)** ناقته **(بالشجرة بخطامها)** بكسر الخاء المعجمة، وهو زمامها ومقودها، وكان صلى الله تعالى عليه وسلم، طلبها لما ضلت فقال رجل من المنافقين: كيف يزعم محمد أنه يعلم الغيب ولا يعلم مكان ناقته ألا يخبره الذى يأتيه بالوحى؟ فأتاه جبريل وأخبره بقول المنافق وبمكان ناقته، فقال صلى الله تعالى عليه وسلم: ما أزعم أنى أعلم الغيب وما أعلمه، ولكن الله تعالى أخبرنى بقول المنافق وبمكان ناقتى، وهى فى الشعب قد تعلق زمامها بشجرة كذا، فخرجوا يسعون قبل الشعب، فوجدوها حيث قال وكما وصف، فجاءوا بها وآمن ذلك المنافق، وهو زيد اللصيب بن اللصيب بفتح اللام وكسر الصاد المهملة، وكان أولاً من اليهود وما ذكرناه من عبارة المتن هو الصحيح كما ذكره السيوطى فى مناهل الصفاء فى تخريج أحاديث الشفاء، ووقع فى بعض النسخ وحيث هى ناقته حين ضلت، وفى أخرى ومن ضلت ناقته حيث هى حين ضلت، وكيف إلى آخره.

فقال بعضهم: هو مجرور عطف على الذى، أو مبنى على الكسر كما جوزه النحاة، وحيث خرجت عن الظرفية معمول لا علم، وناقته مبتدأ وهى مبتدأ ثان خبره محذوف أى موجودة، والجملة فى محل جر بإضافة حيث، وأنت فى غنى عن مثله.

(و) من المغيبات التى أعلم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، أصحابه بها ما رواه الشيخان عن على، كرم الله وجهه، حين أعلم **(بشأن كتاب حاطب)** بن أبى بلتعة الصحابى البدرى المشهور الذى أرسله **(إلى أهل مكة)** لما تجهز النبى صلى الله تعالى عليه

وسلم، لفتح مكة، ولم يعلم أحدًا بتوجهه ومقصده، فكتب حاطب كتابًا إليهم، فيه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، قد توجه إليكم بجيش كالليل يسير كالسيل، وأقسم بالله لو سار إليكم وحده نصره الله عليكم، فإنه منجز له ما وعده، فعليكم الحذر.

فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، لعلى وبعض الصحابة: اذهبوا إلى روضة خاخ، ففيها جارية معها مكتوب، فأتونى به، وكان صلى الله تعالى عليه وسلم، أخفى مسيره فأتوا المحل فوجدوا الجارية، فأنكرت ففتشوها فلم يجدوا معها شيئًا، فهموا بالرجوع، ثم بدا لعلى، رضى الله تعالى عنه، أن خبره صلى الله تعالى عليه وسلم، صدق، فهدد الجارية فأخرجت الكتاب من عقصتها، فلما أتوا به قال عمر، رضى الله تعالى عنه: دعنى أضرب عنقه، فقال صلى الله تعالى عليه وسلم: لا فإن الله اطلع على أهل بدر، وقال: اصنعوا ما شئتم، فاعتذر له حاطب بأن له ثمة أهلاً ومالاً خشى ضياعه، فأراد أن يضع فيهم يدًا يقتضى حفظه، فقبل عذره كما تقدم، والقصة مفصلة فى شروح السير والبخارى، والكتاب كان مع امرأة تسمى أم سارة.

(و) مما أخبر به، صلى الله تعالى عليه وسلم، من المغيبات ما رواه ابن إسحاق والبيهقى والطبرانى حين أعلم **(بقصة عمير)** بالتصغير ابن وهب بن خلف **(مع صفوان)** ابن أمية بن خلف **(حين ساره)** أى أخبر عمير صفوان سرًا فى خفية لم يسمعه أحد، وذلك السر أنه يقتل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، إذ يأتيه بغتة بحيث لم يشعر به أحد، وكان شجاعًا فاتكًا، **(وشارطه على قتل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم)**، أى اشترط عليه ما يعطيه إن فعل ذلك، **(فلما جاء عمير إلى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، قاصدًا لقتله، وأطلعه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، على الأمر والسر)** الذى كان بينهما، لم يطلع عليه غيرهما وهما بمكة **(أسلم)** عمير وحسن إسلامه لما شاهده من المعجزات الباهرة، وحاصل ذلك أن عمير بن وهب جلس مع صفوان بن أمية، وهو ابن عمه فى الحجر بعد بدر، فذكروا أصحاب القليب ومصابهم.

فقال صفوان: والله ليس فى العيش بعدهم خير، فقال عمير: صدقت والله لولا دين على ليس عندى قضاؤه وعيال أخشى ضياعهم لكنت آتى محمدًا حتى أقتله، فإن لى فيهم علة ابنى أسير عنده، فاغتنمها صفوان فقال: على دينك أقضيه وعيالك مع عيالى أواسيهم ما بقوا، فقال: اكتم عنى شأنى ثم شحذ سيفه أى سنه وسمه، وانطلق حتى أتى المدينة وأناخ بباب المسجد متوشحًا بسيفه، فرآه عمر، رضى الله تعالى عنه، فقال: هذا الكلب عدو الله ما جاء إلا لشر، وأخبر به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فقال

له: أدخله على فأقبل عمر، رضى الله تعالى عنه، حتى أخذ بحمالة سيفه لببه بها، ثم أدخله فلما رآه صلى الله تعالى عليه وسلم، قال: أرسله يا عمر ادن منى يا عمير، فدنا فقال: ما جاء بك؟ قال: جئت لهذا الأسير فأحسنوا فيه، قال: فما بال السيف فى عنقك؟ قال: قبحه الله ما أغنى شيئًا، قال: اصدقنى ما الذى جئت له؟ قال: ما جئت إلا لذاك، قال: بل قعدت أنت وصفوان بالحجر، وذكر أصحاب القليب، وقلت: لولا دين على وعيالى خرجت إلى محمد حتى أقتله، فتحمل دينك وعيالك وجئت لتقتلنى، فقال: أشهد أنك رسول الله، وقد كنا نكذبك، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان، فوالله إنى لأعلم أنه ما أتاك به إلا الله، فالحمد لله الذى هدانى للإسلام. وتشهد، فقال صلى الله تعالى عليه وسلم: «فقهوا أخاكم دينه فأقرءوه القرآن، وأطلقوا أسيره، وأما صفوان فهرب خائفًا يوم الفتح، ثم جاء مستأمنًا فأسلم وحسن إسلامه، وكان عمير أبغض الناس لعمر، فلما أسلم كان أحب الناس إليه، وهو من سادات قريش وفصحائها، فتمت سيادته بالإسلام، وله أحاديث فى السنن.

(و) أخبر أيضًا صلى الله تعالى عليه وسلم، فيما رواه أحمد عن ابن عباس والحاكم والبيهقى عن عائشة بسند صحيح **(بالمال الذى تركه عمه العباس)** بمكة **(عند أم الفضل)** لبابة بنت الحارث بن حرب الهلالية زوجته، كنيت باسم ابنها الفضل كما كنى العباس أبو الفضل، وهى من أشراف الصحابة، رضى الله تعالى عنها، يقال: إنها أول امرأة أسلمت بعد خديجة، وكان كتم ماله عندها، وأخفاه حتى عن أولاده كما أشار إليه بقوله: **(بعد أن كتمه)**، فلما أسر ببدر لما خرج مع كفار قريش، وطلب منه الفداء، فقال: لا مال لى، فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم: ما صنع المال الذى وضعته عند أم الفضل؟ **(فقال: ما علمه غير وغيرها فأسلم)**، وقيل له: لم لم تسلم قبل الفداء ليبقى لك مالك الذى افتديت به، فقال: لم أكن لأحرم المؤمنين ما طمعوا فيه من مالى، وقد قيل: إنه أسلم قبله ولكن كان يخفى إسلامه؛ لما فيه من نفع المسلمين من وجوه لا تعد.

وفى بعض النسخ أم الفضيل بالتصغير، وهو خطأ من الناسخ.

وأصل الحديث أنه كانت قريش بعثت بفداء أسراهم، فقال العباس: يا رسول الله إنى كنت مسلمًا، فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: أعلم بإسلامك فإن يكن كما تقول، فالله يجزيك، فأما ظاهر أمرك فقد كان علينا، فافد نفسك وابنى أخيك نوفل بن الحارث وعقيل بن أبى طالب، وحليفك عتبة وأخى بنى الحارث، قال: ما عندى ما يفى بالفداء، قال: ما فعلت بالمال الذى دفنته عند أم الفضل؟ وقلت: إن أصبت فى سفرى فالمال لولدى، فقال: والله يا رسول الله هذا شىء ما علمه غيرى وغيرها، فاحسب لى ما

أصبتم أى فإنه جاء أن العباس خرج لبدر ومعه عشرون أوقية من الذهب؛ ليطعم بها المشركين فأخذت منه فى الحرب، فكلم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، أن يحسب العشرين أوقية من فدائه فأبى، وقال: أما شىء خرجت تستعين به علينا فلا نتركه لك، فقال: ذاك أعطاه الله لنا ففداهم فأنزل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ﴾ [الأنفال: ٧٠] الآية.

ومقتضى قول المصنف فأسلم أنه ما أسلم إلا حينئذ، والذى قالوه أنه أسلم قبل فتح خيبر، وكان يكتم إسلامه، وقال ابن عبد البر: قيل إن إسلامه كان قبل بدر، وكان المسلمون بمكة يتقوون، وكان العباس يكتب لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، أحوال المشركين، وأحب أن يقدم عليه المدينة، فكتب إليه مقامك بمكة خير، ولذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم، يوم بدر: من لقى منكم العباس فلا يقتله فإنه إنما خرج مكرهًا.

(و) مما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم، فيما رواه البيهقى عن عروة وسعيد بن المسيب مرسلاً أنه **(أعلم أنه سيقتل)** بنفسه **(أبى بن خلف)** كما تقدم، فجرحه بعنقه فى أحد فمات بمحل يسمى سرفا، وكان قبل ذلك إذا لقيه بمكة يقول: عندى فرس أعلفها كل يوم لأقتلك عليها، فيقول له صلى الله تعالى عليه وسلم: بل أنا أقتلك إن شاء الله، فلما كان يوم أحد أقبل يقول: أين محمد لانجوت إن نجا، فاعترض دونه جماعة من المسلمين، فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: خلوا سبيله ونظر فرجة من درعه على ترقوته، فطعنه طعنة لم يخرج منها دم، ووقع عن فرسه ورجع إليهم، فقالوا له: ما بك من بأس، فقال: لو بصق على محمد لقتلنى، فقتل قاتله الله فى مرجعه من أحد.

(و) مما أعلم به صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال **(فى عتبة بن أبى لهب: إنه يأكله كلب من كلاب الله)** فأكله الأسد وهو ذاهب إلى الشام، والأسد يسمى كلبًا وهو يشبهه صورة، ولما أضافه لله أفادته الإضافة تعظيمًا، كما قاله الثعالبى فى المضاف والمنسوب، وقد تقدم أن أبا لهب كان له أولاد: معتب، وعتبة، وعتيبة بالتصغير، وأن المصغر هو عقير الأسد والمكبر أسلم وكان من كبار الصحابة، فالصواب أن يقول المصنف، رحمه الله تعالى: عتيبة بالتصغير، إلا أن من علماء الحديث من قال مثل ما قاله المصنف، رحمه الله تعالى، فالاعتراض غير مسلم كما مر، ثم إن المصنف، رحمه الله تعالى، ذكر هذا فى فصل إجابة دعائه، فتكون هذه الجملة دعائية إنشائية، وكلامه هنا يقتضى أنها خبرية أخبر بها عن أمر مغيب، فبين كلاميه تدافع.

والجواب عنه أن كلا منهما محتمل فذكره ثمة باعتبار، وهنا باعتبار، ويؤيده أنه لما

خاف من الأسد قال له رفقاؤه: لم اشتد رعبك؟ قال: إن محمدًا قال لى كذا وهو لا يقول إلا صدقًا، والصدق من خواص الخبر، وقد يقال: إن الدعاء عند من تحقق إجابته خبر معنى.

(و) أخبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، **(عن مصارع أهل بدر)** أى محال قتلهم ووقوعهم على الأرض يعنى من قتل بها من كفار قريش وصناديدهم، فقال قبل وقعتها: هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان مشيرًا إلى محال قتلاهم بها قبل وقوعه، وسماهم أهلها لبقاء جثثهم فيها كما يقال: أهل الدار لمن بها.

(فكان) ما أخبر به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، عن مصارعهم **(كما قال)**، لم يتجاوز أحد منهم موضعه الذى عينه له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وفيه من الإخبار بالغيب ما لا يخفى.

وأصل هذا الحديث كما فى صحيح مسلم وغيره أنه صلى الله تعالى عليه وسلم، قام ببدر قبل قتالهم، وقال: هذا مصرع فلان ووضع يده على الأرض، ثم قال: هذا مصرع فلان ووضع يده عليها، وعدهم واحدًا واحدًا مشيرًا لمصارعهم، فلم يتجاوز أحدهم موضعه فصرعوا كذلك، ثم جروا بأرجلهم وطرحوا فى القليب، ثم جاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، حتى وقف عليهم، وقال: يا فلان ابن فلان يناديهم بأسمائهم واحدًا بعد واحد، هل وجدتم ما وعد ربكم حقًا؟ فقال الصحابة لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: أتكلم أجسادًا لا أرواح لها؟ فقال: والذى نفسى بيده ما أنتم بأسمع منهم لكلامى، ولكنهم لا يستطيعون أن يردوا.

(وقال) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث صحيح رواه الشيخان وغيرهما **(فى الحسن)** بن على بن أبى طالب، رضى الله تعالى عنه، **(إن ابنى هذا)** سماه ابنًا له مجازًا؛ لأنه يطلق على الولد وعلى ولد الولد إطلاقًا مشهورًا حتى صار حقيقة عرفية فيه **(سيد)**: أى شريف رئيس مسود فى قومه؛ لشرف نسبه وذاته وفضله على غيره من جهات، وللسيد إطلاقات ويطلق على الله تعالى وعلى غيره كما تقدم تفصيله، **(وسيصلح الله به)** أى بسببه سيقع الصلح والإصلاح **(بين فئتين)** عظيمتين من المسلمين، والفئة الجماعة من فاء بمعنى رجع، والمراد بهما من كان معه ومن كان مع معاوية، رضى الله تعالى عنهما.

وفى صحيح البخارى عن الحسن عن أبى بكرة قال: رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، على المنبر والحسن إلى جنبه وهو يلتفت إلى الناس مرة، وإليه مرة ويقول:

«إن ابنى هذا سيد، ولعل الله أن يصلح بـه بـين فئتـين مـن المسـلمين»[(١)]، وهـو حديـث صحيح مروى من طرق، وفى رواية: فئتين عظيمتين.

قال ابن عبد البر، رحمه الله تعـالى، فـى الاستيعاب: لمـا قتـل علـى، كـرم الله وجهـه ورضى الله عنه، بايع الحسن أكثر من أربعين ألفًا على الموت، وكانوا أطـوع وأحـب لـه من أبيه، فبقى نحو سبعة أشهر خليفة بالعراق وخراسان وما وراء النهر، ثم سار، رضـى الله عنه، إلى معاوية، وسار معاوية إليه، فلما تراءا الجمعان بناحية الأنبار، علم الحسن أنه سيقع قتال يذهب فيه كثير من المسلمين، فأرسل إلى معاوية يخبره أنه يفـوض الأمـر لـه، بشرط أن لا يطلب أحدًا من أهل المدينة والحجاز والعـراق بشـىء كـان فـى أيـام أبيـه، فأجابه معاوية، رضى الله تعالى عنه، لذلك، وقد طار فرحًا إلا أنه قال: عشـرة أنفـس لا أؤمنهم: قيس بن سعد، فراجعه الحسن، وقال: لا أبايعك وأنـت تطلـب أحـدًا منـهم لا قيس ولا غيره، فأرسل له معاوية، رضى الله عنه، رقا أبيض، وقال: اكتب فيه ما شئت وأنا ألتزمه فاصطلحا على ذلك، وعلى أن الأمر له بعد معاوية فالتزمه كله معاوية، وساء ذلك أكثر الناس حتى كانوا يقولون للحسن: يا ذل المسلمين وعار المؤمنـين، ولمـا سـلم الأمر له قال له: اخطب الناس فحمد الله تعالى وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد فـإن أكيـس الكيس التقى، وإن أعجـز العجـز الفجـور، ألا وإن هـذا الأمـر الـذى اختلفـت فيـه أنـا ومعاوية حق لأمر كان أحق به منى، أو حـق لى تركتـه لمعاويـة إرادة إصـلاح المسـلمين وحقـن دمائـهم، ﴿وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [الأنبيـاء: ١١١]، ثـم استغفر الله ونزل.

(و) مما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم ما رواه الشيخان من قوله **(لسعد)** بن أبـى وقاص، رضى الله تعالى عنه، مالك بن وهيب بـن عبـد منـاف أحـد العشـرة وأصحـاب الشورى، ولتبادره إذا أطلق لم يقيده بما يخرج سعد بن معاذ، رضى الله تعالى عنه، وغيره من سعود الصحابة، فلا اعتراض عليه كما قيل، ولسعد معطوف على قوله فـى الحسـن أى قال لسعد: **(لعلك تخلف)**، وفى نسخة أن تخلف بالمصدرية فى خبرها حملاً لهـا علـى عسى؛ لأنها أختها فى الترجى كما قال:

لعلـك يومًـا أن تلـم ملمـة[(٢)]

---

(١) أخرجـه البخـارى (٣/٢٤٤، ٩/٧١)، وأحمـد (٥/٣٨)، والطـبرانى (٣/٢١)، وابـن عسـاكر (٤/٢٢٦).

(٢) صدر بيت وعجزه:

عليك من اللاتـى يدعنـك أجدعـا

وهو من الطويل، وهو لمتمم بن نويـرة فـى ديوانـه (ص١١٩)، خزانـة الأدب (٥/٣٤٥)، شـرح شواهد المغنى (٢/٥٦٧)، لسان العرب (١١/٤٧٤).

وكان سعد، رضى الله تعالى عنه، مرض بمكة، وكان يكره أن يموت بالأرض التى هاجر منها، فأتاه صلى الله تعالى عليه وسلم، يعوده، فقال: يا رسول الله أوصى بمالى كله، فقال: لا، إلى أن قال: الثلث والثلث كثير إلى آخر الحديث، وهو مشهور، ولم يكن له إلا ابنة وقد طال عمره، فخشى أن يموت ثمة، وذلك فى حجة الوداع، وقوله: تخلف بضم المثناة الفوقية وتشديد اللام: أى تبقى بعد هذا الزمان، فكان كما قال: فإنه عاش بعد ذلك نحو خمسين سنة.

وقوله: **(حتى ينتفع بك أقوام ويستضر بك آخرون)** قال النووى: فى هذا الحديث من المعجزات تحقق ما أخبر به فإنه عاش بعد ذلك زمانًا كما تقدم، ونفع الله به المسلمين لما كان على يديه من الفتوح، وهدى الله به ناسًا أسلموا على يديه وغنموا معه، وضر الله به ناسًا من الكفار جاهدهم وقتل منهم وسبى، وليس المراد بضرره ضرر المسلمين؛ لأن ابنه عمر كان أميرًا على الجيش الذين قتلوا الحسين؛ لأنه لم يرض بذلك ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤، الإسراء: ١٥، فاطر: ١٨، الزمر: ٧].

وقال ابن حبيب: المراد أنه تولى العراق، وأتى بقوم ارتدوا وسجعوا سجع مسيلمة، لعنه الله تعالى، فاستتابهم فتاب بعضهم وانتفع به، وأبى بعضهم فقتلهم، فتضرروا به، وهذا تأويله عند بعضهم، وقيل: الرواية إنما هى يضر بك آخرون، والمصنف أراد باستفعل فعل، وجعل المصنف الترجى إخبارًا؛ لأنه بمعناه، وهو المراد لكن عبر به تأدبًا منه، وقد صرحوا بأن الترجى فى حق الله والرسول والأولياء تحقيق معنى، كما قال ابن الملقن.

(وأخبر) صلى الله تعالى عليه وسلم، فى حديث صحيح رواه البخارى عن أنس **(بقتل أهل مؤتة)** بضم الميم وسكون الواو والهمزة، فإن فيها لغتين كما فى القاموس، وهى اسم موضع بالشام كان فيه غزوة مشهورة، وإضافة أهل للعهد، ولا يجوز أن تكون للاستغراق كما قيل؛ لأنه إنما أخبر بقتل ناس منهم قبل مجيء الخبر له صلى الله تعالى عليه وسلم، بيوم، والذى أتى بالخبر يعلى بن منبه، وكان صلى الله تعالى عليه وسلم، نعاهم لأصحابه، فقال: أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذها جعفر فأصيب، ثم أخذها ابن رواحة فأصيب وعيناه تذرفان، حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله يعنى خالد بن الوليد، ففتح الله تعالى عليهم، فلما أتاه يعلى قال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: إن شئت أخبرنى وإن شئت أخبرتك، فقال: أخبرنى فأخبره ووصفهم له، فقال: والذى بعثك بالحق ما تركت من حديثهم حرفًا واحدًا.

وقوله: **(يوم قتلوا)** متعلق بأخبر **(و)** بينه صلى الله تعالى عليه وسلم، و**(بينهم)** أى

المقتولين بموتة **(مسيرة شهر أو أزيد)** ذكره تحقيقًا؛ لأنه إخبار بالغيب لبعده بحيث لا يمكن مجيء الخبر له صلى الله تعالى عليه وسلم، في يومه، ولذا ورد فى هذا الحديث أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال: «إن الله رفع لى الأرض حتى رأيت معركتهم»(١)، وما قيل: إن المدينة ليس بينها وبين مؤتة هذا المقدار، بل بينهما نحو عشرة مراحل كما يعرفه من سلك طريقها، لكنه لم يعرفه لبعد بلاده، يقتضى أنه قالها من نفسه من غير تثبت فيه، وليس كذلك، فإنه يختلف باختلاف الأحوال كالسير ماشيًا وكسير الجمال فى القافلة بأحمالها، بخلاف الفرسان، ويختلف أيضًا بطول الأيام وقصرها، والأمر فيه سهل.

(وبموت النجاشى) أى أخبر صلى الله تعالى عليه وسلم، بموته كما رواه الشيخان عن أبى هريرة، رضى الله تعالى عنه، **(يوم مات)** متعلق بأخبر، وذلك سنة سبع من الهجرة، وصلى عليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، صلاة الغائب، وبه استدل الشافعى على جوازها، وهو ملك الحبشة، واسمه أصحمة كما تقدم، وهو الذى أرسل إليه مكتوبه خلافًا لابن القيم فى الهدى النبوى(٢) إذ قال: إن الذى كاتبه غيره، فإن كل من ملك الحبشة يقال له: نجاشى بفتح النون وكسرها وتخفيف الياء وتشديدها، **(وهو بأرضه)** جملة حالية، والضمير للنجاشى أى والحال أن النجاشى مات بأرض الحبشة، فهو إخبار عن الغيب، ويحتمل أن يعود للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم، أى والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم، وقت موت النجاشى كان بأرضه أى المدينة، فلا يحتمل أنه رآه عادة، وإن أمكن أن يرفع له حتى رآه كما قاله من لم يقل بالصلاة على الغائب، كما قيل: إنه من خصائصه أيضًا.

(وأخبر) أيضًا صلى الله تعالى عليه وسلم، فى حديث آخر رواه البيهقى **(فيروز)** علم عجمى ممنوع من الصرف، وهو وزير كسرى ملك فارس، ومعناه الفوز والظفر، وفاؤه مفتوحة وقد تكسر، وفيروز ديلمى، والديلم جيل من العجم **(إذ ورد)** أى جاء فيروز وقدم **(عليه)** أى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، **(رسولا من كسرى بموت كسرى ذلك اليوم)** بنصبه على الظرفية أى يوم ورد عليه، أو يوم مات كسرى، **(فلما تحقق فيروز القصة)** التى قصها عليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وأخبره بموت كسرى الذى هو رسوله، **(أسلم)** فآمن برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وفاز فوزًا عظيمًا، وقصته رويت من طرق، وحاصلها أنه صلى الله تعالى عليه وسلم، كتب لكسرى مكتوبًا فيه:

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تهذيب تاريخ دمشق (٩٧/١)، وابن كثير فى البداية والنهاية (٢٤٧/٤).

(٢) يقصد كتاب «زاد المعاد فى هدى خير العباد».

بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس:

سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأدعوك بداعية الله عز وجل، فإني رسول الله إلى الناس كافة، لأنذر من كان حيا، ويحق القول على الكافرين، فأسلم تسلم.... إلى آخره، فلما قرأ كتابه مزقه فمزق الله ملكه، وكتب إلى باذان عامله على اليمن: أن ابعث إليه رجلين جلدين يأتيانه، فبعث قهرمانه بانونة، ومعه آخر من الفرس، ومعهما مكتوب يأمره فيه بالانصراف معهما، فلما أتياه قال: ائتياني غدًا، فلما أتياه قال لهما: إن الله سلط على كسرى ابنه شهرويه، فقتله في وقت كذا، فأخبر باذان بما قاله صلى الله تعالى عليه وسلم، فقال: لننظرن ما قال فإن تحقق، فهو نبى مرسل، فلم يلبث أن قدم عليه مكتوب شهرويه بما وقع، فأسلم وأسلم معه أبناء فارس باليمن، وحسن إسلامهم، ووزير كسرى هذا اسمه أبرويز، وهذا ما ذكره المؤرخون وأصحاب السير، وأما ما ذكره المصنف، رحمه الله تعالى، فلم يشتهر، و لم يقل أحد أن من الصحابة من اسمه فيروز، لكن السيوطى نقله عن دلائل النبوة للبيهقى، فقيل: إنه ليس فيها ذلك، وفى الاستيعاب أن فيروز الديلمى وفد على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وأنه الذى قتل الأسود العنسى، وكذلك ذكر قضية فيروز على الوجه الذى ذكره المصنف، رحمه الله تعالى، الماوردى فى أعلام النبوة وأطال فيها.

(وأخبر) صلى الله تعالى عليه وسلم، **(أبا ذر)** الغفارى كما رواه أحمد فى مسنده **(بتطريده)** أى بنفيه من المدينة، وقد ذكر الحريرى فى الدرة: الفرق بين طرده وأطرده وطرَّده المشدد، وأنه إنما يقال فى النفى إلا مشددًا كقول أبى سفيان:

وأنت الذى طردتنى كل مطرد

وطرده وأطرده بمعنى نحاه، وكثير من أهل اللغة لم يقولوه **(كما كان)** أى وقع ما أخبر به، صلى الله تعالى عليه وسلم، بعينه **(ووجده)** أى وجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، أبا ذر **(فى المسجد)** أى مسجده بالمدينة **(نائمًا، فقال له)** رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: **(كيف بك إذا أخرجت منه؟)** أى من هذا المسجد، وكيف استفهام عن الحال، والظاهر أنه ليس على حقيقته هنا، فإنه صلى الله تعالى عليه وسلم علم ما سيجرى عليه، وإنما مراده إخباره بحاله وما يكون له لقوله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: ١٧]، والمعنى كيف ظنى أو علمى بك فى هذه الحالة؟ **(قال: أسكن المسجد الحرام)** يعنى مكة المشرفة، **(قال: فإذا أخرجت منه .... الحديث)** أى اقرأ الحديث أو اذكر الحديث الذى رواه أحمد، ومعناه أنه كان يخدم رسول الله صلى الله تعالى عليه

وسلم، وينام فى المسجد، وليس له مأوى غيره، فخرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، ليلة، فرآه نائمًا فقال له: أراك نائمًا، فقال: أين أنام وهل لى بيت غيره؟ فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم: كيف بك إذا أخرجوك منه؟ قال: ألحق بالمسجد الحرام، فقال له: كيف بك إذا أخرجوك منه؟ قال: ألحق بالشام أرض الهجرة والمحشر وأرض الأنبياء، فأكون رجلاً من أهلها، قال: فإذا أخرجوك من الشام؟ قال: أرجع إليه فيكون منزلى، قال: فكيف بك إذا أخرجوك منه الثانية؟ قال: آخذ سيفى وأقاتل حتى أموت، فوكزه صلى الله تعالى عليه وسلم، بيده، وقال: خير لك منه أن تنقاد حيث قادوك حتى تلقانى وأنت على ذلك.

وأما تطريده، رضى الله تعالى عنه، فرواه بعض الشيعة على وجه منكر أسندوا فيه لعثمان، رضى الله عنه، ما لا أصل له، والصحيح ما رواه قتادة من أنه صلى الله تعالى عليه وسلم، قال لأبى ذر: إذا رأيت المدينة بلغ بناؤها سلع، فاخرج منها وأشار إلى جهة الشام، فلما زاد بناؤها ذهب إلى الشام، ثم إنه رضى الله عنه، أنكر على معاوية بعض أموره، فشكاه لعثمان، فكتب إليه أقبل إلينا فنحن أرعى لحقك، فقدم عليه، ثم استأذنه فى الخروج إلى الربذة، فأذن له فأقام بها إلى أن مات، والذى قيل: إن عثمان أمر بإزعاجه بعنف، فلما وصل إليه قال له: ما حملك على ما صدر منك؟ قال: أشهد أن رسول الله قال: إذا بلغ بنو العاص ثلاثين رجلاً جعلوا مال الله دولا وعباد الله خولا، ودين الله دغلاً، ثم يريح الله العباد منهم، فقال له: اخرج من هذه البلدة، فخرج منها، قال أكثرهم: لا أصل له.

(وبعيشه وحده) أى أخبره رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، بأنه يعيش بعد خروجه من المدينة ثانيًا وحده معتزلاً عن الناس، وفى نسخة عيشة بالتاء، **(وموته وحده)**، فكان كما قال؛ لأن البيهقى روى أن أم أبى ذر لما حضرته الوفاة بكت، فقال لها: ما يبكيك؟ فقالت: ما لى لا أبكى وأنت تموت بفلاة، وليس عندنا كفن، فقال: لا تبكى فإن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، قال لنفر كنت فيهم: «ليموتن أحدكم بفلاة يشهده عصابة من المسلمين»(١)، وأنا ذلك الرجل فأبصرى الطريق، فخرجت فإذا برجال على رحالهم، فأخبرتهم بذلك فدخلوا عليه، فقال: أنشدكم الله أن يكفننى منكم من لم يكن نقيبًا ولا أميرًا، فقال غلام منهم: أنا أكفنك يا عم فى ردائى وثوبين فى عيبتى من غزل أمى، قال: فكفنى، فلما مات كفنوه وصلوا عليه ودفنوه.

---

(١) أخرجه أحمد (٥/١٥٥)، والحاكم (٣/٣٤٥)، وابن حبان (٢٢٦٠)، وابن سعد (١٧١/١/٤)، والبيهقى فى دلائل النبوة (٦/٤٠١، ٤٠٢).

(وأخبر) صلى الله تعالى عليه وسلم، فيما رواه مسلم **(أن أسرع أزواجه به لحوقًا)** أى أول من يموت من أمهات المؤمنين بعده **(أطولهن يدا)** لم يقل طولاهن بالتأنيث؛ لأن اسم التفضيل المضاف يجوز فيه المطابقة وعدمها، وهذا يحتمل أن يكون من الطول بالضم ضد القصر، ومن الطول بالفتح وهو الجود والإنعام، ولاحتمال المعنيين قيل: إن أزواجه، صلى الله تعالى عليه وسلم، بعده كن يقسن أذرعتهن لينظرن للأطول منها، فلما ماتت زينب، رضى الله تعالى عنها، علمن أن المراد الثانى، فإن كان من الأول كان استعارة، ويدًا ترشيح للاستعارة مع ما فيه من التورية؛ لأن اليد بمعنى النعمة.

(فكانت) أى أطولهن يدًا وأسرعهن لحوقًا به، صلى الله تعالى عليه وسلم، فاسمها ضمير عائد على ما ذكره، وقوله: **(زينب)** بالنصب خبرها، وهى زينب بنت جحش أم المؤمنين، رضى الله تعالى عنها، **(لطول يدها بالصدقة)** بيان للمراد كما تقدم، وتوفيت، رضى الله تعالى عنها، سنة عشرين أو إحدى وعشرين، وليس المراد بذلك زينب بنت جزيلة التى كانت تدعى أم المساكين.

والحديث عن عائشة من طرق قالت: قلن: أيتنا أسرع لحوقًا بك؟ قال: «أطولكن يدًا»، فأخذن يتذارعن، وفى رواية: أخذن قصبة يذرعن بها أى يقسن أذرعتهن لظنهن أن المراد الحقيقة، فلما توفيت زينب علمن المراد؛ لأنها كانت أكثرهن صدقة، وكانت تعمل بيدها وتتصدق.

وما فى البخارى عن عائشة، رضى الله تعالى عنها، أنه اجتمع زوجاته، صلى الله تعالى عليه وسلم، عنده، فقلن له: أيتنا أسرع لحوقًا بك؟ قال: «أطولكن يدًا»[(١)]، فكانت سودة بنت زمعة، فتوفى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فكانت أسرعنا لحوقًا به، فعرفنا أن طول يدها الصدقة، وكانت تحب الصدقة، مشكل لمخالفته لما رواه مسلم من إنها زينب، وهو الذى صححوه، وفيه اضطراب أيضًا؛ لأن أوله يقتضى أن المراد الطول الحقيقى، وما بعده يدل على خلافه، ولذا قال الكرمانى: إن فيه تلفيقًا وحذفًا، و لم يلتفت لإيهامه خلاف المراد اعتمادًا على شهرة القصة، وهو غاية ما يقال فيه.

قيل: وهو مجاز مرسل بعلاقة مجاورة الصدقة لليد، أو شبهت الصدقة باليد فهو استعارة مصرحة، والطول ترشيح، والقرينة أن عظم الأبدان لا يقتضى حوز هذه الفضيلة، فلا يرد أنه إن لم يكن فيه قرينة لم يصح المجاز، وإن كان كيف يفهمن خلاف المراد حين تذارعن، وهن من أهل اللسان.

---

(١) أخرجه البخارى (٢/١٣٧)، وأحمد (٦/١٢١)، والنسائى (٥/٦٧).

أقول: التحقيق أنه استعارة تمثيلية بأن يشبه كثرة الإحسان والتصدق وإيصال البر، ومن أوصله بشخص له طول فى يديه يصل به إليه غيره إذا مدهما أو هو مجاز مرسل باستعمال طول اليد فى لازمه، وهو إيصال الإنعام، أو اليد استعارة مصرحة، والطول ترشيح، ويحتمل أنه كناية.

(وأخبر) صلى الله تعالى عليه وسلم، فيما رواه البيهقى من طرق **(بقتل الحسين)** بن على بن أبى طالب، رضى الله تعالى عنهما، **(بالطف)** بفتح الطاء المشددة المهملة وتشديد الفاء، وهو مكان بناحية الكوفة.

(وأخرج) صلى الله تعالى عليه وسلم، **(بيده تربة)** أى مقدار ملء كف من تراب أراه لبعض أصحابه وأهل بيته، **(وقال)** إذ أخرجها: **(فيها)**: أى فى أرض هذا التراب منها، وفيها يموت ويقتل **(مضجعه)**: أى مصرعه إذ يقتل، وجيمه مفتوحة وتكسر، والأول أقيس وأفصح، وفى التعبير به إيماء إلى أنه، رضى الله تعالى عنه، حى شهيد لأن أصله محل يضطجع فيه النائم.

وأصل الحديث عن عائشة، رضى الله تعالى عنها، أن جبريل كان عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فدخل عليه الحسين، فقال جبريل: من هذا؟ قال: ابنى، فقال: ستقتله أمتك، فإن شئت أخبرتك بالأرض التى يقتل فيها، وأشار جبريل بيده إلى الطف من أرض العراق، وأخذ تربة حمراء فأراه إياها، ولا ينافى ذلك ما جاء أنه يقتل بكربلاء؛ لأن كربلاء اسم الموضع، والطف ناحية تشتمل عليه، وكان قتله فى عاشوراء، وقتل معه جماعة من أهل البيت، وقيل: إن هذه التربة كانت عندهم، وإنها فى يوم قتله يظهر عليه دم، واختلف فيمن باشر قتله قاتله الله وأخزاه، وجعل سجين مأواه، ولابن العربى هنا مقالة أظنه برىء منها.

(وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم، فى حديث رواه ابن عدى والبيهقى مسندًا **(فى زيد بن صوحان)** بضم الصاد المهملة وواو ساكنة وحاء مهملة وألف ونون، وهو زيد ابن صوحان بن حجر بن الحارث العبدى أخو صعصعة، وله وفادة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، وقيل: إنه تابعى.

وقال الذهبى ومن خطه نقلت: كان زيد بن صوحان مؤاخيًا لسلمان حتى يكثر: يا سلمان؛ لحبه له، وكان زاهدًا عابدًا ذكر له مناقب كثيرة وعده من الصحابة، وصوحان معناه اليابس، يقال: صوح النبت إذا صار هشيمًا **(يسبقه عضو)** من أعضائه **(إلى الجنة)** أى يدخل الجنة قبله؛ لأنه قطع فى سبيل الله قبل موته، ومعنى السبق إما تقدمه حقيقة، ولا مانع من أن يحفظها الله فى الجنة، فإذا استشهد وصلها ببقية أعضائه فى الجنة، **وأمور**

الآخرة لا تقاس على أمور الدنيا، ويجوز أن يراد أن يده تقطع فى سبيل الله أولاً، ثم يستشهد بعد ذلك، فكنى عنه بما ذكره.

ولفظ الحديث: «من سره أن ينظر إلى رجل يسبقه بعض أعضائه إلى الجنة، فلينظر إلى زيد بن صوحان»[1]، وفى سنده هذيل بن بلال وهو ضعيف، **(فقطعت يده)** الشمال كما رواه الذهبى **(فى الجهاد)** لم يعينه للخلاف فيه، فقيل: إنه كان يوم نهاوند، وقيل: فى قتال المشركين.

وقد روى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم، شهد لثلاثة من التابعين بالجنة أويس القرنى وزيد بن صوحان وجندب الخير، وقتل مع على، رضى الله تعالى عنه، فى وقعة الجمل، وعلى هذا فإخباره عن المغيب أقوى وأبلغ فى اطلاعه على أمره قبل خلقه.

(وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم، فى حديث رواه مسلم وغيره **(فى الذين كانوا معه)** أى حاضرين معه، وهم **(على حراء)** اسم جبل معروف بقرب مكة بنحو ثلاثة أميال يمد ويقصر ويذكر ويؤنث، فيجوز صرفه وعدم صرفه كما تقدم، فتحرك وهم عليه، فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم: **(اثبت)** أى لا تتحرك وترجف وتتزلزل.

ولفظه كما فى صحيح مسلم: أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، كان على حراء هو وأبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلى، وطلحة، والزبير، فتحرك بهم، فقال: «اهدأ فما عليك إلا نبى أو صديق أو شهيد»[2]، وزاد بعضهم سعدًا وأورده بعضهم مكان على.

والمصنف رواه **(إنما عليك نبى وصديق وشهيد)**، والمعنى واحد، والنبى معناه المراد به ظاهر، وكذا الشهيد، وتفصيله وقد وقع الترتيب فى الحديث على وفق ما فى القرآن، والصديق فعيل صيغة مبالغة من الصدق ضد الكذب، ولهم فى تفسيره أقوال:

فقال ابن المظفر: إنه من صدق بأمر الله تعالى وبرسله، بحيث لا يخالجه شك فى شىء.

وقال الكلبى، رحمه الله تعالى: الصديقون أفاضل الصحابة، واختاره البغوى.

وقيل: من صدق بالأنبياء حين عاينهم.

واختار الرازى أنهم أول من صدق الرسل، ويؤيده قوله صلى الله تعالى عليه وسلم: ما عرضت الإسلام على أحد إلا وله كبوة، إلا أبو بكر، فله رضى الله تعالى عنه، مزية

(١) أخرجه الحاكم (٣٤٧/١)، والبيهقى فى دلائل النبوة (٤١٦/٦)، وأبو نعيم فى الحلية (٨٨/١)، وابن عدى فى الكامل (٢٥٨٣/٧).

(٢) تقدم تخريجه.

بأنه صار قدوة لغيره، ولذا أجمعوا على تسليم هذا اللقب له، ومرتبة الصديقية تلى مرتبة النبوة، وقد أفرد ذلك بالتأليف الكمال ابن الزملكانى.

(فقتل على وعمر وعثمان) فقتل عليًا، كرم الله تعالى وجهه، عبدُ الرحمن بن ملجم من الخوارج، وقصته مشهورة، وقتل عمر، رضى الله تعالى عنه، أبو لؤلؤة غلام المغيرة ابن شعبة، وكان عمر، رضى الله تعالى عنه، لا يأذن لمحتلم من المشركين أن يدخل المدينة، فاستأذنه المغيرة فى غلامه هذا؛ لأنه كان نجارًا، وله صنائع ينتفع بها الناس، فأذن له فى دخوله فضرب عليه سيده فى كل شهر مائة درهم، فشكى ذلك لعمر، فسأله عن صنعته فأخبره، فقال: ما خراجك بكثير فغاظه ذلك، وأضمر قتله فضربه بخنجره وهو يصلى، فاستشهد، وعثمان استشهد يوم الدار فى قصته المشهورة.

(وطلحة والزبير) أما طلحة بن عبد الله فقتل يوم الجمل وهو محارب لعلى، وقيل كما مر أنه ذكره ووعظه فاعتزل حربه، ثم أصابه سهم فمات منه، وأما الزبير، رضى الله تعالى عنه، فرجع عن قتال على بعد تذكيره له بما مر، فقتله أبو جرموز نائمًا بوادى السباع كما تقدم.

(وَطُعِنَ) بالبناء للمجهول **(سعد)** بن أبى وقاص سنة خمس أو أربع وخمسين، وهو آخر من مات من العشرة المبشرة بالجنة، وقيل: مات سنة ست وقيل: سبع وخمسين، وقيل: سنة ثمان، وقيل: سنة اثنان وثمانون، وطعن بمعنى أصيب بالطاعون وهو من أقسام الشهادة أيضًا، وإن لم يكن مثل غيره من كل وجه، ولذا أخره المصنف، وقول بعضهم: إنه لم تنله الشهادة غير مناسب هنا، إلا أنه يدخله فى الصديقين.

(وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم، فى حديث رواه البيهقى **(لسراقة)** بضم السين وفتح الراء المهملتين مخففة وقاف، وهو سراقة بن مالك بن جعشم بن مالك بن عمرو أبو سفيان الكنانى المدلجى، سكن مكة، وهو الذى خرج فى طلب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، فساخت به فرسه فى القصة المشهورة، ويأتى فى كلام المصنف، رحمه الله تعالى، الإشارة لبعضها، ثم أسلم وتوفى سنة أربع وعشرين، وقيل: مات بعد عثمان، وفى الصحابة من اسمه سراقة غيره، وفى هذا الإخبار عن الغيب، وخص سراقة لأنه أعرابى من البادية، ولبس مثله لما يلبسه المترفهون من ملوك العجم آية عظيمة من آيات النبوة وعز الدين.

(كيف بك) كيف جواب عما أبهم من الأحوال، وهو استخبار يتضمن التعجب من حاله التى هو عليها؛ لأن كل أحد لا ينفك عن حال من الأحوال إذا طرأ عليه ما لم يعهد مثله، ونال ما لم ينله أمثاله، فكنى بما ذكر، وفيه من البلاغة ما لا يخفى.

(إذا لبست) أى وضعت فى يديك وساعديك، ومثله يسمى لبسًا، وإن كان المعروف إطلاقه على ما يعم البدن من الثياب والحلل **(سوارى)** مثنى سوار بضم السين وكسرها، ويقال: أسوار بضم الهمزة وكسرها أيضًا، وهذا مما كان يتزين بـه العجـم والملـوك، وإن كان الآن مختصًا بالنساء عند العرب، وبعد الإسلام حتى يعاب على غـيرهن **(كسـرى)** تقدم أنه كل من ملك العجم، ويخص ببعضهم وهو كسرى الـذى أدرك عـهد الإسـلام كما تقدم، وأن كافة مكسورة وتفتح وهو معرب خسرو ومعناه واسع الملك، **(فلما أتى بهما)** أى بسوارى كسرى **(لعمر)** ضمن أتى بصيغة المجهول معنى أوصل، فعدى بـاللام وفى نسخة عمر بدونها **(ألبسهما إياه)**: أى سراقة، تحقيقًا لما أخـبر بـه، صلـى الله تعـالى عليه وسلم، ويجوز ألبسه إياهما، وقيل: وهو الأولى.

(وقال) عمر، رضى الله تعالى عنه، **(الحمد لله)** حمـد الله علـى تصديـق كلمـة النبـوة، وإعزاز دينه وزوال شوكة أعدائه، وما فتح الله على يديه.

(الذى سلبهما) من يدى **(كسرى، وألبسهما سراقة)**، وهو بدوى أعرابـى متقشـف، هو من آحاد أمته، صلى الله تعالى عليه وسلم، وأصل الحديث كما فى دلائل النبوة عـن الحسن أن عمر، رضى الله تعالى عنه، لما أتى بسوارى كسرى بن هرمز وضعتا بين يديه، وفى القوم سراقة وضعهما فى يديه، فبلغا منكبيه، فقال: الحمد لله الذى جعـل سـوارى كسرى بن هرمز فى يدى سراقة بن مالك، ثم قال له: قل: الله أكـبر، الله أكـبر، وحمـد الله لما من به من نعمة الفتح وإعزاز الدين، وكبر تعظيمًا لمالك الملك الـذى يؤتـى ملكـه من يشاء، وينزعه ممن يشاء، فتبارك الذى بيده الملك الذى قصم من نازعه رداء كبريائه، فلا سلطان إلا سلطانه، ولا عز لغير من أعزه، وليس فى هـذا استعمال للذهـب ولبـس الرجال له، وهو من المحرمات؛ لأنه لا يفعله إلا تحقيقًا وتصديقًا لقول رسوله، صلـى الله تعالى عليه وسلم، من غير أن يقرهما، ومثله لا يعد استعمالا، فلا حاجة لما قيل: إن فيـه مصلحة ومفسدة ارتكبت المفسدة فيه لأجل المصلحة، وهى تحقيق المعجزة فإنه لا محصل له.

(وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم، فى جملة إخباره عن المغيبات فى حديث رواه أبو نعيم فى الدلائل والخطيـب فـى تاريخـه: **(تبنـى)** بالبنـاء للمجـهول، والبـانى أبـو جعفـر الدوانيقى ثانى خلفاء بنى العباس **(مدينة)** هى البلدة العظيمة، مـن التمـدن وهـو التعيـش والسكنى الكثيرة، وتكون أكبر من البلدة والقرية **(بين دجلـة)** بـدال مهملـة مفتوحـة أو مكسورة، من دجله إذا غطاه، ومنه الدجال لخفاء أمره بتخليطه فـى أمـوره، وهـو علـم لنهر مشهور بالعراق، ولا يجوز دخول الألف واللام عليه؛ لأنه علـم مرتجـل، **(ودجيـل)**

مصغر علم نهر بالأهواز حفره أزدشير بن بابك، أول ملوك بنى ساسان بالمدائن، عليه قرى كثيرة، ومخرجه من أصبهان.

وقيل: إنه خليج متشعب من دجلة، **(وقطربل)** بضم القاف وسكون الطاء المهملة وضم الراء المهملة وضم الباء الموحدة المشددة وقد تخفف وتشدد اللام، وهو موضع بالعراق تنسب إليه الخمر.

(والصراة) بفتح الصاد المشددة والراء المخففة المهملتين، ثم ألف وهاء، وهو نهر بالعراق أيضًا مشهور، وهو الأصح المعروف، وفى بعض النسخ والهراة بهاء بدل الصاد، وهى بلدة بالعجم، وقد ضرب عليه وصحح الصراة وهو المعتمد **(تجبى إليها)** أى يجمع مال غيرها من البلاد إلى تلك المدينة، وهو عبارة عن أنها دار الخلافة العظمى وكرسى الملك، يقال: جبى الخراج والمال إذا جمعه للسلطان بأمره.

(خزائن الأرض): أى ما كان مخزونًا فى غيرها من البلاد بيد أهاليها **(يخسف بها)** أى يخسف الله أرضها ودورها بأهلها، وقد وقع ما أخبر به، صلى الله تعالى عليه وسلم، من بنائها فى الدولة العباسية وجباية الأموال إليها، وبقى أمر الخسف، وسيظهر كما أخبر به، صلى الله تعالى عليه وسلم، وقد ذكره الذهبى فى ميزانه فى ترجمة عمار بن سيف الضبى الكوفى راوى هذا الحديث، وقال: إنه منكر جدًا والله أعلم بأمره.

(يعنى بغداد) اسم المدينة المشهورة، وتسمى دار السلام، وهو اسم أعجمى عرب، وفيه لغات تقدم الكلام عليها.

(وقال) صلى الله عليه وسلم، فى حديث رواه الإمام أحمد، والبيهقى عن سعيد بن المسيب مرسلاً، وحسنه قال: ولد لأخى أم سلمة من أمها غلام سموه الوليد، فقال صلى الله تعالى عليه وسلم: «لا تسموا بأسماء فراعنتكم، فسموه عبد الله»، فإنه **(سيكون فى هذه الأمة رجل يقال له: الوليد، هو شر لأمتى من فرعون لقومه)**.

قال الأوزاعى: كانوا يرون أنه الوليد بن عبد الملك ثم رأوا أنه ابن أخيه الوليد بن يزيد بن عبد الملك الجبار الذى كان مفتاح أبواب الفتن على هذه الأمة، وكان ماجنا سفيها مدمنًا للخمر، نسب إليه ما يقتضى الكفر، قيل: ويجوز أن يراد كلاهما لخبثهما وعتوهما، إلا أن الثانى أشقاهما، وفى هذا معنى حسن، وهو أن فرعون مصر الكافر كان اسمه الوليد، كما أشار إليه فى الحديث.

وقال ابن الجوزى: إن هذا الحديث موضوع، فكأنه ثبت عند المصنف، رحمه الله تعالى، فإن موضوعات ابن الجوزى مدخولة تكلم فى كثير منها، وصحح فى الشرح الجديد أن المراد إنما هو الثانى المعروف بالفاسق، بويع بالخلافة بعد هشام بن عبد الملك

لست خلون من ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة، وأظهر من فسقه وولعه بالملاهى وتهاونه بالدين أمورًا شنيعة لا حاجة لنا بها، ولذا جعله صلى الله تعالى عليه وسلم، شرًا من فرعون موسى مع الاتفاق على كفره؛ لأنه كان فى زمان الكفر، وهذا كان والإسلام غض طرى.

(وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم، فى حديث رواه الشيخان: **(لا تقوم الساعة)** أى لا يأتى زمانها ويقرب أوانها، **(حتى تقتتل فئتان)** أى طائفتان وجيشان من هذه الأمة المسلمة، **(دعواهما)** فى اعتقادهما ودينهما **(واحدة)**، وهى الإسلام والدين الحق، وقد وقع هذا فى صفين فى وقعة على ومعاوية، رضى الله تعالى عنهما، ثم سرى ذلك لكثير بعد ذلك، فكم وقع بين المسلمين من الحروب والوقائع التى لا تحصى، إلا أن الوقعة الأولى أول ما دهم أهل الإسلام من الأمور المنكرة التى كانت ثلمة فى الدين.

(وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم، فى حديث رواه البيهقى، والحاكم عن الحسن ابن محمد مرسلاً **(لعمر)** بن الخطاب، رضى الله تعالى عنه، **(فى سهيل بن عمرو)** بن عبد شمس بن عبد ود أبو يزيد العامر القرشى أحد خطباء قريش، أسلم يوم الفتح واستشهد باليرموك، وقيل: توفى بالشام سنة ثمان عشرة.

وقال الواقدى: توفى سنة تسع عشرة فى طاعون عمواس، وكان يقوم خطيبًا يحرض المشركين على قتال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، فلما أسر يوم بدر قال عمر: يا رسول الله إنه رجل مفوه، فدعنى أنتزع ثنيته السفليتين، فلا يقوم خطيبًا عليك بعد اليوم؛ لأنه كان أعلم السفلى أى مشقوقها، فإذا انتزعت ثنيتاه السفليتان يندلع لسانه، فلا يطيق الكلام، وهذا من عمر، رضى الله تعالى عنه، أمر بديع، فقال صلى الله تعالى عليه وسلم، لعمر: دعه **(عسى أن يقوم مقامًا)** أى يقوم خطيبًا فى مقام ينفع بخطبته، ويأتى بما يمحو مقاماته الأول.

وقد مر أن عسى من الله ومن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تحقيق **(يسرك يا عمر، فكان كذلك)**: أى وقع ما قاله صلى الله تعالى عليه وسلم، وتحقق ما أخبر به من المغيبات، فسره وسر المسلمين مقامه لما **(قام بمكة مقام أبى بكر)** الصديق، رضى الله تعالى عنه، أى مثل مقامه بالمدينة، وخطب بخطبة مثل خطبته **(يوم بلغهم)**: أى بلغ المسلمين بمكة **(موت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، وخطبهم)** فى مقامه بمكة **(بنحو خطبته)**: أى بخطبة مثل خطبة أبى بكر بالمدينة لفظًا ومعنى، ثم بين المماثلة بقوله: **(وثبتهم)** أى ثبت المسلمين على دينهم، **(وقوى بصائرهم)** بإعلامهم أن رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، بشر وكل نفس ذائقة الموت، فقال: من كان محمد إلهه فإن محمدًا قد مات،

والله حى لا يموت، وأبو بكر، رضى الله تعالى عنه، قال: من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت، فتواردا على معنى واحد فى مقام غفل فيه كثير من كبار الصحابة دهشة من هذه المصيبة العظيمة.

(وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم، كما رواه بن إسحاق والبيهقى، **(لخالد)** بن الوليد **(حين وجهه)**: أى أرسله، صلى الله تعالى عليه وسلم، متوجهًا **(لأكيدر)** بضم الهمزة وكاف مفتوحة ومثناة تحتية ساكنة ودال مكسورة وراء مهملتين كمصغر أكدر، ويقال له: أكيدر دومة بضم الدال المهملة، وقد تفتح ويقال لها: دومة الجندل، ويقال: دوماء بالمد، وهى إيلياء وهو موضع بين مكة وبرك الغامة، أو بين الحجاز والشام، سميت بدومان بن إسماعيل؛ لأنه كان ينزلها.

(إنك تجده) أى تصادف أكيدر **(يصيد البقر)** أى بقر الوحش؛ لأنها التى تصاد، وكان صلى الله تعالى عليه وسلم، بعثه فى أربعمائة وعشرين فارسا إلى أكيدر بن عبد الملك بن عبد الحق بن أعياء بن الحارث بن معاوية الكندى، كما قاله الخطيب والماوردى، وفى مختصر الشافعى أنه من كندة أو غسان، وكان نصرانيًا قد ملك دومة وأهلها، فأتاه خالد، رضى الله تعالى عنه، فى ليلة مقمرة، فوجده يصطاد الوحش هو وأخوه حسان، فشدوا عليه فاستأسر أكيدر، وقاتل أخوه حتى قتل، فقدم به على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، فصالحه على الجزية، وحقن دمه وخلى سبيله، فمات نصرانيًا.

وقال البلاذرى: إنه عاد إلى دومة، فلما توفى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، نقض العهد، فحاصره خالد وقتله مشركًا نصرانيًا، وقيل: إنه أسلم وأهدى للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم، حلة سيراء، فوهبها لعمر، وعده ابن منده وأبو نعيم فى الصحابة، وقال ابن الأثير: إن الهدية صحيحة، وأما إسلامه فغلط باتفاق أهل السير، وقيل: إنه أسلم ثم ارتد بعده صلى الله تعالى عليه وسلم، وعلى هذا لا يعد فى الصحابة أيضًا.

(فوجدت) بالبناء للمجهول **(هذه الأمور)** المذكورة فى هذا الفصل **(كلها فى حياته)** بعد ما أخبر بها، **(و)** وجد بعضها **(بعد موته كما قاله صلى الله تعالى عليه وسلم)**، أى مطابقة لخبره، ومماثلة له منتهية أو مضمومة **(إلى ما أخبر به جلساءه)** من الصحابة **(من أسرارهم)** أى ما أسروه وأخفوه **(وبواطنهم)** أى أمورهم المخفية وقلوبهم، وهو بيان لما أخبر به.

(واطلع عليه) عطف على ما أخبر به **(من أسرار المنافقين)** أى ما أسروه فى أنفسهم، ولم يخبروا به أحدًا منهم، ولا من غيرهم، أو ما كانوا يقولونه سرًا بينهم بحيث لا يقف

عليه المؤمنون، **(وكفرهم)** المضمر فى قلوبهم مع إظهارهم الإيمان **(وقولهم فيه)** أى فى حق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم.

(وفى المؤمنين) وهو معطوف على أسرار المنافقين عطف تفسير، كقول رأسهم ابن أبىٍّ لهم وقد استقبله الصحابة: انظروا كيف أرد هؤلاء السفهاء عنكم، فأخذ بيد أبى بكر، وقال له: مرحبًا بسيد تيم وشيخ الإسلام وثانى اثنين فى الغار وباذل نفسه وماله لرسول الله، ثم أخذ بيد عمر فقال له: مرحبًا بسيد بنى عدى الفاروق فى دين الله، ثم أخذ بيد على فقال: مرحبًا بابن عم رسول الله وختنه سيد بنى هاشم ما خلا رسول الله افترقوا، فقال لأصحابه: كيف رأيتمونى فعلت فأثنوا عليه.

(حتى إن) بكسر الهمزة وسكون النون المخففة من الثقيلة، واسمها ضمير شأن مقدر **(كان بعضهم)** أى بعض المنافقين **(يقول)**، وفى نسخة ليقول **(لصاحبه)** أى من هو معه منهم إذا أراد أن يتكلم بشىء فى حقه صلى الله تعالى عليه وسلم، سرًا معه: **(اسكت)** ولا تنطق بشىء من أمره، ثم بين وجه أمره بالسكوت مقسما عليه ليحقق ما قاله، فقال: **(فوالله لو لم يكن عنده من يخبره)** بما يقوله فى شأنه من ملك أو جن يبلغه ما يقال فيه.

(لأخبرته حجارة البطحاء)، وهى أرض مستوية يسيل فيها الماء، والمراد بحجارتها ما فيها من الحصباء، يعنى أن الحجارة تعلمه بما غاب عنه، وهذا إشارة أيضًا لما وقع له، صلى الله تعالى عليه وسلم، لما فتح مكة وأمر بلالاً، رضى الله تعالى عنه، بأن يعلو ظهر الكعبة ويؤذن عليها، وأبو سفيان بن حرب، وعتاب بن أسيد، والحارث بن هشام جلوس بفناء الكعبة، فقال عتاب: لقد أكرم الله أسيدًا إذ لم ير هذا اليوم، وقال الحارث: أما وجد محمد مؤذنًا غير هذا الغراب الأسود؟ فقال أبو سفيان: لا أقول شيئًا ولو تكلمت لأخبرته هذه الحصباء، فخرج عليهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، وقال: علمت الذى قلتم وذكر مقالتهم، فقال الحارث وعتاب: نشهد أنك رسول الله، ما اطلع على هذا أحد كان معنا فنقول: أخبرك به.

(وإعلامه) بالجر معطوف على ما أخبر به، وهو إشارة إلى ما فى الصحيحين عن عائشة، رضى الله عنها، وهو مصدر مضاف لفاعله، ومفعوله محذوف أى إعلامه الناس **(بصفة السحر الذى سحره به لبيد بن الأعصم)**، وهو يهودى من بنى زريق، وقصة سحره مشهورة فى السير والتفسير، **(وكونه)** أى السحر المذكور الذى وضعه **(فى مشط)** بضم الميم وكسرها وسكون الشين المعجمة وطاء مهملة: اسم آلة معروفة يسرح بها الشعر، ويقال لها: ممشط أيضًا **(ومشاطة)** بضم الميم، وهى ما يسقط من الشعر إذا

سرح، وفى نسخة مشاقة بقاف بدل الطاء، وهما بمعنى، أو الأول من الشعر والثانى من الكتان.

(فى جف) بضم الجيم وتشديد الفاء، وهو وعاء الطلع الذى يكون عليه كالغشاء، وفى نسخة جب بياء موحدة بمعنى داخل وجوف، ومنه جب البئر وهو مضاف لقوله: **(طلع نخلة ذكر)**، والطلع ما يخرج من النخل فى ظرف منطبق عليه معروف، والنخل منه ذكر وأنثى تحمل بثمرها المعروف، **(وأنه)** بفتح الهمزة، والضمير للسحر المذكور **(ألقى فى بئر ذروان)** أى وضع فى هذه البئر، وهى بئر بالمدينة لبنى زريق، وهى بذال معجمة مفتوحة وراء مهملة ساكنة وواو بزنة فعلان.

(فكان) ما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم **(كما قال)** عليه السلام، **(ووجد)** السحر **(على تلك الصفة)** التى وصفها، فهو من إخباره بالغيب بوحى من الله تعالى كما فصلوه، وعن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة، رضى الله تعالى عنها، أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، لما سحر قال: أتانى رجلان، فقعد أحدهما عند رأسى، والآخر عند رجلى، فقال أحدهما لصاحبه: ما وجع الرجل؟ قال: مطبوب: أى مسحور، قال: من طبه؟ قال لبيد بن الأعصم، قال: فى أى شىء؟ قال: فى مشط مشاطة وجف طلع ذكر قال: وأين هو؟ قال: فى بئر ذروان فجاءها، صلى الله تعالى عليه وسلم، فى ناس من أصحابه، فاستخرجه فلما رجع قال: يا عائشة كأن ماءها نقاع الحناء، وكأن رءوس نخلها رءوس الشياطين، فقالت: هلا أخرجته يا رسول الله؟ قال: قد عافانى الله تعالى، فكرهت أن أثير على الناس منه شرًا، فأمر بها فدفنت(١).

قال أبو عبيدة: هو عند المحدثين هكذا بئر ذروان، وقال ابن قتيبة عن الأصمعى: هو خطأ وصوابه أروان بالهمزة، انتهى.

وفى القاموس بئر ذروان بالمدينة، وهى ذو أروان بسكون الراء وقيل بتحريكه انتهى، وفى مسلم بئر ذى أروان قال النووى: وهو صحيح والأول أجود، وأصح ويحتمل أن الأول مخفف منه.

(وإعلامه) صلى الله تعالى عليه وسلم، **(قريشًا)** كما رواه البيهقى عن الزهرى فى الدلائل **(بأكل الأرضة)** بفتحات دودة تأكل الورق، وتتكون فيه إذا انطبق زمانًا بحيث لا يمر به الهوى، وهى معروفة وعلى أنواع، ومنها ما يأكل الخشب، فمن فسرها هنا بدويبة تأكل الخشب، قال الله تعالى: ﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ﴾ [سبأ: ١٤]، والأرض بالسكون مصدر أرض إذا كان به أرضة أضيفت لها لم يطبق

(١) أخرجه البخارى (١٤٨/٤، ١٧٧/٧)، والحميدى (٢٥٩)، وابن سعد (٤/٢/٢).

الفصل، وليست هى الدابة المسماة سرقة كما قيل، وكذا من قال: إنها سوس الخشب.

(ما فى صحيفتهم) الإضافة للعهد أى الصحيفة المشهورة وسيأتى بيانها، **(التى تظاهروا بها)**: أى تعصبوا وتعاونوا باتفاقهم على عهود كتبوها فى تلك الصحيفة كما سيأتى **(على بنى هاشم)**، وهم فخذ من قريش، **(وقطعوا بها رحمهم)**: أى قصدوا بما كتب فى الصحيفة قطع رحمهم: أى قرابتهم: أى أبطلوا حقوق القرابة بينهم وبين بنى عمهم من بنى هاشم، وأصل الرحم مقر الولد، ثم شاع فى القرابة حتى صار حقيقة فيها.

(وأنها) أى الأرضة وهو معطوف على أكل الأرضة أى وإعلامه، صلى الله تعالى عليه وسلم، بأنها **(أبقت فيها)** أى الصحيفة **(كل اسم لله تعالى)** دون غيره مما عاهدهم عليه، فمحته لأنه باطل، وأبقت اسم الله تعالى تبركًا وتأدبًا، وهذا على إحدى الروايتين، والأخرى ستأتى وتوجيهها، **(فوجدوها كما قال)** صلى الله تعالى عليه وسلم، وأخبر به عن الغيب، فهو من معجزاته، وما ذكره المصنف، رحمه الله تعالى، من أنها أبقت اسم الله تأدبًا، ومحت غيره للإشارة إلى أنه أمر باطل على إحدى الروايتين كما علمت.

وفى رواية أخرى: أنها لحست اسم الله تعالى، وأبقت غيره من عهودهم الفاسدة للإشارة إلى أن الله تعالى برىء منهم، وأنه لا يليق ذكر اسمه بين ذكر عهودهم، ولكل وجهة، والروايتان ذكرهما ابن سيد الناس فى سيرته، فإذا صحت الروايتان أشكل ذلك؛ لأن القصة واحدة والصحيفة واحدة، وقول البرهان فى التوفيق بينهما إن لم نقل أن رواية أنها لحست اسم الله أقوى، والمعول إنما هو عليها أنه كتب نسختان علقت إحداهما فى الكعبة، والأخرى كانت عندهم، بعيد إذ لم يقع ذلك فى رواية أصلاً.

وقد قيل: إن كاتبها شلت يده، وهو منصور بن عكرمة، وقيل: بغيض بن عامر بن هشام، وحاصل قصتها أنهم لما اشتد عليهم أمره صلى الله تعالى عليه وسلم، واشتد على المسلمين قهرهم أرادوا قتله، فلم يرض به أبو طالب وبنو هاشم، فقالوا: إما أن تسلموه لنا أو تعتزلوا عنا جميعًا فى الشعب، بحيث لا تقابلوننا ولا تجتمعون معنا، فرضوا بذلك وكتبوا بالعهد صحيفة علقوها فى الكعبة، فكان كلما جاء أهل البادية بما يباع منعوهم عنهم، فمكثوا ثلاث سنين كذلك حتى ضاق عليهم الحال، وندم بعض قريش وأراد نقض العهد فبينما هم كذلك، إذ قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، لأبى طالب: يا عم إن الله أبطل عهدهم وأكلته الأرضة، فخرج إليهم فظنوه أنه أتاهم ليسلم لهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، فأخبرهم بالقصة، فأتوا بالصحيفة فوجدوها كما قال، فأذنوا لهم بالخروج من الشعب على ما فصل فى السير، وكان ذلك مما أطلعه الله تعالى عليه من

غيبه، وهذا يقتضى صحة ما قاله المصنف، رحمه الله تعالى، وأن الرواية الأخرى غير ثابتة عنده، وعلى كل حال، فلم نجد ما يشفى الصدور.

(**ووصفه لكفار قريش**) بعد الإسراء كما تقدم تفصيله (**بيت المقدس**) مفعول وصف، وقوله (**حين كذبوه فى خبر الإسراء**): أى فى إخباره بأنه أسرى به لبيت المقدس، (**ونعته إياه**) أى بيت المقدس (**نعت من عرفه**) بالنصب مفعول نعته، والنعت والوصف متقاربان، والمصنف، رحمه الله تعالى، غاير بينهما تفننا، وقيل: النعت يقال فى غير الله تعالى، ولا يقال: نعت الله كما ذكره بعض النحاة، و لم يذكر له وجهًا.

(**وإعلامهم**) بالجر أى إعلام الكفار (**بعيرهم**) بكسر العين أى قافلتهم من عار بمعنى سار، وأما بالفتح فهو الحمار وليس بمراد هنا (**التى مر عليها فى طريقه**) لما رجع من الإسراء، (**وإنذارهم بوقت وصولها**) لهم، والإنذار هنا بمعنى الإعلام مجازًا، وأصله التخويف والإخبار بما فيه خوف ضد التبشير، كما تقدم، ومن فسره بالتخويف هنا لم يصب يعنى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم، أنها تقدم وقت كذا يقدمها جمل أورق كما مر.

(**فكان ذلك كله**) أى وجد ووقع (**كما قال**) صلى الله تعالى عليه وسلم، من غير زيادة ولا نقص فيما أخبر به، وقد قدمنا تفصيله ثمة، فلا حاجة لإعادته (**إلى ما أخبر به من الحوادث**) أى ما تقدم ينتهى أو ينضم لغيره مما أخبر به مما سيحدثه الله بعده من الأمور (**التى تكون**) فى المستقبل، (**ولم يأت بعدُ**) مبنى على الضم أى لم يقع عقب إخباره، بل بعده بأزمان متباعدة، بعضها ظهرت مقدماتها وبعضها لم تظهر، فإذا جاء ألا بأن تجىء، فإن خبره، صلى الله تعالى عليه وسلم، لا يتخلف.

(**و**) إلى ذلك أشار بقوله: (**منها ما ظهرت مقدماته**) بكسر الدال أى علاماته المتقدمة عليه، (**كقوله**) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه أبو داود فى سننه (**عمران بيت المقدس**) بضم العين مصدر كالغفران، بمعنى كونه معمورًا بتمام بنائه، وكثرة سكانه، وذلك باستيلاء الكفرة عليه وتعميره، وتقدم معنى كونه مقدسًا بما فيه، وهو مبتدأ خبره (**خراب يثرب**) بالمثلثة ومنع الصرف، وهو اسم المدينة الشريفة، وجعله عينه مبالغة كقولهم عتابة السيف، وليس المراد به التشبيه، فالحمل فى قوله: عمران بيت المقدس خراب يثرب، وما بعده على طريق المجاز فى النسبة الإسنادية بجعل ما يقرب من الشىء ويلاصقه له كأنه هو بعينه، فلا يقال: إنه غيره فكيف أخبر به عنه.

(**وخراب يثرب**) الذى يعمر عنده بيت المقدس (**خروج الملحمة**) أى ظهورها، والملحمة بميم مفتوحة ولام ساكنة وحاء مهملة، وهى موضع المعركة والقتال، ويكون

بمعنى الحرب نفسه كما فى النهاية الأثيرية، وفى الصحاح أنها الوقعة العظيمة فى الفتنة، من التحم بمعنى اشتبك ودخل بعضه فى بعض كالسد أو اللحمة أو من اللحم لكثرة لحوم القتلى فيها، ومنه الملحمة اسم كتاب يذكر فيه أحكام النجوم وآثار الجو من السحاب ونحوه، والمراد به الفتن العظيمة والهرج الذى يكون فى آخر الزمان.

(وخروج الملحمة فتح القسطنطينية) وفى نسخة قسطنطينية بغير ألف ولام وبعد النون الثانية ياء تشدد وتخفف، وهى مدينة عظيمة هى قاعدة ديار الكفر وكرسيها، وهى منسوبة لقسطنطين اسم أول ملك بناها، وهو أول من أظهر دين النصرانية ودونه، وهى مدينة عظيمة الشكل منها جانبان فى البحر وجانب فى البر، ولها سبعة أسوار وسمك سورها الكبير إحدى وعشرون ذراعًا، وفيه مائة باب، وبابها الكبير يسمى باب الذهب وهو باب مموه بالذهب، وفيها منارة من نحاس قد قلبت قطعة واحدة وليس لها باب، وفيها منارة قريبة من مارستانها قد ألبست كلها بالنحاس، وعليها قبر قسطنطين وهو راكب على فرس وقوائمه محكمة بالرصاص، ما عدا يده اليمين فإنها مطلقة فى الهوى؛ لأنه سائر والملك على ظهره، ويده موقوفة فى الجو، وقد فتح كفه يشير نحو بلاد الشام، ويده اليسرى فيها كرة مكتوب عليها: ملكت الدنيا حتى بقيت وكفى مثل هذه الكرة، وخرجت منها كما ترى، وفيها لغات ضم القاف وفتح الطاء الأولى وضمها مع تخفيف الياء الأخيرة وتشديدها وحذفها وهى ستة، ووقعت فى الحديث بالألف واللام واستعملها الناس بحذفها كقول أبى تمام:

حتى النوى من بقع قسطلها على ... حيطان قسطنطينية الأعصار

وهى المسماة بروميه، وقد اختلف هل فتحت هذه أم لا؟ فقيل: فتحت فى زمن الخلفاء، والأصح أنها إنما تفتح فى آخر الزمان قبل خروج المهدى، وهو الذى صححه المقدسى فى كتاب الدرر، فى أخبار المهدى المنتظر، والذى أوقعهم فى اللبس اشتراك الاسم، فإنه سمى بها مدن متعددة، والمذكور فى هذا الحديث كله يكون إذا قرب نزول عيسى عليه الصلاة والسلام، وكذا ما معه من الأشراط وإليه أشار بقوله: **(ومن أشراط الساعة وآيات حلولها)** معطوف على قوله من الحوادث، والأشراط جمع شرط بفتحتين، وهى العلامة والمقدمة، وهى والآية بمعنى، وقيل: هى ما ينكره الناس من صغار أمورها، وعلامات القيامة التى تكون فى آخر الزمان كالدجال ودابة الأرض وغيره، مما هو مشهور غنى عن البيان، وهذا كله مما أخبر صلى الله تعالى عليه وسلم، من المغيبات، وقد فصله القرطبى فى تذكرته.

(وذكر النشر والحشر) الذى هو آخر الأشراط، وآخر الدنيا إذا نفخ فى الصور،

والنشر للميت أن يحيى، فيقوم من قبره من نشر الثوب إذا بسطه، قال الشاعر:

طوتك خطوب دهرك بعد نشر كذاك خطوبه طيا ونشرا

والحشر سوق الناس إلى المحشر للحساب.

(وأخبار الأبرار) بالجر أى مما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم، من المغيبات ما ورد فى الحديث من إخباره عن صلحاء أمته وفجارهم، أو إخبارهم بما يسرهم وتقر به أعينهم وإخبار غيرهم بما يسوؤهم وينكبهم، فأخبار بفتح الهمزة جمع خبر أو بكسرها مصدر أخبر، والأبرار جمع بر أو بار كرب وأرباب وصاحب وأصحاب، وهو التقى الصالح، **(والفجار)** جمع فاجر، وهو الفاسق المجاهر بالمعاصى، والمعنى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم، أعلم أمته بما سيكون فيهم، وهو كثير فى الأحاديث.

(والجنة والنار) أى ذكر أحوالهما وأهلهما[1]، وما سيكون فيهما، **(وعرصات القيامة)** بفتحات جمع عرصة بسكونها، وهى كل موضع واسع لا بناء فيه أى مما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم، من المغيبات ما ورد فى الحديث من بيان مواقف القيامة وعرصاتها ووصفها بصفاتها.

(وبحسب هذا الفصل) الباء زائدة كما فى قولهم بحسبك درهم، وهو بسكون السين المهملة مبتدأ خبره **(أن يكون ديوانًا)** أى كتابًا مدونًا مستقلاً، وقد تقدم لفظ الديوان ومعناه، وهذا الفصل إشارة إلى الفصل المعقود لإخباره صلى الله تعالى عليه وسلم، بالمغيبات، وهذا عبارة عن المبالغة فى كثرته كما ذكره فى أوله، وأنه لو ألف فيه تأليف مستقل دون غيره من معجزاته لم يكن أمرًا غريبًا **(مفردًا)** عن غيره من المعجزات، **(يشتمل)** ذلك الديوان المفرد له **(على أجزاء)** بتمييز أنواعه وإفراد كل نوع بباب **(وحده)** منفردًا من بينها، ثم اعتذر لعدم إفراده بالتأليف بقوله: **(وفيما أشرنا إليه)**، أى ما ذكره فى هذا الفصل منه، وهو خبر مقدم **(نكت من نكت الأحاديث التى ذكرناها)** أى لطائف ودقائق نفيسة، وقد تقدم بيان النكت مفصلاً، وقوله: **(كفاية)** مبتدأ مؤخر ولو حذف قوله نكت كان أحسن؛ لأنه إذا كان مبتدأ كان قوله كفاية مبتدأ آخر، أو بدل أو صفة بتأويله بكافية، وكله تكلف أى المقدار الذى اقتصر عليه المصنف كاف عن إفراده بالتأليف.

(وأكثرها) أى النكت المذكورة فى هذا الفصل منقول **(فى الصحيح)** من كتب الحديث المعتمدة، **(و)** موجود **(عند الأئمة)** من علماء الأثر ومشايخ المصنف، وفى تعبيره بالأكثر إشارة إلى أن فيه ما هو ضعيف أو لم يثبت كما بيناه لك فى أثناء شرحه.

---

(١) فى المطبوعة (وأهلها) والصواب ما أثبتنا هنا.

[فصل فى عصمة الله له ﷺ من الناس]

أصل معنى العصمة: الإمساك والشد، قال الراغب: الاعتصام التمسك بالشىء واستعصم استمسك، كأنه طلب ما يعتصم به من ركوب الفاحشة، وعصمة الله الأنبياء حفظه إياهم بما خصهم من صفاء الجوهر، ثم بما أولاهم من الفضائل الجسمية والنفسية، ثم بالنصرة وتثبيت أقدامهم، ثم بإنزال السكينة عليهم، وبحفظ قلوبهم وبالتوفيق. انتهى.

يعنى أن حقيقتها التمسك، ثم صار حقيقة فى المنع عن ارتكاب المعاصى، وفى الحفظ عن نيل المضرة من أعدائهم، والمراد هنا المعنى الأخير كما أشار إليه بقوله: **(وكفايته من آذاه)** أى كفاية الله إياه بحفظه ممن قصد أذيته، والمراد بالناس ما يشمل الإنس والجن، فإنه ورد بهذا المعنى كما ذكروه فى تفسير المعوذتين، أو خصهم لأنهم الذين عادوه صلى الله تعالى عليه وسلم، وقصدوا أذيته، وقوله: من آذاه من ذكر العام بعد الخاص، ليشملهم صريحًا، واستشهاده له بقوله: قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]، يقتضى أنه لم يقصد الأخير بحسب الظاهر، وهذه الآية وسورتها مدنية على الأشهر.

وقال العلامة الخيضرى فى الخصائص: يرده ما روى عن ابن عباس وغيره أنه قال: كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، إذا خرج بعث معه أبو طالب من يحرسه، حتى نزلت هذه الآية، فقال له: يا عم إن الله عصمنى من الجن والإنس، فلا حاجة لى بمن تبعثه معى، وهذا يدل على أنها مكية.

وفى مسلم عن عائشة، رضى الله تعالى عنها، أرق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذات ليلة أى عند مقدمه المدينة، فقال: ليت رجلاً صالحًا من أصحابى يحرسنى الليلة، فسمعت صوت السلاح، فقال: من هذا؟ قال: سعد بن أبى وقاص جئت لأحرسك، فنام حتى سمعنا غطيطه(١)، ورى الترمذى عن عائشة كما يأتى كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يحرس، حتى نزلت الآية إلى آخره: أى فهذا يدل على أنها مدنية، فيحتاج للجمع وكونها نزلت مرتين بمعنيين، فالناس على الأول أهل مكة، وعلى الثانى أعم خلاف الظاهر.

ثم قال أكثر المفسرين: إن هذا الذى كان يخشاه، فعصم منه القتل لا الأعم، فلا يرد عليه أنه إذا عصم، لم لبس الدرع وشج وكسرت رباعيته؟ وكان يحرس مع أنه قيل: إنه كان تشريعًا لأمته ليأخذوا بالحزم، وكسر الرباعية والشج قيل: إنه كان لحكمة، وهى كما مر أن يشارك المؤمنين فى المصيبة تسلية لهم؛ لما نالهم من فقد أحبابهم، وليشتد

---

(١) تقدم تخريجه.

غيظهم على الكفار، فيشتد بطشهم بهم، انتهى.

وأما العصمة عن الذنوب فسيأتى فى محله، وإلى ما قدمناه أشار فى الكشاف، ومن لم يفهم كلامه اعترض عليه بمالا محصل له.

وقد تقدم أنه صلى الله تعالى عليه وسلم، سم بخيبر، وقال: إنه سبب موته لقوله: أكلة خيبر قطعت أبهرى، وقالوا: حكمته أن ينال أجر الشهادة ورتبتها مع مرتبته العلية، فيرد هذا على ما قالوه، وأجيب بأن الله كفاه قتله بالسم حين أكله، فلم يؤثر فيه، فلما قضى أجله أثر فيه بقيته لعلو مقامه، وليس لأحد صنع فيه.

والقول بأن الشج وغيره كان قبل نزول الآية ينافيه ثبوت أنها نزلت بمكة، ولا مانع من ضمان الله عصمته بوحى غير متلو بمكة، وضمانه بالمتلو بالمدينة، انتهى.

ولا يخفى ما فى كلامه كما يعلم مما مر، وقصة السم غير واردة على العصمة من القتل؛ لأن المفهوم منه حفظه عن أن يقتله عدو له مجاهرة بالبطش فيه بسلاح ونحوه خصوصًا، ولم يظهر له أثر حال أكله ولا بعده مما يطلع عليه أعداؤه، وإنما كان بالسراية بعد زمان طويل، ومثله لا يعد قتلاً.

(وقال الله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾) [الطور: ٤٨]، أمره بالصبر على أعباء الرسالة، ومشقة تبليغ ما أمر بتبليغه، ثم سلاه بأن لا يخاف من أحد، فإنه محفوظ بعين العناية من الله، فاستعار العين للحفظ، وجمعها جمع قلة؛ لأنه محفوظ من جهاته الست ومن ظاهره وباطنه، وهذا أظهر مما فى الكشاف، ومما قيل: إنه للمبالغة والتأكيد، قال الراغب: يقال: فلان بعينى أى أحفظه وأراعيه كقولهم هو منى بمرأى ومسمع، وقوله: ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [هود: ٣٧]، أى بحيث يرى ويحفظ، وفيه كلام مفصل ليس هذا محله.

(وقال: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾) [الزمر: ٣٦]، فيه إثبات لكفاية الله له على أبلغ وجه؛ لأنه استفهام إنكارى وهى نفى معنى، ونفى النفى إثبات يعنى أن عبادى يحفظون عبيدهم، فكيف لا أحفظ عبدى؟ ولما كان العبد غير معين هنا أشار بقوله نقلاً عن السلف أنه **(قيل)**: إن معناه **(بكاف محمدًا)** المراد بعبده؛ لأن الإضافة عهدية **(أعداءه المشركين)**، وبهذا يكون دالاً على المقصود، ومطابقًا لما قدمه، وما قيل: من أنها نزلت لما قالوا له، صلى الله تعالى عليه وسلم: أما تخاف أن تخبلك آلهتنا لكونك تعيبها ليس مطابقًا لهذا المقام، وقوله: أعداءه المشركين يأباه.

(وقيل) فى تفسير هذه الآية **(غير هذا)** كالقول بأن المراد أنه تعالى تكفل بأرزاق جميع عباده، ويؤيده أنه قرئ بكاف عباده بصيغة الجمع.

(و) مما يدل على عصمة الله له قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [الحجر: ٩٥]، الهزؤ السخرية والتهكم على سبيل التحقير، والمراد بهم نفر من قريش كانوا يؤذونه صلى الله تعالى عليه وسلم، ويهزؤون به، فأهلكهم الله لما اشتدت أذيتهم ودعا عليهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، كما بينه المفسرون والمحدثون فى تفسير هذه الآية، وهذا نوع من حفظ الله تعالى له بتعجيل إهلاك عدوه، وقد تقدم الكلام على هذه الآية، وبيان هؤلاء المستهزئين، وذكر هلاكهم، والمقصود من ذكر هذه الآيات الاستدلال على ما عقد له الفصل بما يدل عليه، ويذكر بعض أفراده المثبت لمراده.

(وقال: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية) [الأنفال: ٣٠]، وقد تقدمت هذه الآية وبيان معناها، وإنما أتى بها المصنف هنا استشهادًا على عصمة الله له، كما هو دأبه، والمكر: الحيلة والخداع، ولا يوصف به الله إلا مجازًا على طريق المشاكلة، وهى إشارة إلى ما كان منهم بدار الندوة، وهو مشهور غير محتاج للبيان.

واعلم أن الشيخ الأكبر قال فى بعض رسائله: إن الله كما عصم نبينا فى حياته، عصم رؤياه فى المنام بعد وفاته من دعاية الشيطان التخيل وتمثله فى صورته، فطيفه كذاته معصوم من أن تؤذيه الأحلام، وعبارته كل من يرى فى المنام فتمثله فى خيال الرائى الملك أو النفس أو الشيطان، إلا الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، فإن الشيطان لا يتمثل بهم عصمة لهم، كما كانوا فى حياتهم معصومين فى البواطن من إلقائه، فانسحبت عليهم حياة وموتًا فى المحل الذين كانوا معصومين فيه، والرؤية والنوم من عالم الباطن، انتهى.

ثم شرع فى ذكر الحديث الذى رواه الترمذى عن عائشة، رضى الله عنها، فقال: **(أخبرنا القاضى الشهيد أبو على الصدفى)** الأندلسى المعروف بابن سكرة، ووصف بالشهيد؛ لأنه استشهد فى وقعة بالأندلس، وقد تقدم الكلام عليه وترجمته، والصدفى بفتحتين نسبة لصدف بفتحتين قرية بقرب قيروان **(بقراءتى عليه)** لا بالإجازة.

(والفقيه الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله المغافرى) هو القاضى أبو بكر بن العربى، ويقال: ابن عربى أيضًا معرفًا ومنكرًا، وبعضهم يخصه بالتعريف، ويقول ابن عربى بدون أل، هو: الشيخ محيى الدين الصوفى نفعنا الله به، وهذا المذكور هو: محمد بن عبد الله صاحب التصانيف الجليلة، وأبوه من كبار أصحاب ابن حزم الظاهرى، وابنه ممن أخذ عن الغزالى وغيره، ورحل لملاقاة الكبار والأخذ عنهم، وتوفى بفاس فى ربيع الآخر، سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة، ونسبته لمغافر بغين معجمة وفاء وراء مهملة وميمه مفتوحة، وحكى فى اسم الحى الضم وأنكره ابن السكيت حى من همدان وبلدة ولا ينصرف،

وإليه تنسب الثياب المغافرية.

(قالا: حدثنا أبو الحسين الصيرفى) المبارك بن عبد الجبار والحسين بالتصغير، وما فى بعض النسخ الحسن مكبرًا خطأ من الناسخ، وقد تقدمت ترجمته قال: **(حدثنا أبو يعلى)** بفتح المثناة التحتية واللام وألف **(البغدادى)** نسبة للمدينة المعروفة قال: **(حدثنا أبو على السنجى)** نسبة لسنج بسين مهملة مكسورة ونون وجيم، وهى قرية بمرو قال: **(حدثنا أبو العباس المروزى)** وهو محمد بن أحمد بن محبوب راوى الترمذى، وقد تقدم.

قال: **(حدثنا أبو عيسى الحافظ)** بن سعد الترمذى صاحب السنن إمام الحديث المشهور شهرة تغنى عن ذكره قال: **(حدثنا عبد بن حميد)** بلا إضافة العبد، وقد تقدم.

قال: **(حدثنا مسلم بن إبراهيم)** الأزدى الفراهيدى أبو عمرو الإمام الحافظ الذى أخرج له الستة، توفى سنة مائتين واثنين وعشرين قال: **(حدثنا الحارث بن عبيد)** أبو قدامة الإيادى البصرى له ترجمة فى الميزان **(عن سعيد الجريرى)** بضم الجيم وفتح الراء كالمصغر نسبة لجرير الضبى، كما فى الكاشف للذهبى عباد، وترجمته فى الميزان **(عن عبد الله بن شقيق)** التابعى العقيلى من كبار التابعين، توفى سنة مائة أو ثمان ومائة.

(عن عائشة قالت: كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، يحرس) بصيغة المجهول: أى يحرسه الصحابة، رضى الله تعالى عنهم، فى وقت الحاجة لذلك كالليل، ووقت القيلولة إذا كان خارج بيته **(حتى نزلت هذه الآية ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾)** [المائدة: ٦٧]، ونزولها بالمدينة؛ لأن سورة المائدة من آخر ما نزل.

وتقدم قول آخر: بأنها مكية لكن الصحيح خلافه، وفى بعض الحواشى عن ابن عرفة أنهم اختلفوا فى صحة الدعاء بالعصمة لغير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، والآية تدل على صحته، فإن العصمة مقولة بالتشكيك، وقد كان صلى الله تعالى عليه وسلم، معصومًا قبل نزولها، والمراد بالناس الكفار، فهو عام مخصوص، ولا مانع من إبقائه على عمومه؛ لأن من المسلمين من يتصور أذيته له من غير قصد، انتهى.

قلت: قال شيخ والدى الشهاب ابن حجر فى شرح الإرشاد: اختلف فى سؤال العصمة، فقيل: يجوز لقول مالك والشافعى فى الرسالة: نسألك العصمة، وكذا قول الشاذلى: نسألك العصمة فى الحركات والسكنات.

وفى الحديث: «إذا دخل أحدكم المسجد، فليسلم على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، وليقل: اللهم اعصمنى من الشيطان»(١)، وقيل: يمتنع، والحق أنه إن سأل التوقى

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٥)، وابن ماجه (٧٧٢، ٧٧٣)، والدارمى (٣٢٤/١)، وابن خزيمة (٤٥٢، ٢٧٠٦)، والحاكم (٢٠٧/١)، والبيهقى (٤٤١/٢).

عن جميع المعاصى والرذائل فى جميع الأحوال امتنع؛ لأنه طلب مقام النبوة، فإن قصد التحصن عن أفعال السوء فلا بأس به، انتهى، وهذا كله كلام غير مهذب؛ لأن العصمة لها معنيان:

أحدهما: الحفظ من أذية الناس.

والثاني: حفظه فى نفسه عن ارتكاب المعاصى.

وكل منهما يكون مقيدًا ومطلقًا، فإن قيد فهو جائز فيهما، كاللهم اعصمنى من الكذب أو الزمان، أو اللهم احفظنى من أسر الكفار، واعصمنى من كيد الشيطان والفجار، ومطلق فيهما ولا مانع منه أيضًا إذ لا مانع أن يقول: اللهم اعصمنى من جميع الذنوب أو من جميع الناس، فإنه أمر مطلوب.

وقوله: إنه طلب مقام النبوة كلام واه، والذى اختصت به الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، وقوعه لهم لا طلبه، فقد خلط هؤلاء العصمتين و لم يقفوا على الفرق بين المقامين فاعرفه.

(فأخرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، رأسه من القبة) بالضم وتشديد الموحدة وهى كل مرتفع من البناء أو الخيمة والخباء من وقب إذا علا، وليس معناه ما هو مستدير على شكل كرى كما تفهمه العامة، فإنه عرف طار، والمراد به هنا خباء كان فيه صلى الله تعالى عليه وسلم، فى بعض أسفاره، وقيل: إنه بيت صغير مستدير من الخيام وبيوت العرب، ومن يحرسه من الصحابة ناس كثيرون عدهم التجانى فى شرحه ولا يترتب عليه فائدة هنا، فلذا تركناه.

(فقال لهم: أيها الناس انصرفوا) من حولى واتركوا حراستى، **(فقد عصمنى)** وحفظنى **(ربى عز وجل)** فلا حاجة لى أن يحرسنى الناس.

(وروى) بصيغة المجهول **(أنه صلى الله تعالى عليه وسلم، كان إذا نزل منزلاً)** أى أقام به زمانًا **(اختار له أصحابه شجرة يقيل تحتها)** من قال يقيل قيلولة إذا نزل فى وقت القائلة وهى الظهيرة وما قرب منها للاستراحة سواء نام أم لا، وإن كثر فيها النوم، **(فأتاه أعرابى)** هذه فاء فصيحة أى فاختاروا له فى بعض أسفاره شجرة لقيلولته فنزل تحتها، وليس معه من يحرسه فأتاه إلى آخره.

والأعرابى رجل من أهل البادية تقدم بيانه **(فاخترط سيفه)** أى سله وأخرجه من قرابه ليضربه به، وضمير سيفه إما للأعرابى فمعناه سل سيفًا كان معه، أو للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم، فإنه كان سيفه معلقًا بالشجرة، فلما هجم عليه الأعرابى أخذه وسله، وهو صريح ما يأتى فى لفظ رواية الصحيحين، وأصل معنى الاختراط إزالة ما على

القضيب من ورق أو قشر، فشبه إزالة عمده بذلك، أو هو من اخترطه إذا أخرجه من خريطته بجعل الغمد كالخريطة.

(ثم قال) الأعرابى بعد اختراطه له، صلى الله تعالى عليه وسلم: **(من يمنعك منى؟)** الاستفهام إنكارى بمعنى النفى أى لا يمنعك منى أحد؛ لأنى دخلت على حين غفلة وليس معك أحد، وعطف بثم والظاهر الفاء إذ لا مهملة هنا، فإما أن يكون تربص لينظر ما يصنع، أو كان أتاه من خلفه، أو استعمل ثم بمعنى الفاء وهو كثير.

(فقال: الله) أى يمنعنى الله والله منعنى وحمانى، **(فارتعدت يد الأعرابى)** وقع فى بعض النسخ بالهمزة المضمومة مبنى للمجهول أى أصابته رعدة بكسر الراء وفتحها، وهى اهتزاز اليد واضطرابها من غير قصد لشدة الخوف.

وقال التلمسانى: إنه الصواب، يعنى لأرعدت الثلاثى وهو خطأ منه، فإن الذى صححه البرهان أنه رعدت ثلاثى مبنى للمفعول، وتبعه الشمنى وغيره، وقالوا: إنه من الأفعال التى لم يسمع فيها إلا المجهول نحو: جن، وهو الموافق للرواية واللغة.

(وسقط سيفه) من يده لشدة ارتعاده من خوفه، **(وضرب)** ذلك الأعرابى **(برأسه الشجرة)** لما اعتراه من ذهاب عقله، فلم يزل ينطحها **(حتى)** تكسر عظم رأسه، و**(سال دماغه)** لما كسر قحفه الذى كان فيه الدماغ، **(فنزلت الآية)** المذكورة: ﴿**وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ**﴾ [المائدة: ٦٧]، إلى آخره، وسيلان دماغه؛ لأنه كالدهن، فلما انكسر رأسه سال منها، وليس فيه كما توهم حذف لتذهب النفس كل مذهب ممكن: أى سال دمًا أو نحوه.

وهذا الحديث بهذا اللفظ قالوا: لم يوجد فى الكتب المعتبرة عند أهل الأثر، و لم يذكروه فى أسباب النزول، وإليه إشارة ما بقوله: **(وقد رويت هذه القصة)** يعنى قصة الأعرابى **(فى الصحيح)** أى فى الحديث الصحيح، أو فى صحيح البخارى **(وأن غورث ابن الحارث)** وفى نسخة غويرث بالتصغير، وغورث بغين معجمة مضمومة، وواو ساكنة، وراء مهملة مفتوحة فى المكبر ومثلثة **(صاحب هذه القصة، وأن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، عفا عنه)** وهذا يخالف ما قبله فى تلك الرواية من أنه ضرب برأسه الشجرة إلى آخره، إذ صريحها أنه هلك بذلك السبب فينافى العفو عنه.

(فرجع إلى قومه وقال: جئتكم من عند خير الناس) لما رآه من حلمه وعفوه عنه مع قدرته عليه.

وهذا الحديث رواه البخارى ومسلم، رحمهما الله تعالى، عن جابر، رضى الله تعالى عنه، قال: غزونا قبل نجد مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فلما قفلنا أدركتنا

قائلة فى واد كثير العضاه، فنزل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وتفرق الناس يستظلون بالشجر، ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، تحت شجرة علق بها سيفه، ونمنا نومة فإذا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، يدعونا وعنده أعرابى، فقال: إن هذا اخترط سيفى، وأنا نائم فاستيقظت وهو فى يده مصلتا، فقال: من يمنعك منى؟ فقلت: الله تعالى عز وجل ثلاثا، و لم يعاقبه(١).

وروى أنه شام السيف أى أغمده، وفى سيرة ابن سيد الناس أن غورث رجل من محارب قال لقومه: ألا أقتل لكم محمدًا أفتك به، فأقبل إليه وسيفه فى حجره، فقال: يا محمد أعطنى سيفك أنظر إليه، فأعطاه له فاستله، وجعل يهزه ويهم به، فمنعه الله تعالى، فقال: يا محمد أما تخافنى وفى يدى السيف؟ قال: لا، يمنعنى الله تعالى منك، فرد السيف، فأنزل الله تعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ**﴾ الآية [المائدة: ١١].

وروى أن السيف سقط من يده فأخذه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وقال له: من يمنعك منى؟ فقال له: كن خير آخذ، وأسلم. فرجع إلى قومه وقال: جئتكم من عند خير الناس.

(**وقد حكى مثل هذه الحكاية**)، وفى كثير من النسخ حكيت مثل هذه الحكاية بتاء التأنيث؛ لأن المضاف يكتسب التأنيث من المضاف إليه كقوله:

كما شرقت صدر القناة من الدم

وهو كثير وجعله صفة مؤنث مقدر أى حكاية مثل هذه إلى آخره كما قيل: تكلف لا حاجة إليه، وفى بعض النسخ: وقد حكيت هذه الحكاية، وهى ظاهرة بحسب اللفظ والأولى أظهر بحسب المعنى.

(**وأنها جرت له**) صلى الله تعالى عليه وسلم، أى وقعت (**يوم بدر**): أى فى وقعة بدر يقال: جرى لنا كذا، أى وقع، وهو مجاز من الجرى، فاستعير لما ذكر ثم صار حقيقة عرفية فيه، وقوله: (**وقد انفرد من أصحابه**) جملة حالية من ضمير له أى منفردًا عنهم (**لقضاء حاجته**) كناية عن البراز مشهورة، (**فتبعه رجل من المنافقين وذكر مثله**) بالنصب مفعول ذكر، ومماثلته له فى سل سيفه، وقوله: من يمنعك ونحوه مما ذكر قبله، وهذا الرجل لا يعرف كما قاله البرهان، و الحديث لم يخرج أيضًا.

(**وقد روى**) رواه ابن إسحاق فى سيرته عن جابر بن عبد الله، رضى الله عنهما، (**أنه وقع له**) صلى الله تعالى عليه وسلم، (**مثلها**) أى مثل هذه الحكاية، والواقعة (**فى غزوة**

(١) تقدم تخريجه.

غطفان) بغين معجمة وطاء مهملة مفتوحتين، وهى قبيلة مشهورة غزاها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، فى سرية نحو أربعمائة وخمسين فارسًا فى ربيع الأول بعد خمسة أشهر من الهجرة.

(بذى أمر) بهمزة وميم مفتوحتين وراء مهملة وهو اسم مكان، ويسمى غزوة غطفان وغزوة أنمار وغزوة ذى أمر، وأنمار اسم ذلك المكان أيضًا.

(مع رجل) متعلق بوقع **(اسمه دعثور)** بضم الدال وسكون العين المهملتين ومثلثة وواو ساكنة وراء مهملة، وهو علم بزنة بهلول منقول من اسم الحوض الصغير **(ابن الحارث)**، وهو رجل من بنى محارب، وتقدم أنه غورث بن الحارث.

وقال ابن سيد الناس فى غزوة ذات الرقاع: إن الخبرين والرجلين واحد، وكان جمع بين ثعلبة ومحارب للإغارة على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فلما سمع بذلك خرج لحربه، واستخلف على المدينة عثمان بن عفان،، رضى الله تعالى عنه، فهربوا فى رءوس الجبال، وكان قبل ذلك يدعى أنه يهجم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فى غرته ويقتله، فكان منه مثل هذه القصة.

(و) روى **(أن الرجل أسلم، فلما رجع إلى قومه الذين أغروه به)** أى حرضوه على الفتك برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فعصمه الله تعالى منه، **(وكان)** ذلك الرجل **(سيدهم وأشجعهم)** جملة معترضة بين لما، وجوابها بيان لسبب إغرائهم له وإقدامه على ذلك.

(قالوا له) جواب لما **(أين ما كنت تقول)** إنكار عليه لما هرب، وقد كان يقول: إنى أقتل محمدًا، **(وقد أمكنك)** فاعله ضمير مستتر يرجع لما، وأمكنه الأمر إذ لم يمنعه مانع فصار ممكنًا له، ويجوز أن يكون للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم، لعلمه من السياق: أى تمكنت منه لمصادفته له وحده ومعه سيف مسلول فى يده، **(فقال: إنى نظرت إلى رجل أبيض طويل)** حال بينى وبينه.

و**(دفع فى صدرى فوقعت لظهرى)** أى وقعت على ظهرى لشدة دفعه وقوته، **(وسقط السيف)** الذى كان بيدى **(من يدى فعرفت أنه)** أى الرجل الذى دفعنى **(ملك)**؛ لأنه لم يكن ثمة أحد حين هجمت عليه؛ ولأن قوة دفعه ومهابته ليست مما عهدته، **(وأسلمت)** لما شاهدته مما يدل على نبوته.

قال ابن إسحاق: أصابه صلى الله تعالى عليه وسلم فى بعض أسفاره مطر، فنزع ثوبه ونشره على شجرة ليجف، واضطجع تحته، فقالوا لدعثور: انفرد محمد فعليك به فأقبل بسيفه حتى قام على رأسه، وقال: من يمنعك اليوم منى؟ فقال: الله فتمثل له جبريل عليه

السلام، ودفع فى صدره، فوقع سيفه فأخذه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وقال له: من يمنعك منى؟ فقال: لا أحد وأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله، ورجع لقومه ودعاهم للإسلام.

(قيل: وفيه) أى فى هذا الرجل وقصته **(نزلت)** هذه الآية ﴿**يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ**﴾ الآية [المائدة: ١١]، وفى سبب نزولها أقوال أخر فقيل: نزلت بعسفان لما شرعت صلاة الخوف، وقيل: فى بنى قريظة، وقيل: فى بنى النضير كما سيأتى.

(وفى رواية الخطابى) وهو حميد أو أحمد بن محمد بن إبراهيم، الإمام الجليل فى العلوم الشرعية ينسب لجده الخطاب، وقيل لزيد بن الخطاب أخى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب،، رضى الله تعالى عنه، وتآليفه جليلة مشهورة، ككتاب الآثار، وشرح السنن وغيره.

(أن غورث بن الحارث المحاربى) منسوب لمحارب القبيلة المشهورة، وفى نسخة غويرث بالتصغير كما تقدم، وقد مر أن ابن سيد الناس قال فى غزوة ذات الرقاع فى دعثور بن الحارث: إن المذكور فى غزوة ذى أمر من الخبر يشبه هذا الخبر، فالظاهر أن الخبرين واحد.

وقال الذهبى فى التجريد: دعثور بن الحارث الغطفانى الأشبه أنه غورث.

وقال البرهان: إنه ضبب عليه، فهو عنده غلط، وفى هامش نسخته من الشفاء عوض دعثور غويرث، وعليها علامة نسخة وصححت أيضًا، انتهى، وهو كلام مضطرب يحتاج للتحرير.

(أراد أن يفتك بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم)، يفتك مثلث التاء من الفتك، وهو الهجوم من حيث لا يشعر به على أمر عظيم فيه مخاطرة، ويطلق ويراد به القتل مطلقًا، وقيل: الفتك القتل مجاهرة.

(فلم يشعر به) أى لم يعلمه ويحس به في حال من الأحوال **(إلا وهو قائم على رأسه)** المراد بقيامه على رأسه: وقوفه خلفه متصلاً به **(منتضيا)** بضاد معجمة ومثناة تحتية أى مجردًا وسالا **(سيفه)**؛ ليضربه به، فلما رآه **(قال)** صلى الله تعالى عليه وسلم: **(اللهم اكفنيه بما شئت)** الضمير لغورث وبما شئت ما موصولة عائدها مقدر: أى بالأمر والسبب الذى شئته وأردته، والمراد تفويض أمر كفايته إلى الله وتسليم أمره له كما ورد: «اللهم اكفنا السوء بما شئت وكيف شئت»[1]، وهو أقرب إلى الإجابة من تعيين ما يدفعه عنه.

---

(١) أخرجه ابن سعد (٨١/٢/٤)، وابن أبى شيبة (٣٢٨/١٤)، وأبو نعيم فى دلائل النبوة (١١٣).

(فـ) عقب قوله من غير مهلة **(انكب لوجهه)** اللام بمعنى على، أى سقط على وجهه، يقال: كبه فأكب وانكب إذا وقع، وثلاثيه متعد ومزيده لازم على خلاف القياس، واللام بمعنى على كما فى قوله:

فخـر صريعًـا لليديـن وللفـم

وقوله: **(من زلخة)** متعلق بانكب، والزلخة بضم الزاى المعجمة وفتح اللام المشددة وخاء معجمة وتاء كغيرة وروى بعضهم تخفيف لام زلخة **(زلخها)** بضم الزاء وتشديد اللام المكسورة وخاء مفتوحة معجمة وهاء ضمير للزلخة، وقرأ بعضهم بالجيم وهو غلط كما قاله الخطابى، وهو ماض مجهول متعد لمفعولين من باب أعطى وفاعله الله، والمراد: أوجدها الله حين سل السيف.

وقوله: **(بين كتفيه)** لا ينافى تفسير الزلخة المذكور، فإن ما بين كتفيه من أعلى الظهر، فهو تأسيس وإشارة لعلة سقوط سيفه، فإنه إذا امتد للكفين ضعفت اليد عن حمله.

(وندر سيفه من يده) أى من داخل قبضة كفه وأصابعه، وندر بنون ودال مهملة مفتوحتين وراء مهملة: أى سقط، يقال: ندر إذا خرج وسقط من جوف أو من بين أشياء.

(والزلخة وجع) يأخذ فى **(الظهر)**، فيمنع الإنسان من الحركة من الزلخ، وهو الزلل ويقال: لزحلوفة تلعب بها الصبيان.

(وقيل): أى قال غير الخطابى **(فى قصته)** أى قصة غورث **(غير هذا)** المذكور من إرادته الفتك، فإنه روى أنه جمع ناسًا للإغارة على المسلمين، فلما خرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، لهم هربوا فى رءوس الجبال كما مر.

(وإن) الأمر والشأن فضميره مقدر **(فيه)** أى فى غورث **(نزلت)** آية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ﴾ [المائدة: ١١]، الآية، **(وقيل: كان صلى الله تعالى عليه وسلم، يخاف قريشًا، فلما نزلت هذه)** وهى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ إلى آخره، أو قوله: ﴿يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧].

(استلقى) أى نام صلى الله تعالى عليه وسلم، واضعًا ظهره على الأرض لأمنه أعداءه، واطمئنان قلبه، **(ثم قال: من شاء فليخذلنى)** بخاء وذال مضمومة معجمتين، والخذلان ترك النصرة واللام للأمر، وظاهره غير مراد، فإنه إنشاء بمعنى الخبر أى إنى غنى عن المعين والحرس؛ لأن الله حمانى وضمن لى أن لا يضرنى أحد يصل إلى، ولذا استلقى على ظهره وأظهر هيئة الآمن، والمتبرى من حوله وقوته اعتمادًا على وعد الله.

وحكاه بقيل؛ لأنه يقتضى أن هذه الآية مكية؛ لأن خوفه من قريش إنما كان بمكة،

وسورة المائدة كلها مدنية على الصحيح، وتكرر النزول بعيد كما تقدم.

(وذكر عبد بن حميد) الحافظ المشهور، وقد تقدم بيانه، وهذا رواه ابن جرير فى تفسيره مرسلاً **(قال: كانت حمالة الحطب)** وهى أم جميل بنت حرب بن أمية، أخت أبى سفيان بن حرب، زوجة أبى لهب، وسميت حمالة؛ لأنها كانت **(تضع الغضاة)** بغين وضاد معجمتين واحدة الغضا، وهو شجر له شوك، إذا أوقد كان شديد الاحتراق، فلذا قالوا: نار الغضا للنار القوية.

وقوله: **(وهى جمر)** يحتمل أن يكون تفسيرًا للغضاة؛ لأنه يطلق على ناره كما يطلق على محله قال[1]:

فسقى الغضى والساكنيه وإن هم شبوه بين جوانحى وضلوعى

وأن يكون حالاً من الغضاة، وجمر بمعنى متوقدة، أى تضعه حالة كونه جمرًا.

(على طريق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم)، وممره من بيته للحرم وغيره، تقصد بذلك أن يمشى عليه فيؤذيه ويؤثر فى قدمه، وقد قيل فى تسميتها حمالة الحطب وجوه أخر مذكورة فى التفاسير، منها أنه على ظاهره، ومنها أنه عبارة عن النميمة وحمل الأوزار.

(فكان) صلى الله تعالى عليه وسلم، وفى نسخة فكأنما بزيادة ما **(يطؤها)** أى يضع قدمه على تلك الغضاة، وهو حاف أو بنعل يؤثر مثلها فيه، فيجدها **(كثيبا)** بالمثلثة ومثناة تحتية وموحدة، وهو ما اجتمع من الرمل **(أهيل)** مبنى للمجهول يقال: أهال الرمل إذا أساله، ولم يجمعه كالربوة، والمشى عليه حينئذ أسهل وألين، أى يجده، صلى الله تعالى عليه وسلم، سهلا لا يؤذيه كما كانت نار الخليل عليه الصلاة والسلام، قال ابن مقبل[2]:

يمشين هيل النقا لانت جوانبه ينهال حينًا وينهال الثرى حينًا

(وذكر ابن إسحاق) إمام أهل السير وهو محمد بن إسحاق بن يسار، الإمام الثقة الصدوق، وإن طعن فيه بعضهم، وترجمته مفصلة فى الميزان وغيره **(أنها لما بلغها نزول)** سورة: (**﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾، وذكرها**)، مصدر مرفوع معطوف على نزول **(بما ذكرها الله)** به **(مع زوجها من الذم)** بيان لما، وهو ما فى السورة **(أتت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وهو جالس فى المسجد ومعه أبو بكر، رضى الله تعالى عنه، وفى يدها فهر)** بكسر الفاء وسكون الهاء، وراء مهملة، وهو حجر ملو الكف، أو هو الحجر

(١) البيت من الكامل، وهو بلا نسبة فى تاج العروس (غضى).

(٢) البيت من البسيط، وهو لابن مقبل فى ديوانه (ص٣٢٦)، أساس البلاغة (نهى).

مطلقًا، وهو فى قوله: يهود خرجوا من فهرهم: بيت دراستهم كلمة معربة أصلها بهر بالباء.

وقوله: **(من حجارة)** بيان لفهر **(فلما وقفت عليهما)** أى على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وأبى بكر **(لم تر إلا أبا بكر وأخذ الله ببصرها)** أى قبض وحبس نظرها **(عن نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم)** أى عن رؤيته، وهو جالس عندها، فأخفاه الله تعالى عصمة له صلى الله تعالى عليه وسلم، عن أذيتها، وهذا يقتضى أن عصمته صلى الله تعالى عليه وسلم، كانت ثابتة قبل الهجرة، كما تقدم.

(فقالت: يا أبا بكر أين صاحبك؟ فقد بلغنى أنه يهجونى) أى يذمنى على أن الهجو لا يختص بالشعر حقيقة، أو مجازًا أو هو منها لتوهمها أنه شاعر كما ادعاه غيرها، تريد به ما نزل فى حقها فى سورة: ﴿تَبَّتْ﴾.

(والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه) خصته؛ لأنه محل النطق بذمها، فرجعت خاسئة وهذا رواه البيهقى وغيره، عن أسماء بنت أبى بكر الصديق، رضى الله تعالى عنهما، كما رواه ابن إسحاق.

(و) روى أبو نعيم فى الدلائل والطبرانى بسند جيد **(عن الحكم بن أبى العاص)** والد مروان، وهو ممن أسلم عام الفتح وتوفى فى خلافة عثمان، وفى الصحابة من وافقه فى اسمه واسم أبيه، ولكن المشهور هو هذا فلذا لم يميزه المصنف.

(تواعدنا على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى تواعد هو وبعض الكفرة على قتله صلى الله تعالى عليه وسلم، والفتك به فى بعض الليالى، وخرجنا فى الميعاد فوقفنا نرقبه، **(حتى إذا رأيناه)** أى لما قرب منا وأبصرناه بحيث تمكنا منه **(سمعنا صوتًا)** أى صيحة عظيمة **(خلفنا)** أى من خلفنا **(ما ظننا أنه لم يبق بتهامة أحد)** ما يحتمل أن تكون زائدة إن كان التقدير أنه لم يبق أحد بتهامة، إلا وقد هلك بتلك الصيحة، وأن تكون نافية إذا أريد أن جميع أهل تهامة صاحوا علينا صيحة واحدة، وقد لحقونا ليقتلونا، فالمعنى أنا تيقنا وجودهم خلفنا، والمعنيان متقاربان والمآل واحد، ولهم هنا كلام لم يفصح بالمراد، وتهامة بكسر التاء معناها أرض منخفضة، ويقابلها نجد من التهم وهو الانخفاض أو شدة الحر والريح، أو لتغير هوائها يقال: تهم الدهر إذا تغير وهى أرض معينة وراء مكة من المغرب من ذات عرق إلى البحر، والمدينة لا تهامية ولا نجدية.

(فوقعنا مغشيًا علينا) من هول تلك الصعقة، والغشى كالإغماء ذهاب العقل مع سقوط القوى.

(فما أفقنا) من ذلك الغشى **(حتى قضى صلاته)** أى فرغ منها وأتمها **(ومضى إلى أهله)**

أى رجع صلى الله تعالى عليه وسلم، من صلاته بالمسجد الحرام إلى منزله ليلاً، ولم نظفر منه بشىء أردناه، **(ثم تواعدنا)** على ما قصدناه وأن نعود لذلك **(ليلة أخرى، فجئنا حتى إذا رأيناه)** بقربنا وهو مار للمسجد؛ ليصلى به كما فى المرة الأولى **(جاءت الصفا والمروة)** هما ربوتان مرتفعتان فى محل سعى الحجاج معروفتان، والمراد بمجيئهما تحركهما من مكانهما، حتى كانا بينهم وبينه صلى الله تعالى عليه وسلم، كما بينه بقوله: **(فحالت)** أى الصفا والمروة **(بيننا وبينه)**، فمنعنا من الوصول إليه؛ لعصمة الله تعالى له، والصفا كالمروة مؤنثة باعتبار البقعة والربوة، وأفرد ضميرهما وكان الظاهر، فحالتا لتأويله بحالت كل واحدة منهما، وفى هذا معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم، ظاهرة.

(وعن عمر) بن الخطاب، رضى الله تعالى عنه: **(توعدت أنا)** أكد ضميره؛ ليعطف عليه قوله: **(وأبو جهم بن حذيفة)**، واسمه عامر أو عبيد بن حذيفة بن غانم بن عامر العدوى أسلم عام الفتح، وصحبه صلى الله تعالى عليه وسلم، وكان معظمًا فى قريش، توفى فى أيام معاوية،، رضى الله تعالى عنه، وترجمته معروفة، وهو صاحب الأنبجانية **(ليلة)** منصوب على الظرفية منون **(قتل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم)**، منصوب على أنه مفعول له، أو بنزع الخافض أى على قتله أو لقتله، أو بمقدر أى وأضمرنا قتله ونحوه، **(فجئنا منزله)** ليلاً خفية، **(فسمعنا إليه)** وفى نسخة له، وفى نسخة فتسمعنا أى أطلنا السماع لا تكلفناه كما قيل، وعداه بالحرف لتضمنه معنى أصغينا لقراءته حتى نسمعها، وهو يقرأه فى صلاة الليل.

(فافتتح) ابتدأ قراءته **(وقرأ:** ﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾ **)** [الحاقة: ١، ٢]، حتى انتهى **(إلى)** قوله: **(فهل ترى لهم من باقية)** يعنى قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ۝٤ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ ۝٥ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٤ - ٨].

والمراد بالحاقة، ما حق وقوعه بهم من الداهية أو الساعة التى وقعت فيها، من حق بمعنى وجب وثبت، وقوله: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾ [الحاقة: ٣]، تهويل وتعظيم لها، والطاغية الداهية المتجاوزة الحد، وهى الصيحة أو الرجفة، وغايته شديدة العتو والطغيان.

والحسوم أيام نحسة من صبيحة يوم الأربعاء إلى أربعاء آخر.

وقوله: ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾، استفهام بمعنى النفى أى ما ترى لهم بقية أو بقاء، على أنه مصدر بزنة فاعلة، وهو قليل فى كلامهم أو نفسًا باقية، **(فضرب أبو جهم**

على عضد عمر، رضى الله تعالى عنه، وقال) لعمر، رضى الله تعالى عنه: **(انج)** أى قم لتنج من وقوع الهلاك بك، خوفًا من أن يحل بهما ما حل بثمود وعاد؛ لأنهما كانا مكذبين له كما كذب أولئك رسلهم.

(وفرا هاربين) أى قاما من محلهما مسرعين جادين فى الهرب؛ لخوفهما مما ذكر، وهو كقوله تعالى: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا﴾ [النمل: ١٩]، فهاربين حال مؤكدة وعلى الأول هو تجريد نحوى، **(فكان)** أى ما ذكر من هذه القضية **(من مقدمات إسلام عمر، رضى الله تعالى عنه)**؛ لتأثيرها فى قلبه، فأسلم بعدها بمدة يسيرة.

وهذا الحديث لم يوجد بهذا اللفظ إلا أنه فى مسند أحمد بما يقرب منه، وهو أن عمر بن الخطاب، رضى الله تعالى عنه، قال: خرجت ليلة لأتعرض لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، قبل أن أسلم فوجدته قد سبقنى إلى المسجد، فقمت خلفه فاستفتح الحاقة، فجلست أعجب من تأليف القرآن، وقلت: والله ما هو بشاعر كما قالت قريش فقرأ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾ [الحاقة: ٤٠، ٤١]، فقلت: هو كاهن فقرأ: ﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الحاقة: ٤٢، ٤٣]، إلى آخره، فوقع الإسلام فى قلبى كل موقع، وليس فيه أنه صحب أبا جهم، وفى التعبير بمن التبعيضية إشارة إلى أن له مقدمات أخر إلى أن أسلم، لما سمع سورة طه، فى بيت أخته فى قصته المشهورة.

(ومنه) أى مما يشهد لأن الله تعالى عصمه، صلى الله تعالى عليه وسلم، من أعدائه **(العبرة المشهورة)** بكسر العين المهملة وسكون الموحدة، وهو الأمر العجيب الذى يعتبر به ويتعظ، من الاعتبار، والعبرة هى الحالة التى يتوصل بها من معرفة الشاهد إلى الغائب، من العبور، ومنه العبارة، وأشار بقوله: المشهورة إلى أنها ثابتة مشهورة بين المحدثين غير محتاجة إلى النقل من كتاب معين.

(والكفاية التامة) أى كون الله تعالى عصمه وصانه صيانة تامة ليست ككفاية غيره، كما قال الله تعالى عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ﴾ [الأنفال: ٦٤]، **(عندما أخافته قريش)** تفعل من الخوف، وهو توقع المكروه يقال: خوفه وأخافه إذا فعل أو قال ما يدل على أنه يهم بإيقاع المكروه به، وفسره بقوله: **(واجتمعت على قتله)** أى اتفقوا على ذلك إلا قليل منهم لقلتهم لم يعدوا، **(وبيتوه)** أى قصدوا قتله وإيقاعه ليلاً فى خفية.

قال الراغب: التبييت قصد العدو ليلاً، ويقال لكل فعل دبر بالليل: بيت قال الله تعالى: ﴿إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ [النساء: ١٠٨].

وعلى هذا حديث: «لا صيام لمن لم يبيت الصيام من الليل»[1]، وبات موضوعة لما يفعل بالليل، كظل لما يفعل بالنهار انتهى، ويقال: هذا أمر بيت بليل: أى دبر فعله ليلاً، ليوقع غيلة على غيره.

(فخرج عليهم، صلى الله تعالى عليه وسلم، من بيته) وهم لا يشعرون كما رواه ابن إسحاق والبيهقى، **(فقام على رءوسهم)** أى وقف عندهم وهم نيام، **(وقد ضرب الله على أبصارهم)** أى لم يحسوا به ويروه لاستغراقهم بالنوم وحجب عيونهم عنه، وقد كانوا أحاطوا ببيته ليقتلوه، عليه الصلاة والسلام، **(وذر)** بذال معجمة وراء مهملة مشددة أى نثر **(التراب على رءوسهم)** إهانة لهم، **(وخلص منهم)** أى نجا مما دبروه وهموا به، وأصل ذلك كما قال ابن عباس، رضى الله تعالى عنهما: إن قريشًا حين أسلم الأنصار، رضى الله عنهم، خافوا أن يتفاقم أمره، عليه الصلاة والسلام، عليهم، فاجتمع كبارهم فى دار الندوة، واتفقوا على قتله وبيتوه، فخرج عليهم وفعل ما ذكر، وذهب إلى الغار مهاجرًا إلى الله، كما فصل فى السير، وذكر فيها هؤلاء الذين اجتمعوا وبيتوا بأسمائهم، وأنهم نحو مائة، وأنه صلى الله تعالى عليه وسلم، خرج من ظهر البيت وطأطأت له جارية اسمها مارية خادمته، حتى تسور الجدار الذى من ظهر البيت.

(وحمايته) أى حماية الله له صلى الله تعالى عليه وسلم منهم، وحفظه بعصمته من أعدائه ومنعهم **(عن رؤيتهم)** إياه وأبا بكر، وهما **(فى الغار)** أى غار ثور، وثور اسم جبل بمنة مكة، والغار كالمغار نقرة فى الجبل كالبيت، وسمى بثور بن عبد مناف؛ لنزوله به، ويقال له: ثور المحل وهو اسم جبل آخر خلف أحد **(بما هيأ الله)** أى بما أعده ويسره له، والجار متعلق بحمايته، والباء للسببية العادية **(من الآيات)** أى المعجزات والعلامات الدالة على نبوته وصدقه وعصمته، **(ومن العنكبوت الذى نسج عليه)** نسج سنين فى طرفة عين، والعنكبوت دويبة معروفة تذكر وتؤنث، ونسجها خيوط دقيقة تمدها فى الهواء لصيد الذباب، وإنما يكون ذلك فى مكان خال لا يمر به شىء.

(حتى قال أمية بن خلف) أحد صناديد قريش، وقد تقدم أنه مات كافرًا بسرف، وهو اسم موضع معروف، **(حين قالوا)** أى كفرة قريش لما قصدوا أثره، صلى الله تعالى عليه وسلم، وانتهوا إلى فم ذلك الغار **(ندخل الغار)** لتفتيشه؛ لاحتمال أنه مختف به: **(ما أربكم)** بفتح الهمزة والراء المهملة والموحدة ويجوز كسر الهمزة وتسكين الراء، وهو الحاجة المطلوبة وما استفهامية، أو نافية أى ليس لكم مطلوب، وهو محمد صلى الله تعالى

---

(١) أخرجه النسائى (١٩٧/٤)، وابن ماجه (١٧٠٠)، والدارقطنى (١٧٣/٢)، وابن أبى شيبة (٣٢/٣).

عليه وسلم، ولا حاجة **(فيه)** أى فى الغار، **(وعليه)** أى على فم الغار ومدخله.

وروى ما أرابكم من الريبة أى ما أوقعكم فى الشك فيما لا شك فيه **(من نسج العنكبوت ما أرى)** بضم الهمزة وفتحها أى أظن وأعتقد **(أنه)** قديم **(قبل أن يولد محمد)** أى قبل وجوده وولادته؛ لأن مثله لا يكون إلا فى مدة طويلة، وفيه معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم، كما قيل:

ألقنى فى لظى فإن أحرقتنى فتيقن أن لست بالياقوت
جمع النسج كل من حاك لكن ليس داود فيه كالعنكبوت

وقال البوصيرى، رحمه الله تعالى[1]:

وقاية الله أغنت عن مضاعفة من الدروع وعن عال من الأطم

(ووقعت حمامتان) ذكر وأنثى على عش فيه بيض لهما، ومثله لا يكون إلا فى محل خال من الناس، ووقفت بالفاء وروى بالعين المهملة من وقوع الطائر، وهو نزوله بمحل **(على فم الغار)** أى مدخله، **(فقالت قريش: لو كان فيه)** أى فى الغار **(أحد لما كان هناك الحمام)** لما عرفته آنفًا، وفى نسخة هنالك باللام وهو اسم إشارة للمكان، وقصة الحمام كما رواه البزار مسندًا وغيره، أن الله أمر العنكبوت، فنسجت على فم الغار وأرسل حمامتين وحشيتين، فوقعتا على وجهه فصد به المشركين عنه، وحمام مكة من فراخهما، وفى المواهب أن الحمامتين باضتا فى أسفل فم الغار، ونسج العنكبوت عليه، فقالوا: لو دخلاه تكسر البيض وزال النسج.

وروى أيضًا كما تقدم أنه نبت فى فمه شجرة صغيرة تسمى شجر الرا، وهى شجرة مقدار القامة، لها زهر وشىء كالقطن يحشى به الوسائد كما مر.

أمرها الله بأن تنبت لتسترهما لما أقبل فتيان قريش بأسلحتهم، حتى أتوا الغار، فلما رأوا ما به من الأمور المذكورة رجعوا، وقال أبو بكر: لو نظر أحدهم إلى قدمه رآنا، فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: ما ظنك باثنين الله ثالثهما، وقد قص القافة أثرهما فانتهى للغار، فلما رآهم أبو بكر اشتد حزنه على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وقال: إن قتلت أنا فإنما أنا رجل واحد، وإن قتلت أنت هلكت الأمة، فقال له: لا تحزن إن الله معنا، فانظر قوله: لا تحزن دون لا تخف، فإن فيه إشارة إلى أنه لم يخف على نفسه، وإنما حزن على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وأمته؛ لأنه أحب إليه من نفسه وكل شىء، ولسع أبو بكر فى هذه الليلة غير مرة، فمزق ثوبه وجعله فى الشقوق التى فى الغار، وسد بعضها بقدمه اتقاء لرسول الله صلى الله تعالى

(١) البيت من البسيط، وهو فى ديوان البوصيرى (ص١٦٩)، ضمن قصيدته فى مدح النبى ﷺ.

عليه وسلم، وأقام فيه ثلاثة أيام، ثم خرج منه فلقيه سراقة.

ولذلك ذكر المصنف قصته عقب ذلك بقوله: **(وقصته)** صلى الله تعالى عليه وسلم، أى ومما يدل على عصمة الله له وحمايته سيرته الواقعة له **(مع سراقة بن مالك بن جعشم)** بضم الجيم والشين، وروى فتح شينه أيضًا، وفى بعض النسخ شجعم بتقديم الشين كما فى المقتفى، وفيه نظر.

وقصته فى الصحيحين وهى مشهورة، فإنهم كما ذكره المصنف جعلوا لكل من دل عليه صلى الله تعالى عليه وسلم، جعلاً عظيمًا، وهو أن لكل من قتله أو أتى به ديته، فلما خرج من الغار رآه سراقة، وكان ينزل بقديد بين مكة والمدينة، وهو من جملة من توجه إليه لطلبه، فركب فرسه ليدركه، فلما دنا منه صلى الله تعالى عليه وسلم ساخت قوائم فرسه إلى إبطها فى الأرض؛ لدعائه عليه كما يأتى بقوله: اللهم اكفنا سراقة، ثم إن الله هداه للإسلام فأسلم فى مرجع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، من حنين، فهو صحابى مدلجى حجازى كنانى، وهو الذى أخبره رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، بلبس سوارى كسرى، لما رأى ذراعيه دقيقتين أشعرين فى حديثه المشهور المتقدم، وقوله: **(حين الهجرة)** أى فى وقت هجرته من مكة إلى المدينة، وذكر ابن سعد أن سراقة عارضهم يوم الثلاثاء بقديد، والهجرة ترك الوطن من الهجر وهو بكسر الهاء وفتحها وقد تضم.

(وقد جعلت قريش) جملة حالية، وجعلت من الجعل، وهو ما يعطى فى مقابلة عمل ما **(فيه)** أى فى شأن رسول الله والإخبار به، **(وفى أبى بكر)** لأنه كان رضى الله عنه، معه كما علمت **(الجعائل)** جمع جعيلة، وهى كالجعالة معنى، والجعالة مثلثة الجيم، ويقال: جعال ككتاب وجعل بزنة قمل، ومعناه تقدم، وتلك الجعالة كما قال السهيلى: كانت مائة ناقة أى حمراء كما قاله الماوردى فى الأعلام.

(وأنذر به) بالبناء للمجهول: أى أعلم سراقة بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم، يقال: أنذرته بكذا بنون ومعجمة وراء أى أعلمته، ويكون الإنذار بمعنى التخويف أيضًا، وكيفية الإعلام مشهورة فى السير أيضًا، وحاصلها أن رجلاً أتى سراقة، وقال له: إنى رأيت أسودة بالساحل أظنهم محمدًا وأصحابه، فقال بعدما عرف أنهم هم: ليسوا هؤلاء، ثم أخرج بعد ذلك فرسه وذهب خلفهم، فكان ما ذكره المصنف، رحمه الله تعالى، بقوله: **(فركب فرسه واتبعه حتى إذا قرب منه، دعا عليه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، فساخت قوائم فرسه)**، أى غاصت فى الأرض، ودخلت فيها حتى كادت تبتلعها وتنخسف من تحتها، يقال: ساخ يسوخ ويسيخ بسين مهملة وخاء معجمة فى آخره،

بمعنى غاص ودخل، وبمعنى الخسف، فيقال: ساخ الفرس وساخت الأرض، وهما بمعنى واحد يختلف باختلاف المسند إليه، وهذا مما اتفقت عليه كلمة أهل اللغة، وفى القاموس ساخت قوائمه ثاخت، والشيء رسب، والأرض بهم سيوخًا، انتهى.

وثاخت فى تفسيره بثاء مثلثة بمعنى غاصت كما ذكره فى فصله، وقد تحرف على الشارح الجديد، فتوهم أنه ناخت بنون بمعنى بركت، فقال: لا ينبغى هذا والذى ينبغى أن يفسره بغاصت، وهو غلط فاحش منه، وقوائم الفرس رجلاها ويداها.

(فخر عنها) أى سقط من فوق ورمى نفسه عنها؛ خوفًا من أن تخسف به الأرض، فيهلك لدعاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، لما لحقه كما مر، وضمير عنها للفرس لأنها تذكر وتؤنث، ويقع على الذكر والأنثى، وقد قيل: إنها كانت أنثى تسمى العود، وقد نقل بعض أهل السير أن الصديق، رضى الله تعالى عنه، له قصيدة قص فيها هذه القصة منها:

حتى إذا قلت قد انجدن عارضها ... من مدلج قابس فى منصب وارى
يردى به مشرف الأقطار معتزم ... كالسيد ذى اللبدة المستأسد الضارى
فقال كروا فقلنا إن كرتنا ... من دونها لك نصر الخالق البارى
إن تخسف الأرض بالأحوى وفارسه ... فانظر إلى أربع فى الأرض غوار
فهيل لما رأى أرساخ مهرته ... قد سخن فى الأرض لم يحفر بحفار
فقال هل لكم أن تطلقوا فرسى ... وتأخذوا موثقى فى نصح أسرارى

(واستقسم بالأزلام) جمع زلم بفتحتين وبضم وفتح بزنة عمر، وهى قداح أى سهام لا ريش لها ولا نصل، كانوا فى الجاهلية يكتبون على بعضها أفعل، وعلى بعضها لا أفعل، ويضعونها فى متاعهم إذا سافروا، فإذا عرض لهم مهم أخرجوا منها زلما يتفاءلون به، فيفعلون أو يتركون، وهو معنى الاستقسام أى طلب ما قسم وقدر له.

وقيل: كان يكتب على بعضها أمرنى ربى، وعلى بعضها نهانى ربى، وبعضها غفل أى خال من الكتابة، فإذا خرج غير الغفل عملوا به، وإن خرج الغفل أعادوا حتى يخرج غيره، ويسمون ذلك استقسامًا، ولهم أزلام أخر أى سهام كانت فى الكعبة مكتوب عليها النوازل، وهى التى استقسم بها عبد المطلب على ذبح ولده، وكذا كان عند كهانهم، ولهم مثلها قداح الميسر السبعة التى كانوا يقامرون بها، وقيل: الأزلام حصى صغار يتفاءل بها والصحيح الأول.

(فخرج له) أى لسراقة **(ما يكره)** أى ما لم يرده؛ لأنه أتى ليرده صلى الله تعالى عليه وسلم، وأبا بكر، ويأخذ من قريش الجعل المتقدم، فخرج له لا تفعل فلم ينته، **(ثم**

ركب) فرسه ثانيًا بعد ما سقط عنها، وساخت قوائمها، **(ودنا)** أى قرب من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وهو سائر يقرأ **(حتى إذا سمع قراءة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، وهو لا يلتفت)** له؛ لعدم مبالاته، ولاعتماده على ربه.

(و) كان **(أبو بكر يلتفت)** وراءه؛ لخوفه على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، أو ليرى ما يصدر من سراقة، وخوفه لشدة حبه، وإن كان قال له فى الغار: لا تحزن إن الله معنا؛ لأنه قد يتوهم أنه مخصوص بذلك الوقت فتدبر.

(فقال) أبو بكر **(له)** صلى الله تعالى عليه وسلم: **(أتينا)** بالبناء للمجهول: أى أتانا العدو وأدركنا من يطلبنا منهم.

(فقال) له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: **(لا تحزن)** وتخف ممن أتانا **(إن الله معنا)** أى مصاحبًا لنا بتأييده ونصره وحفظه وعصمته لنا من جميع الأعداء، فلا تخف ممن لحقنا منهم، ولذا لم يلتفت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، لتمكنه وشدة ثقته، وحزن أبى بكر، رضى الله تعالى عنه، لخوفه وشفقته على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، كما تقرر، وليس بمعصية لنهى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، عنه؛ لأنه أمر طبيعى، ولا نسيانًا لقوله له فى الغار؛ فإن المحب ظنين وضنين بمحبوبه، لاسيما هذا الرسول العظيم، وليس هنا ما يحتاج لجر ذيل البيان، فإنه تطويل بغير طائل، **(فساخت)** قوائم فرس سراقة مرة **(ثانية)** بعد المرة الأولى **(إلى ركبتيها)** تثنية ركبة: هى ما نبا من يديها ورجليها، **(وخر عنها)** أى وقع وسقط عن فرسه لما ساخت، وانكبت على وجهها، **(وزجرها)** أى صاح عليها، **(فنهضت)** أى قامت وخلصت قوائمها من الأرض، **(ولقوائمها مثل الدخان)** أى غبار مرتفع فى الجو كأنه دخان كما ورد التصريح به فى السير.

قال ابن سيد الناس: ولقوائمها عثان مثل الدخان، والعثان بضم العين المهملة ومثلثة هو الغبار هنا، ويكون بمعنى الدخان، والدخان بضم الدال وتخفيف الخاء، وقد تشدد ويقال: دخ، ودخن، والكل بمعنى، وفى رواية ولقوائمها دخان وهو استعارة للغبار، **(فناداهم)** أى نادى سراقة رسول الله، وأبا بكر الصديق، وعامر بن فهيرة رفيقهما **(بالأمان)** أى رفع صوته به قائلاً لهم: الأمان الأمان، كما يفعله الناس، والمراد تأمينهم منه وأنهم لا يلحقهم منه ضرر وخوف بإخباره الأعداء، أو طلب منهم، والمراد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، أن يعطوه أمانًا، فلا يلحقه ضرر، لخوفه منه ومن دعائه عليه.

وقد ورد التصريح بالأمانين فى سيرة ابن إسحاق وإلى الثانى أشار بقوله: **(فكتب له**

النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، أمانًا) أى أمر بكتابته له، فالإسناد مجازى لقوله: **(كتبه)** أى كتاب الأمان، وهو رقعة من أدم، وفى رواية ابن إسحاق: فكتب لى كتابًا فى عظم أو رقعة أو خرقة، ثم ألقاه إلىّ فأخذته ثم جعلته فى كنانتى ثم رجعت **(ابن فهيرة)** مصغر فهرة وهو عامر بن فهيرة مولى أبى بكر، رضى الله تعالى عنه، وهو من مولدى الأزد مملوك للطفيل، فاشتراه أبو بكر، رضى الله تعالى عنه، منه، وأعتقه وأسلم، وكان يرعى غنمًا لأبى بكر، رضى الله تعالى عنه، ويجىء لهما كل ليلة فى الغار باللبن يتغذيانه، ثم هاجر معهما وشهد بدرًا وأحدًا، وقتل ببئر معونة، فلم يوجد جسده مع القتلى، فيقال: إن الملائكة دفنته وقيل: رفعته إلى السماء.

(وقيل): كتبه **(أبو بكر، رضى الله تعالى عنه)**.

وجمع بينهما بأن ابن فهيرة كتبه أولاً، فلم يرض سراقة بكتابته، وطلب كتابة أبى بكر، رضى الله تعالى عنه، لشرفه وشهرته، فكتبه له وللنبى صلى الله تعالى عليه وسلم، كتب تزيد على الأربعين مذكورة فى المفصلات، وأفردهم ابن أبى الحديد بتأليف مستقل.

(وأخبرهم) أى أخبر سراقةُ النبىَّ صلى الله تعالى عليه وسلم، وأبا بكر، رضى الله تعالى عنه، وابنَ فهيرة **(بالأخبار)** أى بأخبار قريش وما جرى منهم بعد خروجهم من مكة، وجعلهم الجعائل أى لمن أتى بهم أو قتلهم ديتهم كما مر.

(وأمره النبى صلى الله تعالى عليه وسلم)، أى أمر سراقة **(أن لا يترك أحدًا)** من قريش أى لا يدع أحدًا، ويمكنهم بأخبارهم حتى **(يلحق بهم)** أى يسير خلفهم، ويصل إليهم بأن يقول: لم أرهم ونحوه، ولو كذبا إذ قد يجوز عند الضرورة والحاجة، وقد يجب.

وفى حديث أنس، رضى الله تعالى عنه، فقال: يا نبى الله مرنى بما شئت، قال: تقعد مكانك لا تتركن أحدًا يلحق بنا، قال: فكان أول النهار جاهدًا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وكان آخر النهار مسلحة له.

(فانصرف) أى رجع سراقة عنهم حال كونه **(يقول للناس)** جملة حالية مضارعية لا تقترن بواو فى الفصيح: أى قائلاً للناس، والمراد بالناس إن كان من لقيهم ممن ذهب لطلبهم، فقوله: **(كفيتم ما هاهنا)** معناه ارجعوا كفيتم الطلب، فإنى لم أجدهم، وما موصولة ويحتمل أن تكون نافية أى ما هنا أحد، وإن كان المراد النبى ورفيقاه، فالمعنى عصمتم وسلمتم مما هاهنا من الخوف، وإلى كلا الوجهين ذهب الشراح، وفى الشرح الجديد خلط هنا غنى عن الرد.

وذكر ابن سعد، رضى الله تعالى عنه، أنه لما رجع قال لقريش: قد عرفتم بصرى

بالطريق وبالأثر، وقد استبرأت لكم، فلم أر شيئًا فرجعوا.

(**وقيل: بل قال لهما**) أى للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم، وأبى بكر، رضى الله تعالى عنه، و لم يذكر ابن فهيرة؛ لأنه إنما خاف دعاءهما لاعتقاده فيهما.

(**أراكما دعوتما علىّ**)، فلذا كادت الأرض تبتلعنى، (**فادعوا لى**) بالسلامة، فدعوا لـه، (**فنجا**) أى ذهب آمنا مما خافه.

(**ووقع فى نفسه**) أى خطر بباله ووقر فى قلبه، واعتقد لما شاهده (**ظهور النبى صلى الله تعالى عليه وسلم**)، أى ظهوره على أعدائه وغلبتهم، وظهور نبوته وعلو شأنه، وكان ذلك من مقدمات إسلامه.

قال ابن إسحاق: وقال أبو جهل لما بلغه ما لقى سراقة، فلامه فى تركهم فأنشده:

بنى مدلج إنـى لأخشـى سـفيهكم ... سـراقة يستغنى بنصـر محمـد[1]
عليكـم به أن لا يفـرق جمعكـم ... فيصبح شتـى بعـد عـز وسـؤدد

فأجابه سراقة بقوله:

أبا حكم واللات لو كنت شـاهدًا ... لأمر جوادى إذ تسـيخ قوائمـه[2]
عجبـت و لم تشـكك بـأن محمـدًا ... نبـى وبرهـان فمـن ذا يكاتمـه
عليك بكف النـاس عنـه فإننـى ... أرى أمره يومًـا ستبـدو معالمـه

كذا فى سيرة مغلطاى، رحمه الله تعالى.

(**وفى خبر آخر**) يتعلق بما نحن فيه إلا أنه قيل: إنه لا يعرف مـن رواه (**أن راعيًا**) مـن رعاة الغنم فى البرية (**عرف خبرهما**): أى خبر النبى صلى الله تعالى عليه وسـلم، بوقوفه على مكانهما فى الغار، (**فخرج**) الراعى من محله (**يشتد**) أى يسرع فى مشيه.

قال الراغب: اشتد إذا أسرع، يجوز أن يكون من قولهم: اشتدت الريح، انتهى.

وإنما أسرع لأجل أن (**يعلم قريشًا**) بخبرهما ومكانهما.

(**فلما ورد إلى مكة**): أى جاءها من محله الذى رعى فيه الغنم، وأصل الورود المجىء للماء، فاستعير للغريب القادم لحاجة، ثم عم لكل جاء وشاع فيه، حتى صار حقيقة فيـه (**ضرب**) بالبناء للمجهول أى ضرب الله (**على قلبه**) أى منع مـن الإدراك، وذهـل عما جاء له كقوله تعالى: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ﴾ [الكهف: ١١]، وهو مستعار من ضرب الخيمة فى الأرض ليضرب أوتادها، وأصله إيقاع شىء على شىء كما قاله الراغب،

---

(١) البيتين من بحر الطويل.
(٢) الأبيات من بحر الطويل.

فليس كناية عن الذهول والغفلة كما قيل.

(فما يدرى) ويعرف **(ما يصنع)** ويقول، **(وأنسى)** مجهول أيضًا **(ما خرج له)** أى ما جاء له من مكانه الذى خرج منه، **(حتى رجع إلى موضعه)** الذى جاء منه، وهذه معجزة ظاهرة وعصمة قوية.

(و) فى دلائل أبى نعيم عن ابن عباس، رضى الله تعالى عنهما، أنه صلى الله تعالى عليه وسلم، **(جاء فيما ذكر ابن إسحاق)** فى سيرته **(وغيره أبو جهل)** عمرو بن هشام فرعون هذه الأمة، لعنه الله تعالى، وهو فاعل جاء، وقوله: **(بصخرة)** متعلق به أى حجر كبير، **(وهو)** أى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فى المسجد **(ساجد، وقريش ينظرون)** له ما يصنع، وكان ذهب **(ليطرحها)** أى ليرمى الصخرة **(عليه)**، وفى نسخة هنا: «وقد كان حلف إن رآه ساجدًا ليدمغنه»، أى ليضربه بها ضربة تكسر رأسه، وتقلع دماغه وتسمى هذه الدامغة أحد الشجاج التى ذكرها الفقهاء فى الجنايات، **(فلزقت)** الصخرة بيده، ولم يقع عليه صلى الله تعالى عليه وسلم، ولزق بلام وزاء معجمة لغة فى لصق بالصاد بمعنى التصق.

(ويبست يداه إلى عنقه) أى تشجت بحيث لا يمكنه تحريكها، **(وأقبل)** أى انصرف من مقصده نحو قريش حال كونه **(يرجع)** أى راجعًا **(القهقرى)**، ومعناه **(إلى خلفه)** موليا عن وجهته، وفى العين: القهقرى: الرجوع على الدبر، وهو قريب منه، وهو مفعول مطلق مؤكد للرجوع، **(ثم سأله)** أى سأل أبو جهل، لعنه الله تعالى، رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، **(أن يدعو له، ففعل)** أى دعا له صلى الله عليه وسلم، لكرمه وحلمه، **(فانطلقت يداه)** أى عادتا لما كانتا عليه، ولم يلتصقا ببركة دعائه، صلى الله تعالى عليه وسلم، **(وكان)** أبو جهل **(تواعد مع قريش بذلك)** أى بطرح الصخرة عليه، صلى الله تعالى عليه وسلم، إذا رآه يصلى، **(وحلف لئن رآه ساجدًا ليدمغنه)** أى ليضربنه بصخرة يكسر رأسه، ويخرج دماغه، وهى أحد الشجاج يقال: دمغه إذا أصاب دماغه فقتله، وهذا مقدم فى بعض النسخ كما مر، ويدمغنه بفتح الياء وجوز بعضهم ضمها، والظاهر الأول، **(فسألوه)** أى سأل قريش أبا جهل **(عن شأنه)** أى أمره وما منعه عما قصده، **(فذكر)** لهم **(أنه)** أى الشأن أو أبو جهل **(عرض لى)** أى له كما فى نسخة، ففيه التفات، وقيل: غلب معنى التكلم لأن ذكر بمعنى قال.

(دونه) ظرف أى حال بينى وبينه **(فحل)** أى جمل عظيم هائج، وهو مخصوص بالبعير الذكر، **(ما رأيت مثله)** فى عظمته وشدته **(قط)** أى فى جميع الزمان الماضى، وهى ظرف لتوكيد نفى الماضى بفتح القاف وتشديد الطاء المهملة وكسرها وسكونها مخففة، **(هم**

بى) أى عزم على الحملة على والهجوم، وقوله: **(أن يأكلنى)** بدل اشتمال من ضمير المتكلم أى هم بأكلى.

(فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) لما سمع مقالته لهم: **(ذاك جبريل)** تمثل له بصورة فحل **(لو دنا)** أى قرب أبو جهل من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، بالصخرة التى أراد طرحها **(لأخذه)** وأكله وأهلكه أخذ عزيز مقتدر، وتفصيله كما فى دلائل البيهقى والسير أن أبا جهل قال: يا معشر قريش إن هذا الرجل قد أبى إلا ما ترون من عيب ديننا، وشتم آبائنا وآلهتنا، وتسفيه أحلامنا، وإنى أعاهد الله لأجلسن غدًا عند الحجر بحجر ما أطيق حمله، فإذا سجد رضخت به رأسه، فامنعونى، وليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم، فقالوا: والله لا نسلمك لأحد، فامض لما تريد، فلما أصبح جلس ينتظره، صلى الله تعالى عليه وسلم، وجلسوا فى أنديتهم ينتظرون ما هو فاعل، فلما جاء صلى الله تعالى عليه وسلم، وصلى فعل ما ذكره المصنف، رحمه الله تعالى، وله وقائع مثل هذه حماه الله منها وعصمه.

(وذكر السمرقندى) إمام الحنفية المشهور، وقد تقدمت ترجمته **(أن رجلاً من بنى المغيرة)** بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم جد أبى جهل، وهذا الرجل قال البرهان: لا أعرفه، وقال غيره: إنه الوليد بن المغيرة، وقيل: إنه أبو جهل **(أتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، ليقتله، فطمس الله على بصره)** أى غطاه وغشاه حتى لم يره، لا أنه أعماه وأذهبه بالكلية، كما يدل عليه قوله:

(فلم ير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، وسمع قوله، فرجع إلى أصحابه، فلم يرهم حتى نادوه) باسمه فعرف مكانهم، وأتاهم ثم رآهم بعد ذلك بشهادة حتى، ويحتمل أنه عمى وذهب بصره.

(وذكر) السمرقندى **(أن فى هاتين القصتين)** أى قصة أبى جهل وقصة هذا الرجل **(نزلت ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا﴾ الآيتين)** [يس: ٨]، يعنى **﴿فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ۝ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾)** [يس: ٨، ٩]، قال البغوى فى تفسير هذه الآية: نزلت فى أبى جهل ورفيقه المخزومى حين حلف إن رآه صلى الله تعالى عليه وسلم، ليرضخن رأسه، وذكر ما ذكره المصنف، رحمه الله تعالى، غير قوله: إنه حال بينه وبينه فحل، وقال المخزومى: أنا أقتله بهذا الحجر، فأتاه وهو يصلى فأعماه الله إلى آخر ما ذكره المصنف، رحمه الله تعالى.

وفى تفسير القرطبى: أنها نزلت فى أبى جهل وصاحبيه المخزوميين، ثم ذكر قصة أبى جهل، وأن صاحبه الثانى: هو الوليد بن المغيرة، وأنه الذى أعمى الله بصره و لم ير

أصحابه حتى نادوه، فقال الثالث: والله لأشدخن رأسه وأنه رجع وقال بعد ما خر مغشيًا عليه، وسئل عن أمره، فقال: حال بينى وبينه فحل لو دنوت منه أكلنى، وأنه لم ير مثله، فنزلت هذه الآية، فقيل: إنه معارض لما ذكره المصنف، رحمه الله تعالى، فإنه يقتضى أن الذى حال بينه وبينه الفحل الرجل الثانى، لا أبو جهل.

وأما كونه من بنى المغيرة أو مخزوميًا، فلا منافاة فيه لأن كلا نسبه إلى أحد جديه كما مر.

وأجيب: بأن قصة أبى جهل تكررت، فعلها مرة وحده ورأى الفحل، ومرة مع غيره، أو اقتصر فى هذه الرواية على بعض القصة وفيه نظر، والآية على هذا من الاستعارة التمثيلية، فشبه يبس يديه وعدم قدرته على تحريكهما والرمى بمن غلت يده لعنقه، وشبه حالهم وما حال بينهم وبينه بمن بينه وبين مقصده سد مانع عن الوصول.

وما قيل من أن الآية تعزير لتصميم أهل مكة على كفرهم، وإبطال الله كيدهم، فشبهت حالهم بهذه الحال لا منافاة بينه وبين ما قبله؛ لصدق هذا على ما قبله، ومن هذا علم ما فى كلام البيضاوى من سؤال يجاب كما بيناه فى حواشيه.

(ومن ذلك) أى حفظ الله وعصمته **(ما ذكره ابن إسحاق)** إمام أهل السير فى سيرته **(وغيره)** كالكلبى فى تفسيره **(فى قصته)** صلى الله تعالى عليه وسلم، **(إذ خرج إلى بنى قريظة)** بالظاء المعجمة وصيغة التصغير كجهينة قبيلة من يهود خيبر معروفة **(فى أصحابه)** أى فى جماعة منهم أبو بكر وغيره، **(فجلس)** مستندًا **(إلى جدار بعض آطامهم)** بالمد والطاء المهملة جمع أطم بضمتين، وهو الحصن هنا، ويكون بمعنى البيت المربع والقصر، **(فانبعث)** مطاوع بعثه فانبعث: أى توجه وقام، وأصل معنى البعث الإثارة، وقيل معناه هنا: أسرع واندفع.

(عمرو بن جَحّاش) بفتح الجيم والحاء المهملة المشددة وآخره شين معجمة، وهو من بنى قريظة قتل كافرًا **(أحدهم)**: أى بنى قريظة؛ **(ليطرح)** من فوق الجدار **(عليه)** صلى الله تعالى عليه وسلم **(رحى)** يقتله بها؛ لأنه صلى الله تعالى عليه وسلم، لما جلس تحت الحائط تخافتوا بينهم، وقالوا: لن تجدوه على مثل هذه الحالة أبدًا، فمن يعلوا الجدار ويرسل عليه حجرًا يقتله؟ فقال سلام بن مشكم: لا تفعلوا فوالله ليخبرن بما هممتم به، ويكون هذا سببًا لنقض العهد بيننا وبينه، فأخبره جبريل، عليه الصلاة والسلام بذلك.

(فقام النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وانصرف إلى المدينة)، وكان هذا سببًا لغزوهم ونقض عهدهم، **(وأعلمهم بقصتهم)** أى أخبر بنى قريظة فى نبذ عهدهم وأصحابه بعد انصرافه أو قبله.

وقد اعترض على المصنف، رحمه الله تعالى، بأن هذه القصة ليست مع بنى قريظة كما فى السير، وسيأتى أيضًا فى هذا الكتاب، وإنما هو مع بنى النضير، وهو سبب غزوة بنى النضير، وأما سبب غزوة بنى قريظة فهو وقعة الخندق وتظاهرهم مع قريش ونقضهم العهد وهو الصواب.

قال ابن سيد الناس: خرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، إلى بنى النضير ليستعين بهم فى دية القتيلين اللذين قتلهما عمرو بن أمية الضمرى؛ لحلف بينهم وبين بنى عامر، فلما أتاهم قالوا: نعينك يا أبا القاسم على ما جئت، ثم خلا بعضهم إلى بعض وهموا به كما مر، وقال ابن الملقن: إنه روى أن بنى النضير لما تآمروا ألقوا عليه حجرًا، فأخذه جبريل، ولم يصل إليه صلى الله تعالى عليه وسلم، ويأتى ما فيه.

(وقد قيل: إن قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ﴾ [المائدة: ١١]، **فى هذه القصة نزلت)**، وجعل الهم حينئذ بالمؤمنين، وأن بسط اليد إليهم مع أنه بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وحده؛ لأن ما يصيبه يصيبهم، وموته موت لهم، ولذا قيل: إنها نزلت فى الكفرة لما كانوا غالبين على المؤمنين يوصلون إليهم الضرر والأذية.

وقيل: نزلت فى الأعرابى الذى اخترط سيفه إذ وجده صلى الله تعالى عليه وسلم، وحده كما مر.

وقوله: وقد قيل يحتمل أن يكون إشارة إلى أن هذه القصة فى بنى قريظة، وإن خالف الصحيح المنقول الواقع، ووقع فى بعض التفاسير فتأمله، فإن غفلته عما ذكر بعيدة مع قوله عقبه: **(وحكى السمرقندى أنه)** صلى الله تعالى عليه وسلم، كما رواه ابن سيد الناس وغيره من أصحاب السير، وقد تقدم أنه الصحيح، وأن فى كلام المصنف، رحمه الله تعالى، إشارة إليه **(خرج)** من المدينة **(إلى بنى النضير)** بنون مفتوحة وضاد معجمة مكسورة، وهم قوم من يهود خيبر **(يستعين)** بهم **(فى عقل الكلابيين)** مثنى كلابى رجل منسوب لبنى كلاب، وهى قبيلة من قريش والعقل مصدر عقل البعير يعقله إذا ربطه بالعقال المانع له من الحركة، وأصل معنى العقل المنع، ومنه العقل المعروف لمنعه عما لا يليق كما أشار إليه القائل[1]:

قد عقلنا والعقل أى وثاق وصبرنا والصبر مر المذاق

وسميت به دية المقتول؛ لأنها كانت عند العرب إبلاً يسوقها القاتل ونحوه، فيعقلها بفناء أهل القتيل ليأخذوها، واستعانته صلى الله تعالى عليه وسلم، المراد بها طلبه أن

(١) البيت من البسيط، وهو بلا نسبة فى تاج العروس (عقل).

يعينوه فى الدية لما سيأتى (**اللذين قتلهما عمرو بن أمية**)، وفى نسخة الكلابى بالإفراد، وقتل مفرد أيضًا، وعمرو بن أمية هو الضمرى بضاد معجمة مفتوحة وميم ساكنة وراء مهملة نسبة لبنى ضمرة، وهم قومه، وهو عمرو بن أمية بن خويلد بن عبد الله بن إياس الصحابى الذى كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، يبعثه فى أموره، وهو الذى ذهب للنجاشى بكتابه، فأجابه وأسلم وزوجه أم حبيبة، أسلم بعد أحد وشهد بئر معونة، ومات بالمدينة فى خلافة معاوية، رضى الله تعالى عنه، وهو الذى قتل الكلابى، فهو مرفوع فاعل قتل، والتثنية هى الموافقة لما فى السير من أنه صلى الله تعالى عليه وسلم، بعث المنذر بن عمرو الساعدى أحد نقباء ليلة العقبة فى ثلاثين راكبًا من المهاجرين والأنصار إلى بنى عامر بن صعصعة، فلقوا عامر بن الطفيل ببئر معونة فاقتتلوا، فقتل المنذر وأصحابه، ونجا عمرو الضمرى وحده أو وصاحب له على اختلاف فى الرواية، ورجعا فلقيا رجلين من بنى سليم، وكان بينهم وبين النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، موادعة، فانتسبا لهما إلى بنى عامر، فقتلاهما وكان عمرو لا يعرف ذلك العهد، ولو عرفه لم يفعله، ولذا لزمته الدية؛ لأنه خطأ، فقدم قومهما على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، يطلبون ديتهما، فخرج لبنى النضير هو وأبو بكر وعمر وعلى، رضى الله عنهم، يستعينهم فى العقل؛ لأنهم كانوا عاهدوه على ترك القتال، والإعانة فى الديات، فلما دخل عليهم وطلب ذلك منهم أجابوه، وقالوا له: اجلس حتى نأتى لك بما سألت، فجلس بجنب جدار من بيوتهم.

كما أشار إلى ذلك بقوله: (**فقال له**) أى لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رجل منهم اسمه (**حيى**) بضم الحاء المهملة ومثناتين تحتيتين الأولى مفتوحة مخففة والثانية مشددة (**ابن أخطب**) بزنة أفعل بخاء معجمة وطاء مهملة وموحدة وجوز فى حاء حيى الكسر، وهو من يهود بنى النضير، ومن رؤسائهم والد صفية أم المؤمنين: (**اجلس يا أبا القاسم حتى نطعمك، ونعطيك ما سألتنا**) من الدية، وهو عطف تفسير على نطعمك؛ لأن الطعم بالضم فى الأصل المأكول فتجوز به عما ذكر كما يقال: أقطعه الأرض طعمة له أى عطية.

(**فجلس النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، مع أبى بكر وعمر**) وزاد أبو نعيم: الزبير وطلحة، وسعد بن معاذ، وأسيد بن حضير، وسعد بن عبادة، وفى سيرة ابن إسحاق: فى نفر من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعلى، ولا منافاة بين الروايات (**وتوامر**) بفتح التاء الفوقية والواو، ويقال: بالهمزة تفاعل من الأمر أى نظر كل أمر الآخر، والمراد به هنا المشاورة يقال: وامره وآمره وقيل: الواو لغة العامة (**حيى معهم**) أى مع بنى النضير أى تشاوروا واتفقوا (**على قتله**) صلى الله تعالى عليه وسلم، بإلقاء الحجر عليه، (**فأعلم**

جبريل النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، بذلك) الذى أرادوه قبل وقوعه، **(فقام)** من تحت الجدار بسرعة، **(كأنه يريد حاجة)** أى أراهم صلى الله تعالى عليه وسلم، أنه يريد حاجة له، وفى نسخة حاجته بالإضافة، فيحتمل قضاء الحاجة المعهودة للإنسان، فإنه يكنى بها عنها كثيرًا.

(حتى دخل المدينة)، ثم سار إليهم وحاصرهم ست ليال، وهم داخل حصنهم، فقطع نخيلهم وحرقها تنكيلا لهم، كما قال حسان(١):

وهان علس سراة بنى لؤى   حريق بالنويرة مستطير

فقال صلى الله تعالى عليه وسلم، لهم: اخرجوا ولكم ما حملت الإبل، فنزلوا على ذلك، وحملوا ما لهم من الأمتعة على ستمائة بعير، ولحقوا بخيبر، وأخذ منهم صلى الله تعالى عليه وسلم، الأموال، ومن الحلقة خمسين درعًا وخمسين بيضة وثلاثمائة وأربعين سيفًا، فكان ذلك مرصدًا لنوائبه، ولم يسهم منها لأحد غير أبى دجانة وسهل بن حنيف؛ لفقرهما، ثم قسمها بين المهاجرين رفعًا لمؤنتهم عن الأنصار إذ كانوا قاسموهم الأموال والديار لما هاجروا إلى المدينة، ثم إنه قيل: إن ما ذكره المصنف، رحمه الله تعالى، يقتضى أن اليهود هموا بإلقاء الحجر عليه، ولم يلقوه، وذكر ابن الملقن كما مر أنهم ألقوه عليه صلى الله تعالى عليه وسلم، فأخذه جبريل، عليه الصلاة والسلام، ومنعه عن الوصول إليه، والمشهور الأول.

(وذكر أهل التفسير معنى الحديث عن أبى هريرة) كما رواه مسلم والنسائى، أى رووه بهذا المعنى، وفى بعض النسخ وروى أهل التفسير الحديث عن أبى هريرة، وهما أحسن مما فى بعض النسخ، وذكر أهل التفسير، ومعنى الحديث بالواو العاطفة فإنه محتاج للتقدير أى وذكره أهل الحديث، وعلى هذا فقوله عن أبى هريرة خبر عن معنى وهو مبتدأ، والجملة معترضة بين ذكر ومفعوله، وهو **(أن أبا جهل وعد قريشًا لئن رأى محمدًا)** جواب قسم مقدر، لما مر من أنه حلف لهم على ما وعدهم به، وقوله: **(يصلى)** جملة حالية **(ليطأن رقبته)** أى يدوس على عنقه الشريف برجله، حماه الله، **(فلما صلى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم)**، بالمسجد الحرام **(أعلموه)** أى أعلمه قريش به، **(فأقبل)** متوجهًا إليه ليدوسه إهانة منه لمن أعزه الله، **(فلما قرب منه ولى)**، ورجع عن مقصده حال كونه **(ناكصًا على عقبيه)** أى متأخرًا راجعًا لخلف، والعقب مؤخر القدم **(متقيا بيديه)** أى مادًا يديه كمن يدفع أمرًا يتقيه، وفى بعض النسخ ولى هاربًا ناكصًا على

---

(١) البيت من الوافر، وهو فى ديوان حسان (ص٢٥٢)، تاج العروس (١٠/٢٥٧)، معجم ما استعجم (ص٧٥٣)، معجم البلدان (١/٥١٢).

عقبيه، فهى حال متداخلة أو مترادفة، ونكص على عقبيه يستعمل فيمن ولى عن خير أو عن شر يخاف عاقبته كما هنا.

إلا أنه قيل: إن الثانى نادر، وذهب الجوهرى وصاحب النهاية إلى أنه يختص بالأول، وفى القاموس: نكص عن الأمر تكأكأ عنه وأحجم، وعلى عقبه رجع عما كان عليه من خير، فهو خاص بالرجوع عن الخير، ووهم الجوهرى فى إطلاقه أو هو فى الشر نادر، انتهى.

وفى نفوذ السهم فيما فى الجوهرى من الوهم كون النكوص مخصوصًا بما ذكر غير ثابت فى اللغة.

وقوله: (**فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه**) لا دليل فيه؛ لأنه وإن كان رجوع الشيطان عن معاونة الكفار ببدر، ليس رجوعًا عن خير يحتمل الاستعارة التهكمية، وقد مر الكلام عليه أيضًا فى إعجاز القرآن فتأمله.

(**فسأل**) أى سأل قريش أبا جهل (**عن ذلك**) أى عن رجوعه كذلك وما سببه، (**فقال**) مجيبًا لهم: (**لما دنوت منه أشرفت**) أى اطلعت قريبًا منى (**على خندق**) حفير (**مملوء نارًا كدت أهوى**) أى أقع وأسقط (**فيه، وبصرت هولاً عظيمًا**) أى أمرًا مخوفًا عظيمًا لم أر مثله مما ذكر ومن غيره كالفحل الذى أراد إهلاكه، (**وخفق أجنحة**) أى أجنحة يضرب بعضها بعضًا لها أصوات هائلة (**قد ملأت الأرض**) الذى كان فيها، وهى أجنحة الملائكة التى أرسلت لحمايته ونصره، صلى الله تعالى عليه وسلم، كما أشار إليه بقوله: (**فقال، عليه الصلاة والسلام: تلك الملائكة لو دنا**) أى قرب منه لإيقاع ما قصده، (**لاختطفته**) الملائكة (**عضوًا عضوًا**) أى مزقته وفرقت أعضاءه، وهو منصوب على الحال بتأويل ممزقًا مفرقًا كقرأت النحو بابًا بابًا كما فصله النحاة.

(**ثم أنزل الله**) وحيه (**على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم**)، فى شأن ذلك، فقال: (﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ [العلق: ٦، ٧] **إلى آخر السورة**) يعنى: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ۝ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ﴾ [العلق: ٨ - ١٠] إلى آخره، ويناسب ما ذكر قوله: ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ﴾ [العلق: ١٥]، وقوله: ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۝ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب۩﴾ [العلق: ١٨، ١٩]، فالمراد بالإنسان أبو جهل، وطغيانه تجاوز حده.

قيل: هذه القصة فى صحيح مسلم، فالذى ينبغى نقلها منه دون التفاسير، وهو أمر سهل لا ينبغى الاعتراض بمثله، وتفصيل معنى الآية فى التفاسير، فلا حاجة لذكره.

(**وروى**) الراوى له أبو نعيم فى الدلائل (**أن شيبة بن عثمان الحجبى**) بفتح الحاء

المهملة والجيم وموحدة وياء نسبة لحجبة جمع حاجب ككتبة جمع كاتب، وفى النسبة إلى الجمع يرد إلى مفرده، والقياس حاجبى لكنه لما غلب على حجبة الكعبة جاز النسبة إليه كأنصارى، أو لأنه على زنة المفرد، ومثله ينسب إليه على قول، والحاجب من يتولى الحجابة وهو البواب، ومن بيده المفتاح، من الحجب وهو المنع، وشيبة علم منقول من الشيب المعروف، وهو شيبة بن عثمان بن أبى طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصى الصحابى المشهور، خادم الكعبة ومن بيده مفتاحها، وهو بيد أولاده إلى الآن أسلم يوم الفتح، وقيل: يوم حنين، ومات سنة تسع وخمسين، وأخرج له البخارى وأحمد فى مسنده وأبو داود، وترجمته معروفة، وما فى النسخ الجمحى بميم غلط من الناسخ.

(أدركه) صلى الله تعالى عليه وسلم، أى لحق به ووصل إليه **(يوم حنين)** فى غزوتها وهو واد قريب من الطائف معروف **(وكان)** قبل ذلك **(حمزة)** عم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وسيد الشهداء **(قد قتل أباه)** عثمان بن أبى طلحة، **(وعمه)** طلحة بن أبى طلحة المشهور، وكان قتله لهما بأحد، وكان طلحة ليث الكتيبة، وحامل لواء الكفرة، فلما قتل حمل اللواء أخوه عثمان فقتل إلا أنه قيل: إن المروى فى السير أن الذى قتل طلحة، على بن أبى طالب، فلما أخذ اللواء أخوه عثمان حمل عليه حمزة فقتله، وقال الذهبى فى تجريده: إن الذى قتل أبا شيبة على أيضًا، وهو مخالف لما قاله المصنف، رحمه الله تعالى، كما قاله البرهان الحلبى، وفى سيرة ابن سيد الناس أن عليًّا ضرب أباه فأزال منعته، فحمل عليه حمزة فقطع يده وكتفه وقده، حتى بدا سحره أى ريته، فكل من على وحمزة له دخل فى قتله إلا أن عليًّا لما زال منعته وقوته نسب القتل له حتى استحق سلبه، فلا منافاة بين كلام المصنف، رحمه الله تعالى، وكلام غيره.

(فقال) أى شيبة لما أدركه: **(اليوم)** المراد الوقت الحاضر **(أدرك ثأرى)** بمثلثة وراء مهملة بينهما ألف وتهمز وهى الأصل، وهو طلب الدم وأخذ حق من قتله **(من محمد)**؛ لأنه سبب قتله، فأراد أن ينتقم منه ويشفى غيظه وحزازة نفسه لتمكنه منه، **(فلما اختلط الناس)** فى القتال وازدحموا، ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيهم **(أتاه من خلفه)** بحيث لا يراه، **(ورفع سيفه)** بيده **(ليصبه عليه)** أى ليضربه ويقتله، ويأخذ ثأره ويشفى غليله ممن كان سببًا لقتل أبيه وعمه، وأصل الصب إراقة الماء، واستعير للضرب بالآلة كالسيف، قال الله تعالى: ﴿**فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ**﴾ [الفجر: ١٣]، ويرشحه أن السيف يشبه بالماء لرونقه وفرنده.

(قال) شيبة: **(فلما دنوت منه)** أى لما قصدت ذلك **(ارتفع إلى)** أى علا وصعد إلى من

جانبه (**شواظ**) أى لهب (**من نار**)، والشواظ اللهب مطلقًا، أو لهب لا دخان له، أو لا يخالطه غيره، أو يخالطه شيء آخر وهو بضم الشين المعجمة وكسرها، وقوله: من نار: بيان مؤكد لأن اللهب لا يكون إلا من النار (**أسرع**) فى ارتفاعه (**من البرق، فوليت هاربا**) خوفًا من أن يحرقنى (**وأحس بى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم**)، أى علم رجوعى عنه، (**فدعانى**) فجئته، (**فوضع يده على صدرى وهو أبغض الخلق إلىّ**)؛ لأنه أسلم خوفًا من القتل، ولم يخلص إيمانه وفى قلبه حقد على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قتل أبيه وعمه، (**فما رفعها**) أى يده عن صدرى (**إلا وهو أحب الخلق إلىّ**) فبدل الله بغضه بحبه، وأزال عن صدره وقلبه الحقد وأثر الكفر، فلما علم ذلك منه الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم، أحبه، (**وقال لى: ادن**) من العدو أو منى (**وقاتل**) فى سبيل الله خالص السريرة مخلصًا ببركة مس يده، صلى الله تعالى عليه وسلم له، (**فتقدمت أمامه**) بين يديه (**أضرب بسيفى**) كل من لقيته من الكفار (**وأقيه بنفسى**) أى أجعلها وقاية له صلى الله تعالى عليه وسلم، مانعة عنه، (**ولو لقيت تلك الساعة**) التى قاتلت فيها (**أبى لأوقعت به**) سيفى وقتلته، وفى بعض النسخ (**دونه**) وإنما خص للمبالغة فى عموم قتله لمن لقى حتى أعز الناس، وللإشارة إلى أن سبب بغضه وهو قتل أبيه قد زال بالكلية، حتى يجوز عنده أن يقتله بنفسه فضلاً عن قتل قاتله.

والحديث مفصل فى سيرة ابن سيد الناس بسند صحيح مروى عن شيبة، وكان صالحًا ذا فضل حدث بإسلامه، وأنه إنما سار لحنين ليغتال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، لكراهته له، وأن ذلك لم يزدد فى قلبه وتصميم عزمه على قتله، فلما اختلط الناس نزل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، عن بغلته، فدنوت منه وذكر ما هم به، وأن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، مسح صدره، وقال: اللهم أعذه من الشيطان، فأذهب الله ما بقلبه حتى صار أحب إليه من نفسه وأهله وأبيه، فلما رجع ودخل خباءه، فدخلت عليه كغيرى حبًا لرؤية وجهه، فقال لى: يا شيب الذى أراد الله بك خير مما أردت بنفسك، وحدثنى بكل ما أضمرته فى نفسى مما لم أذكره، فقلت: إنى أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله، ثم قلت: استغفر لى، فقال: غفر الله لك(١).

(**وعن فضالة بن عمرو**) عن ابن إسحاق وابن سيد الناس، وفضالة بضم الفاء وفتحها وتخفيف الضاد المعجمة واللام، وأبوه عمرو ويقال: عمير بالتصغير ابن الملوح الليثى، والتصغير أصح، والملوح بكسر الواو المشددة وفتحها اقتصر على الثانى فى القاموس.

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تهذيب تاريخ دمشق (٦/٣٥).

(قال: أردت قتل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، عام الفتح) أى فتح مكة **(وهو يطوف بالبيت، فلما دنوت منه قال: أفضالة)** الهمزة للنداء، وفى نسخة فضالة بدون همزة وحرف النداء مقدر فيه قيل: ويمكن أن تكون الهمزة للاستفهام وفضالة خبر مبتدأ محذوف تقديره: أأنت فضالة؟ فقال: نعم، تصديقًا له، والاستفهام حقيقى، وكونه للتعجب مما يختلج فى صدره، أو إجابة لندائه أو إعلام له بأنه فضالة كما قيل تكلف لا يخفى.

(قلت: نعم قال: ما كنت تحدث به نفسك) حديث النفس عبارة عما يخطر بالقلب.

(قلت: لا شىء) أى لم يخطر بقلبى شىء فما ظننته، **(فضحك فاستغفر لى)** أى دعا لى بأن يغفر الله لى ما خطر بقلبى، **(ووضع يده على صدرى)** ليذهب الله ما فيه من الضلال، وما عزم عليه من الأوهام، **(فسكن قلبى)** أى اطمأن وذهب ما فيه من الوسواس وتكذيب الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم، وثلج صدره ببرد اليقين.

قال فضالة: **(فوالله ما رفعها)** أى رفع يده عن صدره، **(حتى ما خلق الله شيئًا أحب إلىّ منه)**.

وحديثه كما فى سيرة ابن إسحاق وابن سيد الناس: أنه أراد قتل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، وهو يطوف عام الفتح، وذكر ما ذكره المصنف، رحمه الله تعالى، ثم قال: فرجعت إلى أهلى ومررت بامرأة كنت أتحدث إليها، فقالت: هلم إلى الحديث، فقلت: لا، وانبعثت أقول:

قالت هلم إلى الحديث فقلت لا ... يأبى عليك الله والإسلام[1]
أو ما رأيت محمدًا وقبيله ... بالفتح يوم تكسر الأصنام
ورأيت دين الله أضحى بينا ... والشرك يغشى وجهه الإظلام

وفضالة الليثى هذا هو ابن وهب بن بجرة بن يحيى بن مالك، وليس هو الزهرانى، فإنه تابعى غيره، ومن ظنه هذا فقد أخطأ.

(ومن مشهور ذلك) أى عصمة الله لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم، ما رواه ابن إسحاق والبيهقى بلا سند، وأبو نعيم فى الدلائل مسندًا إلى عروة **(خبر عامر بن الطفيل)** العامرى، وهو عامر بن الطفيل بن عامر بن مالك سيد بنى عامر فى الجاهلية، مات كافرًا بالاتفاق **(وأربد بن قيس)** بفتح الهمزة وسكون الراء المهملة، وفتح الموحدة ودال مهملة، وهو أخو لبيد بن ربيعة الصحابى لأمه، وكان شاعرًا مفلقًا ومات على الكفر أيضًا، **(حين وفدا على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم)**، وذلك أنه لما فرغ رسول الله

---

(١) الأبيات من بحر الكامل.

صلى الله تعالى عليه وسلم، من تبوك وأسلمت ثقيف، ودخل الناس فى الإسلام أفواجًا، قدمت عليه وفود الناس أفواجًا، فوفد عليه أربعة من رؤسائهم عامر بن الطفيل، وأربد ابن قيس وغيرهما.

(وكان عامر قال له) أى لأربد: **(أنا أشغل عنك وجه محمد)** أى ألهيه حتى تبطش به، **(فاضربه أنت)**، وخصه بسره لما بينهما من الصداقة، فامتثل أمره وهم بذلك، فانتظره ليفعل ما أمره به، **(فلم يره)** أى لم ير عامر أربد، **(فعل شيئًا)** مما اتفقا عليه من البطش به، وعامر يكلمه صلى الله تعالى عليه وسلم، ويلهيه، **(فلما كلمه)** أى كلم عامر أربد **(فى ذلك)** أى فى الأمر الذى اتفقا عليه بأن قال له مالك: لم تفعل ما اتفقنا عليه من البطش برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فاعتذر إليه **(قال له: والله ما هممت أن أضربه)** أى أضرب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، بالسيف **(إلا وجدتك بينى وبينه)** أى أرى جسدك حائلاً بينى وبين النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، بحيث لو ضرب ضرب صاحبه، **(أفأضربك؟)** إنكار له أى كيف أضربك؟، وكان عامر شاعرًا ورئيسًا مطاعًا فى قومه، فقالوا له لما جاءت العرب أفواجًا للإسلام: إن الناس قد أسلموا فأسلم فقال: إنى آليت لا أنتهى حتى تتبع العرب عقبى، أفأتبع فتى من قريش، ثم قدم هو وأربد على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، وقال له ما قصه المصنف، رحمه الله تعالى، فخرجوا راجعين لبلادهم.

وفى الدلائل: أنه قال للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم: خالنى يا محمد، فقال: لا حتى تؤمن بالله وحده، وقال ذلك مرارًا وهو يجيبه بذلك، فقال: والله لأملأنها عليك خيلا ورجلاً تواعدًا منه بأن يغزو المدينة، فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: اللهم اكفنى عامرًا، فلما رجع أصابه طاعون فى عنقه، فمات فى بيت امرأة من سلول، فكان يقول: غدة كغدة البعير وموت فى بيت سلولية، يعنى أخس موتة فى أخس قبيلة، فمات كافرًا وواروا جثته التراب، ورجع أصحابه لقومهم، فقالوا لأربد: ما وراءك يا أربد؟ فقال: لا شىء لقد دعانا لعبادة شىء، ولقد وددت أنه عندى الآن فأرميه بالنبل حتى أقتله، ثم خرج بعد مقالته هذه بيوم أو يومين، ومعه جمل له، فأصابتهما صاعقة أحرقتهما، فهلك كافرًا كما مر.

وعن ابن عباس، رضى الله تعالى عنهما، أن عامرًا قدم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وهو فى المسجد مع أصحابه، وكان من أجمل الناس إلا أنه كان أعور، فجعل الناس ينظرون لجماله، وأخبروا به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فقال: إن يرد الله تعالى به خيرًا يهده، فقام وقال: يا محمد مالى إن أسلمت؟ فقال: لك ما

للمسلمين وعليك ما عليهم، فقال: أتجعل لى الأمر من بعدك؟ قال: ذاك ليس إلىّ إنما هو لله يجعله حيث يشاء قال: أتجعلنى على الوبر وأنت على المدر؟ أى حكم البادية وحكم المدن، قال: لا.

قال: فما تجعل لى قال: أجعل لك أعنة الخيل الغازية فى سبيل الله.

قال: أو ليس لى أعنة الخيل اليوم، فقم معى أكلمك، فقام صلى الله تعالى عليه وسلم، معه، وكان عامر وصى أربد إذا خلا به أن يدور من خلفه ويضربه بسيفه.

وروى أن الغدة كانت فى ركبته ورويت القصة على وجوه أخر هذه محصلها كما فى السير وكتب التفسير، غير أن البغوى، والقرطبى فى التفسير ذكرا أن أربد دار خلفه، صلى الله تعالى عليه وسلم، واخترط سيفه، فقال: اللهم اكفنيهما بما شئت، فوقعت عليه صاعقة فأهلكته، وهو يقتضى أنه مات قبل عامر.

وفى هذين التفسيرين أن أربد بن ربيعة، والمصنف، رحمه الله تعالى، قال: إنه ابن قيس، ولا منافاة بينهما كما توهم؛ لأن ربيعة جده الأعلى.

وفى أربد نزل قوله تعالى: ﴿وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ﴾ [الرعد: ١٣]، وأجمعوا على أن عامرًا مات كافرًا كما مر.

وفى التجريد للذهبى: عامر بن الطفيل بن مالك العامرى سيد بنى عامر فى الجاهلية، روى عنه أبو أمامة كما ذكره المستغفرى، ونقله البرهان الحلبى وفيه نظر.

(ومن عصمته) أى حفظ الله تعالى له **(أن كثيرًا من اليهود والكهنة)** جمع كاهن، وهو الذى يخبر عن المغيبات وما يقع فى المستقبل بما يتلقاه أو يعرفه بفراسته، ويسمى الثانى عرافًا **(أنذروا به)** أى أخبروا وأعلموا، والإنذار إعلام المخوف قبل وقوعه، **(وعينوه لقريش)** أى بينوا ذاته الشريفة لهم، **(وأخبروهم بسطوته بهم)** أى أنه يغزوهم ويقتلهم، **(وحضوهم على قتله)** أى حثوهم وحرضوهم على ذلك، حتى يسلموا منه، **(فعصمه الله عز وجل)** بأن حفظه ومنعه من كيدهم مع أنه صلى الله تعالى عليه وسلم، كان بين أظهرهم بمفرده، **(حتى بلغ)** الله تعالى بلطفه وحفظه له **(فيه أمره)** بأن نصره وأظهردينه على جميع الأديان **(أن الله تعالى بالغ أمره)**، وبلغ بفتح اللام المخففة من البلوغ، قال الراغب: هو الانتهاء إلى أقصى الأمد والمنتهى مكانًا أو زمانًا أو أمرًا من الأمور المقدرة، انتهى.

(ومن ذلك) أى عصمة الله له صلى الله تعالى عليه وسلم، وصيانته ما رواه الشيخان، وهو **(نصره بالرعب)** أى بإلقاء الخوف منه فى قلوب أعدائه ومن لم يتبعه **(مسيرة شهر)**: أى فى مكان بعيد عنه أقل ما يقطع مسافته فى شهر: أى فى ثلاثين يومًا: **(كما قال**

صلى الله تعالى عليه وسلم)، أى أنه ثابت بهذا اللفظ فى الحديث الصحيح، كما تقدم.

وهو فى الصحيحين وفى مسند أحمد عن أبى هريرة، رضى الله تعالى عنه، أنه قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «بعثت بجوامع الكلم، ونصرت بالرعب»[(١)]، قيل: وهو مخصوص به، صلى الله تعالى عليه وسلم، ولو كان وحده، وتقييده بالشهر لأنه لم يكن بينه وبين أعدائه أكثر منه، وتخصيصه به باعتبار من قبله، فإن ابن حجر، رحمه الله تعالى، قال: إن ذلك لأمته من بعده أيضًا، ويؤيده أن فى مسند أحمد: «الرعب يسعى بين يدى أمتى شهرًا»، والرعب كناية عما يلزمه من الظفر.

* * *

فصل مما أكرمه الله تعالى به ﷺ

(ومن معجزاته) أى أموره الخارقة للعادة التى عجز غيره عنها وعن معارضتها والإتيان بمثلها، وتاء المعجزة للمبالغة كهاء علامة، أو للتأنيث؛ لأن المراد الآية والعلامة أو الخصلة المعجزة **(الباهرة)** أى البالغة أو الظاهرة على غيرها، من بهر القمر بضوئه الكواكب حتى أخفاها، وهو تشبيه بليغ أو استعارة مصرحة **(ما جمعه الله له من العلوم والمعارف)** جمع معرفة لا معروف كما قيل؛ لأنه على تقديره غير مناسب، والعلم والمعرفة بمعنى، وقد يفرق بينهما بتخصيص الثانى بالأمور الجزئية، أو بما يسبقه جهل على كلام فيه، تقدم تفصيله، ومن بيانية ويجوز أن تكون تبعيضية، والأول أظهر.

(وخصه به) أى جعله مخصوصًا به دون من قبله، وكذا خص أمته بما لم يكن لغيرهم من الأمم من العلم، وكثرة التأليف، والتصنيف الذى لم يكن لأمة من الأمم، مع قصر أعمارهم وضعف أبدانهم، والباء تدخل على المقصور والمقصور عليه، وفى أيهما الأصل كلام مفصل فى حواشى المطول لا حاجة لنا به هنا.

(من الاطلاع) أى الوقوف والعلم وهو بيان لما.

(على جميع مصالح الدنيا والدين) متعلق بالاطلاع ومصالح الدنيا ما يصلح به أمر المعاش، ومصالح الدين معرفة أحكامه المصلحة لهم فى الدارين، ولا ينافى هذا أى اطلاعه على مصالحهما قصة بدر فى اختياره صلى الله تعالى عليه وسلم، الفداء، وكان الأولى به ما رآه عمر، رضى الله تعالى عنه، من قتلهم، حتى عوتب صلى الله تعالى عليه وسلم، على ذلك، وكذا منعه صلى الله تعالى عليه وسلم، الناس من تأبير النخل، فلم يثمر فى ذلك العام، فقال: «أنتم أعلم بأمور دنياكم منى»[(٢)]، إما لأنه كما قيل كان له حالات

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه مسلم (٢٣٦٣/١٤١).

وأطوار منها ما يغلب عليه عدم الالتفات للأسباب الظاهرة؛ لقصر نظره على تفويض الأمر لله، والتوجه للعلم بالله، وقطع نظره عن الحوادث الكونية، وعلم عمر، رضى الله تعالى عنه، مقتبس منه ومن نور مشكاته كما قيل:

كالبحر يمطره السحاب وما له منٌّ عليه لأنه مِنْ مائه[1]

وما قيل من أنه صلى الله تعالى عليه وسلم، بنى أمره فى ذلك على الظن دون الجزم، والأنبياء قد يظنون فى أمور الدنيا المجردة عن الآخرة ما الأمر على خلافه، ليس بشىء.

وقيل: إنه إنما كان ليعلم الله نبيه، صلى الله تعالى عليه وسلم، بالمشاهدة وتبين الأمر، حتى يكون شرعًا متبعًا، ولو بقى الأمر كما كان، فقد يقال: إنه كما وجد بقى، والحكم بالدليل أقوى عنه بالسكون وفيه نظر.

وقال السنوسى: أراد صلى الله تعالى عليه وسلم، أن يحملهم على خرق العوائد فى ذلك اعتمادًا على التوكل، فلم يمتثلوا و لم يصبروا، ولو صبروا كان خيرًا لهم بأن يمتثلوا ويصبروا سنين فأكثر، فلو فعلوه كفوا ذلك؛ لأنه أعلم منهم بذلك وغيره، قيل: وهو فى غاية الحسن لمن تأمله وسيأتى تتمته، إن شاء الله تعالى.

(ومعرفته) صلى الله تعالى عليه وسلم، **(بأمور شرائعه)** التى شرعها الله تعالى له ولعباده على لسانه: جمع شريعة، وهى فى الأصل طريق مسلوكة، ومورده ما يباح، نقلت لوضع إلهى موصل لسعادة الدارين، والمناسبة بينهما ظاهرة، **(وقوانين دينه)** جمع قانون، وهى لفظة معربة من الرومية، معناه الأصل المقيس عليه، ثم نقل لقضية كلية يستخرج منها أحكام جزئياتها بجعلها كبرى لصغرى سهلة الحصول تنتج المطلوب، كما تقرر فى محله.

والدين والملة بمعنى وإن تغايرا مفهومًا، والمراد بمصالح الدنيا والدين منافع ذلك وحكمه وفوائده، وهو غير ضبطه لأمور الشريعة وقوانينها، فما قيل من أنه إذا حصل له العلم بجميع مصالح الدنيا والدين، فقد خص مما يخص به بشر قبله، فيكون الثانى غير الأول، فما موقع قوله ومعرفته إلى آخره؛ لأن جملة الدين مبنية على جلب المصالح ودرء المفاسد خبط لا فائدة فيه، كما يعلم مما قررناه.

(وسياسة عباده) أى القيام بضبط العامة من عباد الله، فالضمير لله، والسياسة لفظ عربى من ساسه يسوسه إذا أمره، ومن قال: إنه معرب من سهسأ أى ثلاثة قوانين، فقد أخطأ، ولها معنى آخر عند الفقهاء، وربما تجعل مقابلة للشرع، ولا يصح ذلك هنا، وفى القاموس أنها مصدر سست الرعية إذا أمرتها ونهيتها.

---

(١) البيت من بحر الكامل، وهو بلا نسبة فى تاج العروس (١/١١٧).

(ومصالح أمته) المراد الإجابة، وأمة الدعوة، والظاهر أن المراد غير ما تقدم كالسؤال عن أمورهم، وقضاء ديونهم، والإحسان إلى فقرائهم وغير ذلك من لطفه بهم، **(و)** معرفة **(ما كان فى الأمم قبله)** مما وقع لهم وجرى بينهم **(من الاختلاف)**: أى مخالفة بعضهم لبعض، وما جرى لهم من النعم والنقم التى لا يعلمها إلا القليل من أهل الكتاب وعلمائهم، وهو صلى الله تعالى عليه وسلم، أمى نشأ فى أمة أمية، ولم يرتحل للبلاد النائية، ولم يعاشر بقايا الأمم الخالية مما بينه أحسن بيان، وقرره أحسن تقرير، **(وقصص الأنبياء والرسل)** من عطف العام على الخاص، والفرق بينهما مشهور، وقصص بكسر القاف جمع قصة أو بفتحها مصدر قصه يقصه قصصا إذا حكاه، **(والجبابرة)** جمع جبار وهو المتكبر.

قال الراغب: الجبار فى صفة الإنسان الذى يجبر نقصه بادعاء منزلة من التعالى لا يستحقها، ولا يقال إلا على طريق الذم، كقوله تعالى: **(وخاب كل جبار عنيد)**، ويقال للقاهر لغيره جبار كقوله تعالى: ﴿**وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٍ**﴾ [ق: ٤٥]، انتهى، وقد تقدم ما فيه الكفاية.

(والقرون الماضية) قبله من الأمم، وقد تقدم معنى القرن ومقدار زمانه، وأصله الزمان ثم أطلق على أهله، قيل: يجوز أن يراد الأمم التى هلكت، ولم يبق منها أحد لأنه يطلق على ذلك وأن يراد الزمن نفسه، **(من لدن آدم إلى زمنه)** لدن ظرف زمان مبنى ومعرب فى لغة قيس، وهو قريب من معنى عند، وبينهما فرق ذكره النحاة أى أحاط علمه بذلك، وأخبر به أمته.

(وحفظ شرائعهم وكتبهم)، ولم يقرأ ولم يكتب، **(ووعى سيرهم)** الوعى الحفظ والجمع، والسير جمع سيرة بالكسر، وهى حالة الإنسان غريزية أو مكتسبة، يقال: سيرة حسنة وسيرة قبيحة، قال الله تعالى: ﴿**سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلۡأُولَىٰ**﴾ [طه: ٢١]، أى إلى حالتها الأولى: أى حفظه وجمعه فى ذهنه لأحوالهم وما كانوا عليه، **(وسرد أنبائهم)** أى سوق أخبارهم للناس سوقًا حسنًا منتظمًا كسرد حلقات الدرع ونسجها، **(وأيام الله فيهم)** أو وقائعهم التى قدرها الله لهم، والأيام تطلق على الوقائع والحروب كأيام العرب، وهو معنى مشهور صار حقيقة عرفية؛ وقيل: المراد نعمه ولا وجه له، **(وصفات أعيانهم)** أى كبارهم ورؤسائهم، وقيل: المراد ذواتهم كما وقع فى الإسراء من ذكر الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، وصفات ذواتهم.

(واختلاف آرائهم) جمع رأى أى عقائدهم ونحوها، **(والمعرفة بمددهم)** جمع مدة، وهى مقدار من الزمن أى كم كانت مدة كل أمة ومدة ملكهم وملوكهم وأنبيائهم؟،

(وأعمارهم) جمع عمر بضم العين وفتحها وهى مدة الحياة، **(وحِكَم)** جمع حكمة، وهو قول الصواب المتضمن للنصيحة أى موعظة **(حكمائهم)** جمع حكيم، وهو العالم بالحكمة الناصح لغيره المعلم للحكمة فى عصره كحكماء الفرس والعرب وغيرهم، **(ومحاجة كل أمة من الكفرة)** أى ذكر حجته وبرهانه وما حاج به غيره، وقيل: المراد محاجته نفسه لغيره كمحاجته لنصارى نجران، ومباهلته لهم والظاهر ما قدمناه.

(ومعارضته) أى مخالفته ورده **(كل فرقة)** وطائفة **(من الكتابيين)** أى أهل الكتاب، والمراد به التوراة والإنجيل؛ لأن الزبور والصحف لم تتضمن الأحكام، ولم تشتهر، وهو جمع كتابىٍّ بياء النسبة، **(بما فى كتبهم)** متعلق بمعارضة، وجمعها لاشتمالها على ما فى غيرهما؛ ولأن الجمع باعتبار المعنى كثير **(وإعلامهم بأسرارها)** أى دقائق معناها التى لم يطلعوا عليها، **(ومخبآت علومها وأخبارهم)** بكسر الهمزة مصدر مضاف للفاعل ويجوز فتحها أى ما خفى عليهم منها **(بما كتموه)**: أى أخفوه كصفته، صلى الله تعالى عليه وسلم، وقصة رجم الزانى المشهورة **(من ذلك)** الإعلام وما معه، **(وغيروه)** بتحريف لفظه وتأويله بغير معناه **(إلى الاحتواء)** أي الاشتمال والحفظ والتضمن، متعلق بجمع السابق أول الفصل لتضمنه معنى ضم أو إلى بمعنى مع.

(على لغات العرب) جميعها من غير قومه، **(وغريب ألفاظ فرقها)** جمع فرقة، وهى الطائفة المتفرقة، **(والإحاطة بضروب فصاحتها)** تركيبًا وإفرادًا، فكان صلى الله تعالى عليه وسلم، يخاطب كل قوم بلغتهم كما تقدم، **(وأمثالها)** جمع مثل، وهو كلام شبه مضربه بمورده، **(وحكمها)** أى جوامع كلمها فى النصائح، فإن العرب معروفة بذلك، وحكماء العرب وحكمهم مشهورة.

(ومعانى أشعارها) فإنه صلى الله تعالى عليه وسلم، كان يعرفها، وإن لم ينشدها موزونة ويتكلم بها، **(والتخصيص)** أى تخصيص الله إياه بنطقه **(بجوامع كلام العرب)** أى الألفاظ الحسنة البليغة الجامعة للمعانى الكثيرة فى ألفاظ قليلة، وقد يراد به القرآن، وليس بمراد، ومفرده جامعة **(إلى المعرفة بضرب الأمثال الصحيحة)** الأمثال المتقدمة أمثال صادرة ممن قبله، وهذه أمثال ابتدعها، صلى الله تعالى عليه وسلم، والأمثال النبوية مشهورة مدونة، وإلى كالتى تقدمت، والجار والمجرور هنا وما بعده متعلق بمقدر، أو بدل مما قبله، أو متعلق به بعد تقييده، وإلى فيها بمعنى اللام؛ لأن العامل الواحد لا يتعدى بحرفين بمعنى واحد فأكثر، إلا على هذه الوجوه كما قرره فى قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا﴾ [البقرة: ٢٥].

وتقدم تفسير المثل وأن ضربه من ضرب الخاتم إذا طبعه وصاغه، وأنها صادرة كثيرًا

من الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، لتقرير المعانى فى النفوس، وإيضاحها بجعل المعقول كالمحسوس كما حققه فى الكشاف.

(**والحكم البينة**) أى الظاهرة فى نفسها المظهرة لأمور بديعة ومعان لطيفة، (**لتقريب التفهيم للغامض**) أى المعنى الخفى الدقيق، وهو فى الأصل المكان المنخفض، فاستعير لما ذكر وتقريبه إيضاحه، والجار الأول متعلق بضرب الأمثال، والثانى بالتفهيم.

وقوله: (**والتبيين للمشكل**) أى إظهار ما التبس وإن كان غير غامض، وأصل معنى الإشكال كونه غير متميز عن أشكاله وأشباهه، وهو متعلق وراجع للحكم البينة (**إلى تمهيد**) أى بسطه بتوطئته له، وبيان مقدمات (**قواعد الشرع**) أى أساسه وقضاياه وأصوله الكلية، المحمدى الذى جاءه بوحى من الله (**الذى لا تناقض فيه**) أى لا تخالف بين قضاياه وإحكامه لأحكامه، ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

(**ولا تخاذل**) بخاء وذال معجمتين ولام تفاعل من الخذلان، وهو ترك نصرة من يستحق نصرته وهو استعارة تمثيلية؛ لأن الشرع يعضد بعضه بعضًا ويؤيده، وأحكامه متناسبة متعاضدة كما أن القرآن يفسر بعضه بعضا، ومن فسره بأن قواعد الشرع مشتملة على أنه لا يخذل أخاه إذا ظلم؛ لاقتضاء قواعد الشرع استواء الرفيع والوضيع والمالك والمملوك والعالم والجاهل فى جريان أحكامه عليه من غير فرق بين صغير وكبير، لم يأت بشىء يعتد به.

(**مع اشتمال شريعته**) وتضمنها واحتوائها (**على محاسن الأخلاق**) أى على بيانها للناس، وحث الناس على التحلى بها، وقد ورد فى الحديث: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»، وقد تقدم معنى الخلق وأن منه مكتسبًا وطبيعيًا، وأن الخلق يقبل التغير، ولذا ورد فى الشرع النهى عن الأخلاق الردية والأمر بضدها، ولولا ذلك لم يفد.

(**ومحامد الآداب**) جمع محمدة وهو ما يحمد فعله، والآداب بالمد جمع أدب بفتحتين، وهو معاملة الخلق بلطف ومداراتهم، كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم: «أدبنى ربى فأحسن تأديبى»(١)، وهو من إضافة الصفة للموصوف أى الآداب المحمودة، وفسر الأدب فى القاموس بالظرف وحسن التناول والفعل الجميل.

(**وكل شىء مستحسن**) عند أرباب الطباع السليمة وهو مجرور معطوف على محاسن الأخلاق (**مفضَّل**) بزنة اسم المفعول بالضاد المعجمة والصاد المهملة كما قاله، أو مفضل على غيره أو فصله للناس تفصيلاً.

---

(١) تقدم تخريجه.

(لم ينكر منه ملحد) أى عادل عن الحق زنديق، ومعناه لغة: الميل فخص بالميل عن الحق، قال الراغب: الإلحاد ضربان إلحاد إلى الشرك بالله، والإلحاد إلى الشرك بالأسباب، فالأول ينافى الإيمان ويبطله، والثانى يوهن عراه ولا يبطله انتهى.

(ذو عقل سليم) مستقيم مدرك إدراكًا سالمًا عما يضعفه، ويمنعه عن العدول عن الحق **(شيئًا)** مفعول ينكر **(إلا من جهة الخذلان)**.

تقدم أن الخذلان لغة عدم النصر، والمراد به عدم التوفيق، والتوفيق خلق قدرة الطاعة فى العبد عندنا، وفسره المعتزلة بلطف الله تعالى بعبده، والخذلان المقابل له عدم لطفه به كما فصل فى علم الكلام، يعنى لا ينكره إلا من خذله الله، ولم يوفقه للعلم به ومشاهدة أحواله، ثم ترقى عما ذكره، فأضرب إضرابًا انتقاليًا أو إبطاليًا لإنكاره بإثبات ضده فقال: **(بل كل جاحد)** أى منكر **(له)** أى لما ذكر مما قدمه.

(وكافر) بما جاء به **(من الجاهلية)** أى أهلها **(به إذا سمع ما يدعو)** صلى الله تعالى عليه وسلم، الخلق **(إليه)** من الحق المبين **(صوَّبه)** أى اعتقد أنه صواب، واعترف به؛ لأن إنكاره مكابرة تأباها العقول السليمة والطباع المستقيمة، **(واستحسنه)** أى عرف حسنه واعترف به **(دون طلب إقامة برهان)** وحجة **(عليه)** أى على ما أتى به لظهور حقيقته كنار على علم، كعبد الله بن أبى بن سلول، وغيره مما ذكره فى كتب الحديث والسير.

(ثم ما أحل لهم من الطيبات) أى اشتمال شريعته على ما جعلته حلالاً للناس مما حرمه غيره، كبنى إسرائيل الذين حرموا كل ذى ظفر من البقر والغنم لحومهما إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا.

(وحرم عليهم من الخبائث) كالميتة والدم ولحم الخنزير والزنا وغير ذلك من المحرمات، وعطف بثم لما بينهما من تفاوت الرتبة، وقيل: لأن الأول تفصيل وهذا إجمال، وبينهما تفاوت وبون ظاهر، وفسر الشافعى الطيبات بما ليس بمستقذر، والخبائث بضده، والعبرة فى ذلك بالطباع السليمة.

(و) اشتمال شريعته على ما **(صان به أنفسهم)** من الهلاك كتحريم قتل النفس بغير حق وقصاص القاتل، **(وأعراضهم)** بفتح الهمزة جمع عرض بكسر العين وسكون الراء، وهو فى العرف كل ما يخل تركه بالإنسان، وهو المراد واختلف فى معناه الحقيقى لغة، فقيل: هو ما يمدح به المرء أو يذم سواء وصف به دون أسلافه أم لا، وفى الحديث: «كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه»[1]، وفى الحديث: «أهل الجنة لا يبولون ولا

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٦٤/٣٢)، وأحمد (٢٧٧/٢، ٣٦٠)، وأبو داود (٤٨٨٢)، والترمذى (١٩٢٧)، وابن ماجه (٣٩٣٣).

يتغوطون وإنما هو عرق من أعراضهم»، ففسر بكل موضع يعرق من الجسد، وقال الأصمعى: يقال: هو طيب العرض أى الريح، وفسر بعضهم العرض بالنفس فعلى هذا هو عطف تفسير.

(وأموالهم) فمن آمن به، صلى الله تعالى عليه وسلم، واتبع شرعه صان دمه وعرضه وماله.

(من المعاقبات) بيان لما صان كالحد والتعزير والحبس، **(والحدود)** كحد الزنا والسرقة والقذف وشرب الخمر **(عاجلاً)** أى فى الدنيا، وهو حال مقيد للمعاقبات والحدود، **(والتخويف بالنار آجلا)** فى الآخرة؛ لأنه مستقبل من الأجل وهو الوقت المحدود، وفى بعض النسخ بدل التخويف التحريق تفعيل من الحرق بالنار، أى نار جهنم، واختلفوا فيمن حد وعوقب فى الدنيا هل يسقط عنه عذاب الآخرة أم لا؟ فقيل: يسقط مطلقًا، وقيل: بشرط التوبة أيضًا، وإلى هذا ذهب المعتزلة، وقيل: لا يسقط وإنما شرع زجرًا ليرتدع الناس عنه، والأصح الأول، لما ورد فى الحديث: «من أصاب من ذلك شيئًا فعوقب فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئًا ثم ستره الله فهو إلى الله، إن شاء عفى عنه وإن شاء عاقبه»[1].

وما ورد فى الحديث من أنه صلى الله تعالى عليه وسلم، قال: «لا أدرى الحدود كفارة لأهلها أم لا».

فقيل: الأول أصح، وقيل: إنه صلى الله تعالى عليه وسلم، قاله قبل العلم به فهو منسوخ.

وقوله: **(مما لا يعلم)** بالبناء للمجهول أى لا يعلمه غيره من الناس، وهو بيان لجميع ما تقدم من أول الفصل إلى هنا، **(ولا يقوم به جملة)** أى بحفظه وتيقنه كما هو حقه، وبه فسر القيوم، بل **(ولا بعضه)** فضلا عن كله **(إلا من مارس الدرس)** أى لازم دراسة الكتب واجتهد فيها، **(والعكوف على الكتب)** السالفة، قال الراغب: العكوف الإقبال على الشيء وملازمته على سبيل التعظيم، ومنه الاعتكاف انتهى، وهذا تأييد لأنه منحة إلهية خصه الله تعالى بها، فما قيل: إنه لا حاجة إليه وهم من قائله، فقوله لا حاجة إليه فاعرفه، فإنه فى غاية الظهور.

(ومناقثة[2] بعض هذا) الظاهر أنه بميم ونون وقاف ومثلثة وهو بمعنى الاستخراج كما

---

(١) أخرجه ابن أبى الدنيا فى حسن الظن (٥٢)، وأورده السيوطى فى الدر المنثور (٦/٢٠٩).

(٢) وفى كتاب الشفاء طبعة دار الفكر «مثافنة»، والمثافنة: هى المجالسة والملازمة، فهى الصواب وكذلك فى هامش النسخة المطبوعة بمكة المكرمة، وهى مكتوبة بخط اليد، وسيأتى فى =

فى القاموس معطوف على الدروس، والمعنى ظاهر.

وما فى بعض النسخ من أنه بالفاء مفاعلة من النفث، وهو تفل الريق من الساحر والراقى ويطلق على لازمه وهو السحر، والسحر قد شاع فى الدقة وكأنه المراد أى والدقيق فى بعض هذه الأمور.

وقوله مما لا يعلم إلى هنا ساقط من أكثر النسخ و لم يتعرض له الشراح.

(**إلى الاحتواء**) أى مع اشتمالها أو مضمومًا إلى الاشتمال (**على ضروب العلم**) أى أنواعه جمع ضرب بفتح الضاد وكسرها، ويكون بمعنى المثل أيضًا (**وفنون المعارف**) أى أقسام المعرفة المتعلقة بأحوال الدنيا وأهلها، كما أن ضروب العلم المراد بها ما يتعلق بالشرائع والآخرة، فهو من عطف المتغايرين لامن غيره على أنه تفنن، والفرق بين العلم والمعرفة مشهور.

(**كالطب**) أى معرفة ما يتعلق ببدن الإنسان من حيث الصحة والسقم، وكان صلى الله تعالى عليه وسلم، أعرف الناس به كما فى الطب النبوى، وهو من العلوم القديمة المدونة، وله معان فى اللغة وهو مثلث الطاء مشدد الباء.

(**والعبارة**) بكسر العين المهملة أى تعبير رؤيا المنام، وفعله عبر بتخفيف الباء، والناس يشددونها وقد أنكره بعض أهل اللغة إلا أنه سمع فى بيت أنشده المبرد، رحمه الله تعالى، فى الكامل، وهو قوله:

رأيت رؤيا ثم عبرتها وكنت للأحلام عبارا

كما فى الكشاف، ووقع فى بعض النسخ العبارة مضبوطًا بفتح العين، و لم أقف عليه.

(**والفرائض**) جمع فريضة، وهو النصيب من الميراث، والفرائض صار علمًا للعلم بذلك، وهو قسم من علم الفقه أفرد بالتأليف، فصار علمًا مستقلاً، ولذا نسب إليه فقيل فرائضى.

(**والحساب**) هو علم يتعلق بالعدد، ولابتناء الفرائض عليه فى الأكثر قرنه به.

(**والنسب**) أى معرفته بأنساب العرب وغيرهم وهو من علم التاريخ، وكان أبو بكر الصديق، رضى الله تعالى عنه، أعلم الناس به بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، (**وغير ذلك من العلم**) وأنواعه (**مما اتخذ أهل هذه المعارف**) لو قال أهله: كان أظهر وأشمل وأخصر (**كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم، فيها**) أى فى هذه العلوم والمعارف، وقيل:

= الصفحات التالية ما يؤيد أنها «مثافنة».

الضمير للشريعة أى فى شريعته وهو خلاف الظاهر.

(قدوة وأصولاً) أى أدلة مثبتة لها أو قواعد وضوابط يرجعون إليها فى الحوادث الجزئية إذا وقعت لهم **(فى علمهم)** أى علومهم التى دونوها فى هذه الفنون، **(كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم)**، فى حديث رواه ابن ماجه، عن أنس، رضى الله تعالى عنه: **(الرؤيا)** أى ما يرى فى المنام من الأحلام مصدر يختص بذلك، ويقال فى غيره رؤية بالتاء ورأيا **(لأول عابر)** متعلق بمقدر أى مصادفة وموافقة لأول تفسير يفسر به، والعابر هو الذى يبين الرؤيا ويفسرها، وأول الحديث اعتبروها بأسمائها وكنوها بكناها، والرؤيا لأول عابر: أى فسروها بما يناسب ألفاظها، كما إذا قيل: سالم فأول بالسلامة وهو نوع من التعبير، والتكنية ليس من الكنية المشهورة، بل المراد به التمثيل كما فى النهاية، وهى عند أهل السنة أمر يلقيه الله تعالى فى قلب عبده كالإلهام، وورد أن ملكًا يلقيه وهو ملك الرؤيا، وعند الحكماء أن الروح فى النوم تفارق البدن، وتتصل بالملأ الأعلى، فيلقى إليها ما يفيضه على ذهن النائم، فمنه ما يقع بعينه ومنه ما يأول بغيره، ومنها أضغاث أحلام، ودعابة الشيطان لا تأويل له، ومن هذا القبيل ما هو من غلبة الأخلاط كالصفراء إذا غلبت يرى النائم نارًا، والبلغم يرى ماء والسوداء يرى شيئًا أسود، وليس كل رؤيا كذلك كما يوهمه كلام الأطباء، وإنكار هذا القسم لا وجه له أيضًا.

والكلام على الرؤيا وحقيقتها وأقسامها مبسوط فى محله، قيل: المراد بالعابر هنا العالم بأحوال الرؤيا لا كل عابر، وظاهر كلام أهل هذا الفن يخالفه؛ لأنه عندهم كالفأل والإلهام فلا يختص بمن ذكر، وقد قيل: إن رجلاً رأى أنه شرب البحر، فقصه على ابن سيرين، رحمه الله تعالى، فقال له: هل ذكرته لأحد؟ قال: نعم، قال: ما قال لك؟ قال: قال: أراه ينشق بطنك، فلم يعبرها له، وقال: قضى الأمر.

(و) قوله و **(هى على رجل طائر)** رواه أبو داود، والترمذى، عن أبى ذر، رضى الله عنه، وصححه يؤيده بل يعينه، وأول الحديث: «رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة وهى على رجل طائر ما لم تعبر فإذا عبرت وقعت، فلا يحدث بها إلا حبيبًا أو لبيبًا»(١)، ورجل بكسر الراء وسكون الجيم ولام، وهو تمثيل لكونها كالفأل على قدر جار من خير أو شر قدر لصاحبها، فكأنها بصدد وقرب من أن تقع بأدنى حركة، فهو بمعنى قوله لأول عابر، وفيه من لطف البلاغة وسرها ما لا يخفى، فإن الطائر يكون للفأل، ومنه التطير، وليس المراد به ظاهره كما توهم.

---

(١) أخرجه أبو داود (٥٠١٨)، والترمذى (٢٢٧٨، ٢٢٧٩)، وأحمد (٢/٢٣٣)، والدارمى (٢/١٢٣)، وعبد الرزاق (٢٠٣٥٢)، والحاكم (٤/٣٩٠).

وقد وقع فى بعض الكتب الرؤيا على جناح طائر إذا قص وقع، ولا أدرى هل هى رواية بالمعنى تطرقًا أو رواية وفيه تورية فى القص؛ لأنه يكون من قص الجناح إذا قطع ريشه، ومن قصص الرؤيا أى ذكرها للعابر فوقع محتمل لمعنيين أيضًا من الوقوع والسقوط، وقد نظمه بعض المتأخرين فقال:

رؤيا إذا قصصتها واقت كبدر قد طلع
على جناح الطائر فهو إذا قص وقع

وهذا الحديث روى من طرق اختلف العدد فيها، فروى سبعين وأربعة وعشرين وستة وأربعين جزءًا، والأخير من رواية البخارى، وجعلها جزءًا من النبوة؛ لأن رؤياهم وحى صادق، فقيل: حقيقة العدد وقدره غير مقصود والمقصود التكثير، وقيل: وجهه أنه صلى الله تعالى عليه وسلم، أوحى إليه إحدى وعشرين سنة، ستة منها منام والباقى وحى يقظة على أنواع بينوها، وجاءت امرأة للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقالت: رأيت أن جذع السقف من بيتى وقع وعندى ولدٌ أعور، فقال: يقدم زوجك وتلدين ولدًا برًا، ثم رأتها بعد ذلك فقصتها على أبى بكر، رضى الله تعالى عنه، فقال: يموت زوجك وتلدين فاجرًا؛ لأنها فى زمن الرؤيا كان زوجها غائبًا، وهو عمود البيت فسقوطه بجيئه قال:

فاسقط علينا كسقوط النداء بالليل لا ناه ولا آمر

وأول العور بالبر لغض بصره عن المحرمات، وفى وقت كلامها لأبى بكر، رضى الله تعالى عنه، كان زوجها مقيمًا، وسقوطه موته، والأعور يتشاءم به، فالمنام واحد اختلف تأويله بحسب الحال وأمثاله كثيرة.

(وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم: **(الرؤيا ثلاث)** أنواع: **(رؤيا حق)** بالإضافة والتوصيف، والظاهر الثانى وهو المناسب لما بعده، وعلى الأول الإضافة بيانية أى رؤيا هى حق فالمعنى واحد.

(ورؤيا يحدث بها المرء نفسه) المراد أنها خواطر تخطر بالبال لأمور مفاضة من عالم المثال، والملك يشبه بمن يجاور غيره فى خلوة لما يورده عليها من الأمانى والأوهام، وهو فى معنى التجريد المذكور فى علم البديع، فهو بديع، وليس المراد من نفسه ذاته وهما معنيان متغايران، يعنى أنه رأى فى منامه ما كان فى فكره قبله وهو من أضغاث الأحلام.

(ورؤيا تحزين من الشيطان) بأن يلقى له ما يكره ويخاف بوسوسته، وورد فى الحديث أنه ينبغى للإنسان أن يتحول من شقه الذى نام عليه، ويستعيذ بالله تعالى من شره،

ويتفل عن يساره، أو يصلى ركعتين إن انتبه، ولا يحدث به أحدًا.

قال السيوطى، رحمه الله فى مناهل الصفا فى تخريج أحاديث الشفا: هذا الحديث رواه الشيخان وغيرهما عن بضعة عشر من الصحابة إلا أنه قيل: إن الذى فى مسلم عن ابن سيرين، عن أبى هريرة: «إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب، وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثًا، ورؤيا المسلم جزء من خمسة وأربعين جزءًا من النبوة، والرؤيا ثلاث رؤيا صالحة بشرى من الله، ورؤيا تحزين من الشيطان، ورؤيا يحدث بها المرء نفسه، فإن رأى أحدكم ما يكره، فليقم فليصل ولا يحدث بها الناس»[1]، قال: وأحب القيد وأكره الغل والقيد ثبات فى الدين، فلا أدرى أهو فى الحديث أم قاله ابن سيرين، انتهى ما فى مسلم.

وقد اختلفوا فى ما ذكر من كون الرؤيا ثلاثًا إلى آخره، فقيل: هو مدرج فى الحديث من كلام ابن سيرين، وقيل: هو موقوف على أبى هريرة، وقيل فيه: إنه مرفوع ويؤيده أن ابن حنبل رفعه مسندًا، والحافظ السيوطى اعتمده.

وكذا المصنف، رحمه الله تعالى، فلا يرد عليه: أن ابن الملقن قال فى شرح البخارى: إن الصحيح أنه ليس من كلامه، صلى الله تعالى عليه وسلم، واختلف فى قائله، والصحيح أنه ابن سيرين، وقول ابن حجر فى فتح البارى: إنها ليست منحصرة فى الثلاث، فإن منها رابعًا: وهو تهويل الشيطان، وخامسًا: وهو ما يهم به المرء فى يقظته، وسادسًا: وهو تلاعب الشيطان، وسابعًا: وهو ما يعتاده الإنسان وبينه وبين حديث النفس عمومٌ وخصوص ليس بشىء؛ لأنه راجع لما ذكر أو ما فى معناه، وقد بسطنا الكلام على الرؤيا فى تعليقة مستقلة يضيق عنها نطاق المقام، فانظرها إن شئت.

(وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم، فى حديث رواه الشيخان عن أبى هريرة مسندًا: **(إذا تقارب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب)** التقارب تفاعل من القرب ضد البعد، واختلف فى المراد به هنا فقيل: المراد به زمان الربيع وقرب الليل والنهار من التساوى، وهو زمان تدرك فيه الثمار وتنفتح الأزهار ويرق النسيم فتعتدل الطباع البشرية فيه، فيقوى قواها على تلقى ما يفاض عليها.

ولذا قال أهل التعبير: أصدق زمان لوقوع الرؤيا زمان الربيع، وقيل: المراد به آخر الزمان إذا قربت الساعة كما فى زمان المهدى وتقاربه، وقصره إما حقيقة لما فى الحديث فى أيامه: «السنة كشهر والشهر كجمعة والجمعة كيوم واليوم كساعة».

---

(١) أخرجه البخارى (٩/٤٨)، ومسلم (٦/٢٢٦٣)، وأحمد (٢/٥٠٧)، وأبو داود (٥٠١٩)، والترمذى (٢٢٧).

وقيل: إنه لكثرة اشتغال الناس بالدنيا لسعتها عليهم أو لغير ذلك، وذهب كل لترجيح أحد الوجهين لورود ما يؤيده، وقوله: «لم تكد» إلى آخره نفى للكذب بأبلغ وجه برهانى؛ لأن ما لا يقرب من الوقوع أبلغ مما لا يقع فليس نفيها إثباتًا ولا إثباتها نفيا كما توهم والقربة، وأجيب عنه كما فصله النحاة وشهرته تغنى عن ذكره، وخص المؤمن لأن نفسه أقوى وعقله أتم من غيره، وقيل: إنه لبعد العهد بالوحى عوضوا المبشرات.

(وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم، فى حديث رواه الدارقطنى وضعفه، فلا وجه لما قيل من أنه لا صحة له **(أصل كل داء)** أى مرض وتغيير مزاج **(البردة)** بموحدة وراء ودال مهملتين مفتوحات، وهى والتخمة الإكثار من الطعام حتى لا تقدر المعدة على هضمه، سميت بها لبرد المعدة حتى تضعف عن طبخه وتصفية أخلاطه، والمراد بكونه أصلاً لذلك أنه منشؤه ومبدؤه فى الغالب:

فإن الداء أكثر ما تراه   يكون من الطعام أو الشراب

(وما روى) عنه صلى الله تعالى عليه وسلم، والراوى له الطبرانى فى الأوسط كما يأتى بيانه، والمصنف لم يثبته **(فى حديث أبى هريرة من قوله)** صلى الله تعالى عليه وسلم **(المعدة)** بوزن كلمة وبكسر الميم وسكون العين ودال مهملة مقر الطعام كالكرش للحيوان والحوصلة للطائر **(حوض البدن)** تشبيه بليغ، والحوض مجمع الماء فشبهها به وشبه البدن بما يستقى منه، وقيل: شبهها به بعروق الشجر والبدن بفروعها، وهو مكدر لما فى الحوض من الصفاء والتشبيه ثم رشح ذلك بقوله: **(والعروق إليها واردة)** جمع عرق، وهو مجرى الدم والورود الإتيان للماء مفرد أو جمع وارد، فشبه إيصال خلاصة الغذاء إلى الأعضاء بالأخذ من الحوض المورود، والعروق تنقسم إلى شريانات وأوردة كما ذكره أهل التشريح، **(فإن كان هذا حديثًا)** خبر كان.

وقوله: **(لا نصححه)** أى لا نحكم بصحته خبر ما الموصولة قبل وروى حديث بالرفع بدلاً من هذا والنصب أولى؛ **(لضعفه وكونه موضوعًا)** بالجر ترق من ضعفه، ويجوز رفعه على أنه مبتدأ خبره.

(تكلم عليه) الإمام أبو الحسن **(الدارقطنى)** نسبة لدار القطن محلة ببغداد، ولا يرد على المصنف، رحمه الله تعالى، أنه كيف ذكر الموضوع، وهو كذب عليه، صلى الله تعالى عليه وسلم، وهو ممتنع؛ لأن ذلك فى ذكره مع بيانه، وقد اختلف فيه فقيل: إنه مرفوع.

قال الطبرانى فى الأوسط عن الزهرى، عن أبى هريرة مرفوعًا: «المعدة حوض البدن

والعروق إليها واردة، فإذا صحت المعدة صدرت العروق بالصحة، وإذا فسدت المعدة صدرت العروق بالسقم»[١]، ولم يروه عن الزهرى إلا زيد بن أبى أنيسة تفرد به الرهاوى.

وقوله: تكلم إلى آخره أى بحث فى سنده وكونه مرفوعًا، وقال فى كتاب العلل: اختلف فيه عن الزهرى فرواه أبو قرة الراوى عنه، وقال: عن عائشة، ولم يقل عن أبى هريرة، وكلا الروايتين عن أبى هريرة لم يصح، ولا يعرف من كلام النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، وإنما هو من كلام عبد الملك بن سعيد بن أبجر، وقيل: إنه من كلام الحارث بن كلدة، وعن ابن منبه ما يقرب منه، وذكر ابن أبى الدنيا أنه أجمعت الأطباء على أن رأس الطب الحمية، والحكماء عن أن رأس الحكمة الصمت.

وعن عائشة، رضى الله تعالى عنها، أنها قالت: الأزمة داء والعدة دواء، وعودوا كل بدن ما اعتاده.

(وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم، فى حديث رواه الترمذى عن ابن عباس، رضى الله تعالى عنهما: **(خير ما تداويتم به السعوط)** بفتح السين وضم العين وواو وطاء مهملات، وكذا كل ما يداوى به، فإنه على فعول بالفتح، وهو ما يجعل فى الأنف ويستنشق به لفتح السدد الدماغية ومنع النزلات، **(واللدود)** بفتح اللام وضم الدال المهملة وواو ودال مهملة، وهو ما يجعل فى أحد شقى الفم ويتغرغر به لدفع ورم به يعترى الصبيان غالبًا، وهما فى الأصل اسمان لمرضين فى الرأس وأعلى الحلق، ويسمى الثانى نزلة الحلقة وهو ورم فيه معروف، وكان النساء يعالجنه برفعه بالأصبع، فنهاهم صلى الله تعالى عليه وسلم، عنه وأمرهم بما ذكر وهو العود الهندى يحك فى الماء، ثم يفعل به ذلك فيحلله بحرارته، وهو مأخوذ من اللديد، وهو جانب الوادى كما قاله الأصمعى.

وهذا من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم، فإنه مرض خفى لا يعرفه أكثر الأطباء قديمًا فضلاً عن زماننا، وفى الهدى النبوى لابن القيم من هذا النوع ما فيه شفاء للصدور.

(والحجامة) وهى مص الدم بآلة معروفة فى الرأس وبين الكتفين، وهى فى مؤخر الدماغ تورث النسيان، وهى دواء للشقيقة فى الرأس مع أنه مرض مزمن، وورد فيها أحاديث منها أنه صلى الله تعالى عليه وسلم، ما مر ليلة الإسراء بملأ من الملائكة إلا قالوا له: مر أمتك بالحجامة.

---

(١) أخرجه ابن الجوزى فى الموضوعات (٢/٢٨٤).

(والمشى) بفتح الميم وكسر الشين المعجمة وتشديد المثناة التحتية، وهو المسهل يقال: شربت مشيًا ومشوا سمى به؛ لأن صاحبه يكثر المشى للخلاء، وفى الحديث: «لو كان شىء فيه شفاء من الموت لكان فى السنا»[1]، ولبعض الشراح هنا كلام مختل تركه خير منه.

(وخير الحجامة) أى أنفعها بعد نصف الشهر **(يوم سبع عشرة وتسع عشرة وإحدى وعشرين)** فى الوتر دون الشفع، وهذا الحديث رواه الحاكم عن ابن عباس، رضى الله عنهما، وصححه وأبو داود، عن أبى هريرة مرفوعًا وشينه مفتوحة وساكنة، وغلب فيه المؤنث على المذكر، أو ذكر لحذف المميز، ونهى عن الحجامة فى يوم الأربعاء والسبت والأحد.

وروى عن ابن حنبل أنه كره الحجامة فى هذه الأيام، وإنما كانت الحجامة فى النصف الأخير والربع الثالث من الشهر أنفع؛ لأن الأخلاط تهيج فى أوله وتسكن بعده لهبوط القمر، فالاستفراغ فيه أقل فلا يضعف، ويقولون: إنه ينبغى أن يكون فى الساعة الثانية أو الثالثة ولا يكون عقب حمام ولا جوع ولا شبع ولا فى الصوم.

(وفى العود الهندى سبعة أشفية) والمراد بالعود الهندى العود المعروف، وقيل: القسط الأبيض وهو مبين فى باب المفردات من الطب، والأشفية جمع شفاء على خلاف القياس، والقسط بضم القاف ويقال: كسط بالكاف، والسبعة أنه ينفع من ذات الجنب وحصر البول وضعف شهوة الطعام والجماع والسم ويدر الطمث وينفع أمراض الكبد والربع، والسبعة علمت بالوحى وما عداها بالتجربة.

(وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم، كما تقدم الكلام فيه **(ما ملأ ابن آدم وعاء شرًا من بطن)** شبه البطن بالوعاء الذى فيه الطعام، وفى بعض النسخ من بطنه، والشرية فى البطن محققة لأنه يضر ويورث الكسل المانع من العبادة، وفى المفضل عليه تقديرية، **(فإن كان لابد)** أى إن لزم، وأصل معنى البد المفارقة، يقال: لابد من كذا ولا محالة أى لا مفارقة ولا تحول، فأريد به لازمه، **(فثلث)** من البطن **(للطعام وثلث للشراب وثلث)** يكون خاليا **(للنفس)** أى لدخوله وخروجه، وهذا إيماء إلى أنه لا ينبغى ملؤه بتمامه، وأن يكون ما فيه أقل من ملىء ثلثيه، وهذا بعض حديث رواه ابن ماجه، والترمذى، وابن خزيمة مرفوعًا وحسنوه وهو: «ما ملأ ابن آدم وعاء شرًا من بطن حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثلث...»[2]، إلى آخره.

---

(١) أخرجه أحمد (٣٦٩/٦)، وابن ماجه (٣٤٦١)، وابن عبد البر فى التمهيد (٢٧٥/٥).

(٢) أخرجه أحمد (١٣٢/٤)، والدارمى (٢١٣)، والترمذى (٢٣٨٠)، وابن ماجه (٣٣٤٩)، وابن حبان (١٣٤٨)، والحاكم (٣٣١/٤).

وجعله من طبه؛ لأنه بين مبدأ الصحة والمرض ومقدار ما يكفى البدن، وربما يتوهم بعضهم أنه يضعفه، وقد قال بعض أهل الكتاب: ليس فى كتابكم الطب، فقال له بعضهم: قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ [الأعراف: ٣١]، فقال: إنها جمعت طب جالينوس، ثم ذكر ما يتعلق بعلمه صلى الله تعالى عليه وسلم، بالأنساب ولم يراع فى اللف والنشر ترتبًا، فإنه ليس بلازم، وقد يستحسن تركه اعتمادًا على فهم السامع، فقال: (**وقوله**)، عليه السلام، فى حديث رواه الترمذى عن فروة، وأحمد، عن ابن عباس مسندًا.

(**وقد سئل عن سبأ**) بهمزة فى آخره يجوز إبدالها ألفًا وعلى همزه يصرف ولا يصرف، فيجوز تنوينه وعدمه وهذا مما اختلفوا فيه وفى مسماه (**أهو رجل أم امرأة أم**) هو اسم (**أرض**) كان يسكنها وينزل بها؟ (**فقال**): هو اسم (**رجل**) سمى باسمه أرض، وهى مدينة بلقيس باليمن، فلا خلاف بين القولين فصرفه ظاهر، ومنعه لأنه أريد به قبيلته، فإن أريد به الأرض فباعتبار البقعة (**ولد عشرة**) من الأولاد الذكور، ولذا قال: عشرة، (**تيامن منهم ستة**) أى سكن اليمن، فتوالد منه أكثرهم ونسبوا له، وهم مذحج وحمير وكندة والأزد، والأشعريون كما ذكره علماء النسب وأهل التاريخ، واليمن أقليم معروف منه تهامة ومنها المدينة.

(**وتشاءم أربعة**) أى سكنوا الشأم بالهمزة، وقد تمد وتبدل ألفًا وهو من الفرات إلى العريش، وهم لخم وجذام وعاملة وغسان كما قاله الواحدى فى تفسيره، وتحت هؤلاء قبائل وبطون وأفخاذ ليس هذا محل تفصيلها (**الحديثَ بطوله**) بالنصب أى اذكر هذا الحديث، وفيه إشارة إلى أنه اقتصر على بعض منه يكفى فيما أراده وترك الباقى لطوله والغنى عنه، واختلف فى وجه تسمية الشأم شامًا فقيل: لأنها فى جانب اليسار، ويقال له: شامى كسرى، وقيل: سميت باسم سام بن نوح وعربت بالإعجام، وقيل: إنه بمعنى الشأمة لشامات حمر وسود فيها.

(**وكذلك**) أى مثل ما تقدم من علمه، صلى الله تعالى عليه وسلم، بالأنساب (**جوابه**) صلى الله تعالى عليه وسلم، لمن سأله، وهو عمرو بن مرة (**فى نسب قضاعة**) فى حديث رواه أحمد، وأبو يعلى والطبرانى، عن عمرو بن مرة الجهنى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم، قال: من كان هنا من معد فليقم، فقمت، فقال: اقعد، فقلت: ممن نحن؟ قال: «أنتم من قضاعة بن مالك بن حمير»[1]، وقضاعة بضم القاف وضاد معجمة وعين مهملة

---

(١) أخرجه الطبرانى فى الكبير (١٣٧/٧، ٣٠٤/١٧)، وابن سعد (٦٦/٢/٤)، والدولابى فى الكنى (٨٨/١).

أبو حى من اليمن، لقب به لانفصاله عن الناس؛ لأن القضاعة ما ينفصل عن أصل الحائط، وقيل: من قضع بمعنى قهر لقهره بشجاعته من عاداه، وقيل: القضاعة من أسماء الفهد أو كلب الماء.

(وغير ذلك) المذكور **(مما اضطرت)** بالنباء للمفعول، وهو لغة القرآن الفصحى، أو الفاعل افتعال من الضرورة والاحتياج، قال الله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل: ٦٢]، **(العرب على)** أى مع **(شغلها)** بضم الشين المعجمة ويجوز فتحها، والأول هنا أولى أى اشتغالها وتقييدها **(بالنسب)** أى بمعرفته وحفظه؛ لاعتنائهم بضبط أنسابهم ومع ذلك اضطروا فالتجأوا، **(إلى سؤاله)** صلى الله تعالى عليه وسلم، **(عما اختلفوا فيه)** لخفائه عليهم.

(من ذلك) أى معرفة ذلك أى مشكل أنسابهم ومعرفة ما أشكل عليهم مما جل أمرهم ضبطه، وهو صلى الله تعالى عليه وسلم، لا يعتنى به ولا يشتغل بحفظه، وذلك يدل على قوة معرفته بالأنساب، وفى نسخة مصححة ومن ذلك بالواو، فهو خبر مقدم.

(و) قوله: **(قوله)** مبتدأ، أى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم، فى حديث رواه البزار **(حمير)**، وهم قوم من العرب بوزن درهم ابن سنان بن يشخب **(رأس العرب)**: أى منزلتهم من الشرف فى العرب بمنزلة الرأس من الجسد، **(ونابها)** وهو سن كبير خلف الرباعية أى هم عمدتهم ومن أشدهم، وهم من ولد معد بن عدنان ومن ذرية إسماعيل.

(ومذحج) بفتح الميم وسكون الذال المعجمة وكسر الحاء المهملة وجيم، وهما حيان من العرب مالك وطى سميا باسم أكمة ولدتهما أمهما عندها، وميمه زائدة فوزنه مفعل، وقال الجوهرى: أصلية فوزنه فعلل ووهم فيه عما فصل فى كتاب سيبويه وشروحه، وليس هذا محله **(هامتها)** أى رأسها **(وغلصمتها)** بفتح الغين المعجمة وسكون اللام وفتح الصاد المهملة وميم وهاء، وهى لحمة بين الرأس والعنق أو رأس الحلقوم، وفيه إشارة إلى اشتركهما فى الشرف، وتخصيص كل بفضيلة مع التفنن فى التعبير، فإن الرأس والهامة متقاربان، والناب والغلصمة يحتاج لكل منهما فى إساغة الطعام الذى هو مادة الحياة، وقيل: إنه تفضيل لمذحج؛ لأن الحاجة للغلصمة أشد ولك أن تقول: إنه إشارة إلى أن فى حمير مع الشرف شدة وقهر، وفى مذحج لين ونفع، وعلى كل حال فما وصفوا به دال على المدح والشرف على طريق التشبيه للبليغ، أو المجاز المرسل بتسمية الكل باسم الجزء، وقول أبى بكر، رضى الله تعالى عنه، فى حديثه المشهور: أمن هامها أم من لهازمها، أى أشرافها أو أوساطها يدلّ على تفضيل حمير.

(والأزد) بهمزة مفتوحة وزاء معجمة ساكنة ودال مهملة، وهو الأزد بن الغوث،

وهو بالسين أفصح كما فى القاموس أبو حى باليمن منه الأنصار، ويقال لـلأزد: شنوءة وعمان وسراة وأزد بن الفتح محدث (**كاهلها**) بوزن فاعل، وهو ما يلى العنق مـن أعلـى الظهر كما قاله الخليل، وعليه الكل والحمل، وقيل: ما بين كتفيـه أو موضـع العنـق فـى الصلب (**وجمجمتها**) بضم الجيمين وميمين الأولى ساكنة والثانيـة مفتوحـة، وهـى عظـام الرأس، وتطلق على الرأس نفسها، وجماجم العرب بطون منـها، والجمجمـة أيضًـا اسـم قدح، ونقل معروف، وفيه إشارة إلى أن غيرهم وإن كان أشرف كالمهاجرين والخلفـاء، فهم لهم الفضل بمعاونتهم وحمل كدهم لأن الأنصار منهم.

(**وهمدان**) بسكون الميم ودال مهملة قبيلة باليمن، وبفتح الميم اسم بلدة (**غاربها**) هو من البعير كالكاهل من الإنسـان والكتـف، (**وذروتـها**) بكسـر الـذال المعجمـة وضمهـا وسكون الراء المهملة أى أعلاها وسنامها، ففيه من المعرفة بأنساب العـرب ومنازلهـا فـى الشرف والإحاطة بأحوالها ما لا يهتدى له سواه صلى الله تعالى عليه وسلم، وقيـل: أراد بالذروة أعلى السنام، وإن مخائل الضعف والنكارة لائحة على هذا الحديث لتكريره ذكر الرأس بألفاظ مختلفة، ولذا جزم ابن حجر بأنه منكر.

قلت: أما إنكاره من جهة الرواية فمسلم، وأما من جهة تكراره المذكور، فتفنن بديع ونوع من الفصاحة، فلا وجه للاستدلال به وهو عليه.

(**وقوله**) صلى الله تعالى عليه وسلم، فى حديـث رواه الشيخان عـن أبـى بكـرة فـى خطبة حجة الوداع، ولفظ قوله فى جميع ما وقع هنا بالجر رواية عن المصنف، وإن جـاز رفع بعضها: (**إن الزمان قد استدار**) أى عاد لما كان عليه كالدائرة التـى يرجـع انتـهاؤها إلى ابتدائها (**كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض**)، وتتمة الحديـث السـنة اثنـى عشـر شهرًا، منها أربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجـب منفـرد بين جمادى وشعبان، انتهى.

وقيده بذلك دفعًا للنسىء وتغيير الشهور الذى كانت الجاهليـة تفعلـه، فإنـهم كـانوا أهل حروب وغارات، فربما أتاهم بعض الأشهر الحرم وهم يحاربون، فيشق عليهم الـترك فيجعلونه وينقلونه من شهر إلى آخر، ويستمر نقله من شهر لآخر سـنة بعـد سـنة حتـى يعود لموضعه الأول، فينتقل بذلك شهر الحج وكانوا يحجون فى كل شهر عامين، فوافق حجة أبى بكر العام الثانى من حجة ذى القعدة، فلما حج صلى الله تعـالى عليـه وسـلم، حجة الوداع وافـق حجـه شـهر ذى الحجـة المشـروع، فوقـف كمـا هـو الآن فخطـب وأعلمهم أن حجه فى هذا الشهر ليس اتفاقيًا بموافقته لدور الشهور فـى الجاهليـة، وإنمـا هو أمر شرعه الله وقدره فى الأزل وأمره به نسخًا لما كانوا يفعلونه، وأمرهـم صلـى الله تعالى عليه وسلم، بالمحافظة عليه وأن لا يبدل ويدور دور الجاهلية الأولى.

فقوله: استدار بمعنى رجع لما فى علم الله وقضائه قديمًا، وهو معنى قوله: ﴿يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [التوبة: ٣٦]، إلخ فنسى النسىء ونسخ، وكانوا إذا أرادوا ذلك يقوم رجل من بنى كنانة لأنهم أهل غارات على جمل بالموسم، وينادى بأعلى صوته: إن آلهتكم قد أحلت لكم المحرم فأحلوها، واستدارته بموافقة حجه للمشروع، ولذا لم يحج صلى الله تعالى عليه وسلم، قبله وأرسل أبا بكر، رضى الله تعالى عنه، بالعهد ليظهر الحرم قبل حجه، ونقل ابن حجر أن حجة الوداع كانت والشمس فى الحمل، وقد تساوى الليل والنهار واعتدل بشرف شمس النبوة، وقال الصدر القونوى فى شرح الأربعين حديثًا له: إن فى هذا الحديث أسرار إلهية لا يطلع عليها إلا بعض الكمل، ثم قال: إن النوع الإنسانى أوجد بالأمر الألهى فى أول دور السنبلة ومدته سبعة آلاف سنة، بعث نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم، فى الألف الأخير منها الجامع بين أحكام السنبلة والميزان المختص بالآخرة، والبروج تتمازج بالقرب فامتزج فى زمان بعثته الدنيا بالآخرة البرزخية كالصبح بالنسبة للنهار، فظهور النور تدريجًا حتى تطلع الشمس، وكذلك ظهور أحكام الآخرة من حين المبعث إلى طلوع الشمس من مغربها، ومنه ظهر سر ختمية النبوة والولاية، انتهى ملخصًا.

ومن لم يفهم الحديث ذكر ما لا مساس له به، ولا ينبغى ذكره، وذكر هذا الحديث هنا إثباتًا لعلمه، عليه الصلاة والسلام، بالحساب، فإن الزمان وحركاته الدورية مبنية عليه.

(وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم، فى حديث رواه الشيخان عن ابن عمر، رضى الله تعالى عنهما، **(فى الحوض)** أى فى شأن حوضه الذى يكون يوم القيامة يشرب منه العطاش، وقد تقدم الكلام فيه رزقنا الله وروده وسقانا منه شربة لا نظمأ بعدها **(زواياه سواء)** جمع زاوية، وهو ما يحصل من تلاقى خطين من داخله، وسواء بمعنى متساوية، وهذا يقتضى أنه مربع متساوى الأضلاع مستقيمها؛ فإنه لا تتساوى زواياه إلا إذا استقامت أضلاعه، وهذا أمر مبنى على المساحة ودقائق الهندسة، وذكر ابن أبى الإصبع أنه نوع من البديع غريب سماه الاستقصاء وأن منه قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ﴾ [المرسلات: ٣٠]، فقال: إنه إيماء إلى أنه ليس بظل؛ لأن المثلث لا ظل له، وهذا كله كلام يحتاج للتحرير لكن لكل مقام مقال، وهذا لا ينافى ما ورد فيه من أن مسافته ما بين أيلة وصنعاء، ومسافته شهر وغير ذلك كما مر؛ لا لأنه أعلم بأحواله شيئًا بعد شىء كما قيل، بل لأن المراد من كل زيادة سعته، فهو كما فى المثل كلا جانبى هرسى إليه طريق.

(وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم، في حديث رواه أبو داود، وابن ماجه، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، رضى الله تعالى عنهما، **(في حديث الذكر)** وهو أنه صلى الله تعالى عليه وسلم، قال: «خصلتان لا يحصيهما رجل مسلم إلا دخل الجنة وهما يسير ومن يعمل بهما قليل، يسبح الله عز وجل دبر كل صلاة عشرًا وتحمده عشرًا وتكبر عشرًا»(١)، قال: فرأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، يعقدها بيده، «فذلك خمسون فهى مائة باللسان وألف وخمسمائة في الميزان، فإذا آوى إلى فراشه سبح وحمد وكبر مائة، فتلك مائة باللسان وألف في الميزان فأيكم يعمل في اليوم ألفين وخمسمائة سيئة»، إلى آخر الحديث: **(وإن الحسنة بعشر أمثالها فتلك مائة وخمسون على اللسان)** أي إذا جرت على اللسان، وذكرت في دبر كل صلاة من الصلوات الخمس، فإنها ثلاثون مضروبة في خمسمائة، **(وألف وخمسمائة في الميزان)** التي توزن به الأعمال، والوزن إما لصحفها أو لها نفسها بجعل الأعراض أجسامًا، وعند المعتزلة أنه تمثيل لمضاعفة أجرها، فإن الحسنة بعشر أمثالها كما ورد به النص، وهو أقل مراتبها، وقد يزيد على ذلك وهذا استدلال من المصنف، رحمه الله تعالى، على معرفته، صلى الله تعالى عليه وسلم، بالحساب، وهو بالنسبة لمقامه وحدة ذهنه أمر سهل.

وقوله: يعقدها إشارة إلى أنه لم يكن له صلى الله تعالى عليه وسلم، مسبحة يسبح بها، ولذا قال بعضهم: إنها بدعة، وقال السيوطي في رسالة سماها المنحة في السبحة: إنها سنة وإن لم يباشرها بنفسه؛ لأنه صلى الله تعالى عليه وسلم، رأى عند بعض الصحابيات نوى تعد به الذكر فأقرها عليه.

(وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم، في حديث رواه الطبراني عن أبي رافع بسند قالوا: إن فيه ضعفًا، **(وهو في موضع)** جملة حالية وفي نسخة ومر بموضع **(نعم موضع الحمام هذا)** بفتح الحاء المهملة وتشديد الميم بيت يعد للغسل يذكر ويؤنث، ولم يكن في عصره صلى الله تعالى عليه وسلم، بالمدينة حمام ولم يدخله، وهذا تمثيل لما لم يذكره، فإن فيه الإخبار بمحال البناء ومهاب الهوى، ونعم للمدح والمخصوص به هذا، وقيل: موضع الحمام كقوله تعالى: ﴿وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [النحل: ٣٠].

(قوله) صلى الله تعالى عليه وسلم، في حديث رواه الترمذي عن أبي هريرة وصححه **(ما بين المشرق والمغرب قبلة)** القبلة تطلق على المسجد كما في قوله تعالى: ﴿وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ [يونس: ٨٧]، في أحد التفاسير، وعلى الكعبة، وعلى جهتها

---

(١) أخرجه أبو داود (٥٠٦٥)، والترمذي (٣٤١٠)، وابن ماجه (٩٢٦)، وابن حبان (٥٣٩، ٢٣٤٢)، وابن المبارك (٣١٨٩).

وسمتها، وهو المراد هنا لأنه المراد عند الإطلاق، وهو إما بيان لقبلة أهل المدينة لأنهم المخاطبون أو على من هى فى جنوبه أو شماله والتبست عليه، وقال ابن عمر: إذا جعلت المغرب عن يمينك والمشرق عن يسارك بينهما قبلة، وأما كون الواجب استقبال عين الكعبة أو جهتها فمبحث طويل مفصل فى التفسير وكتب الفقه لا يسعه هذا المقام، والشاهد فى الحديث أنه يدل على علمه، صلى الله تعالى عليه وسلم، بعلم الميقات فإن معرفة سمت القبلة باب منه تضمنه هذا الحديث.

(وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم، فى حديث ذكره ابن الأثير فى النهاية و لم يخرجه السيوطى؛ لأنه لم يقف عليه **(لعيينة)** بن حصن الفزارى، ويكنى أبا مالك وأسلم يوم الفتح، وكان من المؤلفة وكان من جفاة الأعراب، وهو الذى قال فيه، صلى الله تعالى عليه وسلم: إنه الأحمق المطاع؛ لأنه كان سيد قومه، وعيينة علم منقول من تصغير العين، **(أو الأقرع بن حابس)** بن عفان بن محمد بن سفيان بن مجاشع التميمى، واسمه فراس ولقب بالأقرع لقرع فى رأسه، وهو من المؤلفة أيضًا، وكان شجاعًا فارسًا شريفًا فى قومه فى الجاهلية والإسلام أسلم وقدم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فى وفد بنى تميم، وهو الذى نزل فيه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ﴾ [الحجرات: ٤]، وقصته مذكورة فى السير والشك فى المقول له من الراوى.

وقال ابن الأثير: إنه صلى الله تعالى عليه وسلم، عرض عليه الخيل وعنده عيينة، فقال: أنا أعلم بالخيل منك، فقال صلى الله تعالى عليه وسلم: (**«أنا أفرس بالخيل منك»**)، أى أبصر وأعرف ومصدره الفراسة بفتح الفاء، والفراسة بالكسر من التفرس وهو معنى آخر، وهو رد عليه بأسلوب حكيم، و لم يقل له: لست كذلك لما يعلمه من أنه أعرابى جافى.

(وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه الترمذى عن زيد بن ثابت **(لكاتبه)** وكان له كتبة عديدة كما مرَّ، والمقول له منهم قيل: إنه معاوية رضى الله تعالى عنه وقد عد البرهان فى حاشيته هنا كتاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، فبلغ عددهم ثلاثة وأربعين، وعدهم شيخه الحافظ العراقى، وقال: إن شيخه الجمال الأنصارى أفردهم بتأليف.

قلت: وقد وقفت أنا أيضا على تأليف لابن أبى الحديد فيهم، وكأنه لم يقف عليه و لم يفصلهم هنا لأن له مقاما آخر، وكان المداوم على الكتابة له صلى الله تعالى عليه وسلم زيد ومعاوية، رضى الله تعالى عنهما.

(ضع القلم على أذنك) لم يعينها والمراد اليمين، **(فإنه)** أى وضعه كذلك **(أذكر)** أى

أكثر ذكرا بكسر الذال وضمها، وهو ضد النسيان (**للممِلّ**) اسم فاعل أصله المملل، وجوز فيه أن يكون اسم مفعول أيضا أى مايذكر ويملى، وأمل وأملى بمعنى، وهو إلقاء ما يكتب على الكاتب، وبهما ورد القرآن قال الله تعالى: (**فليملل الذى عليه الحق**) وقال الله: (**فهى تملى عليه**)، والأصل أمللت فقلب تخفيفا كما قاله الراغب.

وأما قوله تعالى: ﴿**وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ**﴾ [الأعراف: ١٨٣]، فمعناه أمهلهم (**هذا**) أى خذ هذا أو اذكره، وقيل ها اسم فعل بمعنى خذ من غير تقدير، والرسم يخالفه وهى كلمة مستعملة فى الانتقال والتخلص من كلام لآخر أو ما يتممه، وهى كذلك فى القرآن وكلام العرب أى معرفته صلى الله تعالى عليه وسلم بالكتابة وأحوالهم (**مع أنه صلى الله تعالى عليه وسلم**)، أمى من أمة أمية لا يكتب ولا يحسب، فهو من معجزاته لأنه (**كان لا يكتب**) كما تقدم بيانه.

وإنه قيل: إنه كان ذلك فى أول أمره وإنه كتب بعد ذلك فى الحديبية كما ذكره بعضهم، وقد ردوه وشنعوا عليه كما فصله ابن حجر فى تخريج أحاديث الرافعى وقد تقدم بيانه فى غير ما موضع.

(**ولكنه**)، صلى الله تعالى عليه وسلم، (**أوتى**) بالبناء للمجهول للعلم بأن المؤتى له هو الله تعالى (**علم كل شىء حتى قد وردت آثار**) جمع أثر وهو ما يؤثر ويروى مطلقا، وقد يخص بما يقابل الحديث المرفوع من كلام بعض الصحابة أو التابعين، رضى الله تعالى عنهم، (**بمعرفته حروف الخط**) أى كيفية رسمها (**وحسن تصويرها**) أى صورتها المستحسنة عند أهلها ومن مارسها (**كقوله**)، صلى الله تعالى عليه وسلم، لكاتبه (**لا تمد بسم الله الرحمن الرحيم**) أى لا تجعل السين مدة طويلة من غير بيان لسناتها، فإنه يلبس صورتها.

وفى نسخة لا تمدوا (**رواه ابن شعبان من طريق ابن عباس**)، رضى الله تعالى عنهما، وابن شعبان هو محمد بن القاسم بن شعبان بن إسحاق المصرى المالكى توفى سنة خمس وخمسين ومائة، وضعفه ابن حزم وله ترجمة فى الميزان، وقال السيوطى: حديث ابن عباس، رضى الله تعالى عنه، لا تمد بسم الله الرحمن الرحيم لم أجده، وللديلمى من حديث أنس، رضى الله تعالى عنه، إذا كتب أحدكم بسم الله الرحمن الرحيم، فليمد الرحمن.

وله من حديث زيد بن ثابت، رضى الله تعالى عنه، إذا كتبت فبين السين فى بسم الله الرحمن الرحيم.

(**وقوله**) صلى الله تعالى عليه وسلم (**فى الحديث الآخر الذى يروى**) بالبناء للمجهول

ونائب فاعله قوله **(عن معاوية)** بن أبى سفيان، رضى الله تعالى عنه، أحـد كتبتـه، صلـى الله تعالى عليه وسلم، كما تقدم، وفى نسخة الذى يروى معاوية أى يرويه عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ويروى مبنى للفاعل على هذا **(أنه كان يكتب بين يديه)** أى عنده وفـى مجلسه، **(فقال له ألق الدواة)** ألق أمر بفتح الهمزة وكسر اللام والقاف لالتقاء الساكنين، يقال: لاق الدواة يليقها وليقة وليقا وألاقها، ولاق يتعدى ولا يتعدى أى أصلح مدادهـا من قولهم لاق به إذا ألصقه، ومنه يليق بك كذا ولا يليق أى يناسب، واشـتهر استعمال ذلك فيما يجعل فى الدواة من حرير أو لبد أو نحوه؛ لأنه يصلحها لمنعه كثرة أخـذ المـداد فى القلم الذى قد يفسد الخط.

(وحرف القلم) أى اجعل قطه محرفا فإنه أعون على تصوير السـنات ويكـون تحريفـه من جهة اليمين.

(وأقم الباء) أى اجعلها مستقيمة أو طولها قليلا لأنها عوض عن ألف اسم.

(وفرق السين) أى اجعلها سننها منفصلا بعضها من بعض.

(ولا تعور الميم) أى لا تجعل دائرتها مطموسة كالعين العوراء، وهو بضم المثناة الفوقية وفتح العين المهملة وكسر الواو المشددة وراء مهملة.

(وحسن الله) أى كتابته وصورة لفظه تعظيمًا لمسماه.

(ومد الرحمن) لم يبينوا معني المد فيه، فهو بمعنى مد ما بين الميم والنون هكذا الرحمـن عوضا عن الألف الساقطة خطًا، أو المراد ارسم ألفا بعده ويبعده مخالفة رسـم المصحـف العثمانى.

(وجود الرحيم) أى حسن كتابته، والتجويد مطلـق التحسـين، ويختـص فـى العـرف بتحسين الخط، وفى عرف القراءة تحسين التلفظ بالحروف ورعايـة مخارجـها وصفاتـها، وهذا الحديث رواه الديلمى فى مسند الفردوس.

(وهذا) أى معرفته صلى الله تعالى عليه وسلم بالخط، وهو مبتدأ خبره قوله الآتى، فلا يبعد والفاء زائدة أو هو خبر مقدر أى محقق، ونحوه والفاء فـى جـواب الشـرط، **(وإن لم تصح الرواية أنه، عليه الصلاة والسلام، كتب)** بيده الشريفة إشارة إلى ما قاله الباجى من أنه روى أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، كتب بيده فى الحديبية كما تقدم، وأنه لا يضر فى كونه أميا لأنه كان فى بدء أمره لأمر انقضى بانقضاء سببه، فهو معجزة أخـرى لـه، صلى الله تعالى عليه وسلم، **(فلا يبعد)** عقلا **(أن يرزق علم هذا)** أى علم الخط مـن غـير تعليم.

(ويمنع الكتابة والقراءة) من المصحف قيل: ولا يبعد أن يقع منه الكتابة والقـراءة فـى

وقت معجزة أخرى له بشهادة ما فى البخارى، رحمه الله تعالى، أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، أخذ الكتاب، فكتب:

هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله فى عمرة القضاء، وأنه قال لعلى بن أبى طالب، كرم الله وجهه، ورضى الله تعالى عنه: امح رسول الله لما أباها بعض المشركين، فقال: والله لا أمحوها أبدا فأخذ الكتاب وليس يحسن يكتب، فكتب هذا ما قاضى عليه محمد ابن عبد الله(١).

أقول: قد علمت أن هذه مقالة صدرت عن الباجى أنكرها عليه أهل عصره ونسبوه للزندقة، وعقد مجلس له فحاجه علماء عصره، وقالوا: إنه مخالف لنص الحديث والقرآن، وكونه عد من معجزاته، صلى الله تعالى عليه وسلم، فأجاب بأنه صرح به فى حديث البخارى، رحمه الله تعالى، والتجوز خلاف الأصل وفى القرآن ما يشير إليه لأن قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ﴾ [العنكبوت: ٤٨]، يقتضى كتابته من بعده، وهو معجزة لا تنافى كون أميته معجزة فى أول أمره، وقد ذكره ابن حجر وغيره من شراح البخارى.

(وأما علمه صلى الله تعالى عليه وسلم بلغات العرب) جميعها قبائل وبطونا وكل أحد لا يعرف ولا ينطق إلا بلغته، حتى لو حاول التكلم بغيرها لم يطق، **(وحفظ معانى أشعارها)** وإن كان لا يقول الشعر ولا ينشده، وإن أنشده نادرا غير وزنه فى أكثر أحواله إلا أنه كان ترد عليه شعراء العرب الملقون بمدائح يمدحونه بها، وتنشد بين يديه فيصغى لها ويعلم منها ما لم يعلمه غيره من فصحائهم، ألا ترى كعبا لما أنشده قصيدته وقال فيها(٢):

قنواء فى جريتها للبصير بها   عتق متين وفى الخدين تسهيل

قال الصحابة رضى الله تعالى عنهم: الجريان العينان.

فقال لهم، صلى الله تعالى عليه وسلم، لابل الأذنان، وهو كذلك عند العرب ألا ترى قول علقمة:

له جريان يعرف العتق فيهما   كسامعتى مذعورة وسط ربرب

وقد نقل بعضهم نظائر لهذه القصة، والثمرة تدل على الشجرة وفى ذكره الشعر بعد الكتابة مناسبة تامة إذ كل منهما مما عرفه صلى الله تعالى عليه وسلم أتم معرفة ولم يتلبس

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) البيت من البسيط، وهو فى ديوان كعب (ص١٣)، لسان العرب (٤١٣/١٣)، تاج العروس (٥٨٢/١٠).

به وهو من مقاصده الحسنة.

وفيه دليل على أن ذكر الشعر والبحث عنه أمر مسنون كغيره من العلوم، وقد قالوا: إن معرفته من فروض الكفاية حتى شعر المولدين كما ذكره السيوطى فى شرح منظومة المعانى والبيان، واختلفوا بعد الاتفاق على امتناع الخط حتى قال بعض الشافعية بحرمتها هل كان يحسنهما أو لا؟ فقيل بكل من القولين كما فى الروضة، والحفظ يتعلق بالمعانى والألفاظ فلا وجه للاعتراض عليه بأنه لو قال فهم معانى أشعارها كان أظهر.

(فأمر مشهور قد نبهنا على بعضه فى أول الكتاب) فى فصل فصاحته كما تقدم.

(وكذلك) أى مثل معرفته للغات العرب **(حفظه لكثير من لغات الأمم)** غير العرب، وهذا ترق فى معرفته لذلك ودليل على أنه معجزة وموهبة ربانية **(كقوله فى الحديث)** الذى رواه البخارى عن أم خالد **(سَنَهْ سَنَهْ)** قاله:صلى الله تعالى عليه وسلم، لأم خالد ابن سعيد بن العاص أمها أميمة بنت خلف تزوجها الزبير، وهى صحابية ولدت بالحبشة وتربت بها وهى صغيرة، ولذا تلطف النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، بها وخاطبها بما تعرفه من لغتهم، وإن كانت عربية من صميم العرب، وقاله لها لأنه أتى بثياب فيها خميصة صغيرة سوداء فيها أعلام صفر وخضر، فدعاها وألبسها لها وقال لها ذلك كما فصله البخارى، وفيها لغات سنة سنة كما ذكر، وسنا سنا بالقصر، وسناه سناه مع تخفيف النون وتشديدها، وأنكر بعضهم تخفيفها، وروى كسر سين سنا.

فقول الكرمانى أنها عربية وأصلها حسنه فخففت بحذف الحاء كقوله كفا بالسيف شا أى شاهدا، تأباه هذه الروايات وإن الحذف من الأسماء فى غير ترخيم النداء مع شذوذه لم يعهد من الأول.

(وهى) أى سنه بمعنى **(حسنة)** أنثها باعتبار الخميصة ولمناسبة سنه لفظا **(بالحبشية)** أى بلغة الحبشة، وهم جيل معروفون.

(وقوله)، صلى الله تعالى عليه وسلم، فى حديث رواه الشيخان وغيرهما من طرق فى حديث الفتن المقدم، **(ويكثر الهرج)** بفتح الهاء وسكون الراء المهملة وجيم، **(وهو القتل بها)** أى بلغة الحبشة، فعربه، صلى الله تعالى عليه وسلم، وقال ابن قرقول فى المطالع: فسر فى الحديث بالقتل بلغة الحبشة، وهو وهم من بعض الرواة، وإلا فهى عربية صحيحة، وأصل معناه اختلاط الناس بعضهم ببعض، ومنه لن يزال الهرج إلى يوم القيامة، والعبارة فى الهجرج كهجر إلى، انتهى.

وهو رد لما قاله المصنف، رحمه الله تعالى، ولمن توهم أن تفسيره مروى فى الحديث، ومنه يعلم أنه ورد بمعنى الفتنة، وما قيل من أنه المهرجان اسم يوم؛ لأنه يوم قتل يحيى بن

زكريا لا وجه له لأنه يقتضى أنه فارسى، و لم يقله أحد، وقيل: إنه من توافق اللغتين وهو أقرب إلى الصواب إن صحت الرواية فيه، ومنه المثل هم فى هرج ومرج، والمرج بمعناه وتسكينه للازدواج وقد تظرف القائل:

أتى زمن الربيع فهاج قوم إلى الصهباء فى هرج ومرج

(وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم، **(فى حديث أبى هريرة)** الذى رواه ابن ماجه عنه **(أشكنب درد)** وفى بعض الروايات أشكنب دردم بزيادة ميم ساكنة، وأشكنب بهمزة مفتوحة وشين معجمة ساكنة وكاف عربية مفتوحة ونون ساكنة وباء موحدة ساكنة، وفسره المصنف، رحمه الله تعالى، بما يأتى، وفى الفارسية بهمزة مكسورة وقد تفتح ويزاد فيها هاء، فيقال: شكنبة، بكسر الشين، فعربت وغير لفظها ومعناها، فإن معناها الكرش عند العجم.

ودرد بدالين مهملتين مفتوحتين بينهما راء مهملة ساكنة والميم عندهم ضمير المتكلم، وسيأتى ما فيه، وقد علمت أن الصحيح إهمال الدالين وإسقاط الميم كما رواه ابن ماجه، وضبطتبه الرواية عنه فإنه قزوينى أعلم بلغته وثقة فى الرواية فما قيل: إن دال درد الأولى معجمة وهم من راويه كرواية الميم لأنه لا يناسب قوله: **(أى وجع البطن)** فإنه لو صح ذلك قال: أى وجع بطن، وفسره غيره بوجع بطنك، وهو أنسب بترك الميم إلا أن يقال: ترك معناه التعريب، والذى رواه ابن ماجه شكم بشين مكسورة وكاف مفتوحة وهو أصح؛ لأن شكم بالفارسية معناه البطن.

وفى سننه قال أبو هريرة: هجر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، فهجرت وصليت، ثم جلست فالتفت إلى وقال: شكم درد، فقلت: نعم، يا رسول الله، فقال: «قم فصل فإن فى الصلاة شفاء»[1].

كذا صححه الشارح الجديد نقلاً عن شيخنا ابن عبد الحق السنباطى وغيره، وهو الحق المعتمد فاعرفه فإن شيخنا هذا خاتمة الحفاظ بمصر وإليه انتهى علم القراءات، وله تآليف مشهورة، رحمه الله تعالى، وروى إشكنب بكسر الهمزة، وأن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، قاله لأبى الدرداء، والمشهور الأول كما قاله التلمسانى، و لم يذكروا وجه تكلمه صلى الله تعالى عليه وسلم، معه بالفارسية، وهو ليس بعجمى فلعله أراد ستره.

ولذا ورد أنه قال: ثم فسره لى، وذكر البرهان بعضًا مما تقدم وقال: إنه فى بعض النسخ أشقنب بالقاف، وهو غريب و لم يسنده لرواية فاعتمد على ما قدمناه.

---

(١) أخرجه أحمد (٢/٣٩٠)، وابن ماجه (٣٤٥٨).

وقوله: (**بالفارسية**) أى باللغة الفارسية نسبة لفارس ابن كومرت، وكومرت ابن سام أو يافث، وقيل: إنه ولد لصلبه، وقيل: إنه آدم عندهم، ويقال لهم: الفرس، ومما تكلم به صلى الله تعالى عليه وسلم، بالفارسية لفطسور فى حديث جابر، وهو الدعوة للطعام وبالعربية العرس.

(**إلى غير ذلك**) أى مضمومًا ما ذكر من معرفته باللغات أو من معارفه التى لا تحصر (**مما لا يعلم بعض هذا**)، وفى نسخة بعضه فضلاً عن كله، (**ولا يقوم به**) أى يوفى حقه كله، (**ولا ببعضه**) فضلا عن كله (**إلا من مارس الدرس**) أى عالجه واجتهد فى حفظه ودراسته وتلقيه من أهله، وفى نسخة الدروس، (**والعكوف على الكتب**) أى ملازمة مطالعتها ومذاكرتها والنظر فيها، من الاعتكاف وهو ملازمة المكان، فاستعاره لما ذكر، وفيما تقدم دليل على جواز التكلم بغير العربية ولو بلا ضرورة خلافًا لمن ذهب لكراهته.

وروى فيه أحاديث واهية كمن تكلم بالفارسية نقصت مروءته، وأنه يورث النفاق وأنه لسان أهل النار، ويدل لعدم الكراهة أحاديث كحديث: «الفارسية الدرية لسان أهل الجنة فى الجنة».

(**ومثافنة أهلها**) مفاعله من ثفن بمثلثة وفاء ونون أى جالسهم ولازمهم، وهو أبلغ منه لأنه من ثفن البعير إذا برك، والثفنات ما غلظ لطول مسه للأرض كالركب، وصدر الدابة من ذوات الأربع يعنى جلس بين يديه للتعلم كالبعير البارك على الأرض، وهذه هيئة المتعلم فى أدبه.

وقال التلمسانى: هى المثفنة من ثافنته أعنته، وروى مثاقبة بمثلثة وقاف وموحدة كما تقدم[1] انتهى، وفى بعض النسخ منافثة بنون وفاء ومثلثة أى مباحثة ونظر فى الدقائق التى كنفاث السحر، وفيه نظر، وفى بعض الشروح ما لا معنى له هنا.

(**عمره**) منصوب على الظرفية متعلق بجميع ما قبله: أى فعل ذلك مدة عمره كلها ولم يتركه طرفة عين، (**وهو صلى الله تعالى عليه وسلم، رجل كما قال الله تعالى: أمى**) منسوب إلى الأم كأنه كما خرج من بطن أمه لم يتعلم، وهو مبرأ من كل عيب، أو إلى أمة العرب لأنهم معروفون بذلك كما مر، وقال الشاعر:

عمى خالى وأبى أمى

فقوله: (**لم يكتب ولم يقرأ**) صفة كاشفة مفسرة وإنما ذكر قوله: كما قال الله تعالى؛ تأدبًا يعنى لم أصفه، صلى الله تعالى عليه وسلم، بهذا إلا اتباعًا لما وصفه الله به بقوله: ﴿أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ﴾ [يونس: ٢]، وهو قيد لما بعده وما قبله، فلا يقال: إنه ترك

(١) الذى تقدم «مناقثة» وليس «مثاقبة».

أدب، فإن مثله لا يقال له: يا رجل كما لا ينادى باسمه، فلله در المصنف ما أبعد مرماه.

(ولا عرف بصحبة من هذه) أى الكتابة والقراءة **(صفته)** حتى يقال: إنه تعلم منه فهذه الصفة فى حقه معجزة، وفى حق غيره نقص كما قال:

كفاك بالعلم فى الأمى معجزة

(ولا نشأ) أى لم يكن من أول نشأته وبدء أمره إلى بعثته **(بين قوم لهم علم)** أى معرفة بشىء من العلوم؛ لأنهم من الجاهلية، **(ولا قراءة لشىء من هذه الأمور)** أى الكتب وغيرها؛ لأنهم لم يكونوا أهل كتاب.

(ولا عرف هو)، صلى الله تعالى عليه وسلم، **(قبل)** مبنى على الضم أى قبل بعثته وظهور معرفته بما ذكر **(بشىء منها)** أى بما ذكر من المعارف اللدنية، ثم استدل على ذلك بقوله: **(قال الله)** وفى نسخة عز وجل: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ﴾ [العنكبوت: ٤٨]، أى القرآن وما علمك الله (﴿مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ﴾) أى بيدك اليمنى التى يكتب بها، وهو تأكيد وتصوير، وبين الله تعالى علة ذلك بقوله: ﴿إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾، أى شكوا وقالوا: تعلمه ممن قرأه وكتبه ثم بين حال قومه فى عدم ما ذكر بقوله: **(إنما كانت غاية معارف العرب)** أى ما انتهى إليه علمهم **(النسب)** أى معرفة أنساب قبائلهم إلى أجدادهم **(وأخبار أوائلها)** أى ما وقع لآبائهم وأسلافهم من الحروب والوقائع، **(والشعر)** أى حفظ شعر من قبلهم من القصائد والقطعات والأبيات، **(والبيان)** ليس المراد به علم البيان المعروف؛ لأنه أمر حدث كانوا فى غنى عنه بالسليقة، ولا ثمرة علم البلاغة كله كما توهم أيضًا، وإنما المراد به المنطق الفصيح المعرب عما فى الضمائر، وعنى به الخطب والرسائل ونحوها من الكلام المنثور الذى كانوا يذكرونه فى محافلهم لمقابلته للشعر، وهو المعنى بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم، «إن فى البيان لسحرًا».

(وإنما حصل ذلك لهم) أى معرفة النسب وما بعده **(بعد التفرغ لعلم ذلك)** أى مع ذلك لم يكن علمهم بما ذكر إلا بمزاولة واكتساب وصرف زمان لكسبه، حتى عرف به بعضهم دون بعض، فكان يقال: فلان نسابة وفلان راوية ونحوه **(والاشتغال بطلبه ومباحثة أهله عنه)** بالسؤال عنه والحفظ له، ولم يعهد منه اعتناء بذلك فى أول أمره.

(وهذا الفن) أى النوع الذى كانت العرب تعرفة وتعتنى به **(نقطة من بحر علمه صلى الله تعالى عليه وسلم)**، أى أقل قليل بالنسبة لما ظهر من علمه لهم، ونقطة استعارة وبحر علمه استعارة أو كلجين الماء، **(ولا سبيل إلى جحد الملحد)**، أى لا يمكن الكفرة المائلين عن الطريق المستقيم إنكاره، وهو إشارة لتفسير قوله تعالى: ﴿إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٨].

(لشىء مما ذكرناه) من معارفه متعلق بجحد واللام زائدة للتقوية، **(ولا وجد الكفرة حيلة)** يبدونها تلبيسًا **(فى دفع ما نصصناه)** مما تقدم تفصيله **(إلا قولهم أساطير الأولين)** استثناء متصل؛ لأنه مما احتالوا به على بعض ضعفاء العقول، أو منقطع؛ لأنه لا حيلة فيه وهو جمع أسطورة كأحدوثة، أو جمع أسطار جمع سطرا أو أسطير أو أسطور، أى هى أحاديث مما سطره من قبله وأكاذيب.

(و) قالوا: **(إنما يعلمه بشر)**، أى هو مما تلقاه من غيره وتعلمه، **(فرد الله قولهم)** المذكور وأبطله **(بقوله:** ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ **)** [النحل: ١٠٣]، أى لسان من ادعوا أنه تعلم منه لسان عجمى، فكيف يمكن تعليمه أو التعلم منه، ومعنى يلحدون يميلون عن الحق بمقالتهم هذه.

(ثم ما قالوه) من أنه يعلمه رجل أعجمى، وفى نسخة قالوه بهاء الضمير **(مكابرة العيان)** بكسر العين، ولا تفتح فيه كما مر، والمكابرة الإنكار من غير دليل، وأصل معناه هجوم السارق نهارًا، أى معاندة فى المحسوس لا تفيد.

(فإن الذى نسبوا تعليمه) له صلى الله تعالى عليه وسلم، بزعمهم الباطل **(إليه)** متعلق بنسبوا أى أسندوه له.

(إما سلمان) الفارسى الصحابى المشهور، رضى الله تعالى عنه؛ لأنه كان عنده صلى الله تعالى عليه وسلم، **(أو العبد الرومى)**، وهو يعيش غلام حويطب بن عبد العزى الرومى، وكان ممن قرأ الكتب، ثم أسلم وسيأتى تفصيل قصته.

(و) قصة **(سلمان إنما)** أسلم و **(عرفه)** بالمدينة **(بعد الهجرة)**، وعلومه صلى الله تعالى عليه وسلم ومعارفه هذه كانت ظاهرة قبل ذلك، فكيف أنه كان يعلمه.

(و) بعد **(نزول الكثير من القرآن)** حتى هذه الآية.

(و) بعد **(ظهور)** وفى نسخة نزول **(ما لا ينعد)** لكثرته **(من الآيات)** القرآنية، أو العلامة الدالة على نبوته من المعارف المذكورة الدالة على إبطال زعمهم.

(وأما) العبد **(الرومى فكان أسلم)** قبل الهجرة، **(و)** لكنه **(كان يقرأ على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم)**، ويتعلم منه، فكيف يقال: إنه يعلمه؟ **(واختلف)** بالبناء للمجهول أى اختلف المحدثون **(فى اسمه)** كما سيأتى فى كلامه، فقيل: إنه بلعام أو يعيش أو جبر، أو يسار أما بلعام فبموحدة مكسورة، وقول البرهان: إنها مفتوحة لا أصل له ولام ساكنة وعين مهملة وألف وميم.

ويعيش يأتى أنه بفتح التحتية وعين مهملة مكسورة وتحتية ساكنة وشين معجمة ذكره الذهبى فى الصحابة، وقال: إنه غلام المغيرة وهو الذى نزل فيه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا

﴿يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾، وجبر يأتى أيضًا أنـه بجيـم مفتوحـة وموحـدة سـاكنة وراء مهملـة قـال البرهان: لم أقف عليه فى الصحابة، وكذا يسار بفتح التحتية المثناة تتمة لهذا فى محله.

(وقيل: بل كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، يجلس عنـده) إضـراب عـن إسـلامه وقراءته عليه إلى أنه كان عبدًا روميًا يحترف بصقـل السيوف **(عنـد المـروة)** مـع النـاس، فكيف قالوا: إنه تعلم منه وهو لم يخل معه و لم يعرف؟ وقيل: المخالفـة بينـه وبـين الأول فى أيهما كان يجلس عند الآخر، فالإضراب انتقالى أو إبطالى.

(وكلاهما) أى سلمان والغلام الرومى **(أعجمى اللســان)** أى لسـان كـل منـهما فيـه عجمة، **(وهم)** أى الطاعنون فيه بما ذكر وإسناد التعلم له **(الفصحاء اللد)** جمع ألد، وهو الشديد الخصومة ويجمع على لداد أيضًا من اللدد، وهـو العنـاد وفـى الحديـث: «أبغـض الرجال إلى الله تعالى الألد الخصم».

(و) هم **(الخطباء)** جمع خطيب، وهو من يقوم على رءوس القـوم بكـلام بليـغ ملـزم مفحم، ولا يشترط فيه أن يكون سـجعا، وقـد كـان للعـرب ولكـل قـوم منـهم خطبـاء معروفون بالبلاغة وارتجال الكلام الجزل **(اللسن)** بضم اللام وسكون السـين جمـع لسـن كحذر، وهو الفصيح اللسان الطلق البيان، وقيل: جمع ألسن فلا إسهاب فيــه كمـا قيـل **(قد عجزوا)** بفتح الجيم وكسرها **(عن معارضة ما أتى به)** أى مقابلته بكلام يحكيه.

(والإتيان بمثله) عطف تفسير مع تحديه وطلبه منهم وتقريعـهم، **(بـل)** عجـزوا كلـهم **(عن فهم وصفه)** ومعرفة كنه بلاغته ووجه إعجازه ونظمه، فتارة قالوا: هو شعر، وتارة قالوا: إنه سحر وكهانة والحس يكذبـهم والفصاحـة تنـادى علـى فصاحتـهم، **(وصـورة تأليفه)** أى عجزوا عن فهم صـورة تأليفـه ونظمـه المعجـز، فإنـه لا يشـبه كـلام البشـر، والتأليف أخص من التركيب لأنه تركيب مع ألفــة ومناسـبة، وفـى أكـثر النسـخ رصفـه بالراء المهملة جمع رصف بفتحتين، وهو فى الأصل وضـع بعـض الحجـارة علـى بعـض، فاستعير لترتيب الكلام المتين المحكم.

وفى بعض النسخ **(ونظمه)** وهو وما قبله معطوف على وصفـه، ويجـوز عطفـه علـى معارضة، والأول أقـرب، والنظـم مسـتعار مـن نظـم الـدر لتناسـق الكلمـات التـى هـى كالجواهر، وما بعد بل ترق فى العجز ومغايرته لما قبله ظاهرة لا تحتـاج لتوجيـه إلا عنـد عدم الفهم.

(فكيف) هى للاستفهام عن الحال والوصـف المبـهم، ويـراد بـها التعجـب نحـو قولـه تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨].

وقوله: **(بأعجمى)** متعلق بمقدر أى كيف الظن بـأعجمى، وهـذا تركيـب سـائغ فـى

كلامهم تقول: كيف بك إذا جاء الشتاء.

(ألكن) من اللكنة، وهى عدم إفصاح اللسان وبيان النطق.

(نعم) بفتحتين وقد تكسر عينه، ويقال: نعام أيضًا فى لغة، وهى كلمة تقع فى جواب الكلام الموجب، وقد تقع فى ابتداء الكلام كما هنا، فكأنها جواب سؤال مقدر، وفى غير جواب كما يقال لمن طرق الباب: نعم نعم، وعليه حمل قول جحدر:

نعم وأرى الهـلال كمـا تـراه

كما سيأتى، وقال بعضهم: إنها زائدة فى مثله وفيه كلام لم يحضرنى الآن.

(وقد كان سلمان) الفارسى، رضى الله عنه، **(أو بلعام)** وهو بفتح الباء الموحدة على ما تقدم واشتهر كسرها، ويقال: بلعم أيضًا وهو اسم الغلام **(الرومى أو يعيش)** بفتح المثناة التحتية وعين مهملة مكسورة وياء تحتية ساكنة وشين معجمة علم منقول من المضارع، **(أو جبر)** بفتح الجيم وسكون الباء الموحدة وراء مهملة، وهو عبد للفاكه بن المغيرة، وقيل: لعباد الحضرمى، قيل: إن سيده كان يضربه ويقول له: أنت تعلم محمدًا؟ فيقول: لا والله بل هو يعلمنى ويهدينى **(أو يسار)** بفتح المثناة التحتية، وهذا المذكور مبنى **(على اختلافهم فى اسمه)** كما تقدم.

(بين أظهرهم) خبر كان أى مقيمًا بينهم يعرفونه، ويقال: ظهرانيهم بألف ونون مفتوحة كأنه لاستناده إليهم ظهر وراءه وظهر قدامه، ثم كثر فشاع فى الإقامة بين قوم يخالطهم **(يكلمونهم مدى أعمارهم)** أى فى جميع مدة أعمارهم يخاطبهم ويكلمهم ويكلمونه، فكيف لا يعرفون حاله وهو استدلال على كذبهم، وأصل معنى المدى الغاية ويطلق على جميع المدة الطويلة كما فى النهاية، وذكر الماوردى أن غلامين نصرانيين من عين النمر أحدهما: يسار، والآخر جبر كانوا يسندون لهما ما ذكر، وقيل غير ذلك.

(فهل حكى عن واحد منهم) أى من الكفرة **(شىء من مثل ما كان يجىء به محمد صلى الله تعالى عليه وسلم)**، فيه حذف تقديره نقله عن هذين، فإن كان ضمير منهم لسلمان، رضى الله تعالى عنه، والغلام فهو تعبير عن المثنى بضمير الجمع تجوزًا، وفى نسخة من مثل ما كان يجىء به، صلى الله تعالى عليه وسلم.

(وهل عرف واحد منهم بمعرفة شىء من ذلك) الذى جاء به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، من الآيات الباهرة وهو كالذى قبله.

(وما منع العدو حينئذ) أى حين حضورهم معه **(على كثرة عدده)** بفتح العين أىْ أىُّ مانع لهم مع كثرتهم وحرصهم على تكذيبه، **(ودؤوب طلبه)** بدال مهملة وهمزة وواو موحدة مصدر بوزن القعود من الدأب، وهو الجد والتعب يقال: أدأبه إذا أتعبه ثم صار

بمعنى العادة المسببة عن ذلك وصار حقيقة فيه، **(وقوة حسده)** بحاء مهملة وهو مما يبعثهم على الطلب ويحثهم **(أن يجلس إلى هذا)** الذى زعموا أنه يعلمه.

(فيأخذ عنه) أى يتلقن بتعلمه منه **(أيضًا)** أى كما تعلم منه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، على زعمهم الفاسد **(ما يعارض به)** ما جاء به، **(ويتعلم منه ما يحتج به)** أى يجعله حجة ودليلاً **(على شغبه)** أى لجاجة فى خصومته وعناده وتهيج الشر بفتنته، يقال: شغب به وعليه وهو بفتح الغين المعجمة هنا لوقوعه قافية لقوله طلبه، وهو لغة فيه كما فى القاموس وغيره وتسكن أيضًا، وهى اللغة المشهورة فيه، ومن أنكر الفتح وقال: إنه لغة عامية كالحريرى لم يصب، مع أن الكوفيين يجوزون تحريك كل ما عينه حرف حلق كالشعر، على أنه لو صح ما قاله قلنا له: إنه ازدواج ومشاكلة وحرفه بعض بشيعته.

(كفعل النضر بن الحارث) وهو من كفار قريش وكان ذهب إلى الحيرة ليتعلم منهم أخبار ملوك الفرس رستم وأضرابه، فكان إذا قرأ النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، القرآن وقص عليهم قصص الأمم وحذرهم ما وقع، جلس النضر بين قريش وقص عليهم قصص ملوك الفرس وقال: قد أتيتكم بأحسن مما جاء به محمد، وهو الذى نزل فيه: ﴿وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ٩٣] الآية، ثم إنه لم يزل كذلك مصرًا على عداوته صلى الله تعالى عليه وسلم حتى أظفره الله عليه فقتله كما ذكر فى السير.

(بما كان يمخرق به) متعلق بفعل، ويمخرق بمعنى يكذب والمخرقة لفظة مولدة ومعناها افتعال الكذب يتلهى به، أخذوها من المخراق وهى خرقة يلعب بها من يرقص، وهذه لفظة عربية ميمها زائدة تصرف فيها المولدون، وتوهموا أصالة ميمها كما فى قولهم تمسكن، ويمخرق بضم التحتية وفتح الميم وخاء معجمة وراء مهملة وقاف **(من أخبار كتبه)** التى كان يأتى بها ويقصها عليهم.

(ولا غاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عن قومه) ولا خرج من بلده إلى بلاد بعيدة أقام بها إقامة يحتمل أنه لقى بها من تعلم منه، وهذا معطوف على قوله ولا عرف إلخ، ولا يضره طول الفصل وما اعترض بين المعطوفين.

(ولا كثرت اختلافاته) أى رواحه ومجيئه مرارًا عديدة، يقال: فلان يختلف إلى بلاد كذا أى يسافر ويذهب إليها لأنها مخالفة لمقره المعروف **(إلى بلاد أهل الكتاب)**، وهم اليهود والنصارى والتعبير بالكثرة هنا إشارة إلى ما يأتى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم، وقع له ذلك مرة أو مرتين، إلا أنه فيهما لم يفارق رفقاءه من قومه، ولم يقم عند غيرهم حين سافر إلى الشام كما يأتى.

(فيقال: إنه استمد منهم) أى طلب المدد والإعانة من أهل الكتاب بتعليمه لشىء مما

كان يتلوه على قريش، **(بل لم يزل)** مقيمًا عندهم **(بين أظهرهم)** فى وسطهم مختلطًا معهم، وتقدم أنه يقال بين أظهرهم وظهرانيهم.

(يرعى) ضبطه بعضهم بضم المثناة التحتية أى يلاحظ ويحفظ، فهو بمرأى منهم ومسمع لا يخفى أمره عليهم، وبعضهم فتحه وجعله من رعاية الغنم والمواشى، وهو المناسب لقوله **(فى صغره)** أى وهو طفل، **(وشبابه)** أى بعد ما بلغ وصار شابًا، وكأن من ذهب إلى الأول أنف من جعله صلى الله تعالى عليه وسلم، راعيًا، ولكنه وقع ذلك له ولغيره من الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، ولم يكن معيبًا عندهم، وهو أقوى فى إثبات مدعاه؛ لأن من يرعى يكون فى الغالب معتزلاً عن الناس بعيدًا عن التعلم **(على عادة أبنائهم، ثم لم يخرج عن بلادهم)** بعد ما شب وبلغ، أو بعد ما وجد وعرف حاله **(إلا فى سفرة)** واحدة **(أو سفرتين)** إلى بلاد الشام مرة مع أبى طالب ورده من الطريق بإشارة بحيراء الراهب كما مر.

ومرة فى تجارة لأم المؤمنين خديجة، رضى الله تعالى عنها، مع غلامها ميسرة فلم ينفرد عن أهل بلدته أبدًا سفرًا وإقامة، ولم يتردد المصنف، رحمه الله تعالى، فى السفرتين حتى يرد عليه قول البرهان: إن السفرتين محققتين كما فى السير، فكان ينبغى أن يقول إلا فى سفرتين جزمًا لأن السفرة الأولى لما رده فيها عمه أبو طالب من الطريق كانت كالعدم، فإنه يقال لمن رجع إنه لم يسافر فلا وجه للاعتراض عليه، ومثله لا يخفى.

وأما ذهابه صلى الله تعالى عليه وسلم، مع مرضعته حليمة لبنى سعد، فلا يعد مثله سفرًا، لاسيما والمراد سفر خاص لديار أهل الكتاب وسفر يمكنه التعلم فيه، وكذا ذهابه صلى الله تعالى عليه وسلم، إلى الطائف إلى بنى عبد ياليل، فإنه لقربه لا يعد سفرًا وأهلها جهلة أهل شرك لا علم عندهم يعلمونه له.

وقوله: **(ولم يطل فيها)** أى فى جنس السفرة **(مكثه)** أى إقامته وهو بفتح الميم وضمها **(مدة يحتمل فيها)** أى فى المدة **(تعليم القليل)** وتعلمه من علم وغيره، **(فكيف الكثير؟)** الذى كانوا يعرفونه منه وهو استفهام إنكارى بنفيه بطريق برهانى، ثم أكده وأثبت مدعاه بقوله: **(بل كان فى سفره فى صحبة قومه)** لم يفارقهم ولم يخالط غيرهم طرفة عين **(ورفاقة)** بفتح أوله مصدر كالسماحة بمعنى المرافقة، وهى الاجتماع فى السير والسفر من الرفق لأن كلا منهما يرفق بصاحبه.

(عشيرته) أى قومه وقبيلته من العشرة، وهى الاختلاط، قال فى القاموس: عشيرة الرجل بنو أبيه الأدنون أو قبيلته **(لم يغب عنهم)** ويفارقهم مفارقة تحتمل ملاقاة أهل الكتاب وتعلمه منهم، **(ولا خالف حاله)** التى نشأ عليها وعرف بها **(مدة مقامه)** بضم

الميم مصدر بمعنى الإقامة (**بمكة**) إلى أن هاجر صلى الله تعالى عليه وسلم، إلى المدينة، وفاعل خالف ضمير يعود له صلى الله تعالى عليه وسلم، وحاله مفعوله وقوله: (**من تعليم**) بيان لمقدر فى قوة المذكور لعلمه مما قبله أى ما خالفه لأمر آخر من تعليم إلى آخره، وليست من زائدة فى الفاعل ومحله رفع كما قيل.

(**واختلاف**) أى مجىء وذهاب وأصله مجىء القوم بعضهم خلف بعض، فاستعمل المقيد فى المطلق ومنه اختلاف الليل والنهار (**إلى حبر**) بكسر الحاء وفتحها، وهو العالم من علماء اليهود (**أو منجم**) أى عالم بالنجوم وأحكامها (**أوقس**) بفتح القاف كما فى القاموس وغيره واشتهر ضمه، وذكره ابن السيد فى المثلثات رئيس علماء النصارى.

(**أو كاهن**) وهو من العرب من يخبر عن المغيبات بواسطة جن ونحوه، فاستوفى أقسام من يمكن التعلم منه من أنواع الناس، ثم ترقى فى إبطال ما قالوه فقال: (**بل لو كان هذا**) أى لو فرض خلاف ما ذكر من حاله صلى الله تعالى عليه وسلم، بأن فرضنا أسفارًا كثيرة له ومكثا مع أهل الكتاب واختلافًا للقسيسين والأحبار (**بعد**) مبنى على الضم والتقدير بعد ثبوت خلافه لا بعد مكثه بين أظهرهم يرعى فى صغره وشبابه كما قيل، فإنه غير مناسب لمن تأمل كلامه.

(**كله لكان مجىء ما أتى به**) صلى الله تعالى عليه وسلم، (**فى معجز القرآن**) الذى لا يشبه شيئًا من كلام البشر (**قاطعًا لكل عذر**) اعتذروا به عن مخالفتهم له عنادًا وبغيا منهم، وجعله عذرًا إيماء إلى أنهم معترفون بجرمهم بدلالة الحال، (**ومدحضًا**) أى مزيلاً ومبطلاً من الإدحاض وهوالإزلاق، ففيه استعارة مكنية لتشبيههم بمن زلت قدمه لمشبه فى أوحال الشرك (**لكل حجة**) تشبثوا بها، وهى أوهى من بيت العنكبوت وفى نسخة لكل شبهة، (**ومجليا**) بضم الميم وفتح الجيم وكسر اللام المشددة ويجوز تخفيفها وتسكين الجيم، وقال البرهان: إنه بضم الميم وسكون الخاء المعجمة والظاهر ما قدمناه أى موضحًا وكاشفًا ومزيلاً ومبعدًا (**لكل أمر**) غيهب تخيلوه وتلبيس احتالوا به.

* * *

(فصل ومن خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم)

التى خصه الله بها عن غيره من الرسل، عليهم الصلاة والسلام، وسائر الخلق (**وكراماته**) التى أكرمه الله تعالى وشرفه بها، (**وباهر آياته**) أى ظاهر آيات نبوته ومعجزاته والجار والمجرور خبر مقدم للحصر والاعتناء.

وقوله: (**أنباؤه**) بفتح الهمزة جمع نبأ، وهو الخبر أى أخباره الصحيحة الواقعة له صلى الله تعالى عليه وسلم (**مع الملائكة والجن وإمداد الله له بالملائكة**) بكسر الهمزة مصدر أمده

إمدادًا من المد، قال الراغب: أمددت الجيش بمدد، والإنسان بطعام وأكثر ما جاء الإمداد فى المحبوب، والمد فى المكروه نحو أمددناهم بفاكهة: ﴿وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾ [مريم:٧٩]، انتهى، أى إرسال الله الملائكة، عليهم الصلاة والسلام، مددًا له صلى الله تعالى عليه وسلم، وإعانة كما سيأتى.

(**وطاعة الجن له**) بانقيادهم وإسلامهم لا بإمدادهم، ولذا خالف فى العبارة بينهم وبين الملائكة.

(**ورؤية كثير من أصحابه لهم**) أى للملائكة والجن كما سيأتى، ولا وجه لتخصيصه بالجن ثم ابتدأ بما يثبت ما قاله من القرآن فقال: (**قال الله تعالى: ﴿وَإِن تَظَاهَرَا﴾**) [التحريم: ٤]، أى تتعاونا (﴿عَلَيْهِ﴾) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، بما يسوؤه ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ﴾ أى ناصره ومعينه ﴿وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أبو بكر وعمر معطوف على محل اسم إن فيكونون ناصريه (**الآية**) أى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾، وضمير تظاهرا لحفصة وعائشة أمى المؤمنين، والآية وسبب نزولها وتفسيرها مبسوط فى محله، وقد تقدم فى أول الكتاب بعض منه.

(**وقال الله تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ﴾**) [الأنفال: ١٢]، بنصرى وتأييدى ﴿فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، بالقتال معهم وتقوية قلوبهم بوعدهم بالنصر وظهورهم على أعدائهم، وهذا كان ببدر وقد كثر أعداؤه المشركون وعددهم وقلة المسلمين وضعفهم، وهو تعالى يؤيد من يشاء بنصره (**وقال**) فى وقعة بدر: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٩]، تطلبون غوثه وإعانته ﴿فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾، أجاب دعاءكم وأنجز وعده لكم، (﴿أَنِّي مُمِدُّكُم﴾ **الآيتين**) أى اقرأهما إلى آخرهما أى ﴿أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾، أى متتابعين.

(**وقال الله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾ الآية**) [الأحقاف: ٢٩]، أى أملناهم وأوصلناهم إليك والنفر ما دون العشرة وهؤلاء جن نصيبين، وهذا كان ببطن نخلة فى منصرفه، صلى الله تعالى عليه وسلم، من الطائف، وقد ذكر هؤلاء النفر وعدتهم وأسماءهم فى مفصلات التفسير واجتماع الجن به، صلى الله تعالى عليه وسلم، وقع مرتين بل أكثر، وهو شاهد على أنه صلى الله تعالى عليه وسلم، مرسل للجن ولا شبهة فيه، ولا خلاف عند من يعتد به.

(**حدثنا سفيان بن العاصى الفقيه بسماعى عليه**) تقدم بيانه وبيان السماع ورتبته قال: (**حدثنا أبو الليث السمرقندى**) تقدمت ترجمته قال: (**حدثنا عبد الغافر الفارسى**) تقدم أيضًا قال: (**حدثنا أبو أحمد الجلودى**) تقدم ضبطه وترجمته قال: (**حدثنا ابن سفيان**) هو

إبراهيم بن محمد بن سفيان راوى صحيح مسلم عنه وترجمته معروفة.

قال: **(حدثنا مسلم)** القشيرى النيسابورى صاحب الصحيح المشهور قال: **(حدثنا عبيد الله بن معاذ)** أبو عمرو العنبرى الحافظ الفصيح الثقة، توفى سنة مائتين وسبع وثلاثين وأخرج له أصحاب السنن.

قال: **(حدثنا أبى)** معاذ بن معاذ التميمى الحافظ قاضى البصرة وإليه انتهى علم الحديث، توفى سنة مائة وستة وتسعين وأخرج له أصحاب السنن أيضًا قال: **(حدثنا شعبة)** تقدمت ترجمته أيضًا قال: **(حدثنا سليمان الشيبانى)** ابن أخى سليمان فيروز أو خاقان الشيبانى بالمعجمة مولاهم الكوفى الحافظ الثقة، توفى سنة ثمان وثلاثين أو إحدى أو اثنين وأربعين.

وقول الواقدى وابن كثير: سنة تسع وعشرين غلط وأخرج له الأئمة الستة **(سمع زر)** بكسر الزاى المعجمة وتشديد الراء المهملة **(ابن حبيش)** بالتصغير بحاء مهملة وموحدة وتحتية ساكنة وشين معجمة، وهو أبو مريم الأسدى أدرك وسمع عليا وعمر، رضى الله تعالى عنهما، وعاش مائة وعشرين سنة، وتوفى سنة اثنين وثمانين وأخرج له الستة **(عن عبد الله)** بن مسعود الصحابى المشهور، وهذا التفسير الآتى أخرجه مسلم، والترمذى، والنسائى موقوفًا، والذى ذكره المصنف رواية السنن.

وقال الترمذى: إنه حسن صحيح ولفظه، **(قال)** أى الله سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٨]، **(قال)** ابن مسعود، رضى الله تعالى عنه، فى تفسيره وهو موقوف له حكم الرفع **(رأى جبريل فى صورته)** الأصلية التى خلق عليها **(له ستمائة جناح)** اللام جواب قسم مقدر، أى رأى الآية الكبرى من آيات ربه، والكبرى اسم تفضيل مؤنث أكبر ومن تبعيضية، وفيه إيماء إلى أنه رأى ربه، وهو قول الأكثر فقد رآه بعين بصره، وهو مذهب ابن عباس وارتضاه الأشعرى والنووى.

وما نقل عن عائشة، رضى الله تعالى عنها، من إنكاره، فقيل: إن الذى قالته كما فى مسلم عن مسروق أنه قال: كنت متكئًا عند عائشة فقالت: يا أبا عائشة: «ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية»، قلت: ما هن؟ قالت: من زعم أن محمدًا صلى الله تعالى عليه وسلم، رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية، قال: وكنت متكئًا فجلست وقلت: يا أم المؤمنين أنظرينى ولا تعجلى ألم يقل الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾ [التكوير: ٢٣]، ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [النجم: ١٣].

فقالت: أنا أول من سأل عن ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فقال: «إنما هو جبريل لم أره على صورته غير هاتين المرتين، رأيته منهبطًا من السماء سادا عظم

خلقه ما بين السماء والأرض»[١]، الحديث.

فليس فيه نفى رؤيته لربه، وأنه صلى الله تعالى عليه وسلم، ذكر لها ذلك، وقد تقدم جميع ذلك مع ما فيه، وقد ذكر هنا أنه رأى جبريل وله ستمائة جناح سدت ما بين السماء والأرض، والعدد لا مفهوم له، فلا ينافى أن تكون أجنحته تزيد على ذلك، فإن الملائكة أجسام مجردة قابلة للتشكل.

(والخبر) أى الحديث الصحيح المسند **(فى محادثته)** صلى الله تعالى عليه وسلم، **(مع جبريل وإسرافيل وغيرهم من الملائكة)** أعاد ضمير الجمع على المثنى تعظيمًا لهما تنزيلاً لهما منزلة الجماعة، أو لتنزيل ذلك منزلة تعدد الصور الذى يشير إليه ما قبله، وبينه بقوله بعده: **(وما شاهده من كثرتهم وعظم صور بعضهم ليلة الإسراء مشهور)**، وفى نسخة وصورة بعضهم، وفى نسخة وعظم صورهن.

وحديث الإسراء ورؤيته صلى الله تعالى عليه وسلم، الملائكة والأنبياء مشهور، وتقدم طرف منه.

ورؤيته للملائكة كملك الجبال وملك المطر وإسرافيل صحيح مشهور أيضًا، ومن أراد تفصيله فلينظر كتاب السيوطى المسمى بالحبائك فى أخبار الملائك، فإنه كتاب جليل فى بابه، وفيه عن ابن عباس، رضى الله تعالى عنهما، أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، لما عيره المشركون بالفاقة أى الفقر، وقالوا: ما قصه الله من قوله تعالى: ﴿مَالِ هَـٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ﴾ [الفرقان: ٧] الآية، حزن لذلك فنزل عليه جبريل وقال له: رب العزة يقرؤك السلام ويقول لك: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ﴾ [الفرقان: ٢٠]، إلى آخره، فبينما جبريل والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم، يتحدثان إذ ذاب حتى صار مثل البردة وهى العدسة، فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم: ما لك يا جبريل؟ فقال: فتح باب من أبواب السماء لم يفتح قبل، ثم عاد لحاله وقال: أبشر يا محمد هذا رضوان خازن الجنة، فأقبل رضوان وسلم وقال: يا محمد رب العزة يقرؤك السلام، ومعه سفط من نور يتلألأ ويقول لك: هذه مفاتيح خزائن الأرض، فنظر لجبريل كالمستشير فضرب جبريل بيده الأرض وقال: تواضع لله عز وجل، فقال: يا رضوان لا حاجة لى فى الدنيا، قال: أصبت أصاب الله بك ويرون أن هذه الآية أنزلها رضوان: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًۢا﴾ [الفرقان: ١٠].

أقول: ومن هذا علم أنه لم ينزل بالقرآن إلا جبريل غير هذه الآية، والسر فيما ذكر

(١) أخرجه مسلم (١٧٧/٢٨٧).

أن نزول رضوان وهو ملك الجنان وتخييره دون بت بإعطائها علم منه جبريل أن الله أراد له صلى الله تعالى عليه وسلم، ما هو أرقى من ذلك فى الجنة، وأنه لم يرض عجوز الدنيا الفانية أن تكون له، ولو أراد خلافه أتاه ملائكة الأرض، ومن له التصرف فيها كإسرافيل وإلا فجبريل، عليه الصلاة والسلام، لا يقول شيئًا برأيه، ولا يفعل إلا ما يؤمر به فافهم.

(وقد رآهم) أى الملائكة **(بحضرته)** أى فى مجلسه صلى الله تعالى عليه وسلم، والحضرة مثلث الحاء مصدر حضر يحضر إذا جاء وقدم، وتجوز فيه تجوزًا مشهورًا عن مكان الحضور نفسه، ويستعمل للتعظيم فى صاحب المجلس فيقال: الحضرة العالية تأمر بكذا كالمقام كما يكتبه أصحاب الترسل **(جماعة من أصحابه فى مواطن)** جمع موطن، وهو محل الوطن وهو هنا لمطلق المكان مجازًا مرسلاً **(مختلفة)** أى متعددة، وأصل معناه المتغايرة فاستعمل فى لازم معناه، وقد تقدم بعض من الكلام على رؤية بعض الصحابة للملائكة عنده صلى الله تعالى عليه وسلم.

وفى بعض النسخ **(فرأى أصحابه جبريل، عليه السلام، فى صورة رجل يسأله عن الإسلام والإيمان)** والإحسان وعن الساعة، وهو إشارة إلى الحديث الذى فى أول البخارى، والكلام عليه وعلى الفرق بينه وبين الإسلام مفصل فى شروحه.

(ورأى ابن عباس وأسامة) بن زيد **(وغيرهما)** من الصحابة كعائشة، رضى الله تعالى عنها، وأم سلمة وعمر وحارثة **(عنده)** صلى الله تعالى عليه وسلم، **(جبريل فى صورة دحية)** بن خليفة الكلبى الصحابى الجليل المشهور، توفى فى خلافة معاوية، رضى الله عنهما، وكان من أجمل الناس وأجلهم، ولذا كان جبريل، عليه الصلاة والسلام، يأتى للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم، على صورته رضى الله تعالى عنه، ودحية بفتح الدال وكسرها ومعناه الرئيس بلغة اليمن، وتمثل الملك مع عظم خلقته الأصلية بصورة صغيرة ليس بإفناء بعض أجزائه، ولا بإزالتها ثم إعادتها كما قيل، بل لأنهم أنوار لطيفة قابلة للتشكل والتضام والانتشار، كما يشاهد فى اللهب فى هبوب الرياح، وقول إمام الحرمين أنه كالقطن المنفوش تمثيل وتقريب للعقول أيضًا، فلا ينقلب حقيقة إذا تمثل رجلاً تأنيسًا لمن يخاطبه، ولا بعد فى أن يحض الله بعض الأنفس القدسية الملكية بقوة تقدر بها على التصرف فى يديه كما يريد، كما قيل: إن الأبدال سموا أبدالاً؛ لأنهم كانوا يرى لهم فى بعض الأمكنة شبحًا يقوم مقامهم؛ لقدرة أرواحهم القدسية على التصور بصورتهم، وهو المسمى بعالم المثال وفيه كلام فى كتب الأصول والحكمة، وبعض أهل الشرع ينكره وتبعهم شارح المقاصد.

وقوله: فى صورة دحية بتقدير مضاف أى فى مثل صورة دحية، وما قيل من أنه تمثيل لتمكنه منها واستقراره فيها استقرار المظروف فى ظرفه، تكلف لا حاجة إليه؛ لأن مثله للشمول والإحاطة يعد ظرفًا حقيقة فى العرف، ورواية ابن عباس، رضى الله تعالى عنهما، له مرتين رواها الترمذى ورؤية أسامة له رواها الشيخان عنه، فقول الشارح الجديد لم أقف عليها من قصور النظر.

(ورأى سعد) بن أبى وقاص فى حديث رواه الشيخان **(على يمينه ويساره جبريل وميكائيل)** لف ونشر مرتب **(فى صورة رجلين عليهما ثياب)** تسميتهما وقع فى الحديث عن غير واحد، وهذا كان بغزوة أحد وقد قاتلا معه صلى الله تعالى عليه وسلم.

قال النووى فى شرح مسلم: هذا مما أكرمه الله به، وفيه رد لمن قال: إن الملائكة لم تقاتل معه بغير بدر، وقد صح أنهم قاتلوا معه بحنين وهذا هو الصواب.

وقال القرطبى فى تفسيره: لم تقاتل إلا ببدر ووعد الله المؤمنين بأحد إن صبروا وثبتوا أن يمدهم بالملائكة، فلم يصبروا و لم يمدهم، وكان للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ملكان يقاتلان عنه دائما، وفى الحديث دليل على أن رؤية الملائكة لا تختص بالأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، فيراهم الصحابة، رضى الله تعالى عنهم، والأولياء.

(ومثله عن غير واحد) أى روى مثل ما فى هذا الحديث عن ناس كثيرين من طرق متعددة، **(وسمع بعضهم)** أى بعض الصحابة وغيرهم من الحاضرين **(زجر الملائكة)** زجرها حسها **(خيلها)** على الجرى بصوت **(يوم بدر)** أى وقعتها حين القتال، وهذا رواه أبو نعيم والبيهقى عن ابن عباس أن رجلاً من غفار قال: قدمت أنا وابن عم لى ونحن مشركان، وصعدنا على جبل مشرف على بدر ننظر الواقعة وننظر على من تكون الدبرة، فبينا نحن كذلك إذ دنت سحابة فيها حمحمة خيل، فسمعت قائلاً يقول: اقدم حيزوم، فمات ابن عمى من خوفه وكدت أهلك، وحيزوم منادى اسم فرس الملك بالميم، وروى حيزون بالنون والصحيح الأول.

(وبعضهم رأى تطاير الرءوس) أى سرعة وقوعها بخفة كطائر طار عن مقره، وهذا رواه البيهقى عن سهل بن حنيف وأبى واقد الليثى **(من الكفار)** فى يوم بدر، **(ولا يرون الضارب)**؛ لأنه ملك خفى عنهم، وبعضهم رآه وعرفه.

وقد روى كلاهما فى أحاديث ذكروها، ويجوز أن يقال: إن النظائر استعارة شبهت بطائر وحمام طار من برج بدنه بنفسه، كأنه ليس جزءًا منه بدليل قوله: ولا يرون الضارب ولا الضرب.

قال أبو داود المازنى: إنى لأتبع رجلاً من المشركين يوم بدر لأضربه، فوقع رأسه قبل

أن يصل إليه سيفى، وكانوا يعرفون قتل الملائكة بأن بهم سمة نار ونحوه.

(ورأى أبو سفيان بن الحارث) بن عبد المطلب قبل إسلامه **(يومئذ)** أى يوم بدر **(رجالاً بيضًا)** وجوههم وأبدانهم **(على خيل بلق)** أى فيها بياض ولون آخر **(بين السماء والأرض ما يقوم لها شىء)** أى لا يمكن أن يقاوم شدتها وقتالها شىء غيرهم قل أو كثر؛ لما رآه من مهابة بطشها وسرعته.

وقيل: إن الرائى لذلك سهيل بن عمرو كما رواه البيهقى، وهو مخالف لما رواه المصنف، رحمه الله تعالى، هنا وهو هكذا فى تخريج السيوطى لأحاديث هذا الكتاب، وفى الشرح الجديد أنه رواه ابن إسحاق فى سيرته ونقله فى حديث طويل فى مهلك أبى لهب والعهدة فيه عليه.

(وقد كانت الملائكة تصافح عمران بن حصين) بأكفها والذى رواه مسلم أنها كانت تسلم عليه ولا منافاة بينهما، فإن المتلاقيين يستحب لهما السلام والمصافحة تحية وإكرامًا؛ لأن السلام أمان، والمصافحة تسليم يده له فهو أمان لفظًا ومعنى وحسا، وعمران بن حصين هذا هو الصحابى الخزاعى، رضى الله تعالى عنه، وحصين علم منقول من مصغر حصن، وهو كما قالوا أفضل من نزل البصرة وتوفى فى خلافة معاوية، رضى الله تعالى عنه، سنة اثنين وخمسين، ومصافحة الملائكة له مشهورة فى الكتب المعتمدة، وأما السلام ففى صحيح مسلم مسندًا إلى مطرف أن عمران، رضى الله تعالى عنه، قال له: كانت الملائكة تسلم علىّ حتى اكتويت، فتركت الملائكة السلام علىّ، ثم تركت الكى فعادوا، وقال له: اكتمه ما دمت حيا.

قال النووى، رحمه الله تعالى: كان به بواسير فاكتوى لها لقطع دمها، وكان عظيم الصبر والتوكل وفى العلاج ترك التوكل، فلذا قطعت الملائكة السلام عليه، وإلا فالكى ليس محرمًا، وإن قيل بكراهته إذا أمكن العلاج بغيره.

كما ورد فى المثل: «آخر الدواء الكى»، وروى أنه كان يسمع فى داره السلام عليه من غير أن يرى أهل الدار المسلم كما ذكره الترمذى، وهذا وإن كان خارجًا عما عقد له الفصل من رؤية النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، الملائكة، ورؤية الصحابة، رضى الله تعالى عنهم، لهم عنده، فهو يعلم منه المقصود بالطريق الأولى أو هو استطراد.

(ورأى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم)، فى حديث رواه البيهقى مرسلاً عن عمار ابن ياسر، رضى الله تعالى عنهما، ورأى بصرية تعدت بالهمزة لمفعولين أولهما **(حمزة)** بن عبد المطلب عمه، صلى الله تعالى عليه وسلم.

وفى نسخة لحمزة، رضى الله تعالى عنه، باللام، فهى زائدة كما فى ردف لكم،

وثانيهما **(جبريل، عليه السلام، فى الكعبة)** أى فى داخلها أو عندها فخر **(مغشيًا عليه)** خوفًا من مهابته؛ لأنه رآه على صورته.

ففى دلائل البيهقى، رحمه الله تعالى، وطبقات ابن سعد عن عمار بن ياسر أن حمزة، رضى الله تعالى عنه، قال: يا رسول الله أرنى جبريل، عليه السلام، على صورته قال: إنك لا تستطيع أن تراه قال: بلى فأرنيه، فقال له: اقعد فقعد فنزل جبريل على خشبة كانت فى الكعبة، فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم: ارفع طرفك فانظر فرفع طرفه فرأى قدمه مثل الزبرجد الأخضر، فخر مغشيًا عليه[١].

واعلم أن رأى إذا تعدى بالهمزة لمفعولين كان من باب أعطى، قال ابن مالك: لا تدخل اللام عليهما؛ لأنه يلزم تعدى فعل بحرفين بمعنى، وإن تعدى أحدهما لزم الترجيح بلا مرجح ما لم يتقدما أو أحدهما فتعديه هنا باللام ولا وجه له، وقال ابن هشام: إنه شاذ واللام زائدة، كقول ليلى الأخيلية[٢]:

أحجاج لا يعطى العصاة مناهم ولا الله يعطى للعصاة مناها

فإن كان هذا ورد كذا فهو من الشاذ المسموع ولا اعتراض عليه.

واعلم أن الحافظ السخاوى قال فى كتابه عمدة الناس فى مناقب العباس، رضى الله تعالى عنه، أن العباس بعث ابنه عبد الله إلى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، فقام وراءه وعنده رجل فالتفت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فرآه، فقال له: متى جئت؟ فقال: منذ ساعة، قال: هل رأيت رجلاً؟ قال: نعم، قال: ذاك جبريل و لم يره خلق إلا عمى إلا أن يكون نبيًا لكن أسأل الله تعالى أن يجعل ذلك فى آخر عمرك، وله طرق من الأسانيد إلا أنه معارض برؤية جماعة من الصحابة لجبريل لم يعموا، ولكن هذا ضعيف، وتلك صحيحة فلا يتكلف الجمع بينهما، وقد عمى ابن عباس فى آخر عمره فقال:

إن يأخذ الله من عينى نورهما ففى لسانى وقلبى منهما نور
عقل صحيح ورأى غير ذى زلل وفى فمى صارم كالسيف مشهور

وقال له بعض الأمويين: ما لكم يا بنى هاشم تصابون فى أبصاركم؟ فقال: وأنتم يا بنى أمية تصابون فى بصائركم. انتهى.

أقول: ما ذكره من حديث عمى الرائى لجبريل إذا ورد من طرق صار قويا، وليس من قبيل الأحكام فيجعل معارضه ناسخًا، فلابد من التوفيق فيحمل على ما رآه وحده

---

(١) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة (٧/٨١)، وأورده السيوطى فى الدر المنثور (٢/٩١).

(٢) البيت من الطويل، وهو فى ديوان ليلى (ص١٢٢)، الدرر (٤/١٧٣)، شرح شواهد المغنى (٢/٥٨٨)، مغنى اللبيب (١/٢١٨)، همع الهوامع (٢/٣٣).

فى بيت ونحوه من مكان منحصر كالبيت من غير علم للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم، برؤيته، فلا يرد رؤية عائشة وغيرها، وذلك لأنه نور شديد قد يورث ضعف البصر المؤدى للعمى إذا حدق فيه الناظر وأطال نظره فى نوره الذى لم يتفرق، وهو من الأسرار الإلهية فتأمله.

ثم إن المصنف، رحمه الله تعالى، قدم الملائكة لشرفهم ثم ذكر أمر الجن فقال: **(ورأى ابن مسعود)** فى حديث رواه البيهقى **(الجن ليلة الجن)** أى فى ليلة رأى فيها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، الجن، وقد أمر بإنذارهم ودعوتهم للإسلام فدعاهم **(وسمع كلامهم)**.

قال البرهان فى المقتفى: الذى فى صحيح مسلم من حديث ابن مسعود أنه لم يكن مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، ليلة الجن، وقال ابن سيد الناس فى سيرته: إن حديث ابن مسعود فى كونه حاضرًا فى ليلة الجن روى من طرق، وفيه أنه توضأ بنبيذ التمر، وذكر الشراح هنا كلامًا لا محصل له، والحق ما قاله أبو البقاء الشبلى الحنفى فى كتابه آكام المرجان فى أحكام الجان من أنه روى فيه أحاديث متعددة، منها ما رواه أبو داود، عن ابن مسعود أن علقمة قال له: هل صحب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، ليلة الجن أحد؟ قال: ما صحبه منا أحد ولكن فقدناه ليلة فالتمسناه فى الأودية والشعاب، فقلنا: اغتيل فبتنا بشر ليلة، فلما أصبحنا جاء من قبل حراء، وقال: أتانى داعى الجن فذهبت معه وقرأت عليهم القرآن، وانطلق بنا وأرانا آثار نيرانهم، وذكر أنهم سألوه الزاد فقال: لكم العظم والبعر، ونهى عن الاستنجاء بهما رواه أحمد.

وهذه الليلة غير الليلة التى حضرها ابن مسعود، وهى فى دلائل البيهقى مسندة قال: إن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، قال لأصحابه بمكة: من أحب منكم أن يحضر الليلة الجن، فليفعل فلم يحضر أحد غيرى فانطلقنا حتى إذا كنا بأعلى مكة خط لى برجله خطًا أمرنى بالجلوس فيه، وانطلق حتى قام وافتتح القرآن فغشيته أسودة كثيرة حالت بينى وبينه حتى ما أسمع صوته إلى الفجر، وسمعتهم يقولون له: من يشهد لك أنك رسول الله؟ وبقربه شجرة، فقال: أرأيتم إن شهدت هذه الشجرة تؤمنون؟ قالوا: نعم، فدعاها والله فشهدت له فآمنوا به.

وجمع البيهقى بين الروايتين فقال: قوله: ما صحبه منا أحد أراد به حال ذهابه لقراءة القرآن إلا أن قوله: إنه أعلم أصحابه بخروجه ينافى فقدهم له، حتى قالوا: إنه استطير أو اغتيل، وفيه تصريح بأنه ممن فقده والتمسه، وفى هذا الحديث أنه خرج معه وخط له خطًا جلس فيه، فلا يصح ما قاله البيهقى، وهذا كله منشأه ظنهم أنها ليلة واحدة، ولا

شك أنها تعددت فمنها ما كان بمكة كما تقدم.

ومنها ما كان بالمدينة كما فى دلائل النبوة لأبى نعيم مسندًا لابن مسعود، وأنه قيل له: أكنت مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، ليلة وفد الجن؟ قال: أجل أخذ كل رجل رجلاً من أهل الصفة يعشيه، ولم يأخذنى أحد فمر بى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وقال: ما أخذك أحد يعشيك؟ قلت: لا، قال: انطلق معى لعلى أجد لك ما يعشيك، فانطلقت معه لحجرة أم سلمة فتركنى ودخل، ثم خرجت جارية فقالت لى: لم يجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، لك عشاء، فرجعت إلى المسجد، والتففت بثوبى، فجاءت الجارية وقالت: أجب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فأتيته أرجو العشاء، فخرج وبيده عسيب نخل، فعرض به على صدرى وقال: انطلق معى حيث انطلقت، فقلت: ما شاء الله وكررتها ثلاث مرات، فانطلقنا حتى أتينا بقيع الغرقد فخط بعصاه خطًا، وقال: اجلس فيه حتى آتيك ولا تبرح فانطلق وأنا أراه خلال النخل، فثارت مثل عجاجة سوداء فخفت عليه وقلت: ألحق أو أستغيث الناس لظن هوازن مكرت به، ثم ذكرت قوله صلى الله تعالى عليه وسلم: لا تبرح فسمعته يقول: اجلسوا وهو يقرعهم بعصاه، فجلسوا حتى كاد ينشق عمود الصبح فذهبوا وأتى لى، فذكرت له ما فى نفسى فقال: هم وفد نصيبين إلى آخره.

فهذه الليلة كانت بالمدينة حضرها ابن مسعود وما سئل عنه أولاً كان بمكة، وقد وفدوا عليه صلى الله تعالى عليه وسلم مرة أخرى حضرها ابن الزبير رواها الطبرانى ومرارًا أخر ذكرها فى باب مستقل بطولها، ثم قال: وهذه الأحاديث تدل على أن وفادة الجن كانت ست مرات، الأولى فقد فيها وقيل: اغتيل والتمس بمكة، والثانية كانت بالحجون، والثالثة كانت بأعلى مكة بالجبال، والرابعة كانت ببقيع الغرقد، والخامسة كانت خارج المدينة حضرها ابن الزبير، والسادسة كانت فى بعض أسفاره حضرها بلال انتهى ملخصه.

(وشبههم) أى ابن مسعود لا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم؛ لقول قتادة: إن ابن مسعود لما قدم الكوفة رأى شيوخًا سوداء أفرعوه، فقال: أخرجوهم ما أشبههم بالنفر الذين صرفوا إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يعنى الجن، وفيه دليل على أنه رآهم **(برجال الزط)** متعلق بقوله: شبههم، والزط بالزاء المعجمة وتشديد الطاء المهملة قوم من السودان طوال، وفى القاموس: أنهم جيل بالهند معرب جت بفتح الجيم، والقياس يقتضى معربه والواحد زطى.

(وذكر ابن سعد) وهو محمد بن سعد كاتب الواقدى، وقد تقدم وهو بصرى **(أن**

مصعب بن عمير) القرشى العبدرى الصحابى البدرى، وهو ممن أسلم قديمًا وكان يحمل راية رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بين يديه **(لما قتل يوم أحد)**، أى فى وقعته قتله ابن قميئة، لعنه الله، ظانًا أنه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وفى صحيح البخارى عن خباب أن مصعبًا لما قتل لم يكن له إلا نمرة كنا إذا غطينا رأسه بها بدت رجلاه، وإذا غطى رجلاه بدت رأسه، فجعلوا على رجليه شيئًا من الإذخر **(أخذ الراية ملك على صورته)** أى تشكل بشكله وبرز على صورته، حتى لا تقع راية المسلمين، فإن وقوع راية العسكر فيه ضعف لهم، ولتمام تلك الصورة فيه جعل كأنه عليها راكب لتمكنها فيه.

(فكان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، يقول له: تقدم يا مصعب) لنحو الأعداء فى القتال، فإن الراية يتبعها المقاتلون؛ لأنه صلى الله تعالى عليه وسلم، لشدة توجهه للقتال لم يشعر بقتل مصعب، ولم يتأمل حامل الراية، **(فقال له الملك: لستُ بمصعب)** كما ظننته، **(فعلم أنه ملك)**، وفيه لطف وتبشير بسهولة الأمر وظهور النصر، وأن مع العسر يسرا، وهذا بناء على أنه لم يعلمه كما رواه ابن سعد فى طبقاته، وعلى ما رواه ابن أبى شيبة فى مصنفه من أنه صلى الله تعالى عليه وسلم، قال يوم أحد: اقدم مصعب، فقال له عبد الرحمن بن عوف لما سمع مقاله: يا رسول الله ألم يقتل مصعب؟ يعنى فكيف تناديه قال: بلى، ولكن ملك قام مقامه وتسمى باسمه، فهو الذى ناديته[1]، يكون علم صلى الله تعالى عليه وسلم، أنه ملك، وإنما تسمى باسمه؛ لئلا يعلم الناس قتل حامل الراية، فيحصل فيهم اضطراب وتشمت الأعداء بهم ويتمنون انهزامهم، فعلم صلى الله تعالى عليه وسلم، قتل مصعب، وعلى الأول لم يشعر بقتله، وكونه علمه ونسى أو ظن أن الله أحياه كما قيل بعيد، فلا يقال: كيف ناداه باسمه بعدما علم أنه ملك؟ مع أن هذا السؤال غير وارد رأسًا بعد علمه أنه تسمى باسمه لما مر.

وكان مصعب، رضى الله تعالى عنه، حامل راية المهاجرين بأحد، ولواء الخزرج حامله الحباب بن المنذر، وقيل: سعد بن عبادة، وراية الأوس بيد أسيد بن حضير، وما روى من أن حامل رايته بأحد على بن أبى طالب، كرم الله وجهه، لا ينافيه؛ لأن الراية كانت أولاً بيد مصعب، فلما استشهد أخذها الملك، فلما انجلى الأمر وعلم أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، لم يقتل كما شنع به ابن قميئة، وصرخ إبليس اللعين أن محمدًا قد قتل، أخذ على الراية بعد ما أمسكها الملك لحظة؛ لئلا تسقط ويخذل المسلمون وتقر أعين الكفار.

---

(١) أخرجه ابن أبى شيبة (١٤/٣٩٧، ٣٩٨).

وقول الملك: لست بمصعب، يعنى لست مصعبًا المعروف لكم، فلا يقال: كيف قال ذلك بعد ما تسمى مصعبًا؟.

(وقد ذكر غير واحد من المصنفين) كالبيهقى وابن ماكولا **(عن عمر بن الخطاب)**، رضى الله تعالى عنه، **(أنه قال: بينا نحن جلوس مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، إذ أقبل شيخ بيده عصا)** كونه بيده عصا تحقيق لشيخوخته، فإن العصا سلاح المشايخ، ولله در الباخرزى فى قوله:

حمل العصا للمبتلى ... بالشيب عنوان البلا
وصف المسافر أنه ... ألقى العصا كى ينزلا
فعلى القياس سبيل من ... حمل العصا أن يرحلا

وهو تلميح لقوله[1]:

فألقت عصاها واستقر بها النوى ... كما قرَّ عينًا بالإياب المسافرُ

(فسلم على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، فرد عليه) النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، سلامه بأن قاله له: وعليك السلام وجواب السلام يقال له: رد حقيقة، وهو فى الأصل مجاز لتشبيهه بمن أعطى شيئًا فأعاده لصاحبه، ثم صار حقيقة فيما ذكر.

(وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم، لمن سلم عليه بعد رده جوابه: **(نغمة الجن)**، وفى نسخة نغمة جنى أى هذه أو نغمتك نغمة الجن وصوتهم، فهو خبر مبتدأ مقدر، وقال الثعالبى فى فقه اللغة: حسن الكلام وحسن الصوت، والنغمة بالفتح جمعها نغم بفتح النون وكسرها وهو شاذ، ومع شذوذه فله نظائر كهضبة وهضب وخيمة وخيم وبضعة وبضع **(من أنت؟)** من الجن وما اسمك وشهرتك؟، وفيه إشارة إلى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم، يعرفهم؛ لأنهم وفدوا عليه مرارًا كما تقدم.

(قال: أنا هامة بن الهيم) بهاء مكسورة فمثناة تحتية فميم **(بن لاقس بن إبليس)** فى ضبط هذه الأسماء اختلاف، فقيل: هامة بوزن قامة، وقيل: لام بألف ولام دون هاء، والصحيح الأول والهيم بوزن الفيل كما مر.

وقيل: إنه مهموز بوزن كيف ووعل، وفى الشرح أنه مضبوط بخط الحافظ بتشديد الياء بوزن قيم، ولا يعتمد عليه.

والكلام على إبليس مشهور وهو أبو الجن كما أن آدم عليه السلام، أبو البشر،

---

(١) البيت من الطويل، وهو لمعقر بن أوس فى الاشتقاق (ص٤٨١)، لسان العرب (١٥/٣٤٧)، وبلا نسبة فى خزانة الأدب (٦/٤١٣)، رصف المبانى (ص٤٨).

ويسمى عزازيل وقيل: الحارث، ويكنى بأبى مرة، ولاقس بزنة فاعل، وفى بعض النسخ لاقيس بزيادة ياء وهو الأشهر الأصح حتى قيل: إن الياء سقطت سهوا من الكاتب.

(فذكر) للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم، **(أنه لقى نوحًا، عليه الصلاة والسلام، ومن بعده)** من الرسل والأنبياء **(فى حديث طويل، وأن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، علمه سورًا من القرآن)** ستأتى، والحديث عن عمر، رضى الله تعالى عنه، قال: بينا نحن مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، على جبل من جبال تهامة إذ أقبل شيخ فى يده عصا، فسلم على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، وله نغمة الجن وهمهمتهم، فقال له: من أنت؟ قال: هامة بن الهيم بن لاقس بن إبليس، قال: ليس بينك وبين إبليس إلا أبوين؟ قال: نعم، قال: فكم لك من العمر؟ قال: أفنيت الدنيا عمرها وكنت مع نوح فى مسجده مع من آمن به من قومه، فلم أزل أعاتبه على دعوته عليهم حتى بكى وأبكانى، فقال: لا جرم إنى على ذلك من النادمين، وأعوذ بالله أن أكون من الجاهلين، وقلت له: يا نوح إنى ممن شارك فى دم الشهيد هابيل، فهل تجد لى من توبة؟ قال: يا هام هم بالخير وافعله قبل الحسرة والندامة إنى قرأت فيما أنزل الله علىَّ أنه ليس من عبد تاب إلى الله بالغًا ذنبه ما بلغ إلا تاب الله عليه، فقم وتوضأ واسجد لله سجدتين، ففعلت من ساعتى ما أمرنى به، فنادانى: ارفع رأسك فقد نزلت توبتك من السماء، فخررت ساجدًا لله، وكنت مع هود فى مسجده مع من آمن به من قومه، فلم أزل أعاتبه على دعوته على قومه حتى بكى وأبكانى، وكنت مع يوسف بالمكان المكين، وكنت ألقى الناس بالأودية وإنى ألقاه الآن، ولقيت موسى بن عمران فعلمنى من التوراة، وقال: إن لقيت عيسى ابن مريم، فأقرأه منى السلام، وإن عيسى قال: إن لقيت محمدًا فأقرأه منى السلام، فبكى صلى الله تعالى عليه وسلم، وقال: على عيسى السلام ما دامت الدنيا، وعليك يا هامة لأدائك الأمانة، فقال: يا رسول الله افعل بى ما فعله موسى بن عمران، فإنه علمنى من التوراة، فعلمه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، سورة المرسلات، وعم يتساءلون عن النبأ العظيم، وإذا الشمس كورت، وقل هو الله أحد والمعوذتين، وقال له: ارفع إلينا حاجتك يا هام ولا تدع زيارتنا، فقبض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، ولم ينعه لنا، فلست أدرى أحى هو أم ميت؟ انتهى.

واعلم أنهم اختلفوا فى هذا الحديث، فقال ابن الجوزى: إنه حديث موضوع لا أصل له، وذكر له طرقًا ذكر من فى رواتها من الكذابين، ومن لم تقبل روايته، وخالفه فيه غيره، وقال: إن تعدد طرقه تدل على صحته، وابن الجوزى له مجازفة فى موضوعاته أكثرها مردودة، وقد روى هذا الحديث من يعتمد عليه كالبيهقى كما علمت وابن عساكر وغيرهما.

(وذكر الواقدى) محمد بن عمر بن واقد المدينى صاحب التآليف الكثيرة الغريبة، وقد وثقه كثير وطعن فيه آخرون، توفى ببغداد سنة سبع ومائتين وعمره ثمان وسبعون كما تقدم، وهذا حديث صحيح رواه البيهقى والنسائى وغيرهما وهو مذكور فى أكثر التفاسير **(قتل خالد)** بن الوليد، وهو مصدر مضاف لفاعله ومفعوله السوداء **(عند هدمه العزى)**، وفى نسخة قطعه وهى أظهر؛ لأن العزى كانت شجرة أو ثلاثة أشجار فى مكان واحد بنوا عليها بناء، وكانوا يعبدونها ويسمع منها أصوات فذكر الهدم باعتبار ما حولها، فهو بتقدير مضاف هو مفعول هدم كقطع أى قطعها أو هدم بنائها وكانت لغطفان وهى سمرة **(للسوداء)** مفعول قتل كما مر، وفى نسخة للسوداء واللام للتقوية، وهو شيطان فى صورة امرأة سوداء **(التى خرجت له)** أى لخالد، رضى الله تعالى عنه، لما باشر قطعها **(ناشرة شعرها عريانة)** واضعة يدها على رأسها صائحة ياويلها، وناشرة وما بعده منصوب على الحالية، وشعر بسكون العين وفتحها.

(فجزلها) بجيم وزاء معجمة مفتوحتين والزاء مشددة للمبالغة ومخففة أى جعلها جزلين أى قطعتين، وروى جدلها بدال مهملة مشددة وروى عن خطه بخاء وذال معجمتين بمعنى قطعها ومعانيها متقاربة، وأشهرها أولها والضمير للسوداء أى قطعها قطعا **(بسيفه)** وهو يقول:

يا عزى كفرانك لا غفرانك   إنى رأيت الله قد أهانك

والعزى تأنيث الأعز.

(وأعلم) خالد بما فعله **(النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، فقال: تلك العزى)** إن كانت الإشارة لما وقع به الفعل من الشجرة، فظاهر وإن كانت الإشارة للسوداء، فتسميتها عزى وهى اسم للشجر والبناء باعتبار أنها هى التى عبدوها حقيقة، وسمعوا منها ما كانت تخبرهم به من المغيبات ونحوها، كما يقال: الحج الثج والعج بإطلاق الشىء على المقصود منه، فهو مجاز وكانت بنخلة تعبدها قريش وكنانة، وهى من أجل أصنامهم، وقصة هدمها مفصلة فى السير، وكان خرج خالد لها فى ثلاثين فارسا. والجن قادرة على التشكل بصور مختلفة كالملائكة إلا أن هذه إذا قتل ما تصور منها هلك، ولما قتلها خالد قال رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم: «تلك العزى لن تعبد أبدًا»[1]، وقتل سادنها أى خادمها المتوكل بها، وهو دُبَيَّة بضم الدال المهملة وفتح الباء الموحدة وتشديد المثناة التحتية ابن حزمى من بنى مرة.

(وقال، صلى الله تعالى عليه وسلم)، فى حديث صحيح رواه الشيخان عن أبى هريرة

---

(١) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة (٥/٧٧)، وابن عساكر (٥/١٠١).

رضى الله تعالى عنه: **(إن شيطانا)** هو المتمرد من الجن من شطن إذا بعد، أو من شاط إذا احترق فنونه زائدة أو أصلية **(تفلت)** بتشديد اللام نفد أى وثب بسرعة بغتة، وأصله التخلص بغتة يقال: انفلتت الدابة إذا تخلصت من مربطها.

(البارحة) هى الليلة الماضية قبل وقتك الذى تكلمت فيه يعنى فى ليلة يومه، وقد ترد بمعنى اليوم الذى قبل يومك وفيه كلام فى شرحنا لدرة الغواص **(ليقطع علىَّ)** بتشديد الياء متعلق بيقطع بمعنى يبطل **(صلاتى)** التى كنت أصليها ويجوز أن يتنازعه هو وتفلت، **(فأمكننى الله منه)** أى أقدرنى عليه وعلى أخذه وحبسه **(فأخذته)** أى أمسكته وعقته عن مضيه وهروبه منى.

(فأردت أن أربطه) بكسر الباء وضمها أى أوثقه بوثاق يضمه **(إلى سارية)** أى عمود أو اسطوانة من عمد المسجد و**(من سوارى)** جمع سارية **(المسجد)** المدنى **(حتى تنظروا إليه كلكم)** لأجل أن تروه مربوطًا.

(فذكرت دعوة أخى سليمان) بن داود نبى الله، عليهما الصلاة والسلام، وهى قوله فى دعائه: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي﴾ [ص: ٣٥] كل ما صدر منى من تقصير بالنسبة لمقام النبوة، وإن كان معصوما، ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا﴾ أى سلطانا عظيما ﴿لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِيَ﴾ أى لا يتيسر لأحد غيرى، وهو أحد معانى الانبغاء مطاوع بغى بمعنى طلب، وليس هذا حرصا منه، عليه الصلاة والسلام، على الملك وسعة الدنيا، وإنما طلب عظمة ينفرد بها؛ لتكون خارقة للعادة دالة على نبوته مقدرة له على تنفيذ أوامر ربه وإظهار دينه، وفى تقديم الدعاء بالمغفرة على حصول الملك إيماء إلى أن السلطنة لا تخلو من أمور تحتاج لعفو الله تعالى، أو حياء من الله لطلبه أمرا لا يليق بغيره، ولتركه مقام العبودية الذى ارتضاه نبينا، صلى الله تعالى عليه وسلم.

وقال الزمخشرى: إن سليمان، عليه الصلاة والسلام، نشأ فى بيت ملك ونبوة، فأراد أن يكون ما ورثه زائد على غيره خارقا للعادة، ليتم به أمره، ويعلم أنه باستحقاق للفيض الإلهى لا بمجرد ميراث كأولاد الملوك، ولا يتوهم أنه طلب قصر نعم الله عليه، والمؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه فكيف بالنبى، صلى الله تعالى عليه وسلم؛ لأن خصائص الأنبياء وطلبها أمر آخر، وقد علم أن هذا الشيطان مارد من المردة، ويأتى الكلام فى تعيينه ألقى على النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، شعلة نار وهو يصلى؛ ليقطع صلاته فأخذه هو بنفسه، لا ملك منعه عنه كما قيل، ولبعضهم هنا أبحاث زوائد لا طائل تحتها، وقوله: رب اغفر لى بدل مفسر لقوله دعوة أخى، وتسخير الجن داخل فى هذه الدعوة، لقوله بعدها: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾

﴿وَالشَّيَاطِينَ﴾ [ص: ٣٦، ٣٧] إلخ، ولما استجاب الله دعوته ترك، صلى الله تعالى عليه وسلم، ذلك تأدبا منه وتواضعا وتوقيرا لسليمان، صلى الله تعالى عليه وسلم.

قال ابن عرفة، رحمه الله تعالى: وما نقل عن الحجاج من أنه قال فى حق نبى الله سليمان: إنه كان حسودًا، من فسقه وجهله بل من كفره وعدم علمه بمقامات الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، فإن للإنسان أن يطلب من الملك شيئا يخصه به إذا علم أنه لا يعطيه إلا لواحد من مملكته، فيجوز أن يكون هو ذلك الواحد.

وقوله: **(فرده الله)** أى رد الله ذلك الشيطان بإقدارى عليه وتمكنى منه **(خاسئًا)** أى خائبًا حقيرًا مطرودًا من كلامه، صلى الله تعالى عليه وسلم، كما هو واضح، وقول البخارى: قال روح: فرده الله خاسئا بيان؛ لأنه وقع من روايته؛ لأنه روى فرددته وهى صريحة فى ذلك.

وهذا الحديث روى من طرق، وفيها زيادة واختلاف ففى بعضها عرض لى فى صورة هر، وأخذته فخنقته حتى وجدت برد لسانه على يدى، وروى أنه سمع، صلى الله تعالى عليه وسلم، يقول فى صلاته: «أعوذ بالله منك وألعنك بلعنة الله» ثلاثًا، وبسط يده كأنه يتناول شيئا فسألوه عن ذلك، فقال: «إن عدو الله إبليس، لعنه الله، جاء بشهاب من نار ليجعله فى وجهى»[(١)].

وقوله فى الرواية المارة: فأخذته وخنقته يعلم منه أن قول المصنف، رحمه الله تعالى، فى شرح مسلم أنه يحتمل أنه لم يقدر عليه لاوجه له، فإنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، كان قادرًا على ذلك، فإنه أوتى مثل كل معجزة لغيره كما يأتى، وفى بعض طرق هذا الحديث تصريح بأن الشيطان هو إبليس، وقيل: يحتمل أنه غيره وأن الواقعة تعددت.

قال ابن عبد البر: الجن على مراتب جنى وعامر، وهو الذى يخالط الناس، وأرواح وهم الذين يتعرضون للصبيان وأجنتها، قيل: وقرين الأنبياء والعباد يقال له الأبيض كما فى تفسير القرطبى.

(وهذا) أى ما كان له، صلى الله تعالى عليه وسلم، مع الملائكة والجن **(باب واسع)** إشارة إلى أن ما ذكره قليل من كثير وغيض من فيض، وفى آكام المرجان ربطه إلى السارية من التصرف الملكى الذى تركه لسليمان، وتصرفه، صلى الله تعالى عليه وسلم، نبوى بالدعوة للإسلام والأمر والنهى، فإنه كان عبدًا رسولاً، وهو أفضل من الملك النبى، ثم إن خنقه وفعله به ما فعله فى صلاته احتج به على جواز مثله فى الصلاة،

---

(١) أخرجه مسلم (٤٠/٥٤٢)، والنسائى (١٣/٣)، وابن خزيمة (٨٩١)، وأبو عوانة (١٤٤/٢)، والبيهقى فى دلائل النبوة (٩٨/٧)، وابن حبان (٩٧١٩).

كدفع المار وقتل الأسودين والمسابقة فى صلاة الخوف انتهى، وفيه تأمل.

* * *

(فصل، ومن دلائل نبوته ﷺ)

والدليل ما يعلم منه شيء آخر ويكون قطعيًا وظنيًا قال أستاذ والدى الشيخ أحمد بن قاسم فى الآيات البينات: هى جمع دليل على خلاف القياس، ويحتمل أن يكون جمع دلالة بمعنى دليل، فإن إمام الحرمين قال: إن الدليل يسمى دلالة، وجمع فعالة على فعائل قياسى، والظاهر أن تسمية الدليل دلالة مجاز. انتهى.

وقال الراغب: الدلالة ما يتوصل به إلى معرفة الشيء، وتسمية الدال والدليل دلالة كتسمية الشيء بمصدره انتهى.

وفيه دليل لما قاله إمام الحرمين وأنه سمع، فلا وجه للتوقف فيه ولا لقول بعض شراح المنهاج الأصولى فى قوله: دلائل الفقه صوابه أدلة، وقال ابن مالك فى شرح الكافية: لم يأت فعائل جمع اسم جنس على فعيل فيما أعلم، لكنه بمقتضى القياس جائز فى علم المؤنث كسعيد علم امرأة جمع على سعايد.

وذكر النحاة أنه فى غاية القلة، ورد منه لفظان لا يقاس عليهما، وهما وصايد جمع وصيد وهو الباب، وسلايل جمع سليل وهو واد، وزاد الجوهرى تبايع جمع تبيع وأقايل جمع أقيل، وهو الصغير من الإبل، وقول بعضهم: إنه قيده بقلمه فقد يقال: إنه لا يمتنع سماعًا ولا قياسًا خبط لا معنى له.

(وعلامات رسالته) العلامة: الأمارة، وأكثر ما يستعمل فى الظنيات وفيما يكون قبل الوقوع، والفرق بين النبوة والرسالة مشهور، وقد يكونان بمعنى وأضاف الدلائل للنبوة والعلامات للرسالة تفننا، وقيل: لأن النبوة أصل والرسالة وصف زائد، انتهى.

والظاهر ما قلناه أنه غاير بينهما تفننا، والمراد بالدلائل الدلائل القطعية وقدمها لشرفها، وأضافها للنبوة لسبقها على الرسالة، وكل مادل على النبوة دل على الرسالة للزوم تصديقه بعد ثبوته فى قوله تعالى: ﴿إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وكذا الرسالة مستلزمة للنبوة ومبنية عليها فعلاماتها **(ما ترادفت به الأخبار)** أى تتابعت فجاء بعضها يتبع بعضا من غير انفصال كأن بعضها ركب خلف الآخر، ففيه استعارة مكنية وتخييلية والأخبار جمع خبر **(عن الرهبان)** وهم عباد النصارى وعلماؤهم كبحيراء فى قصته المشهورة جمع راهب من الرهبة، وهى الخوف لإظهارهم خشية الله، والخوف منه مقابل للراغب لتركهم الرغبة فى الدنيا كما قيل:

يهوى غلاما من نصارى جاف فاعجب له من راغب فى راهب

(والأحبار) جمع حبر بالفتح والكسر كما مر، وهو العالم من أهل الكتاب واشتهر فى علماء اليهود.

وقوله **(وعلماء أهل الكتاب)** من عطف العام على الخاص، وأهل الكتاب غلب على اليهود والنصارى، فالمرد بالكتاب التوراة والإنجيل وغيرهما من الكتب السماوية، وفى نسخة الكتب جمعًا وهما بمعنى **(من صفته)**، صلى الله تعالى عليه وسلم، **(وصفة أمته واسمه وعلاماته)**، ففى التوراة عن كعب: محمد رسول الله عبدى المختار إلى آخره، وأمته الحمادون وفى الزبور عن وهب بن منبه:سيأتى من بعدك نبى يسمى أحمدًا ومحمدًا أمته مرحومة أعطيتهم مثل ما أعطيت الأنبياء إلى غير ذلك مما نقله الثقات، كقوله فى علامته فى الإنجيل: صاحب المدرعة والعمامة والهراوة الجعد الرأس الصلت الجبين.... إلى آخر ما ذكره من حليته فيه.

(وذكر الخاتم) بالفتح والكسر يعنى خاتم النبوة **(الذى بين كتفيه)**، وقد تقدم الكلام عليه وأنه مثل زر الحجلة أو بيضة الحمام وأنه ختم به بعد شق صدره، وفيه شعرات وخيلان عند نغض كتفه اليسرى، وهو مذكور فى كتب الله تعالى القديمة.

(وما وجد) بالبناء للمجهول **(فى ذلك)** أى مما يدل على نبوته ورسالته **(من أشعار الموحدين المتقدمين)** من العرب المتألهين قبل بعثته، صلى الله تعالى عليه وسلم، العالمين بما فى الكتب السماوية القديمة **(من شعر تبع)** بيان لما وجد، وتبع بضم التاء وتشديد الباء الموحدة اسم لملك اليمن، وجمعه تبابعة سمى به لكثرة أتباعه المنقادين له، وأصل معناه الظل ولا يسمى تبعًا إلا إذا ملك حمير وحضرموت، واشتهر منهم اثنان تبع الأكبر وهو الأول والثانى أبا كرب، وتبع الثانى هو الذى أراد تخريب المدينة واستئصال اليهود لما شكى له الأنصار منهم؛ لأنهم من اليمن نزلوا عندهم، فقال له رجل معمر: الملك أجل من أن يطريه فرق أو يستخفه غضب، وأمره أعظم من أن يضيق حلمه أو يخرم صفحه، وهذه البلدة مهاجر بلدة نبى يبعث بدين إبراهيم، عليه الصلاة والسلام.

قال السهيلى، رحمه الله تعالى: وهذا الرجل من اليهود، وهو أحد الحبرين اللذين كلما الملك سحيت ومنبه أو بنيامين، ويأتى أن شامول كلمه أيضًا فآمن به، عليه الصلاة والسلام، وكسى الكعبة، وهو أول من كساها والشعر المذكور قوله:

شهدت على أحمد أنه ... نبى من الله بارىء النسم
فلو مد عمرى إلى عمره ... لكنت وزيرًا له وابن عم
وجاهدت بالسيف أعداءه ... وفرجت عن صدره كل غم
له أمة سميت فى الزبور ... وأمته هى خير الأمم

(وقوله):

ويـأتى بعدهـم رجـل عظيـم نبـى لا يرخـص فـى الحـرام
يسمـى أحمـدًا يـا ليـت أنـى أعمـر بعـد مبعثـه بعـام

(والأوس بن حارثة) بن ثعلبة العنقا بن عمرو بن مزيقيا بن ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرئ القيس البطريق بن ثعلبة البهلول بن مازن بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سباء بن يشخب بن يعرب بن قحطان، والأوس فى اللغة الذئب أو العطية سمى به وله تنسب الأنصار، وكان أوس من عدة ناس فى الفترة هداهم الله تعالى للتوحيد، ولم يعبدوا الأصنام وكانوا يعاشرون أهل الكتاب فيخبرونهم بما فى كتبهم من ذكر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، فيذكرونه فى خطبهم وأشعارهم، ولأوس شعر فيه لم يذكره أحد هنا من الشراح، وهو سيد جواد طائى كان صديقًا لحاتم الطائى، والأوس بالألف واللام للمح، ولذا قال السهيلى: إنه منقول من اسم العطية لا من اسم الذئب؛ لأنه علم جنس كأسامة لا تدخل عليه الألف واللام قبل النقل فبعده أولى.

وقال التلمسانى: إنه روى هنا بدون الألف واللام وهو مخالف لما قاله الإمام السهيلى.

(وكعب بن لؤى) هذا هو الصواب، وفى بعض النسخ: لؤى بن كعب وهو غلط من الناسخ، ولؤى بهمزة ولا يهمز، وهو تصغير لأى بمعنى البطؤ، وهو أول من جمع يوم الجمعة وسماها جمعة وكانت تسمى عروبة فى الجاهلية، فكان يخطب فيه الناس ويبشر بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيما نقل من كلامه نظما ونثرا أنه قال فى خطبة له: أما بعد فاسمعوا وتعلموا وافهموا واعلموا، ليل ساج، ونهار ضاج، والأرض مهاد، والسماء بناء، والجبال أوتاد، والنجوم أعلام، إلى قوله: الدار أمامكم، والظن غير ما تقولون حرمكم زينوه وعظموه، فسيأتى له نبأ عظيم، وسيخرج منه نبى كريم، وينشد:

نـهار وليـل كـل يـوم بحـادث سـواء علينـا ليلـها ونـهارها
منونـان بـالأحداث حـين تناوبـا وبـالنعم الضـافى علينـا سـتورها
على غفلـة يأتـى النبـى محمـد فيخبر أخبـارًا صدوقـا خبيرهـا

إلى آخر ما رواه ابن الجوزى مسندًا فى كتاب الوفاء.

(وسفيان بن مجاشع) التميمى الدارمى المجاشعى جد الفرزدق والأقرع بن حابس، وكان احتمل عن قومه ديات فخرج لحى من تميم، فإذا هم مجتمعون عند كاهنة فأتاهم وجلس عندهم فسمع الكاهنة تقول:

العزيز من والاه، والذليل من خالاه، والموفور من والاه، والموتور من عالاه.

فقال سفيان: من تذكرين لله أبوك؟.

فقالت: صاحب هدى وعلم، وبطش وحلم، وحرب وسلم، ورأس رءوس، ورابض شموس، وما جن بؤس، وما هد زعموس، وناعس ومنعوس.

فقال سفيان: لله أبوك من هو؟.

قالت: نبى مؤيد قد أتى حين يوجد، ودنا أوان يولد، يبعث إلى الأحمر والأسود بكتاب لا يفند، اسمه محمد.

قال سفيان: لله أبوك أعربى هو أم أعجمى؟.

فقالت: أما والسماء ذات العنان، والشجر ذات الأفنان، إنه لمن معد بن عدنان، فأمسك عن سؤالها، ثم إن سفيان ولد له ولد، فسماه محمدًا لرجاء أن يكون هو النبى المذكور، وهو أحد من سمى باسمه، صلى الله تعالى عليه وسلم، قبل مبعثه كما تقدم، وهذا ما ذكره المصنف، رحمه الله تعالى، من تبشيره به، وله شعر فيه إلا أن الشراح قالوا: لم نقف عليه، وما ذكر يكفى فى المقصود.

(وقس بن ساعدة) الإيادى قس، بضم القاف وتشديد السين، والقس العالم، والإيادى بكسر الهمزة نسبة لإياد حى من معد، وكان من الحكماء الزهاد كعمه وخاله منقطعًا للعباده فى برية، وآمن بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم، قبل مبعثه ورآه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، مرتين بسوق عكاظ، ولذا عده ابن شاهين وغيره فى الصحابة، رضى الله عنهم، وعمر حتى قيل: إنه عاش ستمائة أو سبعمائة سنة، وأدرك الحواريين، فكان على دين عيسى، عليه الصلاة والسلام، قيل: وكانت السباع تدور عنده ولا تؤذيه، وربما ضربها بعصاه، وهو خطيب مفلق يضرب به المثل.

وعن ابن عباس، رضى الله تعالى عنهما، لما قدم الجارود على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وكان سيد قومه قال: يا رسول الله والذى بعثك بالحق لقد وجدت صفتك فى الإنجيل، وبشر بك ابن البتول، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، فآمن هو وكل سيد من قومه وسر بذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وقال له: يا جارود هل فى وفد عبد القيس من يعرف قسا؟ قال: كلنا نعرفه وكنت أقفو أثره كأنى أنظر إليه يقسم بالرب الذى هو له، ليبلغن الكتاب أجله، ويقول:

هاج للقلب من جواه أذكار وليال خلا لهن نهار

فى أبيات أخر، فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم: فلست أنساه بسوق عكاظ

يذكر كلامًا ما أحفظه، فقال أبو بكر، رضى الله تعالى عنه: كنت حاضرًا وأنا أحفظه، سمعته يقول فى خطبته: يا أيها الناس اسمعوا وعوا وإذا وعيتم فانتفعوا إنه من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت، مطر ونبات، وأرزاق وأقوات، وآباء وأمهات، وأحياء وأموات، وجمع وأشتات، وآيات بعد آيات بعد آيات، إن فى السماء لخبرًا، وإن فى الأرض لعبرًا، ليل داج، وسماء ذات أبراج، وأرض ذات رتاج، وبحار ذات أمواج، مالى أرى الناس يذهبون فلا يرجعون، أرضوا بالمقام فأقاموا، أم تركوا هناك فناموا، أقسم قس قسما حاتمًا، لا حانثًا فيه ولا آثمًا، إن لله دينًا هو أحسن من دينكم الذى أنتم عليه ونبيًا قد حان حينه، وأظلكم أوانه، فطوبى لمن آمن به فهداه، وويل لمن خالفه وعصاه، تبًا لأرباب الغفلة، من الأمم الخالية والقرون الماضية، يا معشر إياد أين الآباء والأجداد؟، وأين المريض والعواد؟، وأين الفراعنة الشداد؟، وأين من شيد وزخرف ونجد، وغره المال والولد؟، أين من بغى وطغى، وجمع فأوعى وقال: أنا ربكم الأعلى؟، ألم يكونوا أكثر منكم أموالاً، وأطول منكم آجالاً، وأبعد منكم آمالاً؟، طحنهم الثرى بكلاكله، ومزقهم بتطاوله، فتلك عظامهم بالية، وبيوتهم خاوية، عمرتها الذئاب العاوية، كلا بل هو الله أحد، الواحد المعبود، ليس بوالد ولا مولود[1]، وأنشأ يقول:

فى الذاهبين الأولين من القرون لنا بصائر ... لما رأيت مواردًا للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومى نحوها تمضى الأصاغر والأكابر ... لا يرجع الماضى إلى ولا من الباقين غابر
أيقنت أنى لا محالة حيث صار القوم صائر

انتهى، وروى له أشعار كثيرة فيها ذكره صلى الله تعالى عليه وسلم، كقوله:

الحمد لله الذى لم يخلق الخلق عبث ... ولم يخلقنا سدى من بعد عيسى واكترث
أرسل فينا أحمدًا خير نبى قد بعث ... صلى الله عليه ما حج له ركب وحث

إلى آخر ما ذكروه إلا أن ابن الجوزى قال: حديث قس المذكور موضوع، وذكر أسانيده وبين من فيها من الكذابين، ورده السخاوى وقال: إنه يجازف فى الوضع ولا يلزم من كون السند فيه كذاب، أن يكون المتن كذبًا إذا تعددت طرقه، وقد رواه ابن سيد الناس بسند ليس فيه كذاب، ورواه غيره أيضًا، فالصحيح أنه ليس بموضوع.

(وما ذكر عن سيف بن ذى يزن وغيرهم) ابن ذى يزن من ملوك حمير، وتنسب إليه الرماح فيقال: رمح يزنى وأزنى، وفيه وفى اشتقاقه كلام طويل للصاغانى، وقال البرهان: إنه مصروف والذى فى القاموس أنه ممنوع من الصرف لوزن الفعل وأصله

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تهذيب تاريخ دمشق (١/٣٥٦، ٣٥٧)، وأورده السيوطى فى اللآلى المصنوعة (١/٩٧).

يزان، ورد الصاغانى فى الذيل والصلة منع صرفه، وأطال فيه وقال: مادة زان غير معروفة ولا تضاف ذو هنا إلا إلى أسماء الأجناس، وفى شرح الدريدية لابن النحاس أن فيه قولين:

أحدهما: أنه من وزن حذفت الواو لوقوعها بين فتحة وكسرة، ثم أبدلت الكسرة فتحة تخفيفًا فلا ينصرف على هذا.

الثانى: أنه ماض أصله وزن قلبت الواو همزة كما فى أحد ثم أبدلت ياء، وسمى به فهو منصرف انتهى، وهذا لا يرد عليه ما أورده الصاغانى، وقوله: لا تضاف ذو إلا لأسماء الأجناس ممنوع، فإنه يضاف للأعلام كما هنا، وهى لغة أهل اليمن فيضيفونه لأعلام ملوكهم وعظمائهم، وهو من إضافة المسمى للاسم، ويقال لملوك اليمن: إلا ذو، وقصة سيف مشهورة فى التواريخ والسير، وكان ظهر على اليمن وظفر بالحبشة فنفاهم بعد مولد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، بسنتين، فأتته وفود العرب تهنئه وتمدحه، فأتاه وفد قريش وفيهم عبد المطلب وأمية بن عبد شمس وخويلد بن أسد وغيرهم من وجوه قريش، واستأذنوا عليه فأذن لهم وهو معطر بالمسك والعنبر، وحوله أبناء الملوك فقال لعبد المطلب: إن كنت ممن يتكلم بين الملوك فتكلم فقال: أيها الملك إن الله قد أحلك محلاً رفيعًا، شامخًا منيعًا، وأنبتك منبتًا طابت أرومته، وعذبت جرثومته، وثبت أصله، وبسق فرعه، فى أطيب موطن، وأكرم معدن، وأنت أبيت اللعن أيها الملك رأس العرب وربيعها التى تخصب به، ورأسهم الذى له ينقاد، وعمودها الذى عليه العماد، ومعلقها الذى إليه يلجأ العباد، وسلفك لنا خير سلف، وأنت لنا خير خلف، ولن يخمل ذكر من أنت خلفه، ولن يهلك من أنت سلفه، ونحن أيها الملك أهل حرم الله وبيته أشخصنا إليك الذى أبهجنا بك لكشف الكرب الذى قد حنا، فنحن وفد التهنية لا وفد الرزية.

فقال له سيف: وأيهم أنت أيها المتوكل؟ قال: أنا عبد المطلب بن هاشم، قال: ابن أختنا؟ قال: نعم، فأدناه وأقبل عليه وعلى القوم وقال: مرحبًا وأهلا، وناقة ورحلا، ومستناخًا سهلاً، وملكًا ربحلا، يعطى عطاء جزلا، قد سمعت مقالتكم، وعرفت قرابتكم، وقبلت وسيلتكم، وأنتم أهل الليل والنهار، لكم الكرامة ما أقمتم والحباء إذا ظعنتم، انهضوا إلى دار الضيافة والوفود، وأمر لهم بالإنزال فأقاموا شهرًا لا يصلون إليه ولا يأذن لهم فى الانصراف، ثم أرسل إلى عبد المطلب وقال له بعد ما قرب مجلسه: يا عبد المطلب إنى مفض إليك بسر لو يكون غيرك لم أبح به ولكن وجدتك معدنه، فليكن عندك مطويا حتى يأذن الله فيه فإن الله بالغ أمره: إنى أجد فى الكتاب المكنون، والسر

المخزون، الذى اخترناه لأنفسنا دون غيرنا، خبرًا عظيمًا، وخطرًا جسيمًا، فيه شرف الحياة، وفضيلة الوفاة، للناس كافة، ولرهطك عامة، ولك خاصة.

فقال عبد المطلب: فتلك أيها الملك من سر وبر، فما هو فداك أهل الوبر والمدر، زمرًا بعد زمر؟.

فقال له: إذا ولد بتهامة، غلام به علامة، بين كتفيه شامة، كانت له الإمامة، ولكم به الزعامة إلى يوم القيامة.

فقال له عبد المطلب: أبيت اللعن لولا هيبة الملك وإجلاله سألته عما أزداد به سرورًا.

قال: هذا حين زمانه الذى يولد فيه أو قد ولد، واسمه محمد، يموت أبوه وأمه، ويكفله جده وعمه، قد ولدناه سرارًا، والله باعثه جهارًا، وجاعل له منا أنصارًا، يعز بهم أولياءه، ويذل بهم أعداءه، ويضرب بهم الناس عن عرض ويستبيح بهم كرام الأرض، يعبد الرحمن، ويدحر الشيطان، ويخمد النيران، ويكسر الأوثان، قوله فصل وحكمه عدل، يأمر بالمعروف ويفعله، وينهى عن المنكر ويبطله.

فقال عبد المطلب: أيها الملك عز جارك، وسعد جدك، وعلا كعبك، ونما أمرك، وطال عمرك، هل للملك أن يسرنى بإفصاح؟ فقد أوضح لى بعض إيضاح.

فقال: والبيت ذى الحجب، والعلامات على النقب، إنك لجده بلا كذب، فخر عبد المطلب ساجدًا فقال له: ارفع رأسك فقد ثلج صدرك، وعلا أمرك، فهل أحسست شيئًا مما ذكرت؟ فقال: نعم؟ أيها الملك إنه كان لى ابن كنت به معجبًا، فزوجته كريمة من كرائم قومى آمنة بنت وهب بن عبد مناف، فجاءت بغلام سميته محمدًا، ومات أبوه وأمه وكفلته أنا وعمه، بين كتفيه شامة وفيه كلّ ما ذكرت من علاماته، فقال: الذى ذكرت كما ذكرت، فاحتفظ به واحذر عليه اليهود، فإنهم له أعداء ولن يجعل الله لهم عليه سبيلا، واطو ما ذكرت لك دون هذا الرهط الذين معك، فإنى لست آمن أن تدخلهم النفاسة فيبغون لك الغوائل وينصبون لك الحبائل، وهم فاعلون أو أبناؤهم ولولا أعلم أن الموت مجتاحى قبل بعثه سرت بخيلى ورحلى حتى آتى يثرب وأصير هادرًا مملكتى، فإنى أجد فى الكتاب الناطق، والعلم السابق أن يثرب استحكام أمره وموضع قبره وأهل نصره، ولولا أنى أقيه الآفات وأحذر عليه العاهات لأوطأت العرب كعبه وأعلنت على حداثة سنه ذكره، ثم أمر لكل رجل منهم بمائة من الإبل، وعشرة أعبد، وعشرة إماء، وعشرة أرطال فضة، وخمسة ذهبًا وكرش مملو عنبرًا، وأمر لعبد المطلب بأضعافه وقال له: إذا كان رأس الحول، فأتنى بخبره وما يكون من أمره، فهلك قبل رأس الحول، فكان عبد المطلب يقول: لا يغبطنى أحد من قريش بجزيل الملك، فإنه إلى نفاد ولكن الغبطة بما

يبقى لى شرفه وذكره فى العقبى، فإذا سئل عنه قال: سيظهر بعد حين وفيه شعر له.

وعن ابن عباس أنه قال لعبد المطلب: أشهد أن فى إحدى يديك ملكًا وفى الأخرى نبوة، فكانت النبوة والخلافة العباسية كما فى كتب السير والتواريخ، وبما ذكرناه من أنه مات قبل الحول يعلم أنه ليس بصحابى ولا تابعى، فذكر الذهبى له فى الصحابة لا وجه له، والعجب من بعض الشراح حيث نقل ما ذكرناه، وقال: إنه تابعى فالحق أنه ليس كذلك ولا مخضرم أيضًا كما قيل، ولعل الذى ذكره الذهبى إشارة إلى أن مثله لا يقال بالرأى أيضًا.

(وما عرف به من أمره) وكونه نبيًا مرسلاً وعرف بتشديد الراء مبنى للفاعل لا للمفعول، وإن صح بناء على أنه عرفه به أهل الكتاب والفاعل أو نائبه **(زيد بن عمرو ابن نفيل)** قال الذهبى: هو زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن رباح العدوى، الذى قال فيه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: إنه يبعث أمة وحده؛ لأنه كان يطلب دين إبراهيم ويكره الشرك وأهله ويوحد الله، ويقول لقريش: ما قومكم على شىء قد أخطئوا دين إبراهيم بأوثان لا تضر ولا تنفع بعد، وكان يخالفهم ولا يأكل ذبائحهم، فاجتمع بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم، قبل نبوته، وتوفى قبل مبعثه، وقال: شاممت اليهودية والنصرانية فكرهتهما وكنت بالشام فأتيت راهبًا فقصصت عليه فقال: أراك تريد دين إبراهيم يا أخا أهل مكة إنك لتطلب دينًا لا يوجد اليوم، وهو دين أبيك إبراهيم فالحق لبلدك، فإن الله يبعث لك من يأتى بدين إبراهيم الحنيفية، وهو أكرم الخلق على الله تعالى، انتهى المراد منه.

ومن خطه نقلت وروى غيره أيضًا: أنه لقى راهبًا بالجزيرة فسأله عن دين إبراهيم فقال له: إن كل من رأيته من الأحبار والرهبان فى ضلال، وإنك لتسأل عن دين الله وقد خرج فى أرضك أو هو خارج نبى يدعو إليه، فارجع إليه وصدقه، فلقيه قبل بعثته ببلد حيد فقال: يا عم مالى أرى قومك قد أبغضوك فقال: أما والله إن ذلك لغير ثائرة منى إليهم ولكنى أراهم على ضلالة، فخرجت أبتغى هذا الدين، ثم أخبره بما عرفه به الراهب من أمره صلى الله تعالى عليه وسلم، وهذا ما أشار إليه المصنف وعده من الصحابة توسعًا؛ لأنه لم يجتمع به صلى الله تعالى عليه وسلم، بعد النبوة، ونفيل تصغير نفل وهو العطية نقل للعلمية وقيل: إن اليهود قتلوه بلخم.

(وورقة بن نوفل) أحد النفر الذين كانوا فى الفترة على الدين الحق من قريش، وهو ورقة بن أسد بن عبد العزى بن قصى، وهو معطوف على زيد أى وما عرف به ورقة من أمره صلى الله تعالى عليه وسلم، وأخبر به خديجة أم المؤمنين، رضى الله تعالى عنها،

كما ذكره البخارى، وآمن به بعد رسالته ولذا قيل: إنه أول الصحابة، وكان شيخًا كبيرًا يقرأ الكتب ويعرف العبرانية، وقال للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم، لما أخبره بأمره: أبشر فإنك الذى بشر به ابن مريم ورآه صلى الله تعالى عليه وسلم، فى الجنة عليه ثياب خُضر، وقال: لا تسبوا ورقة كما تقدم، وله أشعار مدح بها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم.

(وعثكلان الحميرى) بفتح العين المهملة وسكون المثلثة وكاف ولام وألف ونون، والحميرى نسبة لحمير قبيلة باليمن سميت باسم حمير بن سبأ أى ما عرف به من أمره صلى الله تعالى عليه وسلم، عمن لقيه من الرهبان، وقال الشراح: لم نقف على قصة عثكلان، وفى الخصائص أن ابن عساكر أخرج من طريق عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث، عن أبيه، عن جده، وقال: سافرت إلى اليمن قبل مبعثه صلى الله تعالى عليه وسلم، فنزلت على عثكلان بن عواكن الحميرى، وكان شيخًا كبيرًا أنزل عليه إذا جئت اليمن فنزلت عليه مرة فسألنى عن مكة والكعبة وزمزم، وقال: هل ظهر منكم أحد خالف دينكم؟ فقلت: لا ثم قدمت عليه بعد بعثه، صلى الله تعالى عليه وسلم، وقد ضعف وثقل سمعه، فنزلت عليه واجتمع عليه ولده وولد ولده وأخبروه بمكانى، فشد على عينيه عصابة واستند وقعد وقال لى: انتسب يا أخا قريش، فقلت: أنا عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة، قال: حسبك يا أخا زهرة ألا أبشرك ببشارة هى خير لك من التجارة؟ قلت: بلى، قال: أنبئك بالمعجمة وأبشرك بالمرعبة إن الله قد بعث فى الشهر الأول من قومك نبيا ارتضاه صفيا، وأنزل عليه كتابًا وجعل له ثوابًا، ينهى عن الأصنام يدعو إلى الإسلام، يأمر بالحق ويفعله وينهى عن الباطل ويبطله، فقلت: ممن هو؟ قال: لا من الأزد ولا ثمالة ولا من السرف ولا تبالة، هو من بنى هاشم وأنتم أخواله يا عبد الرحمن، أحق الوقعة وعجل الرجعة، ثم امض ووازره واحمل إليه هذه الأبيات:

أشهد بالله ذى المعالى ... وفالق الليل والصباح
أنك فى السر ومن قريش ... يا ابن المفدى من الذباح
أرسلت تدعو إلى يقين ... ترشد للحق والفلاح
أشهد بالله رب موسى ... أنك أرسلت بالبطاح
فكن شفيعى إلى مليك ... يدعو البرايا إلى الفلاح

قال عبد الرحمن: فحفظت الأبيات وانصرفت، فلما قدمت مكة لقيت أبا بكر، رضى الله تعالى عنه، وأخبرته الخبر فقال: هذا محمد قد بعثه الله فأته، فلما أتيت بيت

خديجة رآنى صلى الله تعالى عليه وسلم، فضحك وقال لى: أرى وجهًا خليقًا أن أرجو له خيرًا فما وراءك؟ قلت: وديعة، فقال: أرسلك مرسل برسالة هاتها فأخبرته وأسلمت، فقال: أخا حمير مؤمن مصدق بى وما شاهدنى أولئك من إخوانى حقًا[١]، انتهى.

(وعلماء يهود)، وفى نسخة علماء اليهود بالألف واللام، وكلاهما صحيح كما بينه سيبويه فى باب العلم، فإنه يكون علما لهذه القبيلة فيمنع من الصرف ولا تدخله الألف واللام قال الشاعر[٢]:

أولئك أولى من يهود بمدحة إذا أنت يومًا قلتها لم تُؤنب

وإذا قلت: اليهود فإنه بمعنى اليهوديين، ولكن حذفوا ياء النسبة، انتهى، وفصله شراحه أى ما عرف به من أمر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، علماؤهم مما قرأوه فى كتبهم، ورووه عن أسلافهم كابن صوريا وابن أخطب وأبى ياسر ووهب بن يهود وغيرهم ممن لا يحصى، ومنهم من أسلم، ومنهم من عاند حسدًا، فمات على كفره، ثم ذكر بعضًا منهم، وعطفه عطف الخاص على العام، فقال: **(وشامول عالمهم)** بشين معجمة وميم ولام بينهما ألف بوزن فاعول، وهو من علماء اليهود وكان مع تبع صاحبه، وفى كتاب الوفاء:لما قدم تبع المدينة لنصرة الأوس والخزرج على اليهود، قال: إنى مخرب هذه البلدة حتى لا يقوم بها يهودية ويرجع الأمر لدين العرب، فقال له شامول اليهودى، وهو يومئذ أعلم اليهود: أيها الملك إن هذه البلدة مهاجر نبى من بنى إسماعيل مولده مكة واسمه أحمد، وهذه دار هجرته وإن منزلك الذى أنت به سيكون فيه من القتلى من أصحابه وأعدائه أمر عظيم، فقال تبع: ومن يقاتله وهو نبى؟ قال له: قومه، قال: وأين قبره؟ قال: بهذه البلدة، قال: وإذا قوتل لمن تكون النصرة، قال: يكون له مرة وعليه أخرى، ثم تكون العاقبة له فيظهر حتى لا ينازعه أحد، ثم سأله عن صفته فأخبره بها كما مر فى حديث الحلية الشريفة.

وقوله: **(صاحب تبع)** أى الذى كان معه ورهبان آخرين لما قدم المدينة، فقالوا له لما قص عليهم شامول القصة المارة: إنا لن نبرح هاهنا لعلنا ندركه أو أبناؤنا، فأعطى كل واحد منهم مالاً وجارية، فمكثوا فيها.

وقوله: **(من صفته وخبره)** صلى الله تعالى عليه وسلم، كما عرفته آنفًا بيان لما عرف به **(وما ألفى من ذلك)** أى من صفته وخبره **(فى التوراة والإنجيل)**، وألفى بهمزة

---

(١) أورده السيوطى فى الجامع الكبير (٢/٢٢٧).

(٢) البيت من الطويل، وهو لرجل من الأنصار فى ما ينصرف وما لا ينصرف (ص٦٠)، وبلا نسبة فى الكتاب (٣/٢٥٤)، لسان العرب (٣/٤٣٩).

مضمومة ولام ساكنة وفاء مكسورة ومثناة تحتية مبنى للمجهول بمعنى وجد، ونصوص التوراة والإنجيل كثيرة، وسيأتى طرف منها، واعلم أن التبابعة أربعة، وقد اختلفوا فى أيهم آمن به، صلى الله تعالى عليه وسلم، هل هو الأكبر أو غيره كما قاله السهيلى، وليس هذا محل تفصيله وتقدم بيانه إجمالاً.

وقوله: (**مما قد جمعه العلماء**) فى تآليفهم بيان لما ألفى فيهما من صفته صلى الله تعالى عليه وسلم، وخبره، (**وبينوه**) أى أظهروه ووضحوه للناس، (**ونقله عنهما ثقات من أسلم منهم**) أى من أهل الكتاب (**مثل**) عالمهم وحبرهم عبد الله (**ابن سلام**) بتخفيف اللام، وهو من اليهود وتقدم الكلام عليه وعلى إسلامه، (**وبنى سعية**) بنى جمع ابن، وسعية بسين مفتوحة وعين مهملتين ساكنة ومثناه تحتية، وقيل: صوابه النون بدل المثناة التحتية، بل قيل: النون أكثر وأشهر، وهم ثعلبة وأسيد بالتصغير والتكبير وفتح الهمزة وزيد، وقيل: إنهم سبعة لكن الذى فى سيرة ابن سيد الناس عن ابن إسحاق، أن ثعلبة بن سعية وأسيد بن سعية وأسد بن عبيد، وهم نفر من هذل بنو عم قريظة والنضير، أسلموا فى الليلة التى نزلت فيها قريظة على حكم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم.

قال البرهان: وهذا هو الذى أعرفه وأنهما اثنان لا جماعة، فيحتمل أن القاضى رأى معهم أسد بن عبيد فظنه أخاهم، ويحتمل أنه وقف على أنهم ثلاثة، انتهى.

وسبب إسلامهم أنه قدم عليهم رجل من أهل الشام يقال له: ابن الهيبان أقام عندهم، وكان عالمًا يتبركون به ويستسقون فيسقون، فلما حضرته الوفاة قال: يا معشر يهود إنما أقدمنى هذه البلدة خروج نبى قد أظل زمانه وهذه البلدة مهاجره، وقد كنت أرجو أن أدركه فأتبعه، فلما بعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وهاجر وحاصر بنى قريظة قال لهم بنو سعية وهم أحداث: والله إنه هو الذى عهد إليكم فيه ابن الهيبان، فقالوا: ليس به. قالوا: بل هو هو بصفته فنزلوا وأسلموا وأحرزوا أهلهم وأموالهم ودماءهم، كما فى الاكتفاء ودلائل البيهقى.

(**وابن يامين**) بن عمير بن عمرو بن كعب بن جحاش من بنى النضير، وقيل: إنه بنيامين، ويقال: بليامين باللام، وهو أحد الحبرين اللذين قدما من اليمن مع تبع، واسم الآخر سخيت كما مر، وكأنه تصغير سخت كما قاله التلمسانى، وقال الشارح الجديد لم أطلع عليه.

(**ومخيريق**) بضم الميم وفتح الخاء المعجمة والياء الساكنة وكسر الراء المهملة والياء الساكنة وقاف بصيغة المصغر، وهو كما مر كان عالمًا حبرا من أحبار اليهود كثير المال والخيل، وكان يعرف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، بصفته إلا أنه غلبه إلف

دينه، فلما كان أحد يوم السبت قال: يا معشر يهود، إنكم لتعلمون أن نصر محمد لحق عليكم، فقالوا: اليوم يوم السبت فقال: إنكم لا سبت لكم، ثم أخذ سلاحه وخرج حتى أتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وأصحابه بأحد، وعهد إلى قومه: إن قتلت هذا اليوم فأموالى لمحمد يصنع بها ما رآه، ثم قاتل حتى قتل، فجعل ماله صدقة بالمدينة، وكان صلى الله تعالى عليه وسلم، يقول: مخيريق خير يهود، ويهود كما مر اسم هذه القبيلة ولاشك أنه منها ومن خيرها فلا يقال: كيف أضافه لهم بعد إسلامه والأمر فيه سهل.

(وكعب) بن ماتع، وهو كعب الأحبار كما تقدم، التابعى المشهور أدرك زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم، وأسلم فى خلافة أبى بكر، رضى الله تعالى عنه، وقيل: فى خلافة عمر، رضى الله تعالى عنه، وتوفى فى خلافة عثمان، رضى الله تعالى عنه، سنة ثنتين وثلاثين، ودفن بحمص على ما مر.

وروى عنه آثار كثيرة فى صفاته، صلى الله تعالى عليه وسلم، فى التوراة كما فى الوفاء وكتاب الشرف لأبى سعيد وفى خير البشر لابن ظفر، وسأله عمر، رضى الله تعالى عنه، عن صفته صلى الله تعالى عليه وسلم، فى التوراة، فقال: إن فيها سيد الناس والصفوة من ولد آدم وخاتم النبيين يخرج من جبال فاران ومنبت القرط من الوادى المقدس، فيظهر التوحيد والحق، ثم ينتقل إلى طيبة فتكون حروبه وأيامه بها، ثم يقبض ويدفن بها إلى غير ذلك مما لا يحصى كثرة.

(وأشباههم) من علمائهم الذين كانوا يعرفون أمره، صلى الله تعالى عليه وسلم، وأخباره من كتبهم **(ممن أسلم)** وآمن برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، ورآه كمخيريق أو لم يره ككعب **(من علماء يهود وبحيرا)** عطفه على علماء اليهود؛ لأنه ليس منهم فإنه كان نصرانيًا، وبحيرا بفتح الموحدة وكسر الحاء المهملة ومثناة تحتية وراء مهملة وألف مقصورة على المشهور إلا أن البرهان قال: إن راءه ممدودة بخط العلامة ابن المرحل، فلعله وقف على لغة فيه، وقصته صحيحة مشهورة فى السير، وهو راهب كان منقطعًا للعبادة بصومعة له عند محل يقال له: بصرى فى طريق الشام، وكانت قافلة قريش تمر عليه فلا يلتفت لأحد منها، فلما ذهب أبو طالب للشام، ومعه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وهو صغير ابن تسع سنين أو اثنتى عشرة سنة، نزل لهم وقال: يا معشر قريش إنى صنعت لكم طعامًا، فذهبوا معه وتركوه فى رحالهم لصغر سنه، فقال لهم هل بقى أحد؟ قالوا: لا إلا ولد صغير، فدعاه حتى أتى فسألوه عن سبب هذا و لم يكن دأبه، فقال: إنى رأيت غمامة تظله، ولما نزل عند الشجرة مالت لجانبه،

وإن مثله لا يكون إلا لنبى وإنا لنجده فى كتابنا، وهذه صفته ونظر لخاتم النبوة فيه فقال لأبى طالب: احترس عليه من اليهود، وأقسم عليه أن يرده، فقيل: إنه رده وقيل: أسرع فى سفره وعاد به، والقصة مفصلة فى السير، وبحيرا هذا من أول من آمن به وعد من الصحابة إن قلنا: إن من اجتمع به مؤمنًا مطلقًا يعد من الصحابة.

(ونسطور الحبشة) احترز به عن نسطور الشام وغيره، ونسطور معرب ويقرأ بالسين والصاد كما فى بعض الشروح، ونسطور الشام قصته مذكورة فى السير وهى قريبة من قصة بحيرا، وفى بعض النسخ نسطور بدون إضافة للحبشة، وقد قال الشراح: إن نسطور الحبشة غير معروف، ولعله من علماء أهل الكتاب الذين كانوا عند النجاشى.

(وصاحب بصرى) بضم الباء كحبلى بلدة بالشام، وهى بين المدينة والشام، وقيل: إنها حوران وهذا هو المعروف، وفى نسخة: راهب بصرى، وصاحبها ملكها الذى أرسل إليه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، دحية بكتابه، وهو الحارث بن أبى شمر الغسانى كما قاله ابن حجر، وقال: إنه مات عام الفتح ولم يذكر قصته وإسلامه وما أخبر به عن أمره صلى الله تعالى عليه وسلم.

(وأسقف الشام) وفى نسخة أساقفة الشام، ويعنى بهم صاحب إيليا وهرقل وابن الناطور وغيرهم، وأسقف بضم الهمزة وسكون السين المهملة وضم القاف وتشديد الفاء، ولا نظير له إلا الأسرب.

وحكى ابن سيدة ثالثًا، وهو الأسلف للصالح، وقال العينى فى شرح البخارى: ولا يرد عليه الأترج لأنه جمع، والكلام فى المفرد وفيه نظر لا يخفى.

وقال عبد الغافر الفارسى فى كتاب منبع الرغائب والغرائب فى الحديث فى كتابه، صلى الله تعالى عليه وسلم، لأهل نجران: لا يمنع أسقف من سقيفاه وجمعه أساقفة، والسقيفى مصدر كالحليفى ومعناه لا يمنع أسقف من تسقفه ولا راهب من ترهبه، والمسقف الطويل مع انحناء وكذا الأسقف، ويقال: هو بين السقف، وفى خطبة الحجاج المعروفة إياكم وهؤلاء السقفاء.

قال القتيبى: أكثرت السؤال عنه، فلم يعرفه أحد، وقال بعض أهل اللغة: إنما هو الشفعاء أى الذين يشفعون عند السلطان فى المريب، انتهى.

وفى القاموس: وقول الحجاج إياكم وهذه السقفاء تصحيف صوابه الشفعاء، كانوا يجتمعون عند السلطان فيشفعون فى المريب، انتهى.

وليس كما قال، فإن الزمخشرى أثبته فى الفائق والأسقف عالم النصارى ورئيسهم.

(وضَغَاطر) بضاد وغين معجمتين مفتوحتين بعدهما ألف وطاء وراء مهملتان،

ويقال: ضغاطن بنون وبفاطر بموحدة تحتية مفتوحة وفاء وهو أسقف من كبار الروم أسلم على يد دحية، رضى الله تعالى عنه، لما أرسله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، إلى هرقل وغير لباسه، وأظهر إسلامه فقلتوه كما ذكره الذهبى، وكان ذلك فى سنة ست من الهجرة، وهو الذى أبهمه البخارى فى أوله فى قصة قيصر حيث قال: كتب هرقل إلى صاحب له برومية كان نظيره فى العلم، قال دحية: لما خرج عظماء الروم من عند هرقل أدخلنى عليه وأرسل إلى أسقف كان صاحب أمرهم، فسأله عن أمر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، فقال له: هذا الذى كنا ننتظره وبشرنا به عيسى، عليه الصلاة والسلام، أما أنا فمصدقه ومتبعه، فقال قيصر له: إن فعلت ذهب ملكى، فقال لى الأسقف: خذ هذا الكتاب واذهب به إلى صاحبك واقرأ عليه السلام، وأخبره أنى أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وأنى قد آمنت به وصدقته.

وروى ابن إسحاق أن هرقل أرسل دحية إلى ضغاطر الرومى، وقال: إنه فى الروم أنفذ قولا منى فأظهر إسلامه وألقى ثيابه ولبس ثيابًا بيضًا، وخرج ودعا الروم إلى الإسلام وشهد شهادة الحق فقتلوه، فلما رجع دحية إلى هرقل قال له: أما قلت لك إنا نخافهم على أنفسنا، فضغاطر كان عندهم أعظم منى وحينئذ فضغاطر تابعى مخضرم.

وقيل: إنه المراد بأسقف الشام السابق لكونه ساكنًا بها، وهو عندهم رئيس دينهم وعالمهم المتعبد المتخشع، وهو فوق القسيس ودون المطران، وكان عالمًا بصفة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، فى كتبهم، وقيل: إنه غيره، ودحية، رضى الله تعالى عنه، وفد على هرقل مرتين.

(والجارود) بن عمرو بن العلاء أو ابن العلاء، ويكنى أبا غياث أو أبا عتاب واسمه بشر، وكان سيد عبد القيس على دين النصرانية، وقد وفد على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، سنة تسع فعرض عليه الإسلام ورغبه فيه، فأسلم هو وأصحابه وحسن إسلامه، وكان متصلبًا فى دينه وأدرك الردة، ولما ارتد قومه دعاهم إلى الحق، وقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، وكفر من لم يشهد، وله أشعار رويت فى السير كقوله:

شهدت بأن الله حق وسامحت ... بنات فؤادى بالشهادة والنهض

فأبلغ رسول الله عنى رسالة ... بأنى حنيف حيث كنت من الأرض

وسكن بالبصرة وقيل: بفارس، وقيل: بنهاوند سنة إحدى وعشرين، وسمى الجارود؛ لأنه غار على بكر بن وائل فجردهم كما قال العبدى[1]:

---

(١) البيت من الطويل، وهو للجارود فى كتاب العين (٦/٧٦)، وبلا نسبة فى لسان العرب (٣/١١٦)، تهذيب اللغة (١٠/٦٣٩)، جمهرة اللغة (ص٤٤٦)، الاشتقاق (٣٢٧).

ودسناهم بالخيل من كل جانب كما جرد الجارود بكر بن وائل

وقيل: لأنه فر بإبله وبها داء إلى أخواله بنى شيبان، ففشا الداء فى إبلهم حتى أهلكها فهو فاعول من الجرد بالجيم وهو الاستئصال.

(وسلمان) الفارسى وقصة إسلامه وملاقاته للرهبان وتبشيرهم له ببعث النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، مشهورة تقدم بعض منها.

(وتميم) الدارى ينسب للدار، وهم بطن باليمن من لخم هم ولد هانئ بن حبيب بن نمارة بن لخم بن عبد الحارث بن مرة بن أدد، منهم تميم بن أوس بن خارجة بن سواد ويقال: سواد بن خذيمة بن دراع بن عدى بن الدار، ويكنى بأبى رقية وأسلم تميم سنة تسع، وسكن المدينة، ثم انتقل إلى الشام بعد قتل عثمان، وكان من أهل الكتاب عالمًا بكتبهم فقرأ فيها بعثة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، والتبشير به، فقدم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وآمن به وأقطعه أراضى بالقدس، وقصته مشهورة أفردها ابن حجر وكذا السيوطى بالتأليف.

(والنجاشى) بفتح النون وكسرها وتشديد الياء وتخفيفها، واسمه أصحمة وقيل غير ذلك، كسليم بالتصغير، وهو ملك الحبشة توفى فى السنة التاسعة من الهجرة فى شهر رجب، وصلى عليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، صلاة الغائب، وهاجر إليه المسلمون الهجرة الأولى، وكان من قصة إسلامه المشهورة أنه قال للقسيسين: أشهد أنه رسول الله، وأنه الذى بشر به عيسى، ولولا ما أنا فيه من الملك أتيته وكنت أحمل نعليه وكان من أعلم أهل عصره بالإنجيل يقرأ صفة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، ويبكى حتى يبل لحيته، وقد تقدم الكلام فى ترجمته.

(ونصارى الحبشة) هم قوم منهم عرفوا صفته صلى الله تعالى عليه وسلم، فى الإنجيل وأخبروا بها.

(وأساقفة نجران) وفى نسخة: أساقف بدون هاء جمع أسقف، وقد تقدم الكلام عليه قريبًا أى علماؤهم ورؤساهم، ونجران بفتح النون وسكون الجيم وراء مهملة، وألف ونون، وهو موضع باليمن سمى بنجران بن زيدان بن سبأ، بينه وبين مكة سبع مراحل، وليس من الحجاز وبه يسمى أهله، وهم نصارى وفدوا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، أى ستون راكبًا من أشرافهم، وكان لهم علم بالكتاب، وأشرفهم أبو حارثة كان ملوك النصارى يجلونه لعلمه بالنصرانية فملكوه وموّلوه وبنوا له كنائس وأخدموه، فقدم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، ومعه أخوه كوز بضم الكاف وآخره زاء معجمة على بغلة له، فعثرت فقال له كوز: تعس الأبعد، فقال له: لم يا أخى؟ قال:

لم لم تؤمن بهذا النبى؟ وإنه الذى كنا ننتظره، فقال: بلى والله، فقال له: ما يمنعك؟ قال: ما أصنع! هؤلاء القوم شرفونا ومولونا وقد أبوا إلا خلافه، فلو فعلت نزعوا منا كل ما ترى، فأضمرها فى نفسه حتى أسلم وكان يحدث به، فلما دخلوا المسجد الشريف وقت العصر وعليهم الحبرات فى جمال لم ير مثله، فحانت صلاتهم فقاموا فى مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، يصلون إلى الشرق، فقال: دعوهم ثم أتوه صلى الله تعالى عليه وسلم، فكلمه منهم أبو حارثة والعاقب والآئهم ودينهم النصرانية والتثليث، فقال لهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: أسلموا، قالوا: أسلمنا، قال كذبتم يمنعكم الإسلام دعاؤكم لله ولدا وعبادة الصليب وأكل الخنزير، فأنزل الله تعالى فيهم أول سورة آل عمران، فلما أراد صلى الله تعالى عليه وسلم، ملاعنتهم تشاوروا، فقالوا: إنه ما لاعن نبى قومًا إلا استؤصلوا، ثم نزلوا على أمره فأسلم بعضهم، وقبل بعضهم الجزية، وأرسل معهم أبا عبيدة بن الجراح، رضى الله عنه، يقضى بينهم، والقصة مفصلة فى كتب التفسير والسير.

(وغيرهم ممن أسلم من علماء النصارى وقد اعترف بذلك) أى ببعثته صلى الله تعالى عليه وسلم وأنه بشر به فى الكتب القديمة **(هرقل)** ملك الروم، وقصته مذكورة فى أول البخارى، وهرقل بكسر الهاء وفتح الراء وسكون القاف، كما مر، وحكى إسكان الراء وكسر القاف، وكان يعرف أمره صلى الله تعالى عليه وسلم، فى الكتب الإلهية، ولكن أحب الملك فحكم بشقائه مالك الملك، وفى الاستيعاب: أنه آمن به صلى الله تعالى عليه وسلم، وفيه نظر؛ لأنه قاتل المسلمين بمؤتة ووعدهم أن يأتيهم فى العام القابل، فالأصح الأول وقد مات على النصرانية، وكان عالمًا بالكتاب وبأحوال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، كما أخبر به دحية.

(وصاحب رومة) بضم الراء وسكون الواو وميم مخففة مفتوحة يليها هاء فى أكثر النسخ، وفى بعضها رومية بياء مخففة عند أهل اللغة كأنطاكية وغيرها، وعدوا التشديد لحنا؛ لأنه ليس بنسبة عربية وبعضهم يشددها، واختلف فيه فقيل: هو ابن الناطور بطاء مهملة، وهو لفظ عجمى معناة حارس الكروم والعامة تقوله: ناطر بدون واو، وتجعله بمعنى الحارس مطلقًا وأعجمه بعضهم، وقيل: هو ضغاطر الذى تقدم، واعترض بأنه أسلم، فلا يناسبه قوله بعده إنه ممن حمله الشقاء على البقاء على كفره إلا أن يخص ذلك باليهود، وهو بعيد، وفى القاموس: رومة بلدة عند طبرية فيها رياستهم وعلمهم، وقيل غير ذلك، ولا وجه لما قيل إن الصواب صاحبه برومة كما ورد فى الحديث، ولا دليل لما ذكره على ما زعمه **(عالما النصارى)** مثنى عالم **(ورئيساهم)** مثنى رئيس وهو سيد القوم وحاكمهم، وهذا صريح فيما قلناه من أنه كان صاحب رومية أى حاكمها.

(ومقوقس صاحب مصر) أى ملكها، ومقوقس بزنة اسم فاعل فووعل علم رومى، قيل: معناه عندهم مطول البناء، وهو الذى أهدى إلى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، قدحًا من قوارير وجاريته مارية، ومنه اتخذت مصر و لم يسلم، وغلط من عده من الصحابة كيف وهو لم يلاق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، وما زال نصرانيًا على الأصح، واسمه جريج بن مينا كما قاله الدارقطنى، ولهم مقوقس آخر عد فى الصحابة قاله الذهبى، ولعله الأول وهو ملك القبط وصاحب الأسكندرية، وأرسل له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، كتابًا يدعوه فيه إلى الإسلام، فأجابه بما هو معلوم فى كتب الحديث والسير وقد يدخلون عليه الألف واللام.

(والشيخ صاحبه) أى صاحب المقوقس قال البرهان وغيره: وهذا الشيخ لا نعرفه إلا أن المسعودى ذكره، وذكر له قصة فى كتاب العجائب أحال عليها فى مروج الذهب، فإن وقفنا عليها ألحقناها بما هنا.

(وابن صوريا) بضم الصاد المهملة وواو ساكنة يليها راء مهملة مكسورة ومثناة تحتية وألف مقصورة، وقيل: إنها ممالة وهو عبد الله بن صوريا الأعور اليهودى، و لم يكن فى زمانه أعلم منه بالتوراة، وقال النقاش: إنه أسلم وقيل: أسلم ثم ارتد، و لم يذكر ابن إسحاق إسلامه، وعده فى الإصابة من الصحابة، وفى معالم التنزيل أنه الذى نزل فيه قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾ [البقرة: ٩٧]، وكلام المصنف، رحمه الله، مبنى على عدم إسلامه.

(وابن أخطب) بزنة أفعل من الخطبة، وهو حيى أبو أم المؤمنين صفية، رضى الله تعالى عنها.

(وأخوه) أبو ياسر اليهوديان اللذان قتلا كافرين صبرا فى أسراء بنى قريظة، وكانا يعلمان أمر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، وما فى التوراة من ذكره بصفته، ومع ذلك كانا أشد الناس عداوة له كما ذكرت ذلك صفية لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، بعدما أسلمت، وقالت: لما قدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، إلى المدينة غدا إليه أبى وعمى، ثم جاءا بالعشى، فسمعت عمى يقول لأبى: أهو هو؟ قال: نعم، الحديث.

(وكعب بن أسد) من بنى قريظة وهو صاحب عقدهم، وقال لهم لما حاصرهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: يا معشر يهود إنكم ترون ما نزل بكم من الأمر، فتعالوا نتابعه ونصدقه فوالله لقد تبين لكم أنه نبى مرسل، وأنه الذى تجدونه فى كتابكم، فتأمنوا على نسائكم وأموالكم وأهلكم، فقالوا: لا نفارق حكم التوراة ولا نستبدل به غيره....

إلى آخر القصة وما فيها من نقضهم العهد وقتلهم، ويقال: إن اسم كعب كتد بفتحتين وكاف ومثناة فوقية ودال مهملة.

(والزبير بن باطيا) الزبير هنا بفتح الزاء المعجمة، وهو من يهود بنى قريظة أيضًا، قتل كافرًا فى وقعة بنى قريظة، وهو جد عبد الرحمن بن الزبير بضم الزاء وقيل: إنه بفتحها كاسم جده، قيل: والصحيح أنه بالضم كما فى تاريخ البخارى، وقال ابن مرزوق: الزبير بفتح الزاء فى اليهود، وفى غيرهم بالضم والزبير هذا قتله ثابت بن قيس بن شماس يوم بنى قريظة، وكان من أعلم اليهود روى عنه ابنه أنه كان يقول: إنى وجدت سفرًا كان أبى يختمه فيه ذكر أحمد نبى يخرج بأرض القرظ صفته كذا وكذا، فتحدث به الزبير بعد أبيه، والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم، لم يبعث، فما هو إلا أن سمع بأن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، خرج بمكة، فعمد إلى السفر فمحاه وكتم شأنه صلى الله تعالى عليه وسلم، وصفته، وقال: ليس به وباطيا بموحدة وألف تليها طاء مهملة ومثناة تحتية وألف مقصورة، وفى بعض النسخ باطا بدون ياء وكتب عليها صح، وقال التلمسانى: إنها رواية فيه.

(وغيرهم من علماء اليهود) الذين عرفوا نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم، وذكروه بصفته نقلاً عن كتبهم وأحبارهم، ولهم ذكر فى مفصلات السير **(ممن حمله الحسد)** له صلى الله تعالى عليه وسلم، كابن سلول، والحسد للعرب إذ كان هذا الرسول منهم دون بنى إسرائيل **(والنفاسة)** بفتح النون بمعنى المنافسة، وفسرت بالحسد وهى مغايرة له؛ لأنها المنازعة فى الأنفسية بأن يدعى أنه أنفس وأحق بما هو فيه، وأنه لا يستأهله ولا يستحقه، وحمله بمعنى بعثه ودعاه لما ذكر حتى كأنه حمله حتى أوصله ثم صار حقيقة عرفية فيما ذكر **(على البقاء على الشقاء)** أى إصراره على كفره أو ارتداده عنادًا والشقاء ضد السعادة وبين الشقاء والبقاء تجنيس.

(والأخبار) الواردة **(فى هذا)** الباب **(كثيرة لا تنحصر)** إشارة إلى أن ما ذكره قليل بالنسبة لما تركه منها، إذ هى لا يمكن حصرها أى الإحاطة بها.

(وقد قرع) بالبناء للفاعل والتخفيف والتشديد، والقرع الضرب والصدم بما يسمع له صوت، فإذا شدد كان مبالغة فيه، ويكون بمعنى التوبيخ والتعيير فإذا خفف فهو استعارة للمبالغة فى الجهر، حتى كأنه يضرب أسماعهم، فإذا شدد فالمراد به توبيخهم بما ذكر.

(أسماع اليهود والنصارى) خصهم؛ لأنهم أهل الكتاب، وقدم اليهود؛ لأنهم أشد عداوة له صلى الله تعالى عليه وسلم، وأكثر إنكارًا وعنادًا، وفى بعض النسخ يهود والنصارى، فعرف النصارى بأل دون يهود؛ لأنه علم كما مر.

وقيل: لأن اليهود أشد عداوة للمؤمنين وفيه نظر **(بما ذكر أنه فى كتبهم)** متعلق بقرع، وفاعله النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، **(من صفته صلى الله تعالى عليه وسلم، وصفة أصحابه)** وفى نسخة وصفة أمته، وكلاهما صحيح متقارب المعنى، فإنه وقع فى الكتب الإلهية ذكرهما خصوصًا وعمومًا، ففى التوراة أنهم خير أمة هم الآخرون السابقون يوم القيامة، أناجيلهم صدورهم يؤمنون بالكتاب الأول والآخر، ويقاتلون أهل الضلالة إلى غير ذلك مما استوفاه ابن ظفر فى كتابه خبر البشر بخير البشر.

(واحتج) صلى الله تعالى عليه وسلم، أى أقام الحجة **(عليهم بما انطوت عليه صفحهم)** أى بما حوته واشتملت عليه، وفيه إشارة إلى إخفاء ما فيها وكتمه لأن الصحيفة إذا طويت لم ينظر لما فيها وصحف بضمتين وتسكن تخفيفًا جمع صحيفة وهى الكتاب، والأكثر جمعه على صحائف؛ لأن فعيلة لا تجمع على فعل إلا نادرًا **(من ذلك)** أى صفته صلى الله تعالى عليه وسلم، وصفة أمته.

(وذمهم بتحريف ذلك) المذكور فى كتبهم بتغيير بعض ألفاظه وتفسيره بغير المراد منه كقوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء: ٤٦] الآية، فبدلوا صفته، صلى الله تعالى عليه وسلم، حتى أضلوا جهالهم وقالوا: ليس هو الموعود به فى كتابنا **(وكتمانه)** أى إخفاء صفته صلى الله تعالى عليه وسلم، وصفة أمته كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٤٢].

(وليهم ألسنتهم ببيان أمره) أى صرفه لغيره حسدًا وبغيا بأن يتركوا بيانه ويعدلوا عنه لغيره، وأصل اللى فتل الحبل ونحوه، فاستعير لصرفها عن الصدق إلى الكذب.

قال الراغب: لوى لسانه بكذا كناية عن الكذب، قال الله تعالى: ﴿يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧٨]، انتهى.

(ودعوتهم إلى المباهلة على الكاذب) أى قرع أسماعهم بدعوتهم إليها وطلبها منهم كما وقع له صلى الله تعالى عليه وسلم، مع نصارى نجران إذ دعاهم للمباهلة، فأبوا وبذلوا الجزية كما مر.

والمباهلة: الملاعنة من البهل، وهى اللعنة بأن يقول كل منهما: لعنة الله على الظالم والكاذب منا، وقد جرب أن المباهل لا تمضى عليه سنة، وقيل: معناها التضرع والاجتهاد فى الدعاء ويتعدى بعلى، **(فما)** أحد **(منهم)** أى اليهود والنصارى **(إلا من نفر)** أى أعرض وهرب **(عن معارضته)** فيما قرع به أسماعهم وذمهم به، فترك المعارضة لعدم قدرته عليها **(وأبدى)** فاعله ضمير من أفرده نظرًا للفظه وجمعه فى قوله: **(ما ألزمهم)** نظرًا لمعنى من، وفاعل ألزم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم.

وقوله: **(من كتبهم)** بيان لما، أى مما ألزمهم به من نصوص كتبهم كقصة الرجم المشهورة **(إظهاره)** مفعول ألزم أى ألزمهم إظهاره إذا كتموه.

(ولو وجدوا خلاف قوله) فى كتبهم **(لكان إظهاره)** اسم كان، وقوله: **(أهون عليهم)** أى أسهل، خبر كان **(من بذل النفوس)** بموحدة وذال معجمة أى إعطائها له بالقتل **(والأموال)** التى غنمها وأخذها منهم قهرًا.

(وتخريب الديار) كما وقع ليهود خيبر وبنى النضير، **(ونبذ القتال)** أى تركه وهو أشفى لغليلهم، يقال: نبذ النواة إذا طرحها.

(وقد قال لهم) جملة حالية أى لليهود لما قرع أسماعهم بقوله تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٦٠]، وقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾ [الأنعام: ١٤٦]، فقالوا: لسنا بأول من حرمت عليه، فقد حرمه على إبراهيم ومن بعده حتى انتهى الأمر إلينا، فقال لهم: ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [آل عمران: ٩٣]؛ ليظهر أنها لم تحرم إلا عليكم لظلمكم وبغيكم فأمر بمحاجتهم بما فيها توبيخًا لهم، فلما قال لهم ذلك بهتوا و لم يأتوا ببنت شفة؛ لانقطاع حجتهم وظهور كذبهم كما فى قصة الرجم، وكانوا ادعوا أن لحوم الإبل حرمت على يعقوب وبنيه فى التوراة، فنحن نحرمها، فقال لهم صلى الله تعالى عليه وسلم: إنها لم تحرم عليه، وإنما امتنع يعقوب من أكلها؛ لأنه كان به عرق النسا وهى تضره.

(إلى ما أنذر به الكهان) جمع كاهن، وهو الذى كان يخبر بالأمور قبل وقوعها ويدعى الاطلاع عليها، والإنذار الإعلام بما فيه موعظة وتخويف، وإلى غاية لما تقدم أى انتهى ما ترادف من الأخبار إلى إنذارهم به بقرب زمانه، أو إلى بمعنى مع وكانت الكهان تتلقى ذلك من الشياطين.

(مثل شافع بن كليب) شافع بشين معجمة كاسم الفاعل من الشفاعة، وكليب مصغر كلب، وهو كاهن من كهان العرب أخبر تبعًا بخبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، وبمهاجرته إلى المدينة كما تقدم بيانه، وقال الحافظ ومن تبعه: لا أعرفه.

(وشق وسطيح) وهما كاهنان من كهان العرب، وشق بكسر الشين المعجمة، هو شق بن صعب بن يشكر وجده الأعلى ربيعة بن أنمار، وكان بيد واحدة ورجل واحدة وعين واحدة، وكانت العرب تأتيه فيخبرهم بما سيأتى، وسطيح بفتح السين وكسر الطاء المهملتين ومثناة تحتية ساكنة وحاء مهملة وهو ابن ربيعة بن مسعود بن مازن بن غسان، قيل: إن جسده كان لا عظم فيه غير جمجمة رأسه، فكان يدرج كالثوب، فإذا

غضب انتفخ، وقيل: إنه عاش ثلاثمائة سنة وقصتهما وذكرهما للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم، لما أرسل كسرى عبد المسيح يسألهما عن رؤيا هالته مذكورة فى السير مشهورة، ولهما قصص كثيرة فى التواريخ وأدركا زمانه صلى الله تعالى عليه وسلم.

(وسواد بن قارب) بلفظ السواد ضد البياض، وقارب بزنة اسم فاعل من القرب، وهو سواد الدوسى الصحابى، وكان كاهنًا من كهان العرب له رئى من الجن يأتيه ويخبره بالمغيبات، فبينما هو ذات ليلة إذ أتاه فضربه برجله وقال له: قم يا سواد بن قارب، فاسمع مقالتى إن كنت تعقل: قد بعث رسول من لؤى بن غالب يدعو إلى الله تعالى، عز وجل، وإلى عبادته، ثم أتاه ليالى يقول له مثل مقالته، فركب ناقته وأتى المدينة واجتمع مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وآمن به وأخبره بخبر رؤيته وما قال له من الأشعار، فسر بذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وتفصيله فى السير.

(وخنافر) بضم الخاء المعجمة ونون وألف بعدها فاء مكسورة وراء مهملة، وهو كاهن من حمير له رئى من الجن أخبره ببعثة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، فأسلم على يد معاذ، رضى الله تعالى عنه، كما يأتى، ولم ير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، فهو تابعى، وهو ابن التوأم الحميرى، وله جنية تسمى شصار أو شاصر، وكان عاتيا ذا مال وسعة، فأسلم وحسن أسلامه.

وفى أمالى القالى عن الكلبى قال: كان خنافر بن التوأم الحميرى كاهنًا قد أوتى بسطة فى الجسم وسعة المال وكان عاتيا، فلما وفدت وفود اليمن على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وظهر الإسلام أغار على إبل لمراد، فلحق بأهله وبها الشجر، فخالف بها جودان، وهو سيد منيع ونزل عنده بواد مخصب، وكان له رئى فى الجاهلية لا يكاد يغيب عنه، فلما فشى الإسلام فقده مدة حتى ساءه ذلك، فبينا هو بذلك الوادى هوى عليه هوى العقاب وناداه خنافر فقال: شصار قال: أقل قال: قل أسمع فقال: ع تغنم لكل مدة نهاية وكل ذى أمد إلى غاية، قلت: أجل، قال: كل ذى دولة إلى أجل ثم يتاح له حول انتسجت النحل ورجعت إلى حقائقها الملل إنك بخير موصول والنصح لك مبذول إنى لست بأرض الشام نفرا من آل العرام حكاما يزبرون ذا رونق من الكلام ليس بالشعر المؤلف ولا السجع المتكلف، فأصغيت فزجرت فعاودت فطلعت، فقلت: بم تهيمون وإلى من تقرعون؟ قالوا: خطابا كبار جاء من عند الملك الجبار، فاسمع يا شصار أصدق الأخبار واسلك أوضح الآثار تنج من أوار النار، قلت: وما هذا الكلام؟ قال: فرقان بين الكفر والإيمان رسول من مضر من أهل المدر انبعث فظهر فجاء بقول قد بهر وأوضح نهجا قد دثر ومواعظ لمن اعتبر ومعاذا لمن ازدجر ألف بالآى الكبر قلت: ومن

هذا المبعوث من مضر؟ قال: أحمد خير البشر فإن آمنت أعطيت البشر وإن خالفت أصليت سقر، فآمنت يا خنافر وأقبلت إليك أبادر، فجانب كل نجس كافر وشائع كل مؤمن طاهر وإلا فهو الفراق عن لا تلاق، قلت: من أين أبغى هذا الدين؟ قال: من ذات الآخرين والنفر الميامين أهل الماء والطين، قلت: أوضح، قال: الحق بيثرب ذات النخل والحرة ذات النعل، فهناك أهل الطول والفضل والمواساة والبذل، ثم أملس عنى فنمت مذعورًا لداعى الصباح، فلما فرق لى النور امتطيت راحلتى وأذنت عبدى واحتملت بأهلى حتى وردت الجوف، فرددت الإبل على أربابها بحولها وأسقائها، وأقبلت أريد صنعاء فأصبت بها معاذ بن جبل أمير رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فبايعته على الإسلام، وعلمنى سورًا من القرآن، فمن الله تعالى على بالهدى بعد الضلالة والعلم بعد الجهالة، ثم ذكر له شعرًا وشرح ما فى الخبر من اللغة، فإن أردته فارجع إليه وفيما ذكرنا كفاية.

(وأفعى نجران) هو ملك من ملوك نجران كان كاهنًا، وهو الأفعى ابن الأفعى الجرهمى، فعن عاصم بن عمر بن قتادة قال: قدم شيخ من صداء على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، ومعه أربعون رجلاً يحفون به، فقال: يا رسول الله حزفت ودردرت وشمطت، ثم رجع ذلك فاسود شعرى وثار عقلى، ونبتت أسنانى، وهو لا ولدى لصلبى وخلفهم من نسلهم أضعافهم، وقد سمعت أفعى نجران يذكر فى غابر الزمان أنه سيبعث نبى من صفته أن له خاتمًا يسطع نوره بينكتفيه يبعث بمكة ويهاجر إلى طيبة، فبالذى فضلك بالرسالة وإيضاح الدلالة ألا كشفت لى عن خاتم نبوتك، فتبسم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وقال: حفظت على طول العهد وإن فيك لمعتبرا، ثم كشف له عن خاتم النبوة فأكب عليه يقبله وأفعى نجران هذا هو الذى حكم بين أولاد نزار لما تشاحوا فى ميراث أبيهم، وهم مضر وربيعة وأنمار وإياد، وقال: يا مضر أنت أبو النبى التهامى، فإنا نجد فى الآثار أنه من ولد نزار بن معد بن عدنان، وإنى لأرى للنبوة بين عينيك نورًا وأجلسه على سرير ملكه وجلس تحته، وهذا ما أشار إليه المصنف، رحمه الله تعالى، والشراح كلهم لم يقفوا عليه.

(وجذل بن جذل الكندى) قال الحافظ الحلبى: لا أعرفه وتبعه غيره من الشراح، وهو كاهن من كهان العرب أخبر بمبعثه صلى الله تعالى عليه وسلم، قديمًا، ولم نر تفصيل قصته إلا أن التلمسانى قال: جذل بكسر الجيم وسكون الذال المعجمة ولام، وقيل: إنه بجيم ودال مهملة مفتوحتين من كندة، وهى قبيلة معروفة لما ولدته أمه التمست ذكره، فلم تجده من شدة البرد فظنته جارية فطرحته، وزوجها فى سكرات الموت فاشتغلت بموته، ثم ذكرت بعد ثلاث رؤيا بشرت فيها بولد ذكر تسميه باسم أبيه، فقامت وهى

تظن أنه مات، فوجدت كلبة ترضعه فحملته وسمته باسم أبيه.

(وابن خلصة الدوسى) بخاء معجمة ولام وصاد مهملة مفتوحات، هو كاهن من كهان العرب بشر بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم، ولم يذكروا له ترجمة، ودوس بفتح الدال المهملة قبيلة معروفة، وقال فى الخصائص الكبرى نقلاً عن الهواتف عن مرداس بن قيس الدوسى قال: ذكرت الكهانة عند النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، فقلت: يا رسول الله: كانت عندنا جارية يقال لها: خلصة لم نعلم عليها إلا خيرًا فخانتنا، فقالت: يا معشر دوس هل علمتم لى إلا خيرًا؟ قلنا: وما ذاك؟ قالت: إنى لفى غنمى إذا غشيتنى ظلمة فوجدت كحس الرجل مع المرأة فحبلت، فلما دنت الولادة وضعت غلاما أعصف له أذنان كأذنى الكلب، فمكث فينا وكان لا يقول شيئًا، فلما كان مبعثك صار يكذب، فقلنا له: ما هذا قال: ما أدرى كذبنى الذى كان يصدقنى اسجنونى فى بيتى ثلاثًا، ثم ائتونى ففعلنا وفتحنا عنه فإذا هو كأنه جمرة نار، فقال: يا معشر دوس حرست السماء وخرج خير الأنبياء، فقلنا: من أين؟ قال: بمكة وأنا ميت فادفنونى برأس جبل فإنى سأضطرم نارًا، فإذا رأيتم ذلك فاقذفونى بثلاثة أحجار قولوا مع كل حجر: باسمك اللهم فإنى أهدى وأطفى، ففعلنا ذلك وأقمنا حتى قدم علينا الحاج، فأخبر بمبعثك يا رسول الله، انتهى.

ومنه تعلم أن الشراح لعدم وقوفهم على قصتها ظنوها كاهنًا ذكرًا، وإنما هى كاهنة فاعرفه فإن خلصة امرأة والكاهن ابنها.

(وسعدى بنت كريز) بضم الكاف العربية وبالراء المهملة وآخره زاء معجمة وفى النسخ هنا اختلاف، والصحيح ما ذكرناه وهى خالة عثمان بن عفان أخت أمه، كانت فى الجاهلية لها علم وكهانة، فأخبرت عثمان ببعثة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، وتزوجه بابنته رقية فصدقها، وكان ذلك سبب إسلامه فلما أسلم كانت تنشد:

هدى الله عثمانا بقولى إلى التى ... بها رشده والله يهدى إلى الحق

وفى بعض النسخ سعد ابن بنت كريز.

(وفاطمة بنت النعمان) قال التلمسانى: هى فاطمة بنت النعمان البخارية كان لها تابع من الجن، وكان إذا جاء اقتحم عليها، فلما بعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، أتاها وقعد على حائط الدار، فقالت له: لم لا تدخل؟ فقال: قد بعث نبى يحرم الزنا، فكان ذلك أول ما سمع بذكر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، بالمدينة، وكانت فى الجاهلية عالمة كاهنة، ونعمان بضم النون هو نعمان بن قراد وقيل: هو على بن نعمان بن قراد، وروى عن ابن عمر وغيره، فهو تابعى ونعمان اسم موضع واسم الدم أيضًا.

(ومن لا ينعد كثرة) وفى نسخة ينعد مطاوع يعد أى لا يعد لكثرته، لا لعدم اعتباره مضمومًا أو منتهيًا **(إلى ما ظهر على ألسنة الأصنام)** الظاهر أنه استعارة تمثيلية شبهها فى ظهور صوت شخص تكلم بكلام، وقيل: هذا لا يصح لأنه على مذهب الجبائى الذى يشترط الآلة المخصوصة للنطق، ونحن لا نشترط إلا الحياة فالصواب كلام الأصنام أو نطق الأصنام إلا لأن يراد باللسان الكلام، وليس بشىء لما علمت من أنه استعارة وهو تغيير فى وجوه الحسان.

وقد ذكر ابن إسحاق وغيره كثيرًا مما سمعه المشركون من أجواف أصنامهم يقول: إن أمرهم بطل بظهور الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم، ويأمرهم باتباعه، وأن الباطل بطل وقد جاء الحق.

(من نبوته) صلى الله تعالى عليه وسلم، **(وحلول وقت رسالته)**، ومن بيانية لما كصنم كان لمازن الطائى قرب له يومًا قربانًا، فسمعه يقول: يا مازن أقبل إلى أقبل، تسمع ما لا تجهل، هذا نبى مرسل، جاء بحق منزل، آمن به كى تعدل، عن حر نار تشعل، إلى آخر ما فى السير من أنه سمعه منه مرارًا فكسره ورحل إلى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، ونظائره كثيرة، وكانت الشياطين هى التى تسمعهم الكلام من غير أن يروهم.

(وسمع) مبنى للمفعول معطوف على ظهر **(من هواتف الجن)** وفى نسخة الجان، وهما بمعنى وقد فرق بينهما بأن الجان أبو الجن، والجن الجنس كله، والهواتف جمع هاتف من الهتف وهو الصوت العالى مطلقًا، ثم خص بصوت يسمع ممن لا يرى شخصه من صرخ، ولذا خص بالجن عند العرب، وكانت عند مبعث النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، كثر ذلك، وللخرائطى كتاب الهواتف جمع فيه ذلك، فكانت تلك الهواتف تخبر ببعض أحواله صلى الله تعالى عليه وسلم، وهذه آية عظيمة من آياته، وظهور بيناته كسماع ذياب بن الحارث هاتفًا يقول: يا ذياب يا ذياب، اسمع العجاب، بعث محمد بالكتاب، يدعو فلا يجاب، وسماع ابن قرة الغطفانى هاتفًا يقول: جاء حق فسطع، وذم باطل فانقمع، وسماع قريش هاتفًا يخبر بنزوله صلى الله تعالى عليه وسلم، على أم معبد، إلى غير ذلك، فكل الكون ألسنة تنطق تخبر به وتدل على علو منزلته، ولكن الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء والصوفية يسمون الواردات الإلهية هاتفًا، كما مر.

(ومن ذبائح النصب) أى ما سمع منها إذ قربت للذبح، والذبائح جمع ذبيحة وهى ما يذبح من بقر ونحوه، والنصب بضمتين جمع نصب بفتح فسكون وهو ما ينصب من الحجارة والأصنام للعبادة، وهو مثل ما سمع عمر، رضى الله تعالى عنه، من عجل قربه رجل ليذبحه قربانًا لصنم، فقال: يا آل ذريح، أمر نجيح، رجل فصيح، يقول: لا إله إلا

الله.... إلى آخر ما رووه.

(وأجواف الصور) أى ما سمع من الأصنام التى كانوا يصورونها، فهو جمع صورة بمعنى جثة مصورة وهى التمثال، والأجواف جمع جوف وهو داخل كل شيء.

(وما وجد من اسم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، مكتوبًا فى الحجارة والقبور) أى وعلى القبور **(بالخط القديم)** المتقادم عهد كتابته.

(والشهادة له بالرسالة) بذكر اسمه وأنه نبى مرسل من الله تعالى **(ما أكثره مشهور)** بين الناس وما الثانية بدل من الأولى أو خبر والأولى مبتدأ وهما موصولتان، وقد نقله ثقات المؤرخين فى قصص لا تحصى، ومكتوب روى مرفوعًا خبر مبتدأ محذوف ومنصوبًا مفعول ثان لوجد، والخبر مقدر أى ثابت، وقد تقدم أنه وجد بخط عبرانى على بعض الحجارة: محمد نقى مصلح أمين وأن فى تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا﴾ [الكهف: ٨٢]، عن ابن عباس أنه لوح من ذهب مكتوب فيه عجبًا لمن أيقن بالقدر كيف ينصب، وعجبا لمن أيقن بالنار كيف يضحك، وعجبًا لمن يرى الدنيا وتقلبها كيف يطمئن إليها، أنا الله لا إله إلا أنا محمد عبدى ورسولى، وتقدم شرح ذلك كله بما فيه الكفاية.

(وإسلام من أسلم بسبب ذلك) أى بسبب ما رآه من الكتابة القديمة، والمراد أنها بغير اللسان العربى وهو مما يدل على صدق ما كتب فاعرفه **(معلوم مذكور)** فى السير والتواريخ.

* * *

[فصل فيما ظهر من الآيات عند مولده ﷺ]

(فصل ومن ذلك) أى مما يدل على نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم ورسالته **(ما ظهر من الآيات)** أى العلامات أو الأدلة **(عند مولده)** أى ولادته صلى الله تعالى عليه وسلم، فهو مصدر ميمى، **(وما حكته أمه)** آمنة بنت وهب وهى أشهر من أن تذكر، **(ومن حضره)** ولادته **(من العجائب)** قيل: أخر هذا الفصل، وكان ينبغى تقديمه؛ لأنه أول أحواله لتقدم المعجزات بحسب الشرف، ويأباه أنه ذكر فيه ما يتعلق بوفاته صلى الله تعالى عليه وسلم، وهى متأخرة، فهو ناظر لذلك أو لأنه لا يختص بزمان وهو كالإجمال لما قدمه والفذلكة تؤخر.

والعجائب وما معه إشارة إلى ما رواه أبو نعيم عن ابن عباس من أن أمه صلى الله تعالى عليه وسلم، لما حملت به أتاها آت فى منامها بعد ستة أشهر وقال لها: آمنة إنك حملت بخير العالمين، فإذا ولدتيه فسميه محمدًا واكتمى شأنك، فلما أخذنى ما يأخذ

النساء لم يعلم بى أحد وإنى لوحيدة فى منزلى فى طرفه، فسمعت وجبة عظيمة وأمرًا عظيمًا هالنى، فرأيت كأن جناح طائر أبيض قد مسح على فؤادى، فذهب عنى الرعب وكل ما أجد، ثم التفت فإذا نور غالب ونسوة طوال حولى، فقلت: من أين علمن بى وفى رواية أنهن قلن: نحن آسية امراة فرعون ومريم ابنت عمران، وهؤلاء من الحور العين، فبينا أنا كذلك وإذا أنا بديباج أبيض بين السماء والأرض، وقائل يقول: خذاه عن أعين الناس، ورجال فى الهواء بأيديهم أباريق من فضة وقطعة من الطير مناقيرها من زمرد وأجنحتها من الياقوت، فكشف الله عن بصرى فرأيت مشارق الأرض ومغاربها، فرأيت علما بالمشرق وعلما بالمغرب، فوضعته صلى الله تعالى عليه وسلم، وكانت قريش مجدبة فأخصبت إلى غير ذلك مما ذكروه.

وقال ابن الجوزى فى تلقيح الكفر: اتفقوا على أنه ولد يوم الاثنين فى شهر ربيع الأول عام الفيل، واختلفوا فيما مضى منه على أربعة أقوال، فقيل: لثنتين خلتا منه، وقيل: لثمان، وقيل: لعشر، وقيل: لاثنتى عشرة خلت منه، ومات أبوه وهو ابن خمس وعشرين سنة ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، حمل، وقيل: ابن سبعة أشهر، وقيل: ابن ثمانية وعشرين شهرًا، والأول أصح.

(وكونه رافعًا رأسه عندما وضعته) أى رفعه نحو السماء كما ذكره البيهقى **(شاخصًا بصره إلى السماء)**، قال الراغب: شخص من بلده ذهب، وشخص سمعه وبصره، وأشخصه صاحبه، وقوله: ﴿شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ﴾ [الأنبياء: ٩٧]، أى أجفانهم لا تطرف انتهى.

وقوله إلى السماء تنازعه رافعًا وشاخصًا، وهذا إشارة إلى تعلقه صلى الله تعالى عليه وسلم، بالملأ الأعلى وتوجهه لذلك من أول أمره كما قال البوصيرى[(١)]:

رافعًا رأسه وفى ذلك الرفـ ... ـع إلى كل سؤدد إيماء
رافعًا طرفه إلى السماء ومرمى ... عين من شأنه العلو العلاء

وروى أنه خرج معه نور أضاء له المشرق والمغرب، وروى أنه ولد وأصابعه مقبوضة مشيرًا بالسبابة كالمسبح.

(وما رأته) أمه كما رواه أحمد والبيهقى **(من النور الذى خرج معه عند ولادته)**، وحديث النور الذى خرج معه أضاء له جميع الأرض رواه جماعة وصححه ابن حبان والحاكم.

وعن إسحاق بن عبد الله أن أمه، صلى الله تعالى عليه وسلم، قالت لما ولدته: خرج

(١) البيتان من الخفيف، وهما للبوصيرى فى ديوانه (ص١٠).

من فرجى نور أضاء له قصور الشام، وتقدم فى كلام المصنف عن أمه أنها قالت: فولدته نظيفًا ما به قذر، قال أبو شامة: كان أمر هذا النور اشتهر ذكره فى قريش وإليه أشار العباس كما مر بقوله:

وأنت لما ولدت أشرقت الأر ض وضاءت بنورك الأفق

إلى آخره وقال حسان، رضى الله تعالى عنه:

نورًا أضاء له على البرية كلها من يهد للنور المبارك يهتدى

قال ابن رجب، رحمه الله تعالى: وهو إشارة إلى نور هدايته الذى محى ظلمة الشرك كما قال الله تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: ١٥]، وقوله: وأضاء له قصور الشام خصه؛ لأنه مشرق أنوار النبوة، وهى دار ملكه.

(وما رأته إذ ذاك) أى وقت ولادته **(أم عثمان بن أبى العاص)** أبو عبد الله بن بشير الثقفى، وأمه اسمها فاطمة بنت عبد الله، وعثمان هذا من أكابر الصحابة وله فتوحات وتولى قضاء البصرة، وروى عنها ابنها أنها شهدت مولده صلى الله تعالى عليه وسلم، ورأت ما رأته **(من تدلى النجوم)** التدلى الدنو والقرب كما قاله الراغب، وهو فى الأصل استعارة من الدلو صار حقيقة عرفية فى القرب، **(وظهور النور)** الذى خرج معه كما مر، ويحتمل أنه نور النجوم لقربها **(عند ولادته حتى ما تنظر)** أى أم عثمان المذكورة بتاء المضارعة، ويجوز أن يقرأ بالنون للحاضرين أو الموجودين والأول أولى رواية ودراية **(إلا النور)** أى لا ترى شيئًا غير النور، وهو مبالغة فى قوته وانتشاره فى جميع النواحى، والظاهر أى تدلى النجوم على ظاهره، قال البوصيرى، رحمه الله تعالى[١]:

وتدلت زهر النجوم إليه فأضاءت بضوئها الأرجاء

وقيل معنى تدليها سقوطها ولا ينبغى من مثله.

(وقول الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف) الشفاء بشين معجمة مفتوحة وفاء مشددة ومد كما قاله الدلجى، والمعول عليه ما قاله البرهان الحلبى: إنه بكسر الشين والقصر، وهى كما قال الذهبى بنت عوف بن عبد الزهرية من المهاجرين والدة عبد الرحمن وبنت عم أبيه عوف بن الحارث.

وقال السهيلى: إن اسمها يمد أيضًا، وفى الاستيعاب أنها أخت عبد الرحمن بن عوف وحكاه عن الزبير، قال: وقد قيل: إنها أمه.

(لما سقط) صلى الله تعالى عليه وسلم، **(على يدى)** أى وضعته أمه فنزل على يديها

(١) البيت من الخفيف، وهو فى ديوان البوصيرى (ص١٠).

(واستهل) أى عطس لا صاح، وإن كان يقال: استهل الصبى إذا صاح بدليل قولها **(سمعت قائلا)** أى ملكًا **(يقول)** له صلى الله تعالى عليه وسلم، **(رحمك)** أو رحمك ربك أو يرحمك ربك تشميتا له بناء له على أن رحمك بفتح الكاف، وقال التلمسانى: إنه روى بكسرها والظاهر الأول وهو لم يفسره فالخطاب لأمه أو له صلى الله تعالى عليه وسلم، باعتبار النسمة، وتفسير استهل بعطس ذكره الدلجى، ويشهد له قول البوصيرى:

شمتته الأملاك إذ وضعته وشفتنا بقولها الشفاء[1]

إذ القول المذكور لا يقال إلا عند العطاس أى الذى هو التشميت بالشين المعجمة والمهملة، فلذا حمل الاستهلال على العطاس مع تصريحهم بأنه لم يجئ فى شىء من الأحاديث أنه صلى الله تعالى عليه وسلم، لما ولد عطس.

وفى الجامع الصغير استهلال الصبى العطاس، فاستهلال المولود له معنيان مجرد رفع الصوت والعطاس، فلذا حمل هنا على العطاس بقرينة الجواب الذى لا يقال إلا عند العطاس، وهذا الحديث رواه أبو نعيم فى الدلائل عن عبد الرحمن بن عوف، رضى الله تعالى عنه.

(وأضاء لى ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت إلى قصور الروم) ولا منافاة بين هذه الرواية وبين رواية قصور بصرى والروم؛ لأنها كانت إذ ذاك بيد الروم، وتتمة الحديث ثم أضجعته فلم أنشب أن غشيتنى ظلمة ورعب وقشعريرة، ثم غبت عنى فسمعت قائلاً يقول: أين ذهب به؟ قال: إلى المشرق، فلم يزل ذلك على بال منى حتى انبعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فكنت أول الناس إسلامًا.

وفى الخوارق أمور غريبة من تنكيس أسرة الملوك، وذهاب الحيوانات من المغرب للمشرق للتبشير به صلى الله تعالى عليه وسلم.

وروى كما تقدم فى كلامه أنه ولد مختونًا مسرورًا أى مقطوع السرة، كما تقدم الجزم به فى كلام المصنف، رحمه الله تعالى، بل قال الحاكم فى مستدركه: إنه تواترت به الأخبار، وقال الذهبى: لا أعلم صحته فضلاً عن تواتره، وأجاب بعضهم بأنه أراد بالتواتر الاشتهار فقد جاءت أحاديث كثيرة من ذلك.

قال الحافظ ابن كثير: فمن الحفاظ من صححها ومن ضعفها ومنهم من رآها من الحسان، وتقدم أن هذا الجواب بعيد، وقيل: إنه ختن يوم سابعه وتقدم ما عليه من الكلام.

(وما تعرفت به حليمة) بنت أبى ذؤيب السعدية مرضعته صلى الله تعالى عليه وسلم،

(١) البيت من الخفيف، وهو فى ديوان البوصيرى (ص١٠).

وخبرها مشهور، **(وزوجها)** الحارث بن عبد العزى **(ظئراه)** عطف بيان أو بدل من حليمة وزوجها، وهو تثنية ظئر وهو المرضعة فى الأصل وتطلق على الأب من الرضاعة كما هنا، والظئر مشترك معنوى؛ لأنه من ظأر إذا عطف فلا إشكال فى تثنيته فإنه ليس نحو عينين مع أنه مسموع أيضًا **(من بركته)** صلى الله تعالى عليه وسلم، لما أخذته من أمه.

(ودرور لبنها له) أى زيادة خروجه له صلى الله تعالى عليه وسلم، ولأخيه من الرضاعة بعد قلته **(ولبن شارفها)** أى ودرور لبن شارفها، والشارف الناقة المسنة والغالب أن لبنها لا يدر.

(وخصب غنمها) بكسر الخاء أى رعيها فى مكان مخصب فى سنة مجدبة، أو هو مجاز عن سمنها وكثرة لبنها، وكل ذلك ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم، لكونه عندها، وأصل معنى الخصب بكسر الخاء المعجمة المكان الكثير العشب، وأول من أرضعته صلى الله تعالى عليه وسلم، ثويبة جارية أبى لهب، ثم حليمة، رضى الله تعالى عنها، وقد تقدم أن حليمة وفدت على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، فأكرمها وبسط لها رداءه لتجلس عليه، وقال ابن عبد البر: إنها أسلمت وأنكره الدمياطى وصنف فيه مغلطاى جزءًا، وله صلى الله تعالى عليه وسلم، إخوة من الرضاعة مفصلة فى السير كما فصل فيها أحوال مرضعته وذهابها به صلى الله تعالى عليه وسلم، إلى أرض قومها.

(وسرعة شبابه وحسن نشأته) أى سرعة نمو خلقه وقامته، ونشأته ابتداء أمره فى صغره، من نشأ ينشأ فهو ناشئ، وأن حليمة قالت: والله ما بلغ سنية حتى صار غلامًا جفرا.

(وما جرى) أى وقع وحدث **(من العجائب)** فى **(ليلة مولده)** أى فى ليلة ولادته مما رواه البيهقى وغيره، وفى نسخة ببلاده وهما بمعنى، وهذا يدل على أنه ولد ليلاً، وهو الذى رواه ابن السكن، رحمه الله تعالى، فى حديث نقلوه، والذى فى مسلم وصححوه أنه ولد نهارًا بعد الفجر وقبل طلوع الشمس، وجمع بينهما بأن تلك الحصة قد تعد ليلاً لقربها منه، وبعضهم يرى أن اليوم من طلوع الشمس، والحاصل أنه لا ينافى ما تقرر من ولادته نهارًا الحديث المتقدم عن أم عثمان بن أبى العاص على تقدير صحته من دلالته على أنه ولد ليلاً، فإن زمان النبوة صالح للخوارق، ويجوز أن يسقط النجوم نهارًا أى فضلاً أن تكاد تسقط سيما إن قلنا: ولد عند الفجر لأن ذلك ملحق بالليل كما تقرر.

(من ارتجاج) أى تحرك واضطرب **(إيوان كسرى)** وهو قصره، ومن الأولى بيان لما والثانية: للعجائب، وقيل بيان لما أيضًا وفيه نظر، وكسرى تقدم أنه بكسر الكاف

وفتحها معرب خسرو، وكسرى هذا هو أنوشروان بن قباد، وهو غير كسرى الذى كتب له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فمزق كتابه، فهو أبرويز بن هرمز بن أنوشروان.

وهذا الحديث رواه البيهقى وابن أبى الدنيا وابن السكن، والإيوان الصفة العظيمة والبناء العالى العظيم، وأصله إوّان بتشديد الواو فأبدلت الأولى ياء، وفسر بعضهم الإيوان ببيت الملك العظيم المعد لجلوسه مع وزرائه لفصل الأمور.

(وسقوط شرفاته) جمع شرفة بضمتين كما فى تثقيف اللسان ويجوز سكونها وفتحها كما قاله البرهان جمع شرفة بضمتين أو بضم فسكون بوزن غرفة، وفسرت بأعاليه وإنما هى ما يبنى على أعلى الحائط منفصلاً بعضه من بعض على هيئة معروفة، وله شرفات كثيرة فسقط منها أربعة عشر بعدد من ملك من أولاده بعد ظهور الإسلام، وانقضت مدتهم فى زمان قليل، وإطلاق شرفات على ما ذكر لاستواء القلة والكثرة فيه، لإضافته أو لأنه لا جمع له سواه، أو لأنه يجوز استعمال كل من الجمعين فى معنى الآخر.

(وغيض بحيرة طبرية) غيض بفتح الغين المعجمة وسكون الياء التحتية وضاد معجمة مصدر غاض يغيض إذا قل أو ذهب، يقال: غاض الماء وغاضه الله وأغاضه فيتعدى ولا يتعدى، وبحيرة تصغير بحرة وهى البركة الكبيرة التى كثر ماؤها، ويطلق على الأرض الواسعة والمراد الأول، وطبرية بلدة بالشام معروفة من الأرض المقدسة بينها وبين المقدس مرحلتين، وبحيرتها عظيمة الآن.

البرهان قال: المعروف بالغيض بحيرة ساوة اللهم إلا أن يريد عند خروج يأجوج ومأجوج فإن أولهم يشربها ويجىء آخرهم فيقول: كان هاهنا ماء، انتهى.

أقول: ما قاله غير صحيح هنا لأن الكلام فيما حصل عند ولادته صلى الله تعالى عليه وسلم، من الآيات والعجب مما تابعه على هذا مع ظهوره، وساوة بلدة أخرى بينها وبين الرى اثنان وعشرون فرسخًا، والجواب الحق أن المراد بحيرة طبرية وطولها ستة أميال وكذا عرضها، وقد روى الحديث البيهقى، وابن أبى الدنيا، وابن السكن كما نقله السيوطى وغيره، فالمعترض لم يقف على هذه الرواية، فلعل ماءها نقص نقصًا لا ينقص مثله فى زمان طويل، أو غار ماؤها ثم عاد بعد ذلك؛ لما فيها من العيون النابعة التى تمدها الأمطار، وقد علمت أن بحيرة تصغير بحرة لا بحر، والتاء زائدة كما قيل وهى ممنوعة من الصرف للعلمية والتأنيث وليست التاء مزيدة فيها بعد العلمية، كذى الثدية لتأويلها بالبقعة، وهى تكلف لا داعى له.

(وخمود نار فارس) بمنع الصرف لأنه علم أعجمى، وفارس إقليم معروف هو وأهله،

فكأن ما غاض من الماء فاض على النار فأطفأها، والخمود الانطفاء وكان هذا ليلة مولده صلى الله تعالى عليه وسلم كما تقرر، **(وكان لها)** أى لتلك النار **(ألف عام لم تخمد)**؛ لشدة اشتعالها وكثرة إمدادها دائما وكانوا يعبدونها كما قال ابن هانى:

سجدت إلى النيران أعصرها ومذ شعرت به سجدت له نيرانها

وقال آخر:

وذاك ليل للنجاة من اللظا به لانطفاء النار من كل موقد

وقوله: لم تخمد بضم الميم وفتحها لأنه ورد من باب نصر وعلم، وكان كسرى وأتباعه يعبدونها ويرمون فيها المسك والعنبر ونحوه، ولهم بها فتنة عظيمة إذ لم تزل فى تأجج وإن لم تمد، وقصة النار ورؤيا كسرى وقصتها على سطيح مذكورة فى السير مشهورة.

(وأنه) صلى الله تعالى عليه وسلم **(كان)** وهو طفل صغير كما رواه ابن سعد وغيره عن ابن عباس **(إذا أكل مع عمه أبى طالب وآله)** أى أهل بيته، وكان صلى الله تعالى عليه وسلم عنده فى حضانته بعد عبد المطلب، **(وهو صغير)** جملة حالية **(شبعوا)** من الطعام، **(ورووا)** إذا شربوا لبنًا ونحوه لا ماء، ولذا جعله مأكولا؛ لأنه غذاء ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم مما لا يشبع منه مثلهم لقلته.

(وإذا غاب) أى عنهم، فلم يكن معهم **(فأكلوا)** وحدهم **(فى غيبته)** عنهم **(لم يشبعوا)** وباتوا جياعًا.

(وكان سائر ولد أبى طالب) أى جميعهم أو بقيتهم بعده صلى الله تعالى عليه وسلم منهم تغليبا وأنكر بعضهم ورود سائر بمعنى جميع، ورددناه فى شرح الدرة **(يصبحون)** إذا قاموا من نومهم **(شعثا)** جمع أشعث وهو المغبر المتغير لونه كما هو عادة الأطفال إذا قاموا من نومهم فى مضاجعهم، **(ويصبح صلى الله تعالى عليه وسلم)** أى يدخل فى وقت الصباح إذا قام من نومه **(صقيلا)** أى رائق اللون غير متغير البشرة، فهو استعارة من المرآة الصقيلة **(دهينا)** أى كأن وجهه دهن بغالية ونحوها مما كانوا يدهنون به حتى تبرق وجوههم **(كحيلا)** أى مكحل العين، وكل ذلك من غير صنع لأحد، وهى منصوبة بيصبح إن كانت ناقصة أو أحوال، وكان أولاد أبى طالب سبعة إذ ذاك عقيل، وجعفر وطالب وعلى، كرم الله وجهه، وأم هانئ وأم طالب وحمامة، وكلهم أسلموا إلا طالبا، فإنه مات كافرًا، وهذا مجاز أو حقيقة، وفسر المدهون بخلاف الأشعث والمصقول بالمستوى الشعر والكحيل بالذى لا رمض بعينيه ولاقذى، وكان أبو طالب يحبه صلى الله تعالى عليه وسلم حبًا شديدًا، ويؤثره على أولاده، فإذا أتى بطعام يقول: لا تأكلوا حتى يأتى ابنى.

وروى فى بعض النسخ **(قالت أم أيمن)** هى بركة بنت محصن بن ثعلبة بن عمرو بن حفص بن مالك بن سلمة بن عمرو بن النعمان مولاة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم **(حاضنته)** أى التى كانت تربيه طفلاً سميت حاضنة؛ لأنها تجعل الولد فى حضنها، وقيل: إنها أرضعته، وهى حبشية، وابنها أيمن بن عبيد الحبشى، وتزوجها زيد ابن حارثة وكانت وصيفة لعبد الله أبيه صلى الله تعالى عليه وسلم، وروى عنها فى الصحيحين وأدركت خلافة عثمان، رضى الله تعالى عنه، كما نقله الذهبى عن الواقدى، وفى مسلم عن الزهرى أنها توفيت بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بخمسة أو ستة أشهر وهو الذى صححه النووى رحمه الله تعالى وخطأ الواقدى فيما قاله، وإنما حضنته لموت أمه آمنة.

(ما رأيته صلى الله تعالى عليه وسلم يشكو جوعًا ولا عطشًا صغيرًا ولا كبيرًا)؛ لأن الله تكفل به فكان يبيت عند ربه يطعمه ويسقيه كما قال تعالى: ﴿**أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ**﴾ [الضحى: ٦]، وحاضنة اسم فاعل مؤنث من الحضن، وليس فعلا من المفاعلة وأنه عدل عن حضنه لحاضنته للإشعار بالفاعلية من جانبه تبركا به كما توهم، وهو خطأ فاحش على عادته.

(ومن ذلك) أى دلائل رسالته المشاهدة عند ولادته **(حراسة السماء بالشهب)** وهى شعل النار المرئية فى نجوم السماء جمع شهاب.

(وقطع رصد الشياطين) أى ترصيدهم وترقبهم لسماع ما تقوله الملائكة فتحفظه وتلقيه للكهنة، هو مصدر ويكون بمعنى راصد وجمعا له، فلذا أطلق على الواحد وغيره والشياطين مردة الجن.

(ومنعهم) أى منع الله لهم **(استراق السمع)** وهو أن يختفى أحد ليسمع كلام من لم يرد سماعه، فكأنه يسرق الكلام الذى سمعه، واعلم أن رمى الشياطين بالشهب لم يحدث فى زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم، فإنه كان قبل ذلك أيضًا، ولكنه لما ولد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى زمان كان كثير الكهنة وكانت الجن تخبرهم ببعض المغيبات، فيلقونها للناس، منعهم الله بالكلية حتى لا يلتبس الوحى بغيره، فكثر الرجم بالشهب من جميع النواحى، فبطلت الكهانة ومنع الجن من الاطلاع على المغيبات، ولذا لما رأت قريش كثرة القذف بالنجوم قالوا: قربت الساعة وخراب الدنيا. فقال لهم عتبة بن ربيعة: انظروا إلى العيوق إن كان رمى به فقد آن قيام الساعة، وإلا فلا، وإلى هذا يشير قوله تعالى: ﴿**وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا**﴾ [الجن: ٨] الآية.

وقد روى أن إبليس كان يخترق السموات، فلما ولد عيسى، عليه الصلاة والسلام، حجب عن ثلاث سموات، فلما ولد محمد صلى الله تعالى عليه وسلم حجب عن جميعها ومنع غيره من القرب منها، والشهاب الذى يرمى به قيل: إنه لا يخطيه ولكنه يحرقه ولا يقتله، وقال الحسن: إنه يقتله، فقد علمت أن رمى الشهب لم يحدث فى زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم كما توهمه بعضهم، وإنما كثر واشتد فيه، وكانوا فى الجاهلية إذا رأوا شهابًا سقط قالوا: يموت أو يولد عظيم كما ورد فى الحديث.

(و) من دلائل نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم **(ما نشأ عليه)** أى خلقه الله عليه من ابتداء نشأته وطفوليته **(من بغض الأصنام)** وكراهة قربها ومسها، كما روى البيهقى أن زيد بن حارثة مر بصنم فتمسح به، فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم: لا تمسه، ونهاه عن القرب منه كما نهى إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام، آزر عنها.

(والعفة عن أمور الجاهلية) التى كانوا يرتكبونها، فخلقه الله تعالى مستغفلا عنها لسلامة طبعه كاللهو واللعب وغيره، والعفة حالة للنفس تمنع من غلبة الشهوة والتعفف عن تعاطيها كما قاله الراغب.

(وما خصه الله به من ذلك) فجعل فيه أخلاقًا مرضية وأعمالاً زكية ونفسًا قدسية فصانه، **(وحماه)** قبل بعثته من الصفات الردية **(حتى فى ستره)** بفتح السين المهملة وسكون المثناة الفوقية مصدرا: أى ستر بدنه حتى لا يرى أحد منه صلى الله تعالى عليه وسلم ما لا ينبغى رؤيته كالعورة، فكان لا يتعرى عند أحد، وكانت الجاهلية تفعله حتى كانوا يطوفون عراة أحيانا، وفى نسخة: حتى ستره مجرورًا بحتى، وهو غاية لما قبله من الحماية، وما قيل: إن كان المراد كشف العورة، فهو قبيح عقلاً، وما دونها ليس بقبيح عقلاً وشرعًا، إلا أن يقال: إنه من خصوصياته الدالة على نبوته، أمر لا طائل تحته.

(فى الخبر المشهور) الذى رواه الشيخان عن جابر، والبيهقى، عن ابن عباس، رضى الله تعالى عنهما، **(عند بناء الكعبة)** أى لما بنتها قريش، ونقلهم الحجارة لبنائها، وكان صلى الله تعالى عليه وسلم ينقل الحجارة معهم **(إذ أخذ إزاره)** أى ملحفته التى كان مؤتزرًا بها؛ **(ليجعله على عاتقه)**، أى أخذ الإزار ليجعله على كتفه الذى يضع عليه الحجارة حتى لا تؤذيه؛ **(ليحمل عليه)** أى على عاتقه أو إزاره **(الحجارة وتعرى)**، أى انكشف أسفله لنزع الإزار عنه، **(فسقط إلى الأرض)** مغشيا عليه وعينه شاخصة للسماء **(حتى رد إزاره عليه)** وستر عورته، **(فقال له عمه)**، وهو العباس كما صرحوا به: **(ما بالك)** أى ما شأنك وحالك الذى عرض لك حتى سَقَطْتَ **(قال: إنى نهيت)** بالبناء للمجهول **(عن التعرى)** وكشف العورة كغيرى، وكانت قريش بنت الكعبة لسيل أتى

من فوق الردم ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ابن خمس وثلاثين سنة.

قال العباس: فكانوا ينفردون رجلين رجلين ينقلون الحجارة، فكان العباس مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فكانوا يجعلون إزارهم على عواتقهم، فإذا دنوا من الناس لبسوها، فبينما هو كذلك صرع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يستغيث رافعا بصره إلى السماء، فقال له: ما بالك يا ابن أخى. فقال: نهيت أن أمشى عريانا، فكتمها حتى بعثه الله تعالى مخافة أن يقال: إنه مجنون وفى رواية: أن ملكًا مهيبًا ناداه اشدد إزارك، وروى أنه لكمه لكمة شديدة وقيل: وهو أول ما نودى به.

(ومن ذلك) أى مما دل على نبوته فى أول أمره ما رواه الترمذى، والبيهقى، رحمهما الله تعالى، **(إظلال الله تعالى له بالغمام فى سفره)** أى كون غمامة تسير معه صلى الله تعالى عليه وسلم أنى سار تقيه حر الشمس دون غيره من الركب، كما رآه بحيرا لما سافر للشام مع عمه، ورآه ميسرة غلام خديجة لما سافر معه للشام، وخص السفر؛ لأنه محل التأثر من الشمس.

(وفى رواية) لابن سعد **(أن خديجة)** أم المؤمنين **(ونساءها)** أى النساء التى كن معها عند الرؤية، فالإضافة لأدنى ملابسة **(رأينه لما قدم)** لمكة من سفره فى تجارة لها، **(وملكان يظللانه)** أى يمدان أجنحتهما عليه ليكون ظلة له ووقاية من الشمس، **(فذكرت)** خديجة **(ذلك)** أى ما رأته **(لميسرة)** غلامها الذى بعثته معه صلى الله تعالى عليه وسلم، فى سفره، وميسرة بفتح السين وضمها، **(فأخبرها)** ميسرة **(أنه رأى ذلك)** أى كونه مظللا من السماء بالملكين، فلا ينافى أن خديجة رأت تظليل الملائكة وميسرة رأى تظليل الغمام، أو أن الغمام كانت تسوقه ملائكة فجعلت مظللة له كحامل الظلة يسمى مظللا **(منذ خرج معه فى سفره)** إلى الشام أى من أوله إلى آخره.

وهذا الحديث رواه الواقدى عن نفيسة بنت منبه وهى إحدى النساء اللاتى كن مع خديجة فى علية لها ينظرن إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، حين قدم. قال البرهان: لم يذكر ميسرة فى الصحابة، فكأنه مات قبل نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم، وفى رؤية خديجة الملائكة كرامة لها، رضى الله تعالى عنها.

(وقد روى) بالبناء للمجهول، والذى رواه الواقدى، وابن سعد، وابن عساكر فى تاريخه عن ابن عباس **(أن حليمة)** بنت أبى ذؤيب السعدية التى أرضعته صلى الله تعالى عليه وسلم، **(رأت غمامة تظله)** وتقيه من حر الشمس، **(وهو)** مقيم **(عندها)** لما أخذته صلى الله تعالى عليه وسلم، لحيها لترضعه.

(وروى ذلك) أى تظليل الغمامة له **(عن أخيه من الرضاعة)** يعنى أنه رآه فى صغره،

ورواه بعد كبره لأنه كان معه، والظاهر أن مراده أنه هو الذى ذكره لأمه وأنها لم تشاهده لأن عبارة الواقدى عن ابن عباس أن حليمة خرجت تطلبه صلى الله تعالى عليه وسلم، فوجدته مع أخيه من الرضاعة، وهو ولدها فقالت: أفى حر الشمس يمكث شفقة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم، منها، فقال أخوه: يا أماه ما وجد أخى حرًا رأيت غمامة تظله إذا وقف وقفت، وإذا سار سارت معه، وهذا يدل على أنه ليس أمرا اتفاقيا، وهل كان هذا دائما أو أحيانا؟ لم ينقل فيه شىء.

وما فى المواهب نقلا عن الزركشى فى شرح البردة عن بعض العارفين أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، كان مزاجه معتدل الحرارة والبرودة، فلا يحس بالحر ولا بالبرد، فكأنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، فى ظل غمامة من اعتداله قيل عليه: إنه ساقط لأنه يقتضى أن تظليل الغمامة لم يكن حقيقيا محسوسا، وإنما هو على طريق التمثيل.

قلت: إن أراد ذلك فهو وارد عليه، ويحتمل أن يريد أنه لم يدم ذلك، ولم يكن بعد بلوغه سن الاعتدال بعد النبوة لتمام اعتداله المغنى عنه، أو أنه كان غنيا عنه، وإنما هذا تكريم من الله له لم يرد عليه شىء فاعرفه، فإنه لا يخفى مثله على مثله، وقد علمت أن الذى فى نسخ الشفاء كما قاله البرهان عن أخيه مذكر بياء تحتية، والذى فى سيرة ابن سيد الناس أخته بالمثناة الفوقية، فهذا تصحيف أو رواية رواها أيضًا.

(ومن ذلك) أى مما يدل على نبوته، صلى الله تعالى عليه وسلم، وهذا لم يذكروا من رواه من المحدثين **(أنه نزل)** أى قعد فى محل نزل به **(فى بعض أسفاره قبل مبعثه)** مصدر ميمى بمعنى بعثته ونبوته **(تحت شجرة يابسة)** أى ليست مخضرة وليس لها ورق، **(فاعشوشب ما حولها)** من الأرض أى ظهر به عشب لم يكن قبله، واخضرت من ساعتها وافعوعل للمبالغة أى كثر عشبه ونباته، والعشب الكلأ ما دام رطبا، وقدمه لما فيه من المبالغة، **(وأينعت هى)** أى الشجرة، وأبرز الضمير لئلا يتوهم أنه عائد على ما حولها باعتبار أنه أرض، وهى مؤنثة سماعية، ومعنى أينعت ظهر خضرة ورقها وزهرها أو ثمرها، يقال: ينعت الثمرة ينعا وينعا وأينعت إيناعًا إذا نضجت، وقال تعالى: ﴿**ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓ**﴾ [الأنعام: ٩٩]، وقرئ وينعه، وهو جمع يانع وهو المدرك قال الراغب، **(فأشرقت)** أى تمت وعلت أغصانها **(وتدلت عليه)** صلى الله تعالى عليه وسلم، قضبانها لتقيه وتظله **(أغصانها)** جمع غصن وهى أعلاها وفروعها **(بمحضر من رآه)** أى أن من كان عنده شاهد حدوث ذلك وعلم منه ما يدل على كرامته لسرعته.

(و) من ذلك **(ميل فىء الشجرة إليه)** الفىء هو الظل مطلقًا أو بعد الظهيرة؛ لأنه من فاء إذا رجع، والكلام عليه مفصل فى كتب اللغة، وميل الفىء إما وحده أو مع ميل

الشجرة نفسها **(فى الخبر الآخر)** الذى روى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم، فى سفره إلى الشام وقصته مع بحيرا الراهب كما تقدم **(حتى أظلته)** علة أو غاية مقصودة من ميلها، وكان رفقاؤه صلى الله تعالى عليه وسلم، سبقوه فجلسوا فى الفىء، فلما جلس فى الجانب الآخر مالت الشجرة عليه بفيئها، فظللته فرآه الراهب فى قصته التى تقدمت، وكان مع عمه أبى طالب وهو ابن عشر سنين.

(و) من دلائل نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم، **(ما ذكر)** بالبناء للمجهول والذى ذكره ابن سبع **(من أنه)** بيان لما الموصولة **(لا ظل لشخصه)** أى لجسده الشريف اللطيف إذا كان **(فى شمس ولا قمر)** مما ترى فيه الظلال لحجب الأجسام ضوء النيرين ونحوهما، وعلل ذلك ابن سبع بقوله؛ **(لأنه)** صلى الله تعالى عليه وسلم، **(كان نورًا)** والأنوار شفافة لطيفة لا تحجب غيرها من الأنوار، فلا ظل لها كما هو مشاهد فى الأنوار الحقيقية، وهذا رواه صاحب الوفاء عن ابن عباس، رضى الله تعالى عنهما، قال: لم يكن لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، ظل ولم يقم مع شمس إلا غلب ضوؤه ضوئها، ولا مع سراج إلا غلب ضوؤه ضوءه، وقد تقدم هذا والكلام عليه ورباعيتنا فيه وهى:

ما جر لظل أحمد أذيال فى الأرض كرامة كما قد قالوا
هذا عجب وكم به من عجب والناس بظله جميعًا قالوا

وقالوا: هذا من القيلولة، وقد نطق القرآن بأنه النور المبين وكونه بشرًا لا ينافيه كما توهم، فإن فهمت فهو نور على نور، فإن النور هو بنفسه المظهر لغيره، وتفصيله فى مشكاة الأنوار للغزالى.

(و) من دلائل نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم، **(أن الذباب كان لا يقع على)** ما ظهر من **(جسده ولا)** يقع على **(ثيابه)**، وهذا مما قاله ابن سبع أيضًا إلا أنهم قالوا: لا يعلم من روى هذا، والذباب واحده ذبابة قيل: إنه سمى به لأنه كلما ذب آب، أى كلما طرد رجع، وهذا مما أكرمه الله تعالى به لأنه طهره من جميع الأقذار، وهو مع استقذاره قد يجىء من مستقذر.

قيل: وقد نقل مثله عن ولى الله العارف به الشيخ عبد القادر الجيلانى، ولا بعد فيه لأن معجزات الأنبياء قد تكون كرامة لأولياء أمته وفى رباعية لى:

من أكرم مرسل عظيم حلا لم تدن ذبابة إذا ما حلا
هذا عجب ولم يذق ذو نظر فى الموجودات من حلاه أحلا

وتظرف بعض علماء العجم، فقال: محمد رسول الله ليس فيه حرف منقوط؛ لأن الموجودات النقط تشبه الذباب، فصين اسمه ونعته عنه كما قلت فى مدحه صلى الله

تعالى عليه وسلم:

لقد ذب الذباب فليس يعلو رسول الله محمودًا محمد
ونقط الحرف يحكيه بشكل لذاك الخط عنه قد تجرد

(ومن ذلك) أى من دلائل نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم، فى أول أمره ومنتهاه كما رواه الشيخان **(تحبيب)** الله تعالى بجعله طبيعة له **(الخلوة)** أى الوحدة والانفراد عن الناس للعبادة **(إليه حتى أوحى إليه)** أى أنه كان يفعل ذلك قبل بعثته حتى نزل الوحى عليه تكريمًا له صلى الله تعالى عليه وسلم.

وفى البخارى: ثم حبب إليه الخلاء، أى العزلة عن الناس إذ بها فراغ القلب، والإعانة على التفكر، والانقطاع عن مألوفات النفس، فكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه وهو التعبد فى الليالى ذوات العدد قبل النبوة، فإذا نزل منه طاف بالبيت وذهب لأهله، وخص حراء كما قاله ابن أبى جمرة؛ لأنه كان يتبرك به وينظر منه البيت فيستقبله، وقال: حبب بصيغة المجهول إشارة إلى أنه ليس تقليدًا لغيره، وإنما هو جبلى بإلهام الله تعالى له، وهو من الإرهاصات حتى جاءه الوحى وهو فيه.

(ثم إعلامه) صلى الله تعالى عليه وسلم، أى إعلام الله تعالى له **(بـ)** قرب **(موته ودنو أجله)** أى آخر عمره الذى أجل له وقدر، وهذا مما رواه الشيخان وفهمه صلى الله تعالى عليه وسلم، من قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ [الحجر: ٩٨].

وفى الصحيحين: أنه مر على قتلى أحد بعد ثمان سنين كالمودع للأحياء والأموات، ثم طلع المنبر فقال: إنى بين يديكم فرط وأنا عليكم شهيد، وإن موعدكم الحوض... إلى آخره.

وقوله فى خطبة له: إن عبدًا خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء، وبين ما عنده فاختار ما عنده، فبكى أبو بكر، رضى الله تعالى عنه، وقال: فديناك بآبائنا وأمهاتنا فقال عمر: انظروا لهذا الشيخ يقول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: إن الله تعالى خيره بين زهرة الدنيا وما عنده فاختار ما عنده، فكان الصديق أعلمهم بكلامه صلى الله تعالى عليه وسلم، وأسر بذلك لفاطمة كما تقدم فى الحديث إلى غير ذلك مما لا يحصى.

(و) إعلامه صلى الله تعالى عليه وسلم: **(أن قبره بالمدينة)** كما رواه أبو نعيم عن معقل بن يسار بلفظ: «المدينة مهاجرى ومضجعى من الأرض».

(و) أن قبره **(فى بيته)** فقبره صلى الله تعالى عليه وسلم فى مسكنه وكذا كان لكثير من الأنبياء، عليهم السلام، إشارة إلى أنهم أحياء عند ربهم يرزقون **(وأن بين بيته ومنبره روضة من رياض الجنة)** كما سيأتى يعنى أنها تنقل وتجعل روضة فى الجنة، أو أن العمل

فيها موجب لصاحبه روضة من رياض الجنة، وقال ابن أبى جمرة: الأظهر إرادة المعنيين والجمع بينهما معا إذ لا مانع منه، ومن لم يعرف هذا قال: لابد من تأويله باعتبار القرب من أقرب الخلق إلى الله، ومن قرب منه كالجالس فى رياض الجنة لتنزل الرحمات، وتلذذه بالمشاهدات، كما يقال: اللهم اجعل قبر فلان روضة من رياض الجنة.

(وتخيير الله له عند موته) أى لما قرب موته خيره الله بين البقاء فى الدنيا والرحيل للآخرة كما سمعته آنفًا، ورواه البيهقى فى دلائله وعن عائشة، رضى الله تعالى عنها، كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فى صحته يقول: «لم يقبض نبى قط حتى يرى مقعده فى الجنة ويخير»، فلما اشتكى صلى الله تعالى عليه وسلم، غشى عليه فلما أفاق شخص بصره لسقف البيت، وقال: اللهم الرفيق الأعلى، فقالت: لا يختارنا وعرفت أنه خير وفهمت ما فهم أبوها، رضى الله تعالى عنهما[1]، وهو حديث صحيح رواه أحمد فى مسنده وغيره، وقد صرح به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فقال: أوتيت مفاتيح خزائن الأرض، وخيرت بين الخلد فيها ثم الجنة واخترت إلى آخره مما يطول ذكره.

(وما اشتمل عليه حديث الوفاة) أى وفاته صلى الله تعالى عليه وسلم، وهو حديث طويل رواه الشافعى، والبيهقى فى سننه **(من كراماته)** التى أكرمه الله تعالى بها عند موته كسماع بكاء الملائكة، وسماع صوت من السماء ينادى وامحمداه... الحديث.

وقول جبريل له، صلى الله تعالى عليه وسلم: إن الله يقرؤك السلام ويقول لك وهو أعلم: كيف تجدك؟ إلى غير ذلك.

(وتشريفه) بما مر وغيره.

(وصلاة الملائكة على جسده)، وفى نسخة عليه، وكان إقحام الجسد هنا لأن الصلاة معناها الدعاء، وروحه صلى الله تعالى عليه وسلم، غير محتاجة لذلك، أو لنكتة أخرى قيل: هى أن الصلاة على جسده وروحه مستمرة دائمًا؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ﴾ [الأحزاب: ٥٦]... الآية.

(على ما رويناه فى بعضها) أى فى بعض طرق حديث الوفاة، وهو ما روى عن ابن عباس، رضى الله عنه، أنه لما هاجر، صلى الله تعالى عليه وسلم، يوم الثلاثاء وضع على سريره فى بيته، فصلت عليه الملائكة فوجًا فوجًا، ثم الناس فوجًا فوجًا، ثم نساؤه ثم النساء، ثم الصبيان، ولم يؤمهم أحد، وكان صلى الله تعالى عليه وسلم، أوصى بذلك وذلك لعظم أمره، ولئلا يتنافسون فى الإمامة والخلافة؛ لأن الخليفة يستحقها، ومن زعم

---

(١) تقدم تخريجه.

أن المراد بالصلاة مجرد الدعاء دون صلاة الجنازة لم يأت بشيء، وكونه لم يؤمهم أحد ذكره الإمام الشافعي، رضى الله تعالى عنه، فى الأم وغيره وصححوه، وحكمة ما ذكر ولم يدع له صلى الله تعالى عليه وسلم، بدعاء الجنازة المشهور كما ذكره السهيلى، بل قالوا: إنا نشهد أنك بلغت الأمانة ونصحت الأمة إلى آخره ما ذكره، والحديث بطوله مذكور فى كثير من كتب الحديث تركناه لطوله.

(واستئذان ملك الموت عليه) أى طلبه الإذن منه فى قبض روحه الشريف إن أراد أو تركه حيا.

(ولم يستأذن على غيره) نبيًا أو غيره **(قبله)** روى أن جبريل قال له، صلى الله تعالى عليه وسلم: إن ملك الموت بالباب يستأذن عليك، ولم يستأذن على أحد قبلك ولا بعدك، فقال: السلام عليك يا محمد إن ربى أمرنى أن أطيعك فيما أمرتنى به إن أقبض نفسك قبضتها وإن أتركها تركتها، فقال: اقبض يا ملك الموت كما أمرت، فقال جبريل: السلام عليك يا رسول الله هذا آخر موطىء من الأرض.

(وندائهم) أى نداء الملائكة لهم **(الذى سمعوه)** ولم يروا من ينادى **(أن لا)** أى بأن لا إلى آخره فأن مصدرية ولا نافية **(تنزعوا القميص عنه)** أى قميصه الذى عليه لما أرادوا نزعه **(عند غسله)** بضم الغين، ويجوز فتحها إشارة لما فى حديث أبى داود، والبيهقى الصحيح عن عائشة، رضى الله تعالى عنها، أنهم لما أرادوا غسله صلى الله تعالى عليه وسلم، قالوا: لا ندرى أنجرده من ثيابه كسائر موتانا أم نغسله وعليه ثيابه، واختلفوا فغشيهم النوم، فإذا قائل من ناحية البيت لا يرونه: اغسلوه فى ثيابه، فغسلوه وعليه قميصه يصبون الماء فوق القميص، ويدلكونه بالقميص، وهو من جملة حديث الوفاة، وهذا تكريم له بإجرائه على عادته، فإنه صلى الله تعالىٰ عليه وسلم، كان لا يتجرد عند أحد، وإشارة إلى أن تغسيله ليس للاحتياج إليه، وإنما هو إجراء لسنته وكفن فى ثلاثة أثواب يمنية سحولية.

(وما روى من تعزية الخضر، عليه الصلاة والسلام)، كما رواه البيهقى فى دلائله يشير إلى ما روى عن على، كرم الله تعالى وجهه، ورضى الله عنه، أنه قال: لما توفى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، سمعوا صوتًا ولم يروا شخصًا وهو يقول: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته، ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، وإن فى الله عز وجل لعزاء من كل مصيبة وخلفا من كل هالك ودركا من كل فائت، فبالله فثقوا وإياه فارجوا، واعلموا أن المصاب من حرم الثواب، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فكانوا يرون أنه الخضر، عليه السلام، كما

رواه البيهقى، وابن أبى حاتم، وقال فى مرآة الزمان: المعزى هو جبريل لا الخضر، ورواه العراقى فى تخريج أحاديث الإحياء بلفظ: «إن فى الله خلفا من كل أحد ودركا لكل رغبة ونجاة من كل مخافة، فالله فارجوا وبه فثقوا»، وسمعوا آخر بعده يقول: إن فى الله عزاء من كل مصيبة وعوضًا من كل رغبة، فالله فأطيعوا، وبأمره فاعملوا، فقال أبو بكر، رضى الله عنه: هذا الخضر واليسع و لم أجد فى رواية ذكر اليسع، وإنما ذكر الخضر فى التعزية، فقد أنكر النووى وجوده فى كتب الحديث، وإنما ذكره الأصحاب، **قلت**: بل رواه الحاكم فى المستدرك من حديث أنس و لم يصححه، ولا يصح.

ورواه ابن أبى الدنيا فى كتاب العزاء قال: لما قبض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، اجتمع أصحابه حوله يبكون، فدخل عليهم رجل طويل شعر المنكبين فى إزار ورداء، فتخطى الصحابة حتى أخذ بعضادتى الباب وبكى، ثم قال: إن فى الله عزاء من كل مصيبة، وعوضًا من كل من مات، وخلفا من كل هالك، فإلى الله فانتهوا ولصرف الله البلاء فانظروا، فإن المصاب من حرم الثواب، فقال أبو بكر: لعل هذا الخضر أخو نبينا جاء يعزينا، رواه الطبرانى فى الأوسط وإسناده ضعيف جدًا وابن أبى الدنيا عن على بسند واه أيضًا، وذكره الشافعى فى الأم من غير ذكر الخضر، انتهى.

وإنما قال الحاكم وغيره: إنه غير صحيح لحديث: «إنه لا يبقى على وجه الأرض ممن هو عليها أحد على رأس مائة سنة من تلك الليلة»[1]، وأراد به انخرام كل أحد فيشمل الخضر وغيره، يعنى به إنكار وجوده، وسئل عنه ابن حجر، رحمه الله تعالى، فقال: سنده ضعيف ولو قدر ثبوته لم يخالف الحديث المذكور؛ لأنه يخص من عمومه إن صح ما ينقل عن بعض الصالحين من اجتماعه بالخضر، إلا أنّا لم نجد خبرًا صحيحًا يقتضى أنه صاحب موسى، عليه الصلاة والسلام، والعلم عند الله.

والحاصل أنهم قد اختلفوا فى وجوده، فالصوفية يثبتون وجوده، وأن منهم من رآه والمحدثون ينكرونه، وبعضهم توقف فيه كابن حجر، ومنهم من شدد النكير على من أثبت حياته كصاحب مرآة الزمان حتى صنف فى إبطاله كتابًا مستقلاً سماه: «عجالة المنتظر فى شرح حال الخضر»، ولكنا لا ننكر ما قاله المشايخ، واختلفوا فيه هل هو نبى، أو ملك، أو عبد صالح من أولياء الله تعالى أطال الله تعالى عمره، وجعل مرجع الأولياء والأقطاب إليه؟ وما مر من أنه لم ير شخصه يقتضى أنه ملك.

وقوله: **(والملائكة)** بالجر عطف على الخضر يشير لما قلناه.

(أهل بيته) مفعول التعزية، وهى الإرشاد للصبر والتسلية عند المصيبة، واعلم أنه ليس

(١) أخرجه ابن الجوزى فى زاد المسير (١٦٨/٥).

الخلاف فى وجود الخضر صاحب موسى، عليه الصلاة والسلام، إنما هو فى كونه عاش إلى زمن النبوة وإلى الآن، **(إلى ما ظهر على أصحابه)**، صلى الله تعالى عليه وسلم، وإلى هذه متعلقة بمقدر أى مضمومًا ما ذكر من أول الفصل إلى هنا، أو منتهيًا وهو كما يقوله المصنفون، رحمه الله تعالى، إلى آخره إشارة إلى أنه ترك أمورًا كثيرة من جنس ما ذكر، والمراد بظهورها عليهم أن شرف صحبته صلى الله تعالى عليه وسلم، أثر فيهم حتى ظهرت منهم أمور تشابه ما ظهر منه ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم، **(من كرامته وبركته)** أى من مثل ذلك **(فى حياته وموته)**: أى وبعد موته.

(كاستسقاء عمر) بن الخطاب، رضى الله عنه، **(بعمه)** العباس، رضى الله عنه، ابن عبد المطلب أى تقديمه فى دعاء الاستسقاء كما رواه البخارى، وتفسير عمه، صلى الله تعالى عليه وسلم، بالعباس وإن كان له أعمام غيره؛ لأنه لم يعش بعده صلى الله تعالى عليه وسلم، منهم غير العباس، وقد صرح به فى الحديث، وأعمامه: أبو طالب والزبير، وعبد الكعبة، وحمزة، والقدم، وحجل، واسمه المغيرة، والعوام، وضرار، والحارث، وهو أكبرهم وقسم مات صغيرًا، وأبو لهب واسمه عبد العزى، والغيداق، واسمه مصعب أو نوفل، فهم ثلاثة عشر ولم يسلم منهم غير حمزة والعباس، وجعل بعضهم الغيداق وحجل واحدًا فعدهم اثنى عشر، وأسقط بعضهم العوام وعبد الكعبة فعدهم أحد عشر، وبعضهم عدهم سبعة، وبعضهم عشرة لإسقاط بعضهم.

وحاصل ما أشار إليه أنه كان فى زمن عمر، رضى الله تعالى عنه، إذا وقع قحط استسقى بالعباس، رضى الله تعالى عنه، فوقع قحط شديد فى خلافته عام الرمادة سنة سبع عشرة، فقال كعب: يا أمير المؤمنين إن بنى إسرائيل كانوا إذا حصل لهم مثل هذا استسقوا بعصبة الأنبياء، فقال عمر: هذا عم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، صنو أبيه وسيد بنى هاشم، ثم صعد المنبر ومعه العباس وقال: اللهم إنا نتقرب إليك بعم نبيك ونستشفع به أتيناك مستغفرين متشفعين، ثم أقبل على الناس وقال: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾ إلى قوله: ﴿أَنْهَٰرًا﴾، ثم قام العباس، رضى الله تعالى عنه، وعيناه تنضحان، فقال: اللهم إن عندك سحابًا وعندك ماء، فانشر السحاب ثم أنزل الماء منه علينا، فاشدد به الأصل وصل به الفرع وأدر به الضرع، اللهم إنك لم تنزل بلاء إلا بذنب ولم تكشفه إلا بتوبة، وقد توجه القوم بى إليك فاسقنا اللهم الغيث، وشفعنا فى أنفسنا وأهلينا، وفيمن لا ينطق من بهائمنا وأنعامنا، اللهم اسقنا سقيا وادعا نافعًا طبقًا سحا عاما، اللهم إنا لا نرجو إلا إياك، ولا ندعوا غيرك ولا نرغب إلا إليك، اللهم إليك نشكو جوع كل جائع وعرى كل عار وخوف وضعف كل ضعيف، اللهم أنت الراعى لا تهمل الضالة ولا تدع الكسير بدار مضيعة، فقد ضرع الصغير ورق

الكبير وارتفعت الشكوى، وأنت تعلم السر وأخفى، اللهم وأغثهم بغياثك قبل أن يقنطوا فيهلكوا، فإنه لا ييئس من روح الله إلا القوم الكافرون، فلم يستتم دعاءه حتى نشأت سحابة فقال الناس: ترون ترون، ثم تلامت ومشت وانتشرت، ثم درت وأرخت عزاليها كأفواه القرب، فما برحوا حتى علقوا الحدا وقلصوا المآزر وطفق الناس يتمسحون بالعباس، ويقولون: هنيئًا لك يا ساقى الحرمين، وفى ذلك يقول حسان، رضى الله تعالى عنه:

سأل الإمام وقد تتابع جدبنا ... سقى الغمام بغرة العباس

أحيى الإله به البلاد فأصبحت ... مخضرة الأرجاء بعد الباس

فى أبيات أخر.

(وتبرك غير واحد) أى كثير من الناس **(بذريته صلى الله تعالى عليه وسلم)**، من السادة الأشراف نفعنا الله تعالى بهم، ولهم فى ذلك حكايات كثيرة ليس هذا محلها، وقد أفرده السيد السمهودى، شكر الله تعالى سعيه، بتأليف مستقل نافع.

* * *

فصل فيه فذلكة هذا الباب

(قال القاضى أبو الفضل قد بينا) أى ذكرنا وجمعنا **(فى هذا الباب)** الرابع المذكور فيه معجزاته، صلى الله تعالى عليه وسلم، ودلائل نبوته، وأصل الإتيان المجىء بسهولة وقد يكون بمعنى المرور فيتعدى بعلى، ولذا قال: **(على نكت من معجزاته واضحة)** إلا أنه تجوز به عما ذكر من الجمع وعداه بتعديته الأصلية؛ لأنه من لوازم من يريد أخذ شىء وجمعه أن يأتى له حتى يصل إليه، ويقال: أتى على كذا إذا استوفاه واستوعبه، والنكت جمع نكتة وهى الأمر الدقيق الذى يحصل بفكر يقارنه، من نكت الأرض بقضيب ونحوه كما مر، والنكت بمثناة فوقية ومن نطق بها بالمثلثة فقد أخطأ فلا وجه لما ذكره البرهان هنا.

(وجمل) جمع جملة وهى الأمر المجمل **(من علامات نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم، مقنعة)** أى كافية عن غيرها مستعار من القناعة، وفى نسخة مغنية بالغين المعجمة والنون أى يستغنى بها عن غيرها، وهو مجرور صفة جملة ويجوز نصبه على الحالية، **(فى واحد منها الكفاية)** عن غيره كالقرآن أى فى الاقتصار عليه، وضمير منها للنكت والجمل، **(والغنية)** بالضم والسكون فى ثانيه أى الاستغناء عن غيره؛ لأنه يدل عليه دلالة قوية.

(وتركنا الكثير) منها **(سوى ما ذكرنا)** إشارة إلى أن ما ذكره قليل بالنسبة لما تركه، **(واقتصرنا من الأحاديث الطوال)** بكسر الطاء جمع طويل **(على عين الغرض)** عين الشىء

المختار منه، وهو المراد منه لا الحقيقة، وإن كان أحد معانيها والغرض ما يقصد منه وفائدته، وأصل معناه الهدف كما مر فنقل لما ذكر، **(وفص المقصد)** أى الأمر المقصود، والفص مثلث الفاء بمعنى الأصل يقال: أتى بالأمر من فصه أى من أصله قال الشاعر:

ورب امرئ تزدريه العيون ويأتيك بالأمر من فصه[1]

وفص الخاتم ما يزين به من الجواهر، ويقال: نقل الحديث بنصه إذا استوفاه.

وتظرف ابن نباتة، رحمه الله تعالى، فى قوله:

حملت خاتم فيه فصا أزرقا من كثرة اللثم الذى لم أحصه

لولاه ما علم الرقيب فيا له من خاتم نقل الحديث بفصه

وقول الجوهرى العامة تقول: الفص بالكسر ظاهره أنه غير صحيح، وقد نقل الثقات كابن السيد وغيره تثليثه كما علم، والمقصد بكسر الصاد وهو القياس وفتحها بعضهم، والمراد به المقصود كما مر فهو مصدر ميمى تجوز فيه.

(و) اقتصرنا **(من كثير الأحاديث وغريبها)** هو بمعناه اللغوى أى ما بعد مستغربًا غير معهود أو غير مشهور، والمراد به ما اصطلح عليه المحدثون، وهو كما قال ابن الصلاح: ما انفرد به بعض الرواة سواء انفرد بجمعه أو بزيادة فيه كزيادة ثلاث فى حديث: «حبب إلىّ من دنياكم ثلاث النساء والطيب وجعلت قرة عينى فى الصلاة»[2]، التى تفرد بها ابن فورك وتبعه غيره كما مر، وهو لا ينافى الصحة إذا كان راويه ثقة، وقد يكون ضعيفًا وإضافة كثير من إضافة الصفة للموصوف أى الأحاديث الكثيرة **(على ما صح)** نقله وروايته.

(واشتهر) بين المحدثين **(لا يسيرا)** أى قليلاً نورده وإن لم يصح ويشتهر، واليسير ما تيسر وسهل وشاع استعماله بمعنى القليل لسهولته **(من غريبه)** أى غريب الحديث، وإنما اقتصر على المشهور الصحيح الشامل للحسن؛ لأن المعجزات الخارقة للعادة لا تخفى غالبا، ثم اعتذر عن إيراده فى كتابه بقوله: **(مما ذكره مشاهير الأئمة)**؛ لأنهم يعتمد على نقلهم لشهرة علمهم وفضلهم وإن لم يرد لغيرهم.

(وحذفنا) أى تركنا وعبر بالحذف وهو الترك بعد الذكر، إما لتنزيل ذكر غيره منزلة ذكره، أو لجعله لكونه مهما وحقه أن يذكر بمنزلة المذكور، والحذف أخص من الترك **(الإسناد)** أراد به السند تسمحًا شائعًا وهم رواة الحديث، أو هو بمعناه الحقيقى **(فى**

(١) البيت من المتقارب، وهو لعبد الله بن جعفر فى مجمع الأمثال (٤١٨/٢)، الزبير بن العوام فى تاج العروس (٧٤/١٨)، وبلا نسبة فى لسان العرب (٦٦/٧)، ديوان الأدب (٨/٣).

(٢) تقدم تخريجه.

جمهورها) أي معظم الأحاديث وأكثرها وقد يورد الحديث مسندًا؛ **(طلبا للاختصار)** وعدم التطويل وهو مفعول لأجله، **(وبحسب هذا الباب)** المذكور فيه المعجزات، وحسب بفتح فسكون بمعنى كافي أو كفاية وهو مبتدأ مجرور بالباء الزائدة، وخبره أن يكون الآتي أي يكفيه في شرفه والعلم بكثرة ما ورد فيه عن ذكره واستقصائه، وهو المعنى تعليل ثان لاختصاره، إلا أن العبارة لا تخلو من الحزازة **(لو تقصى)** مبني للمجهول بقاف وصاد مهملة أي استوفى وبلغ أقصاه ونهايته، وضبطه بعضهم بفاء بدل القاف وهو غير مناسب هنا؛ لأن التفصي التخلص وهو غير مراد، وتفسيره بتتبع وخلص من مظانه تكلف لا يخفى.

(أن يكون ديوانًا) أي كتابًا مستقلاً مدونًا **(جامعا)** لما في غيره، وتقدم الكلام على الديون وأنه معرب بكسر الدال وفتحها **(يشتمل على مجلدات عدة)** أي كتب من شأنها أن تجلد متعددة، وعدة بكسر العين بمعنى معدودة.

(ومعجزات نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم، أظهر من سائر معجزات الرسل)، عليهم الصلاة والسلام، أي من بقيتها أو جميعها **(بوجهين: أحدهما كثرتها)** وشهرتها؛ لأن الكثرة تستلزم الشهرة.

(تنبيه): قال التلمساني: مجلدات جمع مجلدة، وهي الكتب الكثيرة، وهي عبارة فقهية مولدة، ولا وجه له؛ لأن المجلد ما عليه جلد كما في القاموس، وفي رسالة المجلد لأبي العلاء المعري: المجلد لا يزال فيما غبر من الزمان نقيض مجلد العرب من شام ويمان، قال الراجز:

هل أنت كاسل المعتمل مجلد يكشف عن مخض الإبل

انتهى.

فقد أثبت ذلك وناهيك به من إمام في اللغة، فإن أراد تخصيصها بالكتب الضخمة وأنها لم ترد في كلام العرب، فهو مجاز لا يتوقف على السماع، والتجلد يكون بمعنى التصبر، وتظرف بعض المتأخرين في قوله:

ملكت كتابًا أخلق الدهر جلده وما أحد في دهره بمخلد

إذا عاينت كتبي القديمة جلده يقولون لا تهلك أسى وتجلد

(وأنه لم يؤت نبي معجزة إلا وعند نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم، مثلها) أي من نوعها مساوية لها أو مقاربة في الإعجاز، **(أو ما هو أبلغ منها)** أبلغ ليس من البلاغة كما توهمه من قال كالقرآن العظيم، فإنه أبلغ معجزة أوتيت، فإن معناها هنا أعظم وأقوى، وليس مقيدًا بالقرآن؛ لأن بلوغ الشيء وصوله لغايته ومنتهاه، أو هو من المبالغة على

خلاف القياس وكثيرًا ما يقولونه بهذا المعنى، والمعجزة هنا فى النفى فتعم وتفيد الكثرة، والخارق للعادة إذا عظم من شأنه الشهرة والظهور، فلا يرد عليه أنه كان ينبغى أن يقول أظهر، وأنه لا يلزم مما ذكره الظهور الذى ادعاه.

(وقد نبه الناسُ على ذلك) أى نبه علماء الحديث والآثار وفصلوه فى كتبهم كابن المنير فى كتاب المقتفى، **(فإن أردته)** أى أردت معرفته والوقوف على ما بينوه **(فتأمل فصول هذا الباب)** أى أعد النظر فيه فتأمل وتدبر معانيه، **(ومعجزات من تقدم من الأنبياء)**، عليهم الصلاة والسلام، **(تقف)** بجزوم فى جواب الأمر **(على ذلك إن شاء الله تعالى)**، والوقوف فى الأصل القيام تجوزوا به عن المعرفة، وهو مجاز مشهور ثم إن بعض الشراح ذكر هنا أمورًا شرفه الله بها لغيره من الأنبياء لا مساس لها بالمعجزات تركناها، ولم نطول بذكرها.

(وأما كونها كثيرة، فهذا القرآن كله معجز) وفى بعض النسخ، وكله معجز بالواو، فالتقدير: فهذا القرآن موجود معروف وجميع أجزائه معجزة، فناهيك به كثرة، ثم شرع فى بيان المقدار الذى يقع به الإعجاز، فقال: **(وأقل ما يقع الإعجاز فيه عند بعض أئمة المحققين سورة: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾)** [الكوثر: ١]، وهى أقصر سورة فى القرآن، **(أو آية بقدرها)**: أى مساوية لها فى الحروف والكلمات، وسورة مرفوع خبر أقل، وفى نسخة بسورة بباء الجر.

(وذهب بعضهم إلى أن كل آية منه كيف كانت) طويلة بمقدار سورة أم لا **(معجزة وزاد بعضهم)**، وفى نسخة آخرون أى ترقى عن هذا المقدار إلى **(أن كل جملة منتظمة منه)** أى مفيدة تامة **(معجزة، وإن كانت من كلمة أو كلمتين)**، **فإن قلت**: كيف تكون جملة منتظمة وهى كلمة؟ **قلت**: يكون فيها مقدر كمدهامتان ونحوها فتأمل، وليس هذا مبنيًا على أن إعجازه بالصرفة كما قيل، **(والحق ما ذكرناه أولا)** من أن المعجز أقصر سورة أو مقدارها **(لقوله تعالى: ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ﴾)** [البقرة: ٢٣]، أى سورة كانت **(من مثله)** فى الإعجاز، والضمير للقرآن أو للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم، كما فى الكشاف، وفيه كلام مشهور، ودخل مقدار السورة فيه بدلالة النص، فلا يتوهم أنه ليس فيه التعرض للدليل على مدعاه، **(فهو)** أى ما ذكر **(أقل ما تحداهم)** الله أو الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم، **(به)** أى طلب منهم معارضته **(مع ما ينصر هذا)** القول المذكور أولاً أى يقويه ويؤيده **(من نظر)** أى فكر وتدبر، **(وتحقيق يطول بسطه)** ببيان الحق بالأدلة والبراهين القائمة لمن تدبره ونظر ما فيه من مراعاة كل مقام، وما احتوى عليه من الجزالة واللطافة التى تحير العقول، فقد تحداهم أولاً بجملته، فقال: ﴿فَأْتُوا۟

بِكِتَٰبٖ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [القصص: ٤٩]، ثـم تحداهـم بعشـر سـور، فقـال: ﴿فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ﴾ [هـود: ١٣]، ثـم تحداهـم بسـورة، فسـجل عجزهـم بعـد إرخـاء عنـان التكليف، والحاصل أن الكلام اللفظى الذى وقع التحدى به لا النفسـى، فإنـه لا يتصـور فيه ذلك على الصحيح.

اختلفوا فى مقدار معجزه فذهب بعض المعتزلة إلى أنـه بجميـع القـرآن، ورد بـالآيتين المذكورتين، وقال القاضى: يتعلق بسورة طويلة أو قصيرة لظاهر الآية، وقال فى موضع: بها أو بمقدارها قالوا: و لم يقم دليل على العجز عن أقل من هذا القدر، وقيل: لا يحصـل العجز إلا بآيات كثيرة، وقيل: قليله وكثيره معجز؛ لقوله فليأتوا بحديث مثله.

(فإذا كان هذا) أى ثبـت أن مـا تحداهـم بـه هـذا المقـدار الأقـل، **(ففـى القـرآن مـن الكلمات نحو من سبعة وسبعين ألف كلمة ونيف)** أى وزيادة على هذا المقدار، من نـاف بمعنى زاد، وياؤه تخفف وتشدد، وكلما زاد على عقد حتى يبلغ ما بعده فهو نيف **(على عدد بعضهم)** أى هذا مقداره عند بعض دون غيره، فإنــه كمـا قـال الدانـى، رحمـه الله، سبعة وتسعون بالتاء الفوقية ألفا وأربعمائة وتسع وثمانون كلمة، وحروفـه ثلاثمائـة ألـف وثلاثة وعشرون ألفا، وقيـل: ثلاثمائـة ألـف وأحـد وعشـرون ألفـا أو خمسـمائة وثلاثـة وثلاثون حرفا، وقيل: إنه الصـواب لا مـا ذكـره المصنـف، رحمـه الله تعـالى، وهـذا مـع تصريحه بالنقل وإتيانه بلفظه غير وارد عند من أنصف، ولهم فى عدده اختلاف قيل: لأن الكلمة والحرف لهما إطلاقات، وقول السخاوى: لا فائدة فى عدد حروفه؛ لأنه لا يقبل زيادة ولا نقصًا لا وجــه لـه غـير الكسـل **(وعـدد كلمـات ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ عشر كلمات فتجزئ القرآن)** بصيغـة المصـدر، وفـى نسـخة فَيَتَجَزَّأ بالمضـارع المجـهول وآخره مهموز، ويجوز إبداله ألفًا أى بأن تعد عشر آيات عشرة أجزاء **(على نسبة ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾)**: أى على مقدارها، وإنما زاد نسبة ليشـمل آيـة واحـدة بمقدارهـا كما مر، فالنسبة مجاز عن المقدار، ومعناها الحقيقى لغة واصطلاحًا مشهور.

(أزيد) بالرفع خبر تجزى المصدر، وبالنصب إن كان فعلاً أى تجزيـه أزيـد، أو يكـون أزيد **(من سبعة آلاف جزء، كل واحد منها معجز فى نفسه)** أى بقطع النظـر عـن غـيره، ففيه أزيد من سبع ألف معجزة، وهذا مبنى على ما تقدم من العدد.

(ثم إعجازه) أى القرآن **(كما تقدم)** من ذكر الاختلاف فى مقداره **(بوجهين)**:

الأول: **(طريق بلاغته)** أى ما فيه من مراعاة الوجوه التى بـهـا يطـابق اللفـظ مقتضـى الحال.

(و) الثانى: **(طريق نظمه)** أى أسلوبه، وكونه علـى نسـق لا يشـبه غـيره مـن الكـلام

نظمًا وسجعًا ونثرًا، وتناسب كلماته وجمله، وإيتاء كل كلمة منه ما تستحقه، وتنزيلها فى محل لا يليق بها غيره كما يعرفه من ذاق طعم البلاغة، فقارئه لا يمله وإن كرره كما لا يخفى على من تأمله حق التأمل، ونظر فيه بنور الإيمان، **(فصار فى كل جزء من هذا العدد)** المذكور آنفًا **(معجزتان)**: من جهة بلاغته، ومن جهة نظمه، **(فتضاعف العدد)** أى عدد معجزاته، وهو ماض من التفاعل أو مضارع من المفاعلة **(من هذا الوجه)** أى من هاتين الجهتين: البلاغة والنظم، فإن قلنا كلماته معجزة صار فيه من المعجزات ما لا يعد ولا يحصى.

قال ابن عطية، رحمه الله تعالى: الصحيح الذى عليه الحذاق أن إعجازه بنظمه، وصحة معانيه، وتوالى فصاحة ألفاظه؛ لأنه عز وجل أحاط بكل شىء علمًا وبكل كلام، فأتى فى كلامه بما لا يحيط به علم غيره وقدرته، وبهذا بطل القول بالصرفة.

(ثم فيه وجوه إعجاز أخر) غير ما ذكر من الطريقين **(من الإخبار بعلوم الغيب)** بيان لوجوه أى الأمور الغيبية بما وقع أو سيقع، **(فقد يكون فى السورة الواحدة من هذه التجزئة)** أى الأجزاء المذكورة المضاعفة من جهتى الإعجاز **(الخبر)** أى الإخبار **(عن أشياء من الغيب)** أى الأمور المغيبة عن علمنا **(كل خبر منها بنفسه معجز)** أى باعتبار إخباره عن الغيب، وقطع النظر عن غيره من وجوه الإعجاز، **(فتضاعف)** بصيغة الماضى والمضارع كما مر.

(العدد) المذكور أى العدد المضاعف؛ لقوله: **(كرة أخرى)** أى بعد مضاعفته السابقة، وكرة بمعنى مرة وأصل الكر الرجوع بعد الفر، فهو ضد الفرار. قال امرؤ القيس(١):

مكر مفر مقبل مدبر معا

(ثم وجوه الإعجاز الأخر التى ذكرناها)، وهى ذكر المغيبات **(توجب التضعيف)**، والزيادة إلى ما لا يكاد يحصى كثرة.

(هذا فى حق القرآن) دون غيره من المعجزات التى تزيد على معجزات سائر الأنبياء، **(فلا يكاد يأخذ العدُّ معجزاته)**، وفى نسخة العدد، وهما بمعنى، والمراد بالأخذ الإحاطة مجازًا بليغًا كقوله: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، أى لا يغلبه ذلك أى لا يحيط بها العدد؛ لكثرتها، وهو مبالغة؛ ولذا قال: لا يكاد، ولم يقل: لا يعد، **(ولا يحوى**

---

(١) صدر بيت وعجزه: «كجلمود صخر حطه السيل من عل»، وهو من الطويل، وهو لامرئ القيس فى ديوانه (ص١٩)، لسان العرب (٨٤/١٥)، جمهرة اللغة (ص١٢٦)، تاج العروس (٣١٨/١٣)، كتاب العين (١٧٤/٧)، إصلاح المنطق (ص٢٥)، خزانة الأدب (٣٩٧/٢)، الدرر (١٥٥/٣)، شرح أبيات سيبويه (٣٣٩/٢)، شرح التصريح (٥٤/٢).

الحصر) أى الإحاطة **(براهينه)** أى براهين إعجازه؛ لأن كل جزء فيه معجزة قاطعة البرهان واضحة البيان، ولما فرغ من وجوه الإعجاز العقلية أردفها بالنقلية فقال: **(ثم الأحاديث)** النبوية **(الواردة)** فى الروايات الصحيحة **(والأخبار الصادرة عنه)**، عليه الصلاة والسلام، **(فى هذه الأبواب)** أى أبواب إعجاز القرآن والتحدى به، أو أبواب معجزاته، عليه الصلاة والسلام، كما يؤيده قوله: **(وعن ما دل على أمره)** أى نبوته وعلو شأنه **(مما أشرنا)** فيما سبق من هذا الكتاب **(إلى جملة)** منه، وفى نسخة إلى جمل **(يبلغ نحوا)** أى قريبًا **(من هذا)** المقدار الكثير.

(الوجه الثانى) من وجهى ظهور معجزاته وشهرتها، وأنها أظهر من معجزات سائر الرسل قبله **(وضوح معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم)** أى شهرتها بحيث لا تجهل، وهذا عين ظهورها، أو مستلزم له، والمراد به شدة إيضاحها بحيث لا تخفى على أحد غير أعمى الفكر والنظر، وأنها لا يرتاب فيها عاقل مع بقائها على ممر الدهور وازدياد شهرتها فى كل عصر كالشمس فى رابعة النهار، وهذا مما يدل على أظهريتها دلالة ظاهرة لا عينها، فسقط ما قيل: إن المدعى أن معجزاته أظهر من غيرها، والوضوح عين الظهور فهو مصادرة للاستدلال على الشىء بنفسه، وحاصله الظهور بالكثرة، فيرجع إلى الوجه الذى قبله إلا أن يقال: المراد بقاؤها على وجه الدهر إلى يوم القيامة، فيكون المراد الزيادة فى الوضوح بهذا الاعتبار وإن كان فيه الإخبار بمعجزات الرسل، وفيه خلط وخبط لا يخفى، وقد أشار إلى ما ذكرناه المصنف بتفسيره بقوله: **(فإن معجزات الرسل كانت بقدر همم أهل زمانهم)** أى همتهم فيما يهتمون به ويعتنون، **(وبحسب)** بفتح الحاء والسين المهملتين، وقيل: إنه بسكون السين، وهو بمعنى المقدار **(الفن)** أى النوع **(الذى سما)** أى اشتهر وعلا مقداره بينهم؛ لاعتنائهم به **(فيه قرنه)** بفتح القاف وسكون الراء أى عصره، والمراد به أهله مجازًا، أو بتقدير مضاف، والقرن الزمن المقترن فيه أعمارهم وأحوالهم، واختلف فى مقداره هل هو مائة سنة أو ثمانون أو أقل كما تقدم، ثم فصل هذا بقوله: **(فلما كان زمان موسى)** كليم الله، عليه الصلاة والسلام، أى زمن بعثته ونبوته **(غاية علم أهله)** أى أهمه وأعظمه عندهم **(السحر)**، وهو معروف تقدم الكلام عليه **(بعث إليهم بمعجزة تشبه ما يدعون قدرتهم عليه)**، وليست منه للفرق بين السحر والمعجزة، **(فجاءهم)** على يد موسى، عليه الصلاة والسلام، **(منها ما خرق عادتهم)** أى خالف ما يعتادونه، ويسهل عليهم فعله، وأصل الخرق إبانة جسم من آخر، فنقل لما ذكر كخرق الإجماع أى مخالفته، وهو استعارة صار حقيقة عرفية، وذلك كقلب العصا حية، واليد البيضاء من غير سوء، **(ولم يكن)** ما جاء به **(فى قدرتهم)** أى لا يقدرون عليه، فيدخل فى جملة مقدراتهم، **(وقد أبطل سحرهم)** بما عارضهم به، وهى جملة حالية يشير

إلى ما قصه الله فى كتابه العزيز، وفى نسخة: وأبطل بدون قد، فهو معطوف على جاءهم.

(وكذلك) أى كزمن موسى، عليه الصلاة والسلام، **(زمن عيسى)** ابن مريم، صلى الله تعالى عليه وسلم، **(أغنى ما كان الطب)** أى أعظم ما كان فى عصره وعهد رسالته علمه، والطب فى اللغة معناه العادة والسحر، وفى العرف علم يعرف به أحوال الإنسان من حيث الصحة والسقم، وأغنى أفعل تفضيل بغين معجمة ونون من الغنا وهو الفائدة، وقيل: إنه بعين مهملة ومثناة تحتية أى أكثر مشقة وتعبًا، وقيل: إنه بغين معجمة ومثناة تحتية من الغاية وهو النهاية، وهو بعيد ولم نره فى كلامهم لتفسيره بأنهى، والطب مثلث الطاء مشدد الباء.

(وأوفر ما كان أهله) أى أهل الطب وعلماؤه أى أكثر ما كان فى زمنهم، **(فجاءهم)** على يد عيسى، عليه الصلاة والسلام، **(أمر لا يقدرون عليه)** بواسطة علمهم بالطب، فإنهم لا يقدرون على إزالة الأمراض المزمنة والخلقية، وقدرتهم فى الأكثر على حفظ الصحة.

وكم من مرض أعيى الطبيب المداويا

(وأتاهم ما لم يحتسبوه) أى ما لم يخطر ببالهم وقدرة حسابهم، وما لم يترقبوه، وجعل أمر وما فاعلاً، ولم يقل أتاهم بأمر وبما، وهو الظاهر إشارة إلى أنه من عند الله من غير تصنع وحيلة، وفى نسخة يحسبوه أى يظنوه ويقدروه، قيل: ويجوز فيه ضم الياء إليه ينكرونه، وهو بعيد لفظًا لا معنى **(من إحياء الميت)** بتخفيف الياء وتشديدها **(وإبراء الأكمه)** أى الذى ولد أعمى مطموس العين: أى فتح عينه حتى يبصر **(والأبرص)**، وهو الذى فيه بياض يخالف لونه، والخفيف منه يسمى بهقًا **(من دون معالجة)** المعالجة المزاولة، وعند الأطباء مداواة الأمراض بعد تشخيصها، **(وطب)** المراد به هنا المعنى المصدرى أى إعطاء الدواء، وإنما كان مداواة عيسى، عليه الصلاة والسلام، بالدعاء والتوجه إلى الله تعالى، وكان يجتمع عنده من المرضى العدد الكثير، ومن لم يقدر على المجىء إليه يذهب بنفسه إليه، وكان أطباء عصره لا يقدرون على ما ذكر، فلذا كان معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم.

(تنبيه): قال البخارى فى تفسير الأكمه الذى يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل، انتهى، وقال السهيلى: إنه قول فيه فلا يرد الاعتراض بأنه معنى الأعشى، وإنما الأكمه من ولد أعمى.

(وهكذا) أى مثل ما ذكر **(سائر معجزات الأنبياء)** فى أنها كانت مقدار علم أهل زمانهم وما يهتمون به من الأحوال والعلوم.

(ثم إن الله تعالى بعث محمدًا صلى الله تعالى عليه وسلم، وجملة معارف العرب) جمع معرفة بمعنى المعروف عندهم، لا جمع معروف ضد المنكر المجهول كما قيل، **(وعلومها)** أى ما يعلمونه من الجزئيات والكليات **(أربعة)** أنواع **(البلاغة)** أى الملكة، والجبلة التى يعرفون بها تأدية الكلام حقه فى كل مقام من مقاماته نظما ونثرًا، وهم فرسان ميدانها، **(والشعر)** الكلام الموزون المقفى، **(والخبر)** عمن سلف وما لهم من الوقائع والأيام والأنساب والمنازل، **(والكهانة)** بفتح الكاف مصدر، وبكسرها صناعته، وحرفته وهى معاناة علم المغيبات بتلقيها عن الجن كما مر.

(فأنزل عليه القرآن) أى أنزل الله عليه، صلى الله تعالى عليه وسلم، ما يناسب قرنه، وأهل عصره أعنى القرآن أى كلامه الموحى إليه **(الخارق)** أى المخالف **(لهذه الأربعة فصول)** أى الأنواع المذكورة، وهى البلاغة وما معها، فهى جمع فصل، وهو النوع المستقل المنفصل المتميز عن غيره **(من الفصاحة)**، وهى خلوص الكلام عن الغرابة وغيرها مما يشينه، من فصح بمعنى خلص، ويشمل البلاغة، والفرق بينهما اصطلاح طارئ فى علم المعانى، ومعناهما عندهم غنى عن البيان لشهرته **(والإيجاز)** أى اختصار الكلام اختصارًا غير مخل، ويقابله الإطناب والمساواة و لم يذكرهما لعلمهما بالمقابلة؛ لأنهما الأكثر ونكات الإيجاز أكثر وأعظم فهو أهم عندهم، **(والبلاغة)** وقيدها بقوله: **(الخارجة لهذه عن نمط كلامهم)** أى كلام العرب؛ لدخولها فى الفصاحة كما مر، والنمط بمعنى الجنس والطريقة أى لا يعرفون مثل بلاغته؛ لخروجها عن جنس بلاغتهم، وما يعهدونه فى مخاطباتهم ومحاوراتهم، والنمط الجماعة من الناس أمرهم واحد، فاستعير لما ذكر أى نوعه وطريقته، **(ومن النظم)** أى تأليف الكلمات وتركيبها متناسبة كنظم الجواهر وعقدها، وليس المراد الكلام المنظوم شعرًا **(الغريب)** أى الذى لم يعهده البلغاء فى كلامهم، **(والأسلوب)** أى الطريق **(العجيب)** أى الذى يتعجب منه سامعه، أو يعجبه ويستحسنه **(الذى لم يهتدوا)** أى لم يصلوا ويقدروا **(فى المنظوم)** أى المؤلف من كلامهم **(إلى طريقه)**، فضلا عن الاهتداء إليه نفسه، حتى يعارضوه وينسجوا على منواله الذى هو ينسج وحده، **(ولا علموا فى أساليب الكلام)** مطلقًا أو المنثور من خطبهم وأسجاعهم، **(والأوزان)** الشعرية الموزونة على بحوره **(منهجه)** أى طريقه، **(ومن الإخبار)** بكسر الهمزة ويجوز فتحها جمع خبر **(عن الكوائن)** أى عما سيكون فى المستقبل من المغيبات جمع كائن، وهو معطوف على قوله من النظم، وأعاد من؛ لأنه نوع آخر من الإعجاز ولطول الفصل بينهما، كقوله: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ﴾ [البقرة: ٢٤].

(والحوادث) أى ما يحدث فى المستقبل أيضًا **(والأسرار)** أى ما أسروه فى أنفسهم كقوله تعالى فى قصة أزواجه، صلى الله تعالى عليه وسلم: ﴿وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾

[التحريم: ٣]، **(والمخبآت)** أى ما أخفوه عنه فأطلعه الله عليه، **(والضمائر)** أى ما أضمروه فى أنفسهم كقصة مسجد الضرار، ثم فسر ذلك بقوله، **(فتوجد)** تلك الأمور المخبر عنها وما أسر وأخفى عنه **(على ما كانت عليه)** ذاتا وصفة مطابقة لما قاله، **(ويعترف)** ويقر **(المخبَرُ)** بفتح الباء اسم المفعول أى من أخبره الرسول بما أطلعه الله عليه **(عنها بصحة ذلك)** الخبر الذى أخبره به **(وصِدْقِه)** بمطابقته للواقع **(وإن كان)** المخبَر بالفتح **(أعدى العدو)** أى أقوى أعدائه وأشدهم عداوة له، صلى الله تعالى عليه وسلم، فأعدى أفعل تفضيل من العداوة مسموع على خلاف القياس، والعدو بمعنى الأعداء؛ لأنه يطلق على الواحد وغيره كقوله تعالى: ﴿مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ﴾ [النساء: ٩٢]، أى مع شدة عداوته لا يمكنه إنكاره هربًا من وصمة التكذيب؛ لظهور صدقه؛ **(فأبطل)** القرآن أو النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، **(الكهانة)** بفتح الكاف مصدر وبكسرها صناعته وحرفته كما مر، والرواية هنا الكسر؛ لأنه الأنسب **(التى تصدق مرة وتكذب عشرا)** صفة الكهانة: أى التى كذبها أكثر من صدقها كما ورد فى الحديث أنه تعالى كان إذا قضى أمرًا فى السماء سبحت حملة العرش، ثم أهل كل سماء حتى ينتهى إلى سماء الدنيا، فتستخبر أهل كل سماء ممن فوقهم حتى ينتهى الخبر إلى أهل هذه السماء، فتخطفه منهم الجن، ويزيدون فيه من عندهم ما يزيدون من أكاذيبهم، وبما فسرناه ظهر سقوط ما قيل صوابه مائة بدل قوله عشر؛ لأنه ورد فى الحديث تكذب مائة أو أكثر من مائة، **(ثم اجتثها)** بجيم ومثناة فوقية ومثلثة، والضمير للكهانة أى قطعها بعد إبطالها، وعطف بثم لأنه أبلغ مما قبله وأبعد رتبة، وأصل معناه نزع الشجر ونحوه بعروقه وأصوله كقوله: ﴿ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ [إبراهيم: ٢٦]، ففيه استعارة مرشحة بقوله: **(من أصلها)** وإن كان المراد به إزالتها بالكلية **(برمى الشهب)** بضم الهاء وسكونها جمع شهاب أى رمى الشياطين بشهب تمنعهم من استراق السمع لما تلقى الكهنة، والمراد زيادة الرمى وكثرته فإنه كان قبل كما مر، وفى نسخة رجم بدل رمى، **(ورصد النجوم)** رصد بسكون الصاد المهملة مصدر رصده يرصده إذا ترقبه وأعد له ما يمنعه، ويجوز فتحها ويكون واحدًا أو جمعًا لراصد كخدم، فهو من إضافة الصفة لموصوفها أى النجوم المرصدة أى المعدة لمنعهم من السمع، وذلك لأن الشهب نجوم أو شعل نار تنفصل منها، وارتضاه كثيرون فرصدها لأنها مبدأ لما يمنعهم.

(وجاء) فى القرآن **(من الأخبار عن القرون)** والأمم **(السالفة)** أى الماضية قديمًا **(وأنباء)** جمع نبأ وهو الخبر **(الأنبياء والأمم البائدة)** أى الهالكة الفانية فى الزمن السابق يقال: باد يبيد إذا هلك، وفى الحديث: «الجنة لا تبيد أبدا»، أى لا تهلك ولا يموت أهلها، **(والحوادث)** أى الأمور الواقعة من خير وشر فى الأزمان السالفة **(الماضية)** قبل

ذلك **(ما يعجز من تفرغ لهذا العلم)** أى العلم بالأخبار وتواريخ الأمم **(عن بعضه)** أى عن معرفة بعض منه فضلا عن جميعه، وما فاعل جاء، ومن فاعل يعجز **(على الوجوه التى بسطناها)** أى جاء مبينا على وجوه تقدمت مفصلة، **(وبينا المعجز فيها)** أى أوضحنا المعجزات فيها بما أغنى عن إعادته.

(ثم بقيت هذه المعجزة) أى القرآن، وفى نسخة المعجزات باعتبار وجوه إعجازه **(الجامعة لهذه الوجوه)** أى وجوه الإعجاز المذكورة آنفًا **(المضمومة إلى الفصول الأخر)** يعنى الأربعة المتقدمة **(التى ذكرناها فى معجزات القرآن ثابتة إلى يوم القيامة)** لا تبدل ولا تغير ولا تذهب، أبقاها الله **(بينة الحجة)** أى ظاهرة الدلالة على رسالته، صلى الله تعالى عليه وسلم، **(لكل أمة تأتى)** بعد نزول القرآن جيلا بعد جيل، وعصرًا بعد عصر **(لا يخفى وجوه ذلك)** الإعجاز الذى ذكر أولاً **(على من نظر فيه)** أى من نظر فى القرآن بتلاوته أو سماعه، **(وتأمل وجوه إعجازه)** أى أطال النظر فيها، وكرره وهو من الأمل تفعل تجوز به عما ذكر لترقب الأمل وامتداده **(إلى ما أخبر به من الغيوب)** أى مع ما أخبر به من المغيبات **(على هذا السبيل)** والطريق المذكور، **(فلا يمر عصر وزمن)** أى يجيء كالمار على أهله، وليس المراد به ينقضى لقوله **(إلا ويظهر فيه صدقه)** أى صدق القرآن، أو النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، **(بظهور مخبره)** بفتح الباء أى ما أخبر به أو خبره **(على ما أخبر)** أى كائنًا متحققا على وفق خبره، أو باقيا على حاله فى وجوه إعجازه السابقة: أى أخبر به، فهو مبنى للفاعل، **(فيتجدد الإيمان)** به كل ما ظهر أمر جديد مصدق له بوقوع ما فيه، **(ويتظاهر البرهان)** أى يقوى الدليل ويزيد قوة، وأصل التظاهر المعاونة والمساعدة كأنه يستند لظهوره، **(وليس الخبر كالعيان)** وهو بكسر العين المعاينة والمشاهدة ولا تفتح فيه العين، وهو مَثَل، وورد فى الحديث الصحيح: «ليس الخبر كالمعاينة»؛ لأن الخبر يحتمل الصدق والكذب بقطع النظر عن قائله، فإذا شوهد معناه بان المراد واطمأن الفؤاد، ولذا قال إبراهيم، عليه الصلاة والسلام: ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ [البقرة: ٢٦٠]، **(كما قيل)**:

ولكن للعيان لطيف معنى ... له سأل المعاينة الكليم

(وللمشاهدة) بحس البصر **(زيادة فى اليقين)** الذى كان بالبرهان القاطع، **(والنفس أشد طمأنينة)** الطمأنينة والاطمئنان السكون بعد الانزعاج **(إلى عين اليقين)** أى إلى ما يتيقن بالمعاينة والمشاهدة **(منها)** أى من طمأنينتها **(إلى علم اليقين)** أى العلم المتيقن بالبرهان القاطع، فالنفس مفضل ومفضل عليه باعتبار حالتين، **(وإن كان كل)** من عين اليقين وعلم اليقين **(عندها)** أى عند النفس، وفى علمها، فإن عند يكون بمعنى العلم كما

فسر عند الله تعالى بعلمه تارة وحكمه أخرى (**حقًا**) أى متحققًا ثابتًا بلا مرية، لكن الأول أقوى، وفيه إشارة إلى الفرق بين عين اليقين وعلم اليقين وحق اليقين، وفيه كلام فصلناه فى غير هذا المحل، والأول ضرورى وغيره نظرى.

(**وسائر معجزات الرسل**) قد مر، وفصلناه فى شرح الدرة أن لفظ سائر ورد بمعنى الباقى من السؤر المهموز، وبمعنى الجميع من السير المعتل، وأن من أنكر الثانى كالحريرى وغيره لم يصب (**انقرضت بانقراضهم**) أى انقطعت وذهبت معهم بسبب ذهابهم، (**وعدمت**) بعد وجودها وعدم مبنى للمجهول؛ لأنه يقال: عدمه كعلمه بمعنى أعدمه بزنة كرم (**بعدم**) بفتحتين أو بضم فسكون (**ذواتها**) أى الرسل، وفى نسخة ذواتهم جمع ذات بمعنى نفس، وفى ثبوتها فى اللغة كلام تقدم، ويأتى والمعروف أنه بمعنى صاحبة مؤنث ذو المشهور فى العربية: أى تلك المعجزات تعدم فتنقرض، وإن علم ثبوتها لكونها أمرًا غير مؤبد، ومعنى عدم ذوات الأنبياء ذهابها من الدنيا وعن الحس، وإن كانت باقية فى البرزخ أحياء لا يموتون كما فى حديث الإسراء والاجتماع بالأنبياء.

(**ومعجزة نبينا، صلى الله تعالى عليه وسلم**)، يعنى القرآن (**لا تبيد**) أى لا تفنى وتعدم، (**ولا تنقطع**) أى تذهب بالكلية، (**وآياته**) أى معجزاته، صلى الله تعالى عليه وسلم، التى تضمنها القرآن (**تتجدد ولا تضمحل**) بالضاد المعجمة والميم والحاء المهملة واللام المشددة: أى لا تنحل وتفنى كاضمحل السحاب إذا انقشع، (**ولهذا**) المذكور من بقاء معجزاته، صلى الله تعالى عليه وسلم، (**أشار صلى الله تعالى عليه وسلم، بقوله**) فى حديث صحيح رواه البخارى، رحمه الله تعالى، والإشارة هنا بمعنى التصريح، أو عبر به لأنه غير صريح فيما ذكر؛ لأن الوحى الآتى أعم من القرآن، فيحتمل أن المراد به أحكام شريعته الباقية إلى يوم القيامة، والظاهر أن المشار إليه ما مر من أن القرآن فيه معجزات لا تحصى، وليس بصريح الحديث كما سنبينه (**فيما حدثنا به القاضى الشهيد أبو على**) ابن سكرة وقدمنا ترجمته قال: (**حدثنا القاضى أبو الوليد**) تقدم أيضًا قال: (**حدثنا أبو ذر**) الهروى وقد تقدم قال: (**حدثنا أبو محمد**) بن حمويه السرخسى وقد تقدم، (**وأبو إسحاق**) المستملى كما تقدم، (**وأبو الهيثم**) الكشميهنى كما تقدم (**قالوا: حدثنا الفربرى**) راوى صحيح البخارى، وقد تقدم ضبط نسبته قال: (**حدثنا البخارى**) صاحب الصحيح المشهور قال: (**حدثنا عبد العزيز بن عبد الله**) العامرى الأوسى الفقيه الحافظ الثقة، • وترجمته فى الميزان قال: (**حدثنا الليث**) تقدمت ترجمته (**عن سعيد**) المعروف بالمقبرى (**عن أبيه**) كيسان أبو سعيد المقبرى نسبة للمقبرة؛ لأنه كان يتولى حفرها وهو مولى بنى ليث، روى عنه أصحاب الكتب الستة، وتوفى سنة مائة فى خلافة الوليد وهو ثقة (**عن أبى هريرة**)، رضى الله تعالى عنه، هو عبد الرحمن بن صخر، وفى اسمه اختلاف كثير لشهرته بكنيته كما مر.

(عن النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم)، فى حديث صحيح رواه البخارى ومسلم والنسائى، وما ذكره المصنف، رحمه الله تعالى، لفظ البخارى **(قال: ما من الأنبياء)** تقديره ما من نبى من الأنبياء **(إلا أعطى)** بالبناء للمجهول أى إلا أعطاه الله تعالى **(من الآيات)** أى المعجزات الظاهرة **(ما مثله)** ما موصولة أو موصوفة **(آمن)** بالمد ماض أى صدق **(عليه البشر)** على تعليلية كما فى قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٥]، أو تقديره مستقرًا عليه البشر يعنى أهل عصره، **(وإنما كان الذى أوتيت)** من الآيات والمعجزات **(وحيا أوحاه الله تعالى عز وجل، إلى)** يعنى القرآن المعجز المتحدى به، ثم رتب عليه قوله: **(فأرجو)** من الله تعالى بما أكرمنى به من المعجزة الشاملة على معجزات لا تتناهى الباقية إلى يوم القيامة التى ليست كمعجزة غيرى تنقرض بانقراضهم، فيؤمن بها فى كل أمة ما لا يحصى، فلذا رجوت **(أن أكون)** دونهم **(أكثرهم تابعا)** أى أمة **(يوم القيامة)** إذا حشرت الأمم مع أنبياءهم **(هذا معنى)** هذا **(الحديث عند بعضهم ممن)** فسره وبين المراد منه ففيه إشارة إلى كثرة ما فيه من المعجزات، وأنه باق على وجه الدهر إلى يوم القيامة لا يقبل نسخًا ولا تبديلاً، ولا ينسى كغيره من الكتب والمعجزات، ومثله المتقدم المراد به نفسه كما فى قولهم: مثلك لا يبخل وعليه للتعليل كما مر.

وعبر بها لما فيها من الدلالة على الاستعلاء بالقهر والغلبة الملزم لهم بالإيمان به، وقال: إنما مع كثرة ماله من المعجزات إشارة إلى أنه أعظم معجزاته، والعرب قد تحصر الشىء فى فرد كامل منه بادعاء أن ما عداه لا يعد معه لكفايته عن غيره، وقد حقق الله تعالى رجاءه، صلى الله تعالى عليه وسلم، **(وهو الظاهر)** من معنى الحديث، **(والصحيح إن شاء الله)** وقد تقدم الكلام على هذا الحديث مستوفى، ثم أشار إلى أن فيه وجوها أخر بقوله: **(وذهب غير واحد)** أى كثير **(من العلماء)** أى علماء الحديث **(فى تأويل هذا الحديث)** أى تفسيره وبيان ما يئول إليه، وعبر بالتأويل إشارة إلى أنه خلاف الظاهر بعد ما صرح به، **(وظهور معجزة نبينا، صلى الله تعالى عليه وسلم)**، أى فى بيان وجه ظهورها **(إلى معنى آخر)** غير ما ارتضاه **(من ظهورها)** أى بيان ظهورها **(بكونها)** أى هذه المعجزة الباهرة **(وحيا)** أى كلاما موحى إليه من الله، فقوله: **(وكلامًا)** عطف تفسير؛ لأن الوحى يحتمل المعنى المصدرى، ثم بين وجه الظهور على هذا فقال: **(لا يمكن)** لأحد ممن ينكره **(التخيل فيه)** تفعل من الخيال بالخاء المعجمة، وفى نسخة التخييل بالتفعيل منه، والأول أنسب بقوله **(ولا التحيل عليه)** بالحاء المهملة؛ لأنه كلام بليغ دال على معناه وما قصد به دلالته لا يمكن الواقف عليه أن يقول: إنه تخيل وتمويه لا أصل له، ولا أن يعمل حيلة فى الإتيان بمثله كما فعل سحرة موسى، عليه الصلاة والسلام، بحبالهم إذ جعلوها تتحرك

كعصاه **(ولا التشبيه)** به، **(فإن غيرها)** أى غير المعجزة القرآنية **(من معجزات الرسل)** كلها **(قد رام)** أى قصد وطلب **(المعاندون)** أى المنكرون **(لها)** عنادًا **(بأشياء)** متعلق برام **(طمعوا)** أى توهموا، فجعل كالمتوهم لقربه منه معنى **(فى التخييل)** والتمويه **(بها)** بإظهار ما لا حقيقة له **(على الضعفاء)** المراد بهم العامة الذين ضعف عقلهم عن الفرق بين السحر والمعجزة، لعدم تمييزهم **(كإلقاء السحرة)** عند فرعون جمع ساحر **(حبالهم وعصيهم)** جمع حبل وعصا؛ لإبطال معجزة عصا موسى بالإتيان بمثلها، فلما ابتلعت عصى موسى ما ألقوه وأبطلته علموا أنها معجزة، فآمنوا به واختاروا القتل على اتباع فرعون، ولم يغن كيده شيئًا، **(وشبه هذا)** المذكور فى قصة موسى **(مما يخيله)** بالمعجمة أى يلبس به ويموه **(الساحر أو يتحيل فيه)** بالحاء المهملة أى يأتى حيلة منه غير واقعة ثم أشار إلى أن معجزة نبينا، صلى الله تعالى عليه وسلم، لا تقبل ما ذكر بقوله: **(والقرآن كلام)** من جنس الكلام البالغ غاية البلاغة ومثله **(ليس للحيلة)** ممن لا يقدر عليه، **(ولا للسحر فى التخييل فيه)** بأن يعمل بقوة السحر ما يؤثر فى شخص لا بلاغة له حتى يتكلم بكلام بليغ خطبة أو شعرًا **(عمل)** أى تأثير كما عرفته آنفًا، فإن ساحرًا لو أتى عاميًا لا قدرة له على كلام حسن، ثم سحره بجميع أنواع سحره لا يمكنه أن يقوم فى ناد منشدًا أو خطيبًا، فإنه أمر جبلى لا يمكن إيجاده لغير خالق القوى والقدرة، فتجد الجلف الأعرابى يتكلم بكلام عند أعقل الناس وأظرفهم لا يمكنه أن يأتى بشىء منه، وبهذا علم أن الكلام لا يكون بحيلة ولا سحر، فما بالك بكلام أفحم جميع الفصحاء وأخرس ألسنة البلغاء؟ وهو المراد بقوله: **(فكان)** القرآن من حيث كونه كلامًا **(من هذا الوجه)** أى من الجهة المذكورة بقطع النظر عن غيرها من جهات الإعجاز **(عندهم)** أى عند المفسرين لهذا الحديث بما ذكر ثانيًا **(أظهر من غيره من المعجزات)**؛ لعدم قبول التخييل والتمويه **(كما لا يتم)** أى يحصل ويتيسر، وعبر بالتمام؛ لأنه يتحقق به الأمر، ولذا قيل: الأعمال بخواتمها، أى بأواخرها **(لشاعر)** يتكلم بالمنظوم، **(ولا خطيب)** يتكلم بالمنثور **(أن يكون شاعرًا أو خطيبًا يضرب)** أى بشىء ونوع **(من الحيل)** جمع حيله، **(والتمويه)** أى التخييل والتلبيس، وهو مأخوذ من قولهم: موه النحاس بذهب أو فضة لتوهم من رآه أنه ذهب أو فضة، وهو فى الأصل من الماء يذاب، فيصير كالماء ثم يطلى به، وتقول العامة لمذابه: ماء الذهب وماء الفضة، وصيغة فعل يكون للتشبيه كثيرًا، فإنكار أهل المعانى لقوله: أنف مسرج بمعنى كالسراج فى البريق واللمعان لا وجه له كما مر.

(والتأويل) أى التفسير **(الأول)** الذى قال: إنه الظاهر الصحيح **(أخلص)** أفعل تفضيل من خلص بخاء معجمة ولام وصاد مهملة، أى أصفى من الكدر أى الإشكال.

قال فى المغرب: والخلوص الصفا، ويستعار للموصول انتهى، وهو بمعنى أجود، أو من الخلاص بمعنى النجاة والسلامة، **(وأرضى)** أفعل تفضيل من الرضى أى أكثر رضى وقبولا عند العقول السليمة.

(وفى هذا التأويل الثانى) الذى ذهب إليه غيره من علماء الحديث **(ما يغمض)** بالبناء للمجهول وتشديد الميم قبل ضاد معجمة من تغميض الجفن، وهو غطاء العين ومعنى يغمض **(عليه الجفن)** أنه يغض عنه البصر والنظر، فلا يلتفت إليه ويعتنى به، أو هو كالقذاء فى العين الذى يمنع انفتاح الأجفان، وهو كناية عن أنه غير سالم من الاعتراض، **(ويغضى)** بغين وضاد معجمتين وألف مبنى للمجهول، لأجل قافية السجع من أغضى الجفن إذا أطبقه، أو بمعنى سكت وهو قريب مما قبله، قيل: جعله مرجوحًا؛ لما فيه من إيهام أن معجزات الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، يمكن معارضتها، ولو بطريق التخييل والحيلة، وفيه وجوه أخر.

(وجه ثالث) فى إعجاز القرآن وأنه أعظم معجزاته، صلى الله تعالى عليه سلم، **(على مذهب من قال بالصرفة)** على أن إعجازه بصرف الله قدرتهم وتمكنهم من معارضته مع أنهم بحسب الجبلة قادرون على الإتيان بمثله لولا ما ذكر، وإليه ذهب النظام وكثير من المعتزلة والشريف المرتضى من الشيعة، **(وأن المعارضة)** له والإتيان بمثله **(كانت فى قدرة البشر فصرفوا عنها)** إما بسلب قدرتهم ودواعيهم، أو بسلب علمهم بتأليف كلام مثله وتمكنهم منه، **(أو على أحد مذهبى أهل السنة من أن الإتيان بمثله من جنس مقدورهم)** على الإتيان بكلام من جنسه، أى مما هو فى قدرتهم متمكنون منه، ولكن لم يكن ذلك قبل بالبناء على الضم أى قبل ظهوره، **(ولا يكون بعد)** بالضم وقيل: المراد قبل التحدى وبعده؛ **(لأن الله تعالى لم يقدرهم)** بسكون القاف وفتحها وتشديد الدال وتخفيفها: أى لم يجعل فيهم القدرة على الإتيان بمثله؛ لأنهم لم يسمعوا كلامًا مثله، **(ولا يقدرهم عليه)** بعده، ولما كان هذا المذهب قريبًا مما قبله أشار إلى الفرق بينهما بقوله: **(وبين المذهبين)** أى مذهب الصرف والمذهب المذكور بعده **(فرق بين)** التشديد واضح ظاهر؛ لتمكنهم على الأول من الإتيان بمثله، لكن صرفوا عنه، ولعدم تمكنهم منه على الثانى مع أنه من جنس مقدورهم، ومثله فى الجملة، وليس هذا نوع من الصرفة، وذهب إليه بعض أهل السنة كما توهم، وهو عجيب من قائله فتدبر.

(وعليهما جميعًا) أى على هذين القولين **(فترك العرب)** الفصحاء على المذهب الأول **(الإتيان بما فى مقدورهم)** أى قدرتهم على الإتيان بما هو مثله، أو مثل بعضه كأقصر سورة منه، **(أو)** تركهم على الثانى **(ما هو من جنس مقدورهم)** أى من جنس كلامهم

البليغ الذى يقدرون عليه، **(ورضاهم)** أى اختيارهم **(بالبلاء)** أى بما ابتلوا به لعنادهم، **(والجلاء)** بفتح الجيم واللام والمد بوزن البلاء، وهو إخراجهم من ديارهم وأوطانهم، **(والسباء)** بكسر السين المهملة والموحدة والمد، وهو سبى أولادهم وأهلهم واسترقاقهم، **(والإذلال)** لأنفسهم وأهليهم، **(وتغيير الحال)** التى كانوا عليها من العزة والشهامة، **(وسلب النفوس)** بالقتل والفتك فيهم، **(والأموال)** بأخذ الغنائم منهم، **(والتقريع)** باللوم والزجر والتغيير، **(والتوبيخ)** بذمهم وتقبيح ما هم عليه من الجهل، **(والتعجيز)** بإظهار عجزهم بالتحدى، **(والتهديد)** لهم بإنذارهم بعذاب الدنيا والآخرة، **(والوعيد)** بما يقع بهم إن لم يؤمنوا **(أبين آية)** أى أظهر علامة وهو خبر قوله فترك العرب **(للعجز عن الإتيان بمثله)** أى بمثل القرآن فى فصاحته وإعجازه.

(والنكول) وهو النكوص أى الرجوع والإعراض **(عن معارضته)** أى الإتيان بمثله **(وأنهم منعوا عن شىء هو من جنس مقدورهم)** أى كلامهم الذى يقدرون عليه، لا من نوعه المشابه له من جميع الوجوه.

(وإلى هذا) المذهب وهو أنهم قادرون على شىء من جنسه عاجزون عن مثله لا بالصرفة، وهذا هو الفرق بين القولين **(ذهب)** أى اختاره مذهبًا **(الإمام أبو المعالى الجوينى)** منسوب إلى جوين بزنه المصغر اسم بلدة، وهو إمام أهل السنة عربا وعجما فرد الأمة عبد الملك بن عبد الله بن يوسف النيسابورى الشافعى إمام الحرمين، أعلم أئمة الشافعية هو ووالده، ولد فى ثامن عشر المحرم سنة تسع عشرة وأربعمائة، وتوفى سنة ثمان وسبعين وأربعمائة فى الخامس والعشرين من ربيع الآخر، **(وغيره)** من أهل السنة.

(وقال) أبو المعالى: **(وهذا)** إعجاز **(وعندنا أبلغ)** أى أقوى وأكثر مبالغة **(فى خرق العادة بالأفعال البديعة)** أى المبتدعة الغريبة **(فى أنفسها)** أى فى حد ذاتها، وهو متعلق بالبديعة، وفى نسخة فى أنفسنا وهو متعلق بأبلغ **(كقلب العصا حية)** لموسى، عليه الصلاة والسلام، وكانت من شجر اللوز، وفيها معجزات كانت تثمر له وتضىء وينتفع بها إلى غير ذلك مما فصلوه، **(ونحوها)** كاليد البيضاء وإبراء الأبرص والأكمه وإحياء الموتى.

(فإنه) أى الأمر والشأن أو كونه أبلغ **(قد يسبق إلى بال الناظر)** فيها وفكره وخاطره **(بدارًا)** أى مبادرًا بسرعة فى أول نظره **(أن ذلك)** الأمر البديع الخارق للعادة نشأ **(من اختصاص صاحب ذلك)** الأمر الذى ظهر على يديه **(بمزيد معرفة)** أى بزيادة معرفة امتاز بها عمن لم يقدر عليها **(فى ذلك الفن)** أى النوع الذى كان يعتنى به أهل زمانه، **(وفضل علم)** به وأحواله **(إلى أن يرد ذلك)** الخاطر الذى سيق لفهمه **(صحيح النظر)**

بالتأمل والتدبر فيه حتى يعلم إعجازه.

ثم بين أبلغيته وقوته بقوله: **(وأما التحدى)** أى طلب معارضة الكلام، أو تقدم أنه مشتق من الحد التقابل الحداة فى حداتهم للإبل **(للخلائق)** جمع خليقة بمعنى خلق **(مئين)** بكسر الميم جمع مائة **(من السنين)** فى عصر النبوة وبعده إلى غير النهاية **(بكلام من جنس كلامهم)** المقدور لهم؛ **(ليأتوا بمثله)** علة للتحدى، **(فلم يأتوا)** أى لم يقدروا على مثله، وهم فحول البلاغة وقد وبخوا وعيروا على رءوس الأشهاد، **(ولم يبق بعد توفر الدواعى)** أى كثرة ما يدعوهم لمعارضته ويحثهم عليها من الحمية الجاهلية **(على المعارضة ثم عدمها)** أى المعارضة مع كثرة دواعيها، **(إلا أن منع الله الخلق عنها)** بالصرفة، أو بعدم القدرة على نوعه دون جنسه، فيصدق على المذهبين، وفى نسخة إلا منع الله إلخ، **(بمثابة)** أى هذا المنع بمنزلة، وأصل المثابة المكان الذى يرجع الناس إليه، أو يكتسبون فيه الثواب، ثم شاع فيما ذكر كما أشار إليه الراغب، وقيل: أصله مبلغ جموم البئر والحجارة حولها، ثم نقل لما ذكر، وقد اصطلح الفقهاء على استعماله للتشبيه كما قيل، فالمراد أنه نحو **(ما لو قال نبى: آيتى ومعجزتى أن يمنع الله القيام عن الناس مع مقدرتهم عليه وارتفاع الزمانة عنهم)** بأن لا يكونوا مقعدين، وهو بيان لقدرتهم على القيام، والمقدرة بضم الدال وفتحها كما تقدم، **(فلو كان ذلك)** أى عدم قيامهم **(وَعَجَّزَهُمْ)** بتشديد الجيم أى جعلهم الله عاجزين عنه، **(لكان ذلك من أبهر آية)** أى أقوى معجزة **(وأظهر دلالة)** على نبوته، **(وبالله التوفيق)** فيه إشارة إلى أن فيه توفيقًا بين القولين لاتفاقهم من وجه واختلافهم من آخر.

(وقد غاب عن بعض العلماء) أى خفى عليهم؛ لأن من شأن الغائب أن يخفى، فأريد به لازمه **(وجه ظهور آيته، صلى الله تعالى عليه وسلم)**، ولتضمينه معنى العلو قال: **(على سائر آيات الأنبياء)** الذين سلفوا قبله، **(حتى احتاج للعذر عن ذلك)** أى عن كون معجزته أظهر من معجزات غيره مع أن إحياء الموتى ونحوه من آيات الأنبياء قد يتوهم أنه أقوى وأظهر **(بدقة أفهام العرب)** أصل معنى الدقة كون الشيء دقيقًا، ثم استعير للوقوف على ما خفى من الأمور، **(وذكاء ألبابها)** جمع لب، وهو العقل الخالص، والذكاء قوة للذهن تقتضى سرعة الانتقال، **(ووفور عقولها)** الوفور من الوفرة، وهى الكثرة والزيادة، والعقول جمع عقل وهو القوة المدركة يعنى أن هذا من شأن هذا الجنس، ولا يضره تفاوتهم بحسب الأشخاص فيما ذكر كما توهم مع أنه لا يرد على المصنف، رحمه الله تعالى؛ لأنه حكاه عن غيره، **(وأنهم)** لما خصوا به من الذكاء والفطنة **(أدركوا المعجزة فيه)** أى فى القرآن لما علموه من خواص تراكيبه، وجزالة معانيه، وحسن نظمه واتساقه **(بفطنتهم)** أى قوة ذكائهم **(وجاءهم من ذلك)** أى حصل فى

نفوسهم من معرفة إعجازه وظهوره على غيره **(بحسب إدراكهم)** بفتح السين أى حصل منه على مقدار إدراكهم وقوته.

(وغيرهم) من الأمم **(من القبط)** القبط بكسر القاف، جيل من الناس كانوا قوم فرعون بمصر، **(وبنى إسرائيل)** أى أولاد يعقوب بن إبراهيم وإسرائيل لقب يعقوب، **(وغيرهم لم يكونوا بهذه السبيل)** أصل معناه الطريق، وهو هنا كناية عن عدم ذكائهم وفهمهم كالعرب، ونفى سبيل الشىء أبلغ من نفيه، **(بل كانوا من الغباوة وقلة الفطنة)** الغباوة: عدم الفهم والبلادة، وعطف قلة الفطنة عليه عطف تفسير، ورجل غبى جاهل قال:

ليس الغبى بسيد فى قومه لكن سيد قومه المتغابى

(بحيث جوز عليهم فرعون أنه ربهم) حيث ظرف مكان، وهو خبر كان أى بلغت غباوتهم أن فرعون قال لهم: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]، فسلموا له ذلك، وهذا بالنسبة للقبط، **(وجوز عليهم السامرى)**، وهو رجل من بنى إسرائيل يسمى موسى ابن ظفر، وهو منسوب لرجل اسمه سامر **(ذلك فى العجل)** أى أنه ربهم فعبدوه، والعجل الصغير من البقر **(بعد إيمانهم)** بالله تعالى: ﴿وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ﴾ [طه: ٨٥]، وكان من أهل كرمان من قوم تسمى السامرة يعبدون البقر، وكان منافقا يظهر الإسلام، فلما مضى موسى، عليه الصلاة والسلام، صاغ لهم عجلا من الحلى وزينه بالجواهر، وقذف فيه ترابًا من أثر فرس ركبه جبريل، عليه الصلاة والسلام، فكان يتحرك، فقال لهم: هذا إلهكم وإله موسى، وإن موسى أخطأ الطريق إليه، فجاءكم يكلمكم كما كلمه، فاتبعوه لسخافة عقولهم كما فصله المفسرون وغيرهم.

(وعبدوا) أى بنو إسرائيل **(المسيح)** عيسى ابن مريم **(مع إجماعهم على صلبه)** وإذا كان ربا كيف يصلب مع أنه اعتقاد باطل، ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٧]، أى ألقى شبهه على رجل إسرائيلى فظن اليهود أنه عيسى، عليه السلام، فصلبوه وهذا جهل عظيم منهم.

(فجاءهم من الآيات الظاهرة البينة للأبصار) أى لعدم دقة أفهامهم كانت آياتهم فى غاية الظهور تدرك بالبصر **(بقدر غلظ أفهامهم ما لا يشكون فيه)** فاعل جاء وعدم شكهم لظهور ما جاءهم، **(ومع هذا)** الظهور **(فقالوا لموسى: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾)** [البقرة: ٥٥]، أى معاينة بأبصارنا لشكهم فيما أتاهم به، وتفصيله فى التفاسير غنى عن البيان، **(ولم يصبروا)** أى بنو إسرائيل **(على المن)**، وهو طل كالعسل ينزل على الأشجار فيجمع ويؤكل، **(والسلوى)** وهو طائر كالسمانى واحده سلواه،

وكانوا لما خرجوا من التيه قالوا لموسى، عليه الصلاة والسلام: أخرجتنا من العمران للفقر، فادع الله أن يرزقنا فرزقهم المن، ثم سألوه أن يطعمهم من اللحوم فأتاهم بالسلوى، فكانوا يأخذونها بأيديهم، ثم قالوا: ﴿لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾ [البقرة: ٦١]، ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ﴾، أى طلبوا بدلاً أدنى مما عندهم، وهو الفوم والعدس والبصل ﴿بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾، وهو المن والسلوى، والباء داخلة على المتروك، وفيها تفصيل أفرد بالتأليف.

(والعرب على جاهليتها) أى على حالها التى كانت عليه قبل الإسلام من الجهل، وأنها أمة أمية، والجاهلية مصدر بمعنى الجهل، وعلى بمعنى مع، وقيل: إنها مستعارة لتمكنهم فى الجهل كقوله: ﴿عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٥].

(أكثرها يعترف بالصانع) أى بوجوده تعالى، وليست معطلة كبعض الأمم، وإطلاق الصانع على الله تعالى صحيح ثبت فى السنة كما ذكره السيوطى، رحمه الله تعالى، وليس مما أحدثوه، وفى قوله أكثرها إشارة إلى أن معهم فرقة دهرية قالوا: ما يهلكنا إلا الدهر، وفرقة عبدوا الملائكة وفرقة عبدت الكواكب، **(وإنما كانت)** عبدة الأصنام منهم **(تتقرب بالأصنام إلى الله تعالى زلفى)** ولا تدعى أنها خالقة رازقة، وزلفى مقصور بمعنى الحظوة من ازدلف، بمعنى دنى، وهو مصدر كالزلفة مؤكد لتتقرب من غير لفظه.

(ومنهم من آمن بالله وحده من قبل) بعثة **(الرسول)**، صلى الله تعالى عليه وسلم، فى الجاهلية كابن نفيل وقس بن ساعدة وأمية بن أبى الصلت **(بدليل عقله وصفاء لبه)** الذى هداه إلى معرفة الله تعالى وتوحيده للنظر فى مصنوعاته[1]:

وفى كل شىء له آية تدل على أنه الواحد

(ولما جاءهم الرسول) صلى الله تعالى عليه وسلم، أى بعثه الله تعالى؛ ليهديهم إلى الله تعالى **(بكتاب الله تعالى)** المنزل عليه **(فهموا حكمته)** أى ما فيه من الحكم والعلوم النافعة، **(وتبينوا بفضل إدراكهم)** وزيادة عقلهم **(لأول وهلة)** أى فى أول نظر بالبديهة منهم، يقال: لقيته أول وهلة بسكون الهاء وفتحها، أى أول شىء، ولام لأول توقيتية، أى عند أول وهلة **(معجزته)** يعنى القرآن، **(فآمنوا)** به **(وازدادوا كل يوم إيمانًا)** وتصديقًا بنبوته ومعجزاته، والإيمان بمعنى التصديق يقبل الزيادة قوة وضعفا عند المحققين، وإن لم نقل إن الأعمال داخلة فيه كما تقرر فى علم الكلام.

(ورفضوا) أى تركوا **(الدنيا كلها فى صحبته)** أى لاختيار صحبته على كل شىء.

(وهجروا ديارهم وأموالهم) طلبًا لرضا الله تعالى ورضاه، صلى الله تعالى عليه وسلم.

---

(١) البيت من المتقارب، وهو لأبى العتاهية فى ديوانه (ص١٠٤).

(وقتلوا آباءهم وأبنائهم) المعاندين له لأجل نصرته وإعزاز دينه **(فى نصرته)** فى هنا تعليلية، **(وأتى)** هنا القائل الذى غاب عنه ما تقدم **(فى معنى هذا)**، وزعم أن ظهور آياته لما قاله **(بما يلوح له رونق)** أى يظهر له لفظ حسن، **(ويعجب منه زبرج)** بكسر الزاء المعجمة وسكون الباء الموحدة وكسر الراء المهملة وجيم، وهى الزينة والوشى الذى هو كالطلاء، وفيه إشارة إلى عدم قبوله لضعفه، ولذا قال: **(لو احتيج إليه وحقق)** أى بينت حقيقتة، **(لكنا قدمنا من بيان معجزات نبينا)** صلى الله تعالى عليه وسلم، **(وظهورها)** من غير حاجة لما ذكره من ذكاء العرب وفهمهم **(ما يغنى عن ركوب بطون هذه المسالك)** أى ادعاء مثل هذه الأمور الخفية، **(وظهورها)** أى ما يظهر منها قبل تدقيق النظر والتدبر.

(وبالله أستعين)، والحمد لله وحده، وصلى الله تعالى على من لا نبى بعده، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا دائمًا.

* * *

القسم الثانى
فيما يجب على الأنام من حقوقه، عليه الصلاة والسلام

الوجوب الشرعى ما يلزم شرعًا، وهو ظاهر والأنام الخلق والناس، والحقوق جمع حق وهو ما يستحقه، عليه الصلاة والسلام.

(وهذا قسم) من الأقسام الأربعة التى ذكرها المصنف، رحمه الله تعالى، **(لخصنا الكلام فيه)** أى اختصرناه من غيره من الكتب وبيناه وسهلناه **(فى أربعة أبواب على ما ذكرناه فى أول الكتاب)** فى إجمال ما اشتمل عليه وفهرسته، **(ومجموعها)** أى محصلها وإجمالها من قولهم جمل الحساب والضمير للأبواب الأربعة **(فى وجوب تصديقه)**، عليه الصلاة والسلام، فى كل ما جاء به عن ربه، ويدخل فيه الإيمان بأنه رسول، والإيمان بسائر الرسل والكتب المنزلة، وقدمه لأنه الأصل فلا حاجة لما قيل من أنه خصه لأنه المقصود من تصنيف الكتاب؛ ولأنه أشرفهم وخاتمهم.

(واتباعه) صلى الله تعالى عليه وسلم، أى الاقتداء به فيما ليس من خواصه، وهو مجرور معطوف على تصديقه أى بأن يجب اتباعه فى وجوب الواجب، وسنية المسنون، وإباحة المباح، وتحريم المحرم، وقيل: ينبغى تقييده بالواجب لا المسنون.

(وطاعته) بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، والطاعة كما قاله الراغب: الانقياد، ويضادها الكره قال الله تعالى: ﴿أْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ [فصلت: ١١]، وأكثر ما يقال لما مر، انتهى، فلذا عطفها على الاتباع، فإنه قد يكون كرهًا فمن قال فى الفرق: إن المطيع مسلوب الاختيار مع المطاع، وفى الصحاح: فلان مطيع لك أى منقاد لم يصب فى مدعاه واستدلاله.

(ومحبته) بأن يكون، صلى الله تعالى عليه وسلم، أحب إليه من نفسه وأهله وماله، والمحبة الميل النفسانى وهى معروفة.

(ومناصحته) له، وهى لغة: الخلوص، وشرعًا: إرادة الخير للمنصوح وسيأتى، وعبر بالمناصحة دون نصحه؛ لأنها أبلغ ولأن الرسول، صلى الله تعالى عليه وسلم، نصح الأمة وبالغ فى نصحهم.

(وتوقيره) أى تعظيمه والتأدب معه بما هو لائق به، صلى الله تعالى عليه وسلم.

(وبره) صلى الله تعالى عليه وسلم، ببذل ما فى وسعه له من المال وغيره من أمور الدنيا، فما قيل من أنه تكرار ينبغى تركه لأنه للطاعة لا وجه له.

(وحكم الصلاة عليه والتسليم) من الوجوب ومحله.

(وزيارة قبره) أى وحكم زيارة قبره الشريف، **(عليه الصلاة والسلام)**، وعبر بالحكم فيهما لأن وجوب ما قبلها مستمر دونها، وتعبيره به لأنه فى بيته، صلى الله تعالى عليه وسلم، وهذا حكمة دفنه دون المقابر.

* * *

الباب الأول

[فى فرض الإيمان به ووجوب طاعته واتباع سنته]

تقدم وجه تقديمه **(فى فرض الإيمان به)**، صلى الله تعالى عليه وسلم، عبر فيما سبق بوجوب تصديقه، وهنا بفرض الإيمان تفننا وإشارة إلى أن الفرض والواجب بمعنى عنده هنا، وأن المراد بالتصديق الإيمان لا معناه اللغوى، والحنفية تقدم أنهم فرقوا بين الفرض والواجب بأن الفرض ما ثبت بدليل قطعى بخلاف الواجب، فإن الفرض لغة القطع وخالفهم فيه غيرهم كما بين فى الأصول.

(ووجوب طاعته) أتى هنا لما ذكرناه، وللإشارة إلى أنه فيما سبق معطوف على تصديقه لا على وجوب، فلا وجه لما قيل إنه لا حاجة إليه، وأنه ينبغى تقديمه.

(واتباع سنته) أى طريقته التى سنها صلى الله تعالى عليه وسلم، وشرعها فهو بالمعنى اللغوى، فيدخل فيه السنن الاصطلاحية وغيرها، وهو مقابل لقوله أولاً اتباعه، ولم يعد فى لأنه غير مغاير لما قبله؛ لأن اتباع سنته طاعة له، فلا يقال: إنه ينبغى ذلك.

(إذا تقرر) وثبت **(بما قدمناه)** فى هذا الكتاب **(ثبوت نبوته)** بالوحى إليه، **(وصحة رسالته)** لجميع الخلق وآخرها لأنها أخص، وعبر بالصحة تفننا؛ ولأن من الكفرة من ادعى عدم صحتها كاليهود المنكرين للنسخ، وبعض من غيرهم ادعى عدم عموم رسالته، **(وجب الإيمان به وتصديقه فى)** جميع **(ما أتى به)** وأخبرنا به، ومنه الإيمان بالله ورسله وكتبه وغيرها إن لم نقل: إن الإيمان بالله واجب عقلاً مقدمًا على ما عداه؛ لئلا يلزم الدور كما ارتضاه بعض الماتريدية، وخالف فيه بعض الأشعرية كما حقق فى كتب الكلام، وقيل: الإيمان بالله تعالى مقدم على الإيمان بالرسل، والإيمان بالرسل متوقف على ثبوت الرسالة كما قاله، ثم من آمن به وجب عليه طاعته بامتثال ما جاء به من الشرائع، انتهى وفيه نظر.

(قال الله تعالى: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾) [التغابن: ٨]، محمد صلى الله تعالى عليه وسلم، ﴿وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا﴾، يعنى ما أوحى به إليه، صلى الله تعالى عليه وسلم، من الشريعة، وهذا هو المناسب لما قبله، وقيل: المراد به القرآن إذ هو بإعجازه ظاهر بنفسه مظهر لغيره ببديع بيانه، فإطلاق النور عليه استعارة كما ذكر، أو لأنه يهتدى به، والأمر للوجوب والاستدلال بالآية ظاهر.

(وقال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا﴾) [الأحزاب: ٤٥]، على من صدق وكذب

ليثاب أو يعاقب، ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ لمن آمن بسعادة الدارين، وحذف المبشر به تفخيمًا لتذهب نفس السامع كل مذهب كما فى قوله تعالى: ﴿وَنَذِيرًا﴾ أى منذرًا ومخوفًا لمن عصاك، ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الفتح: ٩]، الخطاب فى ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ﴾ له صلى الله تعالى عليه وسلم، ولام لتؤمنوا لام كى، وقيل: تحتمل أن تكون لام أمر وهو بعيد، وقرئ ليؤمنوا بالغيبة وهى ظاهرة؛ لأن خطابه صلى الله تعالى عليه وسلم، خطاب لأمته، وفيه كلام بيناه فى حاشية القاضى، والاستدلال بالآية على التعليل لأن الإنذار يقتضى وجوب اتباعه على أنه فى غنية عنه بما قبله وبعد من قوله: **(وقال الله تعالى: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ﴾)** [الأعراف: ١٥٨] الآية، أى ﴿الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾، وقد تكرر الأمر به فى القرآن فى آيات كثيرة، **(فالإيمان بالنبى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم واجب)**، لأمر الله به مرارًا **(متعين)** أى فرض عين لا فرض كفاية، فيجب الاعتراف به باللسان إن قدر، والتصديق بالجنان فلابد منهما شرعًا **(إذ لا يتم)** ويصح **(إيمان)** لأحد بالله **(إلا به)** أى الإيمان برسوله، عليه السلام، وبكل ما جاء به، **(ولا يصح إسلام إلا معه)** أى مع الإيمان بالله والإيمان بالرسول بعينه، وليس هذا مبنيًا على تغاير الإيمان والإسلام على قول، بل هو تأكيد لما قبله لتغايرهما بحسب المفهوم، وإن اتحدا بحسب الماصدق، فإنه لا يكون مؤمن إلا وهو مسلم، ولا مسلم إلا وهو مؤمن؛ لقوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝٣٥ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الذاريات: ٣٥، ٣٦].

(قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا﴾) [الفتح: ١٣]، وفى الآية نص على أن الإيمان المعتد به إنما يكون بالجمع بين الإيمان بالله وبرسوله، فينتفى بانتفاء أحدهما لتفريع قوله: **(فإنا أعتدنا إلخ)** عليه.

(حدثنا أبو محمد الخشنى بقراءتى عليه) هو حديث صحيح رواه مسلم والبخارى، والخشنى بضم الخاء والشين المعجمتين ونون وياء نسبة تقدمت ترجمته قال: **(حدثنا الإمام أبو على الطبرى)** تقدمت ترجمته قال: **(حدثنا عبد الغافر الفارسى)** تقدمت ترجمته قال: **(حدثنا ابن عمرويه)** الجلودى، وقد تقدم وأن عمرويه بفتح العين وسكون الميم وفتح الراء وضمها، وأن مثله صيغة تصغير عند أهل البصرة مولدة قال: **(حدثنا ابن سفيان)** إبراهيم بن محمد بن سفيان راوى مسلم قال: **(حدثنا أبو الحسين)** هو الإمام مسلم القشيرى صاحب الصحيح المشهور قال: **(حدثنا أمية بن بسطام)** بكسر الباء الموحدة وفتحها، وفيه الصرف وعدمه توفى سنة إحدى وثلاثين ومائة، وهو إمام جليل أخرج له الشيخان والنسائى قال: **(حدثنا يزيد بن زريع)** بزنة مصغر الزرع الإمام الحافظ أبو معاوية البصرى كما تقدم قال: **(حدثنا روح)** بفتح الراء المهملة وواو ساكنة وحاء

مهملة وهو ابن القاسم التميمى البصرى الإمام الثقة مات سنة نيف وخمسين ومائة **(عن العلاء)** بفتح العين المهملة والمد **(ابن عبد الرحمن بن يعقوب)** عالم المدينة، وهو أبو شبل مولى الحرقة أخرج له مسلم وأصحاب السنن **(عن أبيه)** عبد الرحمن **(عن أبى هريرة، رضى الله تعالى عنه، عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، قال: أمرت)** ببناء المجهول أى أمرنى الله إذ لا آمر له، صلى الله تعالى عليه وسلم، سواه **(أن أقاتل الناس)** أى بأن أقاتلهم، ومحله بعد حذف الجار نصب أو جر، وهو عام للناس كلهم خص منه من ضربت عليه الجزية، **(حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله)** غاية لقتالهم ينتهى ويتخصص بالغاية، **(ويؤمنوا بى)** أى بكونى نبيا رسولاً، **(و)** يؤمنوا **(بما جئت به)** من الله وأوحاه إليه من شريعته التى أمر بتبليغها وتكليفهم بها، **(فإذا فعلوا ذلك)** المذكور من الشهادة والتصديق لما جاء به والتزام أحكام شريعته **(عصموا)** أى صانوا وحفظوا **(منى دماءهم)** بعد المقاتلة لهم **(وأموالهم)**، فلا تؤخذ بالغنائم ولا بسبب من الأسباب **(إلا بحقها)** أى أن تستحق إباحة دمائهم بقتل نفس ظلمًا ونحوه، أو يستحق أموالهم بمنع زكاة أو ثبوت حق عليهم، **(وحسابهم على الله)** أى أمرهم بعد ما ذكر موكول إلى الله تعالى إذا حاسبهم على ما أسروه فى أنفسهم، وما لم نقف عليهم من الكفر والمعاصى، فيثيب من يشاء ويعاقب من يشاء، والمنافق لا يقتل إلا إذا ظهر منه ما يقتضى كفره، ومثله الزنديق واختلفوا فى قبول توبته، فقيل: يقبل مطلقًا، وقيل: قبل الأخذ، وقيل: لا يقبل مطلقا وتوبته إن خلصت نفعته فى الآخرة، وقيل: إن تاب مرة قبلت وإن تكررت لا، وقيل: لا تقبل إن دعى لزندقته.

وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم: ويؤمنوا بى إشارة إلى أن أهل الكتاب لا يمنع قتالهم بمجرد الشهادة بأن لا إله إلا الله، ودخل قتال البغاة ومانعى الزكاة وتاركى الصلاة فى قوله إلا بحقها، وفى الحديث دليل على أن الإيمان يكفى فيه الإقرار بما ذكر فيه، وأنه لا يشترط فيه معرفة الأدلة الأصولية كما قاله النووى، رحمه الله تعالى، وليس مبنيا على قبول إيمان المقلد كما توهم.

(قال القاضى أبو الفضل) عياض المؤلف، رضى الله تعالى عنه: **(والإيمان به، صلى الله تعالى عليه وسلم، هو تصديق نبوته)** أى التصديق بها، **(ورسالة الله له)** أى إرساله، والإضافة اختصاصية لا بمعنى الباء كما توهم، وإن كان المعنى عليها، **(وتصديقه فى جميع ما جاء به)** عن الله بالوحى بأنواعه، **(وما قاله)** أى فى جميع أقواله؛ لأنه صلى الله تعالى عليه وسلم، معصوم لا يصدر عنه ما يخالف الواقع لاسيما ما أمر به بتبليغه، **(ومطابقة)** أى موافقة **(تصديق القلب)** أى اعتقاده والجزم به، وأصل المطابقة وضع شىء على شىء هو طبقة، وقوله **(بذلك)** أى بالتصديق بالنبوة والرسالة، وما جاء به **(شهادة اللسان)**

بنطقه واعترافه (**بأنه رسول الله، فإذا اجتمع التصديق به، صلى الله تعالى عليه وسلم، بالقلب والنطق بالشهادة بذلك**) المذكور من رسالته وما جاء به (**باللسان ثم الإيمان**) الحقيقى المنجى فى الدنيا والآخرة.

(**والتصديق له**) أى كيفيته ولفظه (**كما ورد فى هذا الحديث**) الذى رواه المصنف، رحمه الله تعالى، عن أبى هريرة (**نفسه**) بالجر تأكيد للحديث (**من رواية عبد الله بن عمر، رضى الله تعالى عنهما: أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله**)، وهذه رواية مسلم عن ابن عمر وفيها: (**ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا**) إلى آخره، وقوله: ثم الإيمان أى تحقق وصح، وليس مراده أنه إذا وجد أحدهما كتصديق القلب كان إيمانًا ناقصًا كما سنفصله، والنطق بالشهادة مع أنه لابد من اختلف فيه، هل هو شطر أو شرط، والأعمال ليست داخلة فيه عند المحققين، وفيه كلام مفصل فى كتب الأصول وشروح الصحيحين يضيق المقام عنه.

(**وقد زاده وضوحًا**) أى زاد صلى الله تعالى عليه وسلم، ما ذكر بيانًا (**فى حديث جبريل**)، عليه الصلاة والسلام، الذى رواه الشيخان كما تقدم (**إذ قال**) له جبريل لما جاءه، صلى الله تعالى عليه وسلم، فى صورة إنسان: (**أخبرنى عن الإسلام**) أى حقيقته ومعناه شرعًا، وهو فى اللغة الانقياد والطاعة كما علم، وقيل: السؤال عن شريطته وشروطه.

(**فقال**) صلى الله تعالى عليه وسلم: (**أن تشهد أن لا إله إلا الله**) أن مخففة من الثقيلة، وتشهد بمعنى تعلم بأن يقول: أشهد إلى آخره، وقد اختلف هل يشترط فيه لفظ الشهادة أو يكفى ما يؤدى معناه، والصحيح عندنا الثانى معاشر الحنفية، ولو بغير لفظ العربية لمن لا يقدر عليه، (**وأن محمدًا رسول الله**) أرسله لجميع خلقه، (**وذكر أركان الإسلام**) يعنى قوله: (**ويقيم الصلاة**)، بالنصب عطف على تشهد، وجوز بعضهم رفعه استئنافًا نظرًا إلى أنه يكفى فى إجراء أحكام الإسلام الشهادتان، وكذا ما بعده.

وجوابه: أنه بيان لأكمله، وإقامة الصلاة أداؤها (**وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا قال: صدقت فعجبنا له كيف سأله ويصدقه**).

(**ثم سأله**)، صلى الله تعالى عليه وسلم، (**عن الإيمان**) أى عما يجب التصديق به شرعًا، (**فقال**) مجيبًا له: (**أن تؤمن بالله**) أى تصدق بوجوده وأنه واحد فى ذاته وصفاته وأفعاله، ولا شريك له فى ذلك وليس هذا تعريفًا للشىء بنفسه؛ لا لأنه يكونمتعديًا بنفسه، ومعناه أن يأمن التكذيب، ومتعديًا بالباء لتضمنه معنى الاعتراف، وقد يتعدى باللام لتضمنه معنى القبول والإذعان، والمعروف هو الأول، وما وقع فى التعريف هو الثانى،

بل لأن الأول معلوم، والمسئول عنه بيان متعلقاته التى يجب الإيمان بها إجمالاً، وعلم من الحديث تغاير مفهوم الإسلام والإيمان، فإن الإسلام كما مر لغة الاستسلام والانقياد، وهو جزء من مفهوم الإيمان الذى هو التصديق بالقلب واللسان، وقيل: إنهما مترادفان والأظهر أنهما متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر، وقيل: بينهما عموم وخصوص مطلق وأن الإسلام يتناول التصديق وأصله الطاعات كما فصل فى علم الكلام.

(**وملائكته**) جمع ملك من الألوكة وهى الرسالة، وأصله مالك ثم قلب وجمع وخفف مفرده، وتاؤه لتأنيث الجميع أو المبالغة، وتقدم الكلام على ذلك فى الخطبة، وأنهم أجساد نورانية سالمة من الكدورات الجسمانية قابلة للتشكل، والإيمان بهم أن تؤمن بأنهم عباد الله معصومون لا يفعلون غير ما يؤمرون لا يعلم عدتهم إلا الله.

(**وكتبه**) التى هى كلامه تعالى المنزل على رسله الأزلى، فيصدق بحقيقتها وحقيقة ما تضمنته.

(**ورسله**) جمع رسول، وهو من أوحى إليه بشرع وكتاب وأمره بتبليغه عباده (**الحديث**) أى اذكره واقرأه واعرف ذلك إلى آخره، (**وهو اليوم الآخر والقدر خيره وشره**)، واقتصر المصنف، رحمه الله تعالى، على المقصود منه.

(**فقد قرر**) أى بين النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، فى هذا الحديث (**أن الإيمان**) أى بالله أو بما ذكر فى الحديث (**محتاج إلى العقد**) أى الاعتقاد الجازم (**بالجنان**) بفتح الجيم، وهو القلب سمى به لاستتاره أو استتار ما فيه، من جنه إذا ستره، (**والإسلام به**) أى بالله أو بما ذكر (**مضطر**) أى محتاج إليه ضرورة لأنه لا يظهر الانقياد بدونه، ولذا غاير بينهما (**إلى النطق باللسان**) ليعلم ما فى قلبه، (**وهذه الحالة**) أى اعتقاد الجنان والنطق باللسان (**هى المحمودة**) عند الله والناس (**التامة**) بناء على أنه اسم لفعل القلب واللسان كما ذهب إليه بعض الأشعرية، ووصفها بالتام إشارة إلى أن عقد الجنان كاف، وإن لم ينطق به، والنطق شرط لإجراء أحكام الإسلام عليه فى الدنيا كالصلاة عليه، ودفنه فى مقابرنا، فمن آمن بقلبه و لم يعلم به أحد نفعه إيمانه إلا على وجه الإباء.

(**وأما الحالة المذمومة**) لضررها فى الآخرة (**فالشهادة باللسان**) أى الإقرار والتلفظ بالشهادة به (**دون تصديق القلب**) بالاعتقاد الجازم، (**وهذا هو النفاق**) الذى يسمى صاحبه منافقًا، وهو من يظهر الإيمان ويخفى الكفر، وهو لغة إظهار خلاف ما يضمر من نافقاء اليربوع، وهو ما يخفيه من أبواب جحره؛ ليخرج منه إذا أحس بصائده كما قال:

ويستخرج اليربوع من نافقائه

(**قال الله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾**) [المنافقون: ١]، الخطاب له، صلى الله تعالى

عليه وسلم، **(قالوا: نشهد إنك لرسول الله)**، فأقروا بشهادة مواطئة لقلوبهم بزعمهم، فرد عليهم علام الغيوب بقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾، وهو توطئة لقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾، **(أى كاذبون فى قولهم ذلك)** أى قولهم: إنك لرسول الله عن اعتقاد وتصميم؛ لأن سياقه مؤكدا بهذه التأكيدات يقتضى أنه ناشئ **(عن اعتقادهم)** الجازم **(وتصديقهم)** القلبى أو اللسانى، **(وهم لا يعتقدونه)** جملة حالية أى والحال أنهم ليسوا معتقدين لذلك كما أخبر الله تعالى به، **(فلما لم يصدق ذلك)** القول **(ضمائرهم)** أى ما أضمروه فى قلوبهم أو قلبهم؛ لأن الضمير يطلق عليه، **(لم ينفعهم أن يقولوا)** أى قولهم لم يفدهم فى الآخرة؛ لأنهم فى الدرك الأسفل من النار **(بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم)** لاعتقادهم خلافه، فهو كذب غير مطابق للواقع، وليس هذا مبنيًا على أن الكذب ما خالف الاعتقاد كما حققه أهل المعانى، وهذه الآية نزلت فى ابن أبى بن سلول رأس المنافقين وأصحابه، وقصته مشهورة فى كتب الحديث فلا نطول بها.

(فخرجوا عن اسم الإيمان) أى عن أن يسموا بما اشتق منه، فيقال لهم: مؤمنين فى الدنيا عند من عرفهم، **(ولم يكن لهم فى الآخرة حكمه)**، وهو دخول الجنة، فهم فى الدرك الأسفل من النار مع الكفار كما يأتى، وقوله فى الآخرة إشارة إلى أنهم يجرى عليهم فى الدنيا حكمه نظرًا لظاهر حالهم كما بينه بقوله: **(إذ لم يكن معهم إيمان)** فى الآخرة لانكشاف حالهم وافتضاحهم فيها، وقال: معهم، ولم يقل: إذ لم يكونوا مؤمنين، إيماء إلى أن إيمانهم لم يكن فى قلوبهم، فكأنه كان رفيقًا لهم لتلفظهم به، فإذا ماتوا فارقهم وبطل حكمه.

(ولحقوا بالكافرين فى الدرك الأسفل من النار) الدرك بفتح الراء وسكونها ما ينزل به لأسفل ضد الدرج يعنى أنهم فى قعر جهنم، وآخر طبقة منها، وهى سبع طبقات: جهنم، ثم لظى، ثم الحطمة، ثم السعير، ثم الجحيم، ثم الهاوية، ويطلق اسم كل طبقة منها على الجميع أيضًا بالاشتراك اللفظى والمعنوى.

(وبقى) جار **(عليهم حكم الإسلام)** فى الدنيا فيعاملون معاملة المسلمين فيما لهم وعليهم **(بإظهار شهادة اللسان)** أى بسببه لأنا نحكم بالظاهر، والله يتولى السرائر، والمراد بحكم الإسلام كل ما كان داخلاً **(فى أحكام الدنيا)** أى ما يحكم به لهم وعليهم من أحكام الشرع **(المتعلقة بالأئمة)** أى السلاطين والخلفاء لا العلماء؛ لأنهم ليسوا مأمورين بإجرائها، **(وحكام المسلمين)** كالقضاة وغيرهم من النواب، وهذا حكم من لم يظهر لنا حاله منهم، فإن من ظهر حاله يكون كافرًا، فلا وجه لإيراده نقضًا هنا كما توهم، ولذا لم يصل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على ابن أبى بن سلول، وإن كنا نصلى عليهم،

وإنما لم يقتله لمصلحة أشار إليها فى الحديث الآتى بقوله: (**لئلا يتحدث الناس بأن محمدًا يقتل أصحابه**)، فكان هذا من خصائصه فى ابتداء الإسلام، ثم انتهى بانتهاء سببه، ولذا رفع عمر، رضى الله تعالى عنه، حكم المؤلفة قلوبهم، وهذا من عطف العام على الخاص، ثم زادهم بيانًا بقوله: (**الذين أحكامهم**) جارية ومبنية (**على الظواهر**) من أحوال الناس كلهم (**بما أظهروه من علامة الإسلام**) أى أن أحكام الدنيا جارية عليهم بسبب إظهار الإسلام بانقيادهم له والتزامهم أحكامه ظاهرًا، وإن لم يعتقدوها بقلوبهم، وفى نسخة علامات وزادها إشارة إلى أنهم ليسوا مسلمين حقيقة وإنما عليهم علامته (**إذ لم يجعل**) ببناء المجهول أى لم يجعل الله (**للبشر**) أى الناس كلهم (**سبيل**) أى طريق (**إلى السرائر**) جمع سريرة، وهى ما فى القلب مما لم يطلع عليه، فلم يكلفهم بمعرفته وإجراء حكمه (**ولا أمروا**) الضمير للبشر باعتبار المعنى (**بالبحث**) أى التفحص والتفتيش (**عنها**) أى عن السرائر، ثم ترقى فقال: (**بل نهى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، عن التحكم عليها**) أى الحكم على السرائر، وعبر بالتحكم لما فيه من التكلف، أو لأنه ليس بحكم كما يقال: تحلم الرجل لمن لا حلم له.

(**فقال**) صلى الله تعالى عليه وسلم، لأسامة بن زيد فى حديث صحيح رواه البخارى لمن اضطر بعض الكفار فأسلم، فقتله أسامة لاعتقاده أن إسلامه بلسانه خوفًا من القتل، فقال له: أقتلته بعد أن أسلم (**هلا شققت عن قلبه**)، وهلا أداة تخصيص إذا دخلت على المستقبل أفادت الأمر، وإذا دخلت على الماضى أفادت الإنكار والتوبيخ، وشق متعد بنفسه، وعداه بعن لتضمينه معنى التفتيش أى شققت قلبه لتفتش عما فيه من الاعتقاد، وتعلم أقال ما قاله خوفًا أم لا؟ وهو كناية عن استحالة الوقوف عليه؛ لأنه بشقه لا يدرى ما فيه، والذم فيه ظاهر لما فيه من التوبيخ على ما لا يليق به، وكان عليه أن يختبره حتى يعلم هل هو مخلص أم لا؟ لكن لما رآه لم يسلم حتى رفع السيف لقتله، فظنه إيمان يأس لا يفيده كحال الغرغرة، فهو متأول لا متعمد للخطأ فى قتله.

والحديث كما فى الصحيحين عنه: بعثنا رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، إلى الحرقة من جهينة فهزمناهم، ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم، فلما غشيناه قال: لا إله إلا الله، فكف عنه الأنصارى وطعنته برمحى حتى قتله، فلما قدمنا بلغ ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فقال لى: يا أسامة أقتلته بعد ما قال: لا إله إلا الله؟ قلت: يا رسول الله إنما كان متعوذًا، فقال: أقتلته بعد ما قال: لا إله إلا الله؟ ولم يزل يكررها، وقال: هلا شققت عن قلبه، فكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة؟ فقلت: استغفر لى يا رسول الله، فقال: كيف تصنع بلا إله إلا الله إلى آخره، فلم

يقبل عذره[١].

وفيه تنبيه وموعظة وزجر، والرجل المقتول اسمه مرداس الفزارى أو الفدكى، وبما ذكرناه علم أن أسامة، رضى الله تعالى عنه، متأول فى قتله، ولم يسمع منه كلمة الشهادة بتمامها حتى يحكم بإسلامه، وإنما لامه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، لعجلته وعدم تثبته، وإنما كان يجب عليه أن يختبره، فلا يقتله وهو مسلم شرعًا كما لا يخفى، فقول الداودى: إنه يلزمه الدية لقتله لمسلم خطأ وإنما سكت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، عن ذكرها لعلمه لعلم السامع بذلك، أو لأنه كان قتل قبل نزول آية الدية والكفارة، وقول القرطبى: إنه لا يلزم من السكوت عدم الوقوع، وقول غيره إنه يحتمل أنه لم يجب عليه شىء لأنه مأذون فى أصل القتل، فهو كالطبيب والخاتن أو لم يكن له وارث مسلم ولا ولى، وأسامة، رضى الله تعالى عنه، أقر بذلك لا حاجة إليه.

أقول: إذا لم يكن له وارث ديته لبيت المال ولا يصح عفو الإمام عنه عندنا، وإن رجح السبكى فى فتاويه جوازه لمصلحة، ولا دليل فى الحديث لما عرفته ولأنه يستحق من بيت المال، فتنفيله الدية لا يكون عفوا.

(**والفرق بين القول**) أى مجرد التلفظ بالشهادة بلسانه، (**والعقد**) أى التصديق بقلبه واعتقاد جنانه (**ما جعل**) ما مصدرية أى جعله (**فى حديث جبريل**) الذى تقدم فى سؤاله عن الإسلام والإيمان (**الشهادة**) أى التلفظ بها ركنًا (**من الإسلام**) لما قال فى جوابه: أن تشهد إلى آخره، (**و**) جعله (**التصديق من الإيمان**) أى الاعتقاد بالقلب، وهذا بناء على تغاير الإسلام والإيمان، وفيه إشارة إلى تفسير تؤمن فى قوله: أن تؤمن بالله تعالى عز وجل إلى آخره.

(**وبقيت حالتان أخريان بين هذين**) أى الإقرار بلسانه والتصديق بجنانه أى الجمع بينهما (**أحديهما أن يصدق**) المكلف (**بقلبه ثم يخترم**) بخاء معجمة وتاء مثناة فوقية وراء مهملة مبنى للمجهول، يقال: اخترمته المنية والموت إذا أتاه بغتة بسرعة، وأصل معنى الخرم القطع، وتفريق المتصل فقيل له ذلك لقطعه الحياة، كما أشار إليه بقوله: (**قبل اتساع وقت الشهادة باللسان**) أى التلفظ والنطق بها لضيق الزمن، فهذه حالة بين الحالتين السابقتين، وهما الإقرار اللسانى والتصديق بقلبه الموافق له، وهو مؤمن بالاتفاق، والثانية: الإقرار باللسان وقلبه غير مصدق وهو منافق بالاتفاق، وحكمه ما مر وهذه حالة بينهما، (**فاختلف فيه**) أى فيمن هذه حاله أمؤمن هو أم لا؟.

(**فشرط بعضهم**) أى قال: إنه (**من تمام الإيمان القول والشهادة به**) باللسان، فلا يكون

(١) أخرجه البخارى (٥/١٨٣، ٩/٤)، ومسلم (٩٦/١٥٩)، وأحمد (٥/٢٠٠).

هذا مؤمنًا عنده لعدم تمام إيمانه، وفقد شرطه عنده، وعند بعضهم أن الشهادة جزء من الإيمان وركن لا شرط، فعرفه بأنه إقرار باللسان وتصديق بالجنان، وهو المشهور عند الأشاعرة فلا إيمان إلا بهما إلا عند العجز عن النطق.

(**ورآه**) ماض من الرأى (**بعضهم مؤمنًا**)، فقال: من اعتقد بقلبه واخترم قبل تمكنه من النطق مؤمن كالعاجز، فيكون مؤمنا حقيقة (**مستوجبًا**) أى مستحقًا (**للجنة**) ودخولها؛ لعذره بعدم تمكنه، و(**لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم**)، فى حديث رواه الشيخان: (**يخرج**) روى بالبناء للفاعل والمفعول (**من النار من كان فى قلبه**) باعتقاده (**مثقال ذرة من الإيمان**) أى وزنها ومقدارها فى الثقل، والذرة بالمعجمة صغار النمل والهباء، وهو كناية عن غاية القلة، وإن كان عند الله عظيمًا، وهو بعض من حديث فى الصحيحين، ولم يقل يدخل الجنة ابتداء لأن المراد به العصاة المعذبون بسبب آخر، أو بترك الشهادة فيكون عاصيًا بذلك، والظاهر الأول ولذا بينه وبين الاستدلال به بقوله: (**فلم يذكر**) فى الحديث شيئًا (**سوى ما فى القلب**) من إيمان بمقدار ذرة، (**وهذا**) المصدق بقلبه دون لسانه لعدم تمكنه من النطق (**مؤمن بقلبه**)، فينفعه إيمانه عند الله تعالى؛ لأنه (**غير عاص**) أى تارك لما يلزمه، (**ولا مفرط**) بتشديد الراء المهملة أى مقصر عمدًا (**بترك غيره**) وهو التلفظ بالشهادة.

(**وهذا**) الرأى الذى رآه بعضهم (**هو الصحيح فى هذا الوجه**) أى الحالة المعذور فيها بعدم تمكنه، وهذا وإن صححه المتكلمون إلا أنه قيل: إن ما استدل به المصنف لا يثبت ما ادعاه؛ لأن هذا فى عصاة أمته الذين ثبت إيمانهم ويدل عليه ما فى الصحيح عن أنس أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، قال: «يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وفى قلبه وزن شعيرة من خير»[1]، ثم إن ذكر الوزن فى الإيمان، وهو من المعانى لأنه كما قال الكرمانى شبه بالجسم، فأضيف إليه ما هو من لوازمه، وهو الوزن ففيه استعارة بالكناية.

(**الثانية**) أى الحالة الثانية من هاتين الحالتين (**أن يصدق بقلبه**) ويعتقد اعتقادًا جازمًا، (**ويطول**) بضم التحتية وفتح الطاء المهملة وتشديد الواو المكسورة (**مَهْلَةُ**) بميم وهاء مفتوحتين مفعول يطول، ويجوز تسكين هائه مع فتح ميمه وضمها، وهى التؤدة والتأنى فأريد به لازمه، وهو طول الزمان، والمراد زمان سكوته وعدم نطقه بالشهادة، (**وعلم ما يلزمه من الشهادة**)، والنطق بها هذه جملة حالية بتقدير قد: أى سكت زمانًا طويلاً مع علمه بلزوم النطق والاعتراف بما صدق به قلبه، (**فلم ينطق بها**) أى بالشهادة (**جملة**)

---

(١) أخرجه البخارى (١/١٧، ٩/١٥٠)، ومسلم (١٩٣/٣٢٥)، والترمذى (٢٥٩٣)، وابن ماجه (٤٣١٢)، وأحمد (٣/١١٦)، وابن أبى شيبة (١١/٣١)، وأبو عوانة (١/١٨١).

منصوب على الحالية، والمراد به مجموعها بأن لم يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والقدر خيره وشره تفصيلاً أو إجمالاً بأن لا يفصل الملائكة والكتب ونحوها، **(ولا استشهد فى عمره)** ومدة حياته أى أتى بالشهادة، وفى نسخة شهد **(ولا مرة)** أى مرة واحدة، **(فهذا اختلف فيه أيضًا)** كما اختلف فى الذى قبله، وهو فى الأصل مصدر آض إذا رجع، وشاع فى التشبيه وفى نصبه كلام مشهور.

(فقيل: هو مؤمن لأنه مصدق) وحقيقة الإيمان هو التصديق القلبى، وقد اتصف به فيكفيه، **(والشهادة من جملة الأعمال)** الزائدة على حقيقة الإيمان، وإن كانت لازمة شرعًا، **(فهو عاص بتركها)** كمرتكب الكبائر غير كافر فهو **(غير مخلد)** فى النار عند أهل السنة القائلين بأن أصحاب الكبائر غير مخلدين.

(وقيل: ليس بمؤمن) لأن الشهادة شرط فيه أو شطر **(حتى يقارن عقده)** أى اعتقاد قلبه وجزمه **(شهادة اللسان)** أى التلفظ بها مطابقة لما فى قلبه **(إذ الشهادة إنشاء عقد)** عند الأصوليين؛ لأنها عندهم إنشاء يتضمن الإخبار بالمشهود به لا أخبار وعزى الثانى أنه خبر لأبى حنيفة وأنكره السروجى، وقال: لا نعرفه، وإنما هو إنشاء عندنا أيضًا، ونظر فيه بأنهم عرفوها بأنها أخبار بحق للغير على آخر، وقد يقال: إنه بحسب ظاهره لأنه خبر لفظًا أريد به الإنشاء كقوله: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، ومن لم يفهم مراده قال: إنشاؤه بمعنى ابتداؤه، **(والتزام إيمان)** أى التزام لأحكامه، **(وهى)** أى الشهادة **(مرتبطة)** أى ملازمة متصلة **(مع العقد)** الجنانى لاتفارقه، فلا يكتفى بأحدهما **(ولا يتم التصديق)** ويكتفى به **(مع المهلة)** أى تأخير النطق زمانًا طويلاً من غير مانع **(إلا بها)** أى بالشهادة والنطق بها.

(وهذا) القول **(هو الصحيح)** من أنه ليس بمؤمن لعدم مقارنة الاعتقاد للإقرار مع التمكن منه، ومن يقول: إنه التصديق فقط يقول: إنه مؤمن وإن لم يقر بلسانه، وإن لم تجر عليه أحكام الإيمان فى الدنيا، فهو ينفعه فى الآخرة، والأصح أنه لابد منه فى الاعتداد به فى الدنيا والآخرة، وهو شرط أو شطر، ثم إنهم اتفقوا على أنه يلزم المصدق أن يعتقد أنه متى طولب أتى به فإنه إن طولب به، فلم يقر فهو كفر عناد.

(وهذا نبذ) بفتح النون وسكون الموحدة وذال معجمة وهو الشىء اليسير، وأصله الرمى والطرح، فكأنه لقلته مما يطرح، وفى نسخة هذه نبذ بضم النون ففتح الموحدة جمع نبذة بزنة غرفة، وقيل: إنه بضم فسكون والمعروف ما قدمناه **(تفضى إلى متسع من الكلام)** تفضى بضم المثناة الفوقية وسكون الفاء وكسر الضاد المعجمة قبل ياء ساكنة مضارع أفضى بمعنى أوصل، وأصل معناه الإيصال إلى الفضاء، والمتسع بزنة اسم

المفعول، وهو مصدر ميمى أو اسم يعنى أنها تحتاج إلى بسط وانتشار لكثرة مباحثه، وما للعلماء فيه من القيل والقال **(فى الإسلام والإيمان)** أى فيما يتعلق بهما **(وأبوابهما)** المعقودة لتفصيلهما، **(وفى الزيادة فيهما والنقصان)** فيهما، والكلام فى أنهما يقبلان زيادة ونقصا، وفيه اختلاف مشهور **(وهل التجزى)** بالزيادة والنقص فيهما **(ممتنع على مجرد التصديق)**، فهو فى نفسه من غير نظر لما ينضم له من الأقوال والأعمال لا يقبلهما، فإنه كما مر قيل: إنهما مجرد التصديق، وهو لا يزيد ولا ينقص، وقيل: إنه قول واعتقاد، وقيل: قول وعمل واعتقاد، فعلى هذا يقبل التجزى، وقوله: **(لا يصح فيه)** أى فى التصديق تجزى بزيادة ونقص **(جملة)** أى بمجموعه، أو الإجمالى منه لا يقبل التجزى، **(وإنما يرجع)** تجزيه والزيادة فيه **(إلى ما زاد عليه)** أى ما زاد على التصديق **(من عمل)** ونحوه، فإنه قد يزيد وقد ينقص، بل قد لا يكون كمن أسلم ثم مات فجأة، فلم يأت بشىء من الأعمال الصالحة، **(وقد يعرض فيه)** أى قد يطرؤ على التصديق نفسه زيادة أو نقص وتجز، فإنه من الكيفيات النفسانية، وهى تتفاوت قوة وضعفا، فإن العلم بطلوع الشمس وأن الواحد نصف الاثنين ليس كالعلم بحدوث العالم، ولا شك فى أن إيمان أبى بكر، رضى الله تعالى عنه، ليس كإيمان غيره، وقال الشمنى فى الصحاح: عرض له كذا يعرض: أى ظهر، وعرضت العود على الإناء تعرضه وتعرضه هذه وحدها بالضم، وعرضت له القول بالكسر إلى آخره؛ **(لاختلاف صفاته)** قوة وضعفا، **(وتباين)** أى بعد وافتراق **(حالاته)** بعضها عن بعض **(من قوة يقين)** بيان للصفات والحالات، **(وتصميم اعتقاد)** أى الجزم به بحيث لا يقبل الشك لمشاهدة وقوة أدلة، **(ووضوح معرفة)** أى ظهورها كمن شاهده، صلى الله تعالى عليه وسلم، وعاين معجزاته، **(ودوام حاله)** أى استمرار التصديق وامتداده، فإنه زيادة فيه، **(وحضور قلب)** أى حضور التصديق به حتى لا يغفل عنه قلبه المطمئن.

(وفى بسط هذا) أى بسط الكلام فيما ذكر، وذكر تفاصيله، وتحقيق أدلته مع ما لها وعليها **(خروج عن غرض التأليف)** أى المقصود منه، وهو بيان علو مقامه، صلى الله تعالى عليه وسلم، وما يجب له، وهذا يكفى فيه الإجمال وقطع النظر عن الاستدلال.

(وفيما ذكرناه غنية) بضم الغين المعجمة ونون ساكنة وياء مثناة تحتية مفتوحة: أى كفاية مغنية عن غيره **(فيما قصدناه)** فى هذا الكتاب **(إن شاء الله تعالى)**، وهذا الذى ذكره المصنف مذهب المحققين الأظهر المختار أن التصديق يزيد وينقص بكثرة النظر ووضوح الأدلة، ولاشك فى أن إيمان الصديقين أقوى من إيمان غيرهم.

* * *

[فصل وأما وجوب طاعته ﷺ]

بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، (**فإذا وجب الإيمان به وتصديقه فيما جاء به**) من الله، وقد علم هذا مما تقدم في أول الباب (**وجبت طاعته**)؛ لأن من صدقه وأخبره بما يلزمه اتباع أمره ونهيه، فلو خالفه من غير إنكار منه كان عاصيًا بترك ما يجب عليه؛ (**لأن ذلك**) أي وجوب طاعته (**مما أتى به**) عن الله بوحيه كما يدل عليه ما (**قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾**) [الأنفال: ٢٠]، قدم طاعة الله تمهيدًا لوجوب طاعة رسوله، وإشارة إلى أن طاعته تعالى بطاعة رسوله، صلى الله تعالى عليه وسلم، وهما شيء واحد، ولذا أفرد الضمير في قوله: ﴿وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ﴾، وهو قياس منطقي تقديره وجوب طاعته مما أتى به من عند الله، وكل ما أتى به من عند الله يجب الإيمان به، فيجب طاعته، وشرك بينهما في صيغة الأمر كما ذكرناه (**وقال الله تعالى: ﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ﴾**) [النور: ٥٤]، قال القاضي: أمره الله أن يبلغ المؤمنين ما خاطبهم به مبالغة في تبكيتهم، يعني أن هذه الآية نزلت في بشر المنافق لما دعى خصما له يهوديًا إلى كعب بن الأشرف، ودعاه خصمه إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، الآتي بيانه، ولا ينافي هذا أن الكلام في وجوب طاعته على المؤمنين؛ لأن العبرة بعموم اللفظ دون خصوص السبب.

(**وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾**) [آل عمران: ١٣٢]، الترجي بلعل وعسى على لسان العباد للإشارة إلى عزة المطلوب، وأن العبد دائمًا بين الرجاء والخوف.

(**وقال تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ﴾**) [النور: ٥٤]، فجعل هدايتهم متوقفة على طاعته، والهداية للحق والإيمان وغيره أمر لازم لهم.

(**وقال: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾**) [النساء: ٨٠]، فجعل طاعته هي طاعة الله؛ لأنه لا يأمر إلا بأمره، ولا ينهى إلا بنهيه، ولذا أردفه بقوله: (**وقال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾**) [الحشر: ٧]، هذا محمول على العموم في جميع أوامره ونواهيه؛ لأنه لا يأمر إلا بصلاح، ولا ينهى إلا عن فساد، وإن كانت الآية نزلت في الفيء والغنائم، كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾، إذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما تقرر، فلا يتوهم أنها غير مناسبة لما هو بصدده.

(**وقال: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾**) [النساء: ٦٩]، المطيعون ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم﴾ الآية، ﴿مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ﴾، وسيأتي أن هذه الآية

نزلت فى ابن عبد ربه الأنصارى حين قال للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم: إذا مت كنت فى عليين، فلا نراك وذكر شدة حزنه لذلك، فنزلت، فلما مات رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، دعى الله أن يعمى بصره حتى لا يرى غيره، فعمى مكانه وهو الذى رأى واقعة الأذان، وقيل: نزلت فى ثوبان مولاه، صلى الله تعالى عليه وسلم، وكان شديد الحب لرسول الله لا يصبر عن رؤيته، فحزن حتى تغير لونه، فسأله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، عن ذاك، فقال: ما بى ضر غير أنى لا أصبر عنك، فذكرت الآخرة وأنى لا أراك ثمة لرفعة مقامك وهبوط منزلتى، والمراد بالمعية سهولة الاجتماع والتزاور بينهم فى الجنة وإن تفاوتت مراتبهم ومنازلهم فيها.

(وقال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾) [النساء: ٦٤]، الإذن مجاز عن إرادة التسهيل والتوفيق أو هو نفس التسهيل والتوفيق أى إلا ليطيعه من بعث إليه ويرضى بحكمه، فمن لم يرض به لم يرض برسالته، فهو تارك لما يجب عليه كافر، وقيل: إذنه بمعنى أمره، وقال القاضى: كأنه أى الله احتج بذلك على أن الذى لم يرض بحكمه، وإن أظهر الإسلام كافر مستوجب القتل انتهى.

وقيل فى توجيهه: إن لم يرض بحكمه لم يرض بحكم الله تعالى، ومن لم يرض بحكم الله فهو كافر، ولذا لما تخاصم المنافق واليهودى، وطلب اليهودى حكم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وكان محقًا يعلم حكم رسول الله له، فأبى المنافق وطلب أن يتحاكما عند كعب بن الأشرف، وأبى اليهودى، وأتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فحكم له، فلم يقبل المنافق فأتيا أبا بكر، رضى الله تعالى عنه، فحكم بما حكم به رسول الله، فلم يرض فأتيا عمر وذكر له اليهودى ما وقع، فقال: رويدكما ودخل بيته وخرج بسيفه وضرب به المنافق فقتله، وبلغ ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فلم ينكره، **(فجعل طاعة رسوله طاعته)** فهما شىء واحد؛ لأنه لا يأمر إلا بأمره ولا ينهى إلا بنهيه بنص قوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾ [النساء: ٨٠]، **(وقرن طاعته بطاعته)** فى القرآن كما فى قوله تعالى: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ [النساء: ٥٩]، وفيه من تعظيمه ووجوب طاعته ما لا يخفى، **(ووعد على ذلك بجزيل الثواب، وأوعد على مخالفته بسوء العقاب)** الجزيل بمعنى العظيم أو الكثير، وعبر فى جانب الثواب بالوعد، وفى جانب العقاب بالإيعاد المزيد لما اشتهر من الفرق بينهما فى أصل الاستعمال كما قال الشاعر:

وإنى وإن أوعدته أو وعدته ... لمخلف إيعادى ومنجز موعدى[1]

---

(١) البيت من بحر الطويل وهو لعامر بن طفيل فى ديوانه (ص٥٨)، لسان العرب (٦٣/١)، تاج العروس (٢٠٧/١).

وقد يستعمل كل منهما فى مكان الآخر لنكتة، وقد تقدم الكلام على ذلك مبسوطًا فى خطبة الكتاب، وسوء العقاب بمعنى العقاب السئ وهو ظاهر.

(وأوجب) الله تعالى **(امتثال أمره)** بالإتيان بما أمر به، **(واجتناب نهيه)** بتركه ما نهاه عنه، فقال: ﴿**وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟**﴾ [الحشر: ٧]، كما تقدم بيانه.

(وقال المفسرون) فى تفاسيرهم **(والأئمة)** أى أئمة الدين من الفقهاء والمحدثين: **(طاعة الرسول)** التى أمرنا الله تعالى، عز وجل، بها فى القرآن متحققة ومتبينة **(فى التزام سنته)** أى المداومة على سلوك طريقته، فالسنة بمعناها اللغوى فيعمل ما عمله ويترك ما تركه، **(والتسليم)** أى الانقياد والمتابعة له **(لما جاء به)** من شرعه الموحى إليه الذى أخبرنا به وتصديقه فيما أخبر به من غير تحكيم العقل.

(وقالوا) أيضًا **(ما أرسل الله من رسول)** من زائدة فى النفى لتأكيد العموم **(إلا فرض طاعته)** أى جعلها فرضًا متحتمًا يثاب فاعله ويعاقب تاركه **(على من أرسله إليه)** لتبليغ شرعه، والضمير لمن باعتبار لفظه.

(وقالوا) أى المفسرون والأئمة **(من يطع الرسول فى سنته)** بنون مشددة وتاء مثناة فوقية أى فى طريقته وشريعته من أمر ونهى وسنة وفرض، وليس المراد بها ما يقابل الفرض كما يوهمه قوله: **(يطع الله فى فرائضه)** جمع فريضة بمعنى الفرض، وفى بعض النسخ سننه بنونين جمع سنة، ويحتمل أن تفسر السنة والسنن بمعنى ما يقابل الفرض؛ لأن من اتبع الرسول فيما سنه من غير إيجاب عليه كان متبعًا له فى فرائض الله بالطريق الأولى، والمراد أن طاعة الله وما جاء به عين طاعة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم، لا ينفصل أحدهما عن الآخر، وفى الأم للشافعى عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «لألفين أحدكم متكئًا على أريكته يأتيه ما أمرت أو نهيت، فيقول: لا أدرى ما وجدنا فى كتاب الله عملنا به».

وسيأتى بيان ألفاظه عند ذكر المصنف، رحمه الله، له قريبًا مرتين لأمر اقتضاه، فهذا بيان لأن العمل بسنة رسول الله عمل بكتاب الله، وهو معنى ما قالوه هنا.

(وسئل سهل بن عبد الله) التسترى الإمام الزاهد المشهور **(عن شرائع الإسلام)**، أى ما المقصود منها والمراد، **(فقال)** سهل فى الجواب: ﴿**وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ**﴾ [الحشر: ٧]، أى تمسكوا به.

(وقال) الإمام أبو الليث الفقيه المشهور **(السمرقندى: يقال)** فى طاعة الله ورسوله أن معناه **(أطيعوا الله فى فرائضه)** أى فيما فرضه عليكم فى كتابه الكريم، **(والرسول فى**

سنته) أي ما سنه وشرعه لنا.

(وقيل) في معنى ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [النساء: ٥٩]، **(أطيعوا الله فيما حرم عليكم)** باجتناب جميع محرماته، وكان الظاهر أن يقال فيما أوجبه وحرمه وغيره كما عمم اتباع الرسول بقوله: **(والرسول)** أي وأطيعوا الرسول **(فيما بلغكم)** عن الله من أوامره ونواهيه مخلصًا في ذلك، فإنه مأمور بتبليغه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣، ٤].

(ويقال) في معناه **(أطيعوا الله بالشهادة)** أي الإقرار والاعتراف **(له بالربوبية)** أي أنه رب خالق مالك لجميع الموجودات متفرد بالملك والربوبية، **(والنبي)** بالنصب أي وأطيعوا النبي، عليه السلام، **(بالشهادة له بالنبوة)** المراد بالنبي هنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم قال للعهد، وهو الفرد الكامل المتبادر عند الإطلاق، فيدل حينئذ على رسالته وأنه رسول، وإن قلنا: النبي أعم من الرسول، بناء على المشهور، فلا حاجة لما قيل: إن المراد النبوة المقترنة بالرسالة، وأنه كان ينبغي له الجمع بينهما إظهارًا للنعمة بهما عليه وتعظيمًا للمنة لديه، والعدول عن الظاهر إن قلنا: إن النبوة أفضل ظاهر لا لرعاية السجع كما قيل.

(حدثنا أبو محمد بن عتاب بقراءتي عليه)، وهو حديث رواه الشيخان، ومحمد بن عتاب تقدمت ترجمته قال: **(حدثنا حاتم بن محمد)** المعروف بابن الطرابلسي كما تقدم قال: **(حدثنا أبو الحسن علي بن محمد بن خلف)** الحافظ القابسي كما تقدم قال: **(حدثنا محمد بن أحمد)** وهو أبو زيد المروزي كما تقدم قال: **(حدثنا محمد بن يوسف)** الفربري راوي صحيح البخاري كما تقدم.

قال: **(حدثنا البخاري)** قال: **(حدثنا عبدان)** يعني: عبد الله بن عثمان بن جبلة بفتح الجيم والموحدة ابن أبي رواد الحافظ المروزي الفقيه الثقة، توفي سنة إحدى وعشرين ومائتين قال: **(أخبرنا عبد الله)** بن المبارك المروزي قال: **(حدثنا يونس)** بن يزيد الأيلي الإمام الثقة، توفي سنة تسع وخمسين ومائة، وأخرج له أصحاب الكتب الستة **(عن الزهري)** محمد بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري الإمام المشهور كما تقدم مرارًا قال: **(أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن)** أحد فقهاء المدينة السبعة على قول الأكثر واسمه عبد الله أو إسماعيل **(أنه سمع أبا هريرة يقول: إن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، قال: «من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله»)**؛ لأنه لا يأمر إلا بما أمر الله به ولا ينهى إلا عما نهى الله تعالى عنه، فمن امتثل أمره واجتنب نهيه امتثل أمر الله ونهيه، أو أن الله عز وجل أمر بطاعة رسوله وأمره ونهيه، فمن امتثل أمره ونهيه

أطاع الله فى أمره ونهيه بطاعته كما تقدم.

(ومن أطاع أميرى) أى من جعله هو أو خلفاؤه حاكمًا على أمته **(فقد أطاعنى)** لأن طاعته طاعة من أمره؛ لأنه مبلغ عنه، **(ومن عصى أميرى فقد عصانى)** قيل: إن قريشًا وسائر العرب كانوا لا يعرفون الإمارة، وإنما كانوا يطيعون رؤساء قبائلهم، فلما ظهر الإسلام ولى عليهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، الأمراء أنكروا ذلك، ولم يطيعوا الأمراء، فقال لهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك إعلامًا لهم بأنهم يلزمهم إطاعة أمرائه، وتوقيرهم والاقتداء بهم فى أقوالهم وأفعالهم، ورواه مسلم الأمير بالألف واللام.

(وطاعة الرسول) أى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، **(من طاعة الله)** المرسل له **(إذ الله أمر بطاعته)** أى لأن الله أمر جميع الناس باتباعه فيما جاء به من الله، **(فطاعته)** أى الرسول ورسوله **(امتثال لما أمر الله به)** فى قوله: ﴿**وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ**﴾ [محمد: ٣٣].

(وطاعة له) أى لله لأنه أمرهم إجمالاً بإطاعته، فطاعته طاعة لربه لأنا نطيعه لأمرنا بإطاعته فى أوامره ونواهيه، وهو إنما يأمرنا بما أمر الله تعالى بتبليغه ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ**﴾ [النجم: ٣]، ويدخله ما كان باجتهاده؛ لأنه أمر بالاجتهاد على الأصح، وهذا بسط لما قدمه وإيضاح له ولا تكرار فيه كما قيل.

(و) قد **(حكى الله عن الكفار)** ما سيقولونه أى ذكر فى القرآن إخبارًا عنهم بما سيكون، وهذه العبارة مأثورة عن السلف من غير إنكار لها إلا أن العارف بالله ابن عباد المغربى قال: إنه ليس بصواب؛ لأن كلام الله صفه قديمة، فلا يقال: حكى الله فى كلامه عن كذا لأن الحكاية متأخرة عن المحكى، وإنما يقال: أخبر الله ونحوه، انتهى.

وهذا مما لا وجه له؛ لأنه تعالى قال: ﴿**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ**﴾ [يوسف: ٣]، والقصص والحكاية بمعنى، وما احتج به لا حجة له فيه، فإنه وارد على الإخبار بعينه من غير فرق.

(فى دركات جهنم) أى محلهم الأسفل فيها ﴿**يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ**﴾ [الأحزاب: ٦٦]، أى تصرف من جهة إلى أخرى، لاضطرابهم فهى كقطع لحم يغلى فى قدر يفور، أو تقلبها تغيرها عن حالها وهيأتها أو تبدل ألوانها، وخص الوجه؛ لأنه أشرف الأعضاء وأظهرها، والمراد به الجملة، ﴿**يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا**﴾ [الأحزاب: ٦٦]، لنسلم مما نحن فيه لندمهم حيث لا ينفعهم الندم، **(فتمنوا طاعته)** صلى الله تعالى عليه وسلم، **(حيث لا ينفعهم التمنى)** أى فى زمان أو مكان لا ينفعهم تمنيهم فيه، والتمنى طلب ما لا يمكن حصوله.

(وقال صلى الله تعالى عليه وسلم)، فى حديث رواه الشيخان: **(إذا نهيتكم عن شىء)**

محرم أو مكروه **(فاجتنبوه)** أى اتركوه كأنه طرح فى جانب منكم، **(وإذا أمرتكم بأمر)** أى بمأمور به إيجابًا أو ندبًا، **(فأتوا منه ما استطعتم)** أى قدرتم عليه من غير ترك للواجب بغير عذر، وأول هذا الحديث: «دعونى ما تركتكم إنما هلك من قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شىء فاجتنبوه»[1] إلى آخره، وسببه أنه صلى الله تعالى عليه وسلم، قال فى خطبة: «إن الله قد فرض عليكم الحج فحجوا»[2]، فقال رجل: أكل عام يا رسول الله، فسكت حتى قالها ثلاثًا؛ فقال: لو قلت: نعم لوجبت ولما استطعتم، ثم قال: دعونى الحديث، وزاد الدارقطنى فنزلت: **﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾** [المائدة: ١٠١].

وروى ذلك عن ابن عباس فى التفسير، وشىء عام خص منه ما أكره عليه المكلف، وفيه خلاف هل الإكراه على المعصية يبيحها، أو هى باقية على حرمتها ولا يأثم مرتكبها، وهو مبنى على الخلاف فى أن المكره مكلف أم لا؟، ومعنى ائتوا منه ما استطعتم: افعلوا على قدر استطاعكم.

قال النووى: وهذا الحديث من جوامع الكلم وقواعد الإسلام يدخل فيه كثير من الأحكام، كمن عجز عن ركن من أركان الصلاة أو شرط من شروطها يأتى بمقدوره، ولا يسقط عنه مقدوره، ولذا قال الفقهاء: الميسور لا يسقط بالمعسور، وفى الحديث إشارة إلى اعتناء الشارع بالمنهيات لإطلاقه الاجتناب، ولو مع مشقة الترك، وتقييد المأمورات بالاستطاعة والطاقة كما قاله أحمد بن حنبل.

فإن قلت: الاستطاعة معتبرة فى النهى، **﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾** [البقرة: ٢٨٦].

قلت: قال ابن حجر: الاستطاعة لا تدل على المدعى، وهو الاعتناء بل هو جهة الكف، وكل أحد قادر عليه لولا داعية الشهوة، فكل أحد قادر على الترك بخلاف الفعل؛ فإن العجز عنه محسوس فلذا قيد الأمر بالاستطاعة دون النهى.

وقال الماوردى: الكف عن المعاصى ترك، وهو سهل وعمل الطاعة فعل وهو شاق، فلذا لم يبح ارتكاب المعاصى مع العذر، وأبيح ترك العمل للعذر، وقال بعضهم فى قوله تعالى: **﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾** [التغابن: ١٦]، أنه يتناول امتثال المأمور واجتناب المنهى، وقيد الأمر بالاستطاعة لكثرته، فإن العجز فى النهى محصور فى الاضطرار لقوله: **﴿إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾** [الأنعام: ١١٩]، وقيل: إن قوله: **﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾**،

---

(١) أخرجه البخارى (١١٧/٩)، والدارقطنى (٢٨١/٢).

(٢) أخرجه أحمد (٥٠٨/٢)، والنسائى (١١٠/٥)، والطبرانى (١٦٨/٨).

منسوخ بقوله: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، والصحيح أنه غير منسوخ، والمراد بحق تقاته امتثال أمره واجتناب نهيه مع القدرة دون العجز عنه.

(وفى حديث أبى هريرة)، رضى الله تعالى عنه، الذى رواه الحاكم **(كل أمتى)** يعنى أمة الإجابة **(يدخلون الجنة)** الضمير لكل باعتبار معناه، ويجوز إفراده باعتبار لفظه، ولفظ الحاكم: «كلكم يدخل الجنة»(١)، والخطاب خطاب مشافهة للأمة أيضًا، وقيل: إنه لم يرو بهذا اللفظ والسيوطى فى تخريجه سكت عنه لنكتة **(إلا من أبى)** أى امتنع ثم فسره بقوله: **(قالوا: يا رسول الله ومن يأبى؟)**، فهموا منه أنه أبى دخول الجنة ولا يأباها أحد؛ لأنه روى كما فى النهاية وشرد.

(قال) صلى الله تعالى عليه وسلم، مجيبًا لهم: **(من أطاعنى)** وانقاد ممتثلاً لأمرى ومجتنبًا لنهيى **(دخل الجنة)**، وفاز بنعيمها المقيم، **(ومن عصانى)** وخالفنى، **(فقد أبى)** أى امتنع من دخول الجنة؛ لأنه بسبب تركه للطاعة باختياره كأنه دعى إلى الجنة فامتنع، واعلم أنه إن أريد بالعصاة المذنبون من المؤمنين، فهو تمثيل ولا ينافى العفو عنهم، ولا إخراجهم من النار وإن أريد الكفار فهو استعارة أيضًا، والمراد خلودهم فى النار.

قال التلمسانى بعد قوله: «إلا من أبى» أى امتنع قولاً وفعلاً، و لم يقبل شيئًا فالأمة أمة الدعوة أى كلهم إلا من أبى، وهم الكفار يدخلون الجنة، ويحتمل أن يريد بالأمة أمة الإجابة فأبى هو العاصى من أمته، فاستثناهم تغليظًا عليهم وزجرًا لهم عن المعاصى، وزاد فى الجواب فقد أبى توضحيًا لبيان الصنفين، والتقدير: من أطاعنى وتمسك بالكتاب والسنة دخل الجنة، ومن اتبع هواه ضل عن سواء السبيل ودخل النار، انتهى.

(وفى الحديث الآخر) عرفه إشارة إلى أنه معلوم مشهور؛ لأنه رواه البخارى فى كتابه، ولذا وصفه بقوله: **(والصحيح عنه، عليه الصلاة والسلام: مثلى ومثل ما بعثنى الله به)** ضرب للناس مثلاً فيما جاءهم به مما يورث الفوز بخير الدارين وانتظام أمر المعاش والمعاد، والمثل بفتحتين، والمثيل فى الأصل بمعنى النظير كشبه وشبه وشبيه نقل إلى قول شبه مضربه بمورده، وأكثر ما يكون بأمر عجيب غريب، ثم نقل لكل حالة وقصة أو صفة، والذى فى البخارى: «مثل ما بعثنى الله»، وليس فيه به، فقال ابن حجر: إنه مقدر وما موصولة، وقيل عليه شرط حذف العائد المجرور جر الموصول بمثله لفظًا ومعنى، وإن لم يتحدا متعلقًا فما مصدرية لا عائد لها.

أقول: ما ذكره النحاة إنما هو لجوازه قياسًا مطردًا لا لعدم صحته فيما سمع منه واقتضاه المقام، وذكر المصنف، رحمه الله تعالى، له إن كان لرواية وقعت له فظاهر، أو

---

(١) أخرجه الحاكم فى المستدرك (١/٥٥، ٤/٢٤٧).

لبيان أنه مقدر فيه، فهو رواية بالمعنى يدل على ما قاله ابن حجر، والمعنى عليه وفيما ذكره تكلف لا يخفى.

(**كمثل رجل أتى قومًا**) ليحذرهم وينذرهم بعدوهم الذى قرب مجيئه لهلاكهم، (**فقال: يا قوم إني رأيت الجيش**) هم جمع كثيرون سائرون للمحاربة والقتال (**بعينى**) هو مفرد مكسور النون مضاف لياء المتكلم الخفيفة أو بفتحها وياء مشددة مفتوحة مثنى، وهو لتأكيد الرؤية وتحقيق أنها رؤية حقيقية بصرية ضرورية حسية، (**وإنى أنا النذير**) المنذر المعلم بما يحذر قبل وقوعه (**العريان**) أى المجرد من ثيابه المكشوف جميع بدنه، وهو مثل تمثل به صلى الله تعالى عليه وسلم، والمراد به المبالغة فى إنذار ووضوح ما أنذر به، وعدم احتمال خلاف، وأصله أن الرجل كان إذا رأى العدو قرب جدًا، وليس بينه وبينهم حجاب يمنعهم عن رؤيته، لو خشى أن يسبق خبره وقف على مكان عال ونزع عنه ثوبه ورفعه يلوح به أى بادروا إلى الحذر والفرار، فقد جاءكم من العدو ما لا تطيقونه، وأصله كان فى رجل معين من خثعم قطع رجل يده ويد امرأته، فأتى قومه يحذرهم بفعل ذلك، وقيل: إنما هى امرأة، وقيل: هو عوف بن عامر اليشكرى وامرأة من كنانة، وقيل: امرأة من بنى عامر، وقيل: أبرهة الحبشى، وقيل: إنه رجل سلبه العدو فأتى قومه عريانًا لما انفلت منهم، فتحققوا صدقه، وعلى كل حال فهو استعارة ومن اللطائف ما قاله الإمام السهيلى فى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ﴾ [المدثر: ١، ٢]، إن تعبيره بالمدثر والمزمل فيه ملاطفة له، صلى الله تعالى عليه وسلم، كأنه يقول له: أنا أرسلتك نذيرًا والنذير يكون عريانًا لا ملفوفًا بثيابه، وهى نكتة سرية.

(**فالنجاء**) بالنصب على المصدر بعامل محذوف لضيق المقام، ومعناه الخلاص والفرار أى انجوا نجاء بسرعة من غير لبث، فناب عن عامله وعرف وهو ممدود أو مقصور بنية الوقف، ورواه البخارى النجاء النجاء بالتكرير بمدهما وقصرهما، وبمد الأول وقصر الثانى، وهو منصوب على الإغراء أى اطلبوا النجاء بالهرب، ويجوز رفعه أى النجاء خير لكم.

(**فأطاعه طائفة**) أى جماعة وفرقة (**من قومه**) لما أتاهم، وقال لهم ما قاله، (**فأدلجوا**) أى ساروا من أول الليل أو ساروا الليل كله هربًا من عدوهم، وهو بتخفيف الدال وتشديدها، وقيل: المخفف سير أول الليل والمشدد سير آخره، والاسم الدلجة بالضم والفتح، (**وانطلقوا**) أى ساروا طالبين النجاة من عدوهم (**على مهلهم**) أى متمهلين بتؤدة وتأن بعد ذلك، أو فى سيرهم هذا لسعة وقتهم، ومهل بفتح الميم مع فتح الهاء وسكونها وبضم الميم وسكون الهاء كما مر.

وفى مسلم مهلتهم بزيادة تاء والكل بمعنى واحد، **(فنجوا)** بفتح النون مع الجيم أى سلموا من عدوهم.

(وكذبت طائفة منهم) النذير فى إنذارهم بالعدو **(فأصبحوا)** أى مكثوا **(مكانهم)** أى فى مكانهم الذى كانوا فيه حتى دخلوا فى الصباح، **(فصبحهم الجيش)** أى أتاهم فى وقت الصباح، **(وأهلكهم واجتاحهم)** بجيم ومثناة فوقية وألف وحاء مهملة أى أهلكهم جميعًا واستأصلهم، فلم يبق لهم باقية من الذرارى والأموال، والجائحة الآفة التى تصيب الثمار فتستأصلها أى تفنيها من أصلها، وكل مصيبة عظيمة فهى جائحة.

(فذلك) المذكور والمثل المضروب لكم **(مثل من أطاعنى)**، فشبهوا بمن صدق النذير فنجا، **(واتبع ما جئت به)** فصدقه وعمل بما أمره به مما أوحاه الله إليه، فسلم ونجا وفاز بالسعادة الأبدية واجتنب ما نهاه عنه، **(ومثل من عصانى وكذب ما جئت به من الحق)**، فهم كمن كذب النذير ومكث مكانه حتى هلك ومن معه.

وفى شرح المشكاة للطيبى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم، شبه نفسه وإنذاره بالعذاب القريب بالرجل الذى أنذر قومه بالجيش المصبح، وشبه من أطاعه من أمته ومن عصاه بمن كذب الرجل ومن صدقه، وقيل عليه: إنما هو تشبيه تمثيلى شبه فيه المجموع وهيئته بالمجموع وهيئته، لا تشبيه الأجزاء بالأجزاء، فإن الأول أبلغ وأحسن.

وأقول: إعادة مثل فى الحديث تقتضى ما قاله الطيبى، والمآل واحد، وأبلغية ما ذكره فى هذا المقام غير مسلمة بسلامة الأمير، وقيل: إنه تشبيه بليغ استعير فيه المثل للحال والقصة والصفة الغريبة العجيبة، وهو وجه تحقيقه فى شروح الكشاف.

(وفى الحديث الآخر) الذى رواه الشيخان **(فى مثله)** أى تمثيل حاله وصفته صلى الله تعالى عليه وسلم، مع أمته فى دعوته لهم **(كمثل)** بفتحتين أى كصفة وقصة **(من بنى دارًا)** عظيمة أنشأها وفرشها بفرش نفيسة، **(وجعل فيها مأدبة)** بميم مفتوحة وهمزة ساكنة ودال مهملة مثلثة والأشهر الضم، ثم الفتح وباء موحدة وهاء، وهى الأطعمة الكثيرة النفيسة المعدة لإكرام الضيوف والأصحاب، وفى القاموس: إنها طعام صنع لدعوة أو عرس، والمشهور الأول فهى عامة لكل دعوة.

وفى فقة اللغة القرى بكسر القاف والقصر وفتحها والمد: طعام الضيف الغريب، وهو للزائر تحفة، وللأملاك شنوخة، وللعرس وليمة، وللولادة خرس، ولحلق شعر المولود عقيقة، وهو فى الأصل اسم لنفس الشعر من عقه قطعه، وللختان عذيرة وللمعلل قبل الغداء سلفة، ولمستعجل الغداء عجالة، وللكرامة منزلة من النزل، انتهى، والمأدبة من الأدبة بالضم وهى الطعام.

(وبعث داعيًا) يدعو لمنزله وأكل طعامه، **(فمن أجاب الداعى)** أى امتثل دعوته وذهب معه **(دخل الدار)** التى بناها، **(وأكل من)** طعام **(المأدبة)** التى أكرم بها، **(ومن لم يجب الداعى)** لدعوته **(لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة)** التى حرم منها، ثم فصل التشبيه وبينه وسكت عن بيان من بنى، وهو الله الذى خلق الجنة، وهيأ أسباب دخولها لظهوره مما بعده، وهو قوله: **(فالدار الجنة)** التى أعدها الله لمن اختاره من عباده، ومأدبتها ما فيها من النعيم وما تشتهيه الأنفس، **(والداعى)** لها **(محمد)** صلى الله تعالى عليه وسلم، مما بلغهم عن الله وأمرهم به مما يدخلهم جنته، ويوصلهم للسعادة والنعيم المخلد.

(فمن أطاع محمدًا فقد أطاع الله) تقدم بيانه، **(ومن عصى محمدًا فقد عصى الله)**؛ لأن مخالفه مخالف لأمر الله كما مر.

(ومحمد فرق بين الناس) فرق بفتح الفاء وسكون الراء المهملة وتنوينه مصدر بمعنى فارق بين المؤمنين والكافرين بإطاعته وعصيانه، وروى فرق بصيغة الماضى مشدد الراء المهملة أى فرق بين مؤمنهم وكافرهم، أو بين من دعى للجنة وبين من لم يدع لها، وهذا أنسب بالسياق والمعنى واحد، وأول هذا الحديث أنه صلى الله تعالى عليه وسلم، نام وكان إذا نام نفخ، فجاءه ملائكة وهو نائم فقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان، فقالوا: مثله كمثل رجل إلى آخره، وفيه فقالوا: أولوها له يفقهها، فقالوا: الدار الجنة إلى آخره، فالممثل الملائكة وكذا المبين له، وهذه رواية غير رواية المصنف، رحمه الله تعالى، وفى رواية أن القائل جبريل وميكائيل، ولا يخفى أن ظاهر الحديث أنه تشبيه مركب، فقول الكرمانى: إنه ليس المقصود تشبيه المفردات بل هو تشبيه تمثيل مما لا وجه له.

* * *

(فصل وأما وجوب اتباعه ﷺ وامتثال سنته)

السنة هنا بمعناها اللغوى، وهى والطريقة والسيرة بمعنى، وهى أقواله وأفعاله وتقريراته، وليس المراد بها ما يقابل الفرض حتى يتوهم منافاتها للوجوب؛ لأنه معطوف على اتباعه **(والاقتداء بهديه)** هدى بزنة ضرب بمعنى سنته وطريقته أيضًا، وفى نسخة: والاهتداء بهديه.

(فقد قال الله تعالى) هو جواب أما أى فقد ثبت ذلك بنص القرآن كقوله عز وجل: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي﴾ [آل عمران: ٣١]، أى اقتدوا بسنتى واهتدوا بهديى ﴿يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ الآية، فسروا محبة الله ورسوله باتباعهما ومحبة الله

بإنعامه وفضله، وهذا تفسير له بلازمه المتجوز، فإن المحبة الحقيقية ميل النفس لما يستلذه، وهو غير متصور هنا، ولذا قال الغزالى: إن العصيان يضاد أصل المحبة، وقال البيضاوى: يحببكم الله: يرضى عنكم ويكشف الحجب عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم، ويقربكم من جناب عزه ويبوئكم فى جوار قدسه، عبر عن ذلك بالمحبة على طريق الاستعارة أو المقابلة أى المشاكلة، ولبعض الشراح من المتأخرين هنا كلام لا طائل تحته غير التطويل.

(وقال) تعالى: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، والإيمان به وتصديقه يقتضى اتباعه **(الذى يؤمن بالله وكلماته)** التى نزل بها الوحى عليه وما أوحى إلى من قبله من الرسل من الكتب والشرائع، وعبر عما ذكر بالكلمات إشارة إلى أنها بالنسبة لعلمه المحيط بكل شىء، ولكلامه الذى يغنى مداد البحار فى دواة الإمكان كالكلمات القليلة، وجمع بين النبوة والرسالة؛ لأن المقام مقام مدح وإطناب؛ ولأنه يجب الإيمان بكل من الوصفين، وإن كان ذكر الأخص يكفى هنا أعنى الرسول، وعبر بالظاهر و لم يقل بى لبلاغة الالتفات، ولتجرى عليه الصفات الداعية للإيمان به واتباعه، وعبر بالرجاء فى قوله: ﴿وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾، أى راجين الاهتداء باتباعه؛ تحريضًا لهم على اتباعه، وإيماء إلى أن من آمن به و لم يقتد بما شرعه لهم لا ينجو من الضلال، والرجاء بالنسبة للمخاطبين، أو هو مجاز عن التعليل كما ذهب إليه بعض النحاة.

(وقال الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾) [النساء: ٦٥]، لا مزيدة للتأكيد، أو نفى لما تقدمها أى ليس الأمر كما يزعمون من أنهم آمنوا بما أنزل إليك، وقيل: لا الثانية زائدة، والقسم معترض بين حرفى النفى.

﴿حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ﴾ أى يرجعون لحكمك ويرضون به، وهو غايه لصحة إيمانهم ﴿فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ أى فيما وقع بينهم من المشاجرة وهى المخاصمة، وأصل معناه الاختلاط، ومنه الشجر لتداخل أغصانه واختلاطها **(إلى قوله: ﴿تَسْلِيمًا﴾)** يعنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، والحرج ضيق الصدر أو الشك، وهذه الآية نزلت فى بعض الأنصار لما اختصم مع الزبير فى ماء سقى به أرضه، وسيأتى تفصيله **(أى ينقادون لحكمك)**، تفسير لقوله: ﴿وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾، وأكده ليفيد الانقياد ظاهرًا وباطنًا، وفى نسخة ينقادوا قيل: وهو الظاهر؛ لأنه منصوب بحذف النون لا سيما إن قيل: إن أى عاطفة، وليس بلازم لأنه مفسر للجملة بتمامها لا للمضارع وحده، **(يقال: سلم)** بالتشديد **(واستسلم)** أى طلب

السلامة بانقياده، **(وأسلم إذا انقاد)** هذا هو المصرح به فى كتب اللغة كما ذكره الراغب وغيره، فما قيل: إن المذكور فى القاموس إن التسليم الرضا والاستسلام الانقياد، فلو فسر التسليم فى الآية بالرضى الأخص كان أحسن ليس بشيء.

(وقال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ﴾) [الأحزاب: ٢١]، بالكسر والضم أى قدوة يقال: أسيته بمالى أسوة وواسيته لغة قليلة، وقيل: هى الصواب، فهى الخصلة التى يراد الاتصاف بها **(حسنة)** أى خصلة حسنة من حقها أن يؤتسى بها أى يقتدى، ويجوز أن يراد بالأسوة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، نفسه لأنه قدوة يحسن التأسى به فى أقواله وأفعاله، وحسنة هنا على الأول صفة مؤكدة.

ويجوز أن يكون احترازًا عما هو من خصائصه، صلى الله تعالى عليه وسلم، فتكون صفة مقيدة ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ﴾ [الأحزاب: ٢١]، أى يرجو ثوابه ولقاءه، ونعيم الآخرة أو أيامه الأخر خصوصًا مع قوله: لمن كان، وفى الكشاف أن لمن بدل من لكم، قيل: والأكثر على أن ضمير المخاطب لا يبدل منه، فهو صلة أو صفة لحسنة قرنت كثرته بالرجاء لإيذانها بملازمة الطاعة إذ المؤتسى من شأنه ذلك.

(قال محمد بن على الترمذى): هو المعروف بالحكيم الترمذى الصوفى صاحب نوادر الأصول وليس هو صاحب السنن، وقد تقدمت ترجمته: **(الأسوة فى الرسول)** تعريفه للعهد الخارجى، فالمراد به محمد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، أو هو للعهد الذهنى أو الاستغراق، فهو أعم أى فى حق رسول من الرسل، أو لكل رسول **(الاقتداء به)** فى أقواله وأفعاله كما فى قوله تعالى: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠].

(والاتباع لسنته) أى لطريقته وشريعته، **(وترك مخالفته فى قول)** قاله أمرًا أو نهيًا أو إرشادًا **(أو فعل)** فعله ليقتدى به فيه؛ لأنه ليس من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم، **(وقال غير واحد)** تقدم أن معناه ناس كثيرون **(من المفسرين بمعناه)** أى قالوا قولاً بمعنى ما قاله الترمذى.

(وقيل) معنى الآية المذكورة **(هو عتاب)** من الله تعالى أى توبيخ ولوم **(للمتخلفين عنه)** صلى الله تعالى عليه وسلم، ممن لم يخرج معه لمحاربة أعدائه؛ لأنهم كان عليهم أن يقتدوا به فى جهاد أعداء الدين، ومقاساة أهوال الحرب، وكان ذلك فى غزوة الأحزاب أو تبوك حبًا للبقاء والراحة، وكان عليهم المبادرة لطاعته صلى الله تعالى عليه وسلم، وبذل أنفسهم له؛ لأنه سبب سعادتهم وحياتهم الأبدية، وفيه دليل على ما ذكر على التفاسير، ومعنى الظرفية إن قلنا: الأسوة أفعاله وأقواله المتبعة ظرفية الموصوف للصفة؛ لأنها قائمة به كقيام المظروف بظرفه، فإن قلنا: الأسوة نفسه صلى الله تعالى عليه وسلم،

فهو تجريد جعل كأنه فيه مقتدى به منتزع كقوله: ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ﴾ [فصلت: ٢٨]، وليست هذه الظرفية كقولهم: الدار فى نفسها تساوى كذا، وفى البيضة عشرون منًّا من حديد كما قيل، وقد أشرنا إلى أن الاقتداء إنما يجب فيما ليس من خصائصه كالأمور الجبلية فيه، فإنها لا يمكن أن تكون لغيره.

(**وقال سهل**) بن عبد الله التسترى، وقد قدمنا ترجمته (**فى قوله تعالى:** ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾) [الفاتحة: ٧]، بين ما أنعم به على من سلك الطريق المستقيم.

(**قال**) سهل فى تفسير: إنه أنعم عليهم (**بمتابعة السنة**) أى اتباع طريقه الذى هو الصراط المستقيم الذى يجب اتباعه، (**فأمرهم الله تعالى بذلك**) أى باتباعه (**ووعدهم**) الجزاء عليه أعنى (**الاهتداء باتباعه**) أى حصول الهداية التى طلبوها بقولهم: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، فقال: ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وفيه إيماء إلى أن الترجى من الله تعالى وعد لمن لا يخلف الميعاد؛ (**لأن الله تعالى أرسله بالهدى**) أى بما فيه هدايتهم، (**ودين الحق**) أى الدين الحق أو دين الله؛ (**ليزكيهم**) أى يطهرهم من الشرك والمعاصى، ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾ [البقرة: ١٢٩]، أى القرآن ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ أى العلوم النافعة المحكمة، والشريعة التى صيرتهم حكماء متقنون للعلم والعمل، ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٦]، بإسلامهم وطاعة الله ورسوله الموصل لهم للنعيم المقيم، (**ووعدهم محبته تعالى**) أى محبة الله لهم، فالمصدر مضاف لفاعله (**فى الآية الآخرى**) يعنى قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، (**ومغفرته**) بقوله: ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾، (**إذا اتبعوه**)؛ لأن جواب الأمر فى معنى جواب الشرط، (**وآثروه**) بالمد أى قدموه واختاروه من الأثرة (**على أهوائهم**) جمع هوى بالقصر، وهو ما تميل إليه النفس وتدعو إليه، وهو إذا أطلق يراد به ما ليس بمحمود منالشهوات، (**وما تجنح**) بجيم ونون وحاء مهملة، ويجوز فى نونه الفتح والضم والكسر يعنى تميل، وأصله الميل على أحد شقيه مأخوذ من الجناح (**إليه نفوسهم**) وضع الظاهر فيه موضع الضمير إذ المعنى يجنحون إليه، ويقدمون اتباعه ومحبته على محبة أنفسهم وأموالهم وأولادهم والناس أجمعين كما ورد فى الحديث.

(و) أخبرهم بـ(**أن صحة إيمانهم فى انقيادهم له**) فى جميع ما أمرهم به ونهاهم عنه، (**ورضاهم بحكمه**) فيما تخاصموا فيه يعنى قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

(**وترك الاعتراض عليه**) فيما حكم به ومخالفته ومعارضته وعدم رضاه كما تقدم فى

قصة الأنصارى مع الزبير.

(وروى عن الحسن) البصرى، رحمه الله تعالى، والراوى له ابن المنذر فى تفسيره، ويحتمل أنه الحسن بن على، رضى الله تعالى عنهما، **(أن قومًا قالوا: يا رسول الله إنا نحب الله)** أى تميل إليه أنفسنا ونخصه بالعبادة والرغبة لما رغبنا فيه، **(فأنزل الله)** مبينًا لهم محبتهم، والمراد منها بقوله: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ﴾ الآية [آل عمران: ٣١]، أى ﴿فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ يعنى أن محبته إنما تتحقق بطاعة الله، وطاعته بطاعة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، ومن أحب الله أحبه الله كما قيل: ما جزى من يحب إلا يحب.

(وروى) فى سبب نزول هذه الآية **(أن الآية نزلت فى كعب بن الأشرف)**، وهو رجل من عظماء اليهود من بنى النضير، وأمه من طى وقتل كافرًا بعد بدر بستة أشهر كما تقدم، وقصته مشهورة مفصلة فى السير، **(وغيره)** من اليهود أتباعه **(وأنهم)** أى ابن الأشرف وأتباعه **(قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه ونحن أشد حبًا لله)**، وهذا ما حكاه الله تعالى عنهم فى قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ [المائدة: ١٨]، إلى آخره، وكانوا أتوه صلى الله تعالى عليه وسلم، فأنذرهم وخوفهم عذاب الله، فقالوا: ما تخوفنا يا محمد نحن أبناء الله إلى آخره، فقال لهم معاذ بن جبل وسعد بن عبادة وعقبة بن وهب: يا معشر اليهود اتقوا الله، فإنكم تعلمون أنه رسول الله، وكنتم تصفونه قبل مبعثه، فقالوا: ما قلنا هذا وما أنزل الله بعد موسى كتابًا، ولا بعث رسولا، ومعنى قول النصارى: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ﴾، أنهم أشياع عيسى صلى الله تعالى عليه وسلم الذى زعموا أنه ابن الله، ومعنى: وقالت اليهود ذلك أنهم أشياع عزير الذى زعموا أنه ابن الله، وقيل: تقديره رسل الله.

(فأنزل الله تعالى الآية) جوابًا لهم بقوله تعالى: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم﴾ الآية.

(وقال الزجاج) فى تفسير هذه الآية **(معناه: إن كنتم تحبون الله أى اقصدوا طاعته)** إذ لا يصح تفسير المحبة فيها بما تعارفه الناس، وفى نسخة إن تقصدوا هذا تفسير لمحبة العبد، **(فافعلوا ما أمركم)** الله تعالى **(به)** الفاء فصيحة أى اتبعونى وافعلوا **(إذ محبة العبد لله والرسول)** أى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فاللام عوض عن المضاف **(طاعته لهما)** باتباع أمرهما ونهيهما، **(ورضاه بما أمرا)** بأن يطيعه ظاهرًا وباطنًا إذ لو لم يطعه باطنًا كان منافقًا، **(ومحبة الله لهم)** أى لعباده، ففسر محبة الله بعد تفسير محبة عباده لذكرهما فى الآية **(عفوه عنهم)** بمغفرة ذنوبهم، وقدمه على قوله **(وإنعامه)** أى الله **(عليهم)** أى على عباده **(برحمته)** اهتمامًا به، والرحمة فى حق الله بمعنى الإنعام وإرادته فى

حقه تعالى؛ لأن معناها الحقيقى لا يصح فى حقه تعالى، فالمراد بها هنا لطفه بعباده ورأفته بهم.

(ويقال) فى تفسير محبة الله ومحبة عباده له أن معنى **(الحب من الله عصمة)** أى حفظ الله لعبده من مخالفة أمره ونهيه، والعصمة بمعنى مطلق الحفظ لا تختص بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم، فيكون لغيره، ويجوز الدعاء بها لكل أحد كما تقدم، والذى يختص به صلى الله تعالى عليه وسلم، دون غيره هو أن يخلق الله فيه جبلة تمنعه عن كل ما لا يرضاه الله، وأن لا يقدر أحد على قتله ونحوه، وإليه أشار بقوله: **(وتوفيق)** أى خلق الله فيه قدرة على طاعة الله ومراقبته فى السر والعلانية حتى يمتنع من المقحمات، ومبدؤه ميل نفسانى يتعالى الله عنه.

(و) المحبة **(من العباد)** معناها **(طاعة)** وانقياد لله ورسوله **(كما قال القائل)** أى معنى ما ذكر هو معنى قول هذا الشاعر، وهو كما فى زهر الآداب للحصرى محمود بن الحسن الوراق، وقيل: إنه لمنصور الفقيه وهو بليغ مفلق كان فى أول الدولة العباسية، وكان كثيرًا ما يأخذ حكم المتقدمين من الفلاسفة وغيرهم، فينظمها فى شعره كقوله:

إذا كان شكرى نعمة الله نعمة ... على له فى مثلها يجب الشكر[1]

فكيف بلوغ الشكر إلا بفضله ... وإن طالت الأيام واتصل العمر

إذا مس بالسراء عم سرورها ... وإن مس بالضراء أعقبها الأجر

فما منهما إلا له فيه نعمة ... يضيق بها الأوهام والبر والبحر

تعصى الإله وأنت تظهر حبه ... هذا لعمرى فى القياس بديع[2]

لو كان حبك صادقًا لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع

وفى معناه قول منصور الفقيه أيضًا:

غلط فاحش وجهل مبين ... وعمى لا يحول لا بَلْ جنون

طمع العبد فى كرامة مولاه ... وإصراره على ما يهين

ومعنى الشعر أنك تدعى محبة الله وأنت عاص له، ولو كنت صادقًا لم تعص؛ لأن المحب لا يخالف حبيبه، والعمر بفتح العين الحياة كالعمر بضمها، إلا أنهم فى القسم التزموا فتحها إلا شذوذًا، وهو مبتدأ خبره محذوف تقديره قسمى، والقياس لغة تقدير الشىء بذراع ونحوه، وفى الاصطلاح إلحاق شىء بشىء لمناسبة بينهما، ويطلق بمعنى الدليل المعروف، والمراد قياسه بغيره، وبديع بمعنى غريب عجيب يعنى أن المعاصى لا

---

(١) الأبيات من بحر الطويل عروضه مقبوضة، وضربه صحيح.

(٢) البيتان من بحر الكامل عروضه صحيحه، وضربه مقطوعة.

تضر المحب؛ لأن المتحابين لا يؤاخذ أحدهما الآخر، وهو أمر عجيب ومقتضى القياس أن المحب لا يعصى أمر حبيبه، ويجوز أن يراد القياس المنطقى كما قيل، وهو تكلف، **(ويقال: محبة العبد لله تعظيمه له وهيبته منه)** أى خوفه إذا تأمل عظمته، **(ومحبة الله له)** أى لعبده **(رحمته له)** أى إحسانه وإكرامه لأن معناه الحقيقى لا يليق به، فأريد به غايته **(وإرادته)** الفعل **(الجميل له، وتكون)** بالمثناة الفوقية، وفيه ضمير المحبة، وقيل: إنه بالتحتية والضمير للجميل، والأول أولى **(بمعنى مدحه والثناء عليه)** أى على العبد.

(قال القشيرى) الإمام الزاهد أبو القاسم صاحب الرسالة وقد تقدمت ترجمته: **(فإذا كان)** أى المحبة وذكره لتأويله، أو لأن تأنيث المصدر غير معتبر لتأويله بأن والفعل، أو الضمير للجميل **(بمعنى الرحمة والإرادة)** عطف تفسير؛ لأن الرحمة تفسير بالإنعام، فيكون من صفات الأفعال، **(والمدح)** فى كلامه الأزلى كالثناء على المؤمنين فى القرآن **(كان من صفات الذات)** أما الإرادة فظاهر، وأما المدح فلأنه يرجع لصفة الكلام، والكلام على صفات الذات والأفعال مفروغ منه فى علم الكلام.

(وسيأتى بعد) مبنى على الضم لقطعه عن الإضافة أى بعد هذا **(فى ذكر محبة العبد غير هذا)** فاعل سيأتى أى غير ما ذكر هنا **(بحول الله تعالى)** أى بإعانته وقوته؛ لأن الحول له معان منها هذا، ثم ذكر حديثًا مسندًا رواه الآجرى شاهدًا لوجوب اتباعه صلى الله تعالى عليه وسلم، فقال: **(حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن جعفر الفقيه)** بن أحمد شيخ المصنف، رحمه الله تعالى، قال: **(حدثنا أبو الأصبغ عيسى بن سهل)** أصبغ بصاد مهملة وموحدة وغين معجمة **(ح وحدثنا)** تقدم أن ح بحاء مهملة يذكرها المحدثون إذا أرادوا التحول من رواية لرواية أخرى كما بينه ابن الصلاح **(أبو الحسن يونس بن مغيث)** بميم مضمومة وغين معجمة وياء تحتية ساكنة ومثلثة **(الفقيه بقراءتى عليه)** قال: **(حدثنا حاتم بن محمد)** تقدم بيانه.

قال: **(حدثنا أبو حفص الجهنى)** نسبة لجهينة مصغرًا قبيلة مشهورة قال: **(حدثنا أبو بكر الآجرى)** بفتح الهمزة الممدودة وضم الجيم وتشديد الراء المهملة نسبة للآجر، وهو الطوب المعروف وهو الإمام الحافظ محمد بن الحسين، وقد تقدم بيانه.

قال: **(حدثنا إبراهيم بن موسى الجوزى)** بفتح الجيم وسكون الواو وزاء معجمة مكسورة وياء نسبة، وهو أبو إسحاق الجوزى نسبة لجوزة قرية من قرى بغداد وعلى هذا اقتصر الحافظ الحلبى.

وقال التلمسانى: إنه كذا فى أصل المصنف، رحمه الله تعالى، ورواه العزفى خوزى بخاء مضمومة وواو ساكنة وزاء معجمة نسبة لخوز جيل من الناس، أو قرية مشهورة

قال: **(حدثنا داود بن رشيد)** بالتصغير علم منقول، وهو أبو الفضل الخوارزمى الحافظ الثقة، روى عنه أصحاب السنن، وتوفى فى شعبان سنة تسع وثلاثين ومائتين قال: **(حدثنا الوليد بن مسلم)** الحافظ أبو العباس عالم الشام صاحب التآليف الجليلة، روى له أصحاب الكتب الستة إلا أنه نسب إلى التدليس، وتوفى سنة خمس وتسعين ومائة، وله ترجمة فى الميزان **(عن ثور بن يزيد)** الحافظ الحمصى ثقة لكنه نسب إلى القدرية حتى أخرج من حمص، وتوفى سنة ثلاث وخمسين ومائة، **(عن خالد بن معدان)** الكلاعى الزاهد الفقيه الجليل، أخرج له أصحاب الكتب الستة، توفى سنة أربع وثمانين ومائة، قيل: إنه كان يسبح فى كل يوم أربعين ألف تسبيحة، **(عن عبد الرحمن بن عمرو الأسلمى)** كذا فى النسخ، وصوابه كما قال البرهان الحلبى: السلمى بضم السين المهملة وفتح اللام، وهو ابن عنبسة، وهو حافظ ثقة توفى سنة عشرة ومائة، **(وحجر الكلاعى)** حجر بضم الحاء المهملة وسكون الجيم وراء مهملة، والكلاعى بفتح الكاف ولام وألف وعين مهملة نسبة إلى كلاع بزنة سحاب بلدة بالأندلس، وذو الكلاع من ملوك اليمن المسمين بالأذواء، وهذه النسبة لأحدهما توفى سنة خمس وسبعين، وروى له أصحاب السنن **(عن)** أبى نجيح **(العرباض)** بعين مهملة مكسورة وراء مهملة ساكنة وباء موحدة وضاد معجمة، وأصله الطويل وتقدم الكلام عليه.

(ابن سارية) بسين مهملة وياء آخر الحروف صاحب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، من أهل الصفة سكن حمص **(فى حديثه فى موعظة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، أنه قال)** أى فى حديث وعظ فيه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، من كان فى مجلسه من الصحابة، وذلك أن عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن عمرو السلمى، وحجر بن حجر قالا: أتينا العرباض بن سارية، وهو ممن نزل فيه قوله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ [التوبة: ٩٢]، وقلنا: أتيناك زائرين وعائدين ومقتبسين، فقال: صلى بنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، الصبح ذات يوم، ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا؟ فقال: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبدا حبشيًا، فإنه من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافًا كثيرًا»(١).

(فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ،

---

(١) أخرجه أحمد (٤/١٢٦، ١٢٧)، والدارمى (١/٤٤)، وأبو داود (٤٦٠٧)، والترمذى (٢٦٧٦)، وابن حبان (١٠٢)، والبيهقى (١٠/١١٤)، والحاكم (١/٩٦، ٩٧، ٣/٣٨٠)، والطبرانى (١٨/٢٤٦، ٢٤٩).

وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة) رواه على عن الوليد كذا قال الذهبى فى تاريخه، ومن خطه نقلت، واعلم أن الموعظة هى التذكير بما يحث على الطاعة، وعليكم اسم فعل يتعدى بنفسه إن كان بمعنى الزم كقوله: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]، وبالباء إن كان بمعنى تمسك كما هنا، والسنة الطريقة مما هم عليه، والخلفاء جمع خليفة وراشدين جمع راشد ضد الغاوى، والمراد بهم الخلفاء الأربعة ومن كان على طريقتهم كعمر بن عبد العزيز، وأئمة الإسلام المجتهدين فى إعلاء كلمة الله، وقوله عضوا إلى آخره فعل أمر، والنواجذ بالذال المعجمة جمع ناجذ أقصى الأضراس وهى أربعة أو الأنياب أو التى تليها، والمراد الاجتهاد فى التمسك بها، فهو استعارة تمثيلية لما ذكر لا كناية، ولا يجوز أن تكون استعارة تصريحية تبعية، وقيل: المراد بالنواجذ جميع الأسنان هنا، وقال البرهان عن المنذرى: إنه يجوز إهمال داله، وفيه نظر لمخالفته لكتب اللغة، وإياكم تحذير أى احذروا المحدثات والرضا بها، وهى جمع محدثة اسم مفعول وهو ما حدث مما خالف الكتاب والسنة وإجماع المسلمين، والبدعة بمعناها وهى ما لم يعهد فى عصره صلى الله تعالى عليه وسلم، وهى كما قاله العز بن عبد السلام تنقسم إلى واجبة ومحرمة ومندوبة ومباحة، فالمندوبة كتدوين الكتب وعلم النحو واللغة والاشتغال بذلك وأحداث الربط والمدارس، ومن المكروه تزويق المصاحف والمساجد وتكبير العمائم وتوسيع الملابس، ومن الواجب وفرض الكفاية تعلم علم العربية الذى يتوقف عليه فهم كلام الله وكلام رسوله، ولا ينافى هذا قوله: **(كل بدعة ضلالة)**؛ لأن البدعة لها معنيان كل ما حدث بعد العصر الأول، وهو المقسم للأقسام المذكورة، ولذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم: «من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها»[1]، وإليه الإشارة بقوله: «سنة الخلفاء»، وقد خصها الشارع مما هو مذموم؛ لعدم دخوله تحت القواعد الشرعية، وهذا هو المراد بالبدعة عند الإطلاق، وهو الذى جعل ضلالة، وفى عوارف المعارف وإحياء الغزالى البدعة المذمومة ما زاحم السنة المأثورة أو كان يفضى إلى تغييرها، وفى كتاب المدخل لابن الحاج بيان لها شاف كاف.

(وزاد) على ما رواه العرباض **(فى حديث جابر)** بن عبد الله، رضى الله تعالى عنهما، الذى رواه مسلم **(بمعناه)** أى ملتبسًا بمعنى حديث العرباض موافق له، وليس المراد أنه رواية بالمعنى كما قيل.

(وكل ضلالة) أى ضلال بارتكاب البدع المذمومة **(فى النار)** أى معذب بها أو مستحق للعذاب، وقيل: إنه متضمن لشكل منطقى منتج لما ذكر أى كل محدث بدعة

---

(١) أخرجه مسلم (١٠١٧/١٥)، وأحمد (٣٦١/٤)، والترمذى (٢٦٧٥)، وابن ماجه (٢٠٧)، والدارمى (١٣١/١)، والحميدى (٨٠٥).

وكل بدعة ضلالة معذب مرتكبها، فكل محدث ضلالة مستوجب للعذاب الأليم.

(وفي حديث أبي رافع) الصحيح الذى رواه أبو داود، والترمذى، وابن ماجه، وأبو رافع هو الصحابى مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وكان قبطيًا، واختلف فى اسمه فقيل: إبراهيم وقيل: أسلم، وقيل: ثابت، وقيل: هرمز، ولهم أبو رافع غير راوى هذا الحديث معدود فى الصحابة أيضًا يروى **(عنه، عليه الصلاة والسلام، لا ألفين)** نفى بمعنى النهى أى لا أجدن وألفى بمعنى وجد، قال الله تعالى: ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِۚ﴾ [يوسف: ٢٥]، وروى لألفين كما تقدم عن الأم للشافعى، والصحيح رواية الأول وإن صح هذا أيضًا كأنه لتحققه وجده هو، وهو بضم الهمزة وسكون اللام وكسر الفاء وفتح المثناة التحتية وتشديد النون أى لا يفعل **(أحدكم)** معاشر الأمة أو الصحابة، فلا يكون هذا من سببه، وهو نهى فى الحقيقة عن التكبر والبطر **(متكئًا)** أى مائلاً مستندًا معتمدًا، وهو بالهمزة والياء أيضًا وقد تقدم أن العامة لا تعرف المتكئ إلا من مال فى قعوده معتمدًا على أحد شقيه، وتاؤه مبدلة من واو من الوكاء **(على أريكته)** هى سرير مزين يتخذ فى قبة أو بيت، وليس مطلق السرير أريكة، وقيل: هو سرير له حجلة، وقيل: كل ما اتكئ عليه من سرير أو فراش أو منصة أو مخدة مما يفعله المترفهون، وجمعه أرائك.

وقال الراغب: سمى به لاتخاذه من الأراك أو لأنه محل الإقامة من أرك بالمكان أروكا إذا أقام به، وأصله الإقامة لرعى الأراك، ثم يتجوز به عن كل إقامة **(يأتيه الأمر من أمرى)** أى شيء مما أمرت به فقوله: **(مما أمرت به)** تفسير لقوله: «من أمرى»، بدل منه، ومن بيانية فيهما، وقيل: الثانية بمعنى الباء كقوله: ﴿يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّۗ﴾ [الشورى: ٤٥]، أى به متعلقة بأمرى، والأمر الأول بمعنى الشأن شامل للنهى وغيره، والثانى مقابل النهى بقوله: **(أو نهيت عنه فيقول: لا أدرى)** هذا الأمر الذى نقلتموه لنا ولا أتبع وأعرف غير القرآن.

(ما وجدنا فى كتاب الله تعالى اتبعناه) دون غيره مما روى فى الأحاديث، ولم يعرف أن ما فى الحديث عن الله تعالى أيضًا، وأن الوحى وحيان متلو وغير متلو، وأن السنة لا تخالف الكتاب، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ۚ﴾ [الحشر: ٧]، فهو تحذير عن ترك امتثال أمره واجتناب نهيه والعمل بهما، وسنة رسوله ككتابه يجب اتباعه سواء تواترت أم لا، وفى الحديث الصحيح الذى رواه الترمذى: «ألا إنى أوتيت القرآن ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بالقرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه، وإن ما

حرم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، كما حرم الله تعالى»[1]، الحديث، ومعلوم أن هذه شبهة فاسدة مبطلة لكثير من الشرع كشبهة الخوارج.

(وفى حديث عائشة، رضى الله تعالى عنها)، المروى فى الصحيحين، وما ذكره المصنف، رحمه الله تعالى، لفظ البخارى **(صنع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، شيئًا)** يأتى بيانه.

(ترخص فيه) أى ارتكب فيه الرخصة وترك العزيمة، والرخصة الأمر المتغير من صعوبة إلى سهولة كقصر المسافر صلاته وإفطاره، وهذه الرخصة أنه صلى الله تعالى عليه وسلم، كان يصبح جنبًا، فبلغ ذلك بعضهم فقال: لسنا كرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فسمعه صلى الله تعالى عليه وسلم، فغضب، فقال: «لأرجو أن أكون أخشاكم لله وأتقاكم»[2]، وقيل: هو أن بعض الصحابة سأل أزواجه، صلى الله تعالى عليه وسلم، عن عبادته ليلاً، فلما أخبر بها استقلها، وقال: إنه غفر له ما تقدم وما تأخر فأنا أصلى الليل كله، وقيل: إن بعضهم قال: أعتزل النساء ولا أتزوج، وقال البرهان نقلاً عن شيخه ابن الملقن أنه إفطاره صلى الله تعالى عليه وسلم، عام الفتح، والكل صحيح هنا.

(فتنزه) أى تباعد **(عنه قوم)** عن العمل بما ترخص فيه، **(فبلغه ذلك)** أى نقل له صلى الله تعالى عليه وسلم، تنزه هؤلاء، فخطبهم موعظة على عادته، **(فحمد الله)** وأثنى عليه، **(وقال: ما بال قوم)** أى ما شأنهم وحالهم وهو استفهام إنكارى **(يتنزهون عن الشىء)** حال كونى **(أصنعه؟)**، فتركهم لمثله لأنهم يظنون أن خوفهم من الله تعالى أشد من خوفى له؛ لأن الله تعالى غفر لى ما تقدم وما تأخر، ولم يكلفنى ما كلفهم، **(فوالله)** تأكيدًا وتقريرًا لقوله: **(إنى لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية)** أى خوفًا وقدم أعلميته به؛ لأن الخشية بمقدار العلم كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨]، فأنكر عليهم ذلك لظنهم أن حالهم ليس كحاله، وأن ارتكاب مثلهم الرخص يفضى إلى عدم الخوف والتهاون بالعبادة، وليس كذلك بل لأن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه، فإنها صدقة تصدق الله بها عليهم لا يليق عدم قبولها، وقيل: إنه ليس محلاً للإنكار، لكنه نزلهم منزلة المنكرين لما لاح عليهم من علامات الإنكار وليس بشىء.

(وروى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم)، كما رواه الديلمى وأبو نعيم وأبو الشيخ مسندًا **(أنه قال: القرآن صعب)** بسكون العين ضد السهل **(مستصعب)** بكسر العين اسم

---

(١) أخرجه أحمد (٤/١٣١)، وأبو داود (٤٦٠٤).

(٢) أخرجه أحمد (٦/٦٧)، وأبو داود (٢٣٨٩).

فاعل من استصعب الأمر بمعنى صعب، وبفتحها من استصعبت الأمر بمعنى وجدته صعبًا أو صيرته صعبًا أى هو فى نفسه عسر على من أراد حفظه وفهمه والعمل به، وقد صيره الله تعالى أيضًا صعبًا (**على من كرهه**) أى من لم يرد حفظه وتدبر آياته، وأما من أحبه وتلذذ بتلاوته وداوم على مدارسته وتأمله، فيسهله الله تعالى عليه.

(**وهو**) أى القرآن (**الحكم**) بفتحتين أى الذى يحكم على الناس بما تضمنه من الأحكام، والحكم من الأمثال والموعظة، وجعله حكمًا أى حاكمًا بنفسه مبالغة، (**فمن استمسك بحديثى**) المروى عنى، (**وفهمه وحفظه**) بتدبر معانيه وضبط ألفاظه (**جاء**) يوم القيامة محشورًا (**مع القرآن**) أى إذا تسمك به وعمل بما فيه، وفيه استعارة بتشبيه العامل به بالمتمسك بشىء محكم وثيق لا ينقطع، فإنه حبل الله المتين والعروة الوثقى كما ورد التعبير به عنه فى الأحاديث، وفيه إشارة إلى أن الحديث لا يفارق القرآن وأنهما كشىء واحد؛ لأن السنة تبين القرآن ومجيئه معه أو بمجيئه مع أهله أو مع نوره أو أعماله التى عمل بها منه، أو هو على ظاهره بأن يجىء تاليًا له، فيشفع فيه، ويقال له: اقرأ وارق كما ورد فى الحديث، والمراد بالقرآن، ألفاظه لا الكلام النفسى الذى هو صفة ذاتية.

(**ومن تهاون بالقرآن**) أى أعرض عنه، ولم يوجه إليه فكره لإهانته أوعَدَّهُ هينًا، (**وحديثى**) بعدم حفظه والعمل به، (**فقد خسر الدنيا**)؛ لأنه يحيى جاهلاً مهانًا فقيرًا، (**والآخرة**) لفوات السعادة والفوز بنعيمها كما قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ الآية [طه: ١٢٤].

(**أمرت**) بالبناء للمجهول أى أمر الله تعالى (**أمتى أن يأخذوا بقولى**) أى يتمسكوا بحديثى، ويعملوا به كما سيأتى، (**ويطيعوا أمرى**) لقوله: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ [المائدة: ٩٢]، (**ويتبعوا سنتى**) أى يقتدوا بى ويسلكوا طريقى وشريعتى السمحة كما قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، فالعمل بسنته عمل بالقرآن لأنهما توأمان، وفيه رد على من قال: لا أعمل إلا بالقرآن، ونهى عن ترك السنة وخبر الآحاد كما تقدم.

(**فمن رضى بقولى**) فاتبعه وعمل به، (**فقد رضى بالقرآن**)؛ لأنه موافق له وغير مخالف له، فهما كالشىء الواحد (**قال الله تعالى**: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾) [الحشر: ٧]، عنه، فارضوا بما رضيه واكرهوا ما كرهه، فإن سنته مبينة موضحة للقرآن، فمن خالفه فقد ضل، وكذا قالوا من أراد تفسير القرآن فليتأمله، فإن بعضه يفسر بعضًا، فإن لم يجده فيه فعليه بالسنة، فإن لم يجد ما أراده فيها فعليه بأقوال الصحابة فإنها فى حكم المرفوع؛ لأنه صلى الله تعالى عليه وسلم، كان يقرؤهم القرآن،

ويبين لهم معانيه كما وراه ابن تيمية.

(وقال صلى الله تعالى عليه وسلم)، فيما رواه عبد الرزاق عن الحسن مرسلاً بلفظ: «من استن بسنتي»، أي تبعها وعمل بما فيها والمصنف، رحمه الله تعالى، رواه بلفظ: **(من اقتدى بي)** في سنتي وشريعتي **(فهو مني)** أي من أتباعي وأشياعي الذين يحشرون معي، ويتصلون بي حتى كأنهم بعض مني لا ينفصل عني، ومن هذه تسمى من الاتصالية كقوله عليه السلام، لعلي: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى»[1].

(ومن رغب عن سنتي) أي تركها وأعرض عنها يقال: رغب عنه إذا كرهه، وضده رغب فيه، وسنته طريقته أو أحاديثه المروية عنه الشاملة لأقواله وأفعاله وتقريراته، وهما متقاربان معنى.

(فليس مني) هذا تبرؤ منه كقوله:

لست من قيس ولا قيس مني

وعجزه هذا مذكور في الصحيحين أيضًا، ومعناه ليس مقربًا مني أي فهو كافر، وليس هو على ملتي لإهانته الحديث.

(وعن أبي هريرة) رضي الله عنه، ولم يخرجه السيوطي بهذا اللفظ **(عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال: إن أحسن الحديث كتاب الله)** كما قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ الآية [الزمر: ٢٣]، **(وخير الهدى)** بالنصب ويجوز رفعه **(هدى محمد)** بفتح الهاء وسكون الدال المهملة وتحتية، وهو مصدر بمعنى السيرة والطريقة من قولهم: تهادى في مشيته، قيل: روايته هنا كما قاله القاضي في الإكمال الهدى بضم الهاء وفتح الدال مقصور، أو الهداية بمعنى الدلالة والتأييد بالعصمة، وهذه هي التي تضاف إلى الله، **(وشر الأمور محدثاتها)** بفتح الدال تقدم تفسيره.

(وعن عبد الله بن عمرو بن العاص) في حديث رواه أبو داود وابن ماجه **(قال: قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم: العلم ثلاثة)** أقسام حصره فيها إن قلنا: العدد يفيد الحصر؛ لعدم الاعتداد بغيرها، **(فما سوى ذلك)**، وفي نسخة وما سوى ذلك **(فضل)** أي زائد لا حاجة إليه، ولا يفتقر إليه وتفسيره بالبقية غير سديد هنا، والأظهر ما قيل: إن المراد كل علم غير هذه الثلاثة وما يتعلق بها، وما يتوقف عليه فهو زائد لا ضرورة داعية لمعرفته، ومعنى الفضل في اللغة الزيادة كما علم.

(آية) من كتاب الله **(محكمة)** غير متشابهة؛ لقوله تعالى: ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ

---

(١) أخرجه مسلم (٣٠/٢٤٠٤)، وأحمد (١٧٩/١، ٣٢/٣، ٣٦٩/٦)، والترمذي (٣٧٣٠)، وابن ماجه (١٢١).

ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ [آل عمران: ٧]، أو غير منسوخة؛ لأن المحكم يفسر بهذا أيضًا، أو المراد ما يشملهما لإحكام بيانها حتى لا يحتاج لزيادة، وإحكام نظمها فلا خلل فيها، ويطلق المحكم على جميع القرآن أيضًا كما قال الله تعالى: ﴿أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ [هود: ١]، ويجوز إرادته أيضًا.

(**أو سنة قائمة**) أى دائمة مستمرة يعنى لم تنسخ لدوام العمل بها.

(**أو فريضة عادلة**) أى لا جور فيها، وفسرت هنا بالأحكام المستنبطة من القرآن، والحديث تسمية لها بأعظم أقسامها، أو لأنها استنبطت بالاجتهاد المفروض على هذه الأمة، وسميت عادلة لمساواتها بالنص، أو المراد بها فريضة المواريث وقسمتها، وهو المشهور، ويطلق على ما يقابل العائلة وليس بمراد هنا، وفيه إشارة إلى أن العلم اللازم العلوم الشرعية، وهى التفسير والحديث والفقه.

(**وعن الحسن بن أبى الحسن**) هو الحسن بن يسار البصرى، وقد تقدم وهو حديث رواه عبد الرزاق عن معمر مرسلاً، والدارمى متصلاً عن ابن مسعود، (**عنه**) صلى الله تعالى عليه وسلم، وفى نسخة قال (**عليه الصلاة والسلام: عمل قليل فى سنة**) فى هنا بمعنى مع كقوله تعالى: ﴿ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ﴾ [الأعراف: ٣٨]، أى موافق للسنة ومصاحب لها، وإن قل (**خير من عمل كثير فى بدعة**)، وإن كثر لزيادة نفعه وكثرة ثوابه، والتعبير بفى إشارة إلى أنه يراعى السنة فى جميعه عددًا وهيئة حتى يحيط السنة به، وقيل: إنه لمصاحبته السنة، وتمكنه فيها شبه بالظرف والمظروف، وهذا كمن تهجد منفردًا ركعتين، ولم يصل الصلوات التى ابتدعها بعض الصوفية بجماعة كالرغائب، ووجهه ظاهر، وخير اسم تفضيل يقتضى الخيرية فى البدعة بحسب ظاهره، وليست مرادة، وإنما عبر بها هنا بناء على اعتقاد فاعلها القربة فيما فعله، وقيل: المراد الابتداع بالأعمال التى لها أصل فى العبادة كوصال الصوم وما أشبهه.

(**وقال صلى الله تعالى عليه وسلم: إن الله يدخل العبد الجنة بالسُّنَّةِ**) الواحدة وإن قلت: (**تمسك بها**) أى امتثلها، وعمل بها مخلصًا.

(**وعن أبى هريرة**) فى حديث رواه الطبرانى فى الأوسط (**المتمسك بسنتى**) أى العامل بها والسالك طريقتى (**عند فساد أمتى**) أى تغير أحوالها، وتركها أمور الدين واتباع البدع، وذلك فى آخر الزمان (**له أجر مائة شهيد**) فيه إشارة إلى أن المراد بالتمسك بها العمل بها، وأمر غيره بالعمل أيضًا فيأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وهو الجهاد الأكبر، وأيضًا هو يجاهد نفسه حتى يترك ما ألفه الناس، ومثله مما يرغب الناس عنه فيؤذيه أشد الإيذاء، فلذا أعطى ثواب الشهداء وجعله أجر مائة للتكثير أو للإشارة إلى أن

أكثر ما يقاومه عشرة، والحسنة بعشر أمثالها، وقيل: إن الشهيد يرقى منزلته بترك الدنيا، وبذل نفسه فى نصرة الدين، وثناء غيره عليه ودعائه له، ومن وفقه الله تعالى مع فساد عصره وأهله، فقد اختار دار البقاء على دار الفناء، وارتكب المشاق بمخالفة الناس، والتقوى بين الفجار كالمعصية بين الأبرار، كما أن الجود بين اللئام يعز عزة البخل بين الكرام كما قيل:

رأيت عبيد الله أكرم من مشى ... وأكرم من فضل بن يحيى بن خالد
أولئك جادوا والزمان مساعد ... وقد جاد ذا والدهر غير مساعد

(وقال صلى الله تعالى عليه وسلم)، فى حديث رواه الترمذى: **(إن بنى إسرائيل افترقوا)** أى صاروا فرقًا، وإسرائيل لقب يعقوب بن إبراهيم الخليل، عليهما الصلاة والسلام، وإليه انتسب كل من كان قبيلة وهم قوم مشهورون **(على اثنين وسبعين ملة)** أى مذهبًا أو دينًا لأنه الملة والدين بمعنى، وإن افترقا مفهومًا واستعمالاً، وقد تقدم تفصيله، **(وإن أمتى تفترق على ثلاث وسبعين)** فرقة مختلفة الاعتقاد والمذاهب، وروى فرقة مكان ملة، وفى الحديث روايات مختلفة **(كلها فى النار إلا واحدة قالوا: ومن هم يا رسول الله؟)** هكذا روى، فالواو عاطفة على مقدر أى هذا عددهم ومن هم أو هى زائدة.

(قال: هم الذين على الذى أنا عليه وأصحابى)، وفيه معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم، لإخباره بالغيب، فإذن ذلك لم يكن فى عصره، ولا عصر الخلفاء الراشدين من بعده، وقد وقع ذلك كما قال، وهذا باعتبار أصول الفرق، فإن شعبها كثيرة وقد ألف فى بيانها تآليف أجلها كتاب الملل والنحل للشهرستانى، وقد عدوها فكانت كما ذكر صلى الله تعالى عليه وسلم، وهم أهل السنة والشيعة والخوارج والمعتزلة ونحوهم من الفرق، وأصنافها مما يطول ذكره، والمراد بكونهم فى النار أنهم مستحقون للعذاب دون الخلود إلا أن يكون فى اعتقادهم ما يقتضى الكفر كبعض غلاة الرافضة، وللفرقة الناجية أهل السنة والجماعة لاتباعهم القرآن والحديث فى الاعتقاد من غير اعتقاد ارتكاب تأويلات بعيدة، وزعم الطوسى وابن مطهر أنهم الإمامية ورده الجلال الدوانى فى شرح العقائد كما بيناه فى حواشيها، ومطابقة الجواب للسؤال ظاهرة من غير احتياج للتأويل كما توهم.

(وعن أنس)، رضى الله تعالى عنه، **(قال صلى الله تعالى عليه وسلم)**، فى حديث رواه الأصفهانى فى ترغيبه وغيره **(من أحيا سنتى)** أى أظهرها بالعمل بها والحث على اتباعها جعل ذلك بمنزلة الإحياء، ففيه استعارة تبعية أو مكنية وتخييلية، وهو كالحديث الذى

رواه أبو هريرة؛ لأن المراد إظهارها بعد تركها، **(فقد أحيانى)** أى أظهر ذكرى ورفع أمرى، فجعله بمنزلة إحيائه كما قيل:

وتحسبه قد عاش آخر دهره إلى الحشر إن أبقى الجميل من الذكر

(ومن أحيانى) ببقاء ذكرى وشرعى **(كان)** أى تحقق أن جزاءه أن يكون **(معى فى الجنة)**، والمراد دخوله فيها وعلو مرتبته، لامساواته فيها، وحذف ظرف المعية من الزمان والمكان تفخيمًا له؛ لتذهب نفسه كل مذهب.

(وعن عمرو بن عوف) بن يزيد بن مليحة **(المزنى)** الصحابى، وهو قديم الإسلام شهد المشاهد وتوفى فى زمن معاوية، وهو منسوب لمزينة قبيلة مشهورة **(أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، قال لبلال بن الحارث)** بن عاصم بن سعيد بن قرة بن مازن أبو عبد الرحمن المزنى الصحابى، وفد على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، مع وفد مزينة وسكن وراء المدينة، وتوفى سنة ستين وسنه ثمانون سنة **(من أحيا سنة من سنتى قد أميتت بعدى)** أى تركت وترك العمل بها، فشبه الترك بالموت لاشتراكهما فى العدم وسنته طريقته وشريعته، فهى تشمل السنن وغيرها فلا وجه لما قيل: الظاهر سنتى بصيغة الرواية بالإفراد، والإماتة ضد الإحياء وتختص بالحيوان حقيقة **(كان له من الأجر)** أى الثواب **(مثل من عمل بها)** فيه مضاف مقدر أى أجر من عمل بها **(من غير أن ينقص ذلك)** أى الأجر الذى له **(من أجورهم شيئًا)**؛ دفعًا لتوهم أنه يعطى من ثوابهم فينقص أجرهم، **(ومن ابتدع بدعة ضلالة)** وفسرها بقوله: **(لا ترضى الله ورسوله)**؛ لأنها بدعة غير مرضية **(كان عليه مثل آثام)** بالمد جمع إثم وهو الوزر **(من عمل بها لا ينقص ذلك من أوزار الناس شيئًا)**، وهذا رواه الترمذى، وابن ماجه وحسنه، وفى من الموصولة من العموم ما لا يخفى، وكذا قوله شيئًا، وقوله: بدعة ضلالة بالإضافة والتوصيف، ولا ينافى هذا قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الزمر: ٧]؛ لأن هذا وزره وكسبه؛ لأنه بعلمه سنها لهم وأرشدهم لفعلها وحسنها لهم، فكان فى قوة الأمر لهم كما ذكره شراح الحديث، وقيل: المراد أن عليهم إثمًا بالغا فى المقدار مثل آثام العاملين بها من جهة أنه كان طريقًا لهم فى العمل بها، ولذا غاير بين المقامين، فقال: عليه من الأجر مثل إلخ، ولم يقل عليه من الإثم انتهى، ولا حاجة لما طوله، وتحقيقه أنه كان سببًا فى الخير، والثانى سببًا لضده، وسبب منزل منزلة الفاعل، فله ماله وعليه ما عليه أى مثله.

وفى الحديث **(الدال على الخير كفاعله)** كمن حفر بئرًا، فوقع فيها غيره، فإنه يضمن فى بعض الصور، وهو لا ينافى الآية إما لأن المراد بها أن وزر غيره لا ينتقل له، أو لأنه مخصوص بغير السبب بالأحاديث المذكورة، وأخذ من الخير المذكور أن الداعى إلى الإثم

كفاعله، وقد صرح به فى بعض الروايات.

قال شيخ والدى الشهاب ابن حجر فى شرح المشكاة: لكن لو تاب الداعى إلى الإثم وبقى العمل به، فهل ينقطع إثم دلالته بتوبته؛ لأن التوبة تجب ما قبلها أو لا؟؛ لأن شرطها رد الظلامة، وإلا فلا، وما دام العمل بدلالته موجودًا فالفعل منسوب إليه، فكأنه لم يرد ولم يقلع كل محتمل، ولم أر فى ذلك نقلاً، والذى ينقدح الآن الثانى انتهى، وفيه نظر ظاهر.

* * *

[فصل فيما ورد عن السلف والأئمة من اتباع سنته]

(**فصل وأما ما ورد عن السلف**) الصالحين يعنى الصحابة والتابعين فى أول القرون، وأما إشارة إلى أنه قسيم لما قبله مما فى القرآن والحديث، ولذا قال ورد، (**والأئمة**) يعنى من بعدهم من العلماء والمجتهدين (**من اتباع سنته**) أى طريقته، وهو بيان لما، وفى نسخة فى اتباع متعلق بورد بمعنى جاء، (**والاقتداء بهديه وسيرته**) عطف تفسير لما قبله، وهديه وسيرته بمعنى، وهو الهيئة والطريقة أيضًا.

(**فحدثنا الشيخ**) أصل معناه الكبير سنًا، ثم شاع عرفًا بمعنى من كان قدوة مفيدًا لطلبة العلم؛ لأنه فى الغالب يكون مسنًا، وهذا مما استعمل قديمًا، وأول من أطلق عليه شيخ الإسلام الصديق، رضى الله تعالى عنه، كما قاله السخاوى، رحمه الله تعالى، (**أبو عمران موسى بن عبد الرحمن**) الرعينى علامة عصره بالمغرب، وقد تقدمت ترجمته (**ابن أبى تليد**) بفتح المثناة الفوقية منقول من تليد بمعنى قديم (**الفقيه سماعًا عليه**)، وهذا الحديث من أحاديث الموطأ ورواه النسائى، وابن ماجه قال: (**حدثنا أبو عمر الحافظ**) هو ابن عبد البر وتقدم بيانه قال: (**حدثنا سعيد بن نصر**) تقدمت ترجمته قال: (**حدثنا قاسم ابن أصبغ**) بالغين المعجمة كما تقدم.

(**ووهب بن ميسرة**) كذا فى بعض النسخ بتحتية بعد الميم، وقال التلمسانى: إنه مسرة مفعلة من السرور، ووهب يحرك ويسكن، وهو وهب بن مسرة بن مفرج بن بكر التميمى مات بقرطبة منتصف شعبان سنة اثنين وأربعين وثلاثمائة، انتهى.

(**قالا**): بالتثنية وهو الصحيح، وروى قال أى كل واحد منهما أو اكتفاء بأحدهما (**حدثنا محمد بن وضاح**) تقدم أيضًا قال: (**حدثنا يحيى بن يحيى**) الليثى راوى الموطأ قال: (**حدثنا مالك**) إمام دار الهجرة الغنى عن البيان (**عن ابن شهاب**) محمد بن مسلم الزهرى، وقد تقدم بيانه.

(**عن رجل من آل خالد**) أى أهله وقومه، وهو غير مسمى، فقال الحلبى: لا أعرفه،

وقال التلمسانى: هو أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد بفتح الهمزة وكسر السين أو بضمها وفتح السين، والأول أصح وهكذا رواه مالك، ولم يدخل بينه وبين ابن شهاب أحد، ورواه الليث بن سعد فسمى الرجل وأدخل بين ابن شهاب وأمية عبد الله بن أبى بكر، وأمية هذا يروى عن ابن عمر، توفى سنة سبع وثمانين، انتهى.

وقال القرطبى فى تفسيره: إنه يعلى بن أمية بن عبد الله إلى آخره، وهو خالد هو **(ابن أسيد)** بفتح الهمزة وكسر السين على ما مر وياء ودال مهملة، وهو ابن أبى العيص بن أمية بن عبد شمس أخو عتاب **(أنه سأل عبد الله بن عمر، فقال: يا أبا عبد الرحمن إنا نجد صلاة الخوف وصلاة الحضر)** بفتحتين أى الصلاة من غير قصر مذكورة، **(فى القرآن ولا نجد صلاة السفر)** المقصورة فى القرآن.

(فقال ابن عمر) فى جوابه: **(يا ابن أخى)** هذا جار على عادة العرب فى الشفقة بالصغير، وقولهم له: يا ابنى ويا ابن أخى كما يقال للكبير: يا أبى ويا عمى **(إن الله بعث إلينا محمدًا)** أى نبأه وأرسله صلى الله تعالى عليه وسلم، **(و)** نحن **(لا نعلم شيئًا)** من أمور الدين، **(فإنما نفعل كما رأيناه يفعل)**، وروى ما رأيناه بدون كاف وما موصولة أو مصدرية أى نقتدى به فى ما جاء به، وهذا هو المقصود هنا، أما صلاة الخوف، فقد ذكرت فى القرآن، وهى سنة خلافًا لمن قال: إنها مخصوصة به صلى الله تعالى عليه وسلم، وأما قصر الصلاة سفرًا، فقد ذكرت فى القرآن فى قوله: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَوٰةِ﴾ [النساء: ١٠١]، لكنها مقيدة بقوله: ﴿إِنْ خِفْتُمْ﴾ الآية، ولذا سألوا عنها إلا أن إطلاقها مبين بالسنة، فقد سئل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، عن قصرها، فقال: تلك صدقة تصدق الله بها عليكم، فاقبلوا صدقته، وقد يذكر الله شيئًا مقيدًا بشرط ويبيحه على لسان نبيه، صلى الله تعالى عليه وسلم، من غير شرط، وقد ورد فيها أحاديث أخر.

(وقال عمر بن عبد العزيز) الخليفة العادل الزاهد المشهور، رضى الله تعالى عنه، **(سن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم)**، أى أتى بأفعال وأقوال وطريقة شرعها هو **(وولاة الأمر بعده)** بضم الواو جمع وال، وهو من يتولى أمور الناس، والمراد بهم هنا الخلفاء الراشدون **(سننا)** جمع سنة، **(الأخذ بها)** أى العمل بها واتباعها **(تصديق بكتاب الله)** بالباء واللام لأنه أمر بالعمل بها واتباع سبيل المؤمنين، **(واستعمال لطاعة الله)**؛ لأن طاعتهم طاعة له فى الحقيقة؛ لأنهم لا يقولون شيئًا من عند أنفسهم وإنما يقولون ما رووه عنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، أو ما استنبطوه من الكتاب والسنة، **(وقوة على دين الله ليس لأحد تغييرها)** أى تغيير تلك السنن بوجه من الوجوه، **(ولا تبديلها)** ببدل

لها يغايرها، وهو أخص من التغيير لشمول الزيادة والنقص، ويجوز أن يكونا بمعنى، **(ولا النظر فى رأى من خالفها)** أى لا يلتفت إليه، ولا يعتبر ما خالفها أصلا، وليس المراد بالنظر حقيقته حتى يقال: يجوز أن ينظر فيه ليرده **(من اقتدى بها)** أى عمل بتلك السنن، فهو **(مهتد)**؛ لأنهم على هدى من الله.

(ومن انتصر بها فهو منصور) على من خالفه، **(ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين)** غير ما هم عليه من اعتقاد أو عمل، **(ولاه الله ما تولى)** أى جعله واليا لما تولى من الضلال، وخلى بينه وبين ما اختاره من الضلالة، **(وأصلاه جهنم)** أى أدخله فيها، **(وساءت مصيرا)** جهنم، وفى ذلك دليل على حرمة مخالفة الإجماع.

(وقال الحسن ابن أبى الحسن) هو الحسن البصرى كما تقدم: **(عمل قليل فى سنة خير من عمل كثير فى بدعة)** تقدم هذا، وقد بينا معناه وقيل: لا تكرار فيه؛ لأنه ذكره أولاً خبرًا، وذكره هنا أثرًا وفيه نظر.

(وقال ابن شهاب) الزهرى: **(بلغنا عن رجال من أهل العلم)** أنهم **(قالوا: الاعتصام بالسنة)** أى التمسك بها **(نجاة)** مما يخافه المرء فى الدنيا والآخرة، وفى القاموس: اعتصم بالله امتنع بلطفه من المعصية أو من تلبس بالسنة حفظ من أن يقع فى معاصى الله، وفيه حث على حفظها والعمل بها.

(وكتب عمر بن الخطاب، رضى الله تعالى عنه، إلى عماله) ونوابه وأمرهم **(بتعليم السنة)** أى ما روى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم، من أقواله وأفعاله فى أسفاره وإقامته، **(والفرائض)** أى قسمة المواريث؛ لأنها نصف العلم، وفقدها من أشراط الساعة، **(واللحن)** بفتح اللام وسكون الحاء المهملة وفسره بقوله: **(أى اللغة)**، والمراد بها لغة العرب وما يتعلق بها من الإعراب وعلمى البلاغة.

وقال الزهرى: معناه تعلموا لغة العرب فى القرآن واعرفوا معانيه، واللحن بسكون الحاء كما علمت، وقد تفتح له معان منها التعريض وفحوى الكلام كقوله تعالى: ﴿وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ فِي لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِۚ﴾ [محمد: ٣٠]، والخطأ فى الإعراب، وقال الزمخشرى: معنى اللحن فى كلام عمر، رضى الله تعالى عنه، وقوله: تعلموا اللحن الغريب، واللحن علم الغريب الواقع فى القرآن والحديث، ومن لم يعرفه لم يعرف أكثر كلام الله وسنة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم، وهذا رواه سعيد بن منصور فى سننه، فاللحن من الأضداد ومن معانيه الفطنة.

وقال ابن الأعرابى: إن اللحن بالسكون الفطنة والخطأ، وقال غيره من أهل اللغة الفطنة بالفتح والخطأ بالسكون.

(وقال) عمر، رضى الله تعالى عنه، فى أثر آخر رواه عن الدارمى **(إن ناسًا يجادلونكم يعنى بالقرآن)** أى يخاصمونكم وينازعونكم فى بعض الأحكام التى قلتم بها، فيقول: القرآن فيه ما يخالفكم نظرًا لظاهره مما بينته أو خصصته أو نسخته السنة، **(فخذوهم)** أنتم حجوهم واغلبوهم **(بالسنن)** الواردة عنه صلى الله تعالى عليه وسلم، **(فإن أصحاب السنن)** أى علماء الحديث ونقاده **(أعلم بكتاب الله)** أى بمعانى القرآن ممن يتمسك بظاهر القرآن؛ لمعرفتهم بناسخه ومنسوخه ومخصصه ومؤوله، فإن تفسير القرآن إنما يعلم من السنة.

(وفى خبره) أى خبر عمر الذى رواه عنه مسلم **(حين صلى)** عمر، رضى الله تعالى عنه، **(بذى الحليفة)** بضم الحاء المهملة ولام وفاء بصيغة المصغر اسم مكان على ستة أو سبعة أو أربعة أميال من المدينة من جهة الشام، وهو ميقات أهل المدينة والشام الذى يحرمون منه **(ركعتين)** اختلف فيهما، والأصح أنهما سنة لمن أراد أن يحرم بنسك مؤكدة عند أكثر الفقهاء، فى تركهما فوات فضيلة من فضائل الإحرام، ولم يخالف فيه إلا الحسن البصرى فإنه استحب كونه أى الإحرام بعد صلاة فرض؛ لأنه روى أنها كان صلاة الصبح، والصحيح غيره ولو كان كذلك لم يسأل عنها، ولم يحتج لقوله: **(فقال: أصنع كما رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، يصنع)** فأقتدى بآثاره وكل ما صنعه.

(وعن على) بن أبى طالب، كرم الله وجهه، فى أثر رواه عنه البخارى والنسائى **(حين قرن)** بين الحج والعمرة فى حجة حجها، **(فقال له)** أى لعلى **(عثمان)** بن عفان وهو خليفة إذ ذاك، وفى نسخه فقال له عمر، والصحيح رواية أن القائل له عثمان، رضى الله تعالى عنه، كما فى الصحيحين وغيرهما، فهذا وهم من الناسخ: **(ترانى)** وفى نسخة ترى أى تعلم أو تشاهدنى وأنا **(أنهى الناس عنه)** أى عن القرآن، **(وتفعله)** أنت فأنكر عليه عدم اتباعه له.

(قال) على لعثمان، رضى الله تعالى عنهما: **(لم أكن أدع)** وأترك **(سنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، لأحد من الناس)** أى لأجل أحد من الناس خالف فعله فعل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فأقتدى بغيره مع علمى بما صنعه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، والحديث عن مروان بن الحكم، قال: شهدت عثمان وعليا، رضى الله تعالى عنهما، وعثمان ينهى عن المتعة وأن يجمع بينهما، وعلى رضى الله تعالى عنه، أهل بهما، وقال: لبيك بعمرة وحجة، فلما كلمه عثمان فى ذلك قال له ما ذكره المصنف، رحمه الله تعالى، والمتعة تستعمل بمعنيين أحدهما أن يحرم بالعمرة ثم يحرم بالحج

كالمكى، فالعطف من عطف المتغايرين، وأن يجمع بين الحج والعمرة بإحرام واحد، والعطف على هذا تفسيرى، وهذا هو المراد كما هو صريح الحديث، واحتمال إرادة الأول كما قيل: يأباه الحديث، وسمى متعة لما فيه من ترك السفر والإحرام مرتين، وكل منهما جائز، وإنما نهى عن ذلك لترك الأفضل عنده، وعلى رضى الله تعالى عنه، إنما خالفه لاعتقاده خلافه للآفاقى، أو لئلا يتوهم أحد أنه ممتنع، وكل منهما مجتهد مأجور، وهذا مبنى على مسألة أصولية، وهى أنه إذا وقع الاختلاف فى عهد الصحابة فى حكم شرعى هل يصح الإجماع بعدهم على أحد قولى الصحابة؟ فذهب أحمد وأكثر الأشاعرة والشافعية أن حكم الخلاف لا يرتفع، وذهب الغزالى وبعض الشافعية وأكثر الحنفية إلى ارتفاع الخلاف، كبيع أم الولد فإن الصحابة اختلفوا فيه، ثم أجمع الفقهاء على منعه، وفيه بحث وهذا الخلاف بين على وعثمان مبنى على الاختلاف فى حج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، أو على ما روى من أن عثمان، رضى الله تعالى عنه، لما كلم عليًّا، كرم الله وجهه، فى ذلك قال له على: قد علمت أنا تمتعنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فقال: أجل ولكنا كنا خائفين يعنى أن فعله ذلك لعارض، لا أنه الأفضل، وروى أن عثمان رجع لما قاله، وقال: ما كنت لأدع عليًّا لكنه مما تفرد به مسلم، وكان الكلام بينهما بعسفان وهو اسم موضع معروف.

(وعنه) أى مما روى عن على، رضى الله تعالى عنه، و لم يذكروا من رواه عنه **(إلا أنى لست بنبى ولا يوحى إلى)** بالبناء للمجهول، **(ولكنى أعمل بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، ما استطعت)** أى ما لم أضطر إلى خلافهما، فإن الضرورات تبيح المحظورات، وفى نسخة وسنة نبيه **(وكان ابن مسعود، رضى الله عنه، يقول)** فى أثر رواه الدارمى والطبرانى عن أبى الدرداء: **(القصد)** أصل معنى القصد التوجه إلى جهة، ويطلق على استقامة الطريق، ثم شاع فى الاعتدال بين الإفراط والتفريط كما قاله الراغب، وهذا هو المراد **(فى السنة)** أى فى سلوك طريقة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، **(خير من الاجتهاد)** أى الإكثار منه وبذل الجهد والطاقة فى العمل الملتبس بغيرها، وهو معنى قوله: **(فى البدعة)**، وتقدم تفسيرها، وأنها تنقسم لواجب وسنة ومحرم ومكروه كما قاله ابن عبد السلام.

(وقال ابن عمر)، رضى الله تعالى عنهما، فيما رواه عبد بن حميد فى مسنده بسند صحيح **(صلاة السفر)** أى المقصورة فيه وجوبًا أو استحبابًا **(ركعتان من خالف السنة)** أى طريقة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فى قصر الصلاة سفرًا **(كفر)** أى صار كافرًا إن قصد مخالفة فعله صلى الله تعالى عليه وسلم، عنادًا أو أنكر جواز فعله، وإلا فهو بمجرد الإتمام مبتدع عند أبى حنيفة، رحمه الله تعالى، وبعض الفقهاء، وقيل: الكفر

بمعنى كفران النعمة التى أنعم الله تعالى عليه من إحسانه عليه بتسهيل أمره.

(**وقال أبى بن كعب**)، رضى الله تعالى عنه، فيما رواه الأصبهانى فى ترغيبه وغيره، وأبى هو المنذر النجارى الأنصارى الصحابى، توفى سنة تسع عشرة على الأصح، وقيل: سنة اثنين وثلاثين فى خلافة عثمان: (**عليكم**) هو هنا اسم فعل بمعنى التزموا أو تمسكوا (**بالسبيل**) أى طريق الله وصراطه المستقيم، وهو العمل الخالص تقربًا إلى الله تعالى، (**والسنة**) أى طريقة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وهديه، وقدم السبيل اهتمامًا بالإخلاص إن لم نقل: العطف تفسيرى وهو جائز، (**فإنه**) تعليل للحث على التمسك بالسنة والضمير للشأن (**ما على الأرض**) الظاهر أن المراد بمن عليها كل موجود من الأحياء العقلاء من هذه الأمة من عصره إلى يوم القيامة، وقيل: المراد به من كان موجودًا فى عصره من الصحابة، وخصهم لأن قرنه خير القرون، وثوابهم أكثر من ثواب غيرهم، والظاهر ما قدمناه لما مر من أن: «العامل بسنتى عند فساد أمتى له أجر مائة شهيد».

(**مِنْ عبد**) مِنْ زائدة للاستغراق (**على السبيل والسنة**) متمسك بها، والسبيل كالطريق يذكر ويؤنث وجعله لتمكنه كأنه راكب مستعل عليها فهو تمثيل (**ذكر الله فى نفسه**) صفة مخصصة لعبد، (**ففاضت عيناه**) أى فاض ماء عينيه ببكائه (**من خشية الله تعالى**) وخوفه، وفى نسخة من خشية ربه، (**فيعذبه الله تعالى أبدا**) أى إلا لم يعذبه الله أبدا ولا يدخله النار وإن كان مذنبًا، ولا يعذبه فى قبره أيضًا ويعذبه فى جواب النفى المحض كقوله: ﴿يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا﴾ [فاطر: ٣٦].

(**وما على الأرض من عبد على السبيل والسنة**) أى متى سلك طريقة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، ومصدقًا به فى أقواله وأفعاله (**ذكر الله فى نفسه**) أى أحضره فى قلبه وذهب لملاحظة ربه وجلاله وعظمته، والظاهر أن هذا بمجرد التصور من غير لفظ لمقابلته للذكر قبله، والذكر المذكور المراد به المقارن للفكر؛ لأنه لا يفيض ماء عينيه إلا لتصوره وإحضاره فى قلبه، وقيل: إن هذا يحتمل التصور المجرد والمقارن للذكر اللسانى، ولا يخفى ما فيه، (**فاقشعر جلده**) اقشعر بالتشديد أى أخذته قشعريرة، وهى الرعدة كما فى القاموس (**من خشية الله**) أى من شدة خوفه.

قال الراغب: الخشية خوف يشوبه تعظيم وأكثر ما يكون عن علم بما يخشى منه، ولذا خص العلماء بها فى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]، انتهى.

(**إلا كان مثله**) بفتحتين أى صفته وحاله العجيبة (**كمثل**) بفتحتين أى كهذه الصفة (**شجرة**) ذات أغصان وورق، (**قد يبس ورقها**) صفة شجرة، وإنما وصفها بهذا توطئة

للتحات الآتى؛ لأنه لا يكون كذلك إلا الورق اليابس وهو إشارة إلى أنه له خطايا كثيرة قديمة، **(فهى كذلك)** أى فهى دائمة على هذه الحالة من قدم أوراقها ويبسها، وأصله فبينما هى كذلك **(إذ أصابتها ريح شديدة)** والريح مؤنثة **(فتحاتّ عنها ورقها)** أى سقط، وفى القاموس حته فركه وقشره فانحتّ وتحاتّ، والورق سقطت كانحت انتهى، وفتحات بفتحات وتاء مشددة آخره مطاوع حته.

(إلا حط الله خطاياه) المراد بالحط هنا المغفرة، وعبر بها على طريق الاستعارة، وعبر به لمناسبة المشبه، وخطاياه جمع خطيئة وهى الذنب، وهذا بدل من إلا الأولى وما معها، وكرر إلا مع البدل تأكيدًا لبعد المسافة باعتراض المثل، وقيل: إنه استئناف جوابًا لمقدر كأنه قيل: ماذا يترتب على اقشعراره من الخشية؟ مع مراعاة النفى فقيل: إلا حط عنه خطاياه **(كما تحات)** أصله تتحات مضارع بمعنى تسقط **(عن الشجرة ورقها فإن اقتصادًا)** أى اعتدالاً وتوسطًا من غير تفريط تقدم، وهو افتعال من القصد وهو تعليل لما تضمنه ما قبله من مغفرة الذنوب الكثيرة بمجرد ذكر الله، أو تذكره مع الخشوع والخشية، وهو قليل ظاهرًا، وإن كان عظيمًا فى نفسه **(فى سبيل الله وسنة)** عبر بفى لمناسبة السبيل؛ ولأن ذلك الاتباع والاقتداء محيط بعلمه إحاطة الظرف بالمظروف **(خير من اجتهاد)** أى زيادة وبذل جهده وطاقته **(فى خلاف سبيل الله وسنة)** أى بدعة مخالفة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم، وتقدم تفسيره.

(وانظروا) المراد بالنظر هنا التدبر والتأمل، وهذا تتميم لما قبله وتأكيد له **(أن يكون عملكم إن كان اقتصادًا أو اجتهادًا)** أى تدبروا فى جميع أعمالكم قليلة كانت أو كثيرة، سواء بالغتم أو لم تبالغوا **(أن تكون)** أعمالكم كلها، وهو مع ما بعده بدل مما قبله أو تأكيد له وأعاده للفصل بينهما كما تقدم، وأن بفتح الهمزة هى المصدرية لا شرطية مكسورة **(على منهاج الأنبياء)** أى على طريقتهم، والمنهاج والمنهج بمعنى الطريق الواضح.

(وسنتهم) أى طريقتهم وشريعتهم وعبر بالأنبياء، والمراد منهاج نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم، إشارة إلى أن منهاجه جار على منهاجهم غير مخالف له كما قال الله: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠]، وجريه باعتبار التوحيد والعقائد الحقة والأعمال الصالحة والإخلاص، لا لأنا مأمورون باتباعهم فيما لم يرد فيه نص كما توهم، وإن كان صلى الله تعالى عليه وسلم نفسه كذلك.

(وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز)، رضى الله تعالى عنه، وعمال بضم العين وتشديد الميم جمع عامل، وهو الأمير المولى من جانب الخليفة لعمله فى الأموال والمصالح

(**إلى عمر بحال بلده**) أى يخبره بحال بلده الذى ولاه عليها، وهى حمص كما قالوه، (**وكثرة لصوصه**) وعطف تفسير لحال جمع لص بتثليث اللام، وهو السارق وقاطع الطريق وغيرهما من الذين يأخذون أموال الناس بالباطل، وهذا رواه اللالكائى فى السنة كما قاله السيوطى، رحمه الله تعالى، (**هل يأخذهم**) أى يحبسهم ويعاقبهم (**بالظنة؟**) بكسر الظاء المعجمة المشالة وتشديد النون أى بمجرد الظن بأنهم لصوص، (**أو يحملهم**) أى يطلب منهم ويكلفهم (**على البينة**) كما فى قوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾ [الجمعة: ٥]، أى تكلفوا حملها كما قاله الراغب، وضمير يأخذهم للصوص، وضمير يحملهم للمدعين المعلومين من السياق، وعداه بعلى باعتبار معناه الأصلى كما تقدم.

(**وما جرت عليه السنة**) أى ما اقتضته الشريعة من لزوم الثبوت بالبينة ونحوه مما يترتب عليه الحكم دون السياسة المحضة، وإن كان ذلك يجوز للحاكم فى بعض الأحيان.

(**فكتب إليه**) أى إلى عامله (**عمر**) بن عبد العزيز، رضى الله تعالى عنه: (**خذهم**) أى احكم عليهم (**بالبينة وما جرت عليه السنة**) أى وردت واستقرت عليه، (**فإن لم يصلحهم الحق**) أى حكم الشريعة دون السياسة والعنف، (**فلا أصلحهم الله تعالى**) أى ينتقم منهم إذ لم يوفقهم لعمل الخير، وهذا من شدة تقواه وانقياده للشريعة وأحكامها، قيل: فكان من ثبت عليه سرقة نصاب قطع يده فما دار الحول وفيها سارق.

(**وعن عطاء فى**) تفسير (**قوله**) تبارك وتعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ﴾ [النساء: ٥٩]، أى اختلفتم أيها الناس (**فى شىء**) من أمور الدين (**فردوه**) أى ارجعوا فيه (**إلى الله و**) إلى (**الرسول**) أى إلى ما قالاه (**أى إلى كتاب الله وشريعة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم**)، وهذا مؤيد لما قاله عمر، رضى الله تعالى عنه، ولذا ساقه عقبه، وهذا لا ينافى ما ذكره الفقهاء من حبس المتهم وضربه حتى يقر، وأنه قد يعمل بإقراره كما ذهب إليه مالك وغيره، فإنه استحسان منهم إذا قويت التهمة واقتضته الحال كما فصله الفقهاء، وما قاله عمر، رضى الله تعالى عنه، شىء آخر، وعطاء هو عطاء بن أبى رباح المفسر كان من كبار التابعين، وتوفى سنة خمس عشرة ومائة.

(**وقال الشافعى**) الإمام المشهور إمام الأئمة وسلطان الأمة: (**ليس فى سنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم**)، أى لم يثبت فى حديث فى شريعته (**إلا اتباعها**) أى اتباع السنة والعمل بها، وكان يقول: إذا صح الحديث فهو مذهبى، وإذا خالف قولى الحديث فاضربوا به عرض الحائط، وهكذا تبعه أئمتنا الشافعية، رضى الله تعالى عنهم.

(**وقال عمر**) بن الخطاب، رضى الله تعالى عنه، كما رواه عنه الشيخان، (**و**) قد (**نظر**

إلى الحجر الأسود) فى طوافه، والجملة حالية بتقدير قد، أو معترضة مؤذنة بأن قوله ذلك حال مشاهدته له: **(إنك حجر لا تضر ولا تنفع)** أى لا تقدر على ضرر ونفع بالذات، وإن كان الله جعله سببًا لإجابة الدعاء عنده وسنبينه، **(ولولا أنى رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، يقبلك ما قبلتك)** أى فى طوافه، وإنما استحب تقبيله؛ لأنه نزل من الجنة، وكان أبيض كاللبن فسودته خطايا بنى آدم كما رواه، **(ثم قبله)** عمر بعد ما ذكر.

وروى الحاكم أن عليًا، رضى الله تعالى عنه، كان خلف عمر، فلما سمع قوله هذا قال له: بل يضر وينفع، فإن الله لما أخذ الميثاق على بنى آدم فى عالم الذر كتب ذلك فى رق وألقمه الحجر الأسود، وسيأتى يوم القيامة وله لسان يشهد به لمن استلمه بالتوحيد ووفائه العهد، وروى أن ذلك ذكر له صلى الله تعالى عليه وسلم، فأقره، وقد قالوا: إن عمر، رضى الله تعالى عنه، كان عالمًا بذلك، ولكنه قال مقاله هذا، وأسمعه للناس لقرب عهدهم بالجاهلية وعبادة الأحجار، فخشى أن يضلوا ويعتقدوا نفعها قياسًا عليه، وقد ورد أن الحجر الأسود يمين الله فى أرضه أى وضعه فى الأرض؛ ليقبل كما يقبل اليد اليمنى دون اليسرى تكريمًا لها، أو أن تقبيله يفيض الإنعام والرضى كتقبيل يد العظماء، فهو استعارة، والإضافة للتشريف كبيت الله، وفيه رد على من قال: إن الحجر الأسود له خاصة فى ذاته كخاصة المغناطيس لجذب الحديد، وفى الحديث من الأحكام أنه يكره تقبيل ما لم يرد الشرع بتقبيله كما يفعله بعض العوام من تقبيل قبور الأولياء والأماكن المباركة.

وقول الشافعى، رضى الله تعالى عنه: كل مكان قبل من البيت حسن، لم يرد به استحبابه، وإنما أراد إباحته؛ لأن المباح حسن عند بعض الأصوليين.

(ورئى) مبنى للمجهول براء مهملة مضمومة وهمزة مكسورة وياء مفتوحة، وقال ابن مرزوق: إنه بوزن قيل: ففيه ما فيه من اللغات وآخره همزة بالقلب المكانى، وتبعه بعضهم فإن ساعدته رواية فبها ونعمت، وإلا فهو تكلف لا حاجة إليه **(عبد الله بن عمر)** الصحابى المشهور رواه عنه أحمد بن حنبل والبزار بسند صحيح **(يدير ناقته فى مكان)**، وهو راكبها أى بلغت وجهها أو يطيفها حوله حتى عادت لموضعها الأول.

(فسأل) عن فعله ذلك لأى شىء هو؟ **(فقال: لا أدرى)** وجه ما فعلته وحكمته **(إلا أنى رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، يفعله)** أى يدير ناقته فى هذا المكان، **(ففعلته)** اقتداء به صلى الله تعالى عليه وسلم، وفيه أنه يستحب الاقتداء بأفعاله صلى الله تعالى عليه وسلم، تبركًا وتيمنًا إلا أنه قيل: إذا صدر عنه أمر محتمل أنه اتفاقى بمقتضى

الجبلة البشرية لا بنية التعبد، هل يستحب فعله أم لا؟ فذهب الأكثرون إلى أنه لا يستحب إلا أنه لا بأس به، وهو الظاهر، وأما غيره فيكره الاقتداء به فى مثله كما يفعله بعض الصوفية فى اتباع آثار مشايخهم، ومن هذا القبيل لبس الخرقة ونحوه فاعرفه.

(وقال أبو عثمان الحيرى) شيخ الصوفية بنيسابور، وهو بكسر الحاء والراء المهملتين وبينهما مثناة تحتية ساكنة وفى آخره ياء نسبة مشددة نسبة للحيرة اسم محلة بها كان يسكنها، وهو أبو عثمان سعيد بن إسماعيل، توفى سنة ثمان وتسعين ومائتين، وهو من كبار الزهاد والمشايخ الصوفية، وهو صاحب أبى حفص النيسابورى كما قاله ابن ماكولا والذهبى، وذكره القشيرى فى رسالته ونقل ما ذكره المصنف عنه، رحمه الله تعالى، وقال: إنه صاحب شاه الكرمانى ويحيى بن معاذ الرازى، ثم ورد نيسابور مع شاه الكرمانى على أبى حفص الحداد، فتخرج عليه وزوجه ابنته، وقد صحف الناس هنا نسبته فقيل: إنه الحنيذى بحاء مهملة مضمومة ونون مفتوحة بعدها ياء ساكنة وذال معجمة مكسورة وياء نسبة كذا فى أصل أبى العباس العزفى، وهو مخالف لما فى أصل المصنف بخطه، وهو الصحيح، وفى بعض النسخ الجنيدى بجيم مضمومة ودال مهملة، وفى بعضها الحميدى مصغرًا بحاء ودال مهملتين، والكل تحريف وتصحيف، والصحيح ما نقلناه أولاً، وإذا جاء نهر الله بطل نهر معقل، وأقربها الجنيدى فإنه كان على طريقته فى الزهد، ولم يكن فى عصره أعرف منه بطريق المشايخ، ومن كلامه، رضى الله تعالى عنه: الصحبة مع الله عز وجل بحسن الأدب ودوام الهيبة والمراقبة، والصحبة مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، باتباع سنته وظاهر فعله، والصحبة مع أولياء الله بالاحترام والخدمة، والصحبة مع الأهل بحسن الخلق، والصحبة مع الإخوان بدوام البشر، والصحبة مع العوام بالدعاء والرحمة لهم.

(من أمَّرَ السنة على نفسه) وهو بفتح الهمزة وتشديد الميم وراء مهملة خفيفة أى جعل سنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وطريقته **(قولاً وفعلاً)** أى فى أقواله وأفعاله، فهو منصوب على الظرفية أو تمييز محول عن المفعول أى جعلها أميرًا عليه وحاكمًا، وهو عبارة عن عدم مخالفتها، وقيل: إنه بفتح الهمزة والميم المخففة وتشديد الراء المهملة أى أجراها ومشاها عليه، وهو بعيد **(نطق بالحكمة)** أى القول الصواب النافع له فى الدنيا والآخرة، وكل كلام وافق الحق فهو حكمة.

(وَمَنْ أمَّرَ الهوى) أمر كالذى قبله، ففيه استعارة، والهوى ما تهواه نفسه الأمارة وتشتهيه **(نطق بالبدعة)** أى بما يخالف الحق مما زينه له الشيطان من الضلالة.

(وقال سهل التسترى)، وهو سهل بن يونس بن عيسى بن عبد الله بن رفيع شيخ

الصوفية، الزاهد، تقدمت ترجمته والكلام على بلدته تستر وهى مشهورة: **(أصول مذهبنا)** أى التصوف أى قواعده التى تدور عليها **(ثلاثة)**:

أولها وأعظمها **(الاقتداء بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم)** واتباعه **(فى الأخلاق والأفعال و)** الثانى **(أكل الحلال و)** الثالث **(إخلاص النية فى الأعمال)**، وهذه الأصول وإن كانت أصول الصوفية فهى أصول للشريعة أيضًا، وقد ورد فى الحديث بمعناه وهو ظاهر.

(وجاء) أى ورد عن السلف فى التفاسير المأثورة **(فى تفسير قوله)** تعالى: (﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠] **أنه)** بفتح الهمزة فاعل جاء **(الاقتداء بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم)**، فإن العمل لا يكون صالحًا مقبولاً إلا إذا وافق الكتاب والسنة، وموافقتهما عين الاقتداء به قولاً وعملاً، وضمير أنه للعمل الصالح، وضمير يرفعه المرفوع، والمنصوب الأول: للكلم الطيب، وهو التوحيد، والثانى: العمل والرفع بمعنى القبول، ويجوز العكس أى يرفع التوحيد الاقتداء برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فإنه لا يقبل بدونه، وعلى الثانى المراد بالكلم الطيب الأذكار وما هو قريب منها، وهى إنما تقبل إذا وافقت السنة، والكلام عليه مفصل فى كتب التفسير.

(وحكى) بالبناء للمجهول أى نقل لنا **(أن)** الإمام **(أحمد بن حنبل)**، رحمه الله تعالى، وحنبل اسم جده، فإنه أحمد بن محمد بن حنبل كما أشار إليه المصنف، رحمه الله تعالى، فيما يأتى ابن هلال الشيبانى المروزى ثم البغدادى؛ لأنه تربى بها ودفن فيها ثانى عشر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين ومائتين، وهو إمام السنة صاحب المذهب الزاهد والعابد، وله مناقب أفردت بالتأليف.

(قال: كنت يومًا مع جماعة تجردوا) من ثيابهم عريانًا، **(ودخلوا الماء)** للاغتسال، **(فاستعملت الحديث)** أى عملت به فالسين للتأكيد، وقيل: المعنى طلبت ذلك من نفسى، وقلت: لا توافقى هؤلاء، وهذا الحديث رواه مسلم، والترمذى، وهو **(من كان يؤمن بالله)** أى يصدق ويعترف بالله.

(واليوم الآخر) أى يوم البعث والحشر، وهو يوم القيامة، والإيمان بهما عبارة عن الإيمان بجميع ما جاء به الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم، فكنى بالطرفين عن الجميع فهو من باب الاكتفاء، **(فلا يدخل الحمام)** المراد به كل مكان فيه ماء يغتسل به، ثم غلب فى العرف على محل مخصوص **(إلا بمئزر)** المئزر بكسر الميم وهمزة ساكنة وتبدل ياء بمعنى الإزار، وهو مايستر به نصف المرء الأسفل، **(ولم أتجرد)** أنا أى لم أخلع ثيابى وأتعرى منها، وهو عطف تفسير لاستعملت الحديث.

(فرأيت) فى المنام **(تلك الليلة)** أى فى تلك الليلة التى تلى يوم تجردهم **(قائلاً لى:)** أى شخصًا يقول لى: **(يا أحمد أبشر)** أى مبشرًا من الله بما يسرك، **(فإن الله قد غفر لك)** أى عفا عنك وأنعم عليك بقبول ما صدر منك **(باستعمال السنة)** أى بسبب اقتدائك بالرسول صلى الله تعالى عليه وسلم، والعمل بحديثه، **(وجعلك إمامًا)** يؤتم بك ويقتدى بك لكونك مجتهدًا صاحب مذهب.

(قلت) لمن رأيته فى المنام **(من أنت؟)** استفهامًا يريد به تعينه عنده **(قال: جبريل)** أى أنا جبريل رسول الله إلى عباده.

* * *

[فصل فى أن مخالفة أمره وتبديل سنته ضلال]

(فصل ومخالفة أمره) أى بترك ما أمر الأمة به **(وتبديل سنته)** أى تغييرها بوجه من وجوه التغيير، ولو بتأويله على خلاف مراده **(ضلال)** أى عدول عن الطريق المستقيم، وهى طريق الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم، وشريعته، **(وبدعة)** أى أمر إحداثه فى الدين، وإذا أطلقت البدعة انصرفت إلى غير الحسنة، وهى المرادة هنا **(متوعد عليها)** أى ورد الوعيد لفاعلها فى أحاديث كثيرة تقدم بعضها، وفى آيات قرآنية **(من الله بالخذلان)** متعلق بقوله متوعد، والخذلان ضد التوفيق، وهو أن يخلق الله فيه داعية المعاصى فى الدنيا، **(والعذاب)** الأليم فى الآخرة **(قال الله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾)** [النور: ٦٣]، ضمن يخالفون معنى يعرضون، فلذا عداه بعن وهو متعد بنفسه، وضمير أمره للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم؛ لأنه المقصود بالذكر فى الآية، وهو الذى بنى المصنف، رحمه الله تعالى، عليه كلامه هنا، وفيه وجه آخر أنه لله؛ لأنه الآمر الحقيقى، والفتنة ما فى الدنيا من المصائب لا المحنة الدنيوية والعذاب الأليم فى الآخرة، **(وقال الله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ﴾)** [النساء: ١١٥]، أى يعاديه ويخاصمه، فيكون فى شق وهو فى شق آخر **﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ﴾** أى ظهر له الحق وثبت معانيه بمعجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم، وهداية الله تعالى له لمن هداه برسوله صلى الله تعالى عليه وسلم، **﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾** أى يسلك طريقًا غير طريقتهم فى الاعتقاد والعمل **﴿نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ﴾** أى نجعله متوليًا لما تولاه من الضلالة والبدع **(الآية)** أى اقرأها يعنى قوله تعالى: **﴿وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾**، وهذا وعيد شديد لمن لم يقتد به صلى الله تعالى عليه وسلم، واستدل بهذه الآية على حجية الإجماع كما بين فى كتب الأصول.

ثم ذكر حديثًا رواه مسلم، والإمام مالك مسندًا شاهدًا لما ذكره، فقال: **(حدثنا أبو**

محمد عبد الله بن أبى جعفر) هو عبد الله بن محمد بن عبد الله الحسنى، وقد تقدمت ترجمته، **(وعبد الله بن عتاب)** تقدم أيضًا **(بقراءتى عليهما)** بيان لطريق روايته، ويسمى عرضًا **(قالا: حدثنا أبو القاسم حاتم بن محمد)** تقدم أيضًا قال: **(حدثنا أبو الحسن القابسى)** تقدم قريبًا قال: **(حدثنا أبو الحسن بن مسرور الدباغ)** بسين مهملة منقول من اسم المفعول، وهو على بن محمد بن مسرور، توفى فى منتصف رمضان سنة تسع وخمسين وثلاثمائة قال: **(حدثنا أحمد بن أبى سليمان)** هو تلميذ سحنون، وهو مولى لربيعة ويكنى أبا جعفر، توفى سنة إحدى وتسعين ومائتين، وقد ناهز السبعين قال: **(حدثنا سحنون)** عبد السلام **(بن سعيد)**، وستأتى ترجمته مفصلة قال: **(حدثنا ابن القاسم)** تقدمت ترجمته قال: **(حدثنا مالك)** الإمام المشهور **(عن العلاء بن عبد الرحمن)** تقدم أيضًا **(عن أبيه، عن أبى هريرة أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، خرج إلى المقبرة)** مثلثة الباء والكسر لغة قليلة فيها.

(وذكر الحديث فى صفة أمته، صلى الله تعالى عليه وسلم)، يعنى قوله، لكم سيما ليست لأحد من الأمم: تردون على غرا محجلين من آثار الوضوء.

(وفيه) أى فى الحديث المذكور: **(فليذادن رجال عن حوضى)** اللام فى جواب قسم مقدر، ويذادن مبنى للمجهول بذال معجمة وألف بعدها دال مهملة ونون توكيد مشددة، والذود هنا بمعنى الطرد والمنع، وهذه رواية ابن القاسم ورواية غيره، فلا يذادن ولا نافية أو ناهية أى لا يفعل أحدكم فعلا يطرد بسببه عن حوضى على معنى التحذر والإشفاق، ورجحت الرواية التى اختارها المصنف، رحمه الله تعالى.

(كما يذاد البعير الضال) أى كما يطرد البعير إذا ضل من صاحبه، وأتى ليدخل فى إبل أخرى ليستقى، فيطرد من بينها لئلا ينتقص شربها، **(فأناديهم)** إذا طردوا **(ألا هلم ألا هلم ألا هلم)** كرره للتأكيد على العادة فى نداء من ضل، وهذا بيان لحرصه صلى الله تعالى عليه وسلم على ردهم لشفقته عليهم ورحمة لهم، وهلم بفتح الهاء وضم اللام، وقد تفتح، وهى اسم فعل بمعنى أقبل واحضر، ويتعدى بنفسه وبإلى واللام وميمها مشددة مفتوحة يستوى فيها المذكر وغيره، وهى بسيطة فى الأصل أو مركبة من ها لم أو من هل أم، وهذه لغة أهل الحجاز وهى الفصحاء؛ لأنها لغة القرآن، ولغة غيرهم هلم وهلما وهلموا وهلمن فهى عندهم فعل؛ لأن اسم الفعل لا يتصل به الضمائر، والمطرودون من المنافقين والمرتدين لكونهم أظهروا الإسلام وتوضئوا وصلوا، فيكونون غرا محجلين، ولذا دعاهم وناداهم، ولم تكن هذه السيما إلا للمؤمنين لم يدعوا، فإن كان المراد أهل البدع من المؤمنين وأصحاب الكبائر، فالأمر ظاهر.

وقال النووى: اختلف فى المراد به على أقوال:

أحدها: أن المراد بهم المنافقون ويجوز أن يحشروا غرا محجلين، فينادون بسيماهم فيقال: إنهم بدلوا بعدك و لم يموتوا على الإسلام.

الثانى: أن المراد من كان فى زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم، ثم ارتد فيناديهم وإن لم يكن لهم سيما؛ لأنه يعرفهم.

والثالث: أن المراد أصحاب الكبائر والمعاصى الموحدين وأصحاب البدع، فينادون عقوبة لهم.

(فيقال) بالبناء للمجهول أى يقول الله تعالى أو الملائكة أو من عرفهم من الصحابة: **(إنهم قد بدلوا بعدك)** أى غيروا سنتك، وارتكبوا ما لم تعهده منهم، وفى نسخة إنهم قد تبدلوا بعدك.

(فأقول: سحقًا سحقًا سحقًا)، وفى نسخة فسحقا بإعادة الفاء للتأكيد، وهو بضم السين والحاء وتسكن تخفيفًا قال تعالى: ﴿**فسحقا**﴾ أى جعلهم الله فى مكان سحيق أى بعيد، وأصله من سحقه إذا فتنه، والسحق الثوب البالى، وهو على تقدير: اسحقوا وابعدوا بعدًا شديدًا، ويحتمل أنه دعاء عليهم تقديره: ألزمهم الله سحقًا فنصبه على المصدرية، أو هو مفعول به، وإذا كان دعاء فعامله محذوف وجوبًا كجدعا وعقرا، قيل: هل هو مصدر لفعل ثلاثى وهو سحقه أو لغيره؟ أى أسحقه على حذف الزوائد وقياسه إسحاقًا، ولا يحتاج لذلك، وإن اختاره أبو على.

أقول: بل له داع؛ لأن سحقه بمعنى فتته كسحق المسك ونحوه، وأما من البعد فالمستعمل أسحقه يقال: أبعده الله وأسحقه كما قاله الراغب.

(وروى أنس) بن مالك فى حديث رواه الشيخان **(أنه صلى الله تعالى عليه وسلم، قال: من رغب عن سنتى)** أى تركها لأن رغب إذا تعدى بعن يكون بمعنى الترك ضد رغب فيه، وسنته طريقته وشريعته، **(فليس منى)** أى ليس من أتباعى وأشياعى، ومن اتصالية كما تقدم بيانه، وهذا تبرؤ منه ورد له، فهو فى معنى الحديث الذى قبله.

(وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم، فى حديث رواه الشيخان: **(من أدخل فى أمرنا)** أى أحدث بدعة فى الدين، وروى: من أحدث وهما بمعنى **(هذا)** عبر باسم الإشارة إشارة إلى أنه لظهوره بمنزلة المحسوس المشاهد **(ما ليس منه)** أى أمر مخالف للكتاب والسنة، **(فهو رد)** أى مردود، وعبر بالمصدر للمبالغة كرجل عدل، وهذا من حديث طويل من قواعد الدين، وقال الطوفى: إنه نصف الدين.

(وروى ابن أبى رافع عن أبيه) وهذا الحديث رواه أبو داود، والترمذى، وابن ماجه

كما تقدم قريبًا (**عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، قال: لا ألفين أحدكم**) بالبناء للمجهول نهى لنفسه، والمراد به نهى غيره عن أن يجده ويراه على هذه الحالة (**متكئًا على أريكته**) أى مترفهًا جالسًا على سريره، وتقدم بيان الأريكة (**يأتيه الأمر**) جملة حالية تقريرًا لبطره وسوء أدبه (**من أمرى مما أمرت به أو نهيت عنه، فيقول: لا أدرى**) ما أتيت به لا أدرى غير كتاب الله (**ما وجدنا فى كتاب الله اتبعناه**)، وقد تقدم قريبًا الكلام عليه.

(**زاد المقدام**) فى هذا الحديث كما رواه الحاكم عنه، وهو المقدام بكسر الميم ابن معدى كرب الكندى المكنى بأبى صالح ممن وفد على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من كندة، وتوفى بالشام سنة سبع وثمانين وهو ابن إحدى وسبعين سنة (**ألا**) بفتح الهمزة كلمة استفتاح (**وإن ما حرم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مثل ما حرم الله**)؛ لأنه مبلغ عنه فيجب اجتناب ما حرمه، وفيه رد على القائل لا يتبع إلا كتاب الله، وفيه إشارة أنه معصوم فى أقواله وأفعاله.

(**وقال**) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه الدارمى، وابن المنذر، وابن جرير، وأبو داود مرسلاً: (**وجىء**) مجهول جاءوا جملة حالية بتقدير قد أو معترضة (**بكتاب**) أى مكتوب (**فى كتف**) أى فى عظم كتف؛ لأنهم فى الصدر الأول كانوا يكتبون فيها، وفى الجلود لعز الورق إذ ذاك، والجائى به عمر رضى الله تعالى عنه، أو ابنته حفصة أو عائشة كما قيل، وقيل: إنه شىء كان كتبه بعض المسلمين عن اليهود، فلما رآه صلى الله تعالى عليه وسلم، ألقاه و(**قال: كفى بقوم**) متعلق بكفى أو الباء زائدة فى المفعول (**حمقًا أو قال: ضلالا**) شك من الراوى ونصبهما على التمييز، والحمق الغباوة وعدم الفهم، والضلال ضد الهداية، وجعله كذلك لنظرهم فى أمور منسوخة محرفة، وتركهم السنة، ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، معهم بين أظهرهم كما بينه بقوله: (**أن يرغبوا**) هو فاعل كفى أى رغبتهم (**عما جاءهم به نبيهم**) معرضين عنه مشتغلين بما لا يعنيهم (**إلى**) ما جاء به (**غير نبيهم**) أى ناظرين إليه راغبين فيه، وهم لا يعلمون بصحته.

(**أو**) ناظرين إلى (**كتاب غير كتابهم**) الذى أنزله الله تعالى على رسولهم، فلا ينبغى لهم الاقتداء به والسماع منه اعتناء لما له وهو بين، وفيه إشارة إلى أنه كان أمرًا منقولاً عن اليهود كما نقله فى زاد المسير.

(**فنزلت**) آية: ﴿**أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ**﴾ [العنكبوت: ٥١]، أى القرآن الذى ما فرطنا فيه من شىء، فهو لوم على ما فعلوه وهو عطف على ما قبله، والهمزة مقدمة من تأخير أو على مقدر معلوم من الحال أى قالوا ذلك، ونقلوه و لم

يكتفوا إلى آخره، وهذا سبب نزول الآية كما نقله فى أسباب النزول، وقيل: سبب نزولها أن المشركين طلبوا من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، أن يأتيهم بآية من آيات الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، كعصى موسى، عليه الصلاة والسلام، وناقة صالح، عليه السلام.

فقال الله تعالى لهم: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٥١]، معجزة القرآن التى هى أعظم المعجزات وهى باقية مستمرة، ولذا قال: (﴿يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ الآية)، وعبر بالمضارع، والضمير لليهود أو المسلمين أو المشركين، وقيل: إن كلا منهما سبب لنزولها، ولا مانع من تعدد السبب، ولا حاجة لتعدد النزول كما قيل، وفيه دليل على النهى عن قراءة الكتب المنسوخة إلا لمصلحة ممن يعرف النسخ والتحريف.

(**وقال صلى الله تعالى عليه وسلم**)، فى حديث رواه مسلم عن ابن مسعود، رضى الله تعالى عنه: (**هلك المتنطعون**) أى وقع فى أمر يهلكه يؤدى إلى غضب الله تعالى وعقابه، من تنطع أى بالغ وغالى فى الأمور، وتشدق بكلام لا حاجة إليه، من النطع وهو الفك الأعلى من الفم استعير لكل متعمق فى قول أو فعل غير مهم، وأصله من يفتح فمه فى تكلمه، وقال الخطابى: المتنطع المتعمق المتكلف للبحث عن مذاهب أهل الكلام الخائض فيما لم يبلغه عقله، ومناسبته لما نحن فيه أن من تنطع خرج عن ظاهر السنة، وعدل عن ظاهر سنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وبه صرح أول الحديث، وهو تعلموا الفرائض قبل أن يقبض وإياكم والتنطع والتعمق والبدع، وهلك جاء من باب ضرب ومنع وعلم.

(**وقال أبو بكر الصديق، رضى الله تعالى عنه**)، وهذا رواه عنه أبو داود والبخارى وغيرهما: (**لست تاركًا شيئًا كان رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، يعمل به**) من سنته فى أقواله وأفعاله وأحكامه وهديه (**إلا عملته**) اقتداء به، صلى الله تعالى عليه وسلم، واتباعًا لآثاره الحميدة (**إنى أخشى**) أى أخاف (**إن تركت شيئًا من أمره**) أى شأنه وحاله الذى كان عليه، عليه الصلاة والسلام، (**أن أزيغ**) بزاء وغين معجمتين أى أميل عن الحق والسنة، وأصل معنى الزيغ الميل عن الاستقامة، قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥]، أى لما فارقوا الاستقامة عاملهم الله بذلك والله أعلم.

* * *

(الباب الثاني)
[في لزوم محبته]

من القسم الثاني من الكتاب **(في)** ذكر ما يدل على **(لزوم محبته)** أي وجوبها على كل مكلف من أمته، وفي نسخة فصل، والصحيح الأول، ووجوبها عقلاً وشرعًا لقوله: **(قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ﴾)** [التوبة: ٢٤]، أي زوجاتكم جمع زوج وهو يطلق على الذكر والأنثى، وزوجة لغة أيضًا فرقا بين المذكر والمؤنث، ﴿وَعَشِيرَتُكُمْ﴾ وهم أقرباء النسب، ﴿وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا﴾ أي اكتسبتموها وملكتموها **(الآية)**: أي اقرأ ما بعد ما ذكر وهو: ﴿وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [التوبة: ٢٤]، وسبب نزولها أن رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، أمر بالهجرة تخلف بعضهم عنه فنزلت، وتفسير الآية معلوم من التفاسير لا حاجة لذكره هنا.

(فكفى بهذا) المذكور في الآية **(حضا)** أي حثًا وتحريضًا وترغيبًا قال الراغب: الحض التحريك كالحث إلا أن الحث يكون بسير وسوق، والحض لا يكون بذلك، وأصله الحث على الحضيض، وهو قرار الأرض، انتهى.

(وتنبيهًا) أي إيقاظًا لهم من نومة الغفلة عن محبته، صلى الله تعالى عليه وسلم، حتى لا يغيب عنهم طرفة عين، **(ودلالة)** لهم على ما يجب في محبته، **(وحجة)** أي إثباتًا لدليل وجوب محبته عليهم، والآخران بالنسبة لمن لا يعرف ذلك وما قبلة لغيره **(على التزام محبته)** أي لزومها عقلاً، **(ووجوب فرضها)** عليهم شرعًا، **(وعظم خطرها)** أي قدرها وفائدتها، وأصله ما يعطى عند الرهان، **(واستحقاقه)**، صلى الله تعالى عليه وسلم، **(لها)** أي للمحبة المذكورة كما قيل:

تملك بعض حبك كل قلبي   فإن ترد الزيادة هات قلبا[1]

اللهم املأ قلبي بنور إيمانك ومحبتك ومحبة نبيك محمد، صلى الله تعالى عليه وسلم، حتى لا يكون فيه محلاً لغيركما **(إذ قرَّع)** بفتح القاف والراء المهملة المشددة والعين المهملة أي وبخ، وقيل: وفي أصل المصنف، رحمه الله تعالى، تقرع، والصواب الأول **(تعالى من كان ماله وأهله وولده أحب إليه من الله ورسوله)** صلى الله تعالى عليه وسلم، ثم بين تقريعه بقوله: **(وأوعدهم بقوله: ﴿فَتَرَبَّصُوا۟﴾)** أي انتظروا أمره، وفيه من التوبيخ ما لا يخفى، **(وفَسَّقهم)** أي وصفهم ونسبهم للفسق **(بتمام الآية)** أي بما ذكر في آخرها

---

(١) البيت من بحر الوافر. وتقدم الاستشهاد به.

حيث قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤]، فجعلهم فاسقين بتخلفهم عن الهجرة، وسلب عنهم الهداية بوصف يشعر بعلتها، وهو معنى قوله: (**وأعلمهم أنهم ممن أضل ولم يهده الله**)، تبارك وتعالى.

(**حدثنا أبو على الغسانى**) الجيانى الحافظ، وتقدمت ترجمته (**فيما أجازنيه**) يعنى أنه رواه عنه بالإجازة، ولم يقرأه عليه مع أنه معاصر له، (**وهو**) أى هذا الحديث الذى رواه البخارى وغيره (**مما قرأته على غير واحد**) من المشايخ غيره، فله فى روايته طرق كثيرة أقوى من هذه، وإنما اختارها لعلو سنده وجلالته.

(**قال**) الغسانى: (**حدثنا سراج بن عبد الله القاضى**) تقدم بيانه قال: (**حدثنا أبو محمد الأصيلى**) تقدم أيضًا قال: (**حدثنا أبو عبد الله محمد بن يوسف**) هو الفربرى راوى البخارى، وقد تقدمت ترجمته قال: (**حدثنا محمد بن إسماعيل**) هو إمام أهل السنة صاحب صحيح البخارى قال: (**حدثنا يعقوب بن إبراهيم**) بن كثير البغدادى الدورقى صاحب المسند وإمام الحديث، توفى سنة اثنين وخمسين ومائتين، ونسب إلى دورق اسم بلدة أو إلى صنعة الدوارق، وهى نوع من القلانس قال: (**حدثنا ابن علية**) بالتصغير الإمام الثقة الحافظ إسماعيل بن إبراهيم بن ميسم المشهور بابن علية، أخرج له أصحاب السنن الستة، وتوفى سنة ثلاث وتسعين ومائة، وله ترجمة فى كتاب الميزان، وعلية أمه (**عن عبد العزيز بن صهيب**) علم منقول من المصغر، وهو البنانى الأعمى الإمام الثقة الحافظ أخرج له الستة، وتوفى سنة خمس وثلاثين ومائة وترجمته مشهورة (**عن أنس**) بن مالك الصحابى المشهور (**أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، قال: لا يؤمن أحدكم**) هو من خطاب المشافهة، فيعم الموجودين وغيرهم، وقيل: خص بالخطاب الموجودين، والحكم عام بشهادة أنه روى بغير خطاب فى مسلم: «لا يؤمن عبد»، وفى رواية غيره أحد أى لا يؤمن إيمانًا كاملاً كما فى رواية ابن حبان: «لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان»، (**حتى أكون**) بالنصب وهو غاية لما قبله (**أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين**) إيثارًا له صلى الله تعالى عليه وسلم، وإكرامًا له وإجلالاً، وأحب بمعنى أكثر محبوبية على خلاف القياس كأشغل من ذات النحيين، ولم يذكر نفسه لدخولها فى الناس، وقوله إليه لا يقتضى خروجها لمغايرتها له من جهة كونه محبا وهى محبوبة، والأم وسائر الأهل داخل فى الناس أيضًا، ولا حاجة لإدخالها فى الوالد كما قيل، وسيأتى معنى محبتهم له، صلى الله تعالى عليه وسلم، (**وعن أبى هريرة**)، رضى الله تعالى عنه، (**نحوه**) أى روى عنه حديث بمعنى الحديث المذكور.

(**و**) روى (**عن أنس**) خادم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فى حديث رواه

الشيخان (**عنه، عليه الصلاة والسلام: ثلاث**) أى ثلاث خصال أو خصال ثلاث، فالوصف المقدر سوغ الابتداء بالنكرة كقولهم: ضعيف عاد بقرمله أى رجل ضعيف (**من كن**) أى الخصال (**فيه وجد حلاوة الإيمان**) خبر المبتدأ وصفته، وكن بمعنى وجدن فكان تامة، وحلاوة الإيمان لذته، ففيه استعارة أو هو مجاز مرسل.

الخصلة الأولى: (**إن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما**) جمع الله وغيره فى ضمير، وقد نهى صلى الله تعالى عليه وسلم، عنه كما تقدم حيث قال للخطيب الذى قال: ومن يعصمها فقد غوى: بئس خطيب القوم أنت، قل: ومن يعصى الله ورسوله لإيهامه التسوية بين الله وغيره، ولذا قيل: إنه مكروه، وأجيب عنه بأن الخطبة مقام إطناب لا إيجاز، أو أنه يجوز لله ورسوله ذلك دون غيرهما، فهو من خصائصه، وإليه مال ابن عبد السلام، وقيل: إنها واقعة حال لا تخصص لاحتمال أنه كان بالمجلس من يتوهم التسوية، أو أن هذا كان فى ابتداء الإسلام ووجود المشركين بين أظهرهم، لاسيما إذا قصد المبالغة فى تعظيم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وأن لا يفصل بين محبته ومحبة الله بفاصل لفظى، وملاحظة أنه لا يمكن التسوية بين العبد وسيده، وفيه كلام فصلناه فى غير هذا المحل.

(**و**) **الثانية** (**أن يحب المرء**) بالنصب مفعول يحب وفاعله ضمير من (**لا يحبه إلا لله**) أى يخلص فى محبته من غير ملاحظة انتفاع ما، وعلامته أن لا يزيد بالبر ولا ينقص بالجفاء كما قاله ابن معاذ.

(**و**) **الثالثة** (**أن يكره أن يعود فى الكفر كما يكره أن يقذف فى النار**) لتمكن الإيمان من قلبه ومحبته له واطمئنان قلبه، وفى رواية بعد إذ أنقذه الله تعالى منه، والإنقاذ الإخراج وهذا ظاهر فى حق من تلبس بالكفر كالعود، فإنه بمعنى الرجوع أما من ولد مسلمًا واستمر على إسلامه، فيعلم بالمقايسة عليه، وبالطريق الأولى، وقيل الإنقاذ بمعنى العصمة منه والعود بمعنى الصيرورة، وعدى العود بفى وهو يتعدى بإلى لتضمنه معنى الاستقرار كما فى قوله تعالى: ﴿**وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ**﴾ [الأعراف: ٨٩].

(**وعن عمر**) بن الخطاب، رضى الله تعالى عنه، فى حديث رواه البخارى عن عبد الله ابن هشام (**أنه قال للنبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، لأنت أحب إلىّ**) خبر أنت واللام فى جواب قسم مقدر (**من كل شىء**) فى الدنيا وغيرها (**إلا نفسى التى بين جنبى**) بتشديد الياء كياء إلى (**فقال له النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم: لن يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه**) إيثارًا له، صلى الله تعالى عليه وسلم، على نفسه وغيره.

(**فقال عمر**) مجيبًا له، صلى الله تعالى عليه وسلم: (**والذى**) أى الله الذى (**أنزل عليك**

الكتاب) وأوحى إليك القرآن **(لأنت أحب إلى من نفسى التى بين جنبى، فقال له النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم: الآن)** نطقت بالحق أو ظهر اتصافك بكمال الإيمان، فهو متعلق بمقدر وهو مبنى على الفتح، وأل فيه لازمة كما اتفق عليه النحاة، وهو الزمان الحاضر **(يا عمر)** صرح باسمه إشارة إلى أنه وصل لرتبة علية تخصه بالنسبة لبعض من عداه أى لا يكفيك المرتبة الأولى، ولا يليق بعلو همتك الاقتصار عليها، وإنما اقتصر على الأولى احترازًا عن المبالغة؛ لأن محبة المرء لنفسه وترجيحها أمر طبيعى لا يسلم منه إلا من ملك نفسه وجاهدها.

وقال ابن حجر: جوابه أولا كان بحسب ما طبع عليه، ثم تأمل فعرف بالاستدلال أنه صلى الله تعالى عليه وسلم، أحب إليه منها؛ لأنه منها لأنه الذى نجاه من الهلاك فى الدنيا والآخرة فأخبره بذلك ثانيًا، ولذا قال له: الآن تحققت ونطقت، وقيل: معناه لن يؤمن أحدكم إيمانًا يعتد به حتى يقتضى عقله ترجيح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، على ما سواه، وفيه سوء أدب، ثم قال: والحديث يومئ إلى أن محبة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم أمر غير اعتقاد أعظمية كما زعمه المصنف، رحمه الله، ورده القرطبى ولا وجه له، فإن عمر لا يشك أنه صلى الله تعالى عليه وسلم، أعظم من نفسه ومن كل شىء، ولا يلزم من اعتقاد الأعظمية المحبة كما لا يخفى، والمراد بالحب هنا العقلى الاختيارى الذى يقتضى العقل إيثاره وإن خالف كمحبة المَرِيض الدواء، لا الطبيعى الذى لا يدخل تحت اختياره، فإن الله لا يؤاخذه به لأنه لا يدخل تحت استطاعته، والمراد بالنفس هنا الذات ولوازمها من الحياة ونحوها، وقيل: المراد الروح وإن فرقوا بينهما، وأراد بالتى بين جنبيه السر القائم به الحياة، وأضافه إليهما لجرى العادة بسبب الحياة بسبب ما بينهما، وهو القلب، وما يتعلق به من سائر الأعضاء الرئيسية، وليس هذا موضع الكلام على الروح انتهى، وأبرز عمر، رضى الله تعالى عنه، القسم بعد ما قدره تحقيقًا لخلوص طويته فى مقالته، ولذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم: الآن؛ لما علمه منه.

(وقال سهل) بن عبد الله التسترى: **(من لم ير)** أى يعلم ويتحقق يقينًا **(ولاية الرسول عليه فى جميع أحواله)** الولاية بكسر الواو وفتحها بمعنى نفوذ حكمه وسلطانه حتى كأنه مملوك له، وقال الراغب: الولاية بالفتح النصرة وبالكسر تولى الأمر، وقيل: الولاية والولاية واحدة وهى مصدر نحو الدلالة والدلالة، وحقيقتها تولى الأمر انتهى، والمراد أنه لا يخالفه فى أمر من أموره، **(ويرى نفسه فى ملكه)** بكسر الميم أى يملكه حتى كأنه عنده، صلى الله تعالى عليه وسلم، **(لا يذوق حلاوة سنته)** استعارة تصريحية أو مكنية وتخييلية، والمراد أنه إذا سلم ولاية رسوله بطيب قلب شرح الله تعالى صدره لاتباعه والاقتداء به، فاستلذ بالأعمال الصالحة، فقام ذلك له مقام الغذاء الحلو اللذيذ، وهذا

مأخوذ من قوله: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، كما تقدم بيانه؛ **(لأن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، قال: لا يؤمن أحدكم)** أى لا يكمل إيمانه **(حتى أكون أحب إليه من نفسه الحديث)** منصوب بأعنى ونحوه، وتقدم تمام الحديث، ووجه مناسبة كلام سهل لما نحن فيه، ولما علل به أنه يدل على أن من جعل نفسه تابعة للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم، فى أقواله وأفعاله تلذذ بالاقتداء به، ولا يستلذ بذلك إلا إذا أحبه، فإن المحب لا يخالف محبوبه، فيترك مراده لمراده، وبهذا دل على الأحبية وطابقت العلة معلولها كما لا يخفى، وقد تقدم قوله:

إن المحب لمن يحب مطيع

مع الكلام عليه.

* * *

(فصل فى ثواب محبته ﷺ)

بما يرجوه من بركتها فى الدنيا، ومن سعادته بها فى الآخرة كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم: «المرء مع من أحب»، والثواب الجزاء ثم أسند حديثًا فى ذلك رواه البخارى، فقال: **(حدثنا أبو محمد بن عتاب بقراءتى عليه)** تقدم بيانه، وأن القراءة والإجازة سواء عند المصنف، رحمه الله تعالى، وعند غيره القراءة أقوى وهو الظاهر، قال: **(حدثنا أبو القاسم حاتم بن محمد)** تقدم أيضًا، والكلام على التكنى بأبى القاسم مشهور سيأتى منه ما فيه الكفاية قال: **(حدثنا أبو الحسن محمد بن خلف)** القابسى كما تقدم قال: **(حدثنا أبو زيد المروزى)** تقدم أيضًا قال: **(حدثنا محمد بن يوسف)** الفربرى، وقد تقدم قال: **(حدثنا محمد بن إسماعيل)** البخارى وقد تقدم قال: **(حدثنا عبدان)** عبد الله بن عثمان، وقد تقدم قال: **(حدثنا أبى)** أبو عثمان بن جبلة بن أبى رواد العتكى الثقة أخرج له أصحاب السنن قال: **(حدثنا شعبة)** تقدمت ترجمته **(عن عمرو بن مرة)** الجملى بفتحتين نسبة إلى جمل أبو حى أحد الأعلام العاملين، أخرج له أصحاب الكتب الستة، وتوفى سنة ستة عشر ومائة، **(عن سالم بن أبى الجعد)** الأشجعى الكوفى توفى سنة خمس وخمسين ومائة وأخرج له الستة واسمه رافع **(عن أنس أن رجلاً أتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم)**، قيل: إن الرجل أعرابى لا يعرف، وقيل: هو الأعرابى الذى بال فى المسجد، وقال ابن بشكوال: إنه أبو موسى الأشعرى، رضى الله تعالى عنه، أو أبو ذر، رضى الله تعالى عنه، واحتج بحديثين لا حجة له فيهما، وقيل: إنه أعرابى اسمه ذو الخويصرة، وقيل: إن السائل عمير بن قتادة، وفى معجم الذهبى: أنه عمر بن الخطاب

وأبان، قيل: ولذلك أورد البخارى هذا الحديث فى مناقب عمر، رضى الله تعالى عنه.

قلت: التعبير برجل من غير تعيين يأبى كونه عمر أو غيره من مشاهير الصحابة، إلا أن يكون الراوى نسبه، والظاهر أنه أعرابى.

(**فقال: متى الساعة يا رسول الله؟**) سأله عن تعيين زمان وقوعها، والساعة جزء من أربعة وعشرين جزءًا من اليوم والليلة، ثم أطلق لغة على كل زمان قليل، فيقول: جلست عندك ساعة أى قليلة، ثم شاع فى يوم القيامة وصار حقيقة فيه؛ إما لأنه قليل بالنسبة لما بعده من الخلود، أو بالنسبة لما يقع فيه من الأمور العظيمة، وهو مجاز صار حقيقة فى عرف الشرع واللغة، وقيل: سميت بها لقربها كأنها لتحقق وقوعها تقع بعد ساعة، أو لأنها تأتى بغتة، أو لأن البعث من القبور يكون فى أسرع من لمحة ولا يخفى ما فيه.

(**قال**) صلى الله تعالى عليه وسلم: (**ما أعددت لها؟**) أى ما هيأت وأحضرت لها من الأعمال الصالحة التى تنفعك فيها إذا قامت؟ وهذا قريب من الأسلوب الحكيم؛ لأنه ترك جوابه وسأله عما هو عدة له، فيها إشارة إلى أنها لا يعين زمان وقوعها؛ لأنه مما لا يعلمه إلا الله.

(**قال: ما**) نافية (**أعددت لها من كثير**) بالمثلثة، وفى بعض النسخ بالموحدة التحتية وهو صحيح أيضًا (**صلاة ولا صيام ولا صدقة**) من إضافة الصفة للموصوف أى لم أعد لها ما ينفعنى فيها، (**ولكنى أحب الله ورسوله**) استدراك على ما ذكره من تفريطه وتركه ما ينفعه أى ليس عندى ما ينفعنى ثمة إلا الإيمان بالله ورسوله ومحبتهما.

(**قال: أنت مع من أحببت**)، وفيه جواب له على أتم الوجوه وتبشير له ولمن أحب الله ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم، ولذا قال فى تتمة الحديث: إن من حضر من الصحابة قالوا: يا رسول الله ونحن كذلك؟ قال: نعم. قالوا: ففرحنا كما مر، وإنما المراد أنه يدخل الجنة فى زمرة المؤمنين، وإن كانت مراتبهم متفاوتة، وقد نظم معنى الحديث الحافظ ابن حجر، رحمه الله تعالى، كما تقدم فقال:

وقائل هل عمل صالح أعددته ينفع عند الكرب
فقلت حسبى خدمة المصطفى وحبه فالمرء مع من أحب

(**ومن شعر الصبا قولى**):

وحق المصطفى لى فيه حب إذا مرض الرجاء يكون طبا
ولا أرض سوى الفردوس مأوى إذا كان الفتى مع من أحبا

وتقدم أيضًا.

(وعن صفوان بن قدامة) الصحابى التميمى المرادى كما قاله الذهبى، وله ولابنه صحبة واسمه عبد الرحمن قال: **(هاجرت إلى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم)**، أى سافر ليلقى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، **(فأتيته فقلت: يا رسول الله ناولنى يدك)** أى امددها لى كما كان عادته فى المبايعة **(أبايعك)** مجزوم فى جواب الأمر، والمبايعة الإقرار بما جاء به واتباعه صلى الله تعالى عليه وسلم، مفاعلة من البيع نقلت لما ذكر، **(فناولنى يده، فقلت: يا رسول الله إنى أحبك. قال: المرء مع من أحب)** تقدم تفسيره، وكان قدم المدينة مع ابنين له كما ذكره الترمذى والنسائى.

(روى هذا اللفظ) يعنى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم: المرء مع من أحب **(عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم)**، مخاطبًا له من ذكر محبته له **(عبد الله بن مسعود وأبو موسى)** الأشعرى **(وأنس)**، رضى الله عنهم.

(وعن أبى ذر بمعناه)، وهذا سبب ما تقدم من اختلافهم فى تعيين الرجل الذى ورد مبهمًا فى الحديث السابق، ونسبه بعضهم إلى الغلط فيه.

(وعن على) بن أبى طالب فى حديث رواه عنه الترمذى **(أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، أخذ بيد حسن وحسين)** ابنى على، رضى الله تعالى عنهم، أى أمسكها، **(فقال)**، وفى نسخة وقال: **(من أحبنى وأحب هذين)** إشارة إلى السبطين الحسن والحسين **(وأباهما)** عليًّا، رضى الله تعالى عنه، **(وأمهما)** فاطمة الزهراء أى مال إليهم ميلاً اختياريًا لله ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم، **(كان معى فى درجتى)** أى رتبتى ومنزلتى، قال الراغب: الدرجة تعتبر بالصعود دون الامتداد كدرجة السطح والسلم، ويعبر بها على المنزلة الرفيعة، قال الله تعالى: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، انتهى، **(يوم القيامة)** إن أريد بيوم القيامة فى الحشر، فالمعية على ظاهرها، والمعنى أنهم معه صلى الله تعالى عليه وسلم فى صعيد واحد لقربهم منه، ويقدمهم على غيرهم من أمته وسائر الأمم، وإن أريد به الآخرة الشاملة للجنة، فالمعية والدرجة عبارة عن زيادة القرب لا المعية الحقيقية كما مر.

(وروى) رواه الطبرانى، وابن مردويه، عن عائشة، وابن عباس، رضى الله تعالى عنهم، **(أن رجلاً أتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم)**، قال البغوى فى تفسيره: إنه ثوبان مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وقيل: هو صاحب الأذان أى قيل: هو عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه الأنصارى الحارثى، **(فقال: لأنت)** اللام جواب قسم مقدر **(أحب إلى من أهلى ومالى وإنى لأذكرك)** أى أتذكرك فى ذهنى وأتصورك أو أذكر اسمك وصفاتك، فهو من الذكر بالكسر أو الضم، **(فما أصبر عنك)** أى عن رؤيتك

لشدة محبتى لك **(حتى أنظر إليك فيطمئن قلبى)** وتقر عينى برؤيتك، **(وإنى ذكرت موتى وموتك)** أى أنا سنموت وننقل من هذه الدار لدار أخرى، **(فعرفت)** وتحققت **(أنك إذا دخلت الجنة)** بعد الموت **(رفعت)** إلى الدرجات العلى **(مع النبيين)** صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، **(وإن دخلتها)** أنا بضم التاء، وعبر فى جانب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، بإذا لتحقيق دخوله، صلى الله تعالى عليه وسلم، الجنة ورفعته فيها، وفى جانبه هو بإن لعدم جزمه فى نفسه بذلك **(لا أراك)** بعد الدخول لأنك فى مقام أعلى لا يصل إليه غيرك، **(فأنزل الله تعالى:** ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾) [النساء: ٦٩]، صلى الله تعالى عليه وسلم، فى امتثال أمره ونهيه ويلزمه محبته له أيضًا، و لم يذكر لتحققها لذكر الرجل لها وعلمه صلى الله تعالى عليه وسلم، بخلوصه فيها ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم﴾ [النساء: ٦٩]، بنعيم الجنة وعالى مراتبها، ففيه تبشير له بمرافقة أكرم خلق الله وأقربهم وأرفعهم منزلة ﴿مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ﴾ بيان للمنعم عليهم بما أخفى لهم من قرة الأعين، ﴿وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ﴾ تعجب أى ما أحسنهم ﴿رَفِيقٗا﴾ تمييز، و لم يجمع لوقوعه على الواحد وغيره، أو لإرادة كل واحد منهم.

(فدعا به صلى الله تعالى عليه وسلم) أى طلب حضور ذلك الرجل، **(فقرأها)** أى هذه الآية **(عليه)** جوابًا له وتبشيرًا، وفى تفسير القرطبى أنه لما قرأها صلى الله تعالى عليه وسلم عليه دعا الله أن يعميه حتى لا يرى أحدًا غيره فى الدنيا، فعمى مكانه وقسمهم كما قال البيضاوى أربعة أقسام باعتبار منازلهم فى العلم والعمل، وهم الأنبياء الفائزون بكمال العلم والعمل المتجاوزون حد الكمال إلى درجة التكميل، ثم صديقون صعدت نفوسهم تارة إلى مراقى النظر فى الحجج والآيات، وأخرى إلى معارج القدس بالرياضة والتصفية، حتى اطلعوا على ما لم يطلع عليه غيرهم، ثم شهداء بذلوا أنفسهم فى إعلاء كلمة الله وإظهار الحق، ثم صالحون صرفوا أعمارهم فى طاعته وأموالهم فى مرضاته، والمراد بالمعية ما تقدم.

(وفى حديث آخر) لم يعز لناقله **(كان رجل)** قيل هو ثوبان أو من تقدم ذكره قريبًا **(عند النبى صلى الله تعالى عليه وسلم)**، أى ملازمًا لمجلسه **(ينظر إليه)** أى يديم النظر إلى وجهه الكريم **(لا يطرف)** بفتح الياء وسكون الطاء وكسر الراء المهملتين وفاء: أى لا يطبق أحد جفنيه على الآخر ويغض بصره أو يصرفه عنه من طرفة العين، من طرف يطرف كضرب يضرب، وما طرف البصر: أى تحرك، وظاهر قول بعضهم أى لا يغض بصره مطرقًا راميًا ببصره إلى الأرض أنه من الإطراق بضم أوله وقاف وهو صحيح أيضًا لكنى لا أعرف هل هو رواية أو تحرف عليه أو تسامح فى تفسيره.

(فقال صلى الله تعالى عليه وسلم: ما بالك؟) أى ما شأنك حتى تحد النظر وتديمه كالمبهوت.

(قال): أفديك **(بأبى أنت وأمى)** جريا على عادتهم فيمن يحبونه ويجلونه **(أتمتع بالنظر إليك)** أى أتلذذ بإدامة نظرى فى وجهك ما دام تمكنها فى الدنيا لأنتفع به وأتزود منه، **(فإذا كان يوم القيامة)** وبعدها **(رفعك الله)** إلى المنازل العالية فى جواره **(بتفضيلك)** أى بسبب تفضيل الله لك على سائر مخلوقاته، **(فأنزل الله الآية)** المذكورة يعنى قوله: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾، إلى آخره.

(وفى حديث أنس)، رضى الله تعالى عنه، الذى رواه الأصفهانى فى ترغيبه، وسيأتى إخراج المصنف، رحمه الله تعالى، له بقوله بطوله فى فصل علامة محبته: **(من أحبنى كان معى فى الجنة)** أى قريبًا منى متمكنًا من رؤيتى وزيارتى، وليس المراد المعية الحقيقية كما تقدم.

* * *

[فصل فيما روى عن السلف والأئمة من محبتهم له وشوقهم إليه]

(فصل فيما روى عن السلف) من العلماء والصلحاء، **(والأئمة)** وفى نسخة بعكسه: الأئمة والسلف، وهو من عطف الخاص على العام، وقد يفسران بما يقتضى المغايرة، ففسر بعضهم السلف بالصحابة والتابعين والأئمة بأتباع التابعين ومن بعدهم **(من محبتهم للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم، وشوقهم له)**، والمحبة الميل الروحانى طبيعيًا كان أو مكتسبًا اختياريًا، والمحبة تكون فى الحضور والغيبة والشوق انجذاب النفس فى الغيبة، فهو أخص من المحبة، وقال القيصرى، رحمه الله تعالى، فى شرح قول ابن الفارض، قدس سره[1]:

وما بين شوق واشتياق فنيت فى ... تول بحظر أو تجل بحضرة

الشوق انجذاب باطن المحب إلى محبوبه حال الفراق، والاشتياق انجذابه حال الوصال لنيل زيادة أو دوامها انتهى، والفرق المذكور إما من الفحوى أو هو اصطلاح للقوم.

(حدثنا القاضى الشهيد) ابن سكرة، وقد تقدم قال: **(حدثنا العذرى)** نسبة لبنى عذرة وقد تقدم قال: **(حدثنا الرازى)** تقدم، وهو نسبة إلى الرى على خلاف القياس قال: **(حدثنا الجلودى)** تقدم بيانه وبيان نسبتة قال: **(حدثنا ابن سفيان)** هو إبراهيم بن محمد ابن سفيان كما تقدم قال: **(حدثنا مسلم)** إمام السنة وصاحب الصحيح كما تقدم قال: **(حدثنا قتيبة)** بن سعيد واختلف فى اسمه، فقيل: يحيى وقيل: على وقيل: سيار قال:

(١) البيت من الطويل، وهو فى ديوان ابن الفارض (ص٢٨).

(حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن) القارى نزيل الأسكندرية الثقة أخرج له الستة، وتوفى سنة إحدى وثمانين ومائة **(عن سهيل)** تقدم بيانه **(عن أبيه)** هو صالح السمان المعروف بذكوان **(عن أبى هريرة، رضى الله تعالى عنه)**، فى حديث صحيح رواه مسلم **(إن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، قال: من أشد أمتى لى حبًا)** منصوب على التمييز ولم يقل: أحب مع أنه أخصر؛ لأن هذا أبلغ وإن وافق السماع والقياس لدلالته صريحًا على المراد، وكونه بالصيغة والمادة كقوله تعالى: ﴿أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: ٧٤]، دون أقسى، وأتى بمن التبعيضية؛ لأنهم مثل من كان فى عصره، وهو أحب إليه من نفسه وأهله، ومن لم يفهم هذا مع ظهوره قال: الحب يتفاوت شدة وضعفًا، ويبقى مفهوم قوله: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه»[1]، ولا شىء فوقه إلا أن يقال: إنهم من جملة من بلغ هذا المبلغ فى محبته انتهى، والتفضيل تختلف جهاته، فلشدة محبة من لم يره الداخلة فى الإيمان تفضل غيرها بهذا الاعتبار، ولذا قال: **(ناس يكونون بعدى)** فبين أشديته بهذا وبقوله: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ﴾ [البقرة: ٩٦]، أى يحب ويرغب فى أنه **(لو رآنى)** ببصره وشاهدنى، ولو للتمنى **(بأهله وماله)** الباء هنا للبدلية والمقابلة كبعته بكذا أى يتمنى لو بذل أهله وماله لأجل رؤيته، وفى لو فى مثله أقوال: فقيل إنها شرطية محذوفة الجواب ومفعول يود مقدر أى يتمنى رؤيتى ويودها ببذل كل ما يعز عليه، والتقدير ولو رآنى بمقابلة كل شىء له فعل، وقيل: إنها مصدرية وهى مع ما بعدها مفعول يود، وقيل: إنها حرف تمن كما بينه النحاة، **(ومثله)** أى بمعناه وقريب منه لفظًا **(عن أبى ذر)** الغفارى الصحابى المشهور.

(وقد تقدم حديث عمر، وقوله للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم، لأنت أحب إلىّ من نفسى)، وتقدم تفصيله فى الفصل الذى قبل هذا، **(وما تقدم عن الصحابة)** كثوبان وصفوان وغيرهما **(فى مثله)** من كونه أحب إليهم من أنفسهم.

(وعن عمرو بن العاص) بحذف الياء وإثباتها وقفًا كما مر: **(ما كان أحد أحب إلىّ من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم)**، وهذا من حديث صحيح طويل رواه مسلم فيه أنه بكى عند موته، وقال بعد ما ذكر مبايعته لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وطلب منه أن يدعو له بمغفرة ما صدر منه، وأنه كان أبغض الناس له، وأحرصهم على قتله وبعدما بايعه وأسلم قال: ما كان أحد أحب إلىّ من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، ولا أجل فى عينى منه، وما كنت أطيق أن أملأ عينى منه إجلالاً له، حتى لو قيل لى: صفه ما استطعت أن أصفه إلى آخره وسيأتى الكلام عليه عند ذكر المصنف، رحمه

---

(١) أخرجه أحمد (٣٣٦/٤)، والنسائى (١١٥/٨)، وابن ماجه (٦٧)، والدارمى (٣٠٧/٢).

الله تعالى، له بسنده فى فصل تعظيم الصحابة له صلى الله تعالى عليه وسلم.

(وعن عبدة بنت خالد بن معدان) بفتح الميم وسكون العين وفتح الدال المهملتين وألف ونون تقدم الكلام عليه، وأما بنته عبدة فبفتح العين المهملة وسكون الموحدة ودال مهملة قال البرهان الحلبى: لا أعرفها وفى الصحابة عبدة بنت صفوان ذكرها الحاكم **(قالت: ما كان خالد)** يعنى أباها **(يأوى إلى فراش)** أى إذا أراد النوم ليلاً، وخصت هذا الوقت؛ لأن المرء فيه يتذكر من يهواه غالبًا كما قال الشاعر[1]:

نهارى نهار الناس حتى إذا دنا لى الليل هزتنى إليك المضاجع

(إلا وهو يذكر من شوقه إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم)، استثناء من أعم الأحوال أى لم يكن له غير هذه الحال، **(وإلى أصحابه)** الضمير لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، أو لخالد **(من المهاجرين والأنصار)**، وخالد هذا هو الكلاعى الحمصى لقى سبعين رجلاً من الصحابة **(يسميهم)** أى يعدهم بأسمائهم، **(ويقول: هم أصلى وفصلى)** يعنى: إنى أفتخر بهم وأنتسب إليهم دون آبائى وقبيلتى، كذا قيل من غير نقل، وهو إتباع، وفى المجمل ما له أصل وفصل أى حسب ولسان، وكذا فى الصحاح.

وعن ثعلب: قولهم: لا أصل له ولا فصل الأصل الوالد والفصل الولد، هذا ما ذكره أهل اللغة، والظاهر أن المراد أن عليهم عمدتى وبهم أفصل وأحكم فليحرر **(وإليهم)** لا إلى غيرهم **(يحن قلبى)** أى يشتاق بتذكر عهودهم من الحنين **(طال شوقى إليهم)** لبعد عهدى بهم وطول مفارقتى بموتهم، **(فعجل)** يا **(رب قبضى إليك)** أى عجل موتى حتى ألقاهم ولا يزال يردد ذلك **(حتى يغلبه النوم)** أى حتى ينام ويستغرق فى نومه، فيترك قوله هذا، وتمنى الموت وإن كان مكروهًا؛ فإنه يجوز إذا خاف فتنة فى دينه، فلعل خالدًا كان كذلك، وسيأتى لهذا مزيد بيان فى الفصل الآتى عن الحكيم الترمذى.

(وعن أبى بكر) الصديق، رضى الله تعالى عنه، وفى نسخة وروى **(أنه قال للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم)** لما أسلم أبو قحافة والده كما رواه ابن عساكر فى تاريخه عن ابن عمر، رضى الله تعالى عنهما: **(والذى بعثك بالحق)** أى بالدين الحق، وهو قسم **(لإسلام أبى طالب)** جواب القسم يعنى عمه، صلى الله تعالى عليه وسلم، **(كان)** أى إسلامه **(أقر لعينى)** أى أسر وأحب عندى، وهو قرة عينى من القر وهو البرد؛ لأن دمع السرور بارد ودمع الحزن حار، أو من القرار والثبات فإن العين إذا رأت ما يسرها سكنت و لم تلتفت لغيره **(من إسلامه يعنى أباه أبا قحافة)**، رضى الله تعالى عنه، وأبو قحافة: هو أبو الصديق، وهو عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم، أسلم يوم الفتح وحسن

---

(١) البيت من الطويل، وهو لابن الدمينة فى ديوانه (ص٨٨)، الأغانى (١٧/١٠٥).

إسلامه، وبقى بعد وفاة ابنه حتى توفى سنة أربع عشرة، وليس فى الصحابة من اسمه أبو قحافة غيره وغير أبى قحافة المزنى كما ذكره الذهبى، وسقط من بعض النسخ هنا لفظ أباه.

(و) بيان (**ذلك**) المذكور من كون إسلام أبى طالب أقر لعينه من إسلام أبيه (**أن إسلام أبى طالب كان أقر لعينك**) أى أحب إليك من كثير من الأمور؛ فإنه كان يحبه حبًا شديدًا، وكان بمنزلة والده إذ كان فى كفالته، وكان صلى الله تعالى عليه وسلم، يتمنى أن يهديه الله للإسلام، فمات كافرًا، وهذا الحديث رواه أحمد، وابن إسحاق، وأبو حاتم، وليس قول المصنف، رحمه الله تعالى، وروى كما فى بعض النسخ تمريض له كما توهم حتى يعرض عليه بأنه صحيح تعددت طرقه، وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، يوم الفتح دخل المسجد فأتاه أبو بكر رضى الله تعالى عنه، بأبيه يقوده، وكان قد عمى، فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «هلا تركت الشيخ فى بيته حتى أكون أنا آتيه». فقال أبو بكر: يا رسول الله هو أحق أن يمشى إليك، فأجلسه صلى الله تعالى عليه وسلم، بين يديه، ثم مسح صدره وقال له: أسلم فأسلم ورأسه كالثمامة بياضًا، فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: غيروا هذا يعنى أخضبوه، ولما سر بإسلامه رسول الله الله صلى الله تعالى عليه وسلم، قال أبو بكر: والذى بعثك بالحق... إلى آخره[1]، وفيه من محبته لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، ما لا يخفى حيث قدم ما يسره على ما يسره تقديمًا له على نفسه، واعلم أن أبا طالب كانت محبته لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، ومعرفتهبأنه رسول الله، وتصديقه فى قلبه محققة لكن الله لم يهده للإسلام، وفيه حكمة عظيمة، وهو أنه صلى الله تعالى عليه وسلم، كان فى جواره وحمايته ظاهرًا حتى ما كان أحد يجترئ عليه، فلو أسلم لم يقبلوا جواره إذ لا جوار للمسلمين عندهم، فختم الله على لسانه لذلك، ولذا لما مات لزمت الهجرة لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وأهل بيته، وهذا مما تفطن له بعض العلماء كابن القيم فى الهدى النبوى وصاحب الإمتاع.

(**ونحوه**) أى فى معنى ما رواه البيهقى والبزار عن ابن عمر (**عن عمر**) بن الخطاب، رضى الله تعالى عنه، أنه (**قال للعباس**) عم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: (**إن تسلم**) بكسر همزة إن الشرطية إن كان قال له قبل إسلامه، وبفتحها على أنها مصدرية إن كان بعده، والصحيح الثانى لما يأتى (**أحب إلىّ من إسلام الخطاب**) يعنى أباه؛ (**لأن ذلك**) أى إسلام العباس (**أحب إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم**)، فقدم ما يحبه

---

(١) أخرجه الحاكم (٣/٢٤٤، ٢٤٦).

رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، على ما تحبه نفسه، وكان قوله ذلك لـه فـى فتـح مكة لما أشرف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، على مكة، وركب العباس بغلته، صلـى الله تعالى عليه وسلم، وأركب أبا سفيان بن حرب خلفه وهو كافر وركضها، فرآه عمر فقال: أبو سفيان عدو الله؟ الحمد لله الذى أمكننى منك، فاشتد جريه حتى دخل به على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وعمر خلفه، فقـال: دعنـى أضـرب عنقـه، فقـال العباس: إنى أجرته يا رسول الله، فلما أكثر عمر فى شأنه قال: مهلاً يا بن الخطـاب لـو كان من رجال بني عدى مـا قلـت مثـل هـذا، فقـال: مـهلاً يـا عبـاس لإسـلامك يـوم إسلامك أحب إلىّ من إسلام الخطاب لو أسلم إلى آخره.

(وعن ابن إسحاق) صاحب السيرة وقد تقدمت ترجمته، وهذا رواه أيضًا البيهقى عن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبى وقاص مرسلاً **(أن امرأة من الأنصار)** هى من بنى دينار ولم يسمها **(قتل أبوها وأخوها وزوجها)** شهداء **(يوم أحد)** اسم جبل كانت عنده الغزوة المشهورة **(مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فقالت: ما فعل رسـول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ؟)** ليس المراد السؤال عن فعله حقيقة، وإنما المراد السـؤال عـن سـلامته وحياته، وعبرت بذلك تأدبًا لأن الفعل يستلزم الحياة، فأريد لازمه.

(قالوا: خيرًا) أى فعل خيرًا، والمراد أنه بخير، ولـذا قـالوا بعـده: **(هـو بحمـد الله كمـا تحبين)** أى سالم منصور مظفر.

(قالت) لمن سألته: **(أرنيه)** أى دلنى عليه **(حتى أراه)** وأتلذذ بمشـاهدته، وفـى نسـخة أرونيه، **(فلما رأته)** بعد ما دلها عليه **(قالت: كل مصيبة)** تصيب المال والأهل **(بعدك)** أى بعد سلامتك ورؤيتك **(جلل)** بفتح الجيم واللام، ثم لام أخرى بمعنـى هـين لا أبـالى بـه، ولا أحزن عليه، ويكون جلل بمعنى عظيم أيضًا؛ لأنه من الأضداد، والمراد الأول وشاهد الأول قول امرئ القيس[1]:

بقتـــل بنـــى أســـد ربهـــم   ألا كـل شـىء سـواه جلـــل

والثانى قوله[2]:

فلئـن عفـوت لأعفـــون جلـــلا   ولئن سطـوت لأوهنـن عظمـــى

وهو دليل على قوة إيمانها، وتقديمها محبة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، على

---

(١) البيت من المتقارب، وهو لامرئ القيس فى ديوانه (ص٢٦١)، خزانـة الأدب (٢٣/١٠)، الـدرر اللوامع (١٢٤/٥)، شرح شواهد المغنى (٣٦٤/١)، لسان العرب (١١٧/١١).

(٢) البيت من الكـامل، وهـو للحـارث بـن وعلـة فـى الـدرر (١٢٣/٥)، وسمـط اللآلـئ (ص٣٠٥، ٥٨٤).

محبة غيره من الأهل.

(وسئل على بن أبى طالب)، كرم الله وجهه، و لم يذكروا من رواه عنه: **(كيف كان حبكم لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم؟)** أى ما مقداره فى شدته؟.

(قال: كان والله أحب إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا) بضم الهمزة وكسرها مع فتح الميم وكسرها جمع أمهة بمعنى أم لغة فيه إلا أن يختص ببنى آدم قال:

أمهتى خندق والياس أبى

ويقال فى البهائم: أمات.

(و) أحب **(من الماء البارد على الظمأ)** بمعنى شدة العطش، ويمد ويقصر والأفصح قصره، وأعاد الجار لأنه نوع آخر مما يحب ولشدة منفعته، وخص الظمأ لأنه حال محبة الماء وشدة الرغبة فيه.

(وعن زيد بن أسلم) الفقيه العمرى توفى سنة ست وثلاثين ومائة، أخرج له أصحاب الكتب الستة وله ترجمة فى الميزان قال: **(خرج عمر)** بن الخطاب، رضى الله تعالى عنه، من بيته لأزقة المدينة **(ليلة يحرس الناس)** على عادته فى خلافته إذ كان يدور فى الأزقة ويعس ليعرف حال الناس، **(فرأى مصباحًا)** موقدًا **(فى بيت)** فقصده ليرى ما فى البيت الذى هو فيه، **(فرأى عجوزًا)** أى امرأة مسنة، ويقال عجوزة أيضًا و لم أر من الشراح هنا من ترجمها بشىء **(تنفش صوفًا)** بضم الفاء وشين معجمة ونفش الصوف والقطن لإصلاحه معلوم.

(و) هى **(تقول)**: أى تنشد شعرًا من بحر السريع: **(على محمد صلاة الأبرار)** معنى الصلاة مشهور، وعلى متعلق بصلاة أو بمقدار ويجوز تقديم الظرف على المصدر لتوسعهم فيه، والأبرار جمع بر وبار، وهو كل مطيع لربه متق أى أدعو له بكل ما تدعو به الأبرار.

(صلى عليه الطيبون الأخيار) المراد بالطيبين المتقون الذين طابت ظواهرهم وسرائرهم، والأخيار جمع خير مخفف أو جمع خير بمعنى أخير وأتقى.

(قد كنت قوامًا ما بكا بالأسحار) قوامًا أى متهجدًا؛ لأن القيام يختص بصلاة الليل: أى كثير القيام للعبادة، وبكا بضم الباء والقصر مصدر بمعنى اسم الفاعل أطلق عليه للمبالغة وهو يمد ويقصر، والأسحار جمع سحر وهو آخر الليل والباء بمعنى فى هذا هو الصواب رواية ودراية، وما قيل من أن بكا بتشديد الكاف، والكلام سجع لانظم لانكسار الوزن، وكذا ما قيل من أن بكاء ممدود مضاف للأسحار بدون باء والإضافة على معنى فى تكلف وتعسف.

(يا ليت شعرى والمنايا أطوار) شعرى بمعنى علمي، وهو اسم ليت وخبره محذوف أى حاصل وقوله: **(هل يجمعنى وحبيبى الدار)** قائم مقام معمول شعرى علق عنه، والمنايا جمع منية وهى الموت من منى بمعنى تصير، وتقدر، وأطوار جمع طور وهو الحال أى أمور شتى مختلفة، ومراده بالحبيب كما قاله المصنف، رحمه الله، النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، والظاهر أن مرادها بالدار الآخرة أى هل أراه صلى الله تعالى عليه وسلم، الموت، فإنه مقرر وله أسباب مختلفة كما قيل:

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره تعددت الأسباب والداء واحد

وقيل: المعنى: هل تجمعنا الدار ويحول بينى وبينه الموت، فالمراد بالدار الدنيا، وليس بمناسب هنا وهذه القصة حكاها ابن المبارك فى كتاب الزهد، وفيها: فما زال عمر، رضى الله تعالى عنه، يبكى وطرق عليها الباب، فقالت: من هذا؟ فقال: عمر بن الخطاب، فقالت: ما لى ولعمر فى هذه الساعة؟ فقال: افتحى، يرحمك الله، فلا بأس عليك، ففتحت له فدخل عليها، وقال: ردى الكلمات التى قلتيها آنفًا، فردتها فقال: أدخلينى معكما، وقولى: وعمر فاغفر له يا غفار **(تعنى)** تقصد بقولها: حبيبى **(النبى صلى الله تعالى عليه وسلم)**، وفيه مناسبة لما نحن فيه، **(فجلس عمر يبكى، وفى الحكاية)** التى نقلها ابن المبارك **(طول)** اقتصرنا منها على المراد منها.

(وروى أن ابن عمر)، رضى الله عنهما، رواه ابن السنى فى عمل اليوم والليلة **(خدرت رجله)** بفتح الخاء المعجمة وكسر الدال وفتح الراء المهملتين أى أصابها خدر، وهو أمر يعترى الرجل لما يصيب العصب، فيمنع عن تحريكها بسهولة ويزول سريعًا؛ لأنه لو امتد كان فالجًا أو من مقدماته، **(فقيل له: اذكر أحب الناس إليك يزل عنك)**؛ لأن الناس جربوا فى الخدر أن من أصابه إذا ذكر محبوبه زال بسهولة؛ لأنه بمسرته تنتفش الحرارة الغريزية فتدفع الخدر، **(فصاح: يا محمداه)** يعنيه، صلى الله تعالى عليه وسلم؛ لأنه أحب الناس إليه وإلى كل مؤمن كما مر، ويا محمداه مفعول صاح لتضمنه معنى القول أو القول مقدر بعده كما هو مشهور فى أمثاله عند النحاة، ومن قال: إنه لم يعطف على جملة صاح لكمال الاتصال بينهما، فهو كأبو حفص عمر عطف بيان لم يصب المحز، **(فانتشرت)** رجله أى امتدت لزوال خدرها، وهذا يقتضى صحة ما جربوه، وقد روى أنه وقع مثله لابن عباس، رضى الله تعالى عنهما، وذكره النووى فى أذكاره، وروى أيضًا عن غيرهما، وفيه يقول أبو العتاهية:

وتخدر فى باب الأحايين رجله فإن لم يقل يا عتب لم يذهب الخدر

وهذا مما تعاهده أهل المدينة، وقوله: يا محمداه بألف وهاء للندبة فى النداء لمن يتوجع

أو يتفجع كما قرره النحاة، **(ولما احتضر بـلال)**، رضـى الله عنـه، بالبنـاء للمجـهول أى حضرته الملائكة لتقبض روحه **(نادته امرأته)** أى صاحت بأعلى صوتها **(واحربـاه)** بفتـح الحاء والراء المهملتين وباء موحدة، وهو فى الأصل النهب والسلب من حربته إذا سلبت ماله وما يعيش به، قيل: فكأنها لتفجعها لموته نهبت وسلبت، وفـى القـاموس قيـل: إن أصله أن حرب بن أمية لما مات قيل فى نعيه واحرباه، ثم نقل ذلـك يعنـى عـم فـى كـل نعي وحرب كغارة، ووا حرف ندبة، والمندوب إما ميت ينعى أو أمر يتفجع منه نحو يـا حسرتاه، وقيل: إنه روى حزناه بفتح الحاء المهملة والزاء المعجمة، أو بضم أوله وسكون ثانيه، وروى أيضًا حوباه بفتح الحاء وواو ساكنة تليـها بـاء موحـدة مـن الحـوب، وهـو الإثـم، والمراد إثمها لشدة جزعها وقلقها فى المصيبة، فهى تتفجع على نفسها أو هـو مـن الحوبة بمعنى رقة القلب، وهو تكلف، والرواية الأولى كما تقدم.

(فقال) بلال، رضى الله تعالى عنه، ردًا لما قالته: **(واطرباه)** الطرب خفـة تعـترى المـرء لحزن أو سرور، فهو مشترك بينهما، والمراد هنـا الثـانى، ووا هنـا للنـداء والألـف والهـاء مزيدة فى آخره كأنه يستغيث بطربه ويدعوه فى سكرات الموت؛ لمـا تيقنـه مـن الثـواب وملاقاة الأحباب لعلمه بأن الأرواح تتلاقى فى البرزخ كما أشار إليه بقوله: **(غـدًا ألقـى الأحبة محمدًا وحزبه)**، فمحمدًا وحزبه بيان لمراده بالأحبة، والحزب الجماعة المتحزبين أى المجتمعين، والمراد بهم الصحابة، رضى الله تعالى عنهم، والمراد بقوله: غدًا الزمان المستقبل بعد الموت، وروى كما يأتى نلقى الأحبة محمـدًا وصحبـه، وهـذا بيـت مـن مجـزوء بحـر الوافر، فيه زحاف يعلمه من له خبرة بعلم العروض **(ذكره القشيرى)**، رحمه الله تعالى.

(ومثله) روى **(عن حذيفة بن اليمان، رضى الله تعـالى عنـهما، وروى أن امـرأة قـالت لعائشة)** رضى الله تعالى عنها: **(اكشفى لى عن قبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم)**؛ قالته لها لأنه كان فى بيتها، وكان مستورًا عن النـاس تكريمًـا لـه، صلـى الله تعـالى عليـه وسلم، **(فكشفته لها)** برفع الستارة عنه، **(فبكت حتى ماتت)** لشدة محبتها للنبى صلـى الله تعالى عليه وسلم، وهذا لم يخرجوه.

(و) روى البيهقى، رحمه الله تعالى، عن عروة أنه **(لما أخرج أهل مكة زيد بـن الدثنـة)** بفتح الدال المهملة وكسر المثلثة وتسكن ونون وهاء تأنيث اسم والده، من قولهـم: دثـن الطائر إذا طار حول وكره، ولم يسقط عليه، أو من دثن إذا اتخـذ عشـا، وهـو زيـد بـن الدثنة بن معاوية بن عبيد بن معاوية بن عامر بن بياضة الخزرجى الصحابى، وكـان أسـر يوم الرجيع **(من الحرم ليقتلوه)** فقتل صبرا، وإنما أخرجوه منه لأنهم كانوا لا يقتلـون فيـه تعظيمًا له، وكان قتله فى السنة الثالثة من الهجرة **(قال له)** قبل قتله **(أبو سفيان بن حرب)**

والد معاوية، وكان ذلك قبل إسلامه، وقيل: إن الذى قيل له ذلك الآتى حبيب ابن عدى حين رفع على خشبة، فقال: لا، والله فضحكوا منه كما نقله ابن سيد الناس فى سيرته عن ابن عقبة، وما ذكره المصنف، رحمه الله تعالى، روايه ابن إسحاق: (**أنشدك الله تعالى**) قسم، وأنشدك بفتح الهمزة وضمها يقال: نشدته وأنشدته إذا سألته، وفى القاموس نشد فلانًا عرفه، وبالله استحلفه وقال له: نشدتك الله أى سألتك بالله ونشدك الله بالفتح أنشدك الله، وقد ناشده مناشدة ونشادًا حلفه، والله منصوب بنزع الخافض أى أسألك بالله، وفى النهاية أنه متعد لمفعولين، وقال الوقشى: الصواب نشدتك فليحرر (**يا زيد أتحب أن محمدًا الآن عندنا مكانك نضرب عنقه**)، فيقتل حماه الله تعالى من ذلك، (**وأنك**) بفتح الهمزة سالمًا مقيما (**فى أهلك؟ فقال زيد، رضى الله تعالى عنه: والله ما أحب**) وأرضى (**أن محمدًا فى مكانه الذى هو فيه مقيم تصيبه شوكة**) أى أقل شىء من الأذى فضلا عما قلتم، (**وأنا جالس فى أهلى**) سالم من الأذى وهو متأذ.

(**فقال أبو سفيان: ما رأيت أحدًا من الناس**) ما نافية لا تعجبية كما توهم، وإن كان مراده بهذا الكلام التعجب من شدة محبة أصحاب محمد له (**يحب أحدًا كحب أصحاب محمد محمدًا**) مفعول حب المصدر، وهذه القصة مفصلة فى السير لا نطيل بذكرها هنا.

(**وعن ابن عباس**)، رضى الله تعالى عنهما، فيما رواه ابن جرير والبزار: (**كانت المرأة إذا أتت النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم**)، مهاجرة إلى المدينة (**أحلفها بالله**)، وفى نسخة حلفها بالتشديد، وهما بمعنى أى كلفها القسم بالله أنها (**ما خرجت**) من أرضها وبلدها لشىء (**من بغض زوج**) لها ناشزة منه، (**ولا رغبة بأرض**) أى فى أرض (**عن أرض**) خرجت منها.

(و) أنها (**ما خرجت**) من أرضها بشىء (**إلا حبًا لله ورسوله**)، فهى هجرة خالصة لله، وفيه وجوب محبة الله ورسوله، صلى الله تعالى عليه وسلم، وهو الذى قصده المصنف، رحمه الله تعالى هنا، وكان ذلك لما وقعت الهدنة بين رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، والمشركين، وشرطوا عليه صلى الله تعالى عليه وسلم، أن يرد عليهم كل من آتاه من أهل مكة ولو كان مسلمًا، فرد أبا جندل، رضى الله تعالى عنه، ولم يرد النساء إما لعدم دخولهن فى العهد، أو لأن الله نسخه صونًا للفروج ولضعفهن، فكان صلى الله تعالى عليه وسلم، لا يرد من ظهر إسلامها، وأمره الله بامتحانهن باستحلافهن بما ذكر، فإذا حلفن أعطى مهرهن ونفقتهن، وهو المراد بقوله تعالى: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ [الممتحنة: ١٠] الآية، وبما ذكرنا سقط ما قيل: فى نظم هذا فى هذا الفصل نوع نظر.

(ووقف ابن عمر)، رضى الله تعالى عنهما، كما رواه ابن سعد **(على)** عبد الله **(ابن الزبير بعد قتله)**، رضى الله تعالى عنهما، حين قتله الحجاج وصلبه على جذع، وقد حاصره، ثم قتله سنة ثلاث وسبعين يوم الثلاثاء سابع عشر جمادى الأولى أو الآخرة كما فصل فى التواريخ، **(فاستغفر له)** أى دعا له ابن عمر بالمغفرة، **(وقال)** ابن عمر مخاطبًا له بعد موته: **(كنت والله فيما علمت)** أى فيما ثبت وتحقق فى علمى بك **(صوامًا)** أى مبالغة فى الصوم وكثرته **(قوامًا)** أى كثير القيام والتهجد كما مر. قيل: إنه كان رضى الله تعالى عنه، قسم لياليه ثلاثة أقسام: ليلة يصلى قائمًا إلى الصباح، وليلة راكعًا إلى الصباح، وليلة ساجدًا إلى الصباح **(تحب الله ورسوله)** أى مخلصًا فى محبتهما مؤثرًا لهما على كل شىء حتى على نفسه وأهله، أما عبادته، رضى الله تعالى عنه، وتوجهه إلى الله فيها، فنقل عنه أمور عجيبة، فكان إذا توجه انتصب كأنه جذع لا يحس بشىء، ولا يتحرك حتى يقع عليه الطير، ورمى بحجر من المنجنيق وهو يصلى فى أيام محاصرته، فلم يقطع صلاته، وقد جذبه مغناطيس المحبة، فدفن قريبًا منه صلى الله تعالى عليه وسلم، فإنهم لما أنزلوه عن جذعه الذى صلب عليه، غسلته أمه أسماء بنت أبى بكر الصديق، رضى الله تعالى عنهما، بعد أن قطعت مفاصله وحنطته وكفنته، وصلت عليه وحملته إلى المدينة ودفنته فى دار صفية أم المؤمنين، رضى الله تعالى عنها، وهذه الدار زيدت فى المسجد النبوى على صاحبه أفضل الصلاة وأشرف السلام.

* * *

[فصل فى علامة محبته عليه الصلاة والسلام]

أى فى ذكر صفات تدل على أن من اتصف بها محب له صلى الله تعالى عليه وسلم.

(اعلم) أمر لكل من توجه إليه الخطاب من غير تعيين سد مسد مفعوليه قوله: **(أن من أحب شيئًا آثره)** أى اختاره وقدمه على غيره، وهو بفتح الهمزة والمد كقوله: **(وآثر موافقته)** فى أقواله وأفعاله **(وإلا)** أى وإن لم يؤثره ويؤثر موافقته، وأصله وإن لا بإن الشرطية ولا النافية **(لم يكن صادقًا)** فى دعوى المحبة كما قال **(فى حبه وكان مدعيا)** أى كاذبًا فى دعواه؛ لأن المدعى هو الزاعم للباطل عند الإطلاق، ولذا يقال: مسيلمة مدعى النبوة لكن لا يقال مثله فى حق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، كما قال:

وكل يدعى وصلا لليلى ... وليلى لا تقر له بذاكا

وقال:

ولما ادعيت الحب قال كذبتنى ... فمالى أرى الأعضاء منك كواسيا

فما الحب حتى يلصق القلب بالحشا ... وتذهل حتى لا تجيب المناديا

(فالصادق فى حب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، من يظهر عليه علامات ذلك) الحب الذى ادعاه بحيث لا يخفى، **(وأولها)** أى أول تلك العلامات **(الاقتداء به)** صلى الله تعالى عليه وسلم، باتباع أقواله وأفعاله وآثاره، **(واستعمال سنته)** أى العمل بها، **(واتباع أقواله وأفعاله)**، فلا يخالفها، **(وامتثال أوامره واجتناب نواهيه)** بأن يفعل ما أمر به ويترك ما نهى عنه بقدر استطاعته، قال ابن هشام فى تذكرته، ومن خطه نقلت قال الأصوليون: الأمر بمعنى القول المخصوص على أوامر، وبمعنى الفعل الشأن على أمور، ولا نعلم من وافقهم إلا الجوهرى، وفى التهذيب خلافه، ولم يذكر النحاة أن فعلا يجمع على فواعل، وفى شرح البرهان قول الجوهرى غير معروف، وصحح بوجوه:

الأول: أنه جمع آمر؛ لأنه اسم أو صفة لما لا يعقل، وهو مجاز لأن الآمر الشخص لا القول، ولم يقولوا: إنه مجاز وصرحوا بأنه جمع أمر، فكيف يخرج عليه كلامهم؟.

الثانى: أنه جمع آمرة، وهى الصفة وفيه ما مر، وقال ابن سيده: آمرة مصدر كالعافية، وعليه جرت هذه الصيغة، ورد بأنه لا يتأتى لأن معناها إيجاد الطلب لا الصيغة.

الثالث: أنه جمع الجمع جمع على أفعل، وجمع أفعل على أفاعل، ورد بأن أوامر فواعل لا أفاعل والإبدال فيه مطرد، وقال الأصفهانى فى شرح المحصول: هذا التوجيه لا يتم فى النواهى، وكونه جمع ناهية مجازًا تكلف، وكونه لمشاكلة الأوامر يرده استعماله مفردًا انتهى.

(والتأدب بآدابه) الأدب حسن تناول الأمور والتلطف فيها، والمراد التخلق بأخلاقه صلى الله تعالى عليه وسلم، فى الكرم وحسن الشيم، والأدب غلب فى العرف على هذا المعنى **(فى عسره ويسره)** بضمتين فيهما، ويسكن السين تخفيفًا فى الشدة والرخاء، والضمير للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم، أو لصاحب الحالة المصدرية، **(ومنشطه)** أى فى نشاطه وخفته، **(ومكرهه)** أى كراهته لأمر يتحمله من غيره وميمها مفتوحة، **(وشاهد هذا)** المذكور كله أى ما يشهد له ويدل عليه حتى كأنه شهد به وأثبته: **(قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾** [آل عمران: ٣١]، جعل محبة الله لازمة لاتباع رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم، ومن أحب الله أحب رسوله، فكأنه **قال:** إن كنتم تحبونى فاتبعونى، وبهذا ظهر مطابقة هذه الآية لما عقد له الفصل.

(وإيثار ما شرعه) من أحكامه الواجبة وغيرها، **(وحض عليه)** أى حث الناس على **فعله** وحرضهم عليه **(على هوى نفسه)** أى مما تهواه وتميل إليه، **(وموافقة شهوته)** أى ما **تشتهيه نفسه** ويميل إليه طبعه؛ لأن الاشتهاء ميل طبيعى غير مقدور، ولذا يعاقب المكلف **بإرادة المعاصى عند بعضهم ولا يعاقب باشتهائها**، والشهوة مغايرة للإرادة؛ لأن الشهوة

توقان النفس إلى الأمور المستلذة، والإرادة قد تتعلق بنفسها بخلاف الشهوة؛ فإنها لا تتعلق بنفسها بل بالذات، فإن تعلقت بنفسها كانت مجازًا عن المجازاة كما فى قوله: أشتهى أن اشتهى.

(قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ﴾) [الحشر: ٩]، أى سكنوها واستقروا بها، وهم الأنصار، والمراد بالدار المدينة، ﴿وَٱلۡإِيمَٰنَ﴾ أى وأخلصوا الإيمان، وعطفه على الدار على حد قوله[1]:

وزججن الحواجب والعيونا

أو جعل الإيمان لملازمتهم له كالمنزل المستقر فيه ساكنه، وتحقيقه فى الكشاف وشروحه ﴿مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ﴾ من المؤمنين ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ﴾ أى فى قلوبهم وأنفسهم، وما وقع فى بعض النسخ فى أنفسهم سهو من الكاتب ﴿حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ﴾ أى لا يخطر ببالهم وتطمح أنفسهم إلى ما أعطى المهاجرون من فىء وغيره حسدًا وطمعًا، ﴿وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ أى يقدمون المهاجرين على أنفسهم تكريمًا منهم، ﴿وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ﴾ أى فيهم ﴿خَصَاصَةٞ﴾ احتياج وفاقة لما أثروهم به، وسبب نزول هذه الآية أنه صلى الله تعالى عليه وسلم، قسم بين الصحابة غنائم بنى النضير، ولم يعط الأنصار منها إلا ثلاثة من فقرائهم، وقال لهم: إن شئتم أشركتكم معهم وقسمتم لهم من دياركم وأموالكم، وإن شئتم كان لكم أموالكم ودياركم ولا تأخذوا منه شيئًا. فقالوا: بل نؤثرهم بالفىء ونقسمهم لهم من ديارنا وأموالنا، فلله درهم ما أكرمهم وأعونهم على البر والتقوى، وهذا كله محبة لله ورسوله، صلى الله تعالى عليه وسلم، وكان المهاجرون قبل ذلك نزلوا دور الأنصار، فلما فتح الله عليهم فعل ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، **(وإسخاط العباد)** أى إغضابهم عليهم بمخالفتهم **(فى رضى الله)** أى فيما يرضيه، وهذا وما قبله معطوف على الاقتداء، وهذا كما قال الحريرى:

وابغ رضى الله فأعيى الورى   من أغضب المولى وأرضى العبيد

(حدثنا القاضى أبو على الحافظ) هو ابن سكرة، وقد تقدمت ترجمته قال: **(حدثنا أبو**

---

(١) عجز بيت وصدره:

إذا ما الغانيات برزن يومًا

وهو من الوافر، وهو للراعى النميرى فى ديوانه (ص٢٦٩)، والدرر (١٥٨/٣)، شرح شواهد المغنى (٧٧٥/٢)، لسان العرب (٢٧٨/٢)، المقاصد النحوية (٩١/٣)، وبلا نسبة فى الإنصاف (٦١٠/٢)، تذكرة النحاة (ص٦١٧)، الخصائص (٤٣٢/٢)، لسان العرب (٤٢٢/١).

الحسن الصيرفى) تقدم أيضًا، وفى نسخة الحسين وهو سهو، **(وأبو الفضل بن خيرون)** تقدم أيضًا **(قالا: حدثنا أبو يعلى البغدادى)** الذى يقال له: زوج الحرة كما تقدم قال: **(حدثنا أبو على السنجى)** تقدم أيضًا قال: **(حدثنا محمد بن محبوب)** تقدم أيضًا قال: **(حدثنا أبو عيسى)** هو الإمام الترمذى صاحب السنن، وهو محمد بن عيسى بن سورة كما تقدم قال: **(حدثنا مسلم بن حاتم)** الأنصارى إمام جامع البصرة قال: **(حدثنا محمد ابن عبد الله الأنصارى)** هو محمد بن عبد الله بن المثنى الأنصارى قاضى البصرة الإمام الثقة، توفى فى رجب سنة خمسة عشر ومائتين، وله ترجمة فى الميزان **(عن أبيه)** هو عبد الله بن المثنى البصرى، وقد وثقوه وله ترجمة فى الميزان **(عن على بن زيد)** بن عبد الله بن أبى مليكة زهير بن عبد الله بن جدعان بن عمر بن كعب الضرير أحد الحفاظ، وإن قيل: فيه لين وليس بثبت، وأخرج له الأربعة وله ترجمة فى الميزان توفى سنة إحدى وثلاثين أو تسعة وعشرين ومائة **(عن سعيد بن المسيب)** تقدم أيضًا **(قال: قال أنس بن مالك)**: الصحابى المشهور.

(قال لى رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم: يا بنى) مصغر بتشديد الياء ويجوز كسرها وفتحها، والتصغير للشفقة والمحبة، وكان خادمه صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه دلالة على أنه صلى الله تعالى عليه وسلم أبو المؤمنين كما أن زوجاته، رضى الله عنهن، أمهاتهم، وبناته أخواتهم، وقد وقع إطلاق هذا كله فى الأحاديث الصحيحة، وقرئ: **(وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم)**، وقوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، المنفي فيه أبوة النسب حقيقة خلافًا لمن لم يجوز إطلاقه عليه صلى الله تعالى عليه وسلم، عملاً بظاهر الآية، والصحيح خلافه كما تقدم بيانه فى أول فصل وأما حسن عشرته إلخ.

(إن قدرت أن تمسى وتصبح) أى إن أمكنك ذلك، ولم يمنعك منه مانع أى على أن إلخ لأن حذف الجار هنا مطرد، والمراد بالإصباح والإمساء جميع زمانه لاخصوصهما إذ لا وجه للتخصيص، وهما فعلان تامان وقوله: **(ليس فى قلبك غش لأحد)** جملة حالية بدون تقدير قد، لجمود فعلها أو هى خبر وهما ناقصان، والغش بكسر الغين المعجمة ضد النصح، والمراد به هنا مجازًا غل وحقد، وهو المراد إذا أضيف للقلب، ولو كان على ظاهره فهو بتقدير مضاف أى نية غش، والأول أحسن وأقرب، **(فافعل)** أى فكن مداومًا على ذلك، **(ثم قال)** رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، **(لى: يا بنى وذلك)** أى نزع الغش من القلب **(من سنتى)** أى طريقتى وأخلاقى، **(ومن أحيا سنتى)** أى أظهرها واتبعها، **(فقد أحبنى)** أى علم حبه لى وهذه رواية، والذى فى الترمذى فقد أحيانى وهو الظاهر، **(ومن أحبنى كان معى فى الجنة)** لأن المرء مع من أحب كما تقدم، والمحب

الصادق لا يخالف من أحبه، بل يقدم مراده على مراده؛ لأنه أحب إليه من نفسه، **(فمن اتصف بهذه الصفة)** أى بإحياء السنة واتباعها، وقيل: المراد بالصفة أن لا يكون فى قلبه غش لأحد، **(فهو كامل المحبة لله ورسوله ومن خالفها)** أى خالف السنة **(فى بعض هذه الأمور)** كترك بعض ما أمر به، أو أتى بعض ما نهى عنه أحيانًا، **(فهو ناقص المحبة)** لا كاملها، **(ولا يخرج)** بارتكاب البعض **(عن اسمها)** أى عن الاتصاف بها، وتسميته محبًا فى الجملة ولا ينافى هذا فى قوله المتقدم:

لو كان حبك صادقًا لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع

لأن ذلك فى المحبة الكاملة التى هى محبة الخواص على نهج قوله: («**لا يزنى الزانى وهو مؤمن**»)، ولذا عقبة بقوله: **(ودليله)** أى دليل أن بعض المخالفة لا يخرجه عن اتصافه بالمحبة **(قوله صلى الله تعالى عليه وسلم)** فى حديث رواه البخارى عن عمر، رضى الله تعالى عنه، **(للذى حده فى الخمر)**، أى أقام عليه الحد لشربه الخمر واللام كهى فى قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡ كَانَ خَيۡرٗا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيۡهِۚ﴾ [الأحقاف: ١١]، أى قوله فى حقه وشأنه، وهى فى الحقيقة لام تعليل، والصحابى الذى حد فى الخمر فى هذا الحديث قيل: هو عبد الله الملقب بحمار باسم الحيوان بحاء مهملة، وقيل: بل هو بخاء معجمة مكسورة وأنه الصواب، وقيل: ابن نعيمان أو نعيمان نفسه ابن عمرو بن رفاعة البدرى، وهو الذى حد فى الخمر مرارًا، وهو صاحب الدعابة الذى كان صلى الله تعالى عليه وسلم، يضحك منه، توفى فى زمن معاوية، وصحح هذا، وقصة حمار أخرى كانت بخيبر، وقيل: إنه هو نفسه، وقال الحافظ الدمياطى: إن كون هذا الرجل حمارًا وهم، وإنما هو نعيمان وحمار هذا معدود فى الصحابة و لم يذكروا نسبه.

(فلعنه بعضهم) أى قال: اللهم العنة، وروى أنه قال له: أخزاك الله تعالى، والقائل له عمر بن الخطاب كما رواه البيهقى، **(وقال: ما أكثر ما يؤتى به!)** تعجب من كثرة ما أتوا به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، وهو سكران، **(فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله)**، وفيه دليل على أن المسلم وإن ارتكب الكبائر لا يجوز لعنه، ومن كان كذلك لا يجوز لعنه، وفيه أن محبة الله ورسوله من أعظم المنجيات، وفيه رد على المعتزلة فى أن مرتكب الكبيرة مخلد فى النار.

(ومن علامات محبة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، كثرة ذكره) صلى الله تعالى عليه وسلم، وذكره بالصلاة عليه، ومنه علم فضيلة الحديث وأهله لذكرهم له صلى الله تعالى عليه وسلم، كثيرًا.

(ومن أحب شيئًا أكثر من ذكره)، وهذا مثل مشهور، وهو أمر طبيعى عادى.

(ومنها) أى علامات محبته صلى الله تعالى عليه وسلم، **(كثرة شوقه إلى لقائه)** أما فى حياته فظاهر، وأما بعد موته صلى الله تعالى عليه وسلم، فبأن يشتاق للقائه فى الآخرة ويشاهد ذاته الكريمة، اللهم ارزقنا ذلك، **(فكل حبيب)** أى محب **(يحب لقاء حبيبه)** أى محبوبه، فإن فعيل يأتى بمعنى اسم الفاعل والمفعول، وإن اشتهر هذا فى الثانى وذكره معادلاً لقوله قبله: من أحب شيئًا إلى آخره، وكل منهما علة لما قبله، وهو من حسن التعليل البديعى، والشىء بالشىء يذكر، ما أحسن قول عروة بن حزام فى قصيدة له:

وإنى لأهوى الحشر إذ قيل إننى ... وعفراء يوم الحشر تلتقيانى

ومنه أخذ ابن رواحة قوله:

إن كان يحلو لديك ظلمى ... فزد من الهجر فى عذابى
عسى يطيل الوقوف بينى ... وبينك الله فى الحساب

وقلت أنا فى رباعية:

كم قال لحبه الكثير الآفات ... واطول وقوفنا بيوم العرصات
هيهات لئن بدا محياه له ... يغفر ويهب له جميع الزلات

(وفى حديث الأشعريين) يعنى أبا موسى الأشعرى وأصحابه المنسوبون إلى أشعر أبو قبيلة باليمن، وكانوا قدموا على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، سنة سبع من الهجرة، وكان صلى الله تعالى عليه وسلم، قال لأصحابه: يقدم عليكم قوم أرق قلوبًا منكم، فقدم الأشعريون، وكانوا **(عند قدومهم المدينة)** منصوب بنزع الخافض؛ لأنه يقال: قدم فلان على فلان، وقدم إلى بلد كذا **(أنهم كانوا يرتجزون)** أى ينشدون شعرًا وكلامًا موزونًا، وهو: **(غدًا نلقى الأحبة، محمدًا وصحبه)** لكنهم قالوا: إنما يقال: ارتجز إذا أنشد شعرًا من بحر الرجز، وتمامه مستفعل ست مرات، ومجزوءه أربعًا، وهذا ليس منه، وإنما هو من الوافر والهزج، وقيل: إنما سماه رجزًا لمشابهته له لتقارب أجزائه وقلة حروفه، ولعل العرب كانت تطلق على ما يقوله الركبان من الأوزان القصيرة رجزًا، وما ذكروه من تخصيصه بهذا الوزن اصطلاح حدث بعد الخليل، رحمه الله تعالى، والذى يظهر أن هذا كله تكلف لا حاجة إليه، فإنه هنا بمعناه اللغوى، وهو يصيحون ويصوتون فإنه أصل معناه، ومنه المرتجز اسم فرس لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لحسن صهيله وصوته، وكون المصنف يخفى عليه مثله سوء ظن به، وفى نسخة وحزبه بدل صحبه كما تقدم.

(وتقدم قول بلال مثله) يعنى أن بلالاً ذكر مثله لفظًا ومعنى، وإن اختلف مرادهما، فإن مراد هذا القائل لقاء النبى وأصحابه فى الحياة الدنيا، وبلال رضى الله تعالى عنه،

أراد لقاءهم فى الآخرة، ثم إنه يحتمل أنه توارد معهم فى هذا الكلام وأنه تمثل به.

(ومثله) أى المذكور وإن لم يساوه **(ما قاله عمار)** بن ياسر الصحابى **(حين قتل)** أى قتله أهل الشام الذين كانوا مع معاوية: أى لما قتل بصفين مع على، رضى الله تعالى عنه، سنة ست وثلاثين، فيما رواه ابن سلمة قال: كأنى أنظر إلى عمار يوم صفين، وقد استسقى فأتته امرأة بشربة من لبن فشربها، ثم قال: اليوم ألقى الأحبة إن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، عهد إلى أن آخر شربة أشربها من الدنيا شربة لبن، ثم قاتل حتى قتل، وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم: «تقتل عمارًا الفئة الباغية»[1] كما تقدم، ومنه علم أن عليًا، كرم الله وجهه، كان على الحق.

(و) مثله أيضًا **(ما ذكرناه من قصة خالد بن معدان)** التى تقدمت من أنه كان إذا آوى إلى فراشه لا يزال يذكر شوقه إلى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، وأصحابه حتى يغلب عليه النوم، وليس هذا من تمنى الموت المنهى عنه، فإن من أحب الله ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم، وتمنى الموت لأجل لقائه والاستراحة من الدنيا وغمها ليس من هذا كما قال فى الفتوحات، ومن هذا ما تقدم أنه صلى الله تعالى عليه وسلم، لما خير بين البقاء فى الدنيا والانتقال للآخرة قال: اللهم الرفيق الأعلى.

واعلم أن تحقيق هذا المقام ما قاله الحكيم الترمذى فى فروقه أن تمنى الموت على ثلاثة أقسام:

الأول: تمنى عبد اقترب إلى ربه فى منازل القرب لما تطهر من أدناس الشهوة وكدورة الأخلاق، فكلما اقترب ازداد شوقًا فتمنى الموت.

الثانى: عبد رأى نعمة الله عليه فى دينه شاملة لكل خير، فخاف زوالها لما رأى من نفس خادعة وعدو لا يألوه خبالاً، فتمنى الموت رجاء أن يحرز ذلك لنفسه فى لحده، فهذان محمودان وردا عن الصحابة كسلمان، رضى الله تعالى عنه، إذ قال: أحب الموت اشتياقًا، وقال ابن مسعود، رضى الله تعالى عنه: أحب الموت لأنى لا أدرى ما ينزل بى، فأخاف على دينى، والأول قول صديق، والثانى قول صادق، والحظ لصاحبه فيهما.

والثالث: عبد تربى فى رفاهية عيش وثقلنعمة، ثم انقلب الزمان عليه وعضته النوائب، فقل صبره وتمنى الموت، وهذا مذموم، ولذا جاء فى الحديث: «لا يتمنى

---

(١) أخرجه مسلم فى الفتن (٧٣)، وأحمد (٢١٤/٥، ٢١٥)، والحاكم (١٥٥/٢، ٣٨٧)، والطبرانى فى الكبير (٩٨/٤، ٢٠٠)، والبيهقى فى دلائل النبوة (٥٤٩/٢)، وابن أبى شيبة (٣٠٢/١٥).

أحدكم الموت لضر نزل به»[١]، وأما تمنى مريم، رضى الله تعالى عنها، الموت وقولها: ﴿يَـٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَـٰذَا﴾ [مريم: ٢٣]، إلخ، فلخير مضى، ولذا لم تقل الآن فهو لأمر دينى رجاء أن لا يزول لما رأت فتنا تموج، وذلك لما اتهموا زكريا وهموا بقتله، فجاءها النداء والبشرى، فصدقت بكلمات ربها وسميت صديقة، انتهى.

إذا علمت هذا فقول السخاوى كغيره تمنى الموت منهى عنه، ولذا جاء فى الحديث الصحيح: «فإن كان ولابد فاعلاً فليقل: اللهم أحينى ما كانت الحياة خيرًا لى، وتوفنى إذا كانت الوفاة خيرًا لى»[٢]، انتهى بإطلاقه ليس كما ينبغى، والتحقيق ما عرفت.

(ومن علاماته) أى علامة حب الله ورسوله، فالضمير راجع للمحبة لتأويلها بالحب، وليس راجعًا للقاء المحب حبيبه، وإن كان أقرب وغير محتاج للتأويل كما قيل **(مع كثرة ذكره)** له صلى الله تعالى عليه وسلم، **(تعظيمه له وتوقيره)** حق توقيره **(عند ذكره)** له **(وإظهار الخشوع)** أى الخضوع **(والانكسار)** أى التذلل والتواضع **(مع سماع اسمه)** أى إذا ذكر غيره لاسمه، صلى الله تعالى عليه وسلم.

(وقال إسحاق التجيبى) هو إمام المحدثين أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم التجيبى، توفى لثمان بقين من ذى القعدة سنة اثنين وخمسين وثلاثمائة، وهو منسوب لقبيلة من كندة تسمى تجيب، واختلف فى تائه هل هى أصلية أم زائدة، وضمها المحدثون وكثير من الأدباء، وفتحها غيرهم قال فى القاموس: تجيب بالضم وتفتح بطن من كندة، منهم كنانة بن بشر التجيبى، وتجوب بالواو قبيلة من حمير منهم ابن ملجم التجوبى قاتل على، رضى الله تعالى عنه، وغلط الجوهرى وحرف بيت الوليد بن عقبة[٣]:

ألا إن خير الناس بعد ثلاثة ... قتيل التجيبى الذى جاء من مصر

انتهى يعنى أنه أنشده التجيبى، وإنما هو التجوبى كما فى كامل المبرد، واعلم أن بعضهم زعم أن تاءه أصلية؛ لأنه فى العين ذكره فى فصل التاء، وتبعه صاحب القاموس، وهى زائدة كما قاله ابن السيد، وجوز فى تائه الوجهين أى الفتح والضم، وقال النووى فى شرح مسلم: إن التاء زائدة؛ لأنه من جاب يجوب.

---

(١) أخرجه البخارى (١٠٤/٩)، وأحمد (١٠١/٣)، والنسائى (٣/٤)، وابن ماجه (٤٢٦٥)، والطبرانى فى الكبير (٧٤/٤، ٣٦/١٨)، وابن أبى شيبة (٤٣٧/١٠).

(٢) أخرجه البخارى (١٥٦/٧، ٩٤/٨)، وأبو داود (٣١٠٨)، وابن ماجه (٤٢٦٥)، وأحمد (١٠٤/٣، ١٧١، ١٩٥، ٢٠٨، ٢٤٧).

(٣) البيت من الطويل، وهو للوليد بن عقبة فى ديوانه (ص٦٢)، لسان العرب (٢٨٧/١)، تاج العروس (٥٩/٢)، التنبيه والإيضاح (٥٦/١).

(**كان أصحاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بعده**) أى بعد وفاته (**لا يذكرونه إلا خشعوا**) أى أظهروا الخشوع والتذلل، (**واقشعرت جلودهم**)، أى عرض لها قشعريرة، (**وبكوا**) حزنًا لفراقه وشوقًا للقائه، صلى الله تعالى عليه وسلم، (**وكذلك**) أى ومثل الصحابة فيما ذكر (**كثير من التابعين**) لهم بإحسان يفعلون كفعلهم، (**منهم من يفعل ذلك**) أى من المذكورين كلهم الصحابة والتابعين، أو من التابعين من يبكى ويخشع ويقشعر جلده (**محبة له وشوقًا إليه**) تمييز أو مفعول له أى من محبته وشوقه، أو لأجلهما، (**ومنهم من يفعله تهيبًا وتوقيرًا**) أى لمهابته صلى الله تعالى عليه وسلم، فى أنفسهم وإجلاله وتكريمه، (**ومنها**) أى من علامات محبته صلى الله تعالى عليه وسلم، (**محبته**) أى محبة الإنسان (**لمن أحب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم**)، بالرفع والعائد محذوف أى أحبه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم.

(**و**) محبة (**من هو بسببه**) الباء للملابسة أى تلبس بسبب من أسبابه، وكان بينه وبينه علامة بقرابة أو صهارة، وقال فى النهاية: السبب الزواج وأصله الحبل الذى يتوصل به لسقى الماء، فاستعير لكل ما يتوصل به قال الله تعالى: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ [البقرة: ١٦٦]، أى الوصل والمودات.

(**نكتة**) إنما خص ابن الأثير السبب هنا بالزواج، وإن كان عامًا؛ لأن الزواج لمناسبة الماء المخصص فى المستعار؛ لأنه يطلق على المنى كما فى الحديث: «إنما الماء من الماء»، وفى قوله: «تقطعت» فى الآية لطف خفى، وقوله: (**من أهل بيته**) إلى آخره بيان لمن أحبه، ومن هو بسببه، ويجوز أن يكون بيانًا لمن هو بسببه بناء على عمومه، وفى نسخة من آل بيته وفيهم خلاف، والمشهور عند الشافعى أنهم المؤمنون من بنى هاشم وبنى المطلب ابنى عبد مناف، لا بنى عبد شمس وبنى نوفل ابنى عبد مناف؛ لأنه صلى الله تعالى عليه وسلم، أشرك الأولين فى خمس الخمس الذى هو سهم ذوى القربى دون هؤلاء، وقال: إنهم والفونا فى الجاهلية والإسلام، (**وصحابته**) بفتح الصاد جمع أو اسم جمع صحابى وهو فى الأصل مصدر، وهو كل مسلم لقى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، بعد بعثته ومات على ذلك، فإن تخللت ردة ولم تدم لم يضروهم لا يحصون كثرة، وقد روى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم، قبض عن مائة وأربعة وعشرين ألفًا، والله تعالى أعلم.

(**والمهاجرين**) هو من هاجر وترك وطنه لله ورسوله، صلى الله تعالى عليه وسلم، فيدخل فيه مهاجروا المدينة والحبشة، وقدمهم لأنهم أفضل.

(**والأنصار**) جمع ناصر أو نصير غلب على الأوس والخزرج، وكذا نسب إليه وقيل:

أنصارى، وهو تخصيص بعد تعميم؛ لأنهم أفضل من غيرهم، وفى نسخة من المهاجرين والأنصار، والظاهر أنه عبارة عن جميع الصحابة ليشمل من مات قبل الهجرة كخديجة، رضى الله تعالى عنها، وقيل: إنهم فى حكم المهاجرين؛ لأنهم السابقون بإحسان قبل غيرهم فتأمله.

(وعداوة من عاداهم) أى من علامات المحبة لهم عداوة من عاداهم ظلمًا وبغيًا كالخوارج، فلا يدخل فيه ما وقع بين الصحابة ظاهرًا، **(وبغض من أبغضهم)** أى كرههم وقلاهم، **(وسبهم)** وأظهر شتمهم كالروافض قاتلهم الله، **(فإن من أحب شيئًا أحب من يحبه)** وكره من يكرهه كما قيل، وقد تقدم:

إذا صافى صديقك من تعادى   فقد عاداك وانفصل الكلام

(وقد قال عليه الصلاة والسلام، فى الحسن والحسين) أى فى حقهما وشأنهما كما رواه البخارى: **(اللهم)** أى يا الله ناداه بيانًا لتحقق حبه وعلم الله به، وتوطئة لما طلب منه **(إنى أحبهما فأحبهما)** أى أعطهما كل خير دنيوى وأخروى كما سيأتى فى بيان محبة الله، وهذا بلفظه وقع فى رواية الترمذى فى حديث قال: إنه حسن صحيح، والذى فى الصحيحين ذكر فيه أسامة والحسن، وفيه روايات مختلفة، وليس هذا محل تفصيلها وإليه أشار المصنف، رحمه الله تعالى بقوله: **(وفى رواية فى الحسن)** وحده، وليس المراد التخصيص: **(اللهم إنى أحبه فأحب من يحبه، وقال)** صلى الله تعالى عليه وسلم، فى رواية أخرى: **(من أحبهما)** أى الحسن والحسين **(فقد أحبنى ومن أحبنى فقد أحب الله)** لعلمه بالطريق الأولى، **(ومن أبغضهما فقد أبغضنى ومن أبغضنى فقد أبغض الله، وقال)** صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه الترمذى وغيره: **(الله الله)** بنصبهما بمقدر كاتقوا الله واحذروه واخشوه، وفى تكريره تخفيف وتحذير على وجه المبالغة **(فى أصحابى)** أى فى شأنهم وحقهم فاحذروا تنقيصهم ونسبتهم لما لا يليق بهم والطعن فيهم، ثم بين ذلك بقوله: **(لا تتخذوهم غرضًا بعدى)** بغين معجمة وراء مهملة مفتوحتين وضاد معجمة، وهو الهدف الذى يرمى بالسهام، فهو استعارة أو تشبيه بليغ على القول فى مثله كما بين فى المعانى أى لا تقصدوا ذكرهم بسوء ولا تبحثوا عما وقع منهم، ولذا منع السلف منه، **(فمن أحبهم فبحبى أحبهم)** أى بسبب حبى لهم ويلزم من المحبة لهم أن لا يذكروا بسوء، **(ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم)**، ولذا ذهب بعض المالكية كما سيأتى إلى قتل من سبهم؛ لأنه كسبه صلى الله تعالى عليه وسلم، **(ومن آذاهم)** بذكر ما يسوءهم، **(فقد آذانى)** لأنه لا يسوءه ذلك، **(ومن آذانى فقد آذى الله)** أى عصاه وفعل ما لا يرضاه وهو المراد بأذية الله، **(ومن آذى الله يوشك أن يأخذه)** أى يهلكه سريعًا ولا يمهله،

فيأخذه أخذ عزيز مقتدر، وفى النهاية يوشك أن يكون كذا أى يقرب ويسرع.

(وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم، **(فى فاطمة)**، رضى الله تعالى عنها، أى فى حقها وشأنها، وفى حديث رواه البخارى وغيره **(إنها بضعة)** بفتح الباء وكسرها أى قطعة وجزء **(منى)** لأن الولد حاصل من أبيه وقطعة من كبده **(يغضبنى ما أغضبها)** أى يسوءنى ويؤذينى كل ما آذاها؛ لأن ألم الجزء يتألم به الكل، فهو كالدليل لما قبله وسبب الحديث أن عليًا، كرم الله وجهه، خطب بنتًا لأبى جهل، فسمعت بذلك فاطمة، رضى الله تعالى عنها، فأتت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فقالت: يزعم قومك أنك لا تغضب لبناتك، وهذا على ناكح بنت أبى جهل، فقام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فتشهد، وقال: «أما بعد، فإن فاطمة بضعة منى وإنى أكره أن يسوءها، والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله عند رجل واحد»[1]، فترك على ذلك، والحديث وتفسيره مفصل فى كتب الحديث.

(وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم، فى حديث رواه الترمذى عن عائشة وحسنه **(لعائشة فى أسامة بن زيد)** فى حقه وشأنه **(أحبيه فإنى أحبه)**، وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم: أسامة بن زيد أحب الناس إلى فاستوصوا به خيرًا، ولذا أمر عائشة أن تستوصى به خيرًا بعده، وهذا مما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم، من المغيبات.

(وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم فيما رواه الشيخان **(آية الإيمان)** أى علامة تحققه وصدقه وكماله **(حب الأنصار)** لمحبة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، لهم ومحبتهم له؛ ولأنهم نصروا الدين وساعدوا المؤمنين من الصحابة وواسوهم بما هو معلوم، **(وآية النفاق)** المنافى لتحقيق الإيمان **(بغضهم)**، وصحف بعضهم الحديث، فقال: إنه بالهمزة المكسورة والنون المشددة وضمير الشأن وهو سهو ظاهر.

(وفى حديث ابن عمر) كما أخرجه البيهقى فى دلائله **(من أحب العرب)** والمراد بهم هؤلاء الجيل المعروفون مطلقًا، **(فبحبى)** أى بسبب حبى **(أحبهم ومن أبغضهم)** من حيث ذواتهم لا لسبب آخر يكون لبغض منهم: **(فببغضى أبغضهم)**، وفى حديث رواه الترمذى عن سلمان أنه صلى الله تعالى عليه وسلم، قال: أو لا تبغضنى فتفارق دينك؟ قال: كيف أبغضك وبك هدانا الله؟ قال: تبغض العرب فتبغضنى، وفى شعب الإيمان للحليمى أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، قال: «إن الله عز وجل خلق الخلق فاختار منهم بنى آدم، واختار من بنى آدم العرب، واختار من العرب مضر، واختار من

---

(١) أخرجه البخارى (٤/١٠٢، ٥/٢٨)، ومسلم فى فضائل الصحابة (٩٥، ٩٦)، والترمذى (٣٧٤).

مضر قريشًا، واختار من قريش بنى هاشم، فأنا خيار من خيار فمن أحب العرب، فبحبى أحبهم ومن أبغض العرب فببغضى أبغضهم»[(١)]، ولذا قيل: إطلاق اللسان بالوقيعة فيهم كالشعوبية أذية الله ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [الأحزاب: ٥٧]، وقد فصل ذلك العراقى فى تأليف له مستقل سماه أنفع القرب فى بيان فضل العرب.

(قال المؤلف، رحمه الله تعالى: فبالحقيقة) أى بسبب النظر للحقيقة ونفس الأمر المحقق عند العقول السليمة **(من أحب شيئًا)** من الأشياء **(أحب كل شىء يحبه)** محبوبه، **(وهذه سيرة السلف)** أى دأبهم وطريقتهم فى محبتهم كل ما كان يحبه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، **(حتى المباحات)** أى كانوا يحبون ما أحبه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، من الأمور المباحة، **(وشهوات النفس)** أى فيتبعونه صلى الله تعالى عليه وسلم، فيما يتعلق بشهوة النفس والطبيعة البشرية كمحبة الطيب، وبعض الأطعمة والزوجات وغير ذلك، واستشهد لذلك بقوله: **(وقد قال أنس، رضى الله تعالى عنه، أنه رأى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، يتتبع الدباء)** بضم الدال المهملة وتشديد الموحدة والمد والهمزة فى آخره للإلحاق، والواحدة دباءة وهى نوع من المأكول معروف عند الناس بالقرع، ومعنى تتبعها أنه يأخذ قطع القرع من أى محل وجدت فيه.

فإن قلت: أكل إنسان مما يليه مستحب، وأكله من غيره مكروه، لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم: «كل مما يليك»[(٢)]، لمن رآه يجيل يده فى الطعام إلا فى الفواكه فإنه لا يكره فيها ذلك لعدم الاستكراه، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَفَـٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۝٢٠ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [الواقعة: ٢٠، ٢١].

قلت: قالوا: إنه إذا كان الآكل مما يتبرك به لا يكره فى حقه ذلك لاسيما النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، قيل: هو مخصوص باللون الواحد، وهذا كان معه قديد، وقيل: إنه صنع له صلى الله تعالى عليه وسلم، وحده، فله أن يفعل فيه ما يريد لعلمه برضا صاحبه، وقيل: هو مخصوص بمن لم يواكله أتباعه وخدمه، واعلم أن القرع معروف وأما الدباء بالمد كما مر، وجوز بعضهم قصره وأنكره القرطبى، فقيل: هو والقرع بمعنى واحد، وقيل: هو المستدير منه، وقيل: هو اليابس منه، وقال ابن حجر: إنه سهو من النووى وهو اليقطين، وهمزته زائدة، ولذا ذكره فى باب دبب، وخطأ صاحب القاموس

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه البخارى (٧/٨٨)، ومسلم فى الأشربة (١٠٨)، وأحمد (٤/٢٦)، والطبرانى فى الكبير (٩/١٢، ١٣، ١٤)، والترمذى فى الشمائل (٩٧).

الجوهرى فى ذكره فى المعتل فى مادة د ب ى، فقال: هو وهم وليست همزته منقلبة عن واو ولا ياء.

أقول: أخطأ من خطأه ومن تبعه هنا لأن الزمخشرى ذكره فى المعتل أيضًا، ووجهه الهمزة للإلحاق كما ذكروه، فهى فى حكم الأصلية كما حرروه فى باب الإلحاق.

(من حوالى القصعة) بفتح القاف إناء معروف، وحوالى مثنى حوال بمعنى حول وجانب والتثنية لمجرد التعدد والتكرار كـ﴿ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾ [الملك: ٤]، وهو بفتح الحاء واللام ويجوز كسر لامه وياء تثنية ساكنة، وفيه لغات مذكورة فى كتب اللغة، **(فما زلت)** هذا مقول أنس فتاؤه مضمومة **(أحب الدباء)** أى أحب أكلها تبركًا بها **(من يومئذ)** أى من يوم إذ رآه يتتبعها، ويحبها لحب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، لها، وهذا من علامات صدق محبته، وهو شاهد لاتباعهم له فى المباحات وما تشتهيه الأنفس.

وهذا الحديث أخرجه الشيخان، وكان الذى دعا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، لذلك خياطًا صنع لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، طعامًا من الدباء، ودعاه له فذهب معه أنس، وقال ابن حجر: إنه لم يقف على اسم هذا الخياط.

(وهذا الحسن بن على) بن أبى طالب، وكان الظاهر أن يقول وأتى الحسن وابن عباس إلى آخره، فعدل عنه لأنه لشهرته كالمشاهد، **(وابن عباس وابن جعفر أتوا سلمى)** بفتح السين وهى زوجة أبى رافع ومولاة صفية عمته، صلى الله تعالى عليه وسلم، وقيل: مولاته صلى الله تعالى عليه وسلم، وداية فاطمة الزاهراء، وهى التى غسلتها لما ماتت، وقابلة إبراهيم ابن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، وهى صحابية مشهورة، وفى الصحابة سلمى غيرها خمس عشرة امرأة، **(وسألوها أن تصنع لهم طعامًا)** أى تطبخه وتحضره لهم **(مما كان يعجب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم)**، وإنما سألوها ذلك؛ لأنها كانت تخدمه، صلى الله تعالى عليه وسلم، وتعرف مأكوله ومشروبه، والعجب عندهم حالة تعرض للإنسان عند الجهل بسبب الشىء، وهذه الحالة تكون كثيرًا مع الاستحسان، فيلزمها الميل والمحبة، فأريد به لازمه وهو المحبة، وفيه دليل على محبة ما يحبه صلى الله تعالى عليه وسلم، وهو المراد، وهذا رواه الترمذى فى الشمائل وابن جعفر هذا هو عبد الله بن جعفر بن أبى طالب الطيار ذو الجناحين الصحابى ابن الصحابى، وتتمة الحديث مما كان يعجب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، ويحسن أكله، فقالت: إنا لا نشتهيه اليوم، فقالوا: بل اصنعيه لنا فقامت وطبخت شيئًا من شعير، وجعلته فى قدر وصبت عليه شيئًا من زيت وفلفل وتوابل وقربته إليهم.

(وكان ابن عمر) عبد الله الصحابى ابن الصحابى، رضى الله تعالى عنهما، فى حديث رواه الشيخان **(يلبس النعال)** جمع نعل، وهو كل ما وقيت به الرجل وهى مؤنثة **(السبتية)** بكسر السين المهملة وسكون الموحدة وتاء مثناة فوقية وياء نسبة إلى السبت، وهو جلد دبغ وأزيل شعره من سبته إذا قطعه لإزالة شعره، وكانوا فى الجاهلية لا يلبس النعال المدبوغة منهم إلا أهل السعة والجاه، وهى منسوبة لمحل يسمى سوق السبت كما قاله ابن قرقول، وقيل: إنه يجوز فتح أوله أيضًا، ويقال: إنها نعال سود.

(ويصبغ بالصفرة)، وهو كل ما يصفر الشعر وغيره كالحناء والكتم ويصبغ مثلث الموحدة، وفيه تسمح لأنه لا يصبغ بنفس الصفرة، وإنما هو يصبغ أصفر، والمراد أنه يصبغ ثيابه بشىء أصفر كالزعفران، ونقل عن مالك جواز لبسه وما ورد من النهى عنه ليس نهيا تحريميًا، وإنما نهى عنه المحرم فى الحج وعممه بعضهم، ويدل على الجواز ما روى عن ابن جعفر أنه قال: رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وعليه ثوبان مصبوغان بالزعفران كما رواه الحاكم، والطبرانى وغيرهما، وكذا أحاديث كثيرة صحيحة تدل على جوازه أيضًا وقوله: **(إذ رأى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، يفعل نحو ذلك)** تعليل لفعله ومحبته لما أحبه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وذلك إشارة إلى الصبغ، أو له وللبس النعال، وهو أنسب بإشارة البعيد، وهذا استشهاد للاقتداء به صلى الله تعالى عليه وسلم، فى المباحات بالنسبة إليه، وإن اختلف فى الاقتداء به فى مثله، هل هو مباح فى حق المقتدى به أم لا؟ كذهابه فى العيد من طريق وعوده من أخرى، ورجحوا الندب لمن نوى الاقتداء به، صلى الله تعالى عليه وسلم، وهو الظاهر.

(ومنها) أى من علامات محبته صلى الله تعالى عليه وسلم **(بغض من أبغض الله ورسوله)** بغض الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ظاهر من مثل أبى جهل، وبغض الله تعالى إما ببغض رسوله أو بكفره أو بإنكاره كالمعطلة والدهرية.

(ومعاداة من عاداه) أى من يتخذ الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم، عدوًا ولم يقل من عاداهما؛ لأن معاداة الله تعالى إنما هى بمعاداة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم؛ لأن عداوته تعالى حقيقة تتصور، **(ومجانبة من خالف سنته)** أى اجتناب من لم يتبع طريقته والبعد عنه، **(وابتدع فى دينه)** أى أظهر البدع وخالف الشريعة وهو عطف تفسيرى لما قبله، **(واستثقال كل من يخالف شريعته)** أى عده ثقيلاً منفورًا عنه غيره مقبول، وأصل الثقل فى الأجسام ضد الخفة، وفى نسخة كل أمر، ثم ذكر ما بينه من الكتاب العزيز فقال: **(قال الله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾)** [المجادلة: ٢٢]، أى لا يكون كذا حتى تجدهم، فإنه لا ينبغى أن يكون وهو مبالغة فى النهى ﴿يُوَآدُّونَ﴾

أى يكون بينهم وبينهم مودة ﴿مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ أى يخالفونه ويعارضونه، **(وهؤلاء أصحابه، رضى الله تعالى عنهم)**، أى مما علم من حال أصحابه حتى كأنهم يشاهدون متلبسين به **(قد قتلوا أحباءهم)** أى أصدقاءهم قبل الإسلام، وقد وقع هذا لكثير من الصحابة، وروى قلوا، أى أبغضوهم، وأبعدوهم قال الله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضحى: ٣].

(وقاتلوا آباءهم وأبناءهم) الذين بقوا على الكفر **(فى مرضاته)** فى تعليلية، والمرضاة مصدر ميمى بمعنى الرضا كأبى عبيدة بن الجراح قتل أباه ببدر، وعمر رضى الله تعالى عنه، قتل خاله العاص، ومصعب بن عمير، رضى الله تعالى عنه، قتل أخاه ونحوه مما هو مذكور فى السير.

(وقال له) صلى الله تعالى عليه وسلم، **(عبد الله)**، رضى الله تعالى عنه، **(ابن عبد الله ابن أبى)** ابن سلول رأس المنافقين، وابنه عبد الله هذا كان من الصحابة المخلصين فى محبة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: **(لو شئت)** خطاب لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، **(لأتيتك برأسه يعنى أباه)** عبد الله بن سلول، أى قتلته وأتيت برأسه لك، وكان ابن سلول رئيس أهل يثرب قبل الهجرة، فلما هاجر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وظهر الإسلام بطلت رياسته، فكان لحرصه على الدنيا يكره الإسلام ويظهر النفاق، وهو الذى نزل فى حقه سورة المنافقين، وأما ابنه عبد الله فكان من خيار الصحابة الصادقين كما علم غير مرة، فلما ظهر من أبيه ما ظهر قال: يا رسول الله أسألك بالله إلا ما أذنت لى فى قتل أبى، فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: بل ترفق به وتحسن إليه، وهذا مما رواه البخارى.

(ومنها) أى من علامات محبته صلى الله تعالى عليه وسلم، **(أن يحب القرآن الذى أتى به)** للناس من عند ربه عز وجل، **(وهدى به)** الخلق كلهم لسعادة الدارين، **(واهتدى)** هو أى وصل إلى الله به، **(وتخلق به)** أى اتخذه خلقًا له يعمل بكل ما فيه **(حتى قالت عائشة)**، رضى الله تعالى عنها، وقد سئلت عن خلقه صلى الله تعالى عليه وسلم: **(كان** رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، **(خلقه القرآن)** أى كان دأبه التمسك به، والتأدب بآدابه والعمل بما فيه من مكارم الأخلاق، فجعلت القرآن نفس خلقه مبالغة فى شدة تمسكه به، وأنه صار سجية له وطبيعة كأنه طبع عليها، فتخلق بمعنى أظهر الخلق كتجمل بمعنى أظهر الجمال، كما فى كامل المبرد، رحمه الله تعالى، وقد يكون التخلق للتكلف كما فى قوله[1]:

---

(١) البيت من البسيط، وهو لسالم بن وابصة فى لسان العرب (٨٧/١٠)، تاج العروس (٢٦١/٢٥)، شرح ديوان الحماسة للمرزوقى (ص٧١٠).

يا أيها المتحلى غير شيمته إن التخلق يأتى دونه الخلق

وليس بمراد هنا.

(وحبه للقرآن تلاوته) أى كثرة تلاوته له على الوجه المرضى فيها عند أهل الأداء، وليس المراد مطلق القراءة، **(والعمل به)** أى بما فيه من الأحكام والمواعظ، **(وتفهمه)** أى التقيد بفهم معانيه وجعل هذا عين الحب لتسببه عنه.

(و) من العلامات لمحبته صلى الله تعالى عليه وسلم، أيضًا أن **(يحب سنته)** أى طريقه وهديه بالاقتداء به قولاً وفعلاً، ويجوز أن يريد بسنته أحاديثه المروية عنه بقرينة جعلها قرينة للقرآن، وكثيرًا ما تطلق عليه، **(ويقف عند حدودها)** أى لا يتعداها، ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٩]، وحدود الله محارمه وأحكامه من الحد، وهو المنع والفصل ومنه حدود الدار، واستعير الحد لما ذكر فالوقوف فيه ترشيح مليح.

(قال سهل بن عبد الله) التسترى وقد تقدم: **(علامة حب الله)** أى أمارته ودليله **(حب القرآن)**، وقد تقدم بيانه، **(وعلامة حب القرآن حب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم)** فإن من أحب الله تعالى أحب حبيبه وكلامه.

(وعلامة حب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، حب السنة) فإن من أحبه لا يخالفه ولا يعصيه.

(وعلامة حب السنة حب الآخرة)؛ لأن من أحبه واتبعه أحب لقائه، ورغب فى الآخرة كما مر.

(وعلامة حب الآخرة بغض الدنيا) والزهد فيها؛ لأنهما ضرتان لا يجتمعان فى قلب مؤمن، وبغضها لا يقتضى التبذير والإسراف كما توهم، وإنما هو كما قيل: اللهم اجعلها فى أيدينا ولا تجعلها فى قلوبنا.

(وعلامة بغض الدنيا أن لا يدخر) ويقتنى **(منها إلا زادا)** أى مقدارًا يتزود به ويتقوت ولا يختبئ منها ما لا حاجة له به كما قيل:

يكفيك مما تبتغيه القوت ما أكثر القوت لمن يموت

(وبلغة) بضم فسكون أى ما يبلغه به **(إلى)** الدار **(الآخرة)** كالمسافر يحمل من الزاد ما يبلغه لقصده ومنزله، فإنما الدنيا دار سفر لا دار مقر:

وإنا لفى الدنيا كركب سفينة نظن وقوفًا والزمان بنا يسرى

(وعن ابن مسعود) فى حديث رواه البيهقى فى الأدب وابن الضريس فى فضائل القرآن، وفى نسخة: وقال ابن مسعود، رضى الله تعالى عنه: **(لا يسأل أحد)** من غيره

(عن نفسه) أى عن أحوال نفسه فى محبتها لله ورسوله **(إلا القرآن، فإن كان يحب القرآن فهو يحب الله ورسوله)**، فإذا أراد أن يعرف حاله ينظر فى ذلك، فيستدل به حتى كأنه سأله وأجابه ببيان حاله، فإذا استلذ بتلاوته وسماعه علم حاله، وكيف يشبع المحب من كلام محبوبه وهى غاية مطلوبه كما قيل:

إن كنت تزعم حبى فلم هجرت كتابى
أما تأملت ما فيه من لذيذ خطابى

(ومن علامات محبته للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم، شفقته على أمته) بأن يحبهم ويتلطف بهم ويرق قلبه عليهم، **(ونصحه لهم)** ببيان ما يصلحهم من أمورهم، **(وسعيه فى مصالحهم)** بشفاعته ومعاونته وقضاء حوائجهم، **(ورفع المضار عنهم)** بدفع المظالم وإزالة مضايقتهم، **(كما كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، بالمؤمنين)** منا ومن غيرنا لا بغيرهم **(رؤوفا)** شفوقا **(رحيمًا)** منعمًا متفضلاً عليهم، كما وصفه الله تعالى به فى كتابه العزيز، فعلينا الاقتداء به والتخلق بأخلاقه.

(ومن تمام محبته) أى كمالها وأقصى مراتبها التى لا تتم إلا بها **(زهد مدعيها)** أى المحبة **(فى الدنيا)** وأمورها وزخرفها، **(وإيثاره الفقر)** أى اختياره وتقديمه على الغنا وسعة الدنيا، **(واتصافه به)** أى جعله شعارًا وصفة له تواضعًا وزهدًا.

(وقد قال، عليه الصلاة والسلام، لأبى سعيد الخدرى، رضى الله تعالى عنه) تقدمت ترجمته: **(إن الفقر إلى من يحبنى منكم)** معاشر المسلمين أو الصحابة **(أسرع)** أى يصل إليكم بسرعة أقوى **(من)** سرعة **(السيل)** إذا انحدر ونزل **(من أعلى الوادى)**، وهو الموضع الذى يسيل فيه الماء من ودى بمعنى سال، ويسمى لفرجة بين جبلين واديًا، ويستعار للطريقة والمذهب كما قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٥]، **(أو من الجبل إلى أسفله)**، والماء النازل من علو لسفل فى غاية السرعة، فضربه مثلاً لسرعة افتقارهم، وإلى متعلق باسم التفضيل، وضمير أسفله لأحد الأمرين من الوادى أو الجبل، وأفرد لأنه بعد شيئين عطف بأو هذا بعض من الحديث الذى بعده وقد رواه الترمذى وحسنه.

(وفى حديث عبد الله بن مغفل) بضم الميم وفتح الغين المعجمة وتشديد الفاء المفتوحة ولام، وهو صحابى مزنى من أصحاب الشجرة أخرج له الستة وغيرهم وتوفى سنة ستين **(قال رجل)** من الصحابة ولم يسموه **(للنبى، صلى الله تعالى عليه وسلم: يا رسول الله إنى أحبك، فقال: انظر ما تقول)** أى تفكر فيه وتأمل، فإن محبتى أمر عظيم من اختارها صادقًا مخلصًا ينبغى أن لا يحب أمرًا من أمور الدنيا، وهو أمر صعب **(قال: والله**

إنى أحبك) أكده بالقسم لما رأى فى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم، له المشعر بالتردد فيه، وزاد أن كرره **(ثلاث مرات)** ليزيل الشبهة.

(قال) له صلى الله تعالى عليه وسلم: **(إن كنت تحبنى)** حبًا خالصًا صادقًا لا تؤثر عليه شيئًا، **(فأعد)** أى أحضر وهيأ **(للفقر تجفافًا)** بكسر المثناة الفوقية وسكون الجيم وفائين بينهما ألف وتاؤه مزيدة، من جف إذا يبس، وهى شىء يوضع على الخيل ليقيها فى الحرب الأذى كالدرع للإنسان، وقد يلبسه الناس وجمعه تجافيف أى أعد له عدة تقيك من أذى الفقر، فإن النفوس لا تتحمله يعنى الصبر عليه ورياضة النفس فى تحمله، فشبه الفقر بجواد محسن بما يقيه لإيصاله إلى السعادة، أو شبه صاحبه بجواد والفقر بالمحاربة لمجاهدة النفس به، وفيه إيماء إلى أن من أحبه صلى الله تعالى عليه وسلم، يبتلى بالفقر، وكأنه فقر اختيارى يزهده فى الدنيا، وقد اختلف فى الفقر والغنى، وفى الفقير الصابر والغنى الشاكر أيهما أفضل؟ وظاهر هذا الحديث والكلام عليه مفصل فى كتب المشايخ وغيرها، وقدمنا منه ما فيه الكفاية، وروى جلبابًا بدل تجفافًا.

(ثم ذكر) أى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، بعد هذا الكلام الذى قاله للرجل المذكور **(نحو حديث أبى سعيد)** الخدرى أى ما يشبهه **(بمعناه)** يعنى قوله فى الحديث الذى سبق: «للفقر أسرع إلى ما يحبنى من السيل إلى مقره ومنتهاه»، تشبيهًا له بالسيل، وإشارة إلى تلاحق النوائب به سريعًا حتى لا يخلص منها فليستعد لها.

(فصل فى معنى المحبة للنبى ﷺ وحقيقتها)

أى المعنى الذى وضعه لها واضع اللغة وعين لفظه **(اختلف الناس)** المراد بهم علماء السلف والخلف، وسبب اختلافهم أن المحبة التى تعارفها الناس كما سنبينه بحسب الظاهر لا تليق بالله ورسوله **(فى تفسير محبة الله ومحبة النبى)** أى فى بيان المراد بهما، **(وكثرت عباراتهم فى ذلك)** التفسير، **(وليست ترجع بالحقيقة)** أى ليس مآلها إن نظر إلى نفس الأمر المحقق فى الواقع **(إلى اختلاف مقال)** أى اختلافًا لفظيًا، والمعنى واحد، **(ولكنها اختلاف أحوال)** أى سبب اختلافهم اختلاف حال المحب، وحال المحبة قوة وضعفًا، فكل نظر إلى حال من أحوالها، وفسرها بتفسير يناسبه فليس اختلافًا حقيقيًا ولا لفظيًا، فإنما هو باعتبار المحبوب والمحب وحالاتهما حتى أنكر بعضهم إمكان محبة الله تعالى حقيقة كما فى الإحياء، وقال: لا معنى لها إلا المواظبة على طاعته، وقال القشيرى: هى حالة للقلب تلطف عن العبارة تحمل على التعظيم وإيثار رضاه، واشتقاقها قيل: من حبب الأسنان وبياضها لصفاء مورده، وقيل: من الحباب الذى يعلو الماء إذا انصب وتحرك لفورانها فى القلب، وقيل: من أحب البعير إذا برك لثبات القلب عليها، وهو اشتقاق

بعيد، وحقيقتها ميل النفس ميلاً كليًا لما يدعوه لمحبوبه من رائق جمال أو فائق كمال أو فائض إحسان وإفضال.

(فقال سفيان): يحتمل سفيان بن عيينة، وسفيان الثورى قيل: والظاهر أنه الثورى لطول باعه فى علوم القوم وعلو رتبته فى العلم الظاهر أيضًا، فإنه كان مجتهدًا وصاحب مذهب مستقل فى عزة **(المحبة)** يعنى محبة الله تعالى بدليل الآية استدل بها **(اتباع الرسول)** صلى الله تعالى عليه وسلم، فى أقواله وأفعاله، وكل ما جاء به عن الله؛ لأن من أحب الله لا يعصيه فيما أمره به، وإنما يعلم أوامره ونواهيه منه، فهو تفسير لها بلازمها ولما كان فى هذا خفاء قال: **(كأنه)** أى سفيان **(التفت)** أى نظر فى تفسيره هذا **(إلى قوله تعالى)** واستنبط منه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، فإنه أقام اتباعه مقام محبته إذ لم يذكر محبتهم وذكر محبته وهى لا تكون إلا لمن أحبه، والآية نزلت فى اليهود لما قالوا: **(نحن أبناء الله وأحباؤه)** فأرشدهم إلى ما يحقق مدعاهم، فإن حقيقة المحبة ميل النفس إلى شىء أدرك منه كمالاً يحمله على ما يقربه إليه، والكمال الحقيقى ليس إلا لله، وكل كمال فى غيره فهو منه، فحبه يقتضى طاعته والرغبة فيما يقرب إليه، وليس ذلك إلا بطاعته، وطاعته لا تقبل إلا باتباعه صلى الله تعالى عليه وسلم.

(وقال بعضهم) فى معنى **(محبة الرسول)** صلى الله تعالى عليه وسلم: إنها **(اعتقاد)** لزوم **(نصرته)** بالمجاهدة لينصره ويعلى كلمته، **(والذب)** بالمعجمة أى المنع والطرد **(عن سنته)** أى طريقته وشريعته برد ما يخالفها ودفع الشبهة الموردة عليها، وتصحيح أحاديثه وتفسيرها وبيانها، **(والانقياد لها)** بأن لا يخالفها ويعمل بها، **(وهيبة مخالفته)** أى الخوف من مخالفته مع تعظيمه وإجلاله، وفى نسخة مخالفتها أى السنة وفى النسخة الأولى الضمير للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم.

(وقال بعضهم) فى تفسير مطلق **(المحبة)**، ويحتمل أنه بيان لمحبة الله تعالى **(دوام الذكر للمحبوب)**؛ لأن من أحب شيئًا أكثر من ذكره كما مر.

(وقال آخر: إيثار المحبوب) أى اختياره وتقديمه على ما سواه بأن يكون أحب إليه من نفسه وأهله وماله كما تقدم.

(وقال بعضهم: المحبة) معناها **(الشوق إلى المحبوب)** بأن يكون نفسه وقلبه دائمًا تدعوه إلى قربه وتحثه على لقائه، وقد تقدم الفرق بين الشوق والاشتياق، وأنه من الاصطلاحات الصوفية لا من المعانى اللغوية.

(وقال بعضهم: المحبة مواطأة القلب) بضم الميم وطاء مهملة تليها همزة، ومعناها الموافقة وأصله أن يطأ الرجل برجله وطأ صاحبه، قال الله تعالى: ﴿لِّيُوَاطِـُٔوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ

أَتْقَلهُ﴾ [التوبة: ٣٧]، أى موافقة القلب (**لمراد الرب**) بأن لا يريد إلا ما أراده، فيترك ما يريد الله ثم بينه بقوله: (**فيحب**) مضارع أحب (**ما أحب ويكره ما كره**)، وفى نسخة ما يكره والأولى أولى.

(**وقال آخر: المحبة ميل القلب إلى قبوله قوله**)، أى المحبوب، والمراد كل ما يقوله، وهذا كله من كلام أهل الطريقة، وله أمثال كثيرة، كقول ذى النون:

قــل لمــن أظهــر حــب اللــه احذر أن تدل لغيـر اللـه بمقـت

(**وقال آخر: المحبة ميل القلب إلى موافق له**) أى موافق لما يرضاه ويريده محبوبه وهى أقوال متقاربة (**وأكثر العبارات المتقدمة**)، من أول الفصل إلى هنا (**إشارة إلى ثمرات المحبة**) إنما قال: إشارة لأنهم لم يصرحوا بأنها من ثمراتها، وأصل الثمرة نتاج الشجرة، ثم قيل لكل نفع يصدر عن شيء: ثمرة كثمرة العلم والعمل، فهو استعارة تصريحية أو تخييلية ومكنية أو مجاز مرسل (**دون حقيقتها**) أى لا حقيقتها، ودون ترد لمعان هذا منها، وإنما قال أكثر؛ لأن منها ما هو سبب كاتباعه، أو لأنه احتراز عن الأخير؛ لأنه حقيقة لغوية وفيه نظر، ثم بين حقيقتها بقوله: (**وحقيقة المحبة**) الموضوعة لها مطلقًا (**الميل**) معناه حقيقة العدول عن الوسط إلى أحد الجانبين، ثم تجوز به عن إرادته والرغبة فيه (**إلى ما يوافق الإنسان**) أى طبيعته قيل هذا بعينه هو المعنى الأخير، وفيه أن معنى قوله موافق له ثمة موافق لمحبوبه وهنا لنفسه، فبينهما فرق نعم هو قريب منه وبين الموافقة بقوله: (**وتكون موافقته له**) أى لنفس المحب.

(**إما لاستلذاذه**) أى عده لذيذًا تشتهيه نفسه وتستحسنه (**بإدراكه**) منه محققًا أمرًا محبوبًا كالطعم الحلو والمشروب العذب (**كحب الصور الجميلة والأصوات الحسنة والأطعمة والأشربة اللذيذة وأشباهها**) كالروائح الطيبة والملابس الفاخرة، وهو إشارة إلى المحسوس بالحواس الظاهرة (**مما كل طبع سليم**) من غلط الطبع وفساد الحواس كالمريض يجد الحلو مرًا لفساد ذوقه، فهذا لا يرد نقضًا (**مائل إليه لموافقته له**) طبعًا.

وفى نسخة: موافقتها أى المذكورات (**أو لاستلذاذه**) أى وجود لذته، واللذة من الكيفيات النفسية وضدها الألم، وتصور ذلك بديهى لأنه من الوجدانيات، وهى إدراك الملائم من حيث هو ملائم، والألم ضده والمراد بالملائم للشيء اللائق به كالتكيف بالحلاوة للذائق ونحوه من المحسوسات، وكتعقل الأشياء على ما هى عليه بالقوة العاقلة، وقيد بالحيثية؛ لأن الشيء قد يكون ملائمًا من وجه دون آخر، والمراد بإدراكه إدراكه بعد الوصول لا مجرد تخيله كما تقرر فى كتب الحكمة باللذة تكون حسية وعقلية، وإليه أشار بقوله أولاً بإدراكه إلى آخره، وهو القسم الأول.

والثانى بينه بقوله **(بإدراكه)** بعد الوصول إليه لا قبله **(بحاسة عقله وقلبه)** فيه تسمح على رأى الحكماء؛ لأن المدرك عندهم القوى الناطقة فى الدماغ لا العقل المدرك للكليات لكن لما كان أهل الشرع لم يثبتوها تسمح فيها **(معانى باطنة)** غير مدركة بالحواس الظاهرة **(شريفة)** أى نفيسة القدر دقيقة عالية القدر كأنها فى شرف أى مكان عال، وحاسة العقل قوته المدركة فالإضافة لامية أو المراد حاسية هى العقل فالإضافة بيانية **(كحب الصالحين والعلماء وأهل المعروف)** المراد بالمعروف كل ما يعرف بالشرع والعقل حسنه كالجود كما قاله الراغب والصغانى. حب **(المأثور)** أى المنقول **(عنهم السير)** المراد بها الأحوال والصفات **(الجميلة)** الحسنة المحمودة شرعًا وعقلاً.

(والأفعال الحسنة) كالكرم والعلم والزهد كالحسن البصرى، **(فإن طبع الإنسان مائل إلى الشغف)** أى المحبة الزائدة، وهو بشين وغين معجمتين وفاء من شغفه الحب إذا وصل إلى شغاف قلبه أى غلافه أو نياطه أو داخله وحبته، وهذا أنسب بالمراد، وروى بعين مهملة فقيل: هما بمعنى، وقيل: الثانى بمعنى الإحراق يقال: شعفه الحب إذا أحرقه وأمرضه، ومع ذلك يجد له لذة، فإن عذابه عذب لذيذ ويأتى بهذا مزيد بيان وقوله: **(بأمثال هؤلاء)** أى بهؤلاء وأمثالهم أنفسهم كمثلك لا يبخل، وهو كناية عما تقرر فى كتب المعانى، والإشارة للصالحين ومن بعدهم **(حتى يبلغ)** الشغف بهؤلاء وفرط حبهم **(التعصب)** تفعل من العصبة، وهى الجماعة المتعاضدة المتعاونة، والمعنى إظهار الحمية والمبالغة فى الصيانة حتى تفارقوا من خالفهم فى محبتهم للحمية والغضب لمن أحبه، **(والتشيع)** تفعل من الشيعة، فهو هنا بمعنى التعصب أيضًا، وضمنه معنى الانفصال؛ لقوله: **(من أمة)**، أى فارقوا أمة خالفوهم وصاروا **(فى آخرين)**، أى فى قوم آخرين.

وفى نسخة: أخرى، أى أمة أخرى، والشيعة من المشايعة وهى المتابعة، والشيعة الفرقة من الناس غلب على من والى عليًا، رضى الله تعالى عنه، كما مر، ويأتى **(ما يؤدى)**، أى يوصل، يقال: أداه إلى كذا، أى أوصله وهو بهمزة ودال مشددة، وهو مفعول يبلغ، أى يصل، والتعصب فاعله.

فإن نصب على أنه مفعوله وفاعله ضمير الشغف، فهو بدل منه، والثانى أقرب **(إلى الجلاء)**، بفتح الجيم واللام والمد: الخروج **(عن الأوطان)**، أى المساكن والبلاد والأهل، **(وهتك الحرم)** بضم الحاء وفتح الراء المهملتين جمع حرمة، والهتك بمثناة فوقية وكاف كشف الستر بإزالته وتقطيعه، والحرم جمع حرمة بضمتين وضم فسكون وفتح كهمزة، وهو كل ما يصان ويمنع، ولذا قيل للنساء: حرم، أى افتضاح نسائهم وذهاب عرضهم وكل ما يلزمهم صيانته، **(واخترام)** بخاء معجمة ومثناة وراء مهملة **(النفوس)**، أى

الذوات أو الأرواح، أى إهلاكهم بسرعة.

يقال: اخترمته المنية كأنها قطعت عمره، وكل ما استأصل شيئًا اخترمه، وفى نسخة القلوب والأول أحسن، فترى المرء يحب هؤلاء وإن لم يرهم فحبهم يحمله على ما ذكر، ثم ذكر سببًا ثالثًا للمحبة، فقال: (**أو يكون حبه إياه**).

وقيل: نفسه وطبعه إليه (**لموافقته له**)، أى لملائمته وموافقة طبعه (**من جهة إحسانه إليه**)، أى إنعامه وبذله وجوده، وفى نسخة له، أى لأجل ذلك، فقوله (**وإنعامه عليه**) عطف تفسير، (**فقد جبلت النفوس**) بالبناء للمفعول، أى جعلت مطبوعة ومخلوقة (**على حب من أحسن إليها**)، كما جبلت على بغض من أساء إليها.

وقيل: إن هذا من ألفاظ النبوة، ولم أره بعينه حديثًا، إلا أنه ورد بمعناه، ففى الحديث أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، قال: «اللهم لا تجعل لفاجر علىَّ يدًا فيحبه قلبى»[(١)]، فأشار إلى أن حب المحسن اضطرارى، وفى الإحياء أن المحبة قد تكون لغير هذا من الإلف الروحانية من غير سبب ظاهر.

وقال فيه أيضًا: فى ائتلاف القلوب أمر غامض لا يطلع عليه، فقد يحب المرء من غير حسن وإحسان وسبب ظاهر، بل لمناسبة روحانية وشبه الشىء منجذب إليه، وفى الحديث: «الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف»[(٢)].

وقول المنجمين: إنه دائر على الطالع ومقابله لا أصل له، وورد فى حديث رواه فى الفردوس: «لو أن مؤمنا دخل مجلسًا فيه مائة منافق ومؤمن واحد لجاءه حتى جلس إليه ولو أن منافقًا دخل مجلسًا فيه مائة مؤمن ومنافق واحد لجاءه حتى جلس إليه»[(٣)]، فما ذكره هو الأغلب المعروف.

(**فإذا تقرر**)، أى ثبت وتحقق، (**لك هذا**) المذكور من أسباب المحبة، (**نظرت لهذه الأسباب كلها**)، أى عرفتها بنظر شديد، وكلها تأكيد للأسباب، أو مبتدأ خبره (**فى حقه**)، أى موجودة فى حقه وشأنه، مقررة محققة، (**فعلمت أنه، عليه الصلاة والسلام، جامع لهذه المعانى الثلاثة الموجبة للمحبة**)، بمقتضى العقل والشرع والطبع السليم.

ثم بين ذلك بقوله: (**أما جمال الصورة**)، وهو السبب الأول، وهو حب الصورة

---

(١) انظر: تذكرة الموضوعات (١٨٤)، وكشف الخفا (٣٩٦/١)، والفوائد المجموعة (٢١١)، والإتحاف (١٧٧/٦).

(٢) أخرجه البخارى (١٦٢/٤)، ومسلم فى البر والصلة (١٥٩)، وأبو داود (٤٨٣٤)، وأحمد (٢٩٥/٢، ٥٢٧، ٥٣٩)، والطبرانى (٣٢٣/٦، ١٠/ ٢٨٣).

(٣) أورده الزبيدى فى الإتحاف (١٨٣/٦).

الحسنة والصورة الهيئة، والمراد ما يظهر للناظر كالوجه، **(والظاهر)** عطف تفسير للصورة، **(وكمال الأخلاق)**، أى كونها فى غاية الكمال فيه، صلى الله تعالى عليه وسلم، وهذا ليس من الحسن الظاهرى، بل حسن باطنى كالصورة؛ لأن حسن الصورة يدل على حسن السيرة، فقوله: **(والباطن)** عطف تفسير له، **(فقد قررنا)**، أى بينا فى هذا الكتاب سابقًا، **(منها قبل)** مبنى على الضم **(فيما مر أول الكتاب ما لا يحتاج إلى زيادة)** فيه هنا.

(وأما إحسانه)، صلى الله تعالى عليه وسلم، وهذا هو السبب الثانى، **(وإنعامه على أمته)**، يعنى أمة الإجابة **(فكذلك)**، أى مثل ما قبله فى عدم احتياجه للبيان هنا؛ لأنه **(قد مر منه)** إشارة إلى أن ما ذكر بعض منه لا يمكن استيفاؤه.

وعلى تفنن مادحيه ووصفه يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف.

(فى أوصاف الله تعالى له)، صلى الله تعالى عليه وسلم، جمع وصف بمعنى صفة أو توصيف، ثم بينه بقوله: **(من رأفته بهم)**، أى شفقته ولطفه بهم كما مر، **(ورحمته لهم)**، أى إنعامه، صلى الله تعالى عليه وسلم، عليهم وكرمه **(وهدايته إياهم)**، أى من إحسانه أنه هداهم إلى سعادة الدارين وأى إحسان أعظم من هذا؟.

(وشفقته)، أى حنوه **(عليهم)** ومرحمته لهم **(واستنقاذهم)**، أى تخليص الله هذه الأمة **(به)**، أى بسببه، صلى الله تعالى عليه وسلم، إذ بعثه إليهم **(من النار)** وعذاب جهنم إذ هداهم لطريق النجاة منها، **(وأنه بالمؤمنين رءوف رحيم)** كما فى قوله تعالى: ﴿بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة: ١٢٨]، كما مر مع تفسيره.

(و) أنه **(رحمة للعالمين)**، فهو مرفوع وضبط فى بعض النسخ منصوبًا، أى كونه رحمة، ويؤيد ذلك قوله: **(ومبشرًا)** بكل خير، **(ونذيرًا)** مخوفًا لهم ليرتدعوا عما يضرهم، **(وداعيًا إلى الله)** ودينه الحق **(بإذنه)** فى الدعوة أو بإرادته كما مر، **(وسراجًا منيرًا)** منقذًا لهم من ظلمة الجهالة والضلال، **(ويتلو عليهم آياته)** المرشدة لهم، فيقرأ عليهم ما يوحى إليه من دلائل التوحيد والنبوة.

(ويزكيهم) يطهرهم من الشرك والمعاصى، **(ويعلمهم الكتاب)**، أى القرآن العظيم **(والحكمة)**، وما يكملهم من المعارف والأحكام، **(ويهديهم إلى صراط مستقيم)** يدلهم على الطريق الموصل إلى الله تعالى بلطفه، وهذا مما وصفه الله به فى كتابه العزيز.

(فأى إحسان)، أى للتعظيم والتفخيم، كما يقال: عندى رجل، أى كامل الرجولية، **(أجل قدرًا)**، وأرفع رتبة، **(وأعظم خطرًا)**، بفتح الخاء المعجمة، والطاء المهملة، أى قدرًا، أو شرفًا، فغاير بينهما تفننًا، **(من إحسانه)**، أى إحسان هذا النبى الكريم على أمته،

فكيف لا يحسن (**إلى جميع المؤمنين؟**) خصهم؛ لأنهم هم المنتفعون به، وإلا فإحسانه عام.

(**وأى إفضال**)، بمعنى إحسان وتفضل (**أعم منفعة وأكثر فائدة من إنعامه على كافة المسلمين**)، أى جميعهم، وقد قيل كما مر: إن كافة تلزم التنكير والنصب على الحالية، واستعمالها على خلاف ذلك خطأ، وإن وقع فى عباراتهم كما فى درة الغواص، وقد أجبنا عنه فى شرح تلك الدرة وبينا أنه سمع خلافه (**إذ**) تعليلية، أى لأنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، (**كان ذريعتهم**)، أى وسيلتهم، وسبب موصل لهم (**إلى الهداية**)، أى ما يخلصهم وينجيهم، وأصل الذريعة سترة يتخذها الصائد للفوز بالصيد والوصول إليه، وهو صلى الله تعالى عليه وسلم، سترة من النيران وجنة لمن طلب الجنان.

(**ومنقذهم**) مخلصهم (**من العماية**) بفتح العين، وهى الغواية والجهالة، (**وداعيهم إلى الفلاح**)، أى الفوز والظفر بسعادة الدارين، (**و**) إلى (**الكرامة**)، أى الإكرام بنيل الخير، (**ووسيلتهم إلى ربهم**)، أى موصلهم ومقربهم إليه، وجاعل لهم منزلة عنده، (**وشفيعهم**) فى الدنيا والآخرة، (**والمتكلم عنهم**) عند الله ببيان أعذارهم وهم أحوج ما يكونون إلى الكلام، وقد خرست الألسن، ولم يؤذن لأحد غيره، صلى الله تعالى عليه وسلم، أن يتكلم.

(**والشاهد لهم**) بأنهم آمنوا وصدقوا يوم القيامة حين يشهدون للأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، أنهم قد بلغوا قومهم فيزكيهم كما تقدم، (**والموجب لهم**)، أى الذى يحقق لهم (**البقاء الدائم**) بالخلود فى الجنة، وليس المراد الوجوب الشرعى؛ لأنه لا يجب على الله شىء، (**والنعيم**) فى الجنة (**السرمد**)، أى الدائم الذى لا ينقطع، ولولاه صلى الله تعالى عليه وسلم، لم يكن شىء من ذلك.

(**فقد استبان لك**) بما ذكر، أى ظهر واتضح (**أنه، عليه الصلاة والسلام، مستوجب**)، أى مستحق (**للمحبة الحقيقية**)؛ لأن أسبابها متوفرة فيه، صلى الله تعالى عليه وسلم، على أكمل وجه لا يتيسر لغيره (**شرعًا بما قدمناه من صحيح الآثار**)، الموجبة له مزيد شرف وحسن ترف، وأنه المحسن والمتفضل بكل خير، وأنا مأمورون بمحبته واتباعه بأمر من الله له.

(**وعادة**) معطوف على قوله شرعًا، أى ما اعتاده الناس فى كل عصر من محبة من حاز الكمال كله، (**وجبلة**) لأن كل خير وإحسان وصل إلينا، فهو منه، صلى الله تعالى عليه وسلم، والنفوس مجبولة على حب من أحسن إليها كما مر، والجبلة بمعنى الطبيعة، قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: ١٨٤] المجبولين الأولين (**لما ذكرناه**) متعلق باستبان (**آنفًا**) بالمد، أى قريبًا، وهو منصوب على الظرفية من أنف بمعنى

تقدم، ومنه الأنف اسم الجارحة **(لإفاضته)**، أى إعطائه من بحر كرمه **(الإحسان)** بكل خير دنيوى وأخروى **(وعموم الإجمال)**، أى تعميم الجميل منه لكل أحد، وهذا إجمال لما قدمه بذكر السابقة.

ثم وضحه بقوله: **(فإذا كان الإنسان يحب من منحه)**، أى أعطاه، والمنحة العطية **(فى دنياه)**، أى فى حياته فى الدنيا **(مرة أو مرتين معروفًا)**، أى شيئًا حسنًا كما مر تفسيره **(أو استنقذه)** ونجاه **(من هلكة)** بفتح الهاء واللام أمر مهلك **(أو مضرة)** أمر يضره ويؤذيه بفتح الميم والضاد **(مدة التأذى بها)** أى بالمضرة **(قليل منقطع)**، أى زائل فى زمن قليل، وذكره لأن المدة بمعنى الزمان، أو لأنه فعيل ومنقطع لمشاكلته، ومدة مضافة للتأذى، أو منون منصوب، والتأذى مبتدأ خبره قليل، وعلى الأول المبتدأ مدة **(فمن منحه ما لا يبيد)** بمثناة تحتية مفتوحة وبموحدة مكسورة وتحتية ساكنة ودال مهملة، أى يذهب وينفد **(من النعيم)** المخلد فى الجنة، وهذه النسخة أولى مما وقع فى بعض النسخ من النعم جمع نعمة للسجع فى الأولى.

(ووقاه) بالتشديد والتخفيف، أى صانه وحماه **(ما لا يفنى من عذاب الجحيم)**، أى النار من جحم بمعنى توقد، وقد يخص بطبقة منها. وقوله: **(أولى ما يحب)** بالبناء للمفعول، وفى نسخة: أولى بالحب، وأولى أفعل تفضيل، بمعنى أحق، وهو خبر من، أى أحق من كل شىء يحب من نفسه وماله وأهله.

(وإذا كان يحب) مبنى للمجهول أيضًا **(بالطبع)** متعلق بيحب، وخص هذا بالطبع؛ لأنه ليس محبوبًا شرعًا، والعقل والعادة لا تخالفا **(ملك)** بكسر اللام نائب فاعل يحب، فهو مرفوع، وكذا ما بعده، وفى نسخة نصب الجميع، ويحب مبنى للفاعل **(لحسن سيرته)** بعدله فى رعيته، **(أو حاكم)** غير ملك كأمير، **(لما يؤثر)**، أى ينقل عنه، وهو مجهول أيضًا **(من قوام طريقته)**، أى حسن سلوكه، وقوامه بكسر القاف وهو العماد والنظام، ويجوز فتحها بمعنى الاعتدال، قال تعالى: ﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧] أى معتدلاً.

(أو قاض) بضاد معجمة، أى حاكم الشرع إذا سمع بعدله، وهو **(بعيد الدار)** عنه، ويروى بصاد مهملة، فبعيد تفسير له؛ **(لما يشاد)** مبنى للمجهول، أى لأجل ما يشيع ويشتهر من ذكره بين الناس، وهو مستعار من شاد البناء بشين معجمة ودال مهملة إذا رفعه، ومنه قصر مشيد، وغلط من قال: إنه بذال معجمة من شاذت علت.

وفى نسخة لما فشا بالفاء والشين المعجمة، أى ظهر وانتشر **(من علمه أو كرم شيمته)**، أى سجيته وخلقه، وهذا مناسب لإهمال قاض، وإذا كان يحب من فيه بعض

هذه الخصال، **(فمن جمع هذه الخصال)** كلها وحواها وكل منها فيه مستقر **(على غاية مراتب الكمال)**، بحيث لا يشبه صفاته صفات غيره كما قال البوصيرى[1]:

إنما مثلوا صفاتك للنا س كما مثل النجوم الماء

(أحق بالحب) مما عداه **(وأولى بالميل)** إليه، واعلم أنه إنما ذكر من قوله: فقد استبان لك... إلى آخره؛ لدفع شبهة لمن لا بصيرة له، وهى أن هذه الأمور إنما تتحقق فيه، صلى الله تعالى عليه وسلم، عند من رآه وشاهده منه؛ لأنها المؤثرة فى الطباع بأن وصول نفعه وخيره لمن بعده معلوم لكل مؤمن بالغيب، وكمالاته، صلى الله تعالى عليه وسلم؛ لتواترها وبقاء آثارها كالمحسوس المشاهد.

(وقد قال علىٌّ، رضى الله عنه) فى حديث الحلية السابق ذكره: **(من رآه)** صلى الله تعالى عليه وسلم **(بديهة)**، أى أبصره فى أول رؤيته **(هابه)** توقيرًا وجلالاً لما يرى من نور نبوته، **(ومن خالطه)**، أى صاحبه، صلى الله تعالى عليه وسلم، وعاشره **(معرفة أحبه)**، أى بعدما عرف فضائله وفواضله، وشاهد شمائله لابد أن يحبه.

(ذكرناه) فى فضل ثواب محبته، **(عن بعض الصحابة)**، وهو ثوبان كما تقدم **(أنه كان لا يصرف بصره منه محبة فيه)**، صلى الله تعالى عليه وسلم، وشرف وكرم.

* * *

(فصل فى وجوب مناصحته ﷺ)

النصح معناه الخلوص لغة، ثم قيل لإرادة الخير بقلبه ولسانه، وإنما قاله بصيغة المفاعلة؛ لأن نصح رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، أمر مقرر لكل أحد، فإذا نصحه أحد من أمته، تحققت المناصحة من الجانبين، وأخر هذا الفصل عن المحبة؛ لأنها تترتب عليها.

واعلم أنه يأتى أن أصل معنى النصح تصفية العسل وخياطة الثوب، ثم استعمل فى ضد الغش والإخلاص، أى التوبة النصوح، **(قال تعالى:** ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ﴾**)** [التوبة: ٩١]، أى إثم وضيق إذا تخلفوا عن الخروج مع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، لفقرهم المانع لهم، ﴿إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ إلى آخره، أى إذا أخلصوا الإيمان بهما والطاعة لهما ظاهرًا وباطنًا ما استطاعوا وأخلصوا لهما من فعل وقول يعود على المسلمين بالصلاح.

وفى الصحيحين عن جابر، رضى الله عنه، قال: كنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى غزوة، فقال: «إن بالمدينة ناس ما سرتم مسيرًا، ولا قطعتم واديًا، إلا كانوا معكم، حبسهم المرض شركوكم فى الأجر»، ففى الآية دليل على وجوب النصح

(١) البيت من الخفيف، وهو فى ديوان البوصيرى (ص٩).

لله ورسوله، كما أشرنا إليه.

﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾، أى ليس عليهم جناح، ولا إلى معاتبتهم سبيل، ووضع الظاهر موضع الضمير للدلالة على أنهم منخرطون فى سلك المحسنين غير معاتبين فى ذلك، (**والله غفور رحيم**) لهم أو للمسىء، فكيف المحسن؟.

(**قال أهل التفسير**) فى بيان معنى الآية إجمالاً: (**إذا انصحوا لله ورسوله**)، معناه (**إذا كانوا مخلصين**) فى أقوالهم وأفعالهم (**مسلمين**) منقادين مطيعين حال لازمة (**فى السر**)، أى فيما فى باطنهم مما أسروه، (**والعلانية**) ظاهر حالهم المطابق لما فى ضمائرهم، والعلن والعلانية بتخفيف الياء مصدر الجهر والإظهار، فالنصح هنا بمعنى الإخلاص والصدق.

ثم أتبع ما استشهد به من الكتاب العزيز بحديث رواه أبو داود كما رواه مسلم، فقال: (**حدثنا أبو الوليد**) شيخ المصنف، رحمه الله تعالى، (**بقراءتى عليه**)، قال: (**حدثنا حسين بن محمد**)، هو أبو على الغسانى، وقد تقدمت ترجمته، قال: (**حدثنا يوسف بن عبد الله**)، هو حافظ الإسلام ابن عبد البر، وقد تقدم، قال: (**حدثنا أبو محمد بن عبد المؤمن**)، تقدم أيضًا، قال: (**حدثنا أبو بكر بن التمار**)، قال: (**حدثنا أبو داود**) صاحب السنن، قال: (**حدثنا أحمد بن يونس**) أبو عبد الله أحمد بن عبد الله بن يونس اليربوعى الكوفى الحافظ الثقة المتقن المتفنن، روى عنه الستة، توفى سنة سبع وعشرين ومائتين، قال: (**حدثنا زهير**) بن محمد المروزى نزيل الشام الثقة، توفى سنة اثنين وستين ومائة، أخرج له الستة، وترجمته فى الميزان، قال: (**حدثنا سهيل بن أبى صالح**)، تقدمت ترجمته، (**عن عطاء بن يزيد**) الليثى الثقة التابعى، توفى سنة سبع أو خمس ومائة، وأخرج له الستة، (**عن تميم الدارى**)، وهو تميم بن أوس بن خارجة اللخمى المكنى بأبى رقية، وهى ابنة له لم يولد له غيرها، والدارى نسبة لجده الدار بن هانئ، أو لدارين اسم مكان، ويقال الديرى لدير كان يتعبد فيه، وقيل: إنه اسم قبيلة وهو بعيد كما فى المطالع، وكان نصرانيًا، أسلم سنة تسع من الهجرة، وتوفى سنة أربعين، وروى عنه فى السنن ومسند أحمد وقصته فى الجساسة مشهورة.

(**قال**) تميم: (**قال رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم: «إن الدين النصيحة إن الدين النصيحة إن الدين النصحية»**)، كررها ثلاثًا لزيادة الحث والتحريض، ولذا عدل المصنف، رحمه الله تعالى، عن رواية مسلم، مع أن كتابه أصح الكتب عند علماء المغرب، وما قيل إنها مكررة فى هامش نسخة مسلم، فلا وجه للعدول عنه أمر سهل، وسؤال ساقط، والدين ملة الإسلام، والنصيحة تقدم بيانها، وفى رواية: «إنما الدين النصيحة»، وهما بمعنى لإفادة تعريف الطرفين الحصر.

(قالوا)، أى الصحابة الحاضرون عنده: **(لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولكتابه)** بالعمل بما فيه وتعظيمه وحفظه، **(ولرسوله)** بالإيمان به واتباعه وطاعته، **(ولأئمة المسلمين)** الخلفاء والسلاطين والحكام، **(وعامتهم)** إن أريد العوام فظاهر، وإن أريد جميعهم فهم من عطف العام على الخاص، وسيأتى بيانه.

(قال أئمتنا): المراد بهم علماء الإسلام أو أئمة مذهبه **(النصيحة لله ولرسوله وأئمة المسلمين وعامتهم واجبة)**، أى فرض عين على كل مكلف، ونقل النووى أنها فرض كفاية، فإن خشى أذى فهو فى سعة من الترك.

(قال الإمام أبو سليمان البستى) بضم الموحدة وسين مهملة ومثناة فوقية وياء نسبة، بلدة بسجستان، وهو أبو سليمان بن محمد بن إبراهيم بن خطاب، المعروف بالخطابى الإمام المشهور، واختلف فى اسمه، فقيل: أحمد، وقيل: حمد، توفى ببست فى ربيع الأول سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة: **(النصيحة كلمة يعبر بها عن جملة)** بالتنوين، فقوله: **(إرادة الخير)** بدل منه أو مرفوع أو منصوب على هذا، ولا مانع من الإضافة **(للمنصوح له وليس يمكن أن يعبر عنها)**، أى عن جملة **(بكلمة واحدة تحصرها)**، أى تجمع جميع معانيها.

قيل: تقديره غيرها، أى غير هذه الكلمة، وهى النصيحة ومادتها كالنصح والنصاحة، وفى كلامه تسمح، فإن مجرد إرادة الخير لا يسمى نصحًا، فالظاهر أن يقول: إرشاد المنصوح للخير، وأيضًا فى تركيبه شىء؛ لأن اسم ليس الظاهر أنه أن يعبر، وجملة يمكن خبرها فيتعين تأخيرها لما فيه من اللبس بالفاعل، ومراده أن هذه من أوجز الأسماء وأخصرها لدلالتها على معان بمفردها، ولذا قيل فى كلمة لفظ الفلاح: إنه ليس فى كلام العرب كله أجمع لخيرى الدنيا والآخرة منها.

ثم أشار إلى أصل معناها لغة بعدما بين حاصل معناها فى عرف اللغة والشرع بقوله: **(ومعناها فى اللغة)**، أى فى عرف أهل اللغة **(الإخلاص)**، أى لنفسه وغيره **(من قولهم: نصحت العسل إذا خلصته)** وصفيته **(من شمعه)** بسكون الميم وفتحها مضاف لضمير العسل، فهى فعيلة بمعنى فاعلة أو مفعولة؛ لأنها خلصت من الغش كما خلص العسل من شمعه.

(وقال أبو بكر بن أبى إسحاق الخفاف)، وهو إمام من أئمة اللغة ترجمته مذكورة فى التاريخ، وفى نسخة: ابن إسحاق، وهو أبو بكر أحمد بن عمر بن يوسف الشافعى، وهو صاحب كتاب الخصال فى مذهب الشافعية، كما قاله الرافعى: **(النصح فعل الشىء الذى به الصلاح)** لنفسه وغيره، وأراد بالفعل ما يشمل القول **(والملاءمة)** بضم الميم ومد

الهمزة من لأمت بينهم إذا وفقت، وتلاءموا والتأموا بمعنى، وقد تبدل همزته ياء **(مأخوذة)** أى مشتقة اشتقاقًا، وكثيرًا ما يعبر عنه بالأخذ.

ويقولون: دائرة الأخذ أوسع من دائرة الاشتقاق **(من النصاح)**، بكسر النون وتخفيف الصاد، **(وهو الخيط الذى يخاط به الثوب)**، فتلتئم أجزاؤه، فالنصيحة على هذا مأخوذة من نصح الثوب إذا خاطه، ولا حاجة لنقله من الخفاف، فإنه فى أكثر كتب اللغة.

(وقال أبو إسحاق الزجاج) إمام العربية والتفسير تلميذ المبرد وشيخ أبو على الفارسى، وهو إبراهيم بن سهل الزجاج، منسوب لعمل الزجاج؛ لأنه كان حرفته، توفى فى جمادى الآخرة من سنة إحدى عشرة وثلاثمائة، وقد ناف على الثمانين **(نحوه)**، أى قريب مما قاله الخطابى معنى.

ثم فرع على ما بينه من معناه لغة وعرفًا بيان أقسامه، فقال: **(فنصيحة الله)** معناها، والمراد بها **(صحة الاعتقاد)**، أى إخلاص الإيمان به، ولذا عداه باللام فى قوله **(له)**، وذلك بتخصيصه **(بالوحدانية)**، أى بأنه واحد أحد لا شريك له فى الألوهية، ولا يشاركه أحد فى ذاته وصفاته، وهو مصدر بمعنى الانفراد، وزيد فيه الألف والنون على خلاف القياس.

قال الكرمانى: **(ووصفه بما هو أهله)**، أى بما يستحقه ويليق به كما يقال: هو أهل الحمد وهو أهله ومحله، وهو مجاز مأثور مشهور، **(وتنزيهه عما لا يجوز عليه)** فى كل ما يوهم نقصًا، **(والرغبة فى محابه)** بفتح الميم جمع محب اسم مفعول أحب بمعنى محبوب، أى يرغب فى كل ما يحبه ويرضاه، **(والبعد عن مساخطه)** بفتح الميم جمع مسخط اسم مفعول، أى كل ما يسخط الله ويورث غضبه من المعاصى.

وقيل: هما جمع محبوب ومسخوط، والأصل محابيب ومساخيط، **(والإخلاص فى عبادته)**، فيعبده امتثالاً لأمره من غير رياء ولا إرادة أمر آخر، ولا تضره العبادة رجاء جنته وخوف ناره، وإن قال الرازى: إنه الإخلاص نعم هو مرتبة الخواص، وقد فصلناه فى محل آخر، فالنصيحة لله حقيقة راجعة إلى العبد نفسه؛ لأنه تعالى ليس له ناصح، ولا يتصور فى حقه، فلذا حملت على هذا.

(والنصيحة لكتابه) معناها **(الإيمان به)**، أى بأنه كلام الله المنزل على رسوله، صلى الله تعالى عليه وسلم، فيصدق بذلك تصديقًا لا ريب فيه، **(وللعمل بما فيه)** باتباع أوامره ونواهيه، وتسليم متشابهه والإيمان به، **(وتحسين تلاوته)** بالتجويد والترتيل بأن يخرج حروفه من حاق مخرجها من غير تكلف وتشدق فيه، ويدخل فيه تحسين الصوت به من غير تغن وزيادة مد.

وقد قال القراء: إن تجويده واجب، واختلف هل هو واجب شرعًا أو صناعة؟ فذهب إلى كل من القولين قوم من الفقهاء، والحق أنه واجب شرعًا للقادر عليه من غير مشقة لبعض العجم، **(والتخشع عنده)**، أى عند تلاوته وسماعه، فينبغى له أن يظهر الخشوع، وإن لم يكن خاشعًا كبعض العوام، كما قيل: **(إن لم تكن باكيًا فكن متباكيًا)**، وضمير عند للكتاب.

وقيل: إنه لتحسين التلاوة والأول أولى وأفيد، وفى التخشع ما يفيد أنه لا ينبغى الصياح وإظهار الوجد ما لم يكن عن حال سلب اختياره، **(والتعظيم له)** بأن لا يقرأه محدثًا وأن لا يمد رجليه حال تلاوته، ولا يجلس لها فى محل قذر، ولذا كرهت القراءة فى الحمام وعلى الطرقات والأسواق.

(وتفهمه)، أى تدبر معانيه والفكر فيها بدقة نظر، **(والتفقه فيه)**، أى فهم معانيه أو النظر فى أحكامه الفقهية من حلاله وحرامه، والاتعاظ بمواعظه ونصائحه وأمثاله، **(والذب عنه)** بمعجمة وموحدة، أى زجر من طعن فيه من الملحدين **(من تأويل الغالين وطعن الملحدين)** فى تأويله بما لا يليق به من الغلو، وهو تجاوز الحد، ولتاليه ومستمعه آداب كثيرة بينها النووى فى كتاب التبيان فى آداب حملة القرآن، فعليك به.

(والنصيحة لرسوله)، صلى الله تعالى عليه وسلم **(التصديق بنبوته)** ورسالته إلى الناس كافة، وإلى غير ذلك من الملائكة والجن، **(وبذل الطاعة له فيما أمر به ونهى عنه)**؛ لأن طاعته واجبة، وهى طاعة الله كما مر **(كما قاله أبو سليمان)** هو الخطابى الذى تقدم بيانه.

(وقال أبو بكر)، هو ابن أبى إسحاق الخفاف الذى مر ذكره، وهو الظاهر الذى ذكره الثقات، وقيل: هو الحافظ الآجرى الآتى قريبًا: **(وموازرته)** بواو مفتوحة أو همزة من الأزر، وهو القوة أو من الوزر، وهو الملجأ، أى معاضدته ومعاونته، وهو معطوف على مقدر أو على ما قبله عطف تلقين، **(ونصرته)**، أى إعانته على أعدائه أو نصرة دينه وإعلاء كلمته، **(وحمايته)**، أى دفع السوء عنه **(حيًا)** بالمجاهدة معه وخدمته، **(وميتًا)** بتقوية دينه وتأييد شريعته، وهو راجع لكل ما قبله.

(وإحياء سنته)، أى هديه وطريقته، وفيه استعارة تصريحية **(بالطلب)** لها بأن يسأل عنها ويجتهد فى معرفتها، **(والذب عنها)**، أى دفع الشبه عنها والتأويلات الفارغة، **(ونشرها)**، أى إظهارها وإشاعتها وتعليمها من انتشر الحديث إذا شاع، **(والتخلق بأخلاقه)**، أى الاتصاف بمثل صفاته المأثورة عنه، وإن لم يمكن مساواته.

إن التشبه بالكرام فلاح

(الكريمة)، أى المكرمة الممجددة، **(وآدابه الجميلة)**، التى فيها جمال ومدح لمن اتصف بها.

(وقال أبو إبراهيم إسحاق التجيبى)، تقدم بيانه وأنه بفتح التاء وضمها، وأنه المعروف بالوراق: **(نصيحة رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم)** معناها **(التصديق بما جاء به)**، أى الإيمان بكل ما جاء به عن الله **(والاعتصام بسنته)**، أى التمسك بها، **(ونشرها والحض عليها)**، أى حث الناس وتحريضهم على اتباعها، **(والدعوة إلى الله)**، أى إلى الإيمان به وتوحيده، **(وإلى كتابه)** القرآن بالإيمان به والعمل بما فيه، **(وإلى رسوله)** بالإيمان به واتباعه، **(وإليها)**، أى الدعوة إلى سنته، **(وإلى العمل بها)** كما مر.

(وقال أحمد بن محمد)، هو الإمام المشهور أحمد بن حنبل، نفعنا الله ببركاته، وهذا ما وعدناك به من نسبته إلى أبيه محمد: **(من مفروضات القلوب)**، أى مما فرض ووجب اعتقاده، وجزم القلوب به **(اعتقاد)** وجوب **(النصيحة لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم)** بالمعنى المتقدم.

(وقال أبو بكر الآجرى) الحافظ، وقد تقدم بيانه، **(وغيره)** من الأئمة: **(النصح له)** صلى الله تعالى عليه وسلم **(يقتضى نصحين)**، أى منقسم إلى قسمين، **(نصحًا فى حياته ونصحًا بعد مماته، ففى حياته)**، أى النصح له وهو حى **(نصح أصحابه)**، أى هو نصح أصحابه، أو كنصح أصحابه **(له بالنصر)** له على أعدائه، **(والمحاماة عنه)** بدفع السوء عنه ومن يريده.

(ومعاداة من عاداه) ببغضه وتنقيصه وعدم موالاته **(والسمع)**، أى امتثال ما يقوله وقبوله كما فى قوله: سمع الله لمن حمده، فإنه فسر بقبوله، **(والطاعة له)**، أى الانقياد التام، **(وبذل النفوس)**، أى الذوات والأرواح **(والأموال دونه)**، أى صرفها والجود بها فى حمايته، صلى الله تعالى عليه وسلم، وتقديمها دون ما يضره، **(كما قال الله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾** [الأحزاب: ٢٣] **الآية)**، أى عاهدوا الله على بذل أرواحهم وأموالهم فى سبيل الله ونصرة رسوله، صلى الله تعالى عليه وسلم، فوفوا بعهدهم.

وهذه الآية كما فى الصحيحين، نزلت فى أنس بن النضر، وكان شق عليه أنه لم يحضر بدرًا، وقال: أول مشهد من مشاهد رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، غبت عنه، لئن أرانى الله تعالى مشهدًا بعده، ليرى الله ما أصنع، فلما كان من العام المقبل وقعة أُحُد، استقبله سعد بن مالك، فقال له: يا أبا محمد، إلى أين؟ قال: واها لريح الجنة، أجدها دون أُحُد، فقاتل حتى قُتل، رضى الله تعالى عنه، ووجد فيه بضعًا وثمانين طعنة وضربة.

(وقال الله تعالى: ﴿وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ الآية) ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحشر: ٨]، وهذه الآية نزلت فى المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم ابتغاء رضوان الله.

(وأما نصيحة المسلمين له، صلى الله تعالى عليه وسلم، بعد وفاته فالتزام التوقير)، أى الأدب والتعظيم، **(والإجلال)** لقدره برفع ذكره وتعظيمه **(وشدة المحبة له)** بكونه أحب عنده من نفسه وأهله وماله، **(والمثابرة)** بمثلثة وموحدة وراء مهملة، أى المداومة والمحافظة **(على تعلم سنته)**.

وفى نسخة: تعليم، وسنته طريقته وهديه أو حديثه، **(والتفقه فى شريعته)** بفهم معانيها والعلم بأحكامها، **(ومحبة آل بيته)**، وهم أقرباؤه الذين لا تحل لهم الزكاة، وقد تقدم بيانهم، **(وأصحابه)** وهم كل من اجتمع به صلى الله تعالى عليه وسلم مؤمنًا ومات على ذلك، **(ومجانبة من رغب عن سنته)**، أى البعد عن كل من تركها وعدم الركون إليه، **(وانحرف عنها)**، أى مال عنها ورغب فى غيرها، **(وبغضه)**، أى إظهار عداوته، **(والتحذير منه)** من لا يعرفه بأن يعرفهم حاله وينهاهم عن استعمال كلامه.

(والشفقة على أمته)، أى اللطف بهم والإحسان إليهم لأجله، صلى الله تعالى عليه وسلم، لا لأمر آخر، **(والبحث)**، أى التفتيش **(عن تعرف أحواله)**، صلى الله تعالى عليه وسلم، أى أحواله المعروفة، وفى نسخة: أخلاقه، **(وسيرته)**. قال المرزوقى: معناها حالة من أحوال السير، ثم أجرى مجرى الشيم والعادات. انتهى.

(وآدابه) ليقتدى بها، **(والصبر على ذلك)**، أى حبس النفس عليها بحيث تصير طبيعة له، **(فعلى ما ذكره)**، أى الخفاف أو الآجرى **(تكون النصيحة إحدى ثمرات المحبة)**؛ لأن كل ما ذكره متفرع عليها كما يعرفه من له تأمل، **(وعلامة من علاماتها كما قدمناه)** فى فصل العلامات، ولذا قدم المصنف، رحمه الله تعالى، أمر المحبة على النصيحة كما مر.

(وحكى الإمام أبو القاسم القشيرى) عبد الملك بن هوازن بن عبد الملك النيسابورى صاحب الرسالة، وشيخ الطريقة، فريد دهره علمًا وعملاً، وعمدة أهل السُنة، وفقهاء الشافعية، الجامع بين الشريعة والحقيقة، وترجمته مشهورة وتقدم طرف منها، توفى سنة خمس وستين وأربعمائة وعمره تسع وثمانون سنة **(أن عمرو بن الليث أحد ملوك خراسان)**، إقليم معروف، وعمرو هذا أخو يعقوب الصفار، وكان يعقوب هذا كما قال المسعودى فى خلافة المعتضد بالله أحد الخلفاء العباسيين فى صغره صفارًا، فتغلب وصار له جيوش عظيمة فتسلطن، ثم توفى سنة خمس وستين ومائتين، وخلف أموالاً كثيرة خلفه عليها أخوه عمرو المذكور.

(ومشاهير) جمع مشهور **(الثوار)** بضم المثلثة وتشديد الواو وألف تليها راء مهملة،

جمع ثائر من ثار يثور، إذا هاج ووثب بقوة، والمراد بهم المتغلبون على الملك، فإنه كان كذلك لشجاعته وكثرة جنده (**المعروف بالصفار**) منسوب لعمل الصفر، وهو نوع من النحاس تعمل منه الأوانى، وقد مر وجه التسمية به (**رئى**) مبنى للمجهول من الرؤيا، وهو مهموز، أى رآه بعضهم (**فى المنام**).

وفى نسخة: فى النوم، (**فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لى**) ذنوبى ومحى سيئاتى، (**فقيل: بماذا؟**)، أى بأى سبب هذا الذى نلته؟ (**فقال: صعدت**) بكسر العين فى الماضى وفتحها فى المستقبل، أى ارتقيت وعلوت (**ذروة**) بكسر الذال المعجمة، وهى أعلى كل مرتفع من (**جبل**) ونحوه، (**يومًا، فأشرفت على جنودى**)، أى رأيتهم فى مكان عال، واطلعت عليهم، (**فأعجبتنى كثرتهم**)، أى حسنت عندى فسرتنى، (**فتمنيت أنى حضرت رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم**)، أى كنت فى عصره، فشهدت غزواته وحروبه بجندى، (**فأعنته ونصرته**) على أعدائه بمقاتلتى أنا وجندى معه، (**فشكر الله لى ذلك**) القول والتمنى، كما قال ورقة:

يا ليتنى فيها جذع أخب فيها وأضع

ومعنى شكر الله ثوابه وإنعامه (**وغفر لى**) بسبب قولى هذا. وقال ابن قرقول: شكر الله ثناؤه عليه عند ملائكته. وقيل: هو مضاعفة ثوابه.

(**وأما النصح لأئمة المسلمين**) جمع إمام، وهو الخليفة والسلطان المقتدى به، والمراد الحكام مطلقًا هنا (**فـ**) معناه (**طاعتهم فى الحق**) الموافق للشرع، إذ لا طاعة لمخلوق فى معصية الله كما ورد فى الحديث، ولقوله تعالى: ﴿**أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ**﴾ [النساء: ٥٩].

(**ومعونتهم فيه**)، أى فى الحق لا فى الباطل، فالمعونة والإعانة بمعنى (**وأمرهم به**)، أى باتباعه، (**وتذكيرهم إياه**) بأن يذكره لهم ويعظهم ويحثهم على اتباعه (**على أحسن وجه**) برفق وتلطيف القول وتحسينه، فإنه أدعى للامتثال، (**وتنبيههم على ما غفلوا عنه**) لعدم العلم به لخفائه أو لعدم الوقوف عليه (**وكُتِمَ عنهم**) بأن خفى عليهم، فلم يبلغهم خبره (**من أمور المسلمين**)، فيمضوه عليهم، (**وترك الخروج عليهم**) بمخالفتهم وعصيان أمرائهم، وهو معطوف على طاعتهم، (**وتضريب الناس**) بمثناة فوقية مفتوحة، وسكون الضاد المعجمة وكسر الراء المهملة ومثناة ساكنة وموحدة تحتيتين مجرور، أى ترك تضريبهم، وهو إغراؤهم وتحريكهم عليهم، يقال: ضربه، إذا أغراه.

(**وإفساد قلوبهم**)، أى ترك إفساد قلوب الناس (**عليهم**) بذمهم وتشهير مساويهم حتى تنفر عنهم القلوب، فتؤدى إلى التجرئ عليهم ومخالفتهم تجر إلى مفاسد عظيمة.

(و) أما (**النصح لعامة المسلمين**) المراد بالعامة هنا من عدا الحكام لا العوام بالمعنى العرفى، فمعناه (**إرشادهم إلى مصالحهم**)، أى دلالتهم على ما يوصلهم إلى ما فيه صلاح أمورهم، (**ومعونتهم**)، أى إعانتهم (**فى أمر دينهم ودنياهم بالقول والفعل، وتنبيه غافلهم**) لما غفل عنه من مصالحه، (**وتبصير جاهلهم**)، أى تعريفه بما جهله ليكون ذا بصيرة فى أموره.

(**ورفد محتاجهم**) بفتح الراء المهملة، أى إعانته، ويجوز كسرها، فإن الرفد بمعنى العطاء والصلة، وكل شىء عمدته وجعلت له عونًا فقد رفدته، ومنه الرفادة التى كانت لقريش فى الجاهلية، (**وستر عوراتهم**)، أى يستر عليهم بعض معاصيهم إذا رآها، فلا يذكرها حتى يفتضح مرتكبها، فإذا أرشده لتركه ذكره خفية، فإن النصيحة بين الملأ تقريع، (**ودفع المضار عنهم**)، أى ما يضرهم فى دينهم ودنياهم، (**وجلب المنافع لهم**)، أى كل ما ينفعهم دينًا ودنيا.

* * *

(الباب الثالث فى تعظيم أمره)

أى شأنه وقدره والأمور المتعلقة به، **(ووجوب توقيره)**، أى تبجيله وترجيح ما يتعلق به، **(وبره)** وصلته بالدعاء له، والصلاة عليه وزيارة مقامه وبر أهل بيته.

(قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ﴾ [الأحزاب: ٤٥] ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾) [الفتح: ٨، ٩] هذا فى أكثر النسخ، وليس موافقًا للتلاوة؛ لأن آية الأحزاب المصدرة بـ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ﴾ ليس فيها ﴿لِّتُؤْمِنُوا۟﴾ إلى آخره، والتى فى الفتح: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ﴾، دون ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ﴾، فقيل: بدأ بآية الأحزاب، وثنى بآية الفتح، فسقط الفاصل بينهما سهوًا، أو بيض له، فوصله الناسخ، وفى بعض النسخ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ﴾ فقط، و﴿شَـٰهِدًا﴾ وما بعده أحوال مقدرة، كجاء معه صقر صائدًا به غدًا.

واستشهاده بالآية بناء على ما ذهب إليه الضحاك، من أن الضمائر كلها له، صلى الله تعالى عليه وسلم، وشهادته لهم يوم القيامة مما عملوه من طاعة وغيرها، وعلى هذا فالوقف على قوله وتوقروه، كما أشار إليه المصنف، رحمه الله تعالى، وهو وقف كاف. وقال القرطبى: إنه تام، وفيه نظر، فقوله تعالى: ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ [الفتح: ٩] ابتداء كلام، فإن ضميره لله.

(وقال) عز وجل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الحجرات: ١]، تقدموا بضم أوله مضارع قدم بمعنى تقدم فتوافق القراءة الأخرى بفتحها، أو هو مضارع قدمه المتعدى حذف مفعوله لتذهب النفس كل مذهب، أو لتنزيله منزلة اللازم، والمراد نفى التقديم رأسًا، وعلى كل حال فالشاهد فيها ظاهر، فلا يتوهم أنه لا شاهد فيها على القراءة المشهورة.

(و) قال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ﴾ [الحجرات: ٢]، أى لا تجعلوا أصواتكم فى خطابكم جهرًا فوق جهره، صلى الله تعالى عليه وسلم، بالقول واخفضوها تأدبًا وتكريمًا له، فإنه لعظم مقامه لا يليق عنده الصخب والعياط على عادة جفاة الأعراب فى ترك الأدب **(الآيات الثلاث)**، وهى ﴿وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَـٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الحجرات: ٢، ٣].

وإضافة ذى الألف واللام لمثله جائزة فى الثلاث ونحوه، كما تقرر لمن عنده علم بالعربية، والشاهد فيها أنه أمرهم إذا خاطبوه، صلى الله تعالى عليه وسلم، أن لا يجهروا، فيخفضوا أصواتهم تأدبًا معه؛ لما فى الجهر من الاستخفاف المؤدى إلى الكفر المحبط للأعمال؛ لما فيه من الإهانة وعدم الاعتناء بمقام النبوة، ثم أثنى على من غض صوته عنده بأن الله تعالى بعد امتحانه وعده بأن له مغفرة وأجرًا عظيمًا لارتضائه له، وفيه تعريض بشناعة الجهر وأنه لا يغفر، وأن من ناداه، صلى الله تعالى عليه وسلم، وهو فى حجراته مع أزواجه مسلوب العقل؛ لعدم إذنه وأرشدهم إلى الأولى بهم، وهو الصبر حتى يخرج إليهم من نفسه من غير نداء له، فيكون هو المفتتح بكلامهم، والكلام على الآية مفصل فى كتب التفاسير.

(وقال الله تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ [النور: ٦٣])، بأن تنادوه باسمه يا محمد ونحوه كما سيأتى، فلا تقيسوه بغيره، **(فأوجب الله تعالى)** على المؤمنين **(تعزيره)** بزاء معجمة وراء مهملة، أى إجلاله **(وتوقيره)**، أى التأدب معه **(وألزم إكرامه وتعظيمه، قال ابن عباس)**: معنى **(تعزروه تجلوه)** الإجلال إفعال من الجلال، وهو التناهى فى عظم القدر، ولذا خص بالله تعالى، فقيل: ذو الجلال والإكرام كما قاله الراغب.

(وقال المبرد) شيخ التفسير والعربية: **(تعزروه وتبالغوا فى تعظيمه)**، وهو موافق لما قاله ابن عباس، رضى الله تعالى عنهما، وليس أخص منه كما توهم، **(وقال الأخفش)**: الكبير لتبادره، وقيل: هو الأوسط صاحب التفسير المسمى بالمعانى، والأخافشة المشهورة ثلاث، وهو لقب له من الخفش، وهو ضعف البصر، وهو من يرى ليلاً ولا يرى نهارًا، **(تنصرونه)**.

وقال الراغب: التعزير نصرة مع تعظيم. **(وقال الطبرى)**، وهو محمد بن جرير، كما تقدم: **(تعينونه)** الإعانة أعم من النصرة، والتعزير من العزر بفتح فسكون، وهو الرد والدفع، ثم نقل لما ذكر لما فيه من دفع العدو والنقائص، ولذا قيل لما دون الحد: تعزير؛ لردعه ودفع عوده لجنايته، وله معنى آخر، وهو الوقوف على الأحكام.

(وقرىء) فى الشواذ **(تعززوه بزائين)** معجمتين تفعيل **(من العز)**، وهو التقوية والغلبة كما فى قوله تعالى: **﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾** [يس: ١٤]، والعزيز رفعة القدر، وهذه كالمفسرة للقراءة المشهورة.

(ونهوا)، أى نهاهم الله فى الآية الثانية، **(عن التقدم بين يديه)**، أى بحضرته وعنده **(بالقول)** بأن يسبقه بالكلام، **(وسوء الأدب بسبقه بالكلام)** فى أمر ما، **(وهو قول ابن**

عباس وغيره واختيار ثعلب) فى تفسير الآية، وثعلب لقب إمام العربية واللغة، وهو أبو العباس أحمد بن يحيى بن يزيد الشيبانى البغدادى، توفى سنة إحدى وتسعين ومائتين.

(وقال سهل بن عبد الله) التسترى الإمام الزاهد شيخ الطريقة فى تفسير قوله تعالى: ﴿لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الحجرات: ١]: **(لا تقولوا قبل أن يقول)**، فتستفتحون الكلام عنده، وهو ترك أدب، **(وإذا قال فاستمعوا له وأنصتوا)**، أى اسكتوا.

ثم عطف عليه عطف تفسير قوله: **(ونهوا عن التقدم والتعجل بقضاء أمر قبل قضائه فيه)**، أى فى الأمر، **(وأن يفتاتوا)**، أى يستبدوا ويستقلوا **(بشىء فى ذلك)**، أى فى قضاء أمر من الأمور عنده، يقال: افتأت، بفاء وهمزة أصلية عند أبى عمرو وغيره من أهل اللغة، أو هى مبدلة من حرف العلة كما قالوا فى رثيت الميت رثائة، فهو من الفوت عند بعضهم، ويقال: افتات، بألف.

ويقال: افتات الباطل إذا اختلقه **(من قتال أو غيره من أمر دينهم إلا بأمره ولا يسبقوه به، وإلى هذا)** المذكور فى تفسير الآية **(يرجع قول الحسن)** البصرى **(ومجاهد والضحاك والسدى و)** سفيان **(الثورى)**، يعنى أنهم فسروا الآية بما هذا حاصله، ومآله إشارة إلى أن أكثر المفسرين ارتضوه.

(ثم وعظهم الله) فى الآية بعدما ذكر **(وحذرهم مخالفة ذلك)**، أى أمره فى قضائه بعدما نهاهم عن سبقه بالقول، **(فقال:** ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾**)**، فدل على أن مخالفه غير متق ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لأقوالهم عند رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿عَلِيمٌ﴾ [الحجرات: ١] بأفعالهم، فهو رقيب عليهم يخشى من غضبه وعقابه، ففيه من الموعظة والتحذير ما لا يخفى.

(قال الماوردى) أبو الحسن، وقد تقدم ذكره: **(اتقوه يعنى)**، أى يريد الله به هنا **(فى التقدم)** بقرينة أول الآية، وإن كان مطلقًا.

(وقال السلمى) أبو عبد الرحمن، كما تقدم: **(اتقوا الله فى إهمال)** أى **(ترك حقه وتضييع حرمته)**، أى احترامه وتوقيره، **(إنه سميع لقولكم عليم بفعلكم)**، فسبقه رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، بالقول ترك أدب من فعله لم يراع حقه، ولا وقر حرمته، فهو فى معنى ما قبله.

(ثم إنه تعالى نهاهم عن رفع الصوت فوق صوته) فى الآيات الأخيرة، وأعاد النداء اهتمامًا به وتنبيهًا على أنه أمر آخر مستقل بالنهى، ورفع الصوت بشدة الجهر سوء الأدب وغلظة يعتادها العوام، **(والجهر له)**، صلى الله تعالى عليه وسلم، عطف تفسير على رفع الصوت **(بالقول كما يجهر بعضهم لبعض ويرفع صوته)**، المراد النهى عن ارتفاع

الأصوات عنده، وإن لم يكن الخطاب له فى النداء.

(وقيل: كما ينادى بعضهم بعضًا)، فالمراد برفع الصوت النداء، فنهاهم عن أن ينادونه كما ينادى بعضهم بعضًا **(باسمه)**، فعبر عن النداء برفع الصوت؛ لأنه يلزمه غالبًا، فهو كقوله: ﴿لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ [النور: ٦٣]، وبيانه ما **(قال أبو محمد مكى)**، وهو مكى بن أبى طالب القيروانى المالكى، نزيل قرطبة، كان متبحرًا فى العلوم، لاسيما علوم القرآن، متواضعًا مجاب الدعوة، له تصانيف جليلة منها تفسيره المسمى بالهداية، وكتاب أحكام القرآن، توفى سنة سبع وثلاثين وأربعمائة: **(أى لا تسابقوه بالكلام)**، هو معنى قوله: ﴿لَا تُقَدِّمُوا﴾ إلى آخره.

(وتغلظوا له بالخطاب)، أى تخاطبوه بغلظة، وأصل الغلظة ضد الرقة فى الأجسام، ثم شاع فى المعانى والخطاب توجيه الخطاب للغير، والمراد به هنا الكلام المخاطب به، **(ولا تنادوه باسمه نداء بعضكم بعضًا)**، أى كنداء بعضكم، فهو منصوب على المصدرية، وهو عطف تفسير، **(ولكن عظموه ووقروه ونادوه بأشرف ما يحب أن ينادى به، يا نبى الله، يا رسول الله)** بدل من أشرف، وهذا معنى قوله: ﴿وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ﴾ [الحجرات: ٢]؛ لأن كثيرًا من جفاة الأعراب دأبهم فيما بينهم هذا.

(وهذا)، أى ما قاله مكى، **(كقوله فى الآية الأخرى ﴿لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾)**، وجهه أن النهى عن الشىء أمر بضده أو بتضمنه، وقد نهى الله تعالى عن هذه الأمور التى تقتضى إهانته، فكأنه أمر بتعظيمه وتوقيره **(على أحد التأويلين)**، أى التفسيرين اللذين ذكرا فى التفاسير، وهو أن يكون الدعاء بمعنى النداء والتسمية، أى لا تنادوه باسمه رافعين أصواتكم بأن تقولوا: يا محمد، يا أبا القاسم، كما ينادى بعضكم بعضًا إذا طلب إقباله، بل خاطبوه بأدب، فقولوا: يا رسول الله، يا نبى الله، يا خير خلق الله، ونحوه.

والثانى: أن يكون المراد بالدعاء الدعاء على أحد، أى لا تظنوا أن دعاءه كدعائكم يحتمل الإجابة وعدمها كدعائكم، سواء كان بخير أو شر، فإن الله ضمن له إجابة دعائه ووعده بها من لا يخلف الميعاد، وهذا غير مراد هنا كما أشار إليه المصنف، رحمه الله تعالى، وهو الذى قاله مكى.

و**(قال غيره)**، أى غير مكى: معنى الآية، أى ﴿وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ...﴾ إلى آخره، **(لا تخاطبوه إلا مستفهمين)**، وفى نسخة: إلا مشفقين، من الإشفاق، وهو الخوف وعلى الأول معناه: إلا سائلين له متعلمين منه بالأدب.

(ثم خوفهم الله عز وجل) من **(أن تحبط أعمالهم إن هم فعلوا ذلك)**، أى جهروا له

بالقول ولم يتأدبوا عنده، **(وحذرهم منه)** أى من فعلهم هذا بقوله: ﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات: ٢]، فإن تحبط فى محل نصب بنزع الخافض أو بحذف المضاف، أى لأن لا تفعلوا ما يؤدى إلى إحباط أعمالكم بالاستخفاف به، وهو كفر، فليس فيه دليل لإحباط الأعمال بالكبيرة كما قاله المعتزلة والخوارج.

قال فى الإمتاع: من خصائصه، صلى الله تعالى عليه وسلم، أنه لا يجوز لأحد أن يناديه باسمه، وما ورد فى الحديث من أن أعرابيًا قال له، صلى الله تعالى عليه وسلم: يا محمد، أنا رسول لك... إلى آخره، صدر منه قبل إسلامه، أو قبل النهى، أو قبل علمه به، ثم إنه لو ناداه أحد بكنيته، فقال: يا أبا القاسم، هل يحرم أم لا؟ انتهى. ويأتى ما فيه، وأن هذا مخصوص بحياته، ولا يخفى أن هذا مقيد بما فيه استخفاف، فلو اقتضته حال لم يحرم كما فى حال الحرب والمجادلة.

(قيل: نزلت الآية فى وفد بنى تميم)، قبيلة مشهورة سموا باسم جدهم، والوفد جمع وافد، وهو القادم على العظماء لأمر ما، وكان ذلك فى سنة تسع، وهو سنة الوفود، وكان صلى الله تعالى عليه وسلم، أرسل لهم سرية، فهجموا عليهم، وأخذوا مواشيهم وأسارى قدموا بها المدينة، فحبسوا فى دار رملة بنت الحارث، فأرسلوا عدة من رؤسائهم، فجاؤا بابه، صلى الله تعالى عليه وسلم، ونادوا: يا محمد، اخرج إلينا، كما فصل فى السير.

(وقيل): نزلت الآية **(فى غيرهم)**، أى غير بنى تميم من العرب، **(أتوا النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، فنادوه)** من خلف داره: **(يا محمد اخرج إلينا، فذمهم الله تعالى بالجهل)** بمقام النبوة وترك الأدب، **(ووصفهم بأن أكثرهم لا يعقلون)** بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحجرات: ٤].

(وقيل: نزلت الآية الأولى)، أى قوله: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ [الحجرات: ٢] **(فى محاورة)** بميم مضمومة وحاء وراء مهملتين، وهى المجادلة ومراجعة القول **(بين أبى بكر وعمر، رضى الله تعالى عنهما، بين يدى النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم)**، أى فى مجلسه وحضوره، **(واختلاف جرى)**، أى وقع **(بينهما حتى ارتفعت أصواتهما)**.

وهما كما فى البخارى عن الزبير، رضى الله عنه، وهو أن أبا بكر، رضى الله تعالى عنه، قال فى أمر بنى تميم لرسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم: أمر عليهم القعقاع بن معبد، فقال عمر، رضى الله تعالى عنه: بل الأقرع بن حابس، فقال أبو بكر: ما أردت إلا خلافى، فقال عمر: ما أردت خلافك، وتماريا حتى ارتفعت أصواتهما، فنزلت الآية،

فما كانت بعدها يسمع رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، حتى يستفهمه، والحكم عام وسببه خاص. وقيل: إنه فى أمر الزبرقان والذى ارتضاه السيوطى الأول.

(وقيل: نزلت الآية) كما روى عن ابن عباس، **(فى ثابت)** بن قيس **(بن شماس)** بن مالك بن امرىء القيس الخزرجى الأنصارى، وكان خطيب الأنصار، وكان أيضًا **(خطيب النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم)**، ليس المراد بالخطيب خطيب الجمعة والعيدين، بل ما كان من عادة العرب إذا اجتمعوا لهم يقوم واحد منهم، ويذكر كلامًا بليغًا مقدمة للأمر الذى اجتمعوا له كالمفاخرة وتفضيل بعضهم بِعَدِّ مآثره، فكان له، صلى الله تعالى عليه وسلم، خطباء عند الوفود، وشعراء كحسان، رضى الله تعالى عنه **(فى مفاخرة بنى تميم)** لما قدم وفدهم عليه، صلى الله تعالى عليه وسلم، وشرف وكرم، ودخلوا المسجد، ونادوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: أن اخرج إلينا يا محمد، ورفعوا أصواتهم، فآذى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صياحهم، فخرج إليهم، فقالوا: جئناك لنفاخرك، فأذن لخطيبنا أو شاعرنا.

فأذن لهم، فقام خطيبهم وهو عطارد، فقال: الحمد لله الذى له علينا الفضل والمن وهو أهله، الذى جعلنا ملوكًا، ووهب لنا أموالاً عظامًا نفعل فيها المعروف، وجعلنا أعز أهل المشرق، وأكثره عددًا وعدة، فمن مثلنا فى الناس؟ ألسنا برءوس الناس وأولى فضلهم، فمن فاخرنا فليعد مثل عددنا، ولو شئنا لأكثرنا الكلام، ولكنا نجباء من الإكثار فيما أعطانا، وإنا نعرف بذلك أقول هذا، لأن يأتوا بمثل قولنا، أو أمر أفضل من أمرنا، ثم جلس.

فقال النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، لثابت بن قيس بن شماس الخزرجى: «قم فأجبه»، فقام وقال: الحمد لله الذى السماوات والأرض خلقه، قضى فيهن أمره، ووسع كرسيه علمه، ولم يكن شىء قط إلا من فضله، ثم كان من قدرته أن جعلنا ملوكًا، واصطفى من خير خلقه رسولاً أكرمه نسبًا، وأصدقه حديثًا، وأفضله حسبًا، فأنزل عليه كتابه، وائتمنه على خلقه، فكان خيرة الله تعالى من العالمين، دعا الناس إلى الإيمان به، فآمن برسوله المهاجرون من قومه، وذوى رحمه أكرم الناس أحسابًا، وأحسنهم وجوهًا، وخيرهم فعالاً، ثم كنا أول الخلق إجابة لله تعالى حين دعانا رسوله، صلى الله تعالى عليه وسلم، فنحن أنصار الله ووزراء رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، نقاتل الناس حتى يؤمنوا، فمن آمن بالله ورسوله منع ماله ودمه، ومن كفر جاهدناه وكان قتله علينا يسيرًا، أقول قولى هذا وأستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات، والسلام عليكم.

ثم قام شاعرهم الزبرقان بن بدر، فأنشد شعرًا فى فخر قومه، فأمر رسول الله، صلى

الله تعالى عليه وسلم، حسان فأجابه، كما هو مبسوط فى السير، فأسلم بنو تميم، فرد عليهم رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، سبيهم وماهم(١).

وروى أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، قال: «ما بالشعر بعثت ولا بالفخر، ولكن هاتوا ما عندكم».

(وكان فى أذنيه)، أى فى أذنى ثابت، رضى الله تعالى عنه، **(صمم، فكان يرفع صوته)**، أى كان هذا دأبه كما نراه فيمن به صمم، وإنما المحتاج لرفع الصوت من يكلمه ليسمعه، أو نسب الرفع له؛ لأنه سببه، والأول هو المراد كما صرح به، **(فلما نزلت هذه الآية)** التى نهت عن رفع الأصوات عنده، **(أقام فى منزله)**، يعنى لم يأت مجلس رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، **(وخشى أن يحبط عمله)** برفع الصوت عنده، صلى الله تعالى عليه وسلم.

(ثم أتى النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم) ليعتذر له عن سبب تخلفه عنه بعدما سأل عنه، **(فقال: يا نبى الله، لقد خشيت أن أكون هلكت)**، أى تحقق هلاكى؛ لأنى إن حضرت عندك بطل عملى، وإن تخلفت فاتنى كل خير، وليس المراد بلزوم منزله أنه ترك حضور صلاة الجماعة معه لمرض لحقه من شدة خوفه كما قيل، إذ ليس هنا ما يدل عليه.

وقد بين موجب هلاكه الذى تحقق عنده حتى كأنه وقع بقوله: **(نهانا الله تعالى أن نجهر بالقول)** عندك **(وأنا امرؤ جهير الصوت، فقال)** رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم: **(يا ثابت، أما ترضى أن تعيش حميدًا؟)**، أى محمودًا عند الله تعالى والناس، وهذا يدل على قبول عمله، وأنه لا يحبط، فهو الجواب حقيقة، **(وتقتل شهيدًا؟)** فيكون لك خير الدنيا والآخرة، **(وتدخل الجنة؟)**، وفيه معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم لإخباره بالغيب، كما أشار إليه بقوله: **(فقتل يوم اليمامة)**، أى فى وقعة اليمامة، فى خلافة أبى بكر الصديق سنة ثنتى عشرة، فى ربيع الأول، وهى وقعة مسيلمة المشهورة.

واليمامة اسم مدينة من جانب اليمن على مرحلتين من الطائف، وأربع من مكة، وكان خرج فى وقعتها مع خالد بن الوليد، فلما التقو لم يثبتوا، فقال ثابت وسالم مولى أبى حذيفة: ما هكذا كنا نقاتل مع رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، فحفر كل واحد منهما حفرة له وثبتا وقاتلا حتى قتلا.

(وروى) رواه طارق بن شهاب، **(أن أبا بكر)** الصديق، رضى الله تعالى عنه، **(لما**

---

(١) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة (٥/٣١٤)، والطبرانى فى تفسيره (٤/٩٠)، وابن عساكر فى تهذيب تاريخ دمشق (٣/٩١، ٤/١٣٣).

نزلت هذه الآية) ﴿لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ﴾ [الحجرات: ٢] صلى الله تعالى عليه وسلم، **(قال)** أبو بكر، رضى الله عنه، امتثالاً لقول الله تعالى، وخوفًا من مخالفة نهيه، ولذا أكده بالقسم، فقال: **(والله يا رسول الله لا أكلمك بعدها)**، أى بعد نزول هذه الآية **(إلا كأخى السرار)**، أى إلا كلامًا خفيًا كالمسارة، وهى الكلام بخفية حتى لا يسمعه من عنده، والسرار بكسر السين مصدر ساره مسارة وسرارًا، وهى مفاعلة من السر، والأخ فى النسب معروف يتجوز به عن المثل والشبه، كقولهم: كان وأخواتها، ويكون بمعنى الصاحب، والمراد الأول، ويجوز إرادة الثانى، وهذا مروى عن ابن عباس، وعمر، رضى الله تعالى عنهما، أيضًا كما ذكره المصنف، رحمه الله تعالى، بقوله: **(وإن عمر كان إذا حدثه)**، صلى الله تعالى عليه وسلم، **(حدثه كأخى السرار)**، وهذه العبارة من كلامهم قديمًا **(ما كان يُسمع)** بضم الياء وكسر الميم وفاعله ضمير أبى بكر أو عمر **(رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، بعد)** نزول **(هذه الآية، حتى يستفهمه)** رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، لشدة إخفائه كلامه، وهو تفسير لقوله: كأخى السرار.

(فأنزل الله تعالى فيهم)، أى فى حق أبى بكر وعمر، رضى الله تعالى عنهما، ومن ضاهاهما كثابت، مدحًا لهم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ﴾ أى يخفونها ﴿عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الحجرات: ٣].

والامتحان التجربة، والمراد أنه عاملهم معاملة المحنة؛ ليظهر للناس أدبهم وتقواهم، واستحقاقهم للأجر العظيم، **(وقيل: نزلت)** آية ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ﴾ [الحجرات: ٤] إلى آخره، **(فى غير بنى تميم)** من الأعراب، **(نادوه باسمه)**؛ لجهلهم بمقامه، وعدم أدبهم.

(وروى) رواه الترمذى، والنسائى، **(عن صفوان بن عسال)**، بفتح العين والسين المشددة المهملتين، ابن الربض بن زاهد المرادى الكوفى الصحابى المشهور، روى عنه الستة، **(بينا)** بألف كافة كبينما، وفى نسخة: بينما، **(رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، فى سفر، إذ ناداه أعرابى بصوت له جهورى)**، بفتح الجيم وسكون الهاء وواو مفتوحة، أى صياح شديد، يقال: جهور وجهر، إذا رفع صوته، وهو جهورى الصوت وجهيره، أى رفيعه، بين ظرف مكان أو زمان تجاب بجملة، وقد تقرن بإذا، وإذا الفجائية، والأفصح تركها، كقوله:

فبينما نحن نرقبه أتانا   يعلق وقصة وزنا ذراعى

وتقع بعدها الجمل إذا كفت بما أو ألف **(أيا محمد أيا محمد)** مرتين، وفى نسخة ثلاثًا، وأيا ينادى بها البعيد، **(فقلنا له)**، أى قال له الصحابة تعليمًا له وتأديبًا: **(اغضض من صوتك)**، أى لا ترفعه، **(فإنك قد نُهيت عن رفع الصوت)**، أى نهاك الله تعالى عنه،

حذف فاعله للعلم به.

واعلم أن رفع الصوت يكره فى بعض المواضع، كمجلس العظماء إذا تكلف ذلك من غير داع، وقد يستحب فى بعض المواضع، كالأذان وكمجالس الوعظ والخطبة، ولذا روى أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، كان إذا خطب وذكر الساعة غضب وعلا صوته حتى يسمع بالسوق، وكانت العرب تفخر بالصوت الجهير، كما قيل[1]:

جهير الكلام جهير العطاس جهير الرواء جهير النغم

فنهى الله عما اعتادوه فى الجاهلية، وقول لقمان لابنه ﴿وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾ [لقمان: ١٩]، نهى عن الجهر تهاونًا بالناس، ثم ذكر من توقيره، صلى الله تعالى عليه وسلم، أمرًا آخر، فقال: (**وقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا﴾** [البقرة: ١٠٤])، كان المؤمنون يقولونه لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إذ خاطبهم، يريدون تأن فى خطابك حتى نفهم كلامك، فراع مقامنا، فإنا لسنا فهما مثلك، فانظر لحالنا، فانتهز اليهود الفرصة وقالوها؛ لأنها كانت كلمة يتسابون بها كما يأتى عن الكشاف.

(**قال بعض المفسرين: هى لغة فى الأنصار**)، كانوا يقولونها فى محاورتهم إذا أرادوا التفهم، (**نهوا عن قولها تعظيمًا للنبى، صلى الله تعالى عليه وسلم**)؛ لإيهامها ولاعتياد خطاب الأقران، (**وتبجيلاً له**)، أى تفخيمًا له، صلى الله تعالى عليه وسلم، وهو أبلغ من التعظيم؛ لأن معناه، قال له: بجل، أى حسبك؛ (**لأن معناها ارعنا نرعك**) من المراعاة، أى احفظنا نحفظك، (**فنهوا عن قولها**)، أى هذه الكلمة (**إذ مقتضاها**) على تفسيرها السابق (**أنهم لا يرعونه**) ويراعون مقامه (**إلا برعايته لهم**)؛ لأن المعنى: ارعنا نرعك، (**بل حقه**) اللائق به (**أن يرعى على كل حال**) راعاهم أم لا بخلاف انظرنا، فإن معناها انظر إلينا وفهمنا وبين لنا وهيئ كل أدب، فلذا أمر الله تعالى بأن يقال له: انظرنا دون راعنا.

(**وقيل: كانت اليهود تعرض بها له، صلى الله تعالى عليه وسلم، بالرعونة**)، وهى الخفة والحماقة، وجعلها تعريضًا؛ لأنها تحتمل الرعاية احتمالاً ظاهرًا، وقول البرهان أنها إنما تأتى على قراءة شاذة، راعنا بالتنوين والنصب ليس بشىء؛ لأنه لو كان كذلك كان تصريحًا لا تعريضًا، ولذا روى أن اليهود قالوا: كنا نسب محمدًا سرًا، فصار ذلك علنًا، فكانوا يقولون: يا محمد راعنا، ويضحكون، ففطن لهم سعد بن معاذ، رضى الله عنه، فقال لليهود: عليكم لعنة الله، والله لأضربن عنق من سمعته يقولها.

(**فنهى المسلمون**) مبنى للمفعول، أى نهاهم الله عز وجل (**عن قولها قطعًا للذريعة**)،

---

(١) البيت من المتقارب، وهو بلا نسبة فى أساس البلاغة (جهر).

الذريعة في اللغة الوسيلة والسبب، وقال بعض شراح المدونة: إن أصل معناها لغة جمل يترك هملاً فى فلاة يصاد فيها الظباء والحمر الوحشية، فتأنس الصيد وتدور معه، فإذا ذهبوا للصيد لم يهرب الجمل منهم لإلفه بالناس، فإذا وقف وقف الصيد معه، فيأخذون منه بسهولة، ثم سمى كل ما كان سببًا للهلاك، فإنه سبب لهلاك الصيد الذى معه، كما أن هذه سبب لهلاك من قالها، فلذلك جعلت ذريعة، وهى فعيلة بذال معجمة وراء وعين مهملتين.

واعلم أن الشراح، رحمهم الله تعالى، لم يتعرضوا هنا لبيان المراد بهذه العبارة هنا، وهى إشارة إلى قاعدة مشهورة فى مذهب الإمام مالك، وهى وجوب سد الذريعة، أى يجب دفع كل ما يؤدى إلى فساد فى أمر مشروع، وقد ظن كثير أن هذه المسألة مخصوصة بمذهب مالك، وأنه واجب عنده مطلقًا، وليس كذلك، كما قاله العلامة القرافى، حيث قال: ليس كل ذريعة فسادًا يجب سدها مطلقًا، فإن الذرائع ثلاثة أقسام:

فمنها: ما أجمع الناس على وجوب سده، كسب الأصنام عند من يسب الله إذا سبت، وحفر الآبار فى طريق المسلمين، وإلقاء سم فى طعامهم.

ومنها: ما أجمعوا على عدمه كالمنع من غرس الكروم؛ لئلا يتخذ منها خمر.

ومنها: ما اختلف فيه كبيوع الآجال.

ومنها: ما يكون خلاف الأولى، وقد تكون ذريعة الفساد ذريعة لمصلحة أيضًا، فيقدم الأرجح منهما كدفع المال للكفار لافتداء الأسير، والحاصل كما نقله بعضهم من علمائهم المتأخرين أن سد الذريعة فى الأصل من باب الورع والاحتياط، لا من الواجب، إذ المفعول بها ليس فسادًا فى حد ذاته، والفساد معها مظنون، وقد اشتهر نسبة هذه المسألة للمالكية، حتى ظن كثير أنها من خواصهم، وليس كذلك كما علم مما بينه القرافى.

(ومنعًا للتشبيه بهم)، أى أن يتشبه المؤمنون باليهود **(فى قولها)**، أى فى التكلم بهذه الكلمة **(لمشاركة اللفظ)** واتحاده، وإن كان قصد المسلمين غير ما قصده اليهود. وقال الواحدى فى الوسيط: النهى عن التكلم بهذه الكلمة مخصوص بذلك الوقت؛ لإجماع الأمة على جواز المخاطبة بهذه اللفظة الآن، ونقله الأصبهانى فى تفسيره، ويبقى الكلام فى استحباب الترك.

(وقيل) فى تفسير هذه الآية **(غير هذا)** المذكور فى تفسيرها، ففى الكشاف: كان المسلمون يقولون له صلى الله تعالى عليه وسلم إذا خفى عليهم شىء من كلامه: راعنا، أى تأن حتى نفهم كلامك ونحفظه، وكان لليهود كلمة سريانية أو عبرانية يتسابون بها،

وهى راعنا، فلما سمعوا قول المسلمين: راعنا، بمعنى انظر إلينا، انتهزوا الفرصة وقالوها، يريدون سبه، صلى الله تعالى عليه وسلم، بها، فنهى المسلمون عن قولها؛ لما فيها من الإيهام، وأمروا أن يقولوا: انظرنا، من النظرة، أى أمهلنا.

* * *

(فصل فى عادة الصحابة فى تعظيمه عليه الصلاة والسلام وتوقيره وإجلاله)

أى فى نقل أخبارهم فيما كانوا يعتادونه من المعاملة معه بالأدب وغاية الإجلال، فمنه ما رواه المصنف، رحمه الله تعالى، هنا من حديث طويل رواه مسلم، وأشار إليه بقوله: (**حدثنا القاضى أبو على الصدفى**)، هو ابن سكرة، وقد تقدم أن الصدفى نسبة لصدف قرية بالمغرب، (**وأبو بحر الأسدى**)، نسبة لقبيلته، (**بسماعى عليهما فى آخرين**) مبتدأ وخبر إشارة إلى أنهما من مشايخه، ولطريق روايته هذا الحديث عنهما.

(**قالوا:**)، أى شيخاه لا هما والآخرون؛ لأنه لم يرو عنهم، وعبر بضمير الجمع تعظيمًا، أو لأن الواحد وما فوقه جمع (**حدثنا أحمد بن عمر**)، قال: (**حدثنا أحمد بن الحسن**) أبو العباس بن بندار الرازى المعروف بالرواية، وفى بعض النسخ الحسين، والصحيح الأول، قال: (**حدثنا محمد بن عيسى**)، هو الجلودى كما تقدم، قال: (**حدثنا إبراهيم بن سفيان**)، قدمنا ترجمته، قال: (**حدثنا مسلم**) صاحب الصحيح، وقد تقدمت ترجمته، قال: (**حدثنا محمد بن مثنى**)، تقدم تفصيل ترجمته، (**وأبو معن الرقاشى**)، وهو زيد بن يزيد البصرى الثقة، (**وإسحاق بن منصور**) الحافظ الثقة المعروف بالكوسج، أخرج له الستة، وتوفى سنة إحدى وخمسين ومائتين.

(**قالوا: حدثنا الضحاك بن مخلد**) أبو عاصم الشيبانى البصرى الثقة، توفى فى ذى الحجة سنة ثلاث عشر ومائتين، وترجمته فى الميزان، قال: (**حدثنا حيوة بن شريح**)، تقدم أيضًا، وفى نسخة: أنبأنا، قال: (**حدثنا يزيد بن أبى حبيب**) الأزدى محدث مصر، وكان حبشيًا من العلماء الحكماء الأتقياء، توفى سنة ثمان وعشرين ومائة، وأخرج له الستة، (**عن ابن شماس**)، بضم الشين المعجمة وفتحها وميم مخففة وألف وسين مهملة، واسمه عبد الرحمن (**المهرى**) بميم مفتوحة وهاء ساكنة وراء مهملة وياء نسبة، وهو حافظ ثقة، توفى فى خلافة يزيد بن عبد الملك، وما وقع فى بعض النسخ من أنه الفهرى بالفاء بدل الميم تحريف.

(**قال: حضرنا عمرو بن العاص**) يرسم بياء، وقد تحذف كما مر، (**فذكر حديثًا طويلاً فيه عن عمرو، قال: وما كان أحدٌ أحب إلىّ من رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، ولا**) أحد (**أجل فى عينى منه**) تثنية عين، ويجوز إفراده والمعنى واحد، (**وما كنت أطيق**)،

أى أقدر (**أن أملأ عينى منه**)، أى أطيل النظر إليه، وملء العين تحقيق النظر وتطويله، وهو مجاز مشهور، وقوله: ولكن ملء عين حبيبها بمعنى آخر، بمعنى ما يعجبه ويحسن منظره (**إجلالاً له**)، أى لإجلاله ومهابته، (**ولو شئت أن أصفه**) بحليته (**ما أطقت**) وقدرت؛ لعدم إحاطة علمى به؛ (**لأنى لم أكن أملأ عينى منه**)، لو هنا لتحقيق الجواب على كل حال، كقوله: (**نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه**)، أى لا أقدر أن أصفه على تقدير أنى شئت، فكيف إذا لم أشأ، فلا يقال: إن لو، لامتناع الشرط والجواب، فيقتضى أنه يطيق وصفه، والمراد خلافه.

وحديث مسلم فى الإيمان: حضرنا عمرًا فى سياقة الموت يبكى طويلاً، وحول وجهه إلى الجدار، فقال ابنه عبد الله: يا أبتاه، أما بشرك رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، بكذا وكذا، فأقبل بوجهه، وقال: إن أفضل ما بعد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، أنى كنت على أطباق ثلاث إلى آخره، فذكر حاله فى جاهليته وبغضه لرسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، ثم ذكر إسلامه وشدة حبه له بعد ذلك، ثم ذكر ما آل إليه أمره فى الولاية وخوفه من آثامها، رضى الله تعالى عنه.

(**وروى الترمذى، عن أنس**)، رضى الله تعالى عنه، (**أن رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، كان يخرج**) من بيته (**على أصحابه من المهاجرين والأنصار**)، رضى الله تعالى عنهم، وعداه بعلى وهو يتعدى بإلى، ومعناه خروج خاص لمن لم ينظره، (**وهم جلوس**) فى المسجد، (**فيهم أبو بكر وعمر**)، رضى الله تعالى عنهما، (**فلا يرفع أحد منهم إليه بصره**)، بل يطرقون لمهابته، (**إلا أبو بكر وعمر، رضى الله تعالى عنهما**)، ويجوز إلا أبا بكر وعمر نصبا، (**فإنهما كانا ينظران إليه وينظر إليهما، ويتبسمان إليه ويتبسم إليهما**)؛ لما بينهما من الألفة، وقدم الصحبة والصهارة، ولتمكن مقامهما عنده، صلى الله تعالى عليه وسلم.

(**وروى أسامة بن شريك**) الصحابى الثعلبى، من ثعلبة بن يربوع، وهو الأصح، وقيل: من ثعلبة بن يشكر، وقد أخرج له أصحاب السنن وأحمد فى مسنده، (**قال:**)، أى أسامة، (**أتيت النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، وأصحابه حوله**)، أى محيطون به فى مجلسه، (**كأنما على رءوسهم الطير**)، هذا مثل تضربه العرب لشدة الرزانة والسكون؛ لأن الطير لا تنزل إلا على ساكن، وقد تقدم فى مقصورتى النبوية:

كأنما الطير على رءوسهم   من كل غصن فى ربا المجد نما

وهذا الحديث رواه الأربعة، وصححه الترمذى.

(**وفى حديث صفته**)، بالتاء المثناة الفوقية، يعنى حديث الحلية المشهور، وصححه

بعضهم بصفية، بالياء التحتية، اسم امرأة، ولا يعرف هذا، وإنما المعروف روايته عن هند ابن أبى هالة كما تقدم، (**إذا تكلم**) صلى الله تعالى عليه وسلم، (**أطرق جلساؤه، كأنما على رءوسهم الطير**)، أى طأطئوا رءوسهم تأدبًا، وذكر هذا مع ما تقدم، إشارة لتعدد طرقه، ولما بينهما من المغايرة بذكر وجه الشبه والعموم فى الجلساء؛ لما فيه من أن كل من حضر مجلسه، صلى الله تعالى عليه وسلم، ولو من أعدائه يهابه؛ لأنه أمر ذاتى له.

(**وقال عروة بن مسعود**)، رضى الله تعالى عنه، ابن معتب الثقفى (**حين وجهته قريش إلى رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم**) سنة سبع بالحديبية؛ لما صدوه عن دخول مكة معتمرًا (**عام القضية**)، أراد بها قصة الحديبية، وقيل: أراد السنة التى قضى فيها العمرة، فالقضية بمعنى القضاء، والمراد عام جرى فيه القضاء والقضية، إذ القضاء وقع بعد الحديبية، وعروة إنما جاء بالحديبية، فهو محتاج للتأويل، ولذا قيل: إن القضية وقعت عام الحديبية سنة ست، وعام القضاء كان سنة سبع بعد فتح خيبر، فلعل المصنف أراد القضية اللغوية التى جرت فى الحديبية من الصلح، والصد عن البيت، وبيعة الشجرة، ولم يرد القضية التى أرادها أهل السير. انتهى.

وهذا بناء على أن عمرته صلى الله تعالى عليه وسلم بالحديبية لم تتم، ففسدت لما صدوه عن البيت، وقد اختلف الفقهاء فى مثله، فقيل: يجب الهدى ولا قضاء، وقيل: يجب القضاء بلا هدى، وقيل: لا يلزمه هدى ولا قضاء، وقيل: يلزمه الهدى والقضاء، وقصة القضية مفصلة فى السير، وعروة هذا أسلم لما انصرف النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، من الطائف وأدركه قبل وصوله إلى المدينة، وكان حين أرسلوه مشركًا.

(**ورأى**) عروة (**من تعظيم أصحابه له، صلى الله تعالى عليه وسلم، ما رأى**)، هذا فيه من المبالغة ما فى قوله تعالى: ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ [طه: ٧٨]، أى رأى من إكرامهم له، صلى الله تعالى عليه وسلم، وتعظيمهم له شيئًا عظيمًا لا يمكن التعبير عنه؛ لفواته الحصر، ولذا أبهمه، وإن ذكر بعضًا منه، بقوله: (**وإنه**) صلى الله تعالى عليه وسلم (**لا يتوضأ إلا ابتدروا**) أى أسرعوا وأخذوا (**وضوءه**) بفتح الواو، بقية الماء الذى توضأ به وما تساقط منه قبل وصوله إلى الأرض، (**وكادوا**)، أى قربوا لازدحامهم ودفع بعضهم بعضًا من (**أن يقتتلوا عليه**)، أى على وضوئه وأخذه لحرصهم على التبرك بما مسه، صلى الله تعالى عليه وسلم، بيده.

(**ولا بصق بصاقًا**)، أى رمى شيئًا من ريقه الشريف (**ولا تنخم نخامة**) بضم النون؛ لأن فعالة وضعها لكل قليل انفصل من شىء كالبراية، والتنخم إخراجه من الفم، والفرق بين البصاق والنخامة أن الأول ما يخرج من الفم، والثانى ما يخرج من أقصى الحلق (**إلا**

تلقوها)، أى النخامة (**بأكفهم)**، واكتفى بضميرها عن ضمير البصاق، وكان الظاهر تلقوهما، أو جعلهما شيئًا واحدًا لاتحادهما جنسًا (**فدلكوا بها وجوههم وأجسادهم)** تبركًا بهما، (**ولا تسقط منه شعرة)**، بفتح العين وسكونها فى حلاقة رأس ونحوه (**إلا ابتدروها)** وسارعوا لأخذها.

(**وإذا أمرهم بأمر ابتدروا أمره)** بالامتثال، والأمر مصدر أو بمعنى المأمور، وكان حقه أن يقول: ابتدروه، فصرح به تفخيمًا لشأنه وتنويهًا لقدره.

(**وإذا تكلم)**، صلى الله تعالى عليه وسلم، (**خفضوا أصواتهم عنده)**؛ لتبيين ما يقول لهم، (**ولا يحدون إليه النظر)**، أى لا ينظرون إليه، صلى الله تعالى عليه وسلم، نظرًا حديدًا، أى قويًا، أو لا يبلغ نظرهم إليه حده ومنتهاه، بل ينظرون إليه من طرف خفى مطرقين رءوسهم تأدبًا لجلالته فى قلوبهم (**تعظيمًا له)**، صلى الله تعالى عليه وسلم، علة للنفى لا للمنفى، أى لا يتركون كمال نظرهم لتعظيمه، صلى الله تعالى عليه وسلم.

(**فلما رجع)** عروة (**إلى قريش، قال)** لهم: (**يا معشر قريش)**، المعشر والمعشرة بمعنى (**إنى جئت كسرى)**، بفتح الكاف وكسرها ملك فارس كما تقدم، (**فى ملكه)** فى زمن سلطنته، (**وقيصر)** ملك الروم (**فى ملكه، و)** جئت (**النجاشى)** ملك الحبشة (**فى ملكه)**، فرأيتهم وشاهدت عظمتهم، والنجاشى بفتح النون وكسرها وياؤه مشددة ومخففة كما مر، (**وإنى والله ما رأيت ملكًا فى قوم قط مثل محمد فى أصحابه)**، أى لا يعظمون ملكهم كما يعظمه، صلى الله تعالى عليه وسلم، أصحابه.

(**وفى رواية)** لحديث عروة (**إن)** بكسر وتخفيف نافية بمعنى ما (**رأيت ملكًا قط يعظمه أصحابه)** كمثل (**ما يعظم محمدًا أصحابه)**، ففيه مضاف مقدر وما مصدرية أو موصولة، أى كالتعظيم الذى يعظمه أصحابه، فالعائد مقدر، (**وقد رأيت قومًا)**، يعنى بهم الصحابة، رضى الله عنهم، (**لا يسلمونه)**، أى بضم أوله وسكون ثانيه المهمل وكسر لامه مضارع أسلمه، يقال: أسلمه لعدوه، إذا أمكنه منه وخلى بينهم وبينه، ويقال: أسلمه، إذا ألقاه فى هلكة، فهو عام أريد به خاص (**أبدًا)** ظرف لاستغراق الزمان المستقبل، كما أن قط لاستغراق الماضى، يعنى أن ما شاهدته من أحوالهم فى تعظيمه، صلى الله تعالى عليه وسلم، وانقيادهم له يدل على أنهم لا يقصرون فى نصره، ويبذلون أنفسهم دونه، وإياكم أن تطمعوا فى خلافه، وهذا بعض من حديث طويل رواه البخارى.

(**وعن أنس)** فى حديث رواه مسلم، قال فيه: (**لقد رأيت رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، والحلاق)**، بتشديد اللام، وهو الذى يحلق شعر رأسه، فقوله: (**يحلقه)** بتقدير

مضاف، **(وقد أطاف به أصحابه)**، أى جلسوا حلقة حوله، صلى الله تعالى عليه وسلم، وطاف بمعنى دار، وأطاف بمعنى استدار من غير حركة، **(فما يريدون أن يقع شعرة)** من شعر رأسه **(إلا فى يد رجل)** منهم، حرصًا على التبرك بآثاره، صلى الله تعالى عليه وسلم، والذى حلق رأسه وقلم أظفاره معمر بن عبد الله العدوى فى حجة الوداع، وقال ابن الأثير فى الأنساب: إنه خراش بن أمية الكلبى، وكان ذلك يوم الحديبية، كما قاله ابن عبد البر، والذى حلقه بالجعرانة أبو هند، وكان صلى الله تعالى عليه وسلم، لا يحلق رأسه إلا فى حج أو عمرة.

(ومن هذا)، أى تعظيم الصحابة له، صلى الله تعالى عليه وسلم **(لما أذنت قريش لعثمان)** بن عفان، رضى الله تعالى عنه، حين أرسله، صلى الله تعالى عليه وسلم، إلى أهل مكة وهو بالحديبية، وقد صدوهم عن البيت وإرساله لإعلامهم بأنهم لم يأتوا لقتالهم، فلا وجه لصدهم عن دخول الحرم، فلم يرضوا بذلك، ولكنهم أذنوا لعثمان، رضى الله تعالى عنه **(فى الطواف بالبيت)** بعد منعهم منه له كغيره **(حين وجهه)**، أى أرسله رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، لجهتهم **(فى القضية)**، أى قضية صدهم المسلمين عن البيت، وهم بالحديبية كما مر **(أبى)** الطواف، وهو جواب لما.

(وقال: ما كنت لأفعل) الطواف وحدى، ورسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، قد منع منه، و لم يرسلنى لذلك، فلا أطوف **(حتى يطوف به رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم)**، ففيه من تعظيمه والوقوف عند أمره ما لا يخفى، وهذه القصة مفصلة فى السير، وحاصل ذلك أنهم لما صدوهم عن دخول مكة وأرسلوا عروة لإعلامهم بذلك، أرسل رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، عثمان لعظماء قريش؛ ليخبرهم بمجيئه، صلى الله تعالى عليه وسلم، معتمرًا لا مقاتلاً، فلما دخل مكة أجاره أبان بن العاص، حتى بلغ رسالته، فلما بلغهم، قالوا له: يا عثمان، إن شئت فطف، فقال: ما كنت لأفعل، فاحتبسوه، وبلغ المسلمين أنه قتل، فقال رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم: «لا نبرح حتى نناجز القوم الحرب»[1]، وبايع أصحابه بيعة الرضوان تحت الشجرة، كما رواه الترمذى، عن طلحة، رضى الله تعالى عنه، وقال: إنه حسن غريب، وقوله: ما كنت لأفعل، أبلغ من: لا أطوف.

(وفى حديث طلحة) الذى رواه الترمذى وحسنه، **(أن أصحاب رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، قالوا لأعرابى جاهلى: سله)**، أى سل رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، **(عمن قضى نحبه)** فى قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ

---

(١) أخرجه ابن الجوزى فى زاد المسير (٧/٤٢٢).

﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾ [الأحزاب: ٢٣]، والنحب النذر والعهد استعير هنا للموت؛ لأنه للزومه كأنه نذر فى ذمته يجب قضاؤه وإلزام نفسه أن يجاهد فى سبيل الله، وقتال أعدائه، والثبات فى مواقفه، حتى كأنه نذر عليه، والمراد هنا الثانى، فمن اقتصر على الأول، فقد قصر، أى منهم من قاتل حتى مات شهيدًا كحمزة، رضى الله تعالى عنه.

(وكانوا)، أى أصحابه **(يهابونه ويوقرونه)**، فلا يكثرون سؤاله، صلى الله تعالى عليه وسلم، إجلالاً له، **(فسأله)** الأعرابى، **(فأعرض عنه)** ولم يجبه، **(إذ طلع طلحة)**، أى كان إعراضه فى وقت طلوعه، أى مجيئه لمجلسه، صلى الله تعالى عليه وسلم، وقيل: إذ هنا فجائية، كقوله:

فبينما العسر إذ دارت مياسير

أى فاجأهم طلوعه عليهم بغتة، **(فقال رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم: هذا ممن قضى نحبه)**، وهو طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن كعب بن سعد التيمى، أحد العشرة، وفى الصحابة طلحة تيمى غيره، وهو الذى نزل فيه قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٥٣] الآية. وروى أبو نعيم أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، تلا هذه الآية على المنبر، فسأله رجل: من هؤلاء؟ فأقبل طلحة بن عبيد الله، فقال: «هذا منهم»[1]، وكذا فى سنن ابن ماجه.

وفى تفسير ابن أبى حاتم: أن عمارًا منهم. وفى تفسير يحيى بن سلام: هم حمزة وأصحابه. قال ابن التين: كان ممن مات ذلك اليوم عبد الله بن جحش، ومنهم من ينتظر منهم طلحة بن عبيد الله. انتهى.

قال ابن الملقن: فاجتمع منهم أنس بن النضر، وطلحة بن عبيد الله، وعمار، وحمزة، وأصحابه الذين قتلوا معه بأحد. انتهى.

وطلحة هذا هو الملقب بطلحة الخير والفياض، وإنما قال، صلى الله تعالى عليه وسلم، فى حقه ذلك؛ لأنه كان قد غاب عن بدر، فقال: لئن حضرت مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مشهدًا آخر ليرين الله ما أصنع، فلما كان يوم أُحُد أبلى فيه بلاء حسنًا، ووقى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يومئذ بنفسه، واتقى النبل عنه بيده، حتى شلت أصابعه، وحمل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على ظهره حتى استعلى الصخرة، فلذا شهد له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بما شهد، وهو أحد العشرة، فالنحب هنا بمعنى العهد؛ لأنه مشترك بينه وبين النذر والموت، وفى الآية كلام طويل فى

---

(١) أخرجه الترمذى (٣٢٠٣، ٣٢٠٣، ٣٧٤٢)، وابن ماجه (١٢٦)، والطبرى فى تفسيره (٩٣/٢١)، وابن أبى عاصم فى السنة (٦١٣/٢).

التفاسير وأمالى ابن الحاجب ليس هذا محله.

(وفى حديث قيلة) الذى رواه أبو داود والترمذى، وقيلة بفتح القاف وسكون المثناة التحتية ولام وهاء، بنت مخرمة العنبرية الصحابية، وقيل: إنها تميمية كما تقدم، وحديثها فى الشمائل، وفيه قالت: **(فلما رأيته، صلى الله تعالى عليه وسلم، جالسًا القرفصاء)**، وهو نوع من الجلوس محتبيًا بيديه، قال فى القاموس: القرفصى مثلث القاف والفاء مقصور، والقرفصاء بضم القاف والراء، أن يجلس على أليتيه ويلصق فخذيه ببطنه ويحتبى بيديه ويضعهما على ساقيه، أو يجلس على ركبتيه متكئًا بطنه بفخذيه. انتهى.

(أرعدت)، أى حصل لى رعدة واضطراب **(من الفرق)** بفتحتين، أى شدة الخوف، **(وذلك)**، أى ما كان لى من الرعدة والخوف **(هيبة له وتعظيمًا)** لجلالته وعظمه فى عين رائيه.

(وفى حديث المغيرة) بن شعبة الذى رواه الحاكم والبيهقى، **(كان أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم)** إذا أتوه لأمر وهو فى منزله **(يقرعون)**، القرع ضرب خفيف ومس له صوت، **(بابه بالأظافير)**، جمع ظفر، على غير القياس، أو جمع أظفور أو أظفار، بمعنى ظفر، فأظافير جمع الجمع، فالأول أولى؛ لأن جمع المفرد أقيس من جمع الجمع، وهذا أى ذكر الباب والقرع يقتضى أن حجرته، صلى الله تعالى عليه وسلم، كان لها باب من خشب ونحوه، وقد ورد أنه كان عليه ستر أو سجف، وجمع بأنه كان من جلد يقرع فليحرر، فإن مثله لا يقال بالرأى، واعلم أن مثله هذا هل يسمى حديثًا أو لا؟ وعلى تقدير تسميته حديثًا، هل هو مرفوع أم لا؟ اختلفوا فيه كما قال الحافظ العراقى فى ألفيته:

لكن حديث كان باب المصطفى   يقرع بالأظفار مما وقفا
حكما لدى الحاكم والخطيب   والرفع عند الشيخ ذو تصويب

والمراد بالشيخ ابن الصلاح، رحمه الله تعالى.

(وقال البراء بن عازب) بن حارث الخزرجى الأنصارى، توفى فى أيام مصعب بن الزبير، فى حديث رواه أبو يعلى وصححه: **(لقد كنت)**، اللام جواب قسم مقدر، أى والله، **(أريد أن أسأل رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، عن الأمر)**، من الأمور التى تهمنى أو تخطر ببالى مما أحتاج لبيانه، **(فأؤخر)** بهمزتين، وقد تبدل الثانية واوًا، والأفصح الأول **(سنتين)** مثنى سنة، وفى نسخة: سنين، بصيغة الجمع، **(من هيبته)** صلى الله تعالى عليه وسلم، أى من مهابته فى قلبى وعظمته فى نفسى.

* * *

[فصل فى تعظيم النبى ﷺ بعد موته]

(**فصل واعلم**)، أمر من العلم معطوف على ما قبله، والخطاب عام لكل من يصلح له، وسد مسد مفعوليه، قوله: (**أن حرمته، صلى الله تعالى عليه وسلم**)، بضم فسكون وبضمتين، وكهمزة، وهى المهابة، أى احترامه والتأدب معه (**بعد موته وتوقيره وتعظيمه لازم**) على كل أحد (**كما كان**) لازمًا فى (**حال حياته**)؛ لبقاء نبوته ورسالته، (**وذلك**)، أى ما ذكر من احترامه وتعظيمه لازم (**عند ذكره وذكر حديثه وسنته، وسماع اسمه وسيرته، ومعاملة آله**)، تقدم بيان المراد بهم، (**وعترته**) بكسر العين، وسكون المثناة، وكونها مثلثة خطأ من العامة، وهم نسله، ورهطه، وعشيرته الأدنون، ومعاملتهم بمعنى مخالطتهم فى أمور دينية أو دنيوية، (**وتعظيم أهل بيته**)، أى زوجاته، وخدمه، وأتباعه، وليس المراد به آله وعترته، حتى يكون إطنابًا، (**وصحابته**)، رضى الله تعالى عنهم.

(**قال أبو إبراهيم التجيبى**)، بضم التاء وفتحها كما تقدم: (**واجب على كل مؤمن**) خصه؛ لأن الكافر لا يجب عليه ذلك، وقيل: إنه يجب عليه أيضًا بناء على أنه مخاطب بفروع الشريعة، والوجوب عليه بمعنى مطالبته به فى الآخرة وعقابه عليه، (**متى ذكره صلى الله تعالى عليه وسلم أو ذكر عنده**) وسمعه (**أن يخضع**)، أى يبدى التذلل والاستكانة وخفض الجناح، وخضع يكون لازمًا، وهو المعروف، ومتعديًا يقال: خضع الحديث، أى لينه، (**ويخشع**) الخضوع والخشوع متقاربان، كما قاله الراغب.

وقيل: الخشوع أعم؛ لأنه يوصف به القلب والجماد، كترى الأرض خاشعة، ولا يخفى أنه مجاز لا يدل على مدعاه، (**ويتوقر**)، أى يظهر الوقار والرزانة، (**ويسكن من حركته ويأخذ**)، أى يشرع (**فى هيبته**)، أى إظهار مهابته صلى الله تعالى عليه وسلم، عنده (**وإجلاله**) بتعظيمه حق تعظيمه (**بما كان يأخذ به نفسه**)، أى يكلفها ويلزمها (**لو كان بين يديه صلى الله تعالى عليه وسلم**)، حاضرًا فى مجلسه، فيفرض ذلك ويلاحظه ويتمثله، فكأنه عنده، (**ويتأدب بما أدبنا الله به**)، مثل قوله تعالى: ﴿**لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ**﴾ [النور: ٦٣] إلى آخره، و﴿**لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ**﴾ [الحجرات: ٢] وغيره كما تقدم آنفا.

وفيه إشارة إلى أن هذا ثابت بالقرآن أيضًا؛ لدخوله فى عموم ما تقدم وإطلاقه، وإن لم يرد تصريح فيه بخصوصه فى النصوص القرآنية، ومن لم يتنبه لهذا، قال: كان على المصنف، رحمه الله تعالى، أن يقدم دليلاً قرآنيًا على الحديثين، يدل على أن وجوب حرمته ميتًا كحرمته حيًا، كما هو دأبه، وأن يذكر أنه حكم عام فيه، صلى الله تعالى عليه وسلم، وفى سائر الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، لما ورد فى حقهم من المدح

والتعظيم.

وقوله تعالى: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠]، ولقوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤]، واقتران اسمه باسمه الواجب التعظيم، يقتضى تعظيمه، ولقوله، صلى الله تعالى عليه وسلم، الآتى: «رغم أنف من ذكرت عنده فلم يصل علىَّ»، ولا يخفى ما فيه.

(قال القاضى) أبو الفضل عياض المؤلف **(رحمه الله تعالى: وهذه)** الأمور المذكورة من توقيره، صلى الله تعالى عليه وسلم، حيًا وميتًا، وأنثه باعتبار ما ذكر؛ لقوله: **(كانت سيرة سلفنا الصالح)**، أى دأب وطريقة من تقدم من الصالحين والعلماء العاملين، رضى الله تعالى عنهم أجمعين.

ثم بين هذه السيرة بقوله: **(حدثنا أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الأشعرى)**، هو ابن سعيد القرطبى، وقد تقدم، **(وأبو القاسم بن بقى)**، بفتح الموحدة وتشديد القاف المكسورة وياء مثناة تحتية، **(الحاكم)**، وهو أحمد بن محمد بن أحمد بن مخلد بن يزيد بن بقى، **(وغير واحد فيما أجازونيه)**، أى رويته عنهم بطريق الإجازة المعروفة بين المحدثين كما بينه ابن الصلاح وغيره.

(قالوا): أى قال هؤلاء كلهم **(أنبأنا أبو العباس أحمد بن عمر بن دلهاث)**، بكسر الدال المهملة وسكون اللام وهاء وألف، يليها مثلثة بزنة جلباب علم مصروف منقول من اسم الأسد، كدلهث ودلاهث، قال: **(حدثنا أبو الحسن على بن فهر)**، بالكسر كاسم القبيلة، قال: **(حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن الفرج)**، قال: **(حدثنا أبو الحسن عبد الله بن المنتاب)**، بضم الميم وسكون النون وتاء مثناة فوقية، وألف وباء موحدة، وهو عبد الله بن المنتاب بن الفضل بن أيوب، قاضى المدينة، قال: **(حدثنا يعقوب بن إسحاق بن أبى إسرائيل)**، قال: **(حدثنا ابن حميد)**، بالتصغير، ابن حميد بن ثعلبة، أحد رواة مالك، **(قال: ناظر)** ماض من المناظرة، وهى المباحثة فى أمر من الأمور، وهى مفاعلة من النظر بمعنى الفكر؛ لأن كلا منهما ينظر فى كلام من يجادله، وفيه كلام فى شرح آداب البحث، ليس هذا محله.

(أبو جعفر أمير المؤمنين)، ثانى خلفاء بنى العباس أخو السفاح المعروف بالمنصور، وترجمته مفصلة فى التواريخ، **(مالكًا)** إمام المدينة وعالمها المشهور، رحمه الله، **(فى مسجد رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم)**، فرفع صوته فى مناظرته، **(فقال مالك: يا أمير المؤمنين، لا ترفع صوتك فى هذا المسجد)** النبوى المحترم.

وأول من سمى بأمير المؤمنين على العموم عمر بن الخطاب، رضى الله تعالى عنه، سماه

به المغيرة بن شعبة، وقيل: لبيد بن ربيعة، وعدى بن حاتم حين وفدا عليه من العراق، وقيل: إنه، رضى الله تعالى عنه، قال للناس: أنتم المؤمنون وأنا أميركم، فسمى بذلك، وكان قبل ذلك يقال له: يا خليفة خليفة رسول الله، فعدلوا عن ذلك لطوله، واحترزنا بعلى العموم عن عبد الله بن جحش، فإنه سمى بها على الخصوص فى ولايته على سرية اثنى عشر رجلاً، وقيل: ثمانية، وأول من سمى بأمير المسلمين يوسف بن تاشف بن الملثم.

(**فإن الله أدب قومًا، فقال:** ﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ﴾ [الحجرات: ٢]) إلخ، وتقدم تفسيرها، (**ومدح قومًا، فقال:** ﴿ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ﴾ [الحجرات: ٣]) إلى آخره، وتقدم بيانها أيضًا، (**وذم قومًا، فقال:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ﴾ [الحجرات: ٤]) إلى آخره كما تقدم، (**وإن حرمته، صلى الله تعالى عليه وسلم، ميتًا كحرمته حيًا**)، أى ما يجب أن يراعى فى حقه فى حياته يراعى بعد مماته، (**فاستكان لها أبو جعفر**)، استكان افتعل من المسكنة، بمعنى خضع وذل، أشبعت حركته كما فى القاموس، وفيه كلام فى التصريف، وضمير لها راجع لمقالة الإمام مالك المعلومة من المقام، ولم يذكروا ما ناظره فيه؛ لأنه لا يترتب عليه فائدة هنا.

(**وقال**) أبو جعفر للإمام مالك: (**يا أبا عبد الله**)، كناه تعظيمًا له بسؤاله، بقوله: (**أستقبل القبلة**)، أصله: أأستقبل، بهمزتين، همزة الاستفهام وهمزة المضارع للمتكلم، فحذفت الأولى للتخفيف، ووجود القرينة، وقد ورد حذفها كثيرًا، كقوله:

فوالله ما أدرى وإن كنت داريا ... بسبع رمين الجمر أم بثمان

وهو من خصائص الهمزة، (**وأدعو**) إذا أردت زيارته، صلى الله تعالى عليه وسلم، (**أم أستقبل رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم؟**)، أى أجعل وجهى مقابلاً لجهته، وحينئذ يكون مستدبرًا القبلة، فلذا أشكل عليه؛ لأن استقبال القبلة فى الدعاء مشروع، فإذا عارضه هذا، فأيهما يقدم؟.

(**فقال**) له مالك، رحمه الله تعالى: (**ولم تصرف وجهك عنه؟**)، أى عن مقابلته ومواجهته حال الدعاء، (**وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم، عليه الصلاة السلام، إلى يوم القيامة**)، المراد بالوسيلة، وهى السبب ما يتوصل به إلى إجابة الدعاء، وكنى بذلك عن جميع الناس، أى هو الشفيع المشفع المتوسل به إلى الله يوم القيامة، إشارة إلى حديث الشفاعة العظمى، وقد تقدم وإلى ما ورد أن الداعى إذا قال: اللهم إنى أستشفع إليك بنبيك، يا نبى الرحمة اشفع لى عند ربك، استجيب له، (**بل استقبله**) صلى الله تعالى عليه وسلم، بوجهك فى دعائك بما تريد، (**واستشفع به**) إلى الله تعالى فى الإجابة، فإنه شفيع لا يرد من توسل به إليه، (**فيشفعه الله**) فيك ويقبل دعاءك.

وفى نسخة: فيشفعك الله، وهى مشكلة، إذ المراد الأول، وأولت هـذه بـأن أصلـها: فيشفعه فيك، فحذف المفعول والجار، ووصل به الضمير، وقيل: المعنى يقبـل شـفاعتك، والمصدر مضاف للمفعول، ولا يخفى ما فيه، وفى هذا رد على ما قاله ابن تيمية، من أن استقبال القبر الشريف فى الدعاء عند الزيارة أمر منكر، لم يقل به أحد، ولم يرو إلا فـى حكاية مفتراة على الإمام مالك، يعنى هذه القصة التى أوردها المصنـف، رحمـه الله هنـا، ولله دره حيث أوردها بسند صحيح، وذكر أنـه تلقاهـا عـن عـدة مـن ثقـات مشـايخه، فقوله: إنها كذب محض، ومجازفة من ترهاته، وقوله: لم ينقل ولم يرو باطل، فإن مذهب مالك، وأحمد، والشافعى، رضى الله تعالى عنهم، استحباب استقبال القـبر الشـريف فـى السلام والدعاء، وهو مسطر فى كتبهم، وصرح به النووى فى أذكاره وإيضاحه.

وقال السبكى: صرح أصحابنا بأنه يستحب أن يأتى القبر ويستقبله، ويسـتدبر القبلـة بعيد من رأس القبر نحو أربع أذرع، فيسلم عليه، صلى الله تعالى عليه وسـلم، ثـم يتـأخر ويسلم على أبى بكر، رضى الله تعالى عنه، ثم يتأخر ويسلم على عمر، رضـى الله تعـالى عنه، ثم يرجع لموقفه الأول مستقبلاً للقبر، ويدعو بما أراد. وقـد نقـل عـن أبـى حنيفـة، رضى الله تعالى عنه، أنه يستقبله، صلى الله تعالى عليه وسـلم، فـى الزيـارة، ثـم يسـتقبل القبلة بعده، ويدعو كما ذكره السروجى من أئمتنا.

وقيل فى قوله: وسيلة أبيك آدم أن آدم، عليه الصلاة والسلام، لما أكل مـن الشـجرة ثم ندم، قال: يا رب، أسـألك بحق محمـد إلا غفـرت لى، فقـال لـه الله: كيـف عرفـت محمدًا؟ فقال: لأنى رأيت على قوائم العرش: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعرفت أنك لم تضف لنفسك إلا أحب الخلق إليك، فقال: صدقـت يـا آدم، إنـه لأحـب الخلـق إلىّ، ولولاه ما خلقتك، وهو حديث صحيح رواه الحاكم.

(قـال الله تعـالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ﴾ [النسـاء: ٦٤] الآيـة)، استدل بهذه الآية على ما ادعاه من التوسـل بـه، صلـى الله تعـالى عليـه وسـلم، وقبـول التوسل به، كما ينادى عليه: ﴿لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤]، لتعليق قبـول استغفارهم على استغفاره صلى الله تعـالى عليـه وسـلم لهـم، واستؤنس بـه لاسـتحباب استقباله أيضًا دون استقبال القبلة؛ لأنه صلى الله تعالى عليه وسلم، حى فى قـبره يسـمع دعاء زائره، ومن جاء عظيمًا لرجاء شفاعته له، لا شك فى أنه يتوجه إليه بقلبـه وقالبـه، كما قاله ابن المقرى، رحمه الله تعالى:

تخاطبـه لمـا تناجيـه مقبـلا ... علـى غـيره فيـها لأى ضـرورة
ولـو رد مـن ناجـاك للغيـر طرفـه ... تميـزت مـن غيـظ عليـه وغيـرة

فتدبر.

(وقال مالك، وقد سُئل عن أيوب السختيانى)، وهو الإمام أبو بكر البصرى التابعى، سيد الفقهاء والمحدثين، روى عنه مالك، والثورى وغيره، والسختيانى بكسر السين نسبة لعمل السختيان، وهو الجلد المدبوغ، وهو معرب وتاؤه تفتح وتكسر، أخرج له الستة، وتوفى سنة إحدى وثلاثين ومائة، وقيل غير ذلك: **(ما حدثتكم)**، أى رويت لكم **(عن أحد)** من مشايخه **(إلا وأيوب أفضل منه، قال)** مالك: **(وحج حجتين)**، وكنت حاجًا إذ ذاك، **(فكنت أرمقه)**، أى أنظر إليه، يقال: رمقه إذا نظر إليه **(ولا أسمع منه)** شيئًا يتكلم به لطول صمته، كذا قيل.

والظاهر أنه أراد لا أسمع منه الحديث، فأرويه عنه لما سيأتى من قوله: كتبت عنه، **(غير أنه كان إذا ذكر النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم)** عنده **(بكى حتى أرحمه)**، أى يرق قلبى عليه، رحمة له، لما أراه منه، **(فلما رأيت منه ما رأيت وإجلاله للنبى، صلى الله تعالى عليه وسلم)**، واتباع سنته فى جميع أحواله المقتضية لمحبة رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، وخشوعه لذكره علمت شدة ديانته، وأنه ثقة ظاهر العدالة، فسمعت منه، و**(كتبت عنه)** الحديث ورويته عنه، وهذا يدل على كمال ورعه فى الرواية، وأنه لا يروى عن كل أحد حتى يختبره، وبكاؤه إما لتحسره على أنه لم يره، صلى الله تعالى عليه وسلم، واشتياقه له أو لخوفه من تقصيره فى اتباعه، أو لإجلاله وتذكر مهابته حتى كأنه يراه، وهذا أقرب للسياق.

(وقال مصعب) بصيغة المفعول علم منقول من الفحل الشديد **(ابن عبد الله)** بن مصعب بن ثابت الزبيرى الحافظ، أحد رواة الإمام مالك، **(كان مالك)** بن أنس، رضى الله تعالى عنه ورحمه، **(إذا ذكر النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم)** عنده **(يتغير لونه)** بأن يصفر كما يعترى من اشتد خوفه من شىء، **(وينحنى)**، أى يتضاءل لشدة خشوعه حتى يصير كالمنحنى، **(حتى يصعب ذلك على جلسائه)** وتلامذته؛ لخوفهم عليه، **(فقيل له فى ذلك)**، أى سئل عنه وما سببه، **(فقال: لو رأيتم ما رأيت)** من السلف من خشوعهم وإجلالهم لذكره، صلى الله تعالى عليه وسلم، **(لما أنكرتم على ما ترون)** مما شاهدتموه من حالتى.

(لقد رأيت محمد بن المنكدر) بن عبد الله التيمى المدنى الحافظ، توفى فى سنة خمس ومائتين، أخرج له الستة، **(وكان سيد القراء)**، أى كان فى عصره رئيس العلماء العارفين بالقرآن وتفسيره ووجوه قراءته وأحكامه، **(لا نكاد نسأله عن حديث أبدًا إلا يبكى حتى نرحمه)** شفقة عليه لما نراه من اضطرابه؛ لشدة مهابته لذكره، صلى الله تعالى عليه وسلم، أو لشدة شوقه إلى لقائه وتأسفه على عدم رؤيته، صلى الله تعالى عليه وسلم،، وكاد هنا

زائدة لتأكيد الكلام، وقد ورد فى كلامهم كثيرًا كما فى القاموس، وهو أحد الوجوه فى قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا﴾ [النور: ٤٠]، أى لم يرها، وهو المراد وأبدا لمطلق الاستغراق، ويكون لاستغراق الأزمنة المستقبلة، فهى هنا لحكاية الحال الماضية وتنزيلها منزلة ما حضر واستمر، كالمضارع فى قوله هنا إلا يبكى.

قال الإمام مالك، رحمه الله تعالى: **(ولقد كنت أرى جعفر بن محمد)** اللام فى جواب قسم مقدر، ووقع فى بعض النسخ هنا تلقيب جعفر بأنه **(الصادق)**، ومحمد هو الباقر بن زين العابدين بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب، رضى الله تعالى عنهم، **(وكان كثير الدعابة)**، بضم الدال والعين المهملتين وألف وباء موحدة، وهى المزاح، **(والتبسم)**، وهو أقل الضحك، والجملة معترضة ومع كثرة مزاحه وانشراح صدره، **(فإذا ذكر عنده النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، اصفر)** لونه وتغير وجهه لمهابته وإجلاله لرسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، **(وما رأيته يحدث عن رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، إلا)** وهو **(على طهارة)**، أى بوضوء لنقل الحديث، فيعلم منه نفى الحدث الأكبر بالطريق الأولى، وذلك لتعظيمه الحديث.

(ولقد اختلفت إليه زمانًا) كثيرًا، أى ذهبت إليه مرارًا كثيرة، يقال: اختلف إليه، إذا جاء وذهب وأتى وقتًا بعد وقت فى أوقات مختلفة، فنزل اختلاف الأوقات منزلة اختلاف الذوات، وضمير إليه لجعفر المذكور، **(وما كنت أراه إلا)** مستمرًا **(على ثلاث خصال، إما مصليًا وإما صامتًا)** لا يتكلم، **(وإما يقرأ القرآن)**، فيناجى ربه، **(ولا يتكلم فيما لا يعنيه)**، بفتح أوله، أى يهمه ويجديه نفعًا لصون لسانه عن اللغو، **(وكان من العلماء)** بالعلوم الشرعية، **(و)** من **(العباد الذين يخشون الله)**، وهذا حاله فى منزله وخلوته والدعابة والتبسم، إذا كان فى ملأ من الناس تلطفًا بهم وحسن خلق، فلا منافاة بينهما كما توهم.

قال مالك، رحمه الله تعالى: **(ولقد كان عبد الرحمن بن القاسم)** بن محمد بن أبى بكر الصديق، أحد فقهاء المدينة، توفى رحمه الله تعالى سنة إحدى وثلاثين ومائة، وأبوه أحد الفقهاء السبعة، **(يذكر النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، فينظر إلى لونه كأنه نزف منه الدم)**، نزف مبنى للمجهول، ومعناه سال، وفيه تسمح أو تقدير، إذ اللون لا ينزف، والمراد أنه سال دمه فاصفر صفرة مفرطة؛ لأن حمرة البشرة بما تحتها من الدم وتوهم بعضهم أن معناه أنه احمر خجلاً.

واعترض بأن المناسب لقولهم: **(ولقد جف لسانه فى فمه)** الاصفرار لا الاحمرار، ثم قال ولعله يحصل له حالة خجل، ثم حالة خوف، وهو من عدم التأمل وجفاف اللسان

بذهاب ريقه لخوفه؛ **(هيبة لرسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم)**، مفعول له لما قبله، وقيل: لمقدر ليتحد فاعلاهما ولا حاجة إليه وإن جاز، **(ولقد كنت آتى عامر بن عبد الله ابن الزبير)** بن العوام العابد الجليل القدر، أخرج له الستة، وتوفى بعد عشرين ومائة، وترجمته معروفة، **(فإذا ذكر عنده النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، بكى حتى لا يبقى فى عينيه دموع)**، أى لبكائه بكاء شديدًا لما مر.

(ولقد كنت آتى صفوان بن سليم)، مصغر، وهو مولى حميد بن عبد الرحمن الزهرى الرقاشى، مات سنة اثنين وثلاثين ومائة، وكان أكثر أهل المدينة عبادة وزهدًا وفضلاً، وبها توفى كما قال. **(وكان)** صفوان المذكور **(من المتعبدين)**، أى المكثرين للعبادة المداومين عليها **(المجتهدين)** فى العبادة المجدين فيها، ويحتمل أن يكون وصل لمرتبة الاجتهاد فى أحكام الدين لزيادة فضله وإحاطته بالسنة، وهو جملة معترضه، **(فإذا ذكر النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، عنده بكى، فلا يزال يبكى حتى يقوم الناس عنه ويتركوه)**؛ لاتصال بكائه وطوله.

(ولقد رأيت الزهرى) الإمام محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب التابعى الإمام الجليل المشهور، توفى فى رمضان سنة أربع وعشرين ومائة، وهو ابن اثنين وسبعين كما تقدم، **(وكان من أهنأ الناس)**، أى أسهلهم وأحسنهم خلقًا، وألينهم عريكة، مستعار من هَنُأَ الطعام إذا ساغ وسهل، **(وأقربهم)** إلى الناس لحسن تودده لهم ومع ذلك، **(فإذا ذكر عنده النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، فكأنه ما عرفك ولا عرفته)** لدهشته وحيرته وإعراضه عمن عنده وذهوله عن معرفته؛ لاشتغال قلبه وحواسه بالفكر لإجلاله له وتعظيمه، وقد ذكر مالك، رحمه الله تعالى، هؤلاء بيانًا؛ لأنه اقتدى بهم واهتدى بهديهم، وأن حاله لم يصل لحالهم، فلا يتعجب منه.

(وروى عن قتادة)، تقدم بيانه، **(أى كان إذا سمع الحديث)** يقرأ عنده **(أخذه)**، أى عرض له واستولى عليه، حتى كأنه أخذه **(العويل)**، بعين مهملة، هو صياح مع البكاء، **(والزويل)** بفتح الزاء المعجمة، وكسر الواو، وياء، ولام، وهو القلق والانزعاج؛ لشدة الخوف، يقال: زال زويله فى الدعاء، أى ذهب ذعره، وهو مأخوذ من الزوال؛ لتغير حاله عما كان عليه.

(ولما كثر على) الإمام **(مالك الناس)**، أى اجتمع عنده لسماع الحديث ناس لا يحصون كثرة، وأتوه من كل فج، **(قيل له: لو جعلت مستمليًا)**، أى أحدًا يجلس قريبًا منك ويملى عليه الحديث فيأخذه عنك فيبلغهم، و**(يسمعهم)** ما يعيده لهم لكثرتهم وبعد بعضهم عنك ممن فى آخر الحلقة، ولو للتمنى للمناسبة بينهما فى عدم الوقوع، ولما لزم

بما قالوه، رفع صوت المبلغ كما هو المعتاد لم يرتض ما قالوه من وضع مستمل في الحلقة، والاستملاء طلب الإملاء، وهو إلقاء الكلام على الغير.

(فقال) مالك مجيبًا إرشادًا لهم وتأدبًا، مستدلاً بقوله تعالى: **(قال الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ﴾** [الحجرات: ٢] **إلى آخره)**، فقاس منع رفع الصوت في مجلس قراءة الحديث، على منعه في مجلسه حال حياته، وبينه بقوله: **(وحرمته)**، أى احترامه وتوقيره، **(حيًا وميتًا سواء)**، فكما يلزم الأول، يلزم الثانى، ثم نقل ما يوافق ما قاله مالك بقوله: **(وكان ابن سيرين ربما يضحك، فإذا ذكر عنده حديث النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، خشع، وكان عبد الرحمن بن مهدى)** بن حسان أبو سعيد الحافظ، الثقة البصرى المعروف باللؤلؤ، أحد أعلام الحديث. وقال ابن المدينى: أعلم الناس بالحديث ابن المهدى، توفى سنة ثمان وتسعين ومائة، وأخرج له أصحاب الكتب الستة.

(إذا قرأ حديث النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، أمرهم)، أى أمر من حضر في مجلسه **(بالسكوت)** والإنصات لاستماعه، **(وقال)** مخاطبًا لمن عنده: **(﴿تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ ويتأول)** الآية التى تلاها بجعل الصوت شاملاً لحكايته، وأنه عام لهما ودال على **(أنه يجب له)** صلى الله تعالى عليه وسلم، **(من الإنصات عند قراءة حديثه ما يجب له عند سماع قوله)** حقيقة في حياته؛ لما فيه من التوقير وحرمته وحسن الأدب، كما قيل:

حديثه أو حديث عنه يطربنى   هذا إذا غاب أو هذا إذا حضرا

فإن قلت: ما نقله عن مالك من أنه لم يرض بمستمل في مجلسه ينافى ما نقل عنه أنه كان له مستمل يبلغ الناس عنه.

قلت: حاله الأول كان قبل كثرة الناس جدًا، بحيث يسمعون كلامه بغير واسطة، ثم كثر الناس عليه بعد ذلك، فرأى أن المستملى لابد منه، فاتخذه للضرورة.

وقد قال المحدثون: إنه لا يضع مستمليًا إذا سمعوه؛ لأن أعلى مرتبة السماع ما كان من لفظه، فإن لم تتيسر ذلك اتخذ مستمليًا واحدًا فأكثر، واستدلوا لذلك بأنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، خطب الناس بمنى على بغلته الشهباء، وعلى رضى الله تعالى عنه، يبلغ الناس، فعلم ما تقرر أنهم إن كثروا بحيث لا يكفى مستمل واحد زادوا بقدر الحاجة، ويكون المستملى على مكان واحد مرتفع من كرسى ونحوه، أو قائمًا إن أمكنه.

* * *

(فصل فى سيرة السلف) وعادتهم
(فى تعظيم رواية حديث رسول الله ﷺ وسنته)

عطف تفسير؛ لشمولها لأقواله وأفعاله، وجميع ما يتعلق به، وفى نسخة: سننه، بصيغة الجمع، وفى أخرى: وسننهم، وهذا تتمة للفصل الذى قبله، كما أدرجه فى ترجمته، لكنه فصله لاختصاصه بالحديث، وأتى له بشاهد رواه مسندًا، فقال: **(حدثنا الحسين بن محمد الحافظ)** المعروف بابن سكرة، كما تقدم، قال: **(حدثنا أبو الفضل بن خيرون)**، تقدمت ترجمته، وأنه يجوز فيه الصرف وعدمه، قال: **(حدثنا أبو بكر البرقانى)**، وهو أحمد بن محمد بن أحمد بن غالب الخارزمى الشافعى، شيخ بغداد، وأحد الأعلام بها، صاحب التصانيف الجليلة بها، وتخريج الصحيحين، روى عنه كثير كالصورى، والبيهقى، والخطيب، وأبى إسحاق الشيرازى، وابن خيرون، وتوفى ببغداد فى أول رجب سنة خمس وعشرين وأربعمائة، وترجمته معروفة، والبرقانى بباء موحدة، وراء مهملة، وقاف.

(وغيره)، قال: **(حدثنا أبو الحسن الدارقطنى)** شيخ الإسلام الحافظ، تقدم وأنه منسوب لدارقطن، محلة ببغداد، وراؤه مفتوحة وبعضهم يسكنها، كما قاله ابن مرزوق، والأولى الأول، قال: **(حدثنا على بن مبشر)** بن إسماعيل الكلبى، الثقة، وشينه معجمة مشددة مكسورة بوزن اسم الفاعل، قال: **(حدثنا أحمد بن سنان القطان)** أبو جعفر الحافظ الواسطى الثقة إمام أهل زمانه، توفى سنة ثمان وخمسين ومائتين، وأخرج له أصحاب السنن، قال: **(حدثنا يزيد بن هارون)** أبو خالد السلمى الواسطى العابد الزاهد، أحد الأعلام، قال ابن المدينى: ما رأيت أحفظ منه، وعمى فى آخر عمره، وتوفى سنة ست ومائتين، وأخرج له الستة.

قال: **(حدثنا المسعودى)** عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة بن عبد الله بن مسعود، ولذا عرف بالمسعودى، وهو كوفى روى عنه خلق كثير، وهو ثقة كثير الحديث، توفى سنة ستين ومائة، وترجمته فى الميزان، **(عن مسلم البطين)** بفتح الموحدة وكسر الطاء المهملة، وهو مسلم بن عمران أبو عبد الله الكوفى، وثقه أحمد، وأخرج له الستة، **(عن عمرو بن ميمون)** العابد التابعى الأزدى، أدرك زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يلقه، وهو ثقة، حج مائة حجة، وتوفى سنة أربع وسبعين ومائة.

(قال: اختلفت إلى ابن مسعود)، أى ترددت عليه **(سنة)** تمييز، **(فما سمعته)** إذا حدث، **(يقول: قال رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم)**، صونًا لذكره وهيبة له واحتياطًا فى النقل عنه، **(إلا أنه حدث يومًا)** بحديث نقله، **(فجرى على لسانه، قال رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، ثم علاه كرب)**، أى ظهر عليه حزن وغم يؤدى لضيق نفس،

(فرأيت العرق يتحدر)، أى ينزل سائلاً منه مفصلاً **(عن جبهته، ثم قال)** ابن مسعود: **(هكذا)** قال رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، كما رويته لكم مساوى له لفظًا ومعنى، **(إن شاء الله)**، إشارة إلى أنه لم يصدر عن جزم منه، وهذا بناء منه على عدم جواز الرواية بالمعنى، وفيه خلاف مشهور تفصيله فى كتاب ابن الصلاح، وهو احتراز عن الكذب عليه، وأن يقول ما لم يقله، **(أو فوق ذا)**، أى يزيد عليه يسيرًا، **(أو ما دون ذا)**، أى ينقص عنه، **(أو ما هو قريب من ذا)** بمخالفته بأمر قليل جدًّا، وهو احتياط منه، رضى الله عنه.

(وفى رواية: فتربد وجهه) بباء موحدة بعد راء ثم دال مهملتين، أى تغير لونه لكموده من شدة الكرب. **(وفى رواية: وقد تغرغرت عيناه)**، أى امتلأتا بدمع متردد كالماء فى فم من يتغرغر به، فهو مجاز كما فى حديث: «تقبل توبة العبد ما لم يغرغر»، أى تبلغ روحه حلقومه كماء الغرغرة، **(وانتفخت أوداجه)** جمع ودج بفتحتين، وهو عرق غليظ فى العنق والودجان يقطعهما الذابح، وانتفاخهما كبرهما بغليان الدم؛ لانتشار الحرارة الغريزية لخوف ونحوه.

(وقال إبراهيم بن عبد الله بن قريم)، بضم القاف وفتح الراء المهملة ومثناة تحتية وميم مصغر قرم، **(الأنصارى قاضى المدينة)**، ذكره فى التهذيب والميزان، وأخرج له الترمذى فى علل جامعه ولم يترجموه، وروى عن مالك كما قال، **(مر مالك بن أنس على أبى حازم)**، بحاء مهملة وزاء معجمة، وهو سلمة بن دينار الأعرج، أحد الأعلام الذى روى عنه مالك وغيره ثقة، لم يكن فى زمانه مثله، توفى سنة أربعين ومائة، وأخرج له الستة، **(وهو يحدث)**، أى يروى الحديث لمن عنده، **(فجازه)**، أى تجاوز مجلسه ولم يقف.

(وقال) حين سُئل عن سبب ذلك: **(إنى لم أجد موضعًا أجلس فيه)**، لكثرة الناس، **(فكرهت أن آخذ)**، أى أسمع لأروى **(حديث رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، وأنا قائم)**، صونًا لحديثه عن الابتذال والامتهان واستماعه فى محل يخل بتعظيمه، وهكذا كان دأبه، ولذا رفع الله قدره وشيد ذكره، وهذا لا ينافى ما نقل عنه من أنه كان لا يعمل بالحديث ما لم يوافق عمل أهل المدينة، فإنه لشدة احتياطه فى أحاديث الأحكام، فلا وجه لإيراد هذا هنا. وقيل: التعظيم شىء آخر لا مساس له هنا.

(وقال مالك: جاء رجل إلى ابن المسيب، فسأله عن حديث وهو مضطجع)، أى واضع جنبه على الأرض والجملة حالية، **(فجلس وحدثه، فقال له الرجل: وددت)**، أى كان أحب إلىّ **(أنك لم تتعن)**، أى لم تتعب وتترك راحتك، **(فقال: إنى كرهت أن أحدثك عن رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، وأنا مضطجع)** تعظيمًا للحديث وتأدبًا معه.

(وروى عن محمد بن سيرين أنه قد يكون يضحك، فإذا ذكر عنده) فى حال ضحكه **(حديث رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، خشع)**، أى أظهر الخشوع والاستكانة تأدبًا ومهابة.

(وقال أبو مصعب: كان مالك لا يحدث بحديث رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، إلا وهو على وضوء)، أى متوضئًا متطهرًا **(إجلالاً له)** أى للحديث.

(وحكى مالك ذلك)، أى الحديث على وضوء، **(عن جعفر بن محمد)** الباقر بن زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب، وقد تقدم قريبًا، **(وقال مصعب بن عبد الله)**، وهو الزبيرى كما تقدم: **(كان مالك بن أنس إذا حدث عن رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم)**، أى إذا أراد أن يحدث عنه، **(توضأ وتهيأ)** للحديث بإصلاح هيئته فى ثيابه وجلوسه، **(ثم يحدث)** تعظيمًا لذلك.

(قال مصعب: فسُئل عن ذلك)، أى عن الداعى له، **(فقال: إنه حديث رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم)**، وفى نسخة: لأنه، وهو من بليغ المدح كما إذا قيل لك: لم عظمت فلانًا، فيقول: إنه فلان، ولا تزيد، أى حقيق بذلك وشهرة استحقاقه تغنى عن بيان وجهه، فلا حاجة لتقدير، وهو جدير بالتعظيم كما قيل.

(وقال مطرف) بزنة الفاعل بطاء وراء مشددة مهملتين وفاء، وهو مطرف بن عبد الله ابن مطرف بن سليمان بن يسار مولى ميمونة، وهو ابن أخت الإمام مالك، توفى سنة عشرين ومائتين، وترجمته فى الميزان: **(كان إذا أتى الناس مالكًا)** لطلب العلم وهو داخل منزله وطلبوا خروجه لإقرائهم، **(خرجت إليهم الجارية)**، أى أرسل لهم جارية له فيه، **(فتقول لهم:)** لما تعلم من العادة **(يقول لكم الشيخ:)** تعنى مالكًا **(تريدون الحديث؟)** بتقدير أداة الاستفهام، أى أتريدون قراءة الحديث وسماعه **(أو المسائل؟)**، تعريفه للعهد، أى مسائل الفقه، **(فإن قالوا:)** نريد **(المسائل)**، أى قراءتها **(خرج إليهم)** بسرعة من غير تهيؤ.

(وإن قالوا:) نريد **(الحديث)**، أى قراءته، **(دخل مغتسله)**، أى موضعه المعد للغسل والطهارة فى بيته، **(واغتسل وتطيب)** وتضمخ بما تطيب رائحته، **(ولبس ثيابًا جددًا)**، بضم أوله وثانيه، جمع جديد، كسرير وسرر، **(ولبس ساجه)**، وهو الطيلسان مطلقًا، أو الأخضر، أو الأسود منه، وهو شىء كالبرنس، **(وتعمم)**، أى وضع عمامته المعدة للتجمل على رأسه، **(ووضع على رأسه رداءه)** على عادة أشراف العرب، **(وتلقى له منصة)** فى محله المعد له لإقرائه، وهو بكسر الميم وفتحها، شىء عال كالكرسى والسرير، من نصصته إذا رفعته، **(فيخرج)** من بيته للناس، **(ويجلس عليها وعليه الخشوع)**، أى

السكينة والوقار، **(ولا يزال يبخر)** بالبناء للمفعول، ويجوز بناؤه للفاعل، بمعنى يأمر **(بالعود)** الهندى المعروف، فيوقد عنده ليعطر مجلسه به **(حتى يفرغ من)** قراءة **(حديث رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم)**، إجلالاً له وتكريمًا وتطييبًا، فإنه صلى الله تعالى عليه وسلم، كان يحب الرائحة الطيبة، فجعل مجلس حديثه كمجلسه حيًا كما تقدم.

(قال غيره:)، أى غير مطرف **(ولم يكن يجلس على تلك المنصة، إلا إذا حدث عن رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم)**، فعلم أنه إنما فعله رعاية للحديث لا لنفسه.

(قال ابن أويس:)، هو إسماعيل بن عبد الله بن أويس بن أبى عامر، وقيل: إسماعيل بن عبد العزيز بن عبد الله، توفى سنة ست، أو سبع، وعشرين ومائتين فى رجب، وهو ابن عم الإمام مالك وابن أخته، وزوج بنته، روى عنه وعن غيره، ولازم مالكًا إحدى وعشرين سنة، وأخرج له فى الصحيحين والسنن، وضعفه النسائى؛ لأنه كان مغفلاً، كما قاله أبو حاتم، وترجمته فى الميزان، **(فقيل لمالك فى ذلك)**، أى سُئل عن سبب ما كان يفعله من لباسه واغتساله وبخوره، وجميع ما تقدم عنه، **(فقال: أحب أن أعظم حديث رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم)** بما فعلته، **(ولا أحدث به)**، أى بحديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم **(إلا على طهارة)** كاملة **(متمكنًا)** أى جالسًا فى مكانه على هيئة مستقرة غير مستوفز؛ لما فيه من عدم المبالاة بما حدث عنه رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم.

(قال: وكان) مالك، رحمه الله تعالى **(يكره أن يحدث)**، أى ينقل الحديث وهو مار **(فى الطريق، أو وهو قائم)** على رجليه، **(أو مستعجل)**، أى على عجلة، فيتأنى، فإن الخير كله فى ترك العجلة، ولذا قيل: العجلة من الشيطان، وقد يكون مع المستعجل الزلل فيخطىء فيما نقله.

(وقال) مالك: **(أحب أن أفهم حديث رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم)**، فلذا تأنى فى نقله؛ ليكون أعون على فهمه، **(وقال ضرار بن مرة)** أبو سنان الشيبانى الكوفى العابد الثقة، أخرج له أصحاب السنن: **(كانوا)**، أى السلف ومن لقيهم من التابعين، **(يكرهون أن يحدثوا)**، أى ينقلوا **(الحديث)** النبوى **(على غير وضوء)** وطهارة، **(ونحوه)** روى **(عن قتادة)** بن النعمان، وقد تقدمت ترجمته، وفى نسخة هنا، **(وكان الأعمش)** سليمان بن مهران، **(إذا أحب أن يحدث، وهو على غير وضوء)**، ولم يتمكن منه **(تيمم، وكان قتادة لا يحدث إلا على طهارة)**، ويأتى الكلام على ذلك آخر الفصل.

(وقال عبد الله بن المبارك): تقدمت ترجمته، **(كنت عند مالك)** بن أنس، **(وهو يحدثنا)**، أى ينقل لنا الحديث، **(فلدغته عقرب)**، أى فى حال قراءته، والعقرب من ذوات

السموم المعروفة، وسمها فى رأس ذنبها، فإذا ضربت به أحدًا انتشر فيه سمها فيقتله، ولدغها ضربها بعقد ذنبها، وقد اشتهر على الألسنة أن اللذغ بذال وغين معجمتين، وقد قال الشراح هنا: إن الصحيح أن داله مهملة وغينه معجمة، وأنه يقال: لدغته العقرب ولسعته الحية، ويقال: عقرب وعقربة. ونقل بعض العلماء أن الذال والغين المعجمتين لا يجتمعان فى كلمة عربية، أما لذع النار فهو بإعجام الأولى وإهمال الثانية معناه الإحراق. وقوله: **(ست عشر مرة)**، كذا فى النسخ، وصوابه ست عشرة، بلحوق التاء فى جزئه الثانى، كذا قيل، وفيه نظر.

(وهو يتغير لونه ويصفر) عطف تفسير، **(ولا يقطع حديث رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم)** احترامًا له وإجلالاً، **(فلما فرغ من المجلس)**، أى أتم نقل الحديث، **(وتفرق عنه الناس)** المستمعون له، **(قلت له: يا أبا عبد الله لقد رأيت منك اليوم عجبًا)**، أى أمرًا يتعجب منه لصبرك وعدم تحريكك، **(قال: نعم)** ما قلته صحيح، **(إنما صبرت إجلالاً لحديث رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم)** إذ لم يتحرك وينزعج وهو يحدث.

(وقال ابن مهدى: مشيت يومًا مع مالك إلى العقيق)، وهو اسم لمواضع كثيرة بالحجاز، والمراد به هنا موضع قريب من المدينة على نحو ميلين منها يتنزه فيه أهل المدينة، **(فسألته)** وأنا ماش معه فى الطريق **(عن حديث)** من أحاديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، **(فانتهرنى)**، أى زجرنى، والنهر الزجر كما قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضحى: ١٠]، **(وقال:)** بعد الزجر باسكت ونحوه موبخًا لى **(كنت فى عينى)**، كناية عن اعتقاده فيه الناشىء عن رؤيته **(أجل من أن تسألنى)**، فيه توسع معروف كأكثر من أن يحصى، أى أعظم من السائلين **(عن حديث رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، ونحن نمشى)**، جملة حالية.

(وسأله)، يعنى الإمام مالك، رحمه الله تعالى، **(جرير بن عبد الحميد القاضى)** الضبى الثقة المحدث صاحب المصنفات الجليلة، روى عنه البخارى وغيره من أصحاب الكتب الستة، وكان رحلة، توفى سنة ثمان وثمانين ومائة، **(عن حديث وهو قائم)** الضمير لجرير، ويجوز أن يكون لمالك، رحمه الله تعالى، **(فأمر)** مالك **(بحبسه)**، قيل: مالك لم يكن حاكمًا حتى يحبسه بأمره، وأجيب بأن الولاة كانوا يمتثلون أمره، فالمعنى أرسله للحاكم ليحبسه فحبسه، وفى تاريخ الذهبى أن مالكًا كان يجلس فى المسجد يحدث ويقضى، فإن كان أذن له فى القضاء فى بعض الأمور، فهو على ظاهره، **(فقيل له: إنه قاض)** لا يليق حبسه، **(فقال: القاضى أحق من أدب)**، بالهمزة المضمومة لا بواو، وإن رسم بها فى بعض النسخ، يعنى أن العلماء والأشراف أولى برعاية الأدب، فإذا تركوه كانوا أحق

بذلك من العوام.

(وذكر أن هشام بن الغازى) بغين وزاء معجمتين بزنة فاعل من الغـزو، قـالوا: وهـذا ليس بصواب، فإن هشام بن الغازى بن ربيعـة تـابعى مـات قبـل مـالك، ولم يـرو عنـه، والحكاية المذكورة إنما وقعت لمالك مع هشام بن عمار خطيب دمشق كما رواها مسندة البرهان الحلبى، وقيل: إنها تصحفت علـى الناسـخ، وصوابـها القـارى، بالقـاف والـراء المهملة، وقيل: ما فى الأصل صواب، وهو هشام بن الغازى بن ربيعة الشامى، وفيـه أن الحافظ الحلبى أسند رواية هذه القصة عن هشام بن عمار كما علمت.

(سأل مالكًا عنحديث، وهو)، أى هشام أو مالك **(واقـف، فضربـه عشـرين سـوطًا)**، وهذا دليل على أنه كان مأذونًـا لـه فـى إجـراء الأحكـام علـى تلاميـذه، أو كـان يعلـم برضاهم بحكمه، فهو محكم فيهم، **(ثم أشفق عليه)**، أى حصل عنـده رقـة قلـب وشـفقة لضربه، لا لأنه ضربه بغير ذنب كما قيل، وهذا بناء على أنه يجوز أن يـزاد التعزيـر علـى عشرة أسواط فى غير الحدود كما هو مذهب أبى حنيفة، والحديث الوارد فى النهى عنه فيه كلام للمحدثين ليس هذا محل تفصيله، ولعله وجه إشفاقه عليه، **(فحدثـه)**، أى أفـاد مالك هشامًا وروى له **(عشرين حديثًا)** تطييبًا لخاطره، **(فقال هشام)** بعد ذلك لأصحابه: **(وددت)**، أى أحببت، يقال: وددت كذا، إذا رغبت فيه وأحببته، **(لو زادنى سياطًا)**، أى ضربًا بها، **(ويزيدنى حديثًا)** بعدد زيادة ضربه، ولو مصدرية أو شرطية جوابها مقدر.

(وقال عبد الله بن صالح) الجهنى، ويقال له: الحربى العجلى، ولـه ترجمـة فـى الميزان مطولة، توفى سنة ثـلاث وعشـرين ومـائتين، وعمـره سـت وثمـانون سنة، وأخـرج لـه أصحاب السنن: **(كان مالك والليث)** بن سعد بن عبد الرحمن الفهرى المصرى، الفقيـه، البارع، الذى قيل فيه: إنه كان أفقه من مالك، إلا أن أصحابه أضـاعوه، وهـو مـن تبـع التابعين، توفى سنة خمس وسبعين ومائة، وحيث قال مالك: أخبرنى من أرضـى بـه مـن أهل العلم فهو الليث، **(لا يكتبان العلم إلا وهما طاهران)**، أى على طهارة تامة، وجملة: هما طاهران، حالية يجوز اقترانها بـالواو وتركـها لا صفـة واوهـا للإلصـاق كمـا قيـل، وتحقيقه فى كتب العربية، والظاهر أن المراد بالعلم مطلقه لا الحديث.

(وكان قتادة يستحب أن لا يقرأ أحاديث النبى، صلى الله تعالى عليـه وسـلم، إلا علـى وضوء)، أى متوضئًا؛ تعظيمًا لحديثه، صلى الله تعالى عليه وسـلم، **(ولا يحـدث)** بتشـديد الدال، أى ينقل الحديث، ويجوز بنـاؤه للمفعـول أى يسـمع مـن غـيره حديثًـا **(إلا علـى طهارة)**، قيل: المراد أنه يغتسل بقرينة ما قبله.

(وكان الأعمش) سليمان بن مهران كما تقـدم، **(إذا أراد أن يحـدث وهـو علـى غير**

وضوء) جملة معترضة أو حالية **(تيمم)** إن لم يحضر عنده الماء بسهولة؛ لشدة اعتنائه بتعظيم الحديث، وللمحدث آداب أخر ذكرها المحدثون، كافتتاح أول مجلسه وختمه بالحمد لله والصلاة والسلام على النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، وأن لا يقوم من مجلسه لأحد من الناس.

* * *

(فصل ومن توقيره ﷺ)

أى تعظيمه وتبجيله، **(وبره)**، أى صلته ورعاية جانبه، وللبر معان أخر غير مرادة هنا، والجار والمجرور خبر مقدم لقوله: **(بر آله)**، تقدم أن فى آله خلاف، فقيل: إنهم ذوو القربى، ومن تحرم عليهم الصدقة، وهم المؤمنون من بنى هاشم وبنى المطلب دون غيرهم كما بينه الفقهاء، وأن أصله أول. وقيل: أهل وبرهم الإحسان إليهم ومعاونتهم ومودتهم ورعايتهم، **(وذريته)**، الذرية النسل من الأولاد وأولادهم، وهو بضم الذال وكسرها، وفى اشتقاقه خلاف، فقيل: من الذر، وهو صغار النمل اعتبارًا بأول أحوالهم، وقيل: من ذرأ، بالهمزة بمعنى خلق والتزم إبدالها ياء بعد النقل.

(وأمهات المؤمنين)، فسره بقوله: **(أزواجه)** صلى الله تعالى عليه وسلم، ورضى عنهن، جمع زوج لإطلاقه على الذكر والأنثى، أو زوجة على لغة فيه، وإطلاقه عليهن لحرمة نكاحهن بعده.

واختلف فى وجهه، هل هو لتكريمه، صلى الله تعالى عليه وسلم، أو أنه حى؟ ولذا وجبت النفقة عليهن لحرمة نكاحهن بعده، وهل هن أمهات للمؤمنات أيضًا؟ فقيل: لا، وإلا حرم نكاحهن عليه، وقيل: نعم، لوجوب إكرامهن لهن، وهو تشبيه بليغ لا يراعى فيه جميع وجوه الشبه، وأسماء أزواجه، صلى الله تعالى عليه وسلم، مشهورة فى السير قدمناها أيضًا.

(كما حض)، أى حث وحرض بطلبه من كل أحد **(عليه)**، أى على بر من ذكر **(عليه الصلاة والسلام)** بما روى عنه من الأحاديث وسيأتى بعضها، **(وسلكه السلف الصالح)** من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من العلماء العاملين، والتقدير سلك طريقه أو شبه برهم بطريق مسلوك، فهو استعارة مكنية مخيلة، ثم أيده بدليل من القرآن، فقال: **(قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ﴾)**، أصل معناه القذر الحسى، ثم استعير للإثم والذنب، وهو المراد، (﴿أَهْلَ الْبَيْتِ﴾)، نصب على النداء والمدح والاختصاص، (﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾) [الأحزاب: ٣٣]، ترشيح لاستعارة الرجس للذنب، واستشهاده بهذه الآية على أن أهل بيته ذريته وأزواجه كما اختاره ابن عطية

فى تفسيره، وهو أحد الأقوال فيه.

وقيل هم: أهل الكساء الآتى بيانهم، عليٌّ وفاطمة وابناهما؛ لما روى فى الحديث أنـه خرج، عليه الصلاة والسلام، غداة وعليه مـرط مرجـل، فأدخلـهم فيـه، ثـم تلـى الآيـة، وقيل: المراد زوجاته وتذكير الضمير يأباه، ووجه الاستشهاد أن من طهره الله من الآثـام أحبه الله ورسوله، ومن أحباه يلزمنا محبته وبره وصلته.

(**وقال تعالى: ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾** [الأحزاب: ٦])، إن كانت شاهدًا لتسمية أمهات، فهو ظاهر، وإن كان للزوم برهن وتكريمهن، فلأن حق الوالدة على الولد ولزوم برها أمر معلوم مركوز فى الطباع؛ لأن وجه الشبه وجوب احترامهن وبرهن، والحصر يقتضى أن إكرامهن أحق فى الأمهات الحقيقية، ثم أسند المصنف، رحمه الله تعالى، حديثـا صحيحًا شاهدًا لما قدمه، رواه من طريق له عن مشايخه، مع أنه فـى غـيره مـن السـنن، كمسـلم، والنسائى بسند أعلى مما هنا، واعتذر له بأنه تنويع لما فيه من الفائدة الزائدة، ولأنه مسلم من التدليس.

فقال: (**أخبرنا الشيخ أبو محمد**) عبد الله (**بن أحمد**) التميمى (**العدل من كتابه، وكتبت من أصله**)، إشارة إلى ضبطه فيما رواه عنه، والمراد بأصله نسخته التـى قـرأ منـها، قـال: (**حدثنا أبو الحسن المقرى الفرغانى**)، بفاء وغين معجمتين، نسبة لفرغانة اسم بلدة، قال: (**حدثتنى أم القاسم، بنت الشيخ أبى بكر الخفاف، قالت: حدثنى أبى، قال: حدثنـا حـاتم، هو ابن عقيل، قال: حدثنا يحيى، هو ابن إسماعيل، قال: حدثنـا يحيـى، هـو الحمـانى، قـال: حدثنـا وكيـع**)، هـو وكيـع بـن الجـراح بـن فليـح بـن عبـدى الروابيلـى، أحـد الأعـلام المشهورين، توفى سنة سبع وتسعين ومائة، أخرج له الأئمة السـتة، (**عـن أبيـه**) الجـراح، (**عن سعيد بن مسروق**) الثورى الثقة، توفى سنة ست وعشرين ومائة، وأخرج له الستة، (**عن يزيد بن حيان**)، بفتح الحاء المهملة ومثناة تحتية، وهو التيمى الثقة.

(**عن زيد بن أرقم، رضى الله عنه، قال: قال رسول الله، صلـى الله تعالى عليـه وسـلم: أنشدكم الله**)، أى أسألكم بالله وأقسم عليكم به، يقال: أنشـدك الله وبـالله، أى أذكـرك به، ثم استعمل فى القسم وصار حقيقة فيه، وليس السؤال بمراد هنا، بل المـراد حقيقتـه، وتقدم فيه كلام، (**وأهل بيتى**)، معطوف على الله، أى وأذكركم أهل بيتـى، فـلا تنسـوا حقوقهم ورعايتهم، فإن رعايتهم رعاية لى، وقيل: إنه منصوب بـنزع الخـافض، أى فـى أهل بيتى، كما روى فى هذا الحديث ولا وجه له، فإنه تعسف من غـير داع لـه، ومثلـه قول المرى ومن تبعه هنا: لعله فى أهل بيتى (**ثلاثـا**)، كـرره للاهتمـام بـه والتشـديد فـى رعايتهم.

(قلنا لزيد) بن أرقم راوى الحديث لما ذكره، وما فى بعض النسخ ليزيد من غلط الكتاب: **(من أهل بيته؟)**، أى ما المراد بهم فى هذا الحديث؟، **(قال: آل على)** بن أبى طالب، وهم أولاده وأهل بيته من أقاربه الأدنون، **(وآل جعفر، وآل عقيل، وآل العباس)**، وهم من تحرم عليهم الصدقة من أقاربه كما تقدم، وهذا كما رواه مسلم فى فضائل آل البيت فى خطبة خطبها، صلى الله تعالى عليه وسلم، وهو راجع من حجة الوداع فى آخر عمره، قال فيها: «أما بعد، أيها الناس، إنما أنا بشر مثلكم يوشك أن يأتينى رسول ربى فأجيبه، وإنى تارك فيكم الثقلين، كتاب الله فيه الهدى والنور، فتمسكوا به، وأهل بيتى»(١).

وفيه ما ذكره المصنف، رحمه الله تعالى، من تفسيره لأهل بيته بما ذكر، وهو الذى فهم عنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، هنا لأنه علم بالوحى ما يكون بعده فى أمر الخلافة والفتن، فلذا خصهم وحرض على رعايتهم، كما اقتضاه المقام، وما قيل: من أن جوابه هنا خاص بأقاربه، وهو أحد الأقوال، ويعارضه الآية الدالة على دخول أزواجه، صلى الله تعالى عليه وسلم، وأهل بيته كما تقدم، لا وجه له؛ لما عرفته من وجه تخصيصه هنا.

(وقال صلى الله تعالى عليه وسلم) فى حديث رواه الترمذى، عن زيد بن أرقم وجابر وحسنه: **(إنى تارك فيكم)** إشارة إلى قرب أجله، صلى الله تعالى عليه وسلم، وأنه وصية لأمته، **(ما إن أخذتم به)**، أى تمسكتم وعملتم به واتبعتموه، وما موصوفة وإن شرطية، والجملة صفة أو موصولة، وصلته **(لن تضلوا)** بمخالفة الشريعة والطريق المستقيم، **(كتاب الله)** بدل مفسر له، **(وعترتى)**، بمثناة فوقية ومعناه **(أهل بيتى)** السابق بيانهم ووجه تخصيصهم هنا، وروى: لم تضلوا.

وما قيل: إن قوله: أخذتم به، هنا يدل على إرادة المجتهدين منهم، فلا يبعد دخول الصحابة المتصفين بهذه الصفة، كما دلت الآية على دخول أزواجه، صلى الله تعالى عليه وسلم، غير مناسب لسياق الحديث، والمراد منه هنا، **(فانظروا كيف تخلفونى فيهما)**، أى بعد وفاتى انظروا فى عملكم بكتاب الله واتباعكم لأهل بيتى ورعايتهم وبرهم بعدى، فإن ما يسرهم يسرنى، وما يسوءهم يسوءنى.

(وقال، عليه الصلاة والسلام)، فى حديث لم يخرجوه: **(معرفة آل محمد براءة من النار)**، أى معرفة مقدارهم وحرمتهم، ورعاية ما يجب من حقوقهم، فإن محبتهم لأجله، صلى الله تعالى عليه وسلم، تدل على خلوص محبته له، وذلك مرتبة مستوجبة لذلك

---

(١) أخرجه البيهقى فى السنن (١٠/١١٤)، والطبرانى فى الكبير (٥/٢٠٦)، والبغوى فى شرح السنة (١٤/١١٧).

تفضلاً من الله وكرامة لرسوله، صلى الله تعالى عليه وسلم، **(وحب آل محمد جواز على الصراط)**، أى مرور عليه بسرعة جوازًا موصلاً للجنان، فإن المرء مع من أحب، ومن فسر الجواز بالجائزة بمعنى العطية، فقد تعسف تعسفًا غريبًا.

(والولاية) بفتح الواو ويجوز كسرها؛ لأنها ترد بمعناها، وإن اشتهرت فى الملك والحكومة، أى الموالاة بالنصرة والمودة **(لآل محمد أمان من العذاب، وقال بعض العلماء: معرفتهم)**، أى معرفة الآل المذكورة، **(هى معرفة مكانهم منه، صلى الله تعالى عليه وسلم)**، والمراد بالمكان المنزلة المعنوية، وهى قرب نسبهم ومراتبهم منه، صلى الله تعالى عليه وسلم، ولذا علق به قوله: منه، **(وإذا عرفهم بذلك)**، أى بسبب علو مراتبهم لقربهم منه، **(عرف وجوب حقهم وحرمتهم)**، أى احترامهم وإكرامهم **(بسببه)** صلى الله تعالى عليه وسلم، لا لفرض آخر، وقد دعا النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، لمن أحبهم لحبه، صلى الله تعالى عليه وسلم، ومن أراد تفصيل هذا، فلينظر كتاب السيد السمهودى الذى صنفه فى فضائل آل البيت، فإنه جمع فأوعى، جزاه الله خيرًا.

(وعن عمر بن أبى سلمة) فى حديث رواه الترمذى، وابن أبى سلمة هو الصحابى المخزومى ربيبه، صلى الله تعالى عليه وسلم، وابن أخيه من الرضاع، وترجمته مشهورة: **(لما نزلت)** آية (﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ [الأحزاب: ٣٣] **الآية)**، وقد قدمنا تفسيرها، فكفينا مؤنته هنا، **(وذلك)**، أى نزولها كان **(فى بيت أم سلمة)** أم المؤمنين، رضى الله عنها، **(دعا)** جواب لما، أى طلب، صلى الله تعالى عليه وسلم، ونادى **(فاطمة)** الزهراء، رضى الله عنها، **(وحسنًا وحسينًا)** سبطاه وريحانتاه، رضى الله تعالى عنهما، **(فجللهم)**، أى غشاهم وغطاهم، ومنه الجل للفرس، **(بكساء)**، وهو مرط من شعر كما ورد فى رواية أخرى، **(وعلى)** كرم الله وجهه **(خلف ظهره)** صلى الله تعالى عليه وسلم، داخل الكساء أيضًا، وإنما جعله خلف ظهره ليفرق بينه وبين زوجته وقت الدعاء.

(ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتى)، ليس المراد الحصر، أو هو مراد لإرادته أقرب الناس إلىَّ نسبًا، **(فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا)**، أى جنبهم الآثام والمعاصى وما يشينهم، ولذا سموا أهل الكساء، وإدخالهم فى الكساء إشارة إلى قربهم منه، صلى الله تعالى عليه وسلم، وأن الله سترهم كما سترهم الكساء، وأنه صانهم وأحرزهم تفاؤلاً بذلك، كما حول، صلى الله تعالى عليه وسلم، رداءه فى الاستسقاء إشارة إلى تبدل الحال وتغيرها عما هى فيه، وذلك سبب الدعاء، وإنما دعا لهم بما ذكر بعدما ذكر الله تعالى أنه أراد ذلك لهم، وإرادته تعالى لا تتخلف عن مراده، إما تأكيدًا أو تنويهًا

بقدرهم؛ ليعلم الناس به أو المراد دوام ذلك وثباته وزيادته.

(وعن سعد بن أبى وقاص) فى حديث رواه مسلم فى صحيحه **(لما نزلت آية المباهلة)**، تقدم أن المباهلة مفاعلة من البهلة، وهى اللعنة، أى الملاعنة، وهى أن يقول كل من المتخاصمين فى المجادلة: لعنة الله على الظالم منا، والآية هى قوله تعالى: ﴿**فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ**﴾ [آل عمران: ٦١] إلى آخرها.

وذلك لما وفد عليه، صلى الله تعالى عليه وسلم، نصارى نجران، ودعاهم للإسلام فلم يسلموا، وادعوا حقية دينهم، وأنه لم ينسخ، وقصتهم مفصلة فى كتب التفسير والسير، **(دعا النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم)** جواب لما، أى أحضر عنده، **(عليًا وحسنًا وحسينًا وفاطمة، رضى الله عنهم)**؛ لأنهم كانوا فى المباهلة يحضرون أولادهم وأهلهم، ويدعون بوقوع العقاب على الكاذب وأهله جميعًا، ولذا قال: **(وقال)** صلى الله تعالى عليه وسلم: **(اللهم هؤلاء أهلى)** وأقربائى، فامتنعوا من المباهلة لعلمهم بأنه صلى الله تعالى عليه وسلم، نبى، وأنه ما باهل نبى قومًا إلا وأهلكهم الله تعالى، ورضوا بالجزية، وقال صلى الله تعالى عليه وسلم: «لو باهلوا مسخوا قردة وخنازير، واشتعل عليهم الوادى نارًا»، وحكم المباهلة باق إلى الآن، وقد فعله العز بن عبد السلام، فلم يمض الحول حتى هلك من باهله.

(وقال صلى الله تعالى عليه وسلم) فى حديث تقدم **(فى على)** بن أبى طالب، أى فى حقه وشأنه، وسبب قوله هذا أن أسامة قال لعلى: لست مولاى، إنما مولاى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وكان هذا فى سفره، وهو عند غدير خم، وقد خطب الناس، فقال: **(من كنت مولاه)**، أى لى عليه ولاء وحكم، والمولى له معان، منها السيد، وهو المراد، والمعتق، والمنعم، والمعاهد، والمعسر، إلى غير ذلك من المعانى.

وقال الشافعى، رحمه الله تعالى: المراد ولاء الإسلام، وقوله: **(فعلى مولاه)**، أى سيده وناصره، واستدل به على الولاء بعض الفقهاء وغيرهم بقول: المراد بره وصلته، وهو الموافق لسياق المصنف، رحمه الله، واستدل به بعض الشيعة على تقدم على، كرم الله تعالى وجهه، على غيره فى الخلافة، ولا دليل لهم فيه لما عرفته من معانى المولى، وإنما المراد من أحبنى يحبه؛ لقوله: **(اللهم وال من والاه وعاد من عاداه)**، أى من كرهه غضب الله عليه وانتقم منه، فالمعاداة من الله مجاز أو مشاكلة.

(وقال فيه:)، أى فى حق على، كرم الله وجهه، كما فى مسلم **(لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق)**؛ لأن من أحب أصحابه وأقرباءه لمحبته فهو مؤمن، ومن كان بخلاف ذلك، ففى قلبه كفر مضمر وإن أظهر إسلامه كالخوارج، والمقصود ذمه

وتهديده والمبالغة فى النهى عنه، ولكون ظاهره الإسلام، وارتكب ما لا يليق بأهل الإسلام سماه منافقًا مجازًا، ومثله فى الخطابيات كثير.

(وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم، **(للعباس)** بن عبد المطلب عمه، فى حديث صحيح رواه الترمذى، وابن ماجه: **(والذى نفسى)**، أى روحى وما به حياتى **(بيده)**، أى فى قبضة تصرفه؛ لأنه المحيى والمميت، وهو قسم للتأكيد والتحقيق، **(لا يدخل قلب رجل الإيمان)**، أى لا يؤمن ويصير مؤمنًا كاملاً، ففى الدخول استعارة ظاهرة، **(حتى يحبكم)**، يعنى آله صلى الله تعالى عليه وسلم، وأقرباءه، فجعل من رآه وعرفه كمن عرفهم كلهم، **(لله ورسوله)**، أى محبة خالصة من الأغراض الدنيوية والرياء، فإنما هى محبة الله ورسوله ورضاهما، **(ومن آذى عمى)** بشىء يؤذيه، **(فقد آذانى)**؛ لأن ما يؤذى آل بيتى يؤذينى، **(وإنما عم الرجل صنو أبيه)**، الصنو بكسر الصاد المهملة وضمها، وهو هنا بمعنى المثل، أى فى المعنى أبوه، والرجل يغار لأبيه، ويؤذيه ما يؤذيه، وأصل معناه نخلتان فأكثر يخرج من أصل واحد، فاستعير للأخ ولما ذكر، أى كأنه أبى يجب علىَّ بره، وكذا على غيرى، وروى «العباس صنوى»[1]، أى مثلى فى النسب.

وسبب قوله، صلى الله تعالى عليه وسلم، هذا أن العباس دخل عليه مغضبًا، فقال له: «ما أغضبك؟»، قال: يا رسول الله، ما لنا ولقريش، إذا تلاقوا فيما بينهم تلاقوا بوجوه مسفرة، وإذا لقونا لقونا بغير ذلك، فغضب رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، حتى احمر وجهه[2]، ثم قال ما ذكره المصنف، رحمه الله تعالى.

(وقال، صلى الله تعالى عليه وسلم، للعباس) أيضًا فى حديث رواه البيهقى: **(اغد على يا عم)**، أى ائتنى، يقال: غدا عليه إذا أتى، وأصل معناه المجىء فى وقت الغداة، فاستعمل فى مطلق المجىء **(مع ولدك)**، أى مع أولادك، وكان له، رضى الله تعالى عنه، إذا ركب عدة أولاد، عشرة ذكور: الفضل، وعبد الله، وقثم، وعبيد الله، ومعبد، وعبد الرحمن، وغيرهم من الذكور والإناث، وأشهرهم عبد الله، وهو الحبر وترجمان القرآن وأبو الخلفاء، **(فجمعهم)**، أى فجمع العباس، رضى الله تعالى عنه، أولاده عند رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، أو المراد أن رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، ضمهم إليه.

وقال ابن الجوزى فى الوفاء: إن الذى جمعهم من أولاده سبعة، **(وجللهم)**، أى غطاهم وسترهم وألبسهم **(بملاءته)**، بضم الميم ولام وهمزة ممدودة، وهو رداء أو ملحفة،

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تهذيب تاريخ دمشق (٧/٢٣٩).

(٢) أخرجه الترمذى (٣٧٥٨).

وقد يخص بما يكون من ثوبين.

(وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم، بعدما ضمهم كما فعل مع على وأهله فيما تقدم: **(هذا عمى وصنو أبى، وهؤلاء أهل بيتى)**، أى من أقربائى، **(فاسترهم من النار كسترى إياهم)**، إشارة إلى وجه إدخاله فى ملاءته كما تقدم، **(فأمنت)** بتشديد الميم، أى قالت بعد قوله، صلى الله تعالى عليه وسلم، ودعائه هذا **(أسكفة الباب)**، بضم الهمزة وسكون السين المهملة وضم الكاف وتشديد الفاء بزنة طرطبة، ويقال: أسكوفة، فأبدل أحد حرفى التضعيف واوًا وتخفيف فائه أيضًا، وفسر بالعتبة التى فى أسفل الباب، وتطلق على ما يقابلها من أعلاه أيضًا، **(وحوائطه)**، جمع حائط وهو معروف، **(آمين آمين)** بالمد ويقصر ويشدد، وهو اسم فعل معناه استجب، وفيه كلام ليس هذا محله، وهو مفعول أمنت؛ لأنه تضمن معنى قالت، أو مقدر قبله، وفيه معجزة له، صلى الله تعالى عليه وسلم، بنطق الجماد له كرامة لأهل البيت.

(وكان) صلى الله تعالى عليه وسلم، كما فى حديث رواه البخارى **(يأخذ بيد أسامة ابن زيد والحسن)**، **أى يمسكهما بيده، وسقط لفظ بيد من بعض النسخ، فالمعنى يضمهما إليه**، **(ويقول)** داعيًا لهما: **(اللهم إنى أحبهما فأحبهما)** بالإدغام، ويجوز فكه فيقال: أحببهما، والأمر للدعاء، ودعا بذلك لعلمه بأن من أحبه رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، يحبه الله وعكسه، والقول بأن أحبهما: مشاكلة لا وجه له؛ لأن محبة الله لعبده مجاز باعتبار غايته ورد كثيرًا من غير مشاكلة، وأسامة بن زيد هو ابن حارثة مولى رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، وحبه.

(وقال أبو بكر) الصديق، رضى الله تعالى عنه: **(ارقبوا محمدًا)**، ارقب وراقب من المراقبة، وهى إدامة النظر فى مقابلة شىء، ثم أريد به لازمه وهو الحفظ، فالمراد احفظوا محمدًا، أى حقه عليكم، **(فى أهل بيته)**، أى فى رعايتهم وإكرامهم وبرهم، فإن رعاية حقه تتحقق بذلك بعد موته.

(وقال) أبو بكر، رضى الله عنه **(أيضًا)**، أى كمقالته المذكورة فيما رواه الشيخان عنه: **(و)** الله **(الذى نفسى)**، أى روحى وحياتى **(بيده)** بقبضة تصرفه، **(لقرابة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم)**، وهى مصدر صارت اسم جمع لقريب النسب، **(أحب إلىَّ أن أصل)**، أى صلتهم بدل اشتمال من قرابة **(من قرابتى)** فيه مضاف مقدر، أى من صلة قرابتى، قال أبو بكر، رضى الله تعالى عنه، هذا لما أرسلت إليه فاطمة الزهراء، رضى الله عنها، تطلب ميراثها من رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، من فدك وغيرها، وقال له الإمام على، كرم الله وجه، ورضى الله تعالى عنه: قرابة رسول الله، صلى الله تعالى

عليه وسلم، صلتهم لازمة، فقال: قال رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم: إنا لا نورث ليس لآل محمد أن يزيدوا على المأكل، لا أغير شيئًا كان فى عهد رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم.

(وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه ابن ماجه والترمذى وحسنه: **(أحب الله من أحب حسنًا)**، دعاء أو خبر، فحب حسن حسن، وبغضه قبيح، وروى حسينًا.

(وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث تقدم: **(من أحبنى وأحب هذين، وأشار إلى حسن وحسين وأباهما)** عليًّا، رضى الله عنهم، وهو معطوف على هذين، **(وأمهما)** فاطمة الزهراء، رضى الله عنها، **(كان معى فى درجتى)**، بدل من معى، أى فى منزلتى ورتبتىفى الجنة **(يوم القيامة)** إن كان على ظاهره، وأنه معه فى المحشر، فهو كناية عن سلامة من هو له، فإن أريد به الآخرة مطلقًا، فالمراد قربه منه؛ لأنه لا يساويه، صلى الله تعالى عليه وسلم، فى درجته أحد، كقوله: «المرء مع من أحب».

(وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم، فى حديث رواه الترمذى وحسنه: **(من أهان قريشًا أهانه الله)**؛ لأنهم أكرم الناس فى الجاهلية، فكانوا سادة العرب، لهم الرياسة والرفادة، وفى الإسلام؛ لأن الإمامة بحق لهم، وقريش مصغر تصغير تعظيم لقب النضر ابن كنانة ونسله، من التقرش وهو التجارة والاكتساب، أو التجمع لاجتماعهم فى الحرم، وهو من توافق اللغات، وقيل: سموا باسم دابة عظيمة فى البحر لا تطاق، كما قيل[1]:

وقريش هى التى تسكن البحـ ـر بها سميت قريش قريشًا

(وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم، فى حديث رواه البزار عن على وابن أبى شيبة، عن سهل: **(قدموا قريشًا)** فى كل أمر من الأمور، لاسيما فى الإمارة والخلافة، واقتدوا بمآثرهم، **(ولا تقدموها)**، نهى عن تأخيرهم والتقدم عليهم مؤكد للأمر قبله، وهو بفتح المثناة والدال المهملة المشددة، وأصله تتقدموا بتائين حذفت إحداهما تخفيفًا.

(وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم، **(لأم سلمة)** فى حديث رواه البخارى: **(لا تؤذينى فى عائشة)**، رضى الله تعالى عنها، وسببه أنه قيل لأم سلمة أم المؤمنين، رضى الله تعالى عنها: إن الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة، فقولى له، صلى الله تعالى عليه وسلم، يأمر الناس بأن يهدوا له حيث كان، أو حيث يرى، فذكرت ذلك له، صلى الله تعالى عليه

---

(١) البيت من الخفيف، وهو للمشمرج الحميرى فى خزانة الأدب (٢٠٤/١)، وللهبى فى المقتضب (٣٦٢/٣)، وبلا نسبة فى لسان العرب (٣٣٥/٦).

وسلم، مرتين وهو يعرض عنها، فلما كان فى الثالثة، قال لها: «يا أم سلمة، لا تؤذينى فى عائشة، فإنه ما نزل علىَّ الوحى وأنا فى لحاف امرأة منكن غيرها»[1]، فبين صلى الله تعالى عليه وسلم، لها محبته لها وتقدمها عنده، وأن الناس لذلك خصوا يومها بالهدايا، واستدل بهذا على تفضيل عائشة، رضى الله تعالى عنها، على سائر أمهات المؤمنين حتى خديجة.

وقال السبكى: الذى ندين الله به أن فاطمة أفضل، ثم خديجة، ثم عائشة، والحديث مخصوص بمن كان موجودًا حال الخطاب بقوله: منكن. وقال ابن تيمية: الرأى فى هذا التوقف لتقابل أحاديث التفضيل وتكافئها واختصاص نزول الوحى بلحافها وجه بأنها كانت تبالغ فى التنظف والتعطر والعبادة، مع شدة حبها وشوقها لرسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، وحفظها لأوامره ونواهيه، حتى غلبت صفاته صفاتها، فصارت معه كشىء واحد، رضى الله عنها.

(وعن عقبة بن الحارث) فى حديث رواه البخارى عنه، **(رأيت أبا بكر)** الصديق، رضى الله عنه، **(و)** قد **(جعل الحسن على عنقه)**، أى حمله على عاتقه المجاور لعنقه، ففيه تجوز، **(وهو يقول)**: الجملتان حاليتان، أى حاملاً وقائلاً وشعرًا من مجزوء الكامل لا رجز، وقيل: إنه منه وهو مخزوم **(بأبى شبيه بالنبى)**، أى أفدى بأبى من اشتد شبهه برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وهو كناية عن شدة المحبة وتقدم الرتبة عنده، **(ليس شبيهًا بعلى)**، أى ليس شبيهًا بأبيه، رضى الله تعالى عنه، شبهًا تامًا، وإنما تمام شبهه بجده صلى الله تعالى عليه وسلم، والباء متعلقة بأفدى، فليست قسمية.

وقيل: إنها قسيمة، وقد ورد النهى عنه بحديث: «لا تحلفوا بآبائكم»، وأجيب بأنه قبل النهى عنه، وهو بعيد، والظاهر أن النهى عن القسم الحقيقى لا عما ورد للتعظيم والاستعطاف، وهذا كله فى غير الله ورسوله، فإن لهما أن يقسما بما أرادا، ويقال: تأبى وأبى بى وبأبأ الرجل إذا قال: بأبى، **(وعلى يضحك)** من فعل أبى بكر، رضى الله تعالى عنهما، وقوله هذا تعجبًا منه وسرورًا وفرحًا بذلك، وتعجبًا من أن الظاهر أن كل أحد يشابه أباه[2]:

ومن أشبى أباه فما ظلم

---

(١) أخرجه البخارى (٥/٣٧)، والترمذى (٣٨٧٩، ٣٨٨٩)، وأحمد (٦/٢٩٣).

(٢) عجز بيت وصدره:

أنا ابن الذى لم يخزنى فى حياته

وهو من الطويل، وهو لكعب بن زهير فى ديوانه (ص٦٥)، مقاييس اللغة (٣/٤٦٨).

ولكنه جذبه عرقه لرسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، ولذا سماه، صلى الله تعالى عليه وسلم، ابنًا له، وجعل نسبه منه، وهى خاصية لحكم ربانية.

وقد روى أن فاطمة، رضى الله تعالى عنها، كانت ترقص الحسن وهو طفل، وتقول: بأبى شبيه بالنبى... إلخ، فيحتمل التوارد، أو أن أبا بكر تمثل به بعدما سمعه. ووقع فى البخارى: ليس شبيه بعلى، بالرفع، فقال ابن مالك: ليس حرف عطف كما ذهب إليه الكوفيون. وغيرهم يقول: هو اسمها والخبر محذوف، أى ليس الشبيه غيره، وقد يؤول بغير ذلك، وهذا لا ينافى ما فى الشمائل لم أر قبله ولا بعده مثله؛ لأن المنفى المماثلة من جميع الوجوه والمثبت من بعضها، وقيل: المثل أخص من الشبيه، ولا ينتفى الأعم بانتفاء الأخص.

والذين شبهوا برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نحو العشرة، الحسن والحسين، وقيل: الحسن كان أعلاه أشبه برسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، والحسين أسفله، وجعفر بن أبى طالب، وقثم بن عباس، والسائب بن يزيد، أحد أجداد الشافعى، وأبو سفيان بن الحارث، وكابس بن ربيعة الآتى فى كلام المصنف مع ضبطه، وعبد الله بن عامر بن كريز، بضم الكاف، ومسلم بن معتب، وعبد الرحمن بن عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبى طالب، وابنه القاسم، رضى الله تعالى عنهم، ونظم بعضهم ابن سيد الناس، رحمه الله تعالى، فقال:

بخمسة شبه المختار من مضر　　يا حسن ما خولوا من شبهه الحسن
بجعفر وابن عم المصطفى قثم　　وسائب وأبى سفيان والحسن

وقال أبو محمد الآمدى، وزاد اثنين، وقيل: إنه للعراقى، رحمه الله تعالى:

وسبعة شبهوا بالمصطفى قسما　　لهم بذلك قدر قد زكى ونما
سبطا النبى أبو سفيان سائبهم　　وجعفر وابنه ذو الجود مع قثما

وقال ابن حجر، رحمه الله تعالى، وزاد ثامنًا:

قد أشبه المصطفى الهادى ثمانية　　من صحبه فعلا فى الناس قدرهم
سبطاه وابن كريز وابن حارثهم　　وجعفر وابنه مع سائب قثم

وزاد عليه ابن سيدى الحسن، فقال:

قد أشبه المصطفى المختار من مضر　　جماعة عدهم يربو على العشرة
سبطاه وابن كريز وابن حارثهم　　وجعفر وابنه هم سادة خيرة
وسائب مسلم وكابس قثم　　وسبط نجد عقيل وابنه البررة

وقد زيد على هذا كثير بلغوا العشرين فى بعضها كلام وطعن، ونظموها نظمًا متكلفًا، ولذا لم أتعرض له، فتابعهم ابن الشحنة فى نظم له خمسة عشر، فزاد ابن عقيل الثانى، وزيد بن عبد الله بن الحارث الملقب مية، وقد مات فى حياته، صلى الله تعالى عليه وسلم.

وزيد عثمان بن عفان؛ لأنه صلى الله تعالى عليه وسلم، قال: «إنه أشبه الناس بأبيه إبراهيم الخليل»، عليه السلام، والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان يشبه الخليل أيضًا، وشبيه الشبيه شبيه، وعد ابن سعد منهم على بن بجاد بن رفاعة، ولو ذكر كل من قيل: إنه يشبهه صلى الله تعالى عليه وسلم لبلغ عددًا كثيرًا، فإنه ذكر منهم عبد الله بن محمد عقيل، وإبراهيم، وعبد الله بن الحسن بن الحسين بن على، ويحيى بن القاسم بن جعفر العلوى، ومنهم كما قيل: المهدى الذى يخرج آخر الزمان، والظاهر منهم أنهم تسمحوا فى وجه الشبه فى الخلق والخلق، فإن الشبه التام لم يتيسر لأحد، كيف وقد أعطى صلى الله تعالى عليه وسلم الحسن كله؟ وأعطى يوسف، عليه الصلاة والسلام شطره، فهو كما قيل[1]:

إنما مثلوا صفاتك للنا … س كما مثل النجوم الماء

(و) روى **(عن عبد الله بن حسن بن حسين)** بن على بن أبى طالب، رضى الله عنه، وهو من ثقات آل البيت وفضلائهم، وله ترجمة، وأخرج له أصحاب السنن، **(قال: أتيت عمر بن عبد العزيز فى حاجة، فقال لى: إذا كان لك حاجة، فأرسل إلىّ أو اكتب لى)** كتابًا تعلمني فيه بحاجتك، **(فإني أستحيي من الله تعالى أن يراك)** واقفًا **(على بابى)**، كما هو المعتاد لمن أتى باب عظيم أن يقف حتى يؤذن له، وهذا تعظيم منه لآل البيت لمحبة رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، وآله.

(وعن الشعبى) عامر بن شرحبيل كما تقدم، وهذا رواه الحاكم والبيهقى وصححه، **(قال: صلى زيد بن ثابت)** بن قيس بن شماس الأنصارى الصحابى المشهور، رضى الله عنه. وقال البرهان: زيد بن ثابت الكلبى، **(على جنازة أمه)**، أى أم زيد، والجنازة بفتح الجيم وكسرها، الميت أو التابوت، وأمه هى النوار بنت مالك بن معاوية بن عدى بن عامر الأنصارية، **(ثم قربت له بغلته ليركبها)**، فلما ركبها **(جاءه ابن عباس، رضى الله عنهما، فأخذ بركابه)**، أى أمسكه ليركب أو مشى معه ماسكًا ركابه، **(فقال زيد)** لابن عباس: **(حل عنه)**، أى دع الركاب وتباعد عنه **(يا ابن عم رسول الله)**، يعنى أنه لا يليق مثله بآل البيت؛ لتعظيمهم وتكريمهم اللازم لكل أحد.

---

(١) تقدم الاستشهاد به.

(فقال) ابن عباس، رضى الله تعالى عنهما، مجيبًا له: **(هكذا نفعل بالعلماء)**، أى مثل هذا التعظيم نعظم به علماءنا، **(فقبل زيد يد ابن عباس)** تعظيمًا له وجزاء لإكرامه **(فقال: هكذا أمرنا بأن نفعل بآل بيت نبينا)**، صلى الله تعالى عليه وسلم، وقول الصحابى: أمرنا، كما بين فى مصطلح الحديث، له حكم الرفع على كلام فيه، ليس هذا محله، والشاهد فيه تعظيم آل رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، ومحبتهم.

(ورأى) عبد الله **(بن عمر)** بن الخطاب، رضى الله تعالى عنهما، أحد العبادلة المشهور **(محمد بن أسامة بن زيد)** بن حارثة، مولى رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، وهذا الحديث فى صحيح البخارى، **(فقال: ليت هذا عندى)**، بكسر العين وسكون النون أو بفتحها، والباء الموحدة الساكنة، وروى بالوجهين، والذى رجحوه الأول، وهكذا ضبطه الحافظ العراقى وتمنى ذلك ليعلمه ويؤدبه، ولم يكن عرفه حين رآه، **(فقيل له: هو محمد ابن أسامة، فطأطأ ابن عمر رأسه)**، أى خفضها وأطرق حياء لما عرفه، **(ونقر بيده الأرض)** وهو يتفكر فيما قاله ندمًا عليه، **(وقال: لو رآه رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، لأحبه)** كما كان يحب أباه أسامة، وإنما فعل ذلك وقال ذلك تعظيمًا لموالى رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم.

(وقال الأوزاعى:) الإمام العابد الزاهد الحافظ صاحب المذهب الذى كان عليه أهل المغرب قبل اتباع مذهب الإمام مالك، سكن الشام حتى مات، وهو منسوب للأوزاع، بطن من حمير أو همدان أو قرية، وقد تقدم **(دخلت بنت أسامة بن زيد)** مولى رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، واسمها فاطمة، وكانت تسكن المزة بالشام كما ذكره ابن عبد البر **(صاحب رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم)**، بالجر صفة أسامة أو زيد، فإن كلا منهما صحابى مشهور، **(على عمر بن عبد العزيز)**، وهو خليفة.

وقيل: إنها دخلت عليه وهو أمير بالمدينة قبل خلافته فى خلافة الوليد بن عبد الملك ابن مروان، والصحيح الأول؛ لأن هذه القصة ذكرها ابن عساكر فى تاريخه، وأن أسامة توفى بقرية يقال له: بوادى القرى، وخلف بنته فاطمة بالمزة، فلم تزل بها إلى أن ولى عمر بن عبد العزيز.

(فأتته ومعها مولى لها)، أى عبد **(يمسك يدها)**؛ لكبرها وضعف بصرها، **(فـ)** لما رآها عمر **(قام لها ومشى إليها)** تكريمًا وتعظيمًا لها؛ لكونها من نسل موالى رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، **(حتى جعل يدها بين يديه)** بأن أمسكها بدلاً عن مولاها وتولى خدمتها، **(ويداه فى ثيابه)**، أى مغشاة بكمه حتى لا يمس بدنه بدن أجنبية لتقواه، **(ومشى بها حتى أجلسها على مجلسه)**، أى على فراشه الذى كان جالسًا عليه، **(وجلس**

بين يديها)، كما يفعله الصغير مع الكبير تأدبًا منه وإكرامًا وتعظيمًا، **(وما ترك لها حاجة)** ذكرتها له **(إلا قضاها)** ونجزها، وكان قال لها: ما حاجتك يا فاطمة؟ قالت: تحملنى إلى أخى، فجهزها وحملها إليه، فانظر رحمك الله تعالى، إلى الخلفاء الراشدين لم تمنعهم الخلافة عن قضاء الحوائج للناس والتواضع لهم.

(ولما فرض عمر) بن الخطاب، رضى الله عنه، فى ديوانه الذى رتب فيه الوظائف للناس، وهذا مما رواه الترمذى وحسنه، فلما عين من بيت المال لهم فرض **(لابنه عبد الله)** وظيفة **(فى ثلاثة آلاف)**، أى فى الطبقة التى واحد منها ثلاثة آلاف فى السنة، **(و)** فرض **(لأسامة بن زيد فى ثلاثة آلاف وخمسمائة)**، فجعل وظيفته من بيت المال فى رتبة أعلى من ابنه عبد الله.

(قال) جواب لما **(عبد الله)** ابنه **(لأبيه)** عمر، رضى الله تعالى عنهما، **(لم فضلته؟)** على بزيادة عطائه، **(فوالله ما سبقنى إلى مشهد)**، أى محل شهده الناس من الجهاد وخدمة الدين التى ترتب الوظائف بقدرها وبالتقدم فيها، **(فقال)** عمر **(له:)**، أى لابنه مجيبًا له **(لأن زيدًا)** أباه **(كان أحب إلى رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، من أبيك)**، يعنى نفسه، **(وأسامة أحب إليه منك)**، فتقديمه إنما هو لمحبة رسول الله، لا لسبقه لك، وهى أمر يقتضى التقديم وزيادة التكريم.

وهذا قيل: إنه تواضع منه لخدمته لموالى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وإلا فهو أحب إلى رسول الله؛ لحديث عمرو بن العاص قلت: يا رسول الله، أى الناس أحب إليك؟ قال: «عائشة»، قلت: من الرجال؟ قال: «أبوها»[1]، قلت: ثم من؟ قال: «عمر». ولك أن تقول: الأحبية تختلف، فأسامة، رضى الله تعالى عنه، أحبيته لكونه من خدمته المقربين له، فلا ينافى كون عمر أحب إليه من غير ذلك الوجه، فآثر القرب منه على غيره.

ثم إن ما ذكره من الفرض المذكور يخالفه ما فى الاستيعاب أنه فرض لأسامة خمسة آلاف، ولابنه ثلاثة آلاف، لكنه لا ينافى المقصود من القصة، وهذا كله من الغنائم كما فصلوه، **(فآثرت)**، أى أجزت وقدمت **(حب رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، على حبى)**، بضم الحاء فيهما، أى محبته، أو بكسرها، بمعنى محبوبه على محبوبى.

(وبلغ معاوية) بن أبى سفيان، رضى الله تعالى عنهما، فيما رواه ابن عساكر **(أن كابس بن ربيعة)** بن مالك بن لوى السامى البصرى، بسين مهملة من بنى سامة بن لوى،

---

(١) أخرجه البخارى (٦/٥، ٢٠٩)، ومسلم فى فضائل الصحابة (٧)، وأحمد (٢٠٣/٤)، والبيهقى (٣٧٠/٦، ٢٩٩/٧).

وكابس بكاف وباء موحدة بعد ألف وسين مهملة، وما قيل من أنه بمثناة تحتية وأنه صحح، وفي نسخة العزفي تلميذ المصنف تصحيف من ناقله، وقول القرطبي: إن المحفوظ فيه عابس الصحيح خلافه، **(يشبه برسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم)** بنوع من الشبه، وأين الثرى والثريا، **(فلما دخل عليه من باب الدار)**، الفاء دالة على مقدر، أي وجه له من أحضره، فلما دخل باب داره، **(قام عن سريره)**، فمشى له **(وتلقاه وقبل بين عينيه)** تكريمًا لمشابهته لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم.

وكان أنس بن مالك إذا رآه بكى لتذكره رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، **(وأقطعه المرغاب)** اسم أرض بمرو الشاهجان، أو قرية بهراة كانت ذات غلة كثيرة يرغب فيها، وهو بكسر الميم وغين معجمة وألف وباء موحدة قبلها راء مهملة، والإقطاع أن يفوض إليه أرضًا بتمليك ونحوه، ويسوغه لمن هو أهل له، وفي شرح أحكام عبد الحق، أنه اسم نهر بالبصرة، وما في القاموس مما يقتضي أن ميمه مفتوحة مخالف لما نقله أهل اللغة كأبي عبيد في معجمه، والظاهر أنه لا وجه له، وعبارته المرغاب ع ونهر بمرو الشاهجان وبلدة بهراة، وبالكسر سيف مالك بن حمار. انتهى.

وقوله: **(لشبهه صورة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم)** متعلق بما قبله جميعه، أي كل ما فعله معاوية، رضي الله تعالى عنه، من تعظيمه لمشابهته له، والصورة ظاهر الوجه وهيئة الإنسان وصفته، وصورة مضاف لما بعده مفعول أو منصوب منون تمييز للنسبة.

(وروى أن مالكًا)، هو ابن أنس الإمام المعروف، **(لما ضربه جعفر بن سليمان)** بن علي ابن عبد الله بن عباس، رضي الله عنهما، وجعفر هذا كان واليًا على المدينة من قبل عمه المنصور، **(ونال منه ما نال)** من تجريده من ثيابه وإهانته وسبه، وكان سببه أنه بلغه أنه يقول: إن الأيمان في بيعة الخلفاء ليست لازمة؛ لأن الناس يكرهون فيها، فغضب لذلك ودعاه، فحصل منه ما لا خير فيه، **(وحمل)** لمنزله **(مغشيًا عليه)** من الضرب، وإنه مدت يده حتى خلعت من كتفه، **(دخل عليه الناس)** جواب لما، **(فأفاق)** من غشيته، **(فقال: أشهدكم أني جعلت ضاربي)**، أي الآمر بضربي ومن باشره **(في حل)** بكسر الحاء، يقال: هو في حل من كذا، إذا أبرأ ذمته من عهدته.

(فسئل بعد ذلك) عن وجه ما قاله وإسقاطه حقه، **(فقال: إني خفت أن أموت)** مما فعله بي، **(فألقى النبي، صلي الله تعالى عليه وسلم)** في الدار الآخرة، **(فأستحيي منه)** لما يلحقني من الخجل منه خوفًا **(أن يدخل بعض آله)** من أقربائه **(النار بسببي)** جزاء له على ما فعله؛ لأن حق العبد لا يسقط إلا برضاه، وإذا لم يرض يعذبه الله عدلاً منه، فلذا قال حذرًا من ذلك، ولذا جزم بذلك، واحتمال إرضاء الله له وغيره أمر مخالف للظاهر، فلا

وجه للاعتراض على جزمه بذلك كما قيل، ولله در الإمام النووى فى قوله:

ما نال منى أو علقت بذمته أبرأته لله شاكر منته
والله ما طالبت عبدا بعده ولئن طلبت رجوت واسع رحمته
أأرى معوق مؤمن يوم الجزا ء وأن أسوء محمدًا فى أمته

(**وقيل: إن المنصور**) الخليفة العباسى المشهور (**أقاده من جعفر**)، أى أمر أن يقتص لمالك من جعفر، فيضرب كما ضربه، وسيأتى كلام فى قصاص الضرب، (**فقال: أعوذ بالله**) وألتجىء إليه فى الإعانة على عدم ما أريد، وهو عبارة فى العرب عن عدم الرضا، (**والله ما ارتفع سوط عن جسمى**) فى حال الضرب (**إلا وقد جعلته فى حل**) وأبرأت ذمته منه؛ (**لقرابته من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم**) تكريمًا له لتعظيمه ومحبته.

(**وقال أبو بكر بن عياش:**)، بفتح العين المهملة وتشديد المثناة التحتية وآخره شين معجمة، ابن سالم الأزدى المقرى، أحد الأعلام، اختلف فى اسمه، فقيل: شعبة، وقيل: اسمه كنيته، وشهرته تغنى عن ذكره، توفى سنة تسع وثلاثين ومائة فى جمادى الأولى، وعمره ستة وتسعون سنة (**لو أتانى أبو بكر وعمر وعلى**) فى حاجة أقدر عليها، (**لبدأت بحاجة على قبلهما**) وقدمته عليهما وهما ما هما إيثارًا عليهما؛ (**لقرابته**)، وفى نسخة: لقرباه (**من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم**)، لشدة قربه وصهارته، فتقدمه ذاتى وعرضى وقربهما منه لا يمنعه، (**ولأن أخر من السماء إلى الأرض**) هذا تمثيل لصعوبته، حتى أن مخالفته عنده أشد عنده من أنه يرفع إلى السماء ويرمى به منها إلى الأرض، فتنقطع وتتكسر جميع أعضائه، وخر بمعنى سقط، (**أحب إلىَّ من أن أقدمه عليهما**)، يعنى لولا قرابته منه صلى الله تعالى عليه وسلم ما قدمته عليهما مع علمى بأفضليتهما عليه، وإنما قدمه لما فيه من صلة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وشرف وكرم:

ولأجل عين ألف عين تكرم

ففى الكلام تقدم كما أشرنا إليه.

(**وقيل لابن عباس:**) كما رواه أبو داود والترمذى وحسنه (**ماتت فلانة**)، كناية عن امرأة معينة كما بينه بقوله: (**لبعض أزواج النبى صلى الله تعالى عليه وسلم**) ولم يعينوها، وقيل: هى ميمونة، وقيل: هى زينب، (**فسجد، فقيل له: أتسجد فى هذه الساعة؟**)، أى فى مثل هذه الساعة التى أخبرت فيها بهذه المصيبة، والسجود يكون لشكر ونحوه، (**فقال: أليس قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «إذا رأيتم آية فاسجدوا»**)، أى أمرًا عظيمًا فيه عبرة كالكسوف والخسوف، وجزم بعضهم بأنها ميمونة خالة ابن عباس، وهى آخر زوجاته صلى الله تعالى عليه وسلم موتًا، وفى انقراضهن يخشى رفع

الرحمة من الأرض وغضب الله على أهلها، وفى السجود والصلاة تذلل برفع غضب الرب، ولذا استحب بعضهم الصلاة للخسوف والزلزلة، **(وأى آية أعظم من ذهاب أزواج النبى صلى الله تعالى عليه وسلم؟)**، وغلق بابه فإنه أمر عظيم يورث حزنًا وأسفًا.

(وكان أبو بكر وعمر يزوران أم أيمن مولاة النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، ويقولان: كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يزورها)، فاقتديا به وأحبا ما أحب، واسمها بركة بنت حفص بن ثعلبة بن عمر بن حفص بن مالك بن سليمان بن عمر بن النعمان، كانت وصيفة لعبد الله بن عبد المطلب، تزوجها زيد مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فولدت له أسامة وهاجرت الهجرتين، وكانت آلت إليه من أبيه، وقيل: كانت لأمه، وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يحبها ويحب زوجها وابنها، ويقول: «هى أمى بعد أمى»، فلذا كان يزورها ويصلها، وكانت تحبه وتحضنه، وآمنت به صلى الله تعالى عليه وسلم قبل بعثته لأن أمه ذهبت به لأخواله بنى النجار بالمدينة، وأقامت شهرًا عندهم، فكان اليهود يختلفون وينظرونه، فسمعتهم أم أيمن يقولون: هذا نبى هذه الأمة، فرق ذلك فى قلبها، فهى أول من آمن به صلى الله تعالى عليه وسلم ثم رجعت به فماتت أمه بالأبواء وقبرها هنالك، فحضنته أم أيمن.

(ولما وردت حليمة السعدية) من بنى سعد، وهى أمه من الرضاعة، وهذا الحديث رواه ابن سعد، رحمه الله، **(على النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم)**، بعد هجرته، **(بسط لها رداءه)**؛ لتجلس عليه إكرامًا لها ولحق أمومة الرضاع، **(وقضى حاجتها)** التى سألته قضاءها، **(فلما توفى)**، صلى الله تعالى عليه وسلم، **(وفدت)**، أى جاءت وافدة وقادمة من محل بعيد، **(على أبى بكر وعمر)** فى خلافتهما لحاجة لها، **(فصنعا بها مثل ذلك)**، أى بسطا رداءهما وأكرماها وقضيا حاجتها تأسيًا به، صلى الله تعالى عليه وسلم، ومحبة لمن أحب.

واعترض عليه البرهان، وقال: إن التى قدمت عليه بنت حليمة المسماة بالشيماء، وهى التى أسلمت لا حليمة، كما ذكره الدمياطى وتبعه غيره، لكن رد عليه ذلك مغلطاى فى مؤلف له سماه التحفة الجسيمة فى إسلام حليمة، والحاصل كما تقدم أنهم اختلفوا فى إسلامها وأنها صحابية، وأنكره بعضهم، وقال: إنه غلط من بنتها الشيماء، فإنها أسلمت. وقال ابن عبد البر فى الاستيعاب: إنها أتته صلى الله تعالى عليه وسلم يوم حنين، فبسط لها رداءه، وأنه روى عنها حديث، ورد بأنه لم يصح، والتى أتته بنتها الشيماء بنت الحارث كما مر، واسمها حذافة، وأما هى فأتته صلى الله تعالى عليه وسلم زمن خديجة، فأعطاها أربعين شاة وجملاً، وانصرفت إلى أهلها و لم يذكر إسلامها إلا ابن

عبد البر أثبته وعدها فى الصحابة، وقال: هى أتته بحنين وروى عنها عبد الله بن جعفر، وذكر فى الوفاء أنها أسلمت هى وزوجها وبنتها، وكفى بهذا مستندًا للمصنف، فالمخطىء له مخطىء.

والشاهد فيما ذكره لما نحن فيه، أن أبا بكر أكرمها وعظمها اقتداء به، صلى الله تعالى عليه وسلم، ومحبة لمن أحبه، وهى فى حكم آل بيته؛ لأنها أمه من الرضاعة، وهى فى حكم القرابة، وهذا مع ظهوره لم يفهمه من قال معترضًا على المصنف، رحمه الله تعالى: إن هذه القصة لا مدخل لها فى هذا الفصل؛ لأنه معقود لتوقير آله وأصحابه تكريمًا له وتعظيمًا، وهذا إنما هو من قبيل تعظيم النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، نفسه لغيره، وهذه غفلة منه عجيبة.

* * *

(فصل ومن توقيره ﷺ وبره)

توقيره بتعظيمه، وبره مضاف إلى المفعول، بمعنى الإحسان، والمراد به رعاية جانبه، وصلته، **(توقير أصحابه وبرهم)**، أى تعظيمهم والإحسان إليهم بموالاتهم ونصرتهم، وكل ما يليق بهم قولاً وفعلاً، فإن من أكرم عظيمًا، أكرم أتباعه، والأصحاب جمع صاحب، وتعريفه كما تقدم: من رآه، صلى الله تعالى عليه وسلم، مؤمنًا به، ومات على ذلك، وتفصيله فى كتب الحديث والأصوليين، **(ومعرفة حقهم)**، أى ما يلزم لهم من تكريمهم، وحسن معاملتهم، وتنزيل كل منهم فى منزلته اللائقة به، وليس المراد به مجرد المعرفة، حتى يقال: ينبغى أن يقول: القيام بها؛ لأن ثمرة العلم العمل، ولذا عطف عليه قوله: **(والاقتداء بهم)**، أى اتباع أقوالهم وأفعالهم، فإنهم على هدى أضاءت فى مشكاتهم الأنوار النبوية، فهم خير الناس، ومجموعهم أفضل من مجموع من بعدهم.

وأما كون كل فرد منهم أفضل من كل فرد من غيرهم، فصرحوا بأنه لا يلزم، فقد يكون بعض التابعين أفضل من بعض الصحابة، واستدل لحديث: **(أمتى كالمطر، لا يدرى الخير فى أوله أم آخره)**، والمشاحة فيه بأنه باعتبار النفع لا لفضيلة غير مسلمة، وبالجملة فكلهم عدول مطلقًا، صغيرهم وكبيرهم.

(وحسن الثناء عليهم)، إذا ذكروا مدحوا، **(والاستغفار لهم)**، أى الدعاء لهم بالمغفرة والرحمة نحو: رحمهم الله ورضى عنهم، **(والإمساك)**، أى السكوت، يقال: أمسك عن ذكره، إذا سكت، وهو مجاز صار حقيقة فيه، **(عما)**، أى عن كل أمر **(شجر بينهم)**، أى وقع فيه خلاف ونزاع، مأخوذ من الشجر المختلف المتداخل أغصانه بعضها فى بعض، وفى الحديث: «إياكم وما شجر بين أصحابى»، **(ومعاداة من عاداهم)**، كالخوارج

والرافضة، **(والإضراب)**، أى الترك والإعراض، **(عن أخبار المؤرخين)**، التى نقلوها عنهم، فإنها تورث تنقيص بعضهم بما نقلوه، **(وجهلة الرواة)** الذين رووا قصصًا باطلة تؤدى لسوء ظن بهم.

(وضلال الشيعة)، بضم الضاد المعجمة وتشديد اللام، جمع ضال، والشيعة كل فرقة تابعة لأحد، ثم خصت بفرقة مخصوصة شايعوا عليًّا وبالغوا فيه، وقالوا: إن الإمامة حقه وحق بنيه دون غيرهم، وهو من إضافة الصفة لموصوفها، أى الشيعة، والصفة كاشفة معرفة لا مقيدة حتى يتوهم أن من الشيعة فرقة غير ضالة، وهى مقيدة للمعطوف والمعطوف عليه، أعنى قوله: **(والمبتدعين)**، فإن البدعة على أقسام كما تقدم، والمراد ابتداع العقائد الفاسدة كالخوارج وبعض المعتزلة.

وقوله: **(القادحة)** صفة إخبار، والقدح الذم والتنقيص بذكر ما يؤدى إليه **(فى أحد منهم)**، أى من الصحابة، **(وأن يلتمس لهم)**، أى يطلب لهم، وأصله إدراك ظاهر البشرة كالمس، فعبر به عن مطلق الطلب، **(فيما نقل عنهم من مثل ذلك)** الأمر المنقول عنهم فى الأخبار المروية **(فيما كان بينهم من الفتن)** كما وقع بين على ومعاوية، رضى الله تعالى عنهما، **(أحسن التأويلات والمحامل)**؛ لأنها أمور وقعت باجتهاد منهم، لا لأغراض نفسانية ومطامع دنيوية كما يظنه الجهلة، **(ويخرج)** بضم أوله مجهول، كقوله: يلتمس، المتقدم أيضًا **(أصوب المخارج)** بأن يحمله على أمر محمود، ويأوله بما يخرجه عن عده من المعايب إلى إلحاقه بالمحاسن، **(إذ هم أهل ذلك)**، أى مستحقون بأن يحمل ما صدر منهم على أمور حسنة محمودة.

(ولا يذكر)، مبنى للمجهول **(أحد منهم بسوء)**، أى بأمر قبيح، **(ولا يغمص عليه أمر)** بضم الياء التحتية، وسكون العين المعجمة، وميم مفتوحة، وصاد مهملة، مبنى للمجهول، أى لا يعاب ولا ينقص فى أمر من أموره، يقال: غمصه، إذا احتقره وتهاون به، وجوز فيه أيضًا إعجام ضاده من أغمض الجفن، إذا أطبق بعضه على بعض، ثم استعير للتغافل والتساهل، قال الله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ﴾ [البقرة: ٢٦٧]، فالمعنى لا يحتقر، والأول أولى رواية ودراية، **(بل يذكر حسناتهم)** المروية من عبادتهم وزهدهم، **(وفضائلهم)** الكثيرة من علمهم وكرمهم وحلمهم، **(وحميد سيرهم)** من إنصافهم وعدلهم وإصابة رأيهم وعلو هممهم، **(ويسكت)**، مبنى للمجهول **(عما وراء ذلك)**، أى عن غيره مما لا يليق بشرف مقامهم.

(كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم): فى حديث رواه الطبرانى وابن أبى أسامة، عن ابن مسعود **(إذا ذكر أصحابى)** بذكر أحوالهم، **(فأمسكوا)** عن الطعن فيهم وذكرهم بما

يوهم نقصًا فيهم، (**قال الله تعالى**: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ﴾ [الفتح: ٢٩] **إلى آخره**)، فتضمن خاتمة سورة الفتح الثناء عليهم كلهم، وأن الله تعالى وعدهم بمغفرته وأجر عظيم منه، وأنهم من ابتداء أمرهم إلى آخره نفع وخير، كزرع تكامل شيئًا فشيئًا حتى تمت سنابله وعم نفعه، والآية وما فيها من التفاسير قد كفينا مؤنته هنا، والذى يراد منها هنا أن من مدحه الله وبالغ فى مدحه فى كتبه المنزلة على رسله لا يحتاج لمدح، فكيف يقدح فيه قادح؟ لكنى أقول:

أعمى البصائر بالتكحل يذهب

(**وقال**) الله تعالى عز وجل فى حقهم أيضًا: (﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ [التوبة: ١٠٠] **الآية**)، وفى هذه الآية مدح عظيم أيضًا لهم، ووعد عظيم بما لهم فى العقبى، وهم على طبقات ثلاث:

الأولى: السابقون الأولون الذين صلوا للقبلتين وشهدوا بدرًا، والذين أسلموا قبل الهجرة.

الثانية: السابقون الأولون للبيعة، وهم الأنصار أصحاب العقبة الأولى والثانية.

والثالثة: الذين اتبعوا هؤلاء بإحسان، وهم اللاحقون بالسابقين من أهل القبلتين، وشمل هؤلاء كلهم الثناء والوعد، وقد قسموا أقسامًا أخر ليس هذا محل تفصيله.

(**وقال الله تعالى**: ﴿۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾) [الفتح: ١٨]، وهذه قصة الحديبية، وما وقع فيها مما تغنى شهرته عن ذكره، (**وقال الله تعالى**: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣] **الآية**)، هذه الآية قدمنا أنها نزلت فى ناس من الصحابة، منهم أنس بن النضر عم أنس بن مالك، كان لم يشهد بدرًا، فكبر عليه ذلك، فقال: أول مشهد لرسول الله غبت عنه، والله لئن أرانى الله مشهدًا بعده ليرين الله ما أصنع، فلما كانت وقعة أُحُد من العام القابل، قاتل فيها حتى قتل، ومنهم حمزة، وسعد بن معاذ، وطلحة بن عبيد الله.

(**حدثنا القاضى أبو على**)، هو ابن سكرة، كما تقدم، قال: (**حدثنا أبو الحسين**)، تقدم أيضًا، (**وأبو الفضل بن خيرون، قالا: حدثنا أبو يعلى**)، أحمد بن عبد الواحد البغدادى، وقد تقدم، (**قال: حدثنا أبو على السنجي**)، قال: (**حدثنا محمد بن محبوب**)، المعروف بالمحبوبى كما تقدم، قال: (**حدثنا الترمذى**)، الحافظ أبو عيسى، صاحب السنن، قال: (**حدثنا الحسن بن الصباح**)، هو البزار، براء مهملة فى آخره، كما تقدم، وهو الحسن ابن محمد بن الصباح أبو على الزعفرانى، قال: (**حدثنا سفيان بن عيينة**)، كما تقدم أيضًا، (**عن زائدة**) بن قدامة أبو الصلت الثقفى، الكوفى، الحافظ، الثقة، الحجة، توفى غازيًا

بالروم سنة ستين أو إحدى وستين ومائة، وأخرج له الستة، **(عن عبد الملك بن عمير)** الكوفى، التابعى، روى عنه الستة، توفى سنة ست وثلاثين ومائة، **(عن ربعى)**، بكسر الراء المهملة، وسكون الموحدة، **(ابن حراش)** بكسر الحاء، وفتح الراء المهملتين، وآخره شين معجمة، وما عداه خراش بخاء معجمة، وهو أبو مريم العبسى.

(عن حذيفة) ابن اليمانى، بإثبات الياء، وهو الأفصح، وتحذف، وهو الصحابى المشهور، **(قال: قال رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم)**: فى حديث رواه الترمذى، وابن ماجه، **(اقتدوا باللذين من بعدى: أبى بكر، وعمر)**، أراد بهم الخلفاء الراشدين مطلقًا، وخص منهم أبو بكر وعمر؛ لزيادة فضلهما وتقدمهما على غيرهما، وهذا الحديث أخرجه الحاكم، وابن حبان أيضًا، وفى طرقه اختلاف بزيادة ونحوها، وأوله قال حذيفة: كنا جلوسًا عنده، صلى الله تعالى عليه وسلم، فقال: «إنى لا أدرى ما بقائى فيكم، فاقتدوا باللذين من بعدى»[1]، وأشار إلى أبى بكر وعمر.

وأخرجه القصار بلفظ: «اقتدوا بالذين من بعدى، أبى بكر وعمر، فإنهما حبل الله تعالى الممدود، من تمسك بهما فقد تمسك بعروة الله الوثقى، لا انفصام لها»[2]، والمراد الاقتداء بهما إذا قاما مقامه فى الخلافة، وهو دليل على خلافتهما، وعلى أن قول الصحابى حجة مقدمة على القياس، ومنهم من خصه بأبى بكر وعمر، واستدل بهذا الحديث كما فصل فى كتب الأصول.

(وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم، فى حديث آخر رواه الدارقطنى، وابن عبد البر فى العلم من طرق أسانيدها كلها ضعيفة، حتى قال ابن حزم: إنه موضوع. وقال الحافظ العراقى: كان ينبغى للمصنف، رحمه الله، أن لا يورده بصيغة الجزم، وما قيل من أنه ليس بوارد؛ لأن المصنف، رحمه الله، ساقه فى فضل الصحابة، وقد اتفقوا على جواز العمل بالحديث الضعيف فى فضائل الأعمال، فضلاً عن فضائل الرجال لا وجه له؛ لأن قوله: **(أصحابى كالنجوم، بأيهم اقتديتم اهتديتم)**، فيه العمل بما فعلوه وقالوه من الأحكام، وليس هذا من قبيل الفضائل التى يجوز العمل فيها بالضعيف، فلو قال: إنه بمعنى الحديث الذى قبله، وهو حديث صحيح يعمل به، ولذا ساقه بعده كالمتابعة له، ولذا جزم به كان أقوى وأحسن مما قاله، وقال ابن الرومى، رحمه الله تعالى[3]:

---

(١) أخرجه أحمد (٥/٣٨٥)، والترمذى (٣٦٦٣)، وابن ماجه (٩٧)، والبيهقى (٥/١٥١)، وابن أبى شيبة (١٢/١١، ١٤/٥٦٩).

(٢) أخرجه أحمد (٥/٣٨٢، ٣٨٥، ٣٩٩، ٤٠١، ٤٠٢)، والترمذى (٣٦٦٢)، والحاكم (٣/٧٥)، وابن حبان (٢١٩٣)، والطبرانى (٩/٦٨)، والحميدى (٩٤٩).

(٣) البيتان من الكامل، وهما فى ديوان ابن الرومى (ص٢٣٤٥).

قوم إذا دجت الخطوب فإنما آراهم في الحادثات نجوم
منها مصابيح الدجى ومعالم فيها الهدى والأخريات رجوم

وليس هذا مع ما قبله حديثًا واحدًا كما نبه عليه المصنف بقوله، وقال: فوجه التشبيه ما ذكر من العلو والشرف.

(وعن أنس) بن مالك فيما رواه البزار وأبو يعلى، **(قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: مثل أصحابى)** زاد فى المصابيح: «فى أمتى»، **(كمثل الملح فى الطعام)**، أى فيما يطبخ ويؤكل مما يعتاد إصلاحه بالملح، ووجه الشبه الإصلاح، وإن ضر كثير الملح وأصلح قليله، ولدفع توهم ضرر كثرتهم، قال: **(لا يصلح الطعام)**، بالبناء للفاعل ويجوز بناؤه للمفعول أيضًا، **(إلا به)**، أى بوضعه فيه، وهذا الحديث رواه ابن أبى حاتم وغيره من طرق مختلفة.

وقال الحسن البصرى: قد ذهب ملحنا، فكيف نصلح؟ وإصلاحهم بإرشادهم وهدايتهم وحثهم على الطاعات، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وخلافتهم وبيان الشريعة وأمور الدين، فعلينا باتباعهم واقتفاء آثارهم، ومن أشراط الساعة فساد العلماء، كما قيل:

بالملح يصلح ما يرجى تغيره فكيف بالملح إن حلت به الغير؟

قيل: فيه دقيقة، وهى الإشارة إلى الاعتدال، وأنهم أمة وسط، ولا يخفى بعده، ولو قيل: إنه إشارة إلى قلتهم وسرعة انقراضهم، كان أظهر، فتأمل.

(وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث تقدم: **(الله الله فى أصحابى)**، أى اتقوا الله فيهم، وكرره للحث والتأكيد، وهو منصوب على التحذير بعامل يجب حذفه؛ لقيام التكرير مقامه ولولاه حسن إظهاره كما قاله ابن مالك. وفى البسيط يجوز إظهاره. وقال الجزولى: إنه يجوز مع قبحه.

(لا تتخذوهم غرضًا بعدى)، الظرف متعلق بالفعل لا صفة غرضًا، والغرض الهدف الذى يرمى به السهام، والمعنى لا تذموهم وتطعنوا فيهم بإسناد أمور قبيحة لهم، **(فمن أحبهم)** وصان أعراضهم، **(فبحبى أحبهم)**، أى فإنما يحبهم لأجل محبتى لهم، فمحبتهم عين محبتى، وبرهم برى، **(ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذانى، ومن آذانى فقد آذى الله)**، أذية الله عبارة عن فعل ما لا يرضاه، إذ معناها الحقيقى لا يتصور فى حقه، فهو مشاكلة، **(ومن آذى الله يوشك)**، بكسر الشين وقد تفتح، بمعنى يقرب ويسرع، **(أن يأخذه)**، أى يهلكه ويستأصله بعذابه، ويوشك يجوز رفعه وجزمه؛ لأن من شرطية أو موصولة، ورواه فى المصابيح: فيوشك، بالفاء والرفع بتقدير مبتدأ، أو هو

مستأنف، دليل على الجواب.

(**وقال**) صلى الله تعالى عليه وسلم، فى حديث رواه مسلم وغيره: (**لا تسبوا أصحابى، فلو أنفق أحدكم مثل أحُد ذهبًا**)، وفى بعض الروايات من طريق أبى بكر بن عياش زيادة: «كل يوم»، وأحُد اسم جبل معروف، أى لو بذل فى سبيل الله مقدار وزنه ذهبًا، (**ما بلغ**)، أى ما وصل وساوى ثوابه ثواب (**مد أحدهم ولا نصيفه**) الذى يتصدق به من تمر أو شعير أو قمح ونحوه، ففيه من المبالغة ما لا يخفى، والمد بضم الميم: ربع صاع، وهو أقل ما يتصدق به عادة، وهو رطل وثلث عراقى عند الشافعى، ورطلان عند أبى حنيفة، رحمه الله تعالى.

وروى: مد، بفتح الميم، أى مداه وغايته، كمد البصر ومداه، والنصيف بفتح النون وكسر الصاد المهملة بوزن رغيف، وفيه أربع لغات، نصف بكسر النون وضمها وفتحها، ونصيفة بزيادة تحتية لغة فى النصف كثمين بمعنى ثمن، وقيل: النصيف مكيال دون المد، أى أعلى صدقتكم وإنفاقكم لله لا يبلغ أجره وموقعه عند الله أقل صدقتهم؛ لسبقهم فى الخير وخلوص نيتهم بدون رياء منهم، وقد أنفقوا، رضى الله تعالى عنهم، وهم فى فاقة وقلة، ومن بعدهم أنفق والدنيا واسعة دارة عليهم، مع شدة الحاجة لما أنفقوه فى أول ظهور الإسلام وقتال أعداء الدين، مع بذلهم من مالهم وأهلهم وأرواحهم فى سبيل الله، كما قيل:

رأيت عبيد الله أكرم من مشى ... وأكرم من فضل بن يحيى بن خالد
أولئك جادوا والزمان مساعد ... وقد جاد ذا والدهر غير مساعد

ولمهيار:

جدت وقارا والزمان هازلى ... وجاد عفوا والزمان جامد

والخطاب للموجودين من غير الصحابة، ولمن يوجد بعدهم كما قيل، أو المراد بأصحابه هنا السابقون الأولون منهم، كما قال الله: (﴿**لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً**﴾ [الحديد: ١٠] **الآية**)، فالأصحاب جماعة مخصوصون منهم، واختلف فى حكم من سبهم، هل هو كبيرة يعزر فاعله، أو كفر فيقتل؟ وسيأتى تفصيله آخر الكتاب.

(**وقال**) صلى الله تعالى عليه وسلم فيما رواه الديلمى وأبو نعيم فى الحلية، عن جابر: (**من سب أصحابى فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين**)، اللعنة بمعنى الإبعاد والطرد، والمراد بعده من رحمة الله، وبهذا تمسك من قال بكفره وقتله، ومثله كثير فى أحاديث التهديد والتخويف، حتى لا يتجرأ عليه أحد من الناس، (**لا يقبل الله منه**)، أى ممن سبهم

(**صرفًا ولا عدلاً**)، فى تفسيرهما أقوال، فقيل: الصرف التوبة، وقيل: التصرف فى الأمور، وقيل: التطوع، وقيل: الوزن، وقيل: الغنيمة، وقيل: المثل، وقيل: ما تصرف فيه، وقيل: الزيادة، والعدل، قيل: الفرض، وقيل: الفدية، وقيل: المكيل، وقيل: المثل، وقيل: الفضل.

قال النووى: ومعنى الفدية أنه لا يجد فى يوم القيامة من يفتدى به، فإن بعض المؤمنين قد يفديه الله ببعض الكفار كما ورد فى الحديث.

(**وقال صلى الله تعالى عليه وسلم: إذا ذكر أصحابى فأمسكوا**)، أى إذا ذكروا بسوء وغيبة، فاتركوا ذلك ولا تخوضوا مع الخائضين فيهم، وقد تقدم هذا وبيانه.

(**وقال فى حديث جابر**)، رضى الله عنه، الذى رواه البزار والديلمى عنه، صلى الله تعالى عليه وسلم: (**إن الله اختار أصحابى على جميع العالمين**)، أى فضلهم على الناس كلهم، وجعلهم خيرة خلقه عدولاً أتقياء كلهم، (**سوى الأنبياء والمرسلين**)، فإنهم أفضل منهم، (**واختار لى منهم**)، أى من الصحابة فضلهم على غيرهم من الصحابة (**أربعة أبا بكر، وعمر، وعثمان، وعليًّا**).

وقد روى الترمذى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم رأى أبا بكر وعمر، فقال: «هذان السمع والبصر»، ثم فسر اختيارهم له بقوله: (**فجعلهم خير أصحابى**) وأفضلهم، (**وفى أصحابى كلهم خير**)، أى فضل وتقوى، فكلهم علماء عدول، كما فى حديث: «خير القرون قرنى، ثم وثم»[1]، وهذا سبب ما حكاه إمام الحرمين، رحمه الله تعالى، من الإجماع على عدالتهم كلهم، صغيرهم وكبيرهم، فلا يجوز الانتقاد عليهم بما صدر عن بعضهم، مما أدى إليه اجتهاده، لما أوجب القطع بأنهم خير الناس بعد النبيين والمرسلين، ولما ألفوه من الهجرة وترك الأهل والأوطان، وبذل النفوس والأموال فى نصرة الدين، وقتل الآباء والأبناء، والمناصحة فى الدين، وقوة الإيمان واليقين، وغير ذلك من المنح الإلهية.

(**وقال، صلى الله تعالى عليه وسلم:**) فى حديث رواه الطبرانى فى أوسطه بسند حسن (**من أحب عمر فقد أحبنى، ومن أبغض عمر فقد أبغضنى**)، خصه بذلك لما كان فيه من الشدة على أمور الدين التى قد تورث حزازة فى بعض النفوس القاصرة، ولا يلزم منه تفضيله على أبى بكر، رضى الله عنه، وقد جعل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بغضه نفاقًا؛ لأن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أحبه وقدمه وارتضاه، فعدم ارتضائه يفضى إلى عدم ارتضاء رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، كما قيل:

---

(١) أخرجه الترمذى (٢٣٠٢، ٢٣٠٣)، وأبو نعيم فى الحلية (١٧٢/٤)، والخطيب فى تاريخه (٥٣/٢).

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه

نكتة من خصائص أبى بكر وعمر أنهما جليساه وضجيعاه فى حياته ومماته، وقد ورد فى حديث أن كل أحد يدفن بتربته التى خلق منها، وهو يدل على أنهما خلقا من طينة واحدة، وليس بعد هذه المنقبة شرف أعظم منها.

(**وقال مالك بن أنس**) شيخ السنة، وإمام دار الهجرة (**وغيره**:) من الأئمة، إشارة إلى أنه لم ينفرد بهذا الاستنباط، فإنه سبق له ابن عباس كما نقله ابن تيمية فى كتاب رد الروافض (**من أبغض الصحابة وسبهم فليس له فى فيء المسلمين حق**)، الفيء ما أخذ من غنيمة الكفار، وهو مرصد للمسلمين، فعدم نصيبه منه عقوبة له على ما فعله، وفيه إشارة إلى أنه يخرج بذلك عن الإسلام، ولذا حكم بعض المالكية بقتله إن لم يتب، والفيء هنا شامل للغنيمة، فإن كلا منهما يطلق على الآخر، وإن فرق بينهما الفقهاء وأهل اللغة.

وقد قال مشايخنا فى هذا ونحوه: إنه كالمسكين والفقير إذا افترقا اجتمعا، وإذا اجتمعا افترقا، وهو معنى بديع سمعته من شيخنا النور الزيادى (**ونزع**) بنون وزاء معجمة وعين مهملة مبنى للفاعل، ويجوز جعله مبنيًا للمجهول أيضًا، فعلى الأول فاعله ضمير من ذكر أو ضمير مالك وغيره، وعلى الثانى نائب فاعله قوله: (**بآية**) سورة (**الحشر**)، وقيل: ضمير من أبغضهم، وفيه نظر، وفسر نزع بمعنى استدل واستخرج من الآية، وسيأتى فى آخر الكتاب.

قال مالك: من انتقص أحدًا من أصحاب رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، فليس له فى هذا الفيء حق، قد قسم الله الفيء فى ثلاثة أصناف، فقال: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ [الحشر: ٨] الآية إلى آخره، فمن انتقصهم فلا حق له فى الإسلام، وعطف سبهم على أبغض عطف تفسيرى؛ لأن البغض أمر قلبى لا يطلع عليه، وهذا قوى أماراته، فلا يرد عليه أن تعليق الحكم بهما يقتضى أنه لا يكفى أحدهما فيه، وهو محل نظر كما قيل، ومن فسر نزع ببعد عن الإيمان بشهادة حديث: «الله الله فى أصحابى»، إلى آخره لم يصب.

وأصل معنى النزع القلع والخروج، فيجوز به عما مر، فليس من النزوع عن الأوطان والتقرب كما توهمه هذا القائل، والآية المذكورة، قوله تعالى: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ [الحشر: ٧] إلى قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

ووجه الاستدلال بالآية أنه جعل ما أفاء الله على رسوله حقًا للفقراء المهاجرين، والفقراء الذين تبوؤا الدار، والفقراء الذين جاءوا من بعدهم مهاجرين بعدما قوى الإسلام، والتابعين لهم بإحسان ممن آمن بعد المهاجرين والأنصار إلى آخر الزمان، وجملة يقولون إلى آخره حال، أى القائلين: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا﴾، وهى حال مقيدة، فجعل شرط استحقاقهم قولهم ذلك، ومن لم يسبهم لم يقل ذلك لاقتضائه محبتهم والشفقة عليهم، وأنهم لا غل ولا بغض لهم فيهم، حيث قالوا: ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، وسيذكره المصنف، رحمه الله تعالى، فى آخر الكتاب.

ثم إنه بين أن هذه يقتضى كفرهم والكفار لا حق لهم فى الفىء، فلذا قال: **(وقال)** مالك بن أنس: **(من غاظ)** بظاء مشالة، قيل: وبالضاد المعجمة أيضًا، وهو لغة فيه لا إبدال، واختلف فى الغيظ والغضب، هل هما بمعنى أو الغيظ أشد الغضب، أو الكمين فى النفس، أو الغضب للقادر والغيظ للعاجز، أى من اغتاظ واحتد إذا ذكر **(أصحاب محمد)** عنده، **(فهو كافر)**؛ لأن من أبغضهم فقد أبغضه، صلى الله تعالى عليه وسلم، وبغضه كفر.

وهذا رواه الخطيب البغدادى، عن عروة الزبيرى، قال: كنا عند مالك بن أنس، فذكر عنده رجل انتقص الصحابة، فتلا قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ [الفتح: ٢٩] إلى آخره، وقال: من أصبح فى قلبه غيظ على أصحاب محمد، فقد أصابته هذه الآية؛ لأنها صدرت بلام التعليل، وهى إما علة لما قبلها من تشبيههم بالزرع فى النمو والاستحكام، ثم ذكر أنه إنما شبههم بذلك لغيظهم، **(قال تعالى:** ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ [الفتح: ٢٩]**)**، فالمؤمن لا يكون عنده غيظ منهم، أو علة لقوله بعده: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الفتح: ٢٩] منهم فإنما وعدهم لغيظ الكفار بوعده لهم، والحاصل أنه لا يغيظ بأصحابه مؤمنًا من غيرهم، فخرج غيظ بعضهم على بعض لما أداه إليه اجتهاده.

(وقال عبد الله بن المبارك: خصلتان من كانتا فيه نجا)، من أكل أمر يشينه وينقصه عند الله **(الصدق)** بأن يتحرى الصدق فى جميع أقواله حتى يكون عند الله صديقًا، **(وحب أصحاب محمد)** صلى الله تعالى عليه وسلم، كبيرهم وصغيرهم، حتى يقدمهم على نفسه وأهله، وليس هذا من كلام ابن المبارك، بل هو حديث رواه ابن مسعود عنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، أنه قال: «إن الصدق يهدى إلى البر، وإن البر يهدى إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقًا، وإن الكذب يهدى إلى الفجور، وإن

الفجور يهدى إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابًا»[١]. وقد روى من طريق آخر بمعناه، وترتب النجاة على ما ذكر سر من أسرار الله يطلع عليه من شاء من خلص عباده، ومنهم ابن المبارك وناهيك به.

(**وقال أيوب السختيانى**): التابعى المشهور (**من أحب أبا بكر، فقد أقام الدين**)؛ لأن الدين استقام به فى صحبته لرسول الله فى أول الإسلام، وفى أول الهجرة، وفى قيامه مقامه بعد وفاته، وقد تزلزل الناس وارتد بعضهم، وفاض النفاق وانفرج الخلاف بين القول والعمل، وقد نزل بهم ما لو نزل بالجبال هاضها، فحمل أعباء الخلافة حتى قر الدين، وفاء من فاء، ومن أحب أحدًا كان معه وتخلق بأخلاقه.

(**ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل**)، أى بين طريق الحق لمن أراد سلوك الطريق المستقيم؛ لأنه بعده، صلى الله تعالى عليه وسلم، أظهر الدين وأنعم به على الأقطار، وقضى لأهله الأوطار، ففتح الفتوح حتى بلغ صيت الإسلام أقصى الأرض كما فى حديث الشيخين هنا: «بينا أنا نائم رأيتنى على قليب عليها دلو، فنزعت فيها ما شاء الله، ثم أخذها ابن أبى قحافة، فنزع بها ذنوبًا وذنوبين، وفى نزعه ضعف، والله يغفر له، ثم استحالت غربًا، أى دلوًا كبيرًا، فأخذها ابن الخطاب، فلم أر عبقريًا من الناس ينزع نزع عمر»[٢]، وفى رواية: «فلم أر عبقريًا من الناس يفرى فريه حتى ضرب الناس بعطن»، وهو تمثيل لطول مدة خلافته وكثرة فتوحاته فى الإسلام.

(**ومن أحب عثمان فقد استضاء بنور الله**) الذى أظهره الله فيه، ولذا لقب بذى النورين؛ لما فيه من الكرم، والحلم، والزهد، والورع، والصبر على ما ابتلاه الله به حتى لقى الله وهو عنه راض، وكان أشد الناس حياء.

(**ومن أحب عليًّا، فقد أخذ بالعروة الوثقى**)، أى تمسك بها لكونه عالمًا بعلم الحقيقة وقائمًا بالذب عن حوزة الدين لا يلحقه فى الله لومة لائم، وهو باب مدينة العلم، فمن أحبه فهو مستمسك بالعروة الوثقى، أى بالحق والرأى القويم الذى هو عروة لا تنفصم، وهو استعارة مصرحة من عروة الكلام، وهو ما له أصل ثابت وأطراف لا تنقص إذا سقت الأوراق.

(**ومن أحسن الثناء**) بمدح ناشئ عن محبة خالصة، فإن الظاهر عنوان الباطن (**عن**

---

(١) أخرجه البخارى (٨/٣٠)، ومسلم فى البر والصلة (١٠٣، ١٠٤)، وأحمد (١/٣٨٤، ٤٣٢)، والدارمى (٢/٢٩٩)، والحاكم (١/١٢٧)، والبيهقى (١٠/١٩٦).

(٢) أخرجه البخارى (٥/٧)، والنسائى فى فضائل الصحابة (١٧)، والبيهقى (٨/١٥٣)، وابن أبى عاصم فى السنة (٢/٦٢٥)، والبيهقى فى دلائل النبوة (٦/٣٤٤).

أصحاب محمد) تعميم بعد التخصيص، **(فقد برىء)**، أى سلم وخلص **(من النفاق)**، المراد به معناه العرفى، وهو مخالفة الظاهر للباطن مطلقًا، وأصله إخفاء الكفر وإظهار الإسلام، ويجوز أن يراد هذا، والمراد بالثناء ثناء من غير غلو كغلو الشيعة، **(ومن انتقص)**، أى أبغض **(أحدًا منهم)** بذمه، وذكر ما يشينه، **(فهو مبتدع)**؛ لمخالفته السنة وإتيانه ما نهى الله تعالى عنه ورسوله.

وفى نسخة: أبغض، ثم فسر المبتدع بقوله: **(مخالفة للسنة)**، أى لهديه وطريقته، صلى الله تعالى عليه وسلم، فى جميع أقواله وأفعاله، **(والسلف الصالح)** من الصحابة والتابعين، **(وأخاف)**، أى أظن أو أعلم، **(أن لا يصعد له عمل)** من أعماله الصالحة، أى لا يقبله الله تعالى منه ولا يثيبه عليه، ورفع الأعمال يعبر به عما ذكر، وليس الخوف بمعناه الحقيقى، وهو ضد الأمن لعدم مناسبته هنا.

قال الراغب: الخوف يوقع فى مكروه عن أمارة مظنونة أو معلومة، وفسر قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا**﴾ [النساء: ٣٥] بعرفتم انتهى **(إلى السماء)**؛ لعدم تمسكه بالكتاب والسنة **(حتى يحبهم جميعًا ويكون قلبه سليمًا)**، من بغضهم مقتديًا بالسلف الصالح.

(وفى حديث خالد بن سعيد:) بن العاص بن أمية بن عبد شمس الصحابى، وهو ثالث أو رابع أو خامس من أسلم وسبق غيره، ويقال: أسلم قبل الصديق، ويقال: أسلم قبل على، وليس فى الصحابة من اسمه خالد بن سعيد غيره، ولم يرو عنه حديث فى الكتب الستة، ولا فى مسند أحمد ولا فى مسند بقى بن مخلد، وهذا الحديث رواه الطبرانى وابن منده، وما ذكره المصنف، رحمه الله تعالى، نقله البرهان الحلبى.

وقال غيره: إنه خالد بن عمر بن سعيد، فسعيد جده، وذكره ابن عبد البر فى الاستيعاب، وذكر سبب إسلامه فى واقعة رآها، وخالد بن سعيد إن كان غير المذكور؛ لأنه لم يشتهر عنه الرواية، فالحديث مرسل، وإلا فمعضل، والظاهر هو المقدم، وأول هذا الحديث أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، لما قدم من حجة الوداع المدينة صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أيها الناس...» إلخ، **(أن النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، قال: أيها الناس، إنى راض عن أبى بكر، فاعرفوا له ذلك)**، أى رضاى عنه فى صحبته له، وأنه لم يأل جهدًا فى خدمته، ولم يفارقه فى حياته ومماته، ولم ير منه إلا ما يسره، وفى تقديمه وإفراده له بالذكر، وعدم تشريكه له مع غيره ما يدل على خلافته له، وفضله على سائر الصحابة، وهو صريح فيه إلا عند من ختم الله على سمعه وقلبه، وسيأتى الكلام أن من أنكر خلافة أبى بكر يبدع ولا يكفر، ومن سب أحدًا من

الصحابة و لم يستحل يفسق، وإلا كفر.

(**أيها الناس، إنى راض عن عمر، وعن عثمان، وعن على، وعن طلحة والزبير**) بن العوام، رضى الله عنهم، (**وسعد**) بن أبى وقاص، (**وسعيد**) بن زيد بن عمرو بن نفيل، (**وعبد الرحمن بن عوف**) الزهرى، (**فاعرفوا لهم ذلك**)، أى كونوا راضين عنهم، والمراد بمعرفتهم رعاية حقوقهم وتوقيرهم ومحبتهم، والواو لا تدل على الترتيب، وإن كان أهل السنة على تقديم أبى بكر، ثم عمر بالاتفاق، واختلفوا فى عثمان وعلى، أيهما أفضل؟ والمشهور تقديم عثمان، ومنهم من قدم عليًّا، ومنهم من توقف فى أيهما الأفضل، وأن هذه المسألة غير قطعية عندهم، لكن الذى عليه اعتقاد السلف الصالح واعتقادنا ما ذكر، وبقية الصحابة لم ينصوا على شىء فيهم، و لم يذكر عاشرهم، وهو أبو عبيدة بن الجراح؛ لدخوله فى الصحابة وشهرته.

(**أيها الناس، إن الله قد غفر لأهل بدر**) كلهم جميع ما صدر منهم؛ لحضورهم أول مشهد أعز الله به الإسلام والمسلمين، وبدر اسم موضع معروف سميت باسم رجل حفر بئرها كما تقدم، (**و**) أهل (**الحديبية**) بتشديد الياء وتخفيفها، وهى اسم مكان قريب من مكة من الحرم أو خارجه أو بعضه منه، **أقول**: وفيه الشجرة التى كان تحتها بيعة الرضوان، وقصتها معروفة فى السير، وقد تقدم ذكرها.

(**أيها الناس احفظونى**)، أى احفظوا حقى وقدرى، برعاية ما يجب منه، كما تقدم تفصيله، (**فى أصحابى**)، أى وحفظ حقى يتم ويتحقق بحفظ أصحابى ومحبتهم وتوقيرهم، وأن من أبغضهم يبغضنى و لم يحفظنى، ثم خص بعد التعميم، احتياطًا وحثًا بقوله: (**وأصهارى وأختانى**)، الأصهار جمع صهر، بكسر فسكون.

قال الجوهرى: هم أهل المرأة عن الخليل. قال: ومن العرب من يجعل الصهر من الأحماء والأختان جميعًا، والختن بفتحتين، واحد الأختان، كل من كان من قبل المرأة، كالأب والأخ، وعند العامة ختن الرجل زوج ابنته، وكل شىء من قبل الزوج، فهو حمو، وفيه لغات مشهورة، فالمراد بهما هنا من بينه، صلى الله تعالى عليه وسلم، وبينه علاقة سببية بتزويجه أو التزوج منه.

(**لا يطالبنكم**)، معاشر الناس أجمعين (**أحد منهم**)، أى من المذكورين من أصحابى وأتباعى، أى لا يكون لأحد منهم عليكم حق يستحق أن يطالبكم به، ويدعيه عليكم، وهو معنى قوله: (**بمظلمة**) بكسر اللام وفتحها، وهى ما يؤخذ ظلمًا وجورًا، فيطالب به ويشكى ممن أخذه، والكسر فيها أكثر وأشهر، (**فإنها مظلمة**)، أى حق للعبد أخذ منه ظلمًا، (**لا توهب فى القيامة غدا**)، أى لا يهبها الله؛ لأنها حق العبد ما لم يرض صاحبها

لا تترك، وقوله: غدا، إشارة إلى قرب اليوم الذى يؤخذ فيه العباد؛ ترهيبًا لهم وتخويفا.

(**وقال رجل للمعافى**)، بفتح الفاء والقصر، (**ابن عمران:**) أبو مسعود الأزدى الموصلى، أحد الأعلام المحدثين، كان يقال له: ياقوتة العلماء، توفى سنة خمس وثمانين ومائة، وأخرج له البخارى وغيره، والقائل له لا يعرف، (**أين عمر بن عبد العزيز**) الخليفة، العابد، الزاهد، العادل، (**من معاوية**) بن أبى سفيان، رضى الله عنه، أى أيهما أفضل؟ وخصهما بالسؤال؛ لأنهما أمويان، فأين تذهب أنت فى الفرق بينهما؟! (**فغضب**) على السائل؛ لما لاح عليه من تفضيله لابن عبد العزيز، نظرًا لظاهر الحال، (**وقال: لا يقاس**)، أى لا يستوى فضلاً عن التفضيل، (**بأصحاب النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، أحد**)، وفى نسخة: على أصحاب النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، وقاس يتعدى بالباء وعلى، وقد يعدى بإلى؛ لما فيه من معنى الجمع والضم، قال المتنبى[1]:

بمن أضرب الأمثال أم من أقيسه إليك وأهل الدهر دونك والدهر

ثم أشار لفضل معاوية على غيره، لقوله: (**معاوية صاحبه، صلى الله تعالى عليه وسلم، وصهره**)؛ لأنه أخو زوجته أم حبيبة بنت أبى سفيان أم المؤمنين، (**وكاتبه**)؛ لما ثبت أنه من أحد كتابه صلى الله تعالى عليه وسلم، (**وأمينه على وحيه**)؛ لأنه بعد أن استكتبه، كان يكتب ما ينزل عليه من الوحى، ولو لم يستأمنه، ما استكتبه الوحى، وكفاك بهذه مرتبة لم يصل إليها عمر بن عبد العزيز وأضرابه، وابن المعافى رجل منصف، ما صح عنه يرد ما قيل: إن معاوية لم يكتب له شيئًا من الوحى، وإنما كان يكتب له كتبه إلى الأطراف، ولم يذكر فضل معاوية بقرب نسبه من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ؛ لأن عمر بن عبد العزيز شاركه في ذلك، وروى أن عمر سمع مثله، فقال: لغبار بغزوة غزاها معاوية مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خير من عمر وآل عمر، وفى الطاعن فى معاوية ما قيل:

ومن يكن يطعن فى معاوية فذاك كلب من كلاب الهاوية

(**و**) روى الترمذى، عن جابر وضعفه أنه صلى الله تعالى عليه وسلم (**أتى**) بالبناء للمفعول النبى، عليه السلام، (**بجنازة رجل**) بفتح الجيم وكسرها الميت ونعشه، أو فوق لفوق وتحت لتحت، وقد يعكس، (**فلم يصل عليه، وقال: كان**) هذا الميت (**يبغض عثمان، فأنا أبغضه**)، فلذا لم يصل عليه؛ لأن صلاته على الميت دعاء له وشفاعة له، فحرم من ذلك، والعياذ بالله، وفى نسخة بدل ما ذكر، (**فأبغضه الله**)، فهو خبر أو دعاء عليه، وليس فى الحديث نهى عن الصلاة حتى يقتضى كفره كما توهم؛ لجواز أن لا

(١) البيت من الطويل، وهو فى ديوان المتنبى (٢/٢٣٠)، تاج العروس (١٦/٤١٦).

يصلى هو ويصلى غيره كما فى المديون، والبغض لا يقتضى الكفر.

(وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم، فى حديث رواه الشيخان **(فى الأنصار:)**، أى فى حقهم والوصية بهم، وقيل: فى شأنهم وفضلهم **(اعفوا عن مسيئهم)**، أى عمن وقع منه إساءة ما، **(واقبلوا من محسنهم)** كل ما أحسنوه، فحذف مفعوله تعميمًا.

وفى البخارى: «أوصى الخليفة من بعدى بالمهاجرين والأنصار أن يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم»[١]، أى ما فرط منه من زلة، والأنصار اسم حدث لهم فى الإسلام، وهم الأوس والخزرج، والتجاوز عن مسيئهم فى غير الحدود وحقوق الناس، وهو ما ذكر بعض من حديث رواه الشيخان.

ففى البخارى عن أنس بن مالك، أن أبا بكر والعباس، رضى الله عنهما، مرا بمجلس من مجالس الأنصار، وهم يبكون مرضه، صلى الله تعالى عليه وسلم، فقالا: ما يبكيكم؟ قالوا: ذكرنا مجلسه، صلى الله تعالى عليه وسلم، منا قد خلا عنه، عليه السلام، فدخلا عليه، صلى الله تعالى عليه وسلم، وأخبراه بذلك، فخرج وقد عصب على رأسه حاشية برد، فصعد المنبر و لم يصعده بعد ذلك، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أوصيكم بالأنصار فإنهم كرشى وعيبتى، وقد قضوا الذى عليهم وبقى الذى لهم، فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم»[٢]، وهذا تمثيل لأن الكرش تجمع الغذاء الذى به حياة الحيوان ونماؤه، ويقال: لفلان كرش منثورة، أى عيال كثيرة، والعيبة بفتح العين المهملة ما يحرز فيه المتاع، يريد صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك أنهم موضع سره وأمانته.

قال ابن دريد: وهو من موجز الكلام الذى لم يسبق إليه، وقيل: الكرش بمنزلة المعدة، والعيبة مستودع الثياب، والأول أمر باطن، والثانى ظاهر، فضربه مثالاً لاختصاصهم بأموره الباطنة والظاهرة، وهو تشبيه بليغ أو استعارة، وأراد عليه السلام بما عليهم نصرته وقضاء ما تابعوه عليه، وما لهم الجزاء فى الدنيا والآخرة، وقد علمت أن معنى: وتجاوزوا عن مسيئهم، أى فى غير الحدود وحقوق الآدميين، وهذا أيضًا محمل الخبر الصحيح: «أقيلوا ذوى الهيئات عثراتهم»[٣]، ومن ثم ورد فى رواية: «إلا فى الحدود»، وفسره الشافعى بأنهم الذين لا يعرفون بالشر، ويقرب منه قول غيره: هم أصحاب الصغائر دون الكبائر، وقيل: من إذا أذنب تاب.

---

(١) أخرجه البخارى (٥/٤٣)، والبيهقى (٦/٣٧١).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه أحمد (٦/١٨١)، وأبو داود (٤٣٧٥)، وابن حبان (١٥٢٠)، والبيهقى (٨/٢٦٧)، والدارقطنى (٣/٢٠٧).

(وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه أبو نعيم والديلمى، عن عياض الأنصارى وابن أنس: **(احفظونى فى أصحابى وأصهارى)** تقدم بيانه، **(فإنه)** أى الشأن **(من حفظنى فيهم)** برعاية حقوقهم وإكرامهم **(حفظه الله فى الدنيا والآخرة)** حفظه فى الدنيا مما يسوءه، وتوفيقه لترك المعاصى، وفى الآخرة من العذاب والعقاب، **(ومن لم يحفظنى فيهم)** بترك ما مر **(تخلى الله عنه)**، أى أعرض عنه وتركه فى غيه استدراجًا له، **(ومن تخلى الله عنه يوشك)** يسرع ويقرب **(أن يأخذه)** أخذ عزيز مقتدر بأن يهلكه ويستأصله، مستعار من الأخذ المعروف، وقوله: تخلى الله... إلخ، إخبار عما يقع به وكونه إنشاء للدعاء يأباه السياق، فما قيل: إنه أقرب، ليس بشىء، ولهذه الزيادة ذكره المصنف، رحمه الله تعالى، وإن تقدم.

(وعنه، صلى الله تعالى عليه وسلم:) فى حديث رواه سعيد بن منصور، عن عطاء مرسلاً، **(من حفظنى فى أصحابى)** برعاية حقى فيهم، **(كنت له حافظًا يوم القيامة)**، أى مانعًا من هول المحشر وما يسوءه فيه.

(وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم، كما رواه الطبرانى بسند ضعيف: **(من حفظنى فى أصحابى ورد على الحوض)**، أى وصل إليه وشرب منه حتى لا يظمأ بعده، **(ومن لم يحفظنى فى أصحابى)** بتضييع حقوقهم وعدم محبتهم ورعاية ذريتهم، **(لم يرد على الحوض ولم يرنى إلا من بعيد)**، فلا يقرب منه، صلى الله تعالى عليه وسلم؛ لأن من أبغض الصحابة مقته الله، فاستحق الطرد عن الحوض، وعدم شفاعته، صلى الله تعالى عليه وسلم، وتفوت بركته وعنايته فى مثل ذلك اليوم الشديد الهول.

(قال مالك:) إمام دار الهجرة ونجم السنة، رحمه الله: **(هذا النبى)** صلى الله تعالى عليه وسلم، عبر باسم الإشارة القريب؛ لأنه لحضوره فى قلبه وذهنه قدر نفسه كأنه بين يديه بمرأى منه صلى الله تعالى عليه وسلم **(مؤدب الخلق الذى هدانا الله به)**، لخيرى الدنيا والآخرة، والضمير للناس كلهم، **(وجعله رحمة)** عامة **(للعالمين)** وجميع المخلوقين، **(يخرج فى جوف الليل)**، أى فى شبهه بالجوف، وهو داخل البدن، وعبر بالمضارع لحكاية الحال الماضية **(إلى البقيع)** اسم موضع بظاهر المدينة، وأصله اسم كل مكان متسع فيه شجر، ويقال له: بقيع الغرقد، بغين معجمة، وهو اسم لنوع من شجر العضاه كان به، ثم زال وصار مقبرة لأهل المدينة المنورة، وإنما كان يخرج إليه ليناجى ربه متخليًا عن أهله، **(فيدعو لهم)**، أى يدعو لمن بتلك المقبرة منهم، **(ويستغفر لهم)**، أى يدعو لأمواتهم وأحيائهم بالمغفرة، **(كالمودع لهم)**، كأنه يودع من فى تلك الجبانة؛ لعلمه صلى الله تعالى عليه وسلم بقرب أجله ومفارقة زيارتهم، **(وبذلك أمره الله)**، أى أمره بأن يدعو لأمته أو

لأمواتهم ويستغفر لهم، وفيه دليل على شدة محبته لهم، فيجب علينا اتباعه فى ذلك.

(وأمر) بالبناء للمجهول **(النبى)** صلى الله تعالى عليه وسلم، أى الله أمره **(بحبهم)** لله **(وموالاتهم)**، أى معاونتهم ونصرتهم كما أمروا بذلك، **(ومعاداة من عاداهم)** من الكفرة والمنافقين، وهو إشارة لما رواه مسلم، عن عائشة، أنه صلى الله تعالى عليه وسلم، كان يخرج فى ليلتها آخر الليل إلى البقيع، ويقول: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد»[1]، وكان ذلك لما خرج خرجت عائشة وراءه مستخفية منه، فأحس صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك وسألته عما صنع، فقال: «إن جبريل أتانى ونادانى ولم يدخل عليك، ولم أوقظك خشية أن تستوحشى، فقال: إن ربك يأمرك أن تأتى أهل البقيع فتستغفر لهم، فقلت: كيف أقول؟ فقال: تقول: السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، ويرحم الله عز وجل المستقدمين منا والمستأخرين، وإنا بكم إن شاء الله لاحقون»[2]. وهو ما أشار إليه مالك، رحمه الله. وقيل: إنه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، فإذا أمر بذلك، فنحن أحق به، والظاهر ما قدمناه.

(وقال كعب)» الأحبار، رضى الله عنه، التابعى المشهور، وهذا رواه عنه ابن سعد بلفظ: ليس مؤمن، بدل قوله: **(ليس أحد من أصحاب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم إلا له شفاعة)** فى غيره من المؤمنين **(يوم القيامة)**، وهذا إما مروى عنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، فهو مرسل، أو هو مما قرأه فى الكتب القديمة؛ لأنه كان عالمًا بها، وفيه تكريم لهم وما يقتضى محبتهم رجاء شفاعتهم فيمن أحبهم، **(وطلب)**، أى كعب الأحبار، وهذا دليل على صحة اعتقاده لما قاله، وأنه كان محبًا لهم مترجيًا لشفاعتهم، رضى الله عنهم **(من المغيرة بن نوفل)** بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم القرشى الصحابى، ولد على عهد رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، بمكة قبل الهجرة، وكان من أنصار على، رضى الله عنه.

وقيل: إنه لم يدرك من حياة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إلا ست سنين، وكان قاضيًا فى خلافة عثمان، رضى الله تعالى عنه، وعد من الصحابة، وطلب كعب منه **(أن يشفع له يوم القيامة)**، يدل عليه، ونوفل والده هو ابن عم رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، والحارث جده لم يدرك الإسلام، وهذا ما ذكره البرهان ومن تبعه.

---

(١) أخرجه مسلم فى الجنائز (١٠٤)، وأحمد (٦/١١١، ١٨٠)، والنسائى (١/٩٤)، وأبو داود (٢٣٣٧)، وابن ماجه (١٥٤٦)، وأبو عوانة (١/١٣٨)، والبيهقى (٤/٧٨، ٧٩، ٥/٢٤٩).

(٢) تقدم تخريجه.

وقال التلمساني: نوفل والده هو ابن معاوية بن عروة الدؤلى، من كنانة، سمع النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، ومات فى زمن يزيد بن معاوية، وقد بلغ المائة، كما قاله الواقدى. وقال البرهان الحلبى: الحارث، وهو ابن عبد المطلب.

قال ابن عبد الغنى المقدسى: إنه لم يدرك الإسلام، وأسلم من أولاده أربعة، نوفل، وربيعة، وأبو سفيان، وعبد الله، ونوفل أسن إخوته، وأسن من أسلم من بنى هاشم، ولم يذكر المغيرة فيهم، ومنهم من جعل المغيرة اسم أبى سفيان، والصحيح خلافه وأنه غيره، ولم يتعقب أبا الفتح اليعمرى حين ذكره. وقال الذهبى فى التجريد: أبو سفيان اسمه المغيرة، قاله ابن المنذر ولم يتعقبه.

(وقال سهل بن عبد الله التسترى): تقدم ضبطه **(لم يؤمن بالرسول)** صلى الله تعالى عليه وسلم إيمانًا كاملاً **(من لم يوقر أصحابه)** بتعظيمهم ومحبتهم، **(ولم يعز)** من أعزه إذا نصره وقواه أو جعله عزيزًا موقرًا مبجلاً معظمًا، **(أوامره)** جمع أمر، وقد تقدم الكلام عليه قبل، وهذا يقتضى أن سب الصحابة وتنقيصهم كفر، وقيل: إنه كبيرة. قال الزركشى: وينبغى أن يقيد الخلاف بغير من فعل ذلك بهم، لكونهم صحابة لا لأمر آخر، وهو مقتضى مذهبنا أيضًا. وفى منظوم ابن وهبان، رحمه الله تعالى: أخاف على من قال: أبغض عالمًا من الكفر، إذ لا مقتضى الكفر يظهر، وسيأتى تفصيله آخر الكتاب إن شاء الله تعالى.

* * *

(فصل ومن إعظامه وإكباره ﷺ)

إعظامه وإكباره بمعنى تعظيمه وتكبيره وإجلاله. وفى القاموس: أعظمه، فخمه وكبره، واستعظمه رآه عظيمًا، أى من تفخيمه وتعظيمه اللذين هما واجبان على المؤمن **(إعظام جميع أسبابه)**، قيل: هو بالمعنى العرفى، وهو كل ما ينسب إليه من فراشه ولباسه، مما لا روح له أو له روح كعبده ودوابه. وقال الراغب: السبب الحبل الذى يصعد به النخل، قال الله تعالى: ﴿فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ﴾ [ص: ١٠]، ويسمى كل ما يتوصل به سببًا أو يسمى العمامة والخمار والثوب الطويل سببًا، تشبيهًا بالحبل فى الطول. انتهى.

(وإكرام مشاهده) جمع مشهد، وهو محل الشهود، أى الحضور من المشاهدة، وهى الإدراك بالبصيرة والبصر، ومشاهد الحج مواضع المناسك، **(وأمكنته)** جمع مكان عطف تفسير، **(من مكة والمدينة)** بيان للأمكنة، فالمراد به مساكنه ومحل إقامته لا مطلق المكان، **(ومعاهده)**، أى المحال التى عهد إلفه صلى الله تعالى عليه وسلم لها كالأساطين التى كان يصلى عندها، ومحل صلاته فى المساجد، والأماكن المباركة ومنازله، **(وما لمسه)** بيده أو

بغيرها من أعضائه كالحجر الأسود والركن اليمانى، واللمس والمس متقاربان، **(أو عرف به)** كالأماكن التى جاهد فيها، والغار الذى دخله، صلى الله تعالى عليه وسلم.

وقد مر أن ابن عمر كان يتحرى الصلاة والنزول والمرور، حيث حل، صلى الله تعالى عليه وسلم، ونزل، وما روى عن مالك مما يخالف ذلك، فهو جرى على عادته فى سد الذرائع، وكذا ما جاء عن عمر أنه رأى الناس فى الرجوع من الحج ابتدروا مسجدًا، فقال: ما هذا؟ قالوا: مسجد رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، فقال: هكذا هلك أهل الكتاب قبلكم، اتخذوا آثار الأنبياء بيعًا، من عرضت له منكم الصلاة فليصل، ومن لم تعرض له فليمض.

وكلام المصنف، رحمه الله تعالى، هنا غير موافق لما مر عن مالك، لا يقال: يمكن حمل كلامه على إكرام ذلك بغير نحو الصلاة، ليوافق ما مر عن إمامه؛ لأنا نقول: يمكن لكنه بعيد من ظاهر عبارته، ويؤيد ظاهرها أن محققهم الشيخ خليل لما قال: يسن زيارة البقيع ومسجد قباء، قيد ذلك بمن كثرت إقامته بالمدينة، قال: وإلا فالمقام عنده، صلى الله تعالى عليه وسلم، أحسن ليغتنم، ثم نقل عن العارف ابن أبى جمرة أنه من حين دخل المسجد ما جلس إلا للصلاة حتى رحل الركب، ولم يخرج لبقيع ولا لغيره، ولما خطر له ذلك، قال: هذا باب الله تعالى مفتوح للسائلين والمتضرعين، وليس ثم من يقصد مثله.

(وروى عن صفية بنت نجدة) فى الحواشى التلمسانية، أن هذه المرأة زوجة أبى محذورة الآتى ذكره، وقد روى عنها أيوب بن ثابت، وروت هى عن زوجها أبى محذورة، واختلف فى ضبط اسم أبيها نجدة، فقيل: إنه بنون مفتوحة وجيم ساكنة ودال مهملة وهاء، وقيل: نجداه، بدال مهملة تليها ألف وهاء، وقيل: نجراة، براء مهملة بدل الدال المهملة، وقيل: الصواب بحرة، بموحدة مفتوحة وحاء وراء مهملتين وهاء.

(قالت: كان لأبى محذورة)، بحاء وذال معجمة، وبعدها راء مهملة، وهاء بزنة اسم مفعول، وهو محذورة بن معير، بميم مكسورة، وعين مهملة ساكنة، ومثناة تحتية مفتوحة، وراء مهملة، وقيل: معين، بنون بدل الراء، ابن لوذان، بفتح اللام وضمها، وواو وذال معجمة، القرشى مؤذن رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، بمكة، ولم يزل الأذان فيه وفى عقبه، واختلف فى اسمه اختلافًا كثيرًا، فقيل: سمرة، وقيل: أويس، وقيل: سلمان، وقيل: سلمة، وهو جمحى صحابى، توفى سنة تسع وخمسين، أو سبعين، وأخرج له مسلم، وأحمد، وأصحاب السنن، **(قصة)** بضم القاف، وتشديد الصاد المهملة، وهى خصلة من شعر الرأس، **(فى مقدم رأسه)**، مما يلى وجهه من الناصية، سميت بها؛ لأنها مما يقص.

وقال ابن دريد: كل خصلة من الشعر قصة. وقال الجوهرى: هو شعر الناصية، وسبب توقيرها أن رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، مسحها بيده وأبقاها تبركًا بما مسه، وهو محل الشاهد، وكان لما قدم رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، مكة وأذن له بها، وهو مع فتية من قريش سمعوا الأذان، فاستهزءوا به وجعل أبو محذورة يحاكى الأذان استهزاء، فسمعه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فأمر بإحضاره، فلما مثل بين يديه، ظن أنه مقتول، فمسح رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، ناصيته وصدره بيده، قال: فامتلأ قلبى يقينًا وإيمانًا، وعلمت أنه رسول الله، فأسلم وعلمه رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، الأذان وأمره أن يؤذن لأهل مكة، وهو ابن ستة عشر سنة، فكان مؤذنهم حتى مات، **(إذا قعد وأرسلها)**، أى حل عقصها وسدل شعرها، **(أصابت الأرض)**، أى وصلت إليها لطولها.

(فقيل له): أى قال الناس لأبى محذورة: **(ألا تحلقها)**، بكسر اللام، مضارع حلق الشعر بفتحها، وألا للعرض أو الاستفتاح، **(فقال: لم أكن بالذى أحلقها وقد مسها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بيده)** الشريفة، فأبقاها تبركًا بما مسه بيده، وبهذا زالت الكراهة، وإن قيل بها فى غيره.

(و) فى حديث رواه أبو يعلى، قال: **(كانت فى قلنسوة خالد بن الوليد)** بن المغيرة الصحابى المخزومى المشهور، والقلنسوة ما يوضع على الرأس تحت العمامة، وتسمى شاشيه وقبعًا، ويقال: قلنسية، وهو بفتح القاف وضمها، وضم السين وكسرها، ففيه لغات **(شعرات من شعره)**، صلى الله تعالى عليه وسلم، جعلها فى داخله تبركًا بها، **(فسقطت قلنسوته)** عن رأسه **(فى بعض حروبه)**، قيل: هو فى غزوة اليمامة فى خلافة أبى بكر الصديق، رضى الله تعالى عنه، **(فشد عليها شدة)**، أى كرة قوية، أى رجع لأخذها، وهو يعدو عدوًا شديدًا سريعًا، يقال: شد، إذا جرى جريًا قويًا، أى كارًا عليها؛ ليأخذها خوفًا من ضياعها.

(أنكر عليه أصحاب النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم) رجوعه لأجل عمامته؛ لظنهم أنه حرص عليها لذاتها، **(كثرة من قتل فيها)**، أى فى شدته هذه، ممن رجع معه لجانب العدو بسببه، وكثرة منصوب مفعول أنكر، أو هو مفعول لأجله، **(فقال: لم أفعلها)**، أى هذه الشدة والكرة، **(بسبب)** أخذ هذه **(القلنسوة)** كما ظننتم، **(بل)** فعلتها **(لما تضمنته)**، أى لما فى ضمنها وداخلها، **(من شعره)**، صلى الله تعالى عليه وسلم، بفتح العين وسكونها؛ **(لئلا تسلب)** بالبناء للمجهول، ونائب فاعله **(بركتها)**، وتسلب بمعنى تذهب بركتها منى، وذلك أمر عظيم يخاطر بالأرواح لأجله، وفى نسخة: أسلب، ويحتمل أنه

من السلب، بفتحتين، أى يأخذها العدو، ويدل عليه قوله: **(وتقع فى أيدى المشركين)** الذين لا يليق أن تكون عندهم آثار رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم.

(ورئى) مبنى للمجهول بهمزة قبل الياء آخره، **(ابن عمر واضعًا يده على مقعد رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم)**، أى موضع قعوده، **(من المنبر، ثم وضعها على وجهه)**، أى مسحه بها تبركًا بمس ما مس جسده وثيابه، وهذا رواه ابن سعد، ويأتى الكلام على ذلك عند إعادة المصنف، رحمه الله تعالى، وهذا يدل على جواز التبرك بالأنبياء والصالحين وآثارهم، وما يتعلق بهم ما لم يؤد إلى فتنة أو فساد عقيدة، وعلى هذا يحمل ما روى عن عمر، رضى الله عنه، من أنه قطع الشجرة التى وقعت تحتها البيعة؛ لئلا يفتتن بها الناس؛ لقرب عهدهم بالجاهلية، فلا منافاة بينهما ولا عبرة بمن أنكر مثله من جهلة عصرنا، **(وفى معناه أنشدوا)**، أى تمثلوا[1]:

أمر على الديار ديار ليلى أقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبى ولكن حب من سكن الديارا

قيل: الشغف باطن القلب، وقيل: شغاف القلب غلافه، وهو جلدة عليه، وقيل: هو وسط القلب، والمعنى فى هذه الأقوال متقارب، أى ما وصل حب الديار إلى شغاف قلبى، فغلب عليه، قال النابغة[2]:

وقد حال همٌّ دون ذلك والج مكان الشغاف تبتغيه الأصابع

وروى الشعف، بالعين المهملة، ومعناه الإحراق، وعلى الأول العمل. قال الجوهرى: وشغفه الحب، أحرق قلبه. وقال أبو زيد: أمرضه، وقد شغف بكذا، فهو شغوف. وروى عن الشعبى أنه قال: الشغف بالغين المعجمة حب، وبالمهملة جنون، وقيل: الأول حجاب القلب، والثانى سويداء القلب، ويقال: إن الشغاف الجلدة اللاصقة بالكبد التى لا ترى، وهى الجلدة البيضاء، وهذا المنشد وقع مقدمًا فى بعض النسخ.

(ولهذا)، أى للتبرك بآثاره صلى الله تعالى عليه وسلم **(كان)** الإمام **(مالك لا يركب بالمدينة دابة)**، فرسًا ونحوها مما يركب؛ رجاء لأن يمس جسده ترابًا مشى عليه رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، ولما ذكره بقوله: **(وكان يقول:)** إذا سُئل عن ذلك **(أستحيى من الله تعالى)**، أى أخشى وأهاب **(أن أطأ تربة فيها رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، بحافر دابة)**، أى أرضًا ذات تراب، ونسب الوطاء له، مع أنه للدابة؛ لأنه

---

(١) البيتان من الوافر، وهما للمجنون فى ديوانه (ص١٣١).

(٢) البيت من الطويل، وهو فى ديوان النابغة الذبيانى (ص٣٢)، لسان العرب (١٧٩/٩) (شغف)، جمهرة اللغة (ص٨٦٩، ٨٧٣)، كتاب العين (٣٦٠/٤)، تاج العروس (٥١٨/١٣) (شغف).

منسوب له، والحافر للفرس ونحوها، كالخف للبعير والقدم للإنسان.

ثم بين أن عدم ركوبه لم يكن لكونه ليس لـه دواب، بـل لتعظيمـه، صلـى الله تعـالى عليه وسلم، فقال: **(وروى عنه)**، أى عن الإمام مالك **(أنه وهب)** للإمـام **(الشـافعي)** لمـا كان عنده بالمدينة، وضمن وهب معنى أهدى، فعداه بـاللام، وهـو متعـد لاثنـين بنفسـه **(كراعًا)** بوزن غراب، وهو جمع من الخيل، وله معان أخر، فيطلق على الخيل، والسلاح، وما استدق من الساق، واسم موضع **(كثيرًا كان عنده)**، أى فـى ملكـه وحيازتـه، وهـو يدل على كرمه وإجلاله للإمـام الشـافعي، **(فقـال لـه الشـافعي:)** لمـا وهبـه جميـع دوابـه **(أمسك منها دابة)**، أى أبقها عندك لتركبها، **(فأجابه بمثل هذا الجواب)** الذى أجـاب بـه من تقدم بأنه يستحيى من الركوب بالمدينة.

(وقد حكى أبو عبد الرحمن السلمى)، بضم السين وفتـح الـلام، الإمـام الجليـل شيخ الإمام القشيرى صاحب الرسالة، **(عن أحمـد بـن فضلويـه)**، بفتـح الفـاء وسـكون الضـاد المعجمة، وفتح اللام والواو، وسـكون اليـاء، ويجـوز ضـم الـلام، وهـو طريقـة المحدثـين يقولونه كراهة من لفظة ويه، فإنه كلمة تدل على مكـروه كـالويل. وقـال المعـرى: إنـه كلمة تصغير عند عوام البصرة، ثم وصفه بقوله: **(الزاهد، وكان من الرماة الغزاة)**، كان مكثرًا للمجاهدة فى سبيل الله مجيدًا لرمى السهام، ملازمًا للمجاهدة بها، **(أنـه قـال: مـا مسست القوس بيدى)**، ولمسته بها حال الرمـى وغـيره، **(إلا على طـهارة)**، أى متوضئـًا **(منذ بلغنى أن النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، أخذ القوس بيـده)**، أى أمسـكها، وهـو كناية عن الرمى بها، وقد ثبت أنه صلى الله تعالى عليه وسلم حث على الرمى وأمر بـه، فهو سُنة، ففى صحيح مسلم، عن عقبة بن عامر، سمعت رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، وهو على المنبر يقـول: «**﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ﴾** [الأنفال: ٦٠]، ألا إن القوة الرمى»، وكررها ثلاثًا.

وقال صلى الله تعالى عليه وسلم: «إن الله يدخـل بالسـهم الواحـد ثلاثـة نفـر الجنـة، صانعه، والرامى به، ومنبله»[(١)]، أى من يناوله النبل ليرمى به. وصح أنه، صلى الله تعـالى عليه وسلم، رمى بالسهام فى غزوة أُحُد، وكان له قسى ست مذكورة فى السير، ثم إنه قيل: إن تخصيصه الطهارة بمس القوس دون السيف وغيره مما مسـه، وتعظيمـه أزيـد مـن غيره من آلات الحرب؛ لما فيه من دفعـه عنـه دون مشـقة كمـا فـى غـيره، ولـذا كـانت العرب تسميها، أى السهام: رسل المنايا، وما قيل: إنه يحتمل أنه كان يفعل ذلك فى كل

(١) أخرجه أحمد (١٤٦/٤، ١٤٨)، والنسائى (٢٢٣/٦)، والحاكم (٩٥/٢)، والبيـهقى (١٣/١٠، ٢١٨)، وعبد الرزاق (٢١٠١٠).

نوع من الآلات، لا يساعده لفظه.

(وقد أفتى مالك فيمن قال: إن تربة المدينة)، أى أرضها **(ردية)** لمن يحل فيها غير طيبة ذات وباء متعفنة الهوى، وردية مهموز وغير مهموز مأخوذة من الردى، **(بضرب ثلاثين درة)**، بكسر الدال وتشديد الراء المهملتين، وهى آلة من جلد غليظ يضرب بها معروفة، وفى الكلام مقدر، أى وقال: إنه يضرب أو يضرب، بدل من أفتى، **(وأمر بحبسه)** تعزيزًا له، **(وكان)** الذى حبسه **(له قدر)** عظيم وشرف بين الناس، وذكر هذا لأن التعزيز يختلف حاله بحال من عزر، ففيه إشارة إلى أنه أذنب ذنبًا عظيمًا، إذا لو كان أمرًا سهلاً صدر من شريف لعزره باللسان والزجر.

وإلى هذا أشار بقوله: **(وقال)** الإمام مالك: **(ما أحوجه)**، تعجب من استحقاقه العقاب أشد مما فعله، وفيه تجوز؛ لأنه جعل استحقاقه بمقتضى ما صدر عنه كأنه له حاجة إليه؛ لأن العاقل لا يفعل ما لا يحتاج إليه، ففيه تهكم به يومئ إلى عدم شعوره بمصالحه **(إلى ضرب عنقه)**، أى إلى القتل، **(تربة)** وأرض **(دفن فيها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يزعم أنها غير طيبة)**، أى ردية متغيرة الهواء ذات وباء، وهى وإن كانت ذات حمى قبل الهجرة، فقد دعا لها رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، بنقل حماها وعفونة هواها إلى الجحفة، فصارت معتدلة طيبة كما هو مشاهد فيها، وعبر بيزعم للإشارة إلى أنه قول باطل، وإن كان الزعم يجىء بمعنى القول، ولذا قالوا: زعم مطية الكذب، وهذا مبالغة عن زجره تفاديًا عن تنقيص ما هو من أفضل الأماكن عند الله، وإن أمكن حمله على محل آخر من أن بعض أماكنها سباخ، ولكونها كانت ذات وباء لما قدم الصحابة لها وأخذتهم الحمى.

قال صلى الله تعالى عليه وسلم: «اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد، اللهم بارك لنا فيها وصححها لنا وانقل حماها إلى الجحفة»[1]، فطابت وطابت تربتها حتى صار ترابها شفاء من الجذام، كما ورد فى الآثار. قال البوصيرى[2]:

لا طيب يعدل تربا ضم أعظمه طوبى لمستنشق منه وملتثم

(وفى الصحيح)، أى الحديث الصحيح الذى رواه الشيخان، عن أنس، **(أنه)** صلى الله تعالى عليه وسلم، **(قال فى المدينة:)**، أى فى حقها وشأنها، **(من أحدث فيها حدثًا)**، أى من فعل فيها أمرًا قبيحًا ابتدعه فيها كالمظالم، وأصل الحدث كل ما حدث وتجدد، ثم

---

(١) أخرجه البخارى (٣/٣٠، ٥/٨٤، ٧/١٥١، ١٥٨)، ومسلم فى الحج (٤٨٠)، وأحمد (٦/٥٦)، والبيهقى (٣/٣٣٢).

(٢) البيت من البسيط، وهو فى ديوان البوصيرى (ص١٦٨).

خصه العرف بما ذكر من البدع المنكرة شرعًا كما فى النهاية، ومن موصولة أو شرطية، **(أو آوى)** بالمد ويجوز قصره **(محدثًا)** بكسر الدال، اسم فاعل من أحدث، أى أدخله، وضمه لأهلها، يقال: آوى إليه كذا، إذا انضم إليه، أى أدخلها جانيًا، فأجاره ونصره على خصمه، وفتح داله كما قيل على أنه بمعنى الأمر المبتدع وإيواؤه الرضى به تكلف لا حاجة إليه، **(فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلاً)**، وقد تقدم تفسيره، وأنه تغليظ فى الزجر، أو مأول كما قدمناه، وفيه من تعظيم المدينة لكونها مكانه ما لا يخفى، ولها حرمة الحرم كما فصلوه، وسيأتى.

(وحكى) بالبناء للمفعول، والذى حكاه ابن عبد البر، رحمه الله، كما تقدم **(أن جهجاه الغفارى)** بن سعد بن حرام. قال الطبرى: كذا رواه المحدثون والصواب جهجا، بلا هاء. وقال الذهبى: هو جهجاه بن قيس، وقيل: ابن سعد، وهو مدنى صحابى شهد بيعة الرضوان وبعض الغزوات، وتوفى بعد عثمان بسنة، وقد تقدم وسيأتى أنه مات قبل الحول **(أخذ قضيب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من يد عثمان، رضى الله تعالى عنه، وتناوله)** منه **(ليكسره على ركبته)** كما هو معتاد فى كسر ما يحتاج كسره لقوة، والقضيب عصا قصيرة كان يمسكها، صلى الله تعالى عليه وسلم، فى يده، وكذا فعله الصحابة بعده، رضى الله تعالى عنهم، **(فصاح به الناس)** تحذيرًا له وزجرًا ليرتدع عما أراده، **(فأخذته الآكلة)**، أى أصابته وبدت به **(فى ركبته)** لوضعه القضيب ليكسره عليها، **(فقطعها)** لأن العضو المتآكل إن لم يقطع سرت أكلته للبدن وأهلكته، **(ومات قبل الحول)** الذى بعده، أو قبل تمام الحول الذى فعله فيه، وروى أنه مات عقبه كما تقدم.

قال فى القاموس: الأكلة، بضم الهمزة وسكون الكاف، وورد كسرها أيضًا. قال بعض الفقهاء: وما اشتهر من مد همزته خطأ وفيه نظر، فقد روى الثعالبى فى ثمار القلوب شعرًا فيه ذكر الآكلة ولم ينكره، وهو ما قيل فى هجاء الأصمعى:

ومن أنت هل أنت إلا امرؤ ... إذا صح نسلك من باهله
وللباهلى على خبزه ... كتاب لآكله الآكلة

والآكلة كالأكال، مرض يفسد الأعضاء كالجذام معروف، وليس فى كلام القاضى هنا، وفيما تقدم ما يقتضى أنه كسر القضيب. وروى الطبرى فى الرياض النضرة: أنه كسرها. ورواية: أنها عصا، ليست مخالفة لما ذكر؛ لأن القضيب يسمى عصا، وكان هذا فى الفتنة لما حصب الناس عثمان وهو على المنبر، فلما نزل أخذ الجهجاه منه العصا التى كانت بيده، وكان ممن قدم عليه فى قصته المشهورة، وقد تقدم الكلام عليها فى فضل الكرامات وانقلاب الأعيان له.

(وقال) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فى حديث رواه مالك، وأبو داود، والنسائى، وابن ماجه، عن أبى هريرة: **(من حلف على منبرى)**، المراد بكونه على المنبر أنه عنده، ويجوز إبقاؤه على ظاهره، بأن يصعد عليه ويحلف، وقد نص عليه الشافعية، وأنه يجوز أن يؤمر بصعوده، ولكن الأصح الأول، وهذا بناء على أن اليمين تغلظ بالمكان والزمان، فيذهب بالحالف للمسجد، وكان فى حياته، صلى الله تعالى عليه وسلم، يحلف عند المنبر؛ لأن ما بينه وبين القبر الشريف أفضل بقعة بالمدينة بعد مرقده الشريف، وما ضمه جسده العظيم المنيف، **(كاذبًا، فليتبوأ مقعده من النار)**، يتبوأ بمعنى يتخذه مباءة، أى مقرًا ومسكنًا، يقال: بوأه، إذا أسكنه، وهو دعاء، أو أمر أريد به الخير، وجعل استحقاقه العذاب بمنزلة حضوره وحضور محله، فأمر بأن يجعله مقرًا له على طريق التمثيل، وهو من بليغ الكلام وبديعه الذى يعرفه من ذاق حلاوة البلاغة والفصاحة.

(وحدثت)، بالبناء للمجهول **(أن أبا الفضل الجوهرى)**، ليس هو عبد الله بن الحسن المصرى الواعظ بجامع مصر فى حدود السبعين وأربعمائة، وكان من العلماء الصالحين، يتبرك به ويقتدى به فى السلوك، وإنما هو كما فى تاريخ الأندلس: عبد الله بن الحكيم الرندى الأندلسى، ذو الوزارتين، له فصل وحسب، وفضل باهر وأدب، عالم بالقراءات والحديث والعربية، وله شعر رائق ونثر فائق، وارتحل للمشرق، فأخذ بها عن ابن عساكر، وأكثر الرواية عنه، وله رياسة فى عصره، صار بها كالمثل السائر، إلى أن ردت منه الأيام ما وهبت، فانقضت أيامه وذهبت، فقتل لما خلع سلطانه، فنهبت أمواله وكتبه، ومات شهيدًا، رحمه الله تعالى، **(لما ورد المدينة زائرًا وقرب من بيوتها ترجل)**، أى نزل عن دابته التى كان راكبها تأدبًا، **(ومشى باكيًا)** خضوعًا وخشية، وعليه شوق أو مسرة، فإن من المسرة قد يحصل البكاء **(منشدًا)** إنشاد الشعر قراءته، والمراد أنه تمثل به؛ لأن الشعر من قصيدة المتنبى أولها:

فديناك مع ربع وإن زدتنا كربا ... لأنك كنت الشرق للشمس والغربا

(ولما رأينا رسم من لم يدع لنا ... فؤادا لعرفان الرسوم ولا لُبًّا)

ومنها:

(نزلنا عن الأكوار نمشى كرامة ... لمن بان عنه أن نلم به ركبا)

وغيره قليلاً؛ لأنه فى ديوانه، وكيف عرفنا رسم إلى آخره، والقصيدة فى مدح سيف الدولة، ولقد أجاد فى تمثله به ونقله لمحل لائق به، وقد ضمنه المصنف، رحمه الله تعالى، أيضًا فى قصيدة نبوية له، فقال بعده:

وتهنا بأكناف الخيام تواجدا ... نقلبها طورا ونرشفها حبا

ونبدى سرورا والفؤاد بجبها تقطع والأكباد أورى بها لهبا
أقدم رجلا بعد رجل مهابة وأسحب خدى فى مواطنها سحبا
وأسكب دمعى فى مناهل حبها وأرسل حبا فى أماكنها النجبا
وأدعو دعاء اليائس الواله الذى براه الهوى حتى بدا شخصه سحبا

والرسم آثار الديار الدارسة، والمراد آثاره صلى الله تعالى عليه وسلم فى معاهده ومساكنه، والفؤاد القلب أو داخله، والعرفان والمعرفة بمعنى، واللب العقل الخالص من الشوائب، سمى به لأنه خالص ما فى الإنسان فى قواه كاللباب من الشىء، وأما تفسيره بمطلق العقل أخذًا من القاموس، ففيه نظر، والأكوار جمع كور، بضم الكاف وهو للإبل بمنزلة السرج، وبان هنا بمعنا بعد، أى لا يليق به الركوب لمن قرب من مقامه تأدبًا، ونلم نأتيه لزيارته والإلمام الإتيان قليلاً، ويكون بمعنى القرب، ومن فسر بان معنى ظهر لم يصب، والركب اسم جمع لراكب، ويختص بالإبل وقد يعم، وقد شرح البيت هنا بعضهم بما أستحيى من إيراده.

(**وحكى عن بعض المريدين**)، والمريد صاحب الإرادة لغة، والمراد به ما اصطلح عليه مشايخ الصوفية، من هو طالب الحق على يد المرشد الكامل بجعل إرادة ما عدا الحق عبثًا، (**أنه لما أشرف على مدينة الرسول، صلى الله تعالى عليه وسلم**)، أى قرب منها بحيث يراها، وأصل الإشراف النظر من مكان عال أريد به لازمه (**أنشأ**)، أى شرع، والإنشاء يكون بهذا المعنى، وبمعنى الإيجاد ابتداء، (**يقول متمثلاً**) التمثل إنشاد شعر الغير فى مقام يناسبه، وهو من قصيدة لأبى نواس بن هانئ فى مدح الأمين الخليفة ابن هارون الرشيد العباسى من قصيدة قصد المتمثل به لمدح النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، لموافقة اسمه اسمه، وهذا نوع من البلاغة قريب من التضمين، وهو أن يورد شعرًا لغيره فى مقام يكون أحق به من صاحبه، و لم يتعرض له أصحاب البديع إلا أن الإمام محمد التوزرى أورده فى كتابه الغرة اللائحة، وأورد منه ما ذكر المصنف، رحمه الله تعالى، هنا بقوله:

رفع الحجاب لنا فلاح لناظر قمر تقطع دونه الأوهام
وإذا المطى بنا بلغن محمدا فظهورهن على الرجال حرام
قربننا من خير من وطىء الثرى فلها علينا حرمة وذمام

وأول هذه القصيدة المذكورة:

يا دار ما فعلت بك الأيام لم يبق فيك بشاشة تستام

والمراد برفع الحجاب فى كلام أبى نواس ستائر أبواب الملوك والعظام، وهو هنا بمعنى انقضاء المسافة والقرب من المدينة، والقمر الممدوح فيها، وتقطع ماض أو مضارع

حذف إحدى تائيه تخفيفًا، والأوهام جمع وهم وتقطعها اضمحلالها باليقين، وناظر اسم فاعل من نظر أو ناظر العين وإنسانها، والمطى جمع مطية ناقة تمتطى، أى تركب ولاح بمعنى بدا وظهر، ودونه بمعنى قريبًا منه ويجوز فى تقطع بناؤه للمجهول أيضًا، وقوله: فظهورهن إلى آخره جمع ظهر وهو معروف، والرحال بحاء المهملة جمع رحل، وهو للإبل كالسرج للخيل أو بجيم جمع رجل ذكر من بنى آدم، والمعنى متقارب، أى إذا أوصلتهم لمقاصدهم كان لها حرمة تقتضى رعايتها وراحتها، فلا يركبها بعد ذلك رجل، ولا يوضع على ظهرها رحل، بل تترك سارحة منعمة فى مرعاها، ومعناها ظاهر.

ثم بين علة هذه الرعاية بقوله: قربننا، وهى جملة مستأنفة استئنافًا بيانيًا، والحرمة الحق الذى يلزمه احترامه، والذمام مفرد بمعنى ما يلزم احترامه أو جمع ذمة، وهى العهد وما يجب الوفاء به، والمعنى ظاهر لا حاجة للتطويل بشرحه، ومن وطىء الثرى، وهو التراب كناية عن الناس كلهم، وما قاله أبو نواس من تحريم ركوبها كناية بديعة؛ لأنه يشير إلى أن من وصل له لا يرحل بعدها؛ لعدم حاجته لسواه، ولأنه لا يقدر على مفارقة من هو غاية ما يتمناه، وقد كان ذلك وكما قال عبد الله بن رواحة فى قصيدة له:

إذا أديتنى وحملت رحلى مسيرة أربع بعد الحساء
فشأنك فانعمى وخلاك ذم ولا أرجع إلى أهلى ورائى

وفيه رد على الشماخ فى قوله(١):

إذا بلغتنى وحملت رحلى عرابة فاشرقى بدم الوتين

وقال المبرد بعدما أنشد قول ابن رواحة المذكور: لقد أحسن كل الإحسان، حيث قال: لا أحتاج إلى أن أرحل لغيره، وقد عاب الرواة قول الشماخ المذكور، ولذا قال، صلى الله تعالى عليه وسلم، للأنصارية التى أتته على ناقة لها، وقالت: إنى نذرت إن نجوت عليها أن أنحرها: «بئس ما جزيتها»(٢). وقال فى الموازنة: إن الشماخ رأى ناقته شقها السير وهزلت ودبرت كما قال:

إليك بعثت راحلتى لتشكى كلوما بعد محفدها السمين

فقال: إذا بلغتنى عرابة، فلا أبالى أن تهلكى، وليس دعاء عليها، وإنما أراد أنه بلغ المنى، وليس هذا مضادًا لقول أبى نواس، وإنما يضاده قول الأنصارية، وللشعراء والأدباء هنا كلام كثير لا يسعه هذا المقام، وقلت أنا فى معناه:

---

(١) البيت من الوافر، وهو فى ديوان الشماخ (ص٣٢٣)، مقاييس اللغة (٢/٢٣٦).

(٢) أخرجه عبد الرزاق (٩٣٩٥)، والبغوى فى شرح السنة (١٠/٣٢)، وسعيد بن منصور (٢٩٦٧).

إذا بلغتنا النوق حين تلفتت   قريرة عين فى أعز المسارح
وحق لها تحذى الخدود وتفتدى   بأنفسنا من قادحات الطوائح
فياليتها تمشى لا كرام مثلها   جميع نياق الأرض ناقة صالح

(وحكى عن بعض المشايخ)، يعنى به كبار الصالحين والعلماء، **(أنه حج ماشيًا)** تواضعًا وقصد الزيادة فى الثواب، وقد قال الفقهاء: إنه أفضل لمن قدر عليه من داره، فإن لم يقدر فمن الميقات، فإن لم يقدر فمن دون الميقات، فإن لم يقدر فعند الدخول ونحوه. وذكر مجاهد أن إبراهيم وإسماعيل، عليهما الصلاة والسلام، حجا ماشيين، وحج الحسين، رضى الله عنه، ماشيًا ونجائبه تقاد معه، **(فقيل له فى ذلك)**، أى سُئل: لم فعله؟ **(فقال: العبد الآبق)**، أى الفار من سيده إذا رجع إليه **(لا يأتى إلى بيت مولاه)**، أى سيده **(راكبًا)**، وفى نسخة: يأتى، بدون لا، وتقديرها أيأتى بتقدير الاستفهام الإنكارى، وأراد بالآبق المذنب المقصر فى خدمة مولاه مجازًا، أى أنا مذنب مقصر حقيق بالخضوع والتذلل، **(لو قدرت أن أمشى على رأسى ما مشيت على قدمى)**، مثنى قدم مضاف لياء المتكلم، والمشى على الرأس عبارة عن غاية الجد والاجتهاد والتذلل كما قيل:

سعيا على الرأس لا مشيًا على القدم

(قال القاضى): يعنى المصنف عياض، رحمه الله تعالى، فى بيان إيضاح أنه ينبغى للزائر المشى وإظهار الخضوع والذلة، **(وجدير)**، أى خليق وحقيق، وهو خبر مقدم، **(لمواطن)**، أى أماكن ومساكن جمع موطن، وهو محل التوطن والإقامة، وأراد بها مكة والمدينة **(عمرت)**، أى صارت معمورة **(بالوحى والتنزيل)** من عطف الخاص على العام، والباء للسببية، أو هى للتعدية بجعل الوحى بمنزلة ساكن عمرها.

(وتردد بها)، التردد بمعنى المجىء والذهاب، من قولهم: فلان يتردد إلينا، وليس من التردد بمعنى الشك، **(جبريل وميكائيل)**، أما تردد جبريل، عليه الصلاة والسلام، فظاهر، وأما ميكائيل، عليه الصلاة والسلام، فكان ينزل عليه أحيانًا.

(وعرجت)، أى صعدت من عنده، **(منها)**، أى من المواطن **(الملائكة والروح)**، هو جبريل، عليه السلام، عطف عليهم عطف الخاص على العام، وقيل: ملائكة كالحفظة على الملائكة لا تراهم الملائكة، كما أنا لا نراهم، وأما أن المراد به أرواح الناس، فمما لا يليق ذكره هنا.

(وضجت عرصاتها بالتقديس والتسبيح)، هما لغة التطهير والتنزيه، والمراد بهما هنا توحيد الله تعالى وذكره، كقوله: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والضجيج والضجاج: الصياح ورفع الأصوات المختلفة، وأصله صياح العاجز المغلوب، والعرصات

بفتحتين جمع عرصة، وهى الأرض والساحة المتسعة من غير بناء، والمراد هنا الأرض مطلقًا، وإسناد الضجيج للعرصات تجوزٌ للمبالغة فى كثرة الذكر والدعاء والتلاوة.

(**واشتملت تربتها**)، أى تضمنت وحوت أرضها، (**على جسد سيد البشر**)، وهو صلى الله تعالى عليه وسلم، أشرف المخلوقات، فالمكان الذى حواه أفضل الأمكنة، فيلزم تعظيمه والسعى إليه ماشيًا بالذلة والأدب، ثم ذكر بعد فضيلتها الذاتية، ما نشأ عنها وعرض منها، فقال: (**وانتشر**)، أى شاع وتفرق، واشتهر فى الأرض منتقلاً، (**عنها**)، أى عن تلك المواطن، وفى نسخة منها: (**من دين الله، وسنة رسوله ما انتشر**)، أى أمر عظيم كثير، لا يعلمه إلا الله، ولذا عبر بما المبهمة، كقوله: ﴿ٱلْحَاقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَاقَّةُ﴾ [الحاقة: ١، ٢].

(**مدارس آيات**)، عطف بيان أو بدل من مواطن، أى محال يدرس فيها القرآن، جمع مدرس من درس إذا قرأ وتلى. وقيل: جمع مدراس ومفعال غريب فى اسم المكان كالمرصاد، ولا حاجة لارتكابه.

(**ومساجد**) جمع مسجد، بالكسر، موضع السجود، وهو وضع الجبهة على الأرض خضوعًا وعبادة، وليس المراد به الموضع المعد للعبادة، وإن صحت إرادته.

(**وصلوات**)، جمع صلاة، وهى العبادة المعروفة، وأصل معناها الدعاء، ويجوز إرادته هنا، وفى نسخة: مساجد صلوات، بالإضافة على تقدير لام الاختصاص، ومن قال: معناه مساجد لأجل الصلوات لم يصب.

(**ومشاهد الفضائل والخيرات**)، المشاهد جمع مشهد، وهو محل يشهده الناس ويجتمعون فيه، والفضائل جمع فضيلة كالعلم وتعليم الآداب وغيرها من الكمالات، والخيرات هى خير الدنيا والآخرة.

(**ومعاهد البراهين والمعجزات**)، أى عهد فيها ظهور معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم وبراهين نبوته الدالة على صدقه، وهو عطف تفسير. وقيل: البراهين أعم من المعجزات.

(**ومناسك الدين**) جمع منسك، وهو محل العبادة والنسك.

(**ومشاعر المسلمين**)، أى محال معالمهم التى يجب القيام بها من الواجبات وغيرها.

(**ومواقف سيد المرسلين**)، أى المحال التى قام فيها صلى الله تعالى عليه وسلم لإعلاء كلمة الله وإظهار دينه كمحاريبه ومحال صلاته.

(**ومتبوأ خاتم النبيين**)، بفتح الباء وكسرها، أى مساكنه ومحال إقامته، (**حيث انفجرت**

النبوة)، أى ظهرت وفاض على جميع الخلق منافعها، وأشرق فى القلوب أنوارها، ففيه استعارة مكنية وتخييلية، إما بتشبيه النبوة بالفجر والصبح الصادق فى ظهوره الماحى لظلمة الكفر، أو بمنبع الماء المروى للناس بعد ظمأ الجهل، فقوله: **(وأين فاض عبابها)**، بضم العين، وهو الماء الكثير كالسيل، والماء الكثير المتدفق الفائض، وحيث يكون ظرف زمان ومكان، وفيه لغات مشهورة، وأين اسم يستفهم به عن المكان، فجرد عن الاستفهام لمجرد المكان، وقيل: إنها باقية على أصلها، أى هى جواب من سأل، وقال: أين فاض عباب النبوة، فيقال: فى هذه الأماكن.

(ومواطن مهبط الرسالة)، مهبط مصدر ميمى بمعنى الهبوط، أى محال نزول الوحى برسالته وأمره بتبليغ الخلق ما أرسل به لهم، والمراد مكة؛ لأن مراده مدح الحرمين، كما فسرنا به المواطن أولاً، ولذا قال: **(وأول أرض مس جلد المصطفى ترابها)**، هو يكنى به عن مولد كل أحد؛ لأنه لو فرض أنه سقط على أرضها كان كذلك، كما قال[1]:

بلاد بها نيطت على تمائمى   وأول أرض مس جلدى ترابها

ومنه أخذ المصنف، رحمه الله، كلامه ولمح به، **(أن تعظم عرصاتها)**، جمع عرصة، وهى كما تقدم أرض لا بناء فيها، فالمراد بها هنا مطلق الأرض أو معناه الحقيقى، فهو ساحة المدينة ومكة وفناء أرضها، فيعلم منه غيرها بالطريق الأولى، وهذا هو المبتدأ الذى قدم خبره وطول ليتشوق سامعه إليه وينتظره، **(وتتنسم نفحاتها)**، تفعل من النسيم مبنى للمجهول، والمراد ما فى النسيم من نفحاتها الطيبة، والنفحة فى الأصل دفعة من الريح يجوز بها عن الطيب الذى ترتاح له النفس من نفح الطيب إذا فاح.

وفى الحديث: **(إن لربكم فى دهركم نفحات فتعرضوا لها)**، فشبه ما فيها من بركاته وطيب نسيم روائحه استعارة تبعية أو مكنية وتخييلية، **(وتقبل)**، أى تلثم وتباس بالشفاه **(ربوعها)** جمع ربع، وهو المنزل فى الربيع ويطلق على المنزل مطلقًا، وهو المراد هنا **(وجدرانها)**، بضم الجيم وسكون الدال وبالراء المهملتين وألف ونون جمع جدار، وهو أصل الحائط، ويطلق عليه أيضًا، ويجوز أن يكون بتاء التأنيث جمع الجمع، ثم لما تزايد شوقه لمعاهده، صلى الله تعالى عليه وسلم، قال مخاطبًا بها بتنزيلها منزلة العقلاء فى شعر له مروى عنه، وهو قوله، أعنى المؤلف:

---

(١) البيت من الطويل، وهو لرقاع بن قيس الأسدى فى لسان العرب (٤١٨/٧)، تاج العروس (١٦٠/٢٠)، ولأحد الأعراب فى الكامل (ص٨٤٢، ١٣٢٠)، معجم البلدان (٢١٣/٥)، ولامرأة من طيئ فى سمط اللآلئ (ص٢٧٢).

(يـــا دار خيـر المرسلين ومـن بـه هُـــدِىَ الأنــام وخـص بالآيـات)

أراد بداره محل قر فيه مطلقًا، فيشمل مكة والمدينة، وفى نسخة: المسلمين، والأولى أولى، وهدى مبنى للمجهول، أى هدى الله تعالى به، والأنام والخلق مطلقًا أو كل ذى روح كما مر، وقوله: خص بالآيات، المراد بها القرآن أو جميع المعجزات؛ لأن الله تعالى خصه منها بما لم يكن لغيره، أو التعريف فيه للعهد.

(عنـدى لأجلك لوعـة وصبابـــة وتشـــوق متوقـــد الجمـــرات)

اللوعة شدة الحب وحرقته، والصبابة رقة الشوق من صبا إليه إذا مال، والتشوق زيادة الشوق، وشبه ما فى القلب منه بجمرات متوقدة، ومتوقد بكسر القاف من إضافة الصفة للموصوف، وضبط بفتحها أيضًا كما فى المقتفى.

(وعلى عهد إن ملأت محاجـــرى من تلكـم الجـدران والعرصـــات)

وعلىَّ عهد، أى توثق التزمته، وهو يمين كما يقال: علىَّ عهد الله تعالى، والمحاجر جمع محجر، وهو جوانب العين، وملؤها مجاز عن النظر إليها وإبصارها، والجدران جمع مؤنث لجدر جمع جدار كما تقدم، والعرصات تقدم تفسيرها.

(لأعفـرن مصـون شيبى بينهـــا مــن كثـرة التقبيــل والرشفـات)

التعفير تمريغه فى التراب، ويقال له: عفار، وأراد بشيبه لحيته المبيضة، وبينها أى بين ترابها وأرضها، وجعله مصونًا؛ لأنه محفوظ عما يلوثه ويشينه، والتقبيل اللثم، والرشفات جمع رشفة وهى مص الريق ونحوه، وفسر هنا بالتقبيل أيضًا، وتفسيره بمص ريق المحبوب غير مناسب هنا، واللام جواب القسم الذى تضمنه قوله: علىَّ عهد.

(لولا العوادى والأعادى زرتهـــا أبــدا ولو سحبـا علـى الوجنـات)

العوادى جمع عادية، وهى الأمور التى تمنع عن زيارتها والعوائق، أو الظلمة بمعنى غائرة ظالمة، والأعادى جمع عدو أو هو جمع أعداء جمع الجمع، والوجنات جمع وجنة، وهى أعلى الخد وهو ما ارتفع منه وغلظ، وسحبا منصوب بمقدر، أى أسحب وجهى على الأرض بذلة وخضوع، وضمير زرتها للدار، وأبدا ظرف مستغرق لما يستقبل من الزمان، والمعنى لولا عوائق الدهر لم أفارقها و لم أتخلف عنها.

(لكن سأهدى مـن حفيـل تحيتـــى لقطـين تلك الـدار والحجـــرات)

استدرك على ما أفاده ما قبله، أى إن منعت عن زيارتها والإقامة بها والتضمخ بتربها تبركًا، فإنى أهدى لمن سكن بـها، يعنى بـه رسـول الله، صلـى الله تعـالى عليـه وسـلم،

وأصحابه الذين دفنوا بها، والإهداء الإرسال، والحفيل بحاء مهملة مكسورة وفاء وياء تحتية ساكنة ولام، بمعنى كثير نفيس يحتفل به، والتحية من الحياة بمعنى السلام، والقطين بقاف مفتوحة وطاء مهملة مكسورة والمثناة تحتية ساكنة ونون بمعنى المقيم، ويطلق على الأتباع والخدم، والحجرات جمع حجرة وهى بيت صغير من تلك الدار يفرز ويحجر، إشارة إلى حجراته التى كان بها زوجاته أمهات المؤمنين، رضى الله عنهن أجمعين، وكان سيدى الشيخ أحمد بن الرفاعى كل عام يرسل مع الحجاج السلام على النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، فلما زاره وقف تجاه مرقده، وأنشد:

في حالة البعد روحى كنت أرسلها تقبل الأرض عنى فهى نائبتى
وهذه نوبة الأشباح قد حضرت فامدد يديك لكى تحظى بها شفتى

فقيل: إن اليد الشريفة بدت له فقبلها، فهنيئًا له، ثم هنيئًا.

(أزكى من المسك المفتق نفحة تغشاه بالآصال والبكرات)

أزكى بمعنى أكثر طيبًا ورائحة طيبة، والمفتق بزنة مكرم بالتشديد من فتق المسك والطيب إذا خلط بغيره مما يزيد طيبه كماء الورد، ونفحة تقدم تفسيره، وهو منصوب تمييز، وروى بالرفع، وإضافته للهاء، أى رائحته نائب فاعل المفتق، وتغشاه تعرض له أو تغطيه وتحلله من الغشا، والآصال جمع أصيل أو جمع أصل جمعه، فهو جمع الجمع، وهو ما قرب من الغروب، والبكرات جمع بكرة، وهى أول النهار، وخصهما لطيب النسيم ولطافة الهواء فيهما.

(وتخصه بزواكى الصلوات ونوامى التسليم والبركات)

وتخصه بتاء التأنيث فاعله ضمير التحية، أو بنون المتكلم مع الغير، والزواكى جمع زاكية، وهى الزائدة بمعنى النوامى جمع نامية، وحركت ياءهما بالكسر للضرورة، والصلاة والتسليم عليه، صلى الله تعالى عليه وسلم، معناهما ظاهر ويأتى قريبًا، ولقد أجاد فى الختم بهما، والبركات جمع بركة، ولا وجه لما قيل: إنه فاسد الوزن، وصوابه أن يقول:

وتخصه أزكى صلاة دائمًا بنوامى التسليم والبركات

مع أنه وقع فيما هرب منه. روى أن المصنف، رحمه الله تعالى، لم يحج ولم يزره، صلى الله تعالى عليه وسلم، فقال هذا الأبيات الثمانية متحسرًا على ما فاته، كما وقع للعارف بالله تعالى أبى العباس بن العريف، نفعنا الله به، فقال متأسفًا على فوات ذلك:

سار الركاب وسوء الحظ أقعدنى   ولم أجد لبلوغ القصد مفتاحًا
يا سائرين إلى المختار من إضم   سرتم جسوما وسرنا نحن أرواحًا
إنا أقمنا على عجز ومسكنة   ومن أقام على عجز كمن راحا

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

* * *

تم بحمد الله الجزء الرابع من كتاب نسيم الرياض لشهاب الدين الخفاجى رحمه الله فى شرح الشفاء للقاضى عياض

ويليه الجزء الخامس، وأوله:

«(الباب الرابع) من القسم الثانى (فى حكم الصلاة عليه والتسليم)»

* * *

فهرس محتويات

الجزء الرابع

من

نسيم الرياض

في شرح شفاء القاضي عياض



المحتويات